مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله

المعروف بسبط ابن الجوزي

٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء العشرون

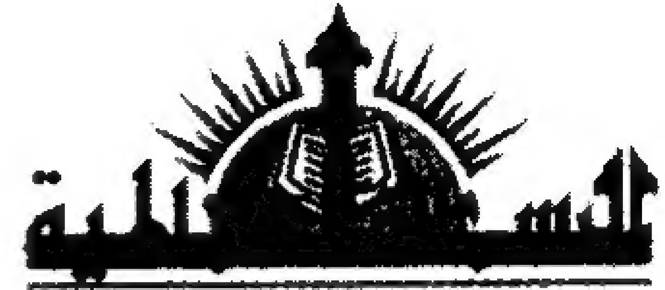
٥٠٠ - ٥٥٣ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

إبراهيم الزيبق

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي وصلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ

مرآة الزمان من كتب التاريخ التي كان يتطلع كثير من الباحثين لتحقيقه ونشره، لوفرة مادته العلمية، وشهرة مؤلفه سبط ابن الجوزي، وخاصة أنه لم يكن متاحاً منه بين أيديهم إلا تلك الشذرات التي نشرت مخطوطةً في شيكاغو سنة ١٩٠٧م.

ولذلك حين طُلب مني المشاركة في تحقيقه قبلت على الفور، واخترت منه العصر الذي أمضيت عمراً من سني حياتي في تحقيق أخباره ودراستها، وأعني بذلك تلك السنين التي تمتد ما بين سنة (٥٠٠هـ) وحتى سنة (٦٥٤هـ)، وهي آخر سني هذا الكتاب.

واعتمدت في تحقيقها على النسخ الآتية:

١- نسخة خزائنية كانت برسم خزانة محب الدين أحمد بن أحمد بن ينال العلائي الداوداري الحنفي، وهي برقم (٢١٣٣)، وقد رمزت لها بالحرف (ع)، ورمز لها بسائر الكتاب بـ(خ)، وهي تنتهي عندي في آخر حوادث سنة (٥٦٠هـ).

٢- نسخة أحمد الثالث برقم (٢٩٠٧)، ورمزت لها بالحرف (ح)، وتبدأ من حوادث سنة (٥٢١هـ)، وتنتهي بخرم في أثناء حوادث سنة (٦٣٦هـ).

٣- نسخة باريس، ومنها نسخة مصورة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، ورمزت لها بالحرف (ب)، فيها خَرْمٌ يبدأ من حوادث سنة (٥١٧هـ)، ويأتي على بقية الكتاب.

٤- وثمة قطعة تبدأ من سنة (٦٢٠هـ)، وتنتهي مع آخر الكتاب، رقمها (٢١٣٨)، ورمزت لها بالحرف (ت).

هذه النسخ الأربع هي النسخ التامة للكتاب باختصار المؤرخ قطب الدين اليونيني.

وثمة نسختان مختصرتان اختصاراً موجزاً عن أصل المؤلف، لم نقع على اسم المختصر، وهما

- نسخة شيكاغو، وقد صورت في شيكاغو سنة ١٩٠٧م، ورمزت لها بالحرف (ش).

- نسخة إبراهيم بن عبد العزيز الناسخ، وكان فرغ من نسخها سنة (٧٣٥هـ)، ورمزت لها بالحرف (م).

فما كان من نسختي (ش) و(م)، أو من إحداهما وضعته بين حاصرتين في متن الكتاب، رغبة مني في إخراج نص من «المرآة» أقرب ما يكون إلى الأصل الذي تركه مؤلفه سبط ابن الجوزي، ولذلك آثرت تسميته «مرآة الزمان» لأنه لا يمكن نسبة هذا النص إلى قطب الدين اليونيني، للزيادة التي أضفتها من غيره... والحمد لله رب العالمين.

دمشق في   **إبراهيم الزيبق**

١٠رجب ١٤٣٢ هـ

١١حزيران ٢٠١١م

السَّنة الخمس مئة

فيها قُتِلَ فخرُ المُلْك بن نظام الملك بنَيْسابور.

وقتِلَ سَعد الملك وزير السُّلْطان محمد.

وقتِلَ ابنُ عَطَّاش مقدَّمُ الباطنية.

وغَرِقَ قَليج رسلان بن سُليمان بن قُتُلْمِش.

وصُرف الوزير أبو القاسم علي ابن جَهِير من وِزارة الخليفة(١) في رابع عشرة صَفَر بينا هو جالِسٌ في الدِّيوان جاءه أبو الفرج بن رئيس الرُّؤساء، فشافَهَه بالعَزْلِ، فانْصَرف.

وكان سَيْفُ الدولة(٢) قد قَرَّر أمره مع الخليفة أنه متى تَغَيَّر رأيُه فيه يُعْزَلُ مَصُوناً، فَقَصَد دارَ سَيْفِ الدَّوْلة ـ وكانت حِمىً ـ وهو يقول في طريقه: أَمَّنكَ الله يا سَيْفَ الدَّوْلة يوم الفَزَعِ الأكبر كما أَمَّنتني.

وأقام بدار سيف الدولة إلى أن أنفذَ إليه من الحِلَّة قوماً؛ فخرجوا به وبأهله وولده وأصحابه، فكانت [مدةُ](٣) وِزارتِهِ ثلاثَ سنين وخمسةَ أشهرٍ وأياماً.

وكان قد استفسد في وزارته [هذه](٣) قلوبَ جماعةٍ، منهم أبو الحسن قاضي القُضَاة الدَّامَغَاني(٤)، وصاحب المخزن أبو القاسم بن الفقيه.

(١) هو المستظهر بالله، وقد توفي سنة (٥١٢هـ)، وسترد ترجمته في حوادثها.

(٢) هو صدقة بن منصور بن دُبَيْس الأسدي، صاحب حِلَّة بني مزيد، وكان صدقة قد عمرها بين الكوفة وبغداد سنة (٤٩٥هـ). وكانت من قبل أجمة تأوي إليها السباع، وداره ببغداد كانت ملجأ للخائفين، قتل سنة (٥٠١هـ)، وسيأتي خبره في حوادثها. وانظر «معجم البلدان» ٢/ ٢٩٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هو علي بن محمد بن علي بن الدامغاني، توفي سنة (٥١٣هـ)، وسترد ترجمته في حوادثها.

وأمر الخليفة بنَقْضِ داره التي بباب العامَّة[١]، وكان [أبو نصر] فخر الدولة ابن جَهير[٢] بناها بأنقاضِ دور الناس [من الجانب الغربي على يدي صاحب الشرطة أبي الغنائم ابن إسماعيل، وكان هذا الشرطي يأخذ أكثر الأنقاض لنفسه ويحتج بعمارة هذه الدار، ولا يقدر أحد من الضعفاء أرباب الأنقاض على الكلام][٣]، فكانت عاقبةُ الظُّلْمِ والغَصْبِ الخرابَ[٤] [وذهابَ الأموال، والعَزْلَ بعد العِزِّ، وتغيُّرَ الأحوال][٥].

قال المصنف ـ رحمه الله[٦] ـ: كذا جرى في دار السَّلْطنة ببغداد [في سنة خمس عشرة وخمس مئة][٧]، وكذا جرى في زماننا، فإنَّ سامةَ الجِيْلي[٨] بنى داراً بدمشق على هذا الوجه، فأخْربها الله تعالى على يدي أيوب بن الكامل[٩] سنةَ سبعٍ وأربعين وستٍّ مئة، وكان سامةُ قد غَرِمَ عليها أموالاً عظيمة، وأخذ أراضيَ النَّاس والآلات[١٠] بدون الطفيف[١١] وصَحَّ فيه قولُ القائل: الحَجَرُ المغصوبُ في البناءِ أساسُ الخراب.

(١) في (ب): عمورية، وهو تحريف، وانظر «خطط بغداد» ص٤٨.

(٢) هو فخر الدولة محمد بن جهير والد أبي القاسم المذكور، وقد توفي سنة (٤٨٣هـ)، وسلفت ترجمته في حوادثها، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب) إلى الخراب، والمثبت من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم» ٩/ ١٤٩.

(٦) في (م) و(ش): قلت..

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وسيأتي الخبر في حوادثها.

(٨) في النسخ الخطية: أسامة، أينما مَرَّ، والصواب «سامة» دون ألف كما جاء في النسخ المجودة من «كتاب الروضتين» بتحقيقي، وهو من أمراء صلاح الدين، وأخباره مبثوثة ثمة، وداره التي بناها بدمشق ذكرها أبو شامة في «المذيل على «الروضتين»» بتحقيقي كذلك في حوادث سنة (٦٠١هـ). وقد عمر البادرائي في مكانها بعد خرابها مدرسة عرفت بالبادرائية. وكأن سبط ابن الجوزي يلتمس العذر لصاحبه الملك المعظم في نقمته على سامة حين يعزو ذلك إلى هذه الدار، والصحيح أن وراء نقمته عليه ما حدث في البيت الأيوبي عقب وفاة صلاح الدين من منازعات، وميل سامة هذا إلى الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب، وسيذكر ذلك سبط ابن الجوزي نفسه في حوادث سنة (٦٠٩هـ)، وانظر «الدارس في تاريخ المدارس»: ١/ ٢٠٥، و«منادمة الأطلال»: ٨٨.

(٩) هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٦٤٧هـ).

(١٠) في (م): والأبواب.

(١١) أي بأقل القليل من الثمن.

[ليت الحلالَ سَلِمَ، فكيف الحرام؟ وكانت هذه الدار سببَ هلاكِ سامة، فإن المُعَظَّم عيسى رحمه الله اعتقل سامةَ وأخذ قلاعَه وأمواله وضياعه وأنشابَهُ[١]، ومن جُمْلتها قلعتان: كوكب وعَجْلُون، ومات في حَبْسه بالكَرك، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]][٢].

ولما عُزِلَ ابنُ جَهِير عن الوِزَارة، استناب الخليفةُ أبا الحسن ابن الدَّامَغَاني [قاضي القضاة في الديوان][٣] ومعه أبو الحسين بن رِضْوان، ثم استوزَرَ هبةَ الله بنَ محمد بن المُطَّلب، وقيل: نابَ في الوِزَارة[٤].

وفيها ولَّى الخليفةُ أبا جعفر عبد الله بن الدَّامَغَاني أخا قاضي القُضَاة حِجْبَةَ الباب، وخَلَعَ عليه، فرمى الطَّيْلَسان[٥]، فَشَقَّ على أخيه، وقد كان ينوبُ عنه في القضاء[٦].

[وأما ما يتعلقُ بأخبارِ الشَّام، فإن في هذه السنةَ كثُرَ فسادُ الفرنج][٧] في أعمال السَّواد، وحوران وجبل عَوْف، فجمعَ طُغْتِكين العساكر من التُّرْكمان وغيرِهم، وخَيَّمَ بالسَّواد، وكان الأمير عِزُّ المُلْك والي صور قد نَهَضَ إلى حِصن تِبْنين [من عمل الفرنج][٢]، فهجم رَبَضَه، وقتلَ مَنْ فيه، ونَهَبَ [وغَنِم][٢]، وبلغَ بغدوين[٨] ملكَ الفرنج، فرحَلَ من طبرية قاصداً صور، وعاد طُغْتِكين إلى دمشق[٩].

---

(١) النَّشَب: المال والعقار، وأكثر استعماله في الأشياء الثابتة كالدور والضياع. «معجم متن اللغة» ٥/ ٤٥٦.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)
(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٤٩.
(٥) الطيلسان نوع من الخمار يطرح على الرأس والكتفين، أو يلقى أحياناً على الكتفين فقط، وهو خاص بالقضاة، وقد رماه أبو جعفر كما في هذا الخبر، ولبس خِلْعة الحجبة، انظر «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» لدوزي: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
(٦) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٠.
(٧) في (ع) و(ب): وفيها كثر فساد الفرنج في أعمال السواد، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٨) هو بلدوين الأول Baldwin I .
(٩) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وفيها[١] بَعَثَ السُّلْطان محمد شاه برأسِ أحمد بن عبد الملك بن عَطَّاش مقدَّمِ الباطنية ورأسِ ولدِهِ، وكان ابنُ عَطَّاش بقلعةٍ عظيمة بأصبهان، بناها السُّلْطان مَلِك شاه جلالُ الدَّوْلة؛ وسببُ بنائها أنَّ بعضَ رُسُلِ الرُّوم وَرَدَ عليه في رسالة وأظهَرَ الإسلام، فخَرَجَ معه ذاتَ يومٍ للصَّيْد، فهربَ منه كلبٌ صَيُود [شديدُ العَدْوِ][٢]، فصَعِد الجبل، وصَعِد السُّلْطان وراءه ومعه الرُّومي، فقال له [الرومي][٣]: يا سُلْطان، لو كان هذا الجبلُ عندنا لبنينا عليه قلعةً ننتفعُ بها، ويبقى ذِكرُها. فثَبَتَ هذا الكلام في قلب السُّلْطان، فبناها، وأَنْفَقَ عليها [أموالاً عظيمة][٤]؛ ألفي ألف دينار ومئتي ألفِ دينار، فاحتالَ عليها ابنُ عَطَّاش حتى مَلَكَها، فكان أهلُ أصبهان يقولون: انظروا إلى هذه القَلْعة؛ كان الدَّليلُ على مَوْضعها كلبٌ، والمُشير ببنائها كافر، وخاتِمةُ أمرِها هذا المُلْحد.

وكان الرُّومي لما عادَ إلى بلده يقول: إنِّي نَظَرتُ إلى أصبهان، وهو بلدٌ عظيم والإسلامُ به ظاهر، فلم أجد شيئاً أُشَتِّتُ به جموعَهم، وأُنْفِدُ به أموالهم غيرَ بناءِ هذه القَلْعة.

ولما ماتَ مَلِك شاه تحيَّل عليها ابنُ عطاش ومَلَكَها[٥]، وأقام بها اثنتي عَشْرَةَ سنةً، ولما آلَ الأمرُ إلى محمد شاه، اهتمَّ بها[٦]، ونَزَلَ عليها، وأقام على حِصارها سنةً، ثُمَّ فتَحَها عَنْوةً وهَدَمها، وقتَلَ ابنَ عَطَّاش وَوَلَدَه في ذي القَعدة، وسَلَخ ابنَ عَطَّاشٍ، ومَثَّلَ بأصحابه، وألقتْ زوجتُه نَفسَها من أعلى القلعة، ومعها جوهرٌ نفيس، فهلكت وما معها.

---

(١) في (ب): فصل، وفيها.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (م) و(ش): وكان ابن عطاش لما مات ملك شاه قد تحيل عليها وملكها.

(٦) في (م)، (ش): اهتم بهذه القلعة.

وكان [أبو][١] ابنِ عطاش في أول أمره طبيباً، فأخذه السُّلْطان طُغْرلْبَك، وأراد قتله لأَجْلِ مذهبه، فأظهر التَّوبة، ومضى إلى الرَّي، وصاحَبَ أبا عليٍّ النَّيْسابوري، وكان مقدَّمهم بالرَّي، وصاهَرَه، وجمَعَ رِسالةً في الدُّعاء إلى هذا المذهب سمَّاها العقيقة، وماتَ ببعضِ بلاد الرَّي، وجاء ابنُه أحمد فمَلكَ القلعة، واسْمُها شاه دِزْ.

[قلتُ: وهذا الذي ذكره أربابُ السِّيَر بالعراق من حديثِ هذه القلعة وابنِ عطاش، حكاه[٢] جدِّي في «المنتظم»[٣].

ووقعتْ في تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي، فذكَرَها[٤]، وقال: وفي سنةِ خمس مئة ورَدَتِ الأخبارُ متواترةً باهتمام السُّلْطان غياثِ الدُّنيا والدِّين محمد بن ملك شاه بمحاصرة قلعة الباطنية وهَدْمِها، وأراحَ العالَم منها، ومن الشَّرِّ المُتَّصِلِ بها][٥]، وأنشأَ كتابَ الفَتْح[٦] بوَصفِ الحال، وهو كتابٌ طويل[٧]، منه: وفتَحْنا قلعةَ شاه دِز الذي شَمَخَ بها الباطلُ وبَذَخَ[٨]، وباضَ الشَّيطانُ فيها وأفرخَ، وكانت قذًى في عيون الممالك، وسبباً[٩] إلى التَّورُّطِ بالمُسْلمين في المهاوي والمهالك، وكان بها ابنُ عَطَّاش الذي طار عَقْلُه في مَدْرجِ الضَّلال وطاش، فكان يستبيحُ دماءَ المُسلمين ويراها هَدَراً، ويستحِلُّ أموالهم غَرَراً، فكم من دماءٍ سُفِكَت، وحُرَمٍ انتُهِكتْ، وأموالٍ استُهْلِكت، وشَرَقاتٍ[١٠] تجرَعُها النُّفوسُ فما استُدرِكَتْ.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (م) و(ش): وحكاه، والصواب ما هو مثبت.

(٣) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٠ ـ ١٥١، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٤٣٠ ـ ٤٣٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٦٧.

(٤) في (م) و(ش)؛ وذكرها، والصواب ما هو مثبت.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع): الفصيح، وهو تحريف. وفي (م) و(ش)، وأنشأ كتاب الفتح بوصف الحال فيها إلى سائر أعماله ليقرأ على المنابر، ومن جملة ما كتب: وكانت هذه القلعة من أمهات القلاع...

(٧) انظر الكتاب بتمامه في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٤٥ ـ ٢٥٠.

(٨) شمخ وبذخ: كلاهما بمعنى تكبّر وعلا، انظر «معجم متن اللغة» ١/ ٢٥٨، ٣/ ٣٦٥.

(٩) في (ب): وسبيلاً.

(١٠) من الشَّرَق: وهو دخول الماء الحلق حتى يَغَصَّ به. «اللسان» (شرق).

وكانت هذه القَلْعةُ من أُمَّهات القِلاع التي تمتنعُ على مَن رامها أشَدَّ امتناعٍ، وكانت تُبثُّ الحبائِل[١] منها إلى سائر الجهات والأقطار، وترجعُ إليها نتائجُ الفسادِ رجوعَ الطَّيرِ إلى الأوكار، وهي في العِزَّة والمَنَعَة مثل مناطِ الشَّمسِ، التي تنالُ منها حاسَّةُ البَصر دون حاسَّةِ اللَّمسِ، وكأنها وهي في أعلى شاهقٍ، نَزَلَتْ على الجبل من حالقٍ، فنَسَفناها نَسفاً، وخَسَفْناها خَسفاً، وصَيَّرْنا سُفْلَها عُلْواً، وعُلْوَها خِلْواً، إذ لم يُفْلِتْ منها صاحِبٌ ولا مصحوب، إنَّ الشَّقاء على الأشْقَيَيْنِ مَصبوبٌ، وأمرنا بهَدْمها وتَعفيةِ أثرِها ورَدْمها، وأُسر ابنُ عَطَّاش رأسُ الجالوت، ووليُّ الطَّاغوت الذي كان من قومٍ قال الله فيهم: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١] فجعلناه وولدَه عِبرةً للنُّظَّار، ولأُولي الأبصار ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] على هذا الفَتْح المُبين، الذي هو غُرَّةُ الدَّهْر على دوام السِّنين[٢].

جعفر بن أحمد

ابن الحسين بن أحمد، أبو[٣] محمد السَّرَّاج القارئ البغدادي[٤].

ولد سنةَ ستّ عشرة وأربع مئة[٥]، وقرأ القرآن بالرِّوايات، وأقرأ سنين، وسافر إلى الشَّام ومِصر، وسَمِعَ الحديث الكثير، وصنف المصنفات الحِسان، منها: [كتاب][٦] «مصارع العُشَّاق»[٧]، وغيره. [وسمع بدمشق وطرابُلُس، وأخرج له الخطيب فوائد في خمسة أجزاء، وتكلَّم على الأحاديث][٦].

(١) حبائل جمع، مفردها الحِبالة: وهي ما يصاد بها من أي شيء كان. «اللسان» (حبل).

(٢) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٤٦ - ٢٤٩.

(٣) في (ش): بن، وهو تحريف، والمثبت من (م) و(ب).

(٤) ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق. مج١/ج٣/ ٢٨٣ - ٢٨٩ ، و«المنتظم»: ٩/ ١٥١ - ١٥٢، و«معجم الأدباء»: ٧/ ١٥٣ - ١٦٢، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٣٥٧ - ٣٥٨، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٢٨ - ٢٣١، وانظر تتمة مصادر ترجمته فيه.

(٥) انظر الخلاف في سنة مولده في «وفيات الأعيان»: ١/ ٣٥٨.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) طبع الكتاب غيرما طبعة، أولها في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م، وآخرها في بيروت عن دار بيروت سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وهو كتاب مشهور متداول.

وكان أديباً شاعراً، فاضلاً، لطيفاً، صدوقاً، ثِقَة، ونَظَمَ [كُتُباً كثيرة][(١)]: «المبتدأ»، و«مناسك الحج»، وكتاب «التَّنْبيه»، وغير ذلك، ولم يمرض في عُمُره غيرَ مَرَضِ المَوْت، وتوفي في صَفَر، ودفن بالمقبرة المعروفة بالأجمة من باب أبرز، [سمع أبا الحسين بن القَزْويني وغيره][(٢)].

وله «ديوان شعر»، فمنه[(٣)]: [من مجزوء الكامل]

بـانَ الـخـلـيـطُ[(٤)] فـأدْمُـعـي ... وَجْـداً عـلـيـهـم تَـسـتَـهِـلُّ
وحـدا بـهـمْ حـادي الـفِـرا ... قِ عـنِ الـمـنـازلِ فـاسـتَـقَـلُّـوا[(٥)]
قُـلْ لـلـذيـنَ تـرحَّـلـوا ... عـن نـاظـري والـقَـلْـبَ حـلُّـوا
وَدَمـي بـلا جُـرْمٍ أتَـيْـ ... ـتُ غَـدَاةَ بَـيـنِـهِـمُ اسْـتَـحَـلُّـوا
مـا ضَـرَّهـم لـو أنْـهـلـوا ... مـن مـاءِ وَصـلِـهِـمُ وعَـلُّـوا[(٦)]

وقال يمدحُ أصحابَ الحديث: [من مجزوء الكامل]

قُـلْ لـلـذيـن بـجَـهْـلِـهِـمْ ... أضـحـوا يَـعِـيْـبُـونَ الـمـحـابِـرْ
والـحـامـلـيـنَ لـهـا مـن الـ ... أيـدي بـمُـجـتـمـعِ الأسـاوِرْ
لـولا الـمـحـابِـرُ والـمـقـا ... لـم والـصَّـحـائِـفُ والـدَّفـاتِـرْ
والـحـافـظـون شَـريـعـةَ الـ ... ـمـبـعـوثِ مـن خَـيْـرِ الـعـشـائِـرْ
والـنـاقـلـونَ حـديـثَـهُ ... عـن كـابـرٍ ثَـبْـتٍ لـكـابـرْ
لـرأيـت مِـنْ شِـيَـعِ الـضَّـلا ... لِ عـسـاكـراً تـتـلـو عـسـاكـرْ
كـلٌّ يـقـولُ بـجـهـلِـهِ ... والـلـهُ لـلـمـظـلـومِ نـاصـرْ
سَـمَّـيْـتُـمُ أهـلَ الـحـديـ ... ـثِ أُولي الـنُّـهـى وأُولي الـبـصـائِـرْ

---

(١) في (ع): ونظم كتاب المبتدأ، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) في (ع) فمن قوله: والمثبت من (ب).
(٤) الخليط: المعاشر المخالط.
(٥) استقلوا: ارتحلوا ومضوا.
(٦) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء العراق مج١/ج٣/ ٢٨٧، و«المنتظم»: ٩/ ١٥١ ـ ١٥٢، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٣٥٧.

حَشَوِيَّةٌ[(١)] فعليكُمُ لَعْنٌ يُزيركُمُ المقابِرْ
هُمْ حَشْو جنَّات النَّعيـ ـمِ على الأَسِرَّةِ والمنابِرْ
رُفَقاءُ أحمدَ كلُّهم عن حَوضِهِ ريَّان صَادِرْ[(٢)]

وقال في أصحاب الحديث أيضاً: [من المتقارب]

إذا كنتمُ تكتبونَ الحديـ ـثَ ليلاً وفي صُبْحِكُمْ تُسْمِعُونا
وأفْنَيتُمُ فيه أعمارَكُمْ فأيُّ زمانٍ به تعمَلُونا[(٣)]

وقال: [من السريع]

يا ساكني الدَّيْرَ حُلُولاً به تُطْرِبُهُمْ فيه النَّواقِيسُ
قِيْسُوا لنا القُرْبَ وكم بَيْنَهُ وبينَ أيَّامِ النَّوى قِيسُوا[(٤)]

وقال: [من البسيط]

يا هندُ قد عَنَّ لي عن داركُمْ سَفَرٌ كما اشتهى البَيْنُ مهما شِئْتِ وصِّيني
فإنني لأرَى فَرْضاً حَوائجَكُمْ حَتْماً عليَّ ولو بالهِنْدِ والصِّينِ

[وله: [من المتقارب]

إذا كان يؤذيك حَرُّ المَصِيْفِ ويُبْس الخريفِ وبَرْدُ الشِّتا
ويُلْهِيْكَ طِيْبُ زمانِ الرَّبيعِ فأخْذُكَ للعِلْم قُلْ لي متى؟

رحمه الله][(٥)].

---

(١) الحشوية، بسكون الشين وفتحها: نسبة إلى الحشو، وهو الجسم، وهم طائفة تمسكوا بظواهر النصوص. فأفضى بهم ذلك إلى التجسيم، ويقال لهم المجسمة كذلك، انظر «كشاف مصطلحات الفنون» للتهانوي: ٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) الأبيات في «المنتظم»: ٩/ ١٥٢.

(٣) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء العراق مج١/ ج٣/ ٢٨٩.

(٤) البيتان في المصدر السالف.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). والبيتان لأحمد بن فارس بن زكريا النحوي صاحب «المجمل»، نسبهما إليه ابن عساكر في «تاريخه» (خ) (س) ١٨/ ١٧٣ وفي مختصره لابن منظور ٢٧/ ٢٨٧، وأوردهما له الثعالبي في «يتيمة الدهر» ٣/ ٤٧٠، وياقوت في «معجم الأدباء» ٤/ ٨٨، والقفطي في «إنباه الرواة» ١/ ٩٥، والذهبي في «السير» ١٧/ ١٠٦ وغيرهم.

سَعد بن محمد أبو المحاسن(١)

وزير السُّلْطان محمد شاه، بلغه عنه أنه قد دَبَّرَ عليه هو وجماعة [من الكتَّاب](٢)، وكاتبوا أخاه سنجر، فصَلَبَ وزيره، وصلبهم على باب أَصبهان، واستوْزَرَ أبا نَصر أحمد بن نظام المُلْك.

عليُّ بنُ نظام المُلْك(٣)

أبو المُظَفَّر، فخر الملك. كان أكبر ولد النِّظام، استوزره بَرْكْيارُوق، ثم توجَّه إلى نيسابور، فوزر للسُّلْطان سنجر [شاه بن ملك شاه](٤)، وكان قد رأى ليلةَ عاشوراء [في المنام في هذه السنة](٢) الحسين بن علي عليهما السَّلام في المنام وهو يقول له: عَجِّلْ إلينا وأَفْطِرْ الليلة عندنا. فانتبه مُشْفِقاً من ذلك، فشَجَّعه أصحابُهُ، وقالوا له: لا تخرج [الليلة ولا](٥) اليوم من دارك. وأصبح صائماً، فلما كان وقتُ العَصر خَرَجَ من حُجْرةٍ كان فيها إلى دُورِ بعض نسائه، فَسَمِعَ صوتَ مُتَظَلِّمٍ يقول: مات المسلمون، ما بقي أحدٌ يكشف ظُلامةَ أحدٍ، ولا مَنْ يأخذُ بيدِ أحد، ولا مَن يُغيث ملهوفاً. فوقفَ، وقال: أبصروا مَنْ هذا، فقد عَمِلَ(٦) كلامُه في قلبي. فأدنوه منه(٧)، وإذا رجلٌ في زِيٍّ الصُّوفية، فقال: ما الذي بك؟ فقال: حاجتي في هذه الورقة، فأخذها منه، ووقف يقرؤها، فضربه بسكين في مقتله، فقضى عليه، وحُمِلَ القاتل إلى سنجر فقرَّره، فأقَرَّ على جماعةٍ من أصحاب سنجر، وكَذَبَ، وإنما بعثه مقدَّم الباطنية [على عادتهم في

---

(١) في النسخ الخطية: أبو المعالي، وهو وهم، والمثبت من «المنتظم» ٩/ ١٥٠، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٤٣٧، وانظر خبره ثمة.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (م) و(ش) فصل، وفيها توفي علي بن نظام الملك.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) في (م) و(ش): وقع.

(٧) في (ب): مني.

السعي بالرؤوساء ليفنوا النَّاس][(١)]، فَفُصِلَ الباطنيُّ عضواً عضواً على [قبر ابن نظام الملك][(٢)]، وكان له يوم قتل سِتٌّ وستون [سنة][(١)]، رحمه الله[(٣)].

ويقال: [إنَّ الباطنية لما قتلوا فخر المُلْك][(٤)] كتب سنجر إلى أخيه محمد: إنَّ هؤلاء لا يبقون عليَّ ولا عليك، والواجبُ قَلْعُهم من الأرض وإبادتهم. فسار إلى قلعة ابنِ عَطَّاش، وفَعَلَ ما فعل.

قَلِيج رسلان بن قُتُلْمِش[(٥)]

قال أبو يعلى ابن القَلانسي: في سنةِ خمس مئة تتابعتِ المكاتباتُ إلى السُّلْطان محمد شاه من أتابك طُغتِكين، وفخر الملك بن عَمَّار صاحب طَرابُلُس بعظيم ما ارتكبه الفرنج من الفساد في البلاد، وتَمَلُّكِ الحُصُون والقِلاع بالشَّام والسَّاحل، فَنَدَبَ السُّلْطان الأمير جاولي سقاوة وأميراً من مُقَدَّمي عسكره في عَسْكرٍ كثيف من الأتراك، وكَتَبَ إلى صَدَقة، وإلى جكرمش صاحب المَوْصِل بتقويته بالمال والرِّجال، وأقطعه الرَّحْبة، وما على الفُرَات، فَثَقُلَ ذلك على المُكاتَبين، ودافعَهُ صدقة، فسار إلى المَوْصِل، وبعث إلى جكرمش يطلبُ منه ما أَمَرَ به السُّلْطان، فتوقف، فنزل جاولي قلعة السن[(٦)]، ونهبها، وخَرَجَ إلى جكرمش، فقاتله، فَظَفِر به جاولي، واستباحَ عسكره، وهرب ولده إلى المَوْصِل، وقتَلَ جاولي جكرمش، وبَعَثَ برأسه إلى المَوْصِل، فكتبَ ابنُه إلى قَليج رسلان يستمدُّه، ويبذلُ له تسليمَ المَوْصِل.

وكان جكرمش قد جَمَعَ مالاً عظيماً من الجزيرة والمَوْصِل، وكان جميلَ السِّيرة، عادلاً في الرَّعية، مشهوراً بالإنصاف، فسار قليج رسلان في عَسكره، فنَزَلَ نَصِيبين

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) في (ع) و(ب): على قبره، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) انظر «المنتظم»: ٩/١٤٨ _ ١٤٩، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/٤١٨ _ ٤١٩.
(٤) في (ع) و(ب): لما قتل كتب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٥) في (م) و(ش): وفيها غرق قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش؛ سقط من الخابور، فغرق، ووجد بعد أيام ميتاً.
(٦) السن: بليدة على دجلة فوق تكريت. «معجم البلدان»: ٣/٢٦٨ .

ودخَلَها، لأنَّه كان في قُلٍّ[١] من عسكره، وباقيه في بلاد الرُّوم لإنجاد صاحبِ القُسْطَنطينِيَّة على الفرنج.

وجاء جاولي إلى نَصِيبين، والتقتِ الطَّلائعُ، فَظَفِرَ قومٌ من أصحاب [قليج بقوم من أصحاب][٢] جاولي، فقتلوا بعضاً، وأسروا بعضاً، فسار جاولي إلى الخابور، وقد عَلِمَ أنَّ قليج رسلان قد بَعَثَ يَطْلُبُ عسكرَه، فجاء إلى الرَّحْبة، ونَزَلَ عليها، وبها نائِبُ دُقاق، وعنده أرتاش[٣] الهارب من طُغْتِكِين، وَوَصَلَ إيل غازي بن أُرْتُق في جماعةٍ من التُّرْكمان، وجاءه رِضوان صاحبُ حلب، فأقام جاولي على الرَّحْبة من أوَّلِ رجب إلى الثَّاني والعشرين من شهر رمضان، فافتتحها عَنْوَةً بمواطأةٍ مِنْ بعضِ أهلها، ونهبوا البَلَد، واستخرجوا الذَّخائر، فأَمَّنَ جاولي النَّاسَ، وتسلَّمَ القلعةَ وأرتاش في قبضته.

وكان محمد والي الرَّحْبة قد بَعَثَ يستصرخ بقليج رسلان، فجاء لينجده وقد فُتحت، فنَزَلَ على الشَّمْسَانية[٤]، وقبَضَ جاولي على محمدٍ وحَبَسَه، ورَحَلَ، فنزل ماكِسِين[٥] يريد المَوْصِل ومعه إيل غازي ورِضْوان، وقصدوا عسكرَ قليج، والتقى الفريقان يوم الخميس تاسع شَوَّال، وكان الزَّمانُ صَيْفاً، فاشتدَّ الحَرُّ، وماتَ أكثرُ خَيلِ الفريقين عَطَشاً، فحمل عسكرُ قليج على عسكر جاولي، وقصَدَ جاولي قليج رسلان، وضربه بالسَّيف عدة ضربات، فلم تؤثِّر فيه، وانهزم عسكر قليج، وفَصَلَ عنه وقت الحرب صاحِبُ آمِد وصاحب مَيَّافارِقين، ووقعَ السَّيْفُ في أصحابه، فانهزمَ قليج، فَسَقَطَ في الخابور، فَغَرِقَ، ووُجِدَ بعد أيَّام ميتاً.

وعاد جاولي إلى المَوْصِل ورِضْوان إلى حلب خوفاً من جاولي، وأما أصحابُ قليج الذين سَيَّرهم لإنجاد صاحب القُسطنطينية، فَنُصِروا على الفرنج ونهبوهم، ووصلوا إلى أماكنهم بعد أن خَلَعَ عليهم ملكُ الرُّوم، وأحسَنَ إليهم.

---

(١) أي قلة. «اللسان» (قلل).

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) أرتاش هو ابن تاج الدولة تُتُش أخو دقاق، وقد هرب من دمشق بعد وفاة أخيه دقاق ملك دمشق، انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٤) بليدة بالخابور. «معجم البلدان» ٣/ ٣٦٢.

(٥) بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق. «معجم البلدان»: ٥/ ٤٣.

ولما وصل جاولي إلى المَوْصِل وَجَدَ ولدَ قليج رسلان قد دَخَلَها، فحاصرها، فسَلَّموها إليه بالأمان، فقَبَضَ على ولد قليج، وسَيَّره إلى السُّلْطان محمد، فلم يَزَلْ مقيماً عنده إلى سنة ثلاثٍ وخمس مئة، فهرب وعاد إلى مملكة أبيه ببلاد الرُّوم.

وقيل: إنَّه لما وَصَلَ إليها عَمِلَ على ابنِ عمه، فقتله، واستقام له أمرُ المملكة[(١)].

وقال صاحبُ «تاريخ مَيَّافارِقين»[(٢)]: إنَّ السُّلْطان محمد بَعَثَ جاولي لحرب الفرنج، وكَتَبَ إلى أمراء البلاد بطاعته، فلمَّا وَصَلَ المَوْصِل أَنِفَ جكرمش أنْ يتأمَّرَ عليه جاولي، فحاربه، فهزمه جاولي، فدخل المَوْصِل مجروحاً، فأقام يومين، ومات، واستنجد ولده بقليج رسلان ـ وقيل: اسمه إبراهيم بن سُكْمان ـ [و][(٣)] صاحبِ آمِد، وسار جاولي إلى حلب لينجد رِضوان على الفرنج، وجاء قليج فدخل إلى المَوْصِل، واستولى عليها، وخَطَبَ لنفسه بعد الخليفة، وأسقط خُطبة السُّلْطان محمد شاه، وبلغَ جاولي وهو على حلب، فعادَ إلى المَوْصِل، فخرج إليه قليج، فاقتتلا قتالاً شديداً، وأُحيط بقليج وبأصحابه، فألقى نَفسَه في الماء، فَغَرِقَ، ودَخَلَ جاولي المَوْصِل، وكان بها مسعود بن قليج رسلان، وهو صبيٌّ صغير، فَقَبَضَ عليه، وبَعَثَ به إلى السُّلْطان، فاعتقله مُدَّة، ثم أُفلت، فأتى مَلَطْية وبها بعضُ مماليكِ أبيه، فأطاعه، وتقرَّرَتْ له المملكة ببلاد الرُّوم، فمسعود هذا جَدُّ ملوك الرُّوم.

وقيل: إنَّ قليج رسلان اسمه إبراهيم بن سُكْمان بن سُلَيمان بن قُتُلْمِش، وقيل: إنَّهم من أولاد الدَّانْشَمَنْد، والأول أصح[(٤)].

---

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٠ ـ ٢٥٤.

(٢) ثمة كتاب مطبوع عن تاريخ ميافارقين لأحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، لا تتفق أخباره مع ما يحيل عليه سبط ابن الجوزي من «تاريخ ميافارقين»، ويبدو أن المؤلف قد كتب كتابه غير مرة، مما جعل نسخه يختلف بعضها عن بعض زيادةً ونقصاً، والله أعلم.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق، لأن صاحب آمد حينئذٍ هو إبراهيم بن ينال، وكان في جملة عسكر قليج رسلان، انظر «تاريخ الفارقي»: ١٠٦، و«الكامل»: ١٠/ ٤٢٧.

(٤) وهم سبط ابن الجوزي في ذلك، فقد قيل: إن اسم قليج رسلان هو داود فيما ذكر زامباور في «معجم =

محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأَسَدِي(١)

ولد بمكة سنة إحدى وأربع مئة(٢)، وسافر إلى البلاد، ولقي العلماء، وخَدَمَ الوزير أبا القاسم بن المَغْرِبي(٣)، وأقام بغَزْنة، فتوفي يوم عاشوراء.

من بديع شِعْره: [من الخفيف]

قلتُ: ثَقَّلْتُ إذْ أتيتُ مِراراً ... قال: ثَقَّلْتَ كاهلي بالأيادي

قلتُ: طَوَّلْتُ، قال: لا بل تَطَوَّلْـ ... ـتَ، وأبْرَمْتُ، قال: حَبْلَ الوِدادِ(٤)

محمد بن الحسن بن خُداداد، أبو غالب(٥)

ولد سنة إحدى وأربع مئة، وكان رجلاً صالحاً، ثِقَةً، كثير البكاء من خشية الله تعالى، توفّي في ربيع الآخر، ودُفِنَ بباب حَرْب.

= الأنساب»: ٢١٦، وذهب ستانلي لين بول في كتابه «الدول الإسلامية» ١/ ٣١٣ (سلسلة النسب العامة) إلى أن داود هو أخو قليج، ولم يذكر أحد من المؤرخين ما ذكره سبط ابن الجوزي من أن قليج رسلان اسمه إبراهيم بن سكمان بن سليمان.

ثم إن ما يجمع سلاجقة الروم مع الدانشمند هي صلة قرابة من قبل الأمهات، انظر عن الدانشمنديين «معجم الأنساب» للزامباور: ٢٢٠ ـ ٢٢١، «الدول الإسلامية» ٣٢٨ ـ ٣٣١، وكتاب «الدانشمنديين وجهادهم في بلاد الأناضول» للدكتور علي بن صالح المحيميد: ٢١ ـ ٢٢ ـ ١٠٣.

(١) ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣/ ٢٣ ـ ٢٥، و«المنتظم»: ٩/ ١٥٣، و«المحمدون من الشعراء» للقفطي: ١٣٨ ـ ١٤٣، و«الوافي بالوفيات»: ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧، و«العقد الثمين»: ١/ ٣٩٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٩٥، و«معاهد التنصيص»: ٣/ ٢٠١.

(٢) في النسخ الخطية ومصادر ترجمته ما خلا «الخريدة» و«المحمدون من الشعراء» أنه ولد سنة (٤٤١هـ)، وهو وهم، صوابه ما ذكره العماد في «الخريدة» وتابعه القفطي في «المحمدون»، وقد أثبته، إذ ذكر في ترجمته هنا أنه خدم الوزير أبا القاسم، ووفاة الوزير المذكور سنة (٤١٨هـ)، وذكر العماد وتابعه القفطي أنه لقي في صباه أبا الحسن التهامي الشاعر، ومقتل التهامي سنة (٤١٦هـ)، وورد غزنة سنة (٤٤٦هـ)، وعمر إلى حد المئة.

(٣) هو الحسين بن علي بن الحسين المغربي، وقد توفي سنة (٤١٨هـ)، وقد سلفت ترجمته في حوادثها.

(٤) أوردهما ابن حجة الحموي في «خزانته»: ١١٦ في أنواع البديع الذي يسميه أرباب البلاغة القول بالموجب، ونسبهما إلى ابن حجاج، وقد نبه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٩٥.

(٥) ترجمته في «المنتظم» ٩/ ١٥٣ ـ ١٥٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، وانظر تتمة مصادر ترجمته فيه. وخداداد: كلمة فارسية تعني هبة الله.

المبارك بن عبد الجبار[(١)]

ابن أحمد بن القاسم، أبو الحسين بن الطُّيوري الصَّيرفي، ويعرف بابنِ الحَمَامي.

ولد في ربيع الأوَّل سنة إحدى عشرة وأربع مئة، وسَمِعَ الكثير، ومتَّعه الله بذلك، حتى انتشرت عنه الرِّواية، وكان حسَنَ السَّمْتِ، وَرِعاً، صالحاً، أميناً، صَدُوقاً مُكْثِراً، كثيرَ العِبادة، كَتَبَ بخَطِّه شيئاً كثيراً، وتوفِّي في ذي القَعدة، ودُفِنَ ببابِ حَرْب.

يوسف ابن تاشفين[(٢)]

والي الأندلس، وقد ذكرناه[(٣)]، وقام مقامه ولده عليُّ بنُ يوسف[(٤)]. وفي أيام عليٍّ ظَهَرَ محمد بن عبد الله بن تُوْمَرْت المَصمُودي، ويلقَّب بالمهدي، وكان يَزعُمُ أنَّه من سُلالة الحسنِ بنِ علي رضي الله عنهما، وقبيلته في المصَامدة تعرف بهَرْغة في جبال السُّوس من بلد المَغْرب، فأظهَرَ الأمْرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنقَّلَ في البلاد، فلما صار إلى قرية ملَّالة بقُرب بِجَاية لقي عبد المؤمن بن عليٍّ، فَصَحِبَه، وأشهَرَ أمْرَه في سنة خمس عشرة وخمس مئة[(٥)]، وسمَّى أصحابه الموحِّدين، وبايعوه على أنَّه المهديُّ الذي بَشَّر به النَّبيُّ ﷺ، وبلَغَ خبرُه عليَّ بنَ يوسف بنِ تاشفين، فجهَّزَ إليه جيشاً بعد جيشٍ، وابن تُومَرْت يُنْصَرُ عليهم إلى سنة أربع وعشرين، فسار إلى مَرَّاكُش، ومعه عبد المؤمن في أربعٍ وعشرين ألفاً، فخَرَجَ إليه عليُّ بنُ يوسف، فَظَهَرَ على ابن تُومَرْت [وقتِلَ من أصحابه ثلاثة عشرة ألفاً، وانهزم ابن تومرت][(٦)]، وقال لأصحابه: عبد المؤمن في

(١) ترجمته في «الأنساب»: ٤/ ٢٠٩، و«المنتظم»: ٩/ ١٥٤، و«الكامل»: ١٠/ ٤٣٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢١٣، وتتمة مصادر ترجمته فيه.

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤، وانظر مصادر ترجمته فيه.

(٣) ذكر ذلك في حوادث سنة (٤٩٨هـ).

(٤) ترجمته في «المعجب»: ٢٥٢ ـ ٢٦١، و«وفيات الأعيان» ٥/ ٤٩، ٧/ ١٢٣ ـ ١٢٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٢٤ ـ ١٢٥، وتتمة مصادر ترجمته فيه.

(٥) ذكر ابن الأثير في «كامله»: ١٠/ ٥٦٩ ابتداء أمره في حوادث سنة (٥١٤هـ)، وكذلك قال ابن خلكان في «وفياته»: ٥/ ٥٣.

(٦) ما بين حاصرتين من (ب)، والصحيح أن ابن تومرت لم يكن بالجيش وقتئذٍ، انظر «المعجب»: ٢٨٣، و«الكامل»: ١٠/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٥٣.

عافية؟ قالوا: نَعْمْ، فقال: ما ماتَ أحد. فَعَقَدَ له الولاية بعده، وسمَّاه أَمير المؤمنين في سنة ثمانٍ وعشرين، وقال: به يَفتَحُ الله البلادَ ويُصلِحُ العباد، فأطيعوه. ثم ماتَ ابنُ تُومَرْت سنةَ ثمانٍ وعشرين(١).

وفتح عبدُ المؤمن أماكن في الجبال، فَجَهَّزَ إليه عليُّ بنُ يوسف ولدَه تاشفين، وكان وليَّ عهده، فصار يمشي بجيشه في السَّهْل، وعبد المؤمن مقابله في الجبل، ثم ماتَ عليُّ بنُ يوسف سنةَ خمسٍ وثلاثين(٢) بمرَّاكُش، ومات ابنُه تاشفين بظاهر وَهران سنة تسعٍ وثلاثين، ولم ينزل عبد المؤمن إلى الوِطَاء(٣) حتى ماتَ تاشفين.

ثم افتتح عبدُ المؤمن البلاد، ومات في سنة ثمانٍ وخمسين، وسنذكر [تفصيل هذا الإجمال،] إن شاء الله تعالى(٤).

يوسف بن علي أبو القاسم الزَّنْجاني(٥)

تفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي، وبَرَعَ في الفِقْه والمناظرة، وسَمِعَ الحديث [من أبي إسحاق وغيره](٦)، وكان دَيِّناً وَرِعاً، صَدُوقاً، ، وتوفي في صفر، ودفن عند أبي حامد الإسْفَرَاييني(٧).

[وكان أبو إسحاق يثني عليه](٨).

---

(١) الصحيح أن وفاته سنة (٥٢٤هـ)، انظر «المعجب»: ٢٨٤، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٥٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٥٠.

(٢) ذكر المراكشي في «المعجب»: ٢٩٥، وابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٧/ ١٢٥، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٢٥ وفاته سنة (٥٣٧هـ).

(٣) الوطاء: السهل. «اللسان» (وطأ).

(٤) في (ع): وسنذكره، وما بين حاصرتين من (ب).

(٥) ترجمته في «المنتظم»: ٩/ ١٥٤ ـ ١٥٥، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٢/ ٦، وذكره السبكي في «طبقاته»: ٥/ ٣٦٢ ولم يسق ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) توفي أبو حامد الإسفراييني سنة (٤٠٦هـ)، وسلفت ترجمته في وفياتها، وكان قد دفن بباب حرب.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[حكاية عجيبة رواها الزَّنجاني عن أبي إسحاق الشِّيرازي] حكى لي القاضي(١) أبو الطَّيِّب الطبري، قال: كنا في حلقة النظر يوم الجمعة بجامع المنصور، فجاء شابٌّ خُرَاسانيٌّ، فسأل مسألةَ المُصَرَّاة وطلب الدَّليل، فاحتجَّ المُستَدِلُّ بحديثِ أبي هريرة، فقال الشَّابُّ وكان حنفياً: أبو هريرة غيرُ مقبولِ الحديث، قال: فما اسْتَتَمَّ كلامه حتى سَقَطَتْ عليه حيةٌ عظيمة من سَقفِ الجامع، فوثَبَ النَّاس من أجلها، وهَرَبَ الشَّابُّ منها وهي تَتْبَعُهُ، فقيل له: تُبْ، تُبْ. فقال: تُبْتُ. فغابتِ الحيَّةُ، فلم يُرَ لها أثر!

[قلت: ولا بد من ذكر مسألة المُصَرَّاة، فأقول: إذا صُرَّ ضَرْعُ شاةٍ حتى اجتمَعَ لَبَنُها، فظنَّها المشتري غزيرةَ اللَّبَن، ثم ظَهَرَت بخلافه لا يستحقُّ ردَّها عند أبي حنيفة، وعند الشافعي وأحمد يردُّها ويَرُدُّ معها صاعاً من تمر، ويمسك لَبَنَها، واحتجَّ الشافعي بما روى أبو هريرة](٢): أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنِ اشتَرَى مُصَرَّاة فهو بخير النَّظَرَيْنِ بعد أن يَحْلُبَها، إنْ رَضِيَها أمسَكَها، وإنْ سَخِطَها رَدَّها وصاعاً من تَمْر» متفق عليه(٣) [وقياساً على سائر العيوب، ولأبي حنيفة: إنَّ فَسْخَ العَقدِ [فيه](٤) تفويتُ حَقّ البائعِ من غيرِ رِضاه، والنُّصوص والأصول تأباه. وأما حديثُ أبي هريرة، فأبو هريرة لم يكن من فُقهاء الصَّحابة، وقد أنكر عليه عمرُ بنُ الخطَّاب كَثرَةَ الرِّواية، ونهاه عن الحديث، وقال: لئن عُدْتَ فَعَلتُ وفَعَلتُ، وكذا أنكر عليه ابنُ عباس وعائشة أشياء](٥).

السَّنة الحادية والخمس مئة

فيها في المُحَرَّم جَدَّد الخليفةُ الخِلَع على وزيره أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المُطَّلب، وشافهه بالوِزَارة(٦).

(١) في (ع) و(ب): وروى عن أبي إسحاق الشيرازي، قال: حكى لي القاضي. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): والمصراة أن يصر ضرع الشاة حتى يجتمع لبنها، فيظنها المشتري غزيرة اللبن، ثم يظهر بخلاف ما ظن، وحديث أبي هريرة... وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٥١)، ومسلم (١٥٢٤) (٢٦)، وهو عند أحمد في «المسند» (٧٣٨٠) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). قلت: والخلاف في هذه المسألة قديم، وقد قبل الأئمة حديث أبي هريرة، وليس هذا الموضع مكان بيان ذلك.

(٦) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥.

و[فيها][1] في ربيع الآخر، دَخَلَ السُّلْطان محمد شاه بغداد، واصطاد في طريقه صَيْداً كثيراً، وبَعَثَ إلى الخليفة أربعين ظَبْياً على أربع جمَّازات[2]، وكان [على][3] الظِّباء وَسْمُ السُّلْطان مَلِك شاه، فإنَّه كان يَصِيْدُ الغِزلان، فَيَسِمُها ويُطْلِقُها[4].

وبعَثَ الخليفةُ وزيرَه أبا المعالي إلى محمد شاه يهنِّئُه بقدومه، وحمَلَ معه شيئاً من ملابس الخليفة، ومجلداً بخطِّ الخليفة يشتمل على أدعيةٍ عن جدِّه العَبَّاس، فقام السُّلْطان، ودعا للخليفة وشكره.

وخَرَجَ السُّلْطان من داره، ومضى إلى مشهد أبي حنيفة، واجتمع الفقهاء والعلماء على باب المَشهد، فقال للحاجب: قل لهم: هذا يوم قد عَزَمتُ فيه على الانفراد مع الله تعالى، فخلُّوا بيني وبينه. وأمر بغَلْقِ الأبواب ومَنْعِ الأمراء وغيرِهم من الدُّخول، وأقام يصلِّي ويدعو ويخشع، وأعطاهم خمس مئة دينار، وقال: اصرفُوها في مصَالحكم.

وسَلَكَ الطَّريق [السليم، والصِّراط][5] المستقيم؛ فمن ذلك أنه مَرِضَ عشرةٌ من غِلْمانه الصِّغار، فَبَعَثَ بهم المتولِّي لأُمورهم إلى المارَسْتان العَضُدي، فلمَّا عَلِمَ أنكر ذلك، وبعث بمئة دينار، وقال: تُصرف في مصالح المارَسْتان[6].

ومنها أنه خَرَجَ يوماً فرأى على بابه أربع مئة من الفُقَراء، فأمر بكِسْوَتهم جميعاً.

ومنها أنَّه أمر مناديه، فنادى: لا يَظْلِمَنَّ أحدٌ أحداً، ولا ينزِلَنَّ أحدٌ في دار أحد. ولقد جاء بعضُ غِلْمان الأتراك إلى بَيْدَرٍ لبعضِ الضِّياع فيه تِبْنٌ، فقال: بيعوني عِلاقة تِبْنٍ. فقالوا: التِّبْنُ ما يباع، هو مبذولٌ للصَّادر والوارد، فَخُذ منه ما أَحْبَبْتَ. فأبى، وقال: ما كنتُ لأبيعَ رأسي بمِخْلاة تِبْن، فإن أخذتم ثمنه، وإلا انصرفت. فباعوه بما طَلَبَ[7].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الجمازات جمع، مفردها جمازة، وهي مركب سريع يتخذه الناس، شبه العجلة التي تجرها الخيل، ويقال للناقة كذلك جمازة. انظر «المعجم الوسيط»: ١/ ١٣٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في هامش (ب) ما نصه: «كان السلطان محمد شاه رحمه الله عادلاً عابداً، عالماً خيّراً ديناً، رؤوفاً رحيماً، متمسكاً بأحكام الشريعة غير أنه كان غضوباً سيئ الخلق مع هذه الخلال الحسنة، رحمه الله».

(٧) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

[فصل: وفيها قتل صدقة ابن مزيد صاحب الحلَّة، وسنذكره][(١)]

وفيها ولّى الخليفة القاضي أبا العَبَّاس ابن الرُّطَبي[(٢)] حِسْبة بغداد، وعَزَلَ عنها أبا سَعد ابنَ الحُلْواني[(٣)].

وفي رمضان عُزِلَ الوزير ابن المُطَّلب، ثم أعيد.

وعُزِلَ أبو جعفر ابنُ الدَّامَغاني عن حِجْبة الباب، واستُنيب أبو العِزّ المُؤَيَّدي[(٤)].

وفيها ظَهَرَتْ ببغداد صبيَّةٌ عمياء تتكلَّمُ على أسرار النَّاس، فكانت تُسأل عن نقوش الخواتيم وما عليها، وألوان الفُصوص، وصفاتِ الأشخاص إلى غير ذلك. [فأشكل هذا على العلماء والفُقَهاء والخواصِّ والعَوَام حتى قال عليُّ بنُ عَقِيْل[(٥)] الحَنبلي: ليس في هذا إلا أنه خصيصة من الله سبحانه كخواص النَّبات والأحجار، فَخُصَّتْ هذه بإجراء ما يَجرِي على لسانها من غيرِ اطِّلاع على البَوَاطن[(٦)].

قلت: وأينَ ما يدَّعيه ابنُ عقِيْل من الغَوْصِ على الدَّقائق، والوقوفِ على الحقائق، فإنَّا قد رأينا مثل هذا كثيراً، يَقِفُ إنسانٌ من بعيد، ويوقف صبيًّا بعيداً عنه، فإذا جاء إنسانٌ إلى الرَّجل، فَيُسِرُّ إليه بِسِرٍّ، فيصيح الرجل بالصَّبي: يا بيان، فيقول: نعم، فيقول: ما تقول في كذا وكذا؟ فتارةً يصيبُ، وتارة يخطئ، وإنما يدرك الصَّبيُّ ما يدرك بمطابقةٍ بينه وبين الرَّجل بإشاراتٍ وحروف معروفة، والدَّليلُ عليه أنَّهم لما ذَكَرُوا هذه الصَّبيَّة قالوا في أثناء قِصَّتها: قد ثَبَتَ بالتَّواتر أنَّ جميعَ ما تتكلَّم به لابُدَّ من مشاركةِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٢٧هـ).

(٣) في النسخ الخطية: «أبا سعيد»، وهو تحريف، وأبو سَعْد هو يحيى بن علي بن الحسن الحلواني، كان من أئمة الفقهاء الشافعية، ولد سنة (٤٥٠ أو ٤٥١)، وأرسله المسترشد إلى الخاقان محمد بن سليمان صاحب ما وراء النهر، فتوفي بسمرقند سنة (٥٢٠هـ). انظر ترجمته في «الأنساب» للسمعاني: ٤/ ١٩٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق مج ١/ ج٣/ ٥٥ ـ ٥٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥١٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٧.

(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥١٣هـ).

(٦) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

أبيها في ذلك، فيقول: ما تقولين في يد فلان؟ وما الذي قد جاءه فلان، أو هذا الرجل؟ فتجيبُ على مِقدار ما اتَّفقا عليه من التَّراجم، أو يكون من باب السِّحْر، وليس من باب الكرامات، لأنَّ شرائِطَ الكرامات مَعْروفةٌ][1].

وفيها[2] سار بغدوين إلى ظاهر صور، ونزل قريباً منها، وشَرَعَ في بناء حِصن على تلِّ المعشوقة، وأقام شهراً، فقاطَعَه والي صور على سبعة آلاف دينار، فأخذَها ورَحَل[3].

وفي شعبان اشتدَّ الأمرُ بفخر المُلْك صاحِبِ طَرَابُلُس من مجيء الفرنج وتمادي العساكر إليه[4]، فخَرَجَ من طَرَابُلُس في خمس مئة فارس وراجل، ومعه هدايا وتُحَف أعدَّها للخليفة والسُّلْطان، فجاء إلى دمشق، ونزل بظاهرها، والتقاه طُغْتِكِين، وأكرمه وخَدَمَه، وحَمَلَ إليه الهدايا والألطاف، وكذا جميع الأمراء، وكان لمَّا خَرَجَ من طَرابُلُس استناب ابنَ عَمِّه أبا المناقب ووجوه أصحابه في حِفْظها، وأَطْلَقَ لهم واجبَ سِتَّةِ أشهر، واستَحْلَفَهم وتوثَّق منهم، فعصاه ابنُ عمه، وأظهر شِعار الأفضل[5]، وعَلِمَ فخرُ المُلْك، فكتَبَ إلى أصحابه يأمرهم بالقَبْضِ عليه، وحَمْلِهِ إلى حِصن الخوابي، ففعلوا به ذلك.

وسار فَخرُ المُلْك إلى بغداد ومعه تاجُ الملوك بُوري بن طُغْتِكِين، وكان جماعةٌ ممن يَحسُدُ طُغْتِكين قد سَعَوا به إلى السُّلْطان ليُفْسِدُوا حاله عنده، فأَصحَبَ ولدَه من الهدايا والتُّحَف والخيول والثِّياب وغير ذلك مما يحسن إنفاذه، واسْتَوزَرَ له أبا النَّجم هبة الله ابن محمد بن بديع الذي كان مستوفياً لتاج الدَّوْلة[6]، وجَعَله مُدَبِّراً لأمره، وسفيراً بينه وبين مَنْ أُنفذ إليه، وتوجَّها في رمضان، فلما وصلا بغداد لقي فخر المُلْك من السُّلْطان من الإكرام والاحترام ما زاد على أمله، وتقدَّم إلى جماعةٍ من أكابر الأمراء بالمسير معه لمعونته وإنجاده، وأمَرَهُمْ بالإلمام بالمَوْصِل، وانتزاعِها من يد جاولي سقاوة، ثُمَّ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (م): فصل وفيها.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٥، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٤) كذا في النسخ (ع) و(ب)، وعند ابن القلانسي: «وتمادي الترقب لوصول الإنجاد، وتمادي تأخر الإسعاد».

(٥) هو أمير الجيوش بمصر أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٥١٦هـ).

(٦) يعني تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان، وقد قتل سنة (٤٨٨هـ)، وسلفت أخباره ثمة.

المسير إلى طَرَابُلُس، وطال مقام فخر المُلْك طولاً ضَجِرَ معه، وعاد إلى دمشق في المحرّم سنة اثنتين وخمس مئة.

وأما تاج الملوك بُوري، فإنَّه لقي من السُّلْطان كل ما يَسُرُّه، وخَلَعَ الخليفةُ والسُّلْطان عليه، وعاد إلى دمشق [في آخر ذي الحجة.

ولما عاد ابنُ عمار إلى دمشق][1]، وأقام بها أياماً سار إلى جَبَلَة، فدَخَلها وأطاعه أهلُها، وأنفذ أهلُ طرابُلُس إلى الأفضل بمِصر يلتمسون إنفاذَ والٍ يَصِلُ إليهم في البحر ومعه الغَلَّة والميرة ويتسلَّم البلد، فبعث إليهم شَرَفَ الدَّوْلة بن أبي الطَّيِّب، فلما حَصَلَ بها؛ قبضَ على جماعةِ فخر الملك ابن عَمَّار وأصحابه وذخائره وأمواله، وبَعَثَ بها إلى مِصر[2].

وفيها خَرَجَ بغدوين من القُدْس، فنَزَل على صَيدا وضايقها، وجاء الأُسطول من مِصر، فَدَفَعَه عنها، فعاد إلى القُدس[3].

وفيها أغار طُغْتِكين على طبرية، وكان بها جرفاس مقَدَّم الفرنجية، وكان من أكبر الملوك، فخرج من طبرية، والتقوا، فَقَتَلَ أتابكُ منهم مَقْتَلَةً عظيمة، وأسر جرفاس وخواصَّه، فَبَذَل في نفسه أموالاً عظيمة، فلم يَقْبَل منه، وبَعَثَ به وبأصحابه هديةً إلى السُّلْطان[4].

وفيها توفي

الحسين بن أحمد بن النَّقَّار، أبو الطَّاهر[5]

ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد، وقرأ الأدب، ثُمَّ انتقلَ إلى دمشق، ومات بها، وكان فاضلاً شاعراً، ومن شِعْره: [من السريع]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٥٧ ـ ٢٥٨، و«الكامل»: ١٠/ ٤٢ ـ ٤٤.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٦٠، و«الكامل»: ١٠/ ٤٥٦.

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٨ ـ ٢٥٩ أن طُغْتِكين قتل جرفاس، وبعث بعض أصحابه الأسرى هدية للسلطان.

(٥) لم أقف على من ترجم له سوى ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٩٦، وقد استقى ترجمته من كتابنا «مرآة الزمان».

وزائـــرٍ زارَ عـــلـــى غَـــفْـــلَـــةٍ وقـد أمـاطَ الـصُّـبـحُ ثـوبَ الـظَّـلامْ
راحَ وقــد سَــهَّــلَــتِ الــرَّاحُ مِــنْ أخـلاقِـه مـا كـان صَـعْـبَ الـمَـرَامْ

حَيْدَرة بنُ أبي الغَنَائم[1] المُعَمّر[2]، أبو الفُتوح العَلَوِي

نقيبُ الطَّالبيين ببغداد، كان عفيفاً، دَيِّناً، غَزِيرَ الأدب، حَسَنَ الصُّورة، أقام نقيباً اثنتي عشرة سنة، وعاش نيفاً وثلاثين سنة، وقام بعده أخوه أبو الحسن عليُّ بن أبي الغنائم.

صَدَقَةُ[3] بنُ منصور بن دُبَيْس

ابن مَزْيَد، أبو الحسن، سَيْفُ الدَّوْلة، الأمير[4]، صاحبُ الحِلَّة[5]. كان كريماً، عفيفاً عن الفواحش، كأن عليه رقيباً من الصِّيانة؛ لم يتزوَّج على زوجتِهِ قَطُّ، ولا تَسَرَّى، ولم يشرب مُسْكراً قط، ولا سَمِعَ غناءً، ولا قَصَدَ التَّنَوُّق[6] في طعامٍ، ولا صادرَ أحداً، وكان تاريخَ العَرَبِ والأماجد، وكانت دارُهُ ببغداد حَرَماً للخائفين، وملجأ للائذين.

ذِكْرُ مَقْتَلِه:

كان سُرْخاب الدَّيْلَمي الحاجب قد خاف من السُّلْطان [فاستجارَ به، فطلبه السُّلْطان][7]، فامتنع من تسليمه، فحاربه، وكان مع صَدَقَة عشرون ألفاً، وسار إليه عَسْكَرُ السُّلْطان، والتقوا

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٥٨ ـ ١٥٩، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٢٨ وفيه وفاته سنة (٥٠٢هـ) ـ و«الجواهر المضية»: ٢/ ١٦٠.

(٢) في (ع) و(ب): بن المعمر، بزيادة «ابن»، والصواب حذفها، لأن أبا الغنائم هي كنية أبيه معمر.

(٣) في (م) و(ش): وفيها قتل صدقة.

(٤) في (م) و(ش): الأمير أبو الحسن الأسدي الملقب بسيف الدولة صاحب الحِلَّة.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٥٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق ج٤/ م١/ ١٦٣ ـ ١٦٩، و«أخبار الدولة السلجوقية»: ٨٠ ـ ٨١، و«الكامل»: ١٠/ ٤٤٠ ـ ٤٤٩، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وانظر حاشيتنا رقم ٢ ص٥ من هذا الجزء.

وقد وهم العلامة محمد بهجة الأثري في وفاته، فجعلها سنة ٥٥١هـ انظر «الخريدة» ص١٦٥.

(٦) أي لم يجود ويبالغ فيه، من تنوَّق في الأمر بمعنى تأنق فيه، انظر «اللسان» (نوق).

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

بعد صلاة الجمعة سادس رجب، فجعل صدقة ابنه دُبَيْس في الميمنة، ومعه سعيد بن حُميد في بني خَفَاجة وجماعةٌ من الأكراد، وفي مقابلهم من عسكر السلطان البُرْسُقي والسَّعدية، وفي مَيْسرة صَدَقة ابنُه بَدْران، ومعه عُبادة بأَسْرها، وفي مقابلتهم [من عسكر السُّلْطان][1] أحمديل وجماعةٌ من الأمراء، ووقفَ [سيفُ الدَّوْلة][1] صدقةُ في القَلْب، ومعه سرخاب الدَّيْلَمي، فَحَمَلَ البُرْسُقي، وثَبَتَتْ مَيْمَنتُه ومَيْسرتُه في أماكنها، وأما صَدَقَةُ فوقعت خيله في الوَحَل [والماء والطين][1] وكان [قد][1] بَثَقَ[2] البثوق [في موضع يقال له ريفانيا][1] وتقاعد جماعةٌ من العَرَب عنه، فكشَفَ [صدقة][1] رأسه وصاح: يا آل خُزَيمة، يا آل ناشِرة، يا آل عَوْف، أنا حاج[3] الملوك، أنا ملكُ العرب، النار ولا العار، وقاتَلَ قتالاً شديداً، فَرَشَقَتْه العَجَمُ رشقةً واحدة، فَخَرَجَ منهم عشرةُ آلاف نُشَّابة، فجاءه سَهْمٌ فوقع في ظَهْرِهِ، وسقط إلى الأرض، فنزل غلامٌ من السَّعدية، فَحَزَّ رأسه ولم يَعرِفه، وانهزمَ أصحابُهُ وأُسر ابنُه دُبَيْس وسُرخاب الدَّيْلَمي [الذي كان سببَ الفتنة][1] وكانتِ القتلى من الفريقين ثلاثةَ آلافٍ وزيادة، وأُخذ من خيمة صدقة خمس مئة ألف دينار، وجواهر لها قيمة، وكان عمره سِتّاً وخمسين سنة، وإمارته اثنتي عشرة سنة، وحُمِلَ، فَدُفِنَ في مشهد الحسين عليه السّلام[4].

وقال ابنُ القَلانسي في سنة إحدى وخمس مئة: ورَدَتِ الأخبارُ بوصول عسكر السُّلْطان محمد إلى بغداد في آخر شهر ربيع الآخر، وأعلَنَ صَدَقَةُ بالعِصيان خوفاً منه لِمَا بَلَغَه من إفساد شِحْنةِ بغداد وعميدِها حالَهُ معه، ولم يَزَلِ السُّلْطان مقيماً ببغداد إلى العشرين من شهر رجب، فاجتمع تقدير ثلاثين ألف فارس، واجتمع مع صدقة مِقْدار

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) البثق: كسرك شط النهر لينشق الماء، «اللسان» (بثق)، ريفانيا هكذا استظهرتها، وفي «الوافي بالوفيات»: ١٦/ ٢٩٨ زرفيمياء، ولعله محرف عن زرفانية، وهي قرية كبيرة غربي دجلة قرب النعمانية، ويقال لها زرفامية، انظر «معجم البلدان» ٣/ ١٢٤، ١٣٧ .

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي «المنتظم» أنا تاج الملوك.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

وفي (م) و(ش): وروي أن صدقة كان بينه وبينهما ـ يعني عسكر أحمديل ـ أنهار وسواحل (كذا) قلت: وسيأتي نحو هذه العبارة في الأسطر التالية نقلاً عن ابن القلانسي.

عشرين ألفاً في الحِلَّة، وبينهما أنهارٌ ومواحل[١]، فآثَرَ السُّلْطان مصالحته، والصَّفح عنه، وإيقاع موادعته، فأبى ذلك كافَّةُ الأمراء والمُقَدَّمين، ونهضُوا إليه، فلما عَرَفَ ذلك قَطَعَ الأنهار، ووَصَلَ في جَمْعِهِ حتى صار بإزائهم، وكان منزله كثيرَ الوَحَلِ، عَسِرَ المجالِ، فَتَرَجَّل الأتراكُ عن خيولهم، وجَثَوا على رُكَبِهِمْ، وأطلقوا السِّهام، فانهزمَ أصحابُ صَدَقة، وركب التُّرك أكتافهم، وقتلوا منهم خَلقاً كثيراً، وقتِلَ صدقة في الجُملة، ووجوه رجاله، ولم يُفْلت منهم إلا اليسير، وكان السُّلْطان قد اعتمد في ترتيب الجيش على الأَمير مودود المستشهد بيد الباطنية بجامع دمشق، ووصل السُّلْطان من غَدِ يوم الوقعة، ونَزَلَ الحِلَّة.

ولم يكن في العرب مِثْل صَدَقة في البيت والتَّقدُّم والإحسان، وحُسْنِ السِّيرة، والإنصاف والكَرَم، وجزيلِ العطاء، وشِدَّةِ الوفاء، والصَّفح عن الكبائر، والتَّعَفُّفِ عن أموال الرَّعية، إلا أنه كان مع هذه المآثر مُطَّرِحاً لفرائض الشّريعة، متغافلاً عن ارتكاب المحارم الشنيعة، مُسْتحسناً لِسَبِّ الصَّحابة رضي الله عنهم، فكان ما نَزَلَ به عاقبةَ ذلك[٢].

ثم إنَّ السُّلْطان أطْلَقَ ولدَه دُبَيْساً، واستَحْلَفَه على الإخلاص والطّاعة.

السنة الثَّانية وخمس مئة

[و][٣] فيها فَوَّضَ السُّلْطان محمد إلى بِهْرُوز الخادم عِمارةَ العراق، فشَرَعَ في تتمَّةِ جامعِ السُّلْطان، وحَفْرِ الأنهار، وكِرَاءِ[٤] السَّواقي، فَعَمَّ الرُّخْصُ [العراق][٥]، وبنى [بهروز الخادم][٥] رِباطاً للصُّوفية قريباً من النِّظامية، وهو قائِمٌ إلى الآن[٦].

وبعَثَ الخليفةُ إلى أَصبهان، فاستدعى أبا القاسم عليَّ بنَ جَهِير، وولَّاه الوِزَارة، وعَزَلَ ابنَ المُطَّلب في شعبان[٧].

---

(١) في النسخ الخطية: وسواحل، وهو تحريف، والمثبت من «ذيل تاريخ دمشق».
(٢) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، وانظر «الكامل»: ١٠/ ٤٤٠ ـ ٤٤٩.
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) أي حفرها وإخراج طينها. «اللسان» (كري).
(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٦) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٥٩.
(٧) انظر المصدر السالف.

وتزوَّجَ الخليفةُ ببنتِ السُّلْطان مَلِك شاه أُخْتِ محمد شاه، وتولَّى العَقْد من ناحيةِ محمد [شاه][(١)] وزيره سعيد بن نظام المُلْك[(٢)]، ومن ناحية الخليفة الوزير نظام الدِّين أحمد بن نظام المُلْك، وخَطَبَ أبو العلاء صاعد بن محمد الفقيه الحَنَفي.

وفيها أخذتِ الفرنجُ طَرابُلُس - وقيل في السَّنة الآتية[(٣)] - اجتمع عليها ملوكهم ريمند ابن صنجيل في ستين مركباً في البحر مشحونة بالمقاتلة، وطنكري صاحب أنطاكية، وبغدوين صاحب القُدْس، وشرعوا في قتالها، وضايقوها منذ أول شعبان إلى حادي عشر ذي الحِجَّة، وأسندوا أبراجهم إلى السُّور، فلما رأى مَنْ بها من العَسْكر وأهلِ البلد ذلك سُقِطَ في أيديهم، وأيقنوا بالهلاك مع تأخُّرِ أُسطول مِصر عنهم، وكان كلما سار الأُسْطول نحوهم رَدَّتْه الرِّيح إلى مِصر، فلمَّا كان يوم الاثنين هَجَمها الفرنج ونهبوها، وأسروا رجالها، وسَبَوْا نساءها، وأخذوا أموالها وذخائرها مما لا يُحصى ولا يُحصر، واقتسموها بينهم، وساروا إلى جَبَلَة[(٤)]، وبها فخرُ المُلْك بن عَمَّار، فتَسَلَّموها بالأمان في ثاني عشري ذي الحِجَّة، وخَرَجَ منها ابنُ عَمَّار سالماً، ووصل حينئذٍ الأُسطول المِصري، ولم يخرج فيما تقَدَّم من مِصر مِثْلُه، فوجدوا البلد قد أُخذ، فعادوا إلى مِصر، وجاء ابنُ عمار إلى شَيْزَر، فأكرمه صاحِبُها سُلْطان بن علي ابن مُنْقِذ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لم أجد في أولاد نظام الملك من اسمه سعيد، ولا من ولي الوزارة للسلطان محمد من تسمَّى بهذا الاسم، وقد جاء الخبر في «الكامل»: ١٠/ ٤٧١ على النحو التالي «وفيها في شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكَ شاه، وهي أخت السلطان محمد، وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد ابن محمد النيسابوري الحنفي، وكان المتولي لقبول العقد نظام الملك أحمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة، وكان الصداق مئة ألف دينار، ونثرت الجواهر والدنانير، وكان العقد بأصبهان».

قلت: انظر عن أولاد نظام الملك، «معجم الأنساب» لزامباور: ٣٣٦، وانظر كذلك «المنتظم»: ٩/ ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) وهو ما اعتمده ابن الأثير في «كامله»: ١٠/ ٤٧٥.

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٢، ٢٦٤: و«الكامل»: ١٠/ ٤٧٦: جُبيل، وهو وهم، صوابه جَبَلَة كما ورد هنا، إذ إن جُبيل قرب بيروت، وأما جبلة فقرب اللاذقية، ومن المعروف أن ابن عمار استولى على جبلة سنة (٤٩٤هـ)، وسار إليها عقب عودته من بغداد سنة (٥٠٢هـ) - وقد سلف ذلك في حوادثهما - واستيلاء الفرنج على جُبيل إنما كان سنة (٤٩٧هـ)، وقد ذكر ذلك ابن الأثير في «كامله»: ١٠/ ٣٧٢، وانظر «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيمان (الترجمة العربية): ٢/ ١٠٦.

واحترمه، وعَرَضَ عليه المُقَام عنده، فأبى، وتوجَّه إلى دمشق، فأكرمه طُغْتكِين، وأنزله في دارٍ، وأقطعه الزَّبَداني[١] وأعماله[٢].

ووقعتْ مهادنة [بين][٣] بغدوين صاحب القُدْس، وبين طُغْتِكين [صاحب دمشق][٣] على أن يكون السَّواد وجبَل عوف مثالثة، الثُّلُث للفرنج، والباقي للمُسلمين[٤].

وفيها توفي

إسماعيل بن إبراهيم بن العَبَّاس[٥]

ابن الحسن، أبو الفَضْل الحُسَيني، ابن أبي الجِنّ، ولي القضاء بدمشق، وكان فاضلاً صَدُوقاً.

تميم بن المُعِزّ بن باديس[٦]

أبو يحيى، صاحبُ إفْريقية، وينتهي نَسَبُهُ إلى يَعْرُب بن قَحْطان[٧].

ولد سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، وعاش ثمانين سنة، وأقام والياً ستاً وأربعين سنة، وخلَّف مئة وستين ولداً لصُلْبه لأنه كان مُغْرًى بالجواري مع اهتمامه بالملك، وقيل: مات له خمسون ولداً، وكان مقامه بالمَهْدِيَّة، وكان عظيمَ القَدرِ، شاعراً، فصيحاً، [وله ديوان بالمغرب، وكان جَوَاداً مُمَدَّحاً][٨]، مدحه خَلْقٌ كثير، منهم حُميد

---

(١) تبعد الزبداني عن دمشق ٤٤كم باتجاه الشمال الغربي، وهي مصيف جميل.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦١ ـ ٢٦٤، و«الكامل»: ١٠/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣١١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٥) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢/ ٨٢٥ ـ وفيه وفاته سنة (٥٠٣هـ)، وولد سنة (٤٢٠هـ) ـ و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٦٣، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٩٨.

(٦) له ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٤١ ـ ١٦٠، و«الكامل» ١٠/ ٤٤٩ ـ ٤٥١، و«الحِلَّة السِّيراء»: ٢/ ٢١ ـ ٢٦، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦، و«البيان المغرب»: ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٧) ساق العماد الأصبهاني في «الخريدة» نسبه بتمامه، ونقله عنه ابن خلكان في «وفياته» ١/ ٣٠٤.

(٨) في (ع) و(ب): جواداً ممدَّحاً، مدحه خلق كثير، وله «ديوان» بالمغرب، فمنه يقول، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ابن سعيد[١]، وهو الذي جمع شعر تميم وبيَّنَه وشرحه ودوَّنه، وقد وصل من شعره إلى الشام، فمنه]: [من الوافر]

أتَسْقِيْني وتُسْكِرُني بِلَحْظٍ فلي سُكْرانِ مِنْ هذا وهذا
فإنْ كان المُرَادُ بذاكَ قَتْلي على حُبِّيْكِ صبراً كان ماذا
وقد فَنِيَتْ دُموعي مِنْ جُفُوني فأمسى وَبْلُ أجْفاني رَذَاذا[٢]

وقال حُميد بن سعيد: جلستُ بين يديه يوماً، فقال: قد عملت أبياتاً، وأنشد: [من البسيط]

عاهَدْتَني عَهْدَ مَنْ للعَهْد[٣] ينكُثُهُ فَصِرْتَ تَأْخُذُ في طُرْقِ المناكيثِ[٤]
حدَّثْتَني بأحاديثٍ مُنَمْنَمةٍ[٥] فما حَصَلْتُ على غير الأحاديثِ
فالوَعد يَنشُرُني والخُلْفُ يَقتُلُني فَصِرْتُ ما بينَ مَقتُولٍ ومَبْعُوثِ[٦]

[ثم قال آخر، فقال حُميد: فقلتُ][٧]: [من البسيط]

يا مَن حُرِمْتُ وِصالاً منه يُنْعِشُني وصرتُ أقْنَعُ منه بالأحاديثِ
إنِّي تَشَبَّثتُ لمَّا أنْ هُجِرتُ فما بغيرِ طُولِ الأسى والهَجْرِ تَشْبِيثي[٨]
اللهَ في هَجْرِ مقتولٍ أَضَرَّ به[٩] وَجْدٌ عليكَ ومَيْتٍ غيرِ مبعوثِ[١٠]

وقيل: إنه مات سنة إحدى وخمس مئة، وقام مقامه ولده يحيى.

---

(١) ترجم له العماد في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٦٠ ـ ١٦٤، وأورد له مقتطفات من شعره.
(٢) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٤٧.
(٣) في (ع) و(ب) للعقد، والمثبت من (م) و(ش).
(٤) طُرق جمع، مفردها طريق، وسكنت الراء لضرورة الشعر، والمناكيث جمع تكسير لناكث، وكأنه جمعه كذلك لضرورة الشعر، إذ الجادة فيه الجمع السالم.
(٥) في «الخريدة» منمقة.
(٦) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٦٠.
(٧) في (ع) و(ب): ثم قال آخر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٨) في (ع) جاء هذا البيت أول الأبيات.
(٩) في (ش): الله في قتل مهجور أضر به.
(١٠) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٦١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحسن العلوي[١]

أبو هاشم، رئيس هَمَذَان، كان جَوَاداً، مموَّلاً، شجاعاً، صاحب صدقات وصِلات، نُقِلَ إلى محمد شاه عنه شيءٌ، فصادَرَه على تسع مئة ألف دينار أدَّاها في نيِّفٍ وعشرين يوماً، ولم يَبِعْ فيها عَقاراً ولا مِلْكاً.

صاعد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو العلاء[٢]

القاضي الحَنَفي، مِنْ أهل أصبهان، وقيل: من بُخارى، ولد سنة ثمانٍ وأربعين وأربع مئة، وسَمِعَ الحديث [بأصبهان وبغداد ومكة][٣]، وبَرَعَ في الفِقْه [على مذهب أبي حنيفة حتى صار مفتي أهل أصبهان][٣]، وكان صالحاً متديناً [وهو الذي خطب في عَقد الخليفة على أخت[٤] محمد شاه][٣]. قتلته الباطنية يوم الفِطْر بجامع أصبهان.

عبد الواحد بن إسماعيل[٥]

ابن أحمد بن محمد[٦]، أبو المحاسن [الرُّوياني][٧]، من أهلِ طَبَرِسْتان.

ولد سنة خمس عشرة وأربع مئة، ورحل إلى الأمصار، وعَبَرَ النَّهر، وسَمِعَ الحديث، وتفقَّه على مذهب الشَّافعي، وكان يقول: لو احترقَتْ كُتُبُ الشّافعي لأمْلَيْتُها من حِفْظي. وله الكُتُب الحِسان [المشهورة][٣]، قُتِلَ يوم عاشوراء بآمُل[٨] شهيداً.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٦٠، و«الكامل»: ١٠/ ٤٧٢، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٩٩ .

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٦٠، و«الكامل»: ١٠/ ٤٧٢، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٤، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٤، و«الفوائد البهية»: ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): بنت، وهو تحريف، وانظر ص٢٧ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في «المنتخب من السياق» للصريفيني: ٥٢٠، و«الأنساب»: ٦/ ١٨٩ ـ ١٩٠، و«المنتظم»: ٩/ ١٦٠، و«معجم البلدان»: ٣/ ١٠٤، و«الكامل»: ١٠/ ٤٧٣، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٩٣ ـ ٢٠٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) في «المنتخب» و«معجم البلدان»: عبد الواحد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). والروياني نسبة إلى رويان: وهي مدينة كبيرة من جبال طبرستان. انظر «معجم البلدان»: ٣/ ١٠٤.

(٨) آمل: هي أكبر مدينة بطبرستان، وبين آمل والرويان اثنا عشر فرسخاً. انظر «معجم البلدان» ١/ ٥٧.

علي بن الحسين بن عبد الله [بن عُرَيْبَة](١)، أبو القاسم الرَّبَعي(٢)

[البغدادي، الفقيه، الشَّاعر](٣).

ولد سنة أربع عشرة وأربع مئة، وتفقَّه [على أقضى القُضَاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، وأبي الطَّيب الطبري على مذهب الشَّافعي، وصَحِبَ ابن الوليد وغيره من شيوخ المعتزلة، فَنُسِبَ إليهم، وكان شاعراً فصيحاً، وتوفي في رجَب.

وأنشد أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزَّاز، قال: أنشدنا الرَّبَعي لنفسه هذه الأبيات](٤): [من الكامل]

إنْ كُنتَ نِلْتَ من الحياة وطِيْبها ... مع حُسْنِ وَجْهِكَ عِفَّةً وشبابا

فاحْذَرْ لِنَفْسِك أن تُرَى مُتمنِّياً ... يومَ القيامة أن تكون(٥) تُرَابا(٦)

[وقد ذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وأبو سَعد ابن السَّمْعاني في «الذيل»، والحمد لله وحده](٧).

هبةُ الله بنُ محمد بنِ البديع الهَمَذَاني(٨)

وزير رضوان صاحب حلب، ثم استوزره طُغْتِكين، ثم اتَّهمه، وكان في قلبه منه من أيام تاج الدولة، لأنه كان مستوفياً على البلاد، ونُقِلَ إلى طُغْتِكين أنَّه [كان](٣) يكاتب

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «توضيح المشتبه»: ٦/ ٢٥٥.

(٢) له ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء العراق: مج ١/ ج٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ١٩٤ ـ ١٩٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب): وتفقه على الماوردي والطبري، وصحب شيوخ المعتزلة، فنسب إليهم، ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (م) و(ش): أن تصير.

(٦) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٣٠٤، والبيت الثاني فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٧) ما بين حاصرتين من (م)، وبنحوه في (ش).

(٨) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦١، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور: ٢٧/ ٦٨، و«التاريخ العربي والمؤرخون» لشاكر مصطفى: ٢/ ٢٨٤.

رضوان، فقَبَضَ عليه واستأْصله، وأقام أياماً في الاعتقال، ثُمَّ أَمَرَ بخَنْقِهِ [فَخُنِقَ][(١)] وأُرْمِيَ في جُبٍّ، ثم أُخرج، فَدُفِنَ بالمقابر.

يحيى بنُ عليٍّ بنِ محمد بن الحسن بن بِسْطام[(٢)]

أبو زكريا الشَّيْباني، الخطيب[(٣)] التِّبريزي، أحد أئمة اللغة، وله التَّصانيفُ الحِسان، شَرَحَ «الحماسة» في عدة نُسَخٍ: بسيط ووسيط ومختصر، وشَرَحَ المتنبي وغيره[(٤)]، وكان عارفاً بالنَّحو واللُّغة، والأنساب، وأيام العَرَب، وكان نِظامُ المُلْك يعَظِّمُه، وشَغَّل أولادَه بالأدب عليه، ورَتَّبَ له الجامكية[(٥)] بالنِّظامية يدرِّس بها العربية، وسَمِع الحديثَ زماناً، وتوفِّيَ لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة فجأة ببغداد، وصلَّى عليه أبو طالب الزَّيْنبي، ودُفِنَ إلى جانبِ أبي إسحاق الشِّيرازي بباب أبرز.

ورآه ابنُ الجَوَاليقي في المنام، فقال: ما فَعَلَ الله بك؟ فقال: غَفَرَ لي بتصنيف «كتاب إعراب القرآن».

وقال ابنُ ناصر: كان ثِقَةً فيما يرويه. وقال ابنُ خَيْرون: ما كان بِمَرْضيِّ الطَّريقة[(٦)].

وقال أبو زكريا: كتب إليَّ العميد بنُ الفَيَّاض: [من مجزوء الرَّمل]

قُلْ ليحيى بن عليٍّ ... والأقاويلُ فنونُ
غيرَ أنِّي لَسْتُ مَنْ يَكْـ ... ـذِبُ فيها ويخونُ
أنتَ عَيْنُ الفَضْلِ إن مُدَّ ... تْ إلى الفَضْلِ عيونُ
أنتَ مَنْ عَزَّ بهِ الفَضْـ ... ـلُ وقد كاد يَهُونُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٣/ ٢١، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣، و«مختصره لابن منظور»: ٢٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، و«نزهة الألباء»: ٣٧٢ ـ ٣٧٤، و«المنتظم»: ٩/ ١٦١ ـ ١٦٣، و«معجم الأدباء»: ٢٠/ ٢٥ ـ ٢٦، و«إنباه الرواة»: ٤/ ٢٢ ـ ٢٤، و«وفيات الأعيان»: ٦/ ١٩١ ـ ١٩٦، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٦٩ ـ ٢٧١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) قال ياقوت في «معجم الأدباء»: ٢٠/ ٢٥: ابن الخطيب، وربما يقال له الخطيب، وهو وهم.

(٤) انظر ما طبع من آثاره في «المعجم الشامل»: ١/ ٢٣٧ ـ ٢٤٠.

(٥) الجامكية: الراتب، انظر «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ٨٢.

(٦) انظر ما أخذ عليه في «معجم الأدباء»: ٢٠/ ٢٧.

فُـقْـتَ مَـنْ كـان وأتـعـبـ ـتَ لـعَـمْـرِي مَـنْ يـكـونُ
وإذا قِـيْـسَ بـكَ الـكُـلُّ فَـصَـحْـوٌ ودُجُـونُ[(١)]
وإذا فُـتِّـشَ عـنـهـمْ فـالأحـاديـثُ شُـجُـونُ
قـد سَـمِـعْـنـا ورأيـنـا فَـسُـهُـولٌ وحُـزُونُ
إنَّـك الأصـلُ ومَـنْ دو نـكَ فـي الـعِـلْـمِ غُـصُـونُ
إنـكَ الـبَـحْـرُ وَأعْـيـا نُ ذوي الـفَـضْـل عُـيـونُ
لـيـس كـالـسَّـيـفِ وإنْ حُـلِّـ ـيَ فـي الـحـكـم الـجـفـونُ
لـيـس كـالـقَـدِّ الـمُـعَـلَّـى لـيـس كـالـبَـيْـتِ الـحَـجُـونُ
لـيـس كـالـجـدِّ وإن آ نَـسَ هَـزْلٌ ومـجـونُ
لـيـس فـي الـحُـسْـنِ سـواءٌ أبـداً بِـيْـضٌ وجُـونُ[(٢)]
لـيـس كـالأبـكـارِ فـي الـلُّـطْـ ـفِ وإن راقَـتْـكَ عُـونُ[(٣)]
إنَّ ودِّي لـك عـمَّـا يَـصِـمُ الـودَّ مَـصُـونُ
لـيـس لـي مـنـه ظـهـورٌ تـتـنـافـى وبـطـونُ
غَـلِـقَ الـرَّهْـنُ[(٤)] وقـد تَـغْـ ـلَـقُ فـي الـحُـبِّ الـرُّهُـونُ
ومـن الـنَّـاس أمـيـنٌ فـي هـواه وخَـؤُونُ[(٥)]

[فكتب إليه][(٦)]: [من الكامل]

قُـلْ لـلـعـمـيـد أخـي الـعُـلا الـفَـيّـاضِ أنـا قَـطْـرةٌ مـن بـحـركَ الـفَـيَّـاضِ
شَـرَّفـتَـنـي ورفـعـتَ ذكـري بـالـذي ألـبَـسـتَـنِـيْـه مـن الـثَّـنـا الـفَـضْـفَـاضِ
إنـي أتـيـتُـك بـالـحَـصَـى عـن لُـؤلـؤ أبـرَزْتَـهُ عـن خـاطـرٍ مُـرْتَـاضِ

---

(١) دجون جمع، مفردها الدَّجْن: وهو ظل الغيم في اليوم المطير. «اللسان» (دجن).
(٢) جُون جمع، مفردها جَوْن: وهو الأسود المُشْرب حُمْرة، والجون: الأبيض كذلك، وهو من الأضداد. انظر «اللسان» (جون).
(٣) عُون جمع، مفردها العَوَان، وهي من النساء الثَّيِّب، يعني التي كان لها زوج. انظر «اللسان» (عون).
(٤) غلق الرهن: أي بقي في يد المرتهن، ولم يقدر راهنه على تخليصه، انظر «اللسان» (غلق).
(٥) الأبيات في «المنتظم»: ٩/ ١٦١ ـ ١٦٢، و«وفيات الأعيان»: ٦/ ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٦) في (ع)، وقال، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب).

أيعـارِضُ البَحرَ الـغُطامِطَ[١] جَدْولٌ ... أم دُرُّه يَـقْـتَـاسُ بـالـرَّضْـراضِ[٢]
يـا فـارسَ النَّظْـمِ الـمُرَصَّـعِ جوهـراً ... والـنَّـثْـرُ يـكـشـفُ غُـمَّـةَ الأمـراضِ
لا تـلـزمَـنِّـي مـن ثـنـائِـك مـوجـبـاً ... حـقـاً فـلـسـتُ لـحـقِّـهِ بـالـقـاضـي
ولـقـد عَـجَـزتُ عـن الـقريـضِ وربـمـا ... أعْـرَضْـتُ عـنـهُ أيّـمـا إعـراضِ
أنـعـمْ عـلـيَّ بـبـسـطِ عُـذْري إنـنـي ... أقـررتُ عـنـد نَـدَاك بـالإنـفـاضِ[٣] [٤]

السَّنة الثالثة وخمس مئة

فيها هرب الوزير أبو المعالي ابن المُطَّلب من دار الخليفة إلى دار المملكة هو وولده، تَزَيَّا بزِيِّ النِّساء، واستجارَ بدار السُّلْطان[٥].

وفي ربيع الآخر دخل السُّلْطان محمد بغداد، ووثَبَ [باطنيٌّ][٦] على وزيره نظام الدين أحمد بن نظام المُلْك، وهو في سمارية[٧]، فضَربه في عُنُقه بسكِّين، فَجَرَحَه، وأُخذ الباطني وسُقي الخمر، فلمَّا سَكِرَ أقَرَّ على جماعةٍ بمسجدٍ في المأمونية مِن الباطنية، فأُخذوا، وقتلوا، وقتِلَ معهم، وأقام ابنُ نظام المُلْك مُدَّة وبَرِئ[٨].

وفيها نزل الأمير سُكْمان صاحب خِلاط على مَيَّافارِقِين، فأقام عليها سبعة أشهر، وبها أتابك خُمَرْتاش، فسلَّمها إليه، فدخلَها، وأحْسَنَ إلى أهلِها، وأسْقَط عنهم المكوس والضَّرائب، وعَمَرَها، وولَّى بها مملوكه قُزْغلي[٩]، وجعل معه خواجا أثير الدَّوْلة أبا الفتوح، ثم عاد سُكْمان إلى خِلاط، وماتَ سنةَ أربعٍ وخمس مئة[١٠].

---

(١) بحر غُطامط: عظيم، كثير الموج. «اللسان» (غطمط).
(٢) الرضراض: الحصى الصِّغار. «اللسان» (رضض).
(٣) الإنفاض: الإفلاس، من أنفض القوم: هلكت أموالهم، والإنفاض المجاعة والحاجة. انظر «اللسان» (نفض).
(٤) الأبيات في «المنتظم»: ٩/ ١٦٢ ـ ١٦٣، و«وفيات الأعيان»: ٦/ ١٩٦.
(٥) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٦٣، و«الكامل»: ١٠/ ٤٧٨.
(٦) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.
(٧) ضرب من السفن. «تكملة المعاجم العربية» لدوزي: ٦/ ١٤٢ .
(٨) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٦٣، و«الكامل»: ١٠/ ٤٧٨.
(٩) كذا في (ع) و(م). وفي «تاريخ الفارقي» ١٠٨ غزغلي.
(١٠) ساق الفارقي وابن الأثير هذا الخبر في حوادث (٥٠٢هـ)، انظر «تاريخ الفارقي» ص١٠٧ ـ ١٠٨، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٤٧١.

وفيها نهضتِ الفرنجُ على رَفَنِيَّة[١]، وعَرَفَ طُغْتِكِين، فسار [بالعسكر][٢]، وخيَّمَ بإزائهم بحِمْص، فلم يَقْدِروا على منازلة رَفَنِيَّة، وترددتْ بينهم مُراسلاتٌ أفضَتْ إلى تقريرِ الموادعة، على أن يكون للفرنج ثُلُث مُغَلِّ البِقاع، ويُسَلِّمُ إليهم حِصن المُنَيْطِرة[٣] وحِصن عَكَّار[٤]، وأن لا يتعرَّضوا لِحصن مصياث[٥]، وحِصن الأكراد[٦]، وأن يَحمِلَ إليهم عنهما وعن حِصن الطُّوفان[٧] مالاً، فأقاموا مُدَّة يسيرة، ثم عاد الفرنج إلى الفساد [في البلاد][٨].

وفيها عَزَمَ السُّلْطان محمد شاه على غَزْوِ الفرنج، وكَتَبَ في جُمادى الأولى إلى الأطراف يُخْبرهم بعزمه [والاستعداد للجهاد، وكتبَ إلى أتابك][٩] طُغْتِكين أن يقيمَ مكانه بالعساكر حتى يأتيه الإمداد [ويدبر أمور العساكر][٩]، فَعَرَضَت موانعُ [وعوائِقُ عاقَتْه][٩] عن ذلك.

فلمَّا رأى طُغْتِكين تأخُّر العساكر سار إلى ناحية بغداد على طريق السَّماوة، ومعه فخر المُلْك بنُ عَمَّار، ومعه من الهدايا والتُّحَف ما يَصلُح للخليفة والسُّلْطان، وكان قَصدُه أن يُنْهي إليهما ما يجري بالشَّام من الفرنج، ويحرِّضَ السُّلْطان على الجهاد، فلما وَصَلَ وادي المياه بلغه أنَّ السُّلْطان قلَّدَ الشَّام غيرَه، فعَزَمَ على العَوْدِ إلى دمشق، وسلَّم الهدايا إلى ابنِ عمار، وقال: توجَّه إلى بغداد، وأخبِرْهم بما أنا فيه، وما قد بلغني. فسار إلى بغداد، فالتقاه الخواصُّ، وسُرُّوا بقدومه، وظَهَرَ بُطْلان ما قيل[١٠].

---

(١) كورة من أعمال حمص. انظر «معجم البلدان»: ٣/ ٥٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٣) حصن قريب من طرابلس. «معجم البلدان»: ٥/ ٢١٧.

(٤) في (ع) و(ب) حصن ابن عكار، بزيادة ابن، والمثبت من (م) و(ش)، وهو يقع إلى الشمال الشرقي من طرابلس. انظر «القلاع في أيام الحروب الصليبية»: ٦٠.

(٥) ويقال مصياف، وهو حصن يقع قرب طرابلس، انظر «معجم البلدان»: ٥/ ١٤٤، و«القلاع في أيام الحروب الصليبية»: ٨٨ ـ ٨٩.

(٦) يعرف الآن بقلعة الحصن، وهو إلى الغرب من حمص. انظر «القلاع»: ٧٦.

(٧) لم أقع على من ذكره وعيَّن موضعه.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٩) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١٠) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

وبلغ طُغْتِكين أنَّ كُمُشْتِكِين الخادم الوالي ببَعْلَبَكَّ قد صافى الفرنج، وأمرهم بالغارات على أطراف المُسلمين، فكتَبَ أتابك من الطَّريق إلى ولده تاج الملوك بإنفاذ العساكر إلى بَعلَبك. فسار من وقته، ونَزَلَ عليها على حين غَفْلَةٍ من أهلها، ثم راسل الخادمَ المذكور بالدُّخول في الطَّاعة وتسليم البلد، فلم يلتفت. وجاء أتابك ومعه الرَّجَّالة، فنصب عليها المجانيق، وزَحَفَ، فاستسلم أهلُ البلد والخادم، واقترح أشياء، فأجابه أتابك، وخَرَجَ إلى خِدْمته، فأحْسَنَ إليه، وخَلَعَ عليه، وعَوَّضه حِصن صَرْخَد[1]، وأعاد إليه ما كان قَبَضَ عليه من ضياعه وإقطاعه بدمشق، وتَسَلَّم طُغْتِكين بَعْلَبكَّ، وسَلَّمها إلى ولده تاج الملوك بوري، وكان ذلك في رمضان، وأمَرَ أتابك طُغْتِكين برَفْعِ المظالم عنها، وحَطَّ بعضِ الخَرَاج، ورَدَّ أملاكاً كانت غُصِبتْ، فارتفعتْ له الأدعية، وكَثُرَت عليه الأثْنِيَة[2].

وفيها خرج طنكري من أنطاكية، فأخذ طَرَسُوس، وقرر على شَيْزَر عشرة آلاف دينار وتسلَّم حِصن الأكراد، وعاد إلى أنطاكية[3].

ونزل بغدوين صاحب القُدْس، وابن صنجيل على بيروت، وسار إليهم جوسلين صاحب تل باشر لمعاونتهم، واستنجدهم على [الأمير][4] مودود، وكان [مودود][4] قد طَرَدَ جاولي عن المَوْصِل، ومَلَكَ الجزيرةَ بأمر السُّلْطان، وجاء فنزل على الرُّها، وجاء الأُسطول المِصري وفيه الرِّجال والمِيرة، فدخلوا بيروت، فقويتْ نفوسُ أهلِها، فبَعثَ بغدوين إلى الجَنَوِيَّة، فجاؤوا في أربعين مركباً، فزحفوا إلى بيروت براً وبحراً، فدخلوها قَهْراً بالسَّيفِ، فقتلُوا ونَهَبُوا وسَبَوْا، وفعلوا كما فعلوا بطرابُلُس، واسْتَصفُوا الأموال والذَّخائر[5].

ثم رحل بغدوين، فنزل على صيدا، وراسل أهلها بتسليم البلد، فاستمهلوه مُدَّة عَيَّنوها، فأجابهم، وأخذ منهم مالاً، وعاد إلى القُدْس بسبب الحَجّ[6].

---

(١) صرخد: قلعة حصينة ملاصقة لبلاد حوران، وتعرف الآن بصلخد، انظر «معجم البلدان»: ٣/ ٤٠١.
(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٦ ـ ٢٦٨.
(٣) انظر المصدر السالف.
(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.
(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٦٩.

وفيها ظهر قَومٌ من كافر تُرْك، ووصلوا إلى جيحون، فقتلوا وسَبَوا وأفسدوا، فبعث إليهم السُّلْطان [أبو الحارث سنجرشاه بن ملك شاه][١] العساكر، فقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة، وعادوا مفلولين[٢].

وفيها ظهر كوكب الذنب، فأقام من ذي القَعدة إلى آخر ذي الحِجَّة وغاب، وكانت ذُؤابته من المشرق إلى القِبْلة[٢].

وفيها كاتب محمدُ شاه سُكْمان صاحِبَ أرْمينية وخِلاط ومَيَّافارِقِين، وشَرَفَ الدِّين مودود صاحب المَوْصِل، ونجم الدِّين إيل غازي صاحب مارِدِين بالاجتماع على جهاد الفرنج، فاجتمعوا في خَلْقٍ كثير، وقالوا: نبدأ بالرُّها، فإذا فرَغْنا منها سِرْنا إلى الشَّام، فنزلوا عليها في شَوَّال، وضيَّقوا على أهلها، ومنعوهم المِيْرَة، وبلغ الفرنج، فاجتمع طنكري صاحب أنطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس وبغدوين صاحب القُدْس، وتحالفوا على المسير إلى الرُّها، والذَّبِّ عنها، والصبرِ على الحرب، ورَحَلُوا بأسْرهم إلى ناحية الرُّها، وعَلِمَ طُغْتِكِين، فسار في العَسْكر إلى ناحية الرَّقَّة وقلعة جَعْبَر، فوَجَدَ الفرنج على الفُرَات قد أحجموا عن عُبورها خوفاً من المسلمين. وبلغَ المسلمين [خبرهم][٣] فرحلوا عن الرُّها طالبين الفرات يريدون الفرنج، فوجدوا سرَعانَ الخيلِ[٤] قد قطعوا الفرات، ومعهم بعضُ أثقالهم، فمالوا عليهم قتلاً [وأسراً][٥] وتغريقاً في الفرات، وامتلأتِ الأيدي من الغنائم والسَّبْي والدَّوابِّ، وعاد الفرنجُ إلى مراكزهم.

وكان طُغْتِكين على عَزْمٍ أن يلقاهم مع المسلمين، فلمَّا رجعوا عاد إلى دمشق خوفاً عليها، وعاد المسلمون إلى الرُّها، فطال عليهم منازلَتُها، فتفرَّقوا إلى بلادهم.

ولما عاد بغدوين جعل طريقه على البقاع، فأسَرَ وقتل، ثم عاد إلى صَيدا، ونازلَها، ونَصب عليها الأبراج، فأيقنوا بأخذِها، فأخرجوا إليه قاضيها وجماعةً من شهودها،

(١) في (ع) و(ب): السلطان سنجرشاه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٠.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٤) سرعان الخيل: أوائلها. «اللسان» (سرع).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

فطلبوا منه الأمان، فأمَّنهم، وخرج الوالي والعسكر وأهلُ البلد إلى دمشق، ولم يتعرَّض[١] لأحدٍ منهم، وعاد إلى القُدْس. وقيل: إنما فُتحت صَيدا سنةَ أربعٍ وخمس مئة[٢].

وفيها توفي

أحمد بن علي بن أحمد[٣]

أبو بكر، العُلْبي[٤]، البغدادي، الزَّاهد، قرأ القرآن، وتفقَّه على [القاضي][٥] أبي يعلى ابن الفَرَّاء، وكان يُقرِئُ النَّاس [القرآن][٥]، ويؤمُّ بهم، ولا يقبل من أحدٍ شيئاً[٦]، ويعملُ بيده، ويأكل ويذهب كلَّ ليلةٍ إلى دِجْلة، فيأخذ ماءً في كُوزٍ، فيُفطِرُ عليه، ويمشي في قضاء حوائج النَّاسِ، ويُؤثِرُ بما في يده.

وكان إذا حَجَّ خَرَجَ، فزار المَعْلى، ووقف عند قَبرِ الفُضَيل بن عِياض، ويَخُطُّ بعصاه، ويقول: يا ربِّ هاهنا، يا رب هاهنا، فَحَجَّ في هذه السَّنة، فَشَهِدَ عَرَفة، وسَقَطَ من الجَمَلِ آخر النَّهار، فَحُمِلَ وَطِيْفَ به بالبيت، ودُفِنَ يوم النَّحر إلى جانب الفُضَيْل [ابن عياض.

سمع القاضي أبا يعلى وغيره][٥]، وكان صالحاً ثقةً.

---

(١) في (ع) يعترض، والمثبت من (ب).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» ٢٧٠ ـ ٢٧٤، وقد ذكر ابن الأثير في «كامله» ١/ ٤٧٩ استيلاء الفرنج على صيدا في حوادث سنة (٥٠٤هـ).

(٣) له ترجمة في «طبقات الحنابلة»: ٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧، و«المنتظم»: ٩/ ١٦٣ ـ ١٦٤، و«مناقب الإمام أحمد» ص٦٣٣ ـ ٦٣٤ ـ وفيه وفاته سنة (٥٠٥هـ) ـ و«صفة الصفوة»: ٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦، «تكملة الإكمال» لابن نقطة: ٤/ ٣٣٨، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ١٠٤ ـ ١٠٦، و«العقد الثمين»: ٣/ ١٠٠، و«توضيح المشتبه»: ٦/ ٣١٧ ـ ٣١٨، و«المقصد الأرشد»: ١/ ١٤٣ ـ ١٤٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٦ ـ ٧.

(٤) في (ع) و(ب) الحلبي، وهو تحريف، وتصحف في بعض المصادر إلى «العلثي» ـ بالثاء المثلثة ـ والمثبت من (م) و(ش)، وهي نسبة إلى عُلْبة. ومن ضبطها بفتح اللام فقد نسبه إلى عُلَب جمع عُلْبة. انظر «تكملة الإكمال» لابن نقطة: ٤/ ٣٣٨، و«توضيح المشتبه»: ٦/ ٣١٧.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع): ولا يقبل لأحد، والمثبت من (ب) و(م) و(ش).

[وفيها توفّي][١]

عمر بن عبد الكريم بن سَعدويه[٢]

أبو الفِتْيان الدِّهستاني[٣]، الحافظ، محدِّثٌ مشهور، سافر إلى البلاد، وكتب [وذكره أبو الحسن عبد الغافر، وأثنى عليه، وقال][٤]: قَدِمَ نَيْسابور مراراً، وخرج إلى طُوس، فأنزله أبو حامد الغَزَالي وأكرمه، وصَحَّحَ عليه «الصَّحيحين».

واستقدمه أبو بكر محمد بن منصور السَّمْعاني إلى خُرَاسان، فأدركَه أجَلُه بَسرْخَس قبل وصوله إليه.

سمع خَلقاً كثيراً [ذكرناهم في التراجم، منهم مشايخ بغداد، وسمع بدمشق أبا محمد ابن الأكفاني، وأبا الحسن بن أبي الحديد وغيرهما، وروى عنه أبو بكر الخطيب؛ سمع منه بصور، ونَصر المَقدِسي وغيرهما][٥]، واتَّفقوا على صِدْقه، وثِقَتِهِ، ودِيْنِهِ.

[وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: سَمِعَ فأوسَعَ، وكَتَبَ فأكْثَرَ، وقدِمَ دمشق، فَسَمِعَ بها عبدَ الدَّائم بنَ الحسن، وأبا محمد الكَتَّاني، وذكر ابن أبي الحديد، قال: وسَمِعَ ببغداد أبا الغنائم بن المأمون، وبِمَرْو أبا نَصر محمد بن بكر بن الخلال، وبهَرَاة أبا الفضل زياد بن محمد بن زياد، وبنيسابور أبا عثمان الصَّابوني وغيرهم. وروى عنه الخطيب بصور، وأبو محمد الكتَّاني، ونَصر بن إبراهيم المَقْدِسي، وهم من شيوخه][٤].

وروى عنه الحافظ ابنُ عساكر أنَّه قال: سَمِعتُ أبا بكر محمد بن إسحاق بن خُزَيمة يقول: مَن لم يُقِرَّ بأنَ الله على عَرْشِهِ قد استوى فوق سبع سماواتِهِ فهو كافر يُسْتَتاب، فإنْ تابَ وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُه، لأنَّ الله تعالى أخْبَرَ عن ذلك في سبعِ مواضِعَ مِنْ كتابه[٦].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش)، وفي (م) فصل: وفيها توفي..

(٢) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٥٦٠، و«الأنساب»: ٦/ ١٧٣، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٣/ ٣٣١ـ ٣٣٤، و«المنتظم»: ٩/ ١٦٤، و«التدوين في أخبار قزوين»: ٣/ ٤٤٩ ـ ٤٥١، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ٩ ـ ١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣١٧ ـ ٣٢٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) نسبة إلى دهستان، بلدة مشهورة عند مازندان وجرجان، بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المهدي. «الأنساب»: ٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ب): سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره، واتفقوا على صدقه... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (خ) (س): ١٣/ ٣٣١.

[وذكَرَ ابنُ عساكر أنَّه أنشد أبياتاً لغيره[١]: [من البسيط]

إنِّي لِمَا أنا فيه من مُنَافَستي ... فيما شُغِفتُ به من هذه الكُتُبِ
لقد علِمتُ بأنَّ الموتَ يُدْرِكُني ... مِنْ قَبْلِ أنْ يَنقَضِي مِنْ جَمْعِها أَرَبي
وليس يَنْفَعُني مِمَّا حَوتْه يدي ... شيءٌ من الفِضَّة البيضاء والذَّهَب
ولا أُوَمِّلُ زاداً للمَعَاد سوى ... عِلْم عَمِلْتُ به أو رَأْفتي بأَبي

وذكره أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، وأثنى عليه، وقال: طاف الدنيا شرقاً وغرباً، وكان على سيرة السلف، وذكر أنه خرج من نَيسابور إلى طُوس، وأن الغَزالي قرأ عليه «الصحيحين»، ثم شرحهما، فخرج إلى مرو، فتوفي بسَرْخَس في ربيع الأول]

وجيه بن عبد الله بن نَصر[٢]

أبو المِقْدام، التَّنوخي، شاعر فصيح، [ذكره الحافظ ابن عساكر، وقال:][٣] لمَّا فَعَلَتِ الفرنجُ بالمَعَرَّة ما فَعَلَتْ دَخلَها يبكي، وقال: [من الخفيف]

هذه بَلْدَةٌ قَضَى اللهُ يا صا ... حِ عليها كما تَرَى بالخَرَابِ
فَقِفِ العِيسَ وقفَةً وابْكِ مَنْ كا ... نَ بها مِنْ شُيُوخها والشَّباب
واعْتَبِر إن دَخَلْتَ يوماً إليها ... فَهْيَ كانتْ مَنازِلَ الأحبَابِ[٤]

وقال أيضاً: [من الوافر]

أُراني والبقاءُ لهُ نَفَادُ ... على سَفَرٍ وليس لديَّ زَادُ
وقد بان الشَّباب الغَضُّ منِّي ... وجاءَ الشَّيْبُ ليس له ارتِدادُ

---

(١) في (ع) و(ب): وتوفي في ربيع الأول، وكان على سيرة السلف، وأنشد لغيره يقول. قلت: والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وهو سياق أتم.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٧/ ٧٣٣، و«مختصره لابن منظور»: ٢٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٠٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، ولمحمود بن علي المعري الآتية ترجمته في وفيات سنة (٥٠٥هـ) قصيدة لها مطلع يشابه مطلع هذه القصيدة، فهل تمثَّل وجيه في تلك القصيدة، أم أنه أنشأ قصيدة جديدة اتكأ في مطلعها على قصيدة محمود؟ الذي ذهب إليه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٠٠، ٢٠٣ أن القصيدة لمحمود، والذي أراه أنهما قصيدتان تشابه مطلعهما، والله أعلم.

إذا ما الزَّرعُ أسْبَلَ واسْتَبانَتْ سنابِلُهُ فقد قَرُبَ الحَصَادُ[١]

وتوفي بدمشق، وقد جاوز السبعين.

هبةُ الله بنُ محمدِ بنِ علي[٢]

أبو المَعَالي ابن المُطَّلب، الكِرْماني، وزير المُستَظْهر.

ولد سنة أربعين وأربع مئة، ووزَرَ للخليفة مُدَّةً يسيرة، واعتَقَلَه فَهَرَب إلى دار المملكة، فتوفِّي في شَوَّال، ودُفِنَ بباب أبرز. سَمِعَ أبا الحسين بن المهتدي، وغيره.

السنة الرابعة وخمس مئة

فيها قدمت خاتون بنت مَلِك شاه زوجة [الخليفة][٣] المستظهر [أخت السلطان محمد شاه][٣]، فنزلت بدار المملكة في رجب عند أخيها السُّلْطان محمد شاه، ثم نُقِلَ جَهازُها في رمضان على مئةٍ واثنين وثلاثين جملاً وسبعة وعشرين بغلاً، وبين يديه الجنائب، والجواري المُزَيَّنات بين يدي المِحَفَّة، وزُيِّنَتِ الأسواق، ونُصبتِ القِباب، ودَخَلَ بها في عاشر رمضان[٤].

وفيها دَرَّسَ أبو بكر الشَّافعي الشَّاشي بالنِّظامية، وحَضَرَ عنده وزيرُ السُّلْطان وأربابُ الدَّوْلة[٥].

وفيها قَدِمَ تُجَّارٌ من الشَّام إلى بغداد، وكسروا المِنْبر، ومَنَعُوا الخطيبَ من الخُطْبة يوم الجُمُعة بجامع السُّلْطان، واستغاثوا، فقال السُّلْطان: ما لهم؟ فقالوا: قد استولى الفرنج على الشّام، وقتلوا وأسروا وسَبَوْا. فقال السُّلْطان: نُسَيِّر العساكر إليهم[٦].

---

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، ومختصره لابن منظور، وقد تكلف محققاه معنى غريباً للشطر الأول من البيت الأول.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٦٥، و«الفخري في الآداب السلطانية»: ٣٠٠-٣٠١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٨٤، وفيه وفاته سنة (٥٠٩هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٦٥ ـ ١٦٦، و«ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٧٧.

(٥) انظر «المنتظم»: ٩/١٦٦، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٢٠، وسترد ترجمة أبي بكر الشاشي في وفيات سنة (٥٠٧هـ).

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٦ ـ ٢٧٧، و«المنتظم»: ٩/ ١٦٥، و«الكامل»: ١٠/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

وفيها قَصَدَ بغدوين عَسْقلان، وكان واليها [يقال له][(١)] شمس الخلافة، فراسل بغدوين، واتَّفقا على مالٍ، وقرَّرَ على صُور سبعة آلاف دينار، [وكان شمس الخلافة أرغب في التجارة من الحرب][(١)]، وبلغ الأفضل ذلك، [فلم يرض][(١)] وأَسَرَّه[(٢)] في نفسه، وبَعَثَ جيشاً إلى عَسْقلان [عوض شمس الخلافة][(١)]، فعصى واليها عليه[(٣)]، وأَخرَجَ من كان معه في البلد من العَسْكر خوفاً منهم، وراسَلَ بغدوين يستمدُّه، ووعده إن غُلِبَ سَلَّم إليه عسقلان، ويعوِّضه عنها، وعَلِمَ الأفضل، [فخاف على البلد][(١)] فكاتبه وطيَّبَ قَلْبه، وأقطعه عَسقلان، وأقر عليه إقطاعه بمصر، فاستدعى [شمسُ الخلافة][(١)] جماعةً من الأَرْمن، فأَسْكَنَهم البَلَد، فأنكر أهلُ البلد ذلك، ووثبوا عليه، فقتلوه، ونهبوا دارَهُ، وبعثوا برأسِهِ إلى مِصر[(٤)].

وفيها هَبَّتْ ريحٌ سوداء بِمِصر، وطَلَعَ سحابٌ أسودُ أخَذَ بالأنفاس، وأظلمتِ الدُّنيا، وظَهَرَتِ الكواكبُ نهاراً، وسَفَتِ الرِّيحُ الرَّمْلَ على النَّاس، [وظنُّوا أن القيامة قد قامت، وخَرَجَ النَّاس][(٥)] من منازلهم، وكان ذلك من صلاة العصر إلى المغرب، ثم لطف الله، وزالتِ الظُّلْمة[(٦)].

وفيها غَدَرَ بغدوين [صاحب القدس][(١)] ونزل على طبرية، وخرج طُغْتِكِين، فنزل رأسَ الماء[(٧)]، ثم استقرَّ [على][(١)] أن يكون ما كان من البلاد مُثالثة، ومُناصفة[(٨)].

وفيها جَهَّزَ محمد شاه العساكِرَ إلى الشَّام لقتال الفرنج، منهم شَرَف الدِّين مودود صاحب المَوْصِل، [وأحمديل][(١)]، وقطب الدين سُكْمان صاحب ديار بكر، واجتمعوا

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) في (ع) و(ب) فأسره، والمثبت من (م) و(ش).
(٣) في (م) و(ش) فعصى على الأفضل.
(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٧٥، و«الكامل» ١٠/ ٤٨٠ ـ ٤٨١.
(٥) ما بين حاصرتين من (ب).
(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٦، و«الكامل»: ١٠/ ٤٨٤.
(٧) يسمى الآن نبع الثريا، وهو قرب قرية فقيع بحوران، بين جاسم ونوى.
(٨) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

في حَرَّان، وكَتَبَ إليهم سُلْطان [بن علي][١] بن منقذ صاحب شَيْزَر يعرِّفُهم أنَّ طنكري [قد][١] نزل أرض شَيزَر، وشرع في بناء تل مُبَشِّر حِصناً بمقابلة شَيْزَر. فقطعوا الفرات، ونزلوا على تل باشر ينتظرون البُرْسُقي صاحب هَمَذَان، فوصل وهو مريضٌ، واختلفت آراؤهم، ومَرِضَ سُكْمان صاحب أرْمينية وخِلاط وديار بكر، وطَمِعَ أحمديل في بلاده، وراسله صاحِبُ الحِصن وهاداه، فَقَصَّر، فعادوا إلى حلب، وعاثوا في أعمالها، وفعلوا أقبحَ مِنْ فِعْلِ الفِرنج، وتوقعوا خروجَ رِضْوان إليهم وخدمتهم، فما التفت، وأغلق أبواب حلب، وأخذَ رهائن أهلِها إلى القلعة، واستعد للقتال. وقد كانوا لمَّا قطعوا الفُرَات كاتبوا [أتابك][١] طُغْتِكِين [في دمشق][١] بالوصول إليهم [ليدبروا الأمورَ][١]، وكَتَبَ إليه السُّلْطان بمثل ذلك، فجمع [وحشد][١] رجاله، ورجال حمص [وحماة][١] وَرَفَنِيَّة، وسار في جَمعٍ كثيف طالباً للجهاد.

فوصل إليهم على حلب، فَسُرُّوا بوصوله، وقويت نفوسهم، فلم يَرَ منهم عزيمةً صادقة في جهادٍ، ولا حماية بلاد. وأما سُكْمان القُطْبي، فإنَّه عاد إلى بلاده، وقد أشفى، ومات [في طريقه][١] قبل وصوله إلى الفُرات. وأما البُرْسُقي فكان به نِقْرِسٌ، ويحمل في مِحَفَّة، ولا قول له ولا فِعْل.

[وأما أحمديل فإنَّ عزمه] قوي[٢] على العَوْد [لأجل بلاد سُكْمان، وطمعه في إقطاعها من السُّلْطان][٣]. فقال [أتابك][١] طُغْتِكِين: ارحلوا إلى المَعَرَّة. فرحلوا على كُرْهٍ، فقال: انزلوا طَرابُلُس. فتوقفوا، ثم تسلَّلوا وتفرقوا أيدي سبأ، ولم يبقَ منهم سوى [شرف الدين][١] مودود، وكان مصافياً لأتابك؛ صديق صِدق، ونزلا على العاصي، وكان الفرنج قد تفرقوا إلى مواضعهم، فلما تفرَّق المسلمون ورجعوا اتفق الإفرنج، وصاروا يداً واحدة على الإسلام، ونَزَلَ سُلطانُ بن علي بن مُنقِذ من شَيزَر إلى [أتابك][١] طُغتِكين، ومودود، وخدمهما، وحمل إليهما.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): وأحمديل فعزمه قوي، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ب): لطمعه في بلاد سكمان، وإقطاعها من السلطان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وجاء الفرنج، فنزلوا على تل مُبَشِّر مقابل شَيْزَر ليبنوا عليه حِصناً، فنازلهم طُغْتِكين ومودود، وطَمِعَ بهم التُّرك، وتَخَطَّفوهم، ومنعوا أحداً منهم أن يخرج من خيمته، وقتلوا وأسروا، فلما رأوا أحوالهم ناقصة انكفؤوا راجعين إلى أنطاكية وطرابُلُس، والتُّركُ في آثارهم قَتْلاً وأَسْراً، واستحكمتِ المَوَدَّةُ بين [أتابك][(١)] طغتكين [وشرف الدين][(١)] مودود[(٢)].

[فصل][(١)] وفيها توفي [الأمير][(١)]

سُكْمان بن أُرْتُق[(٣)]

صاحب خِلاط، وديار بكر. قد ذكرنا أنه جاء إلى الرُّها، ومَرِضَ، فَحُمِلَ في مِحَفَّة، فمات بميَّافارِقين، وحُمِلَ تابوته إلى خِلاط، فَدُفِنَ بها، وكان عادلاً مجاهداً.

وأبوه أُرتُق ماتَ بالقُدْس، وكان قد دخل الرَّمْل خوفاً من مَلِك شاه، ولمَّا عاد ملك شاه عن الشَّام، رَجَعَ أُرْتُق إلى القُدْس، ومات به.

ونجم الدِّين إيل غازي بن أُرْتُق، أخو سُكْمان مَضى إلى السُّلْطان محمد شاه، فولاه شِحْنِكِيَّة العراق، ثم أَخَذَ مارِدِين في سنة ثمانٍ وخمس مئة، وميافارقين في سنة اثنتي

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٧٨ ـ ٢٨٣.
(٣) سلفت أخباره باسم سكمان القُطبي، ونُسِبَ القطبي لأنه كان مملوك قطب الدين إسماعيل بن الياقوتي بن جغري بك السلجوقي أمير أذربيجان، وقد استولى سكمان على خلاط سنة (٤٩٣هـ)، وتوفي سنة (٥٠٤هـ) كما هو مذكور، وتدل نسبته إلى مولاه إلى أن اسم أبيه لا يعرف، ومن ثَمَّ فإنّ قول سبط ابن الجوزي هنا إنه ابن أرتق لا يصح، وقد أوقعه هذا بأوهام كما سيأتي، فذهب إلى أن أباه هو أرتق الذي مات بالقدس، وأن أخاه هو إيل غازي صاحب ماردين وغيرها ظناً منه أن سكمان هذا هو سكمان (أو سقمان) بن أرتق، اختلط عليه الاسم، فظنهما واحداً، ومعروف أن سكمان بن أرتق توفي سنة (٤٩٨هـ) وهو أخو إيلغازي، ووالدهما هو أرتق المتوفى ببيت المقدس سنة (٤٨٤هـ)، وهم أصحاب حصن كيفا وآمد وماردين، ولم يتولَّ خلاط أحدٌ منهم، وقد تابعه في ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٠١، إلا أنه قد أساء النقل عن سبط ابن الجوزي فوقع بأوهام أخرى، انظر «وفيات الأعيان»: ١/ ١٩١، و«تلخيص مجمع الآداب» لابن الفوطي: ق٤ ج٤/ ٦١٨ ـ ٦١٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ٤٣٥، و«معجم الأنساب» لزامباور: ٣٤٦ ـ ٣٤٨، و«الدول الإسلامية»: ٣٥١ ـ ٣٥٩.

عشرة [وخمس مئة][(١)]، ثم أخذ حلب، وله وقائعُ مع الفرنج، وسنذكرها إنْ شاء الله تعالى فيما بَعد.

[فصل: وفيها توفي

عبد الوهاب بن هبة الله ابن السِّيْبي[(٢)]

أبو الفَرَج، مؤدِّبُ ولد الخليفة المقتفي[(٣)].

حَجَّ في هذه السنة، ومضى إلى المدينة، فمات في الطريق، فَحُمِلَ إلى البقيع، فدُفِنَ به.

روى عنه المقتفي[(٤)]، وأشياخ أشياخنا، وكان ثِقَةً][(١)].

[فصل: وفيها توفي][(٥)]

علي بن محمد بن علي[(٦)]

أبو الحسن، الطَّبري، عرف بإِلْكِيَا[(٧)] الهَرَّاسي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٦٧، و«توضيح المشتبه»: ٥/ ٢٣، والسِّيْبِي نسبة إلى السِّيب بلد على الفرات بقرب الحِلَّة.

(٣) المقتفي هو والد الخليفة المستظهر.

(٤) اختلف فيمن هو مؤدب ولد المقتفي وشيخه، هل هو عبد الوهاب هذا أو ابنه أحمد أبو البركات؟ فذهب السمعاني في «تاريخه» ـ فيما نقله عنه ابن نقطة في «الاستدراك»، وعنه ابن ناصر الدين في «التوضيح» ٥/ ٢٣ ـ وابن الجوزي في «المنتظم»، وتابعه سبطه كما هنا إلى أنه عبد الوهاب. وذكر ابن نقطة في «الاستدراك» (خ) «باب السيبي» أن شيخ المقتفي ابنه أحمد، وتابعه الذهبي في «المشتبه»: ٣٤٧، فقال: وقد وهم من جعل شيخ المقتفي عبد الوهاب، وتابعه كذلك ابن ناصر الدين في «التوضيح».

(٥) ما بين حاصرتين (م).

(٦) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٥٩٨، و«تبيين كذب المفتري»: ٢٨٨، و«المنتظم»: ٩/ ١٦٧، و«الكامل»: ١٠/ ٤٨٤، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٧) إلكيا: لقب فارسي، معناه: الكبير القدر المقدم بين الناس، انظر «وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٨٩

ولد سنة خمسين وأربع مئة، وتفقَّه على أبي المعالي الجُوَيني، فكان يعيد الدَّرسَ بمدرسةِ نَيسابور على كل مَرْقاة سبعين مَرَّة، وكانت المَرَاقي سبعين مَرْقَاة.

قَدِمَ بغداد، ودَرَّسَ بالنّظامية، ووَعَظ، وذكر مذهب الأشعري فَرُجِمَ، وثارتِ الفِتَن، واتُّهم بمذهب الباطنية، فأراد السُّلْطان قَتْلَه، فمنعه المُسْتظهر، وشَهِدَ له بالبراءة منه جماعة، وتوفي يوم الخميس غُرَّة المُحَرَّم، ودُفِنَ عند أبي إسحاق الشِّيرازي.

السنة الخامسة وخمس مئة

فيها عَزَلَ السُّلْطان محمد وزيرَه أحمد بن نِظام المُلْك في رمضان، فكانت وِزارتُه أربعَ سنين وأحَدَ عَشَرَ شهراً[(١)].

وولد للخليفة ولدٌ من بنت السُّلْطان محمد، فجلس النَّاس للهَنَاء بباب الفِردَوس، وتوفِّي أخٌ للخليفة، فجَلَس في عَزَائه بباب الفِرْدوس[(١)].

وفيها جمع بغدوين وحَشَدَ لقَصد صور، فكتب واليها [وأهلها][(٢)] إلى طُغْتِكين [يستنجدوا به و][(٣)] يسألونه أَنْ يسلموها إليه قَبْلَ مجيء الفرنج، لأَنَّهم يئسوا من نُصرة مِصر، فبعث إليهم [أتابك][(٣)] الفُرسان والرَّجَّالة، وجاءهم من جبل عاملة، وسار إليها بغدوين في الخامس والعشرين من جُمادى الأولى فَقَطعَ أشجارها، وقاتلها أياماً، ويعود خاسراً.

وخرج طُغْتِكين من دمشق، وخَيَّم ببانياس، وجَهَّز الخَيَّالة والرِّجال إلى صور نجدةً، فلم يقدروا على الدُّخول، فسار إلى السَّواد، فنزل على الحبيس[(٤)]، وهو حِصن عظيم، وحاصره، ففتحه عَنوَةً، وقتَلَ كلَّ مَنْ فيه، وشَرَعَ بغدوين في عَمَلِ الأبراج والزَّحفِ على صور، وزَحَفَ إليهم[(٥)] أتابك لِيَشْغَلَهم [عن صور][(٣)] فخندقوا عليهم، وهَجَمَ الشِّتاء، ولم يبال الفرنج لأنَّهم كانوا في أَرضٍ رَمْلَةٍ، [والمسلمون في أرضٍ وعْرة،

(١) انظر «المنتظم»: ٩/١٦٨.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) هو حبيس جلدك، وهو حصن بالسواد كما ذكر هنا، وقد جاء ذكره في «كتاب الروضتين»: ٣/١٠٦ بتحقيقي.
(٥) في (ع) عليهم، والمثبت من (ب) و(م) و(ش).

وكانت المادة تصل إلى الفرنج][1] من صيدا في المراكب، فسار إليها أتابك طُغْتِكِين، وقتلَ جماعةً من البحرية وغَرَّقَ المراكب، وواصل المكاتبة إلى أهل صور يُقوي قلوبهم. وعَمِلَ الفرنج بُرْجين عظيمين، [وزحفوا بهما إلى السُّور، وكان][2] طول الكبير منهما زيادة على خمسين ذراعاً، وطول الصّغير نيفاً وأربعين ذِراعاً، وزحفوا بهما أول يوم من شهر رمضان، وخرج أهل صور بالنِّفط والقَطِران، [لحريق البرجين][2]، ورموا النار، فهبَّت الرِّيحُ، فأحرقتِ البُرجَ الصَّغير بعد المحاربة العظيمة، ونُهِبَ منه زَرَدِيَّات وطوارق[3] وغير ذلك، ولَعِبَتِ النّارُ في البُرج الكبير، فأطفأها الفرنج، وطَمُّوا الخندق، وواتروا الزَّحف طول شهر رمضان، وأشرف أهلُ البلد على الهلاك، فتحيَّل واحدٌ من المسلمين له خِبرَةٌ بالحرب، فعمل كباشاً في أخشاب تدفع البُرْج الذي يلصقونه بالسُّور، ثم تحيَّل في حريق البُرْج الكبير، فاحترق، وخَرَجَ المسلمون، فأخذوا منه آلاتٍ وأسلحة [لا توصف][4]، فحينئذٍ يَئِسَ الفرنج، ورحلوا، وأحرقوا جميعَ ما كان لهم من المراكب على السَّاحل، والأخشاب والعمائر والعلوفات وغيرها. وجاءهم طُغْتِكِين، فما سَلَّموا إليه البلد [ولا وفوا له][5]، فقال: أنا ما فعلتُ ما فعلتُ إلا لله تعالى لا لرغبةٍ في حِصن ولا مال، ومتى دَهِمَكُمْ عدوٌّ جِئْتُكم بنفسي ورجالي. ورحل عنهم[6]. [وكان مِنْ سعادته أنَّهم لم يُسَلِّموه إليه، لأنه كان عاجزاً عن حِفظِ صور ودمشق، وصور ما كان لهم بُدٌّ مِنْ أخذِها][7].

وفيها نزل [شرف الدولة] مودود [صاحب المَوْصِل][5] على الرُّها ورَعَى زَرْعَها، ورَحَلَ إلى سَرُوج، ففَعَلَ بها كذلك[8].

---

(١) في (ع) و(ب) لأنهم كانوا في أرض رملة، والمادة تصل إليهم من صيدا، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الزرديات جمع، مفردها الزردية وهي الدرع، والطوارق جمع كذلك، مفردها طارقة وهي الترس. انظر «تكملة المعاجم العربية» لدوزي: ١/ ٥٨٥، ٢/ ٤١.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٨٤ ـ ٢٨٨، و«الكامل» ١٠/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠.

(٧) ما بين حاصرتين من (م)، وجاء بها معترضاً بين قوله: ورجالي. ورحل عنهم، وما أثبتناه استظهاراً هو الأشبه.

(٨) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٨٩.

وفيها[١] توفي

الحسن بن أحمد[٢]

أبو محمد بن حِكِّينا[٣]، كان فصيحاً ظريفاً، ومن شِعْره في قاضٍ: [من السريع]

وبارِدِ التَّنْمِيسِ[٤] بين الورى ... يَفعَلُ ما لا يَفعَلُ اللِّصُّ
يَصيْدُ أموالَ الورى كلَّها ... بطَرحةٍ[٥] من تحتِها شِصُّ[٦]

وقال: [من الطويل]

أتاني بنو الحاجاتِ من كلِّ وجهةٍ ... يقولونَ لي أين الموفَّقُ قاعدُ
فقلتُ لهم فوق المَجَرَّةِ دارُهُ ... ولكنَّني فارَقتُهُ وهْوَ صاعدُ
فإن شِئتُمُ ألا تَضِلُّوا فيمِّمُوا ... إلى حيث[٧] سارَتْ بالثَّناءِ القصائِدُ[٨]

وقال: [من المنسرح]

ومُظْهِرٍ وُدَّهُ لقاصدِهِ ... يكُفُّ عنه الأطْماعَ باليَاسِ

(١) اضطرب سبط ابن الجوزي في تاريخ وفاته، فذكره هنا في وفيات سنة (٥٠٥هـ)، وأعاد ترجمته في وفيات سنة (٦٠٦هـ)، وكلاهما وهم، وقد تابعه عليه أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٠٨، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٩٧، فترجما له في وفيات سنة (٦٠٦هـ)، والصحيح وفاته سنة (٥٢٨هـ) فيما ذكر أغلب من ترجم له، وتردد ابن العماد في «شذرات الذهب»: ٤/ ٨٨ بين سنة (٥٢٨هـ) و(٥٢٩هـ).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج١ / ٢٣٠ ـ ٢٤٨، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٢٧٥، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٩٨ ـ ٩٩، و«فوات الوفيات»: ١/ ٣١٩ ـ ٣٢١، و«الوافي بالوفيات»: ١١/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) في (ع) و(ب) كنجينا، وهو تحريف، وقد اضطربت مصادر ترجمته في رسمه بين جكينا وحكينا، بالجيم أو الحاء، وقد قيده بالجيم ابن خلكان، ذكر ذلك الدكتور إحسان عباس في حاشيته على «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وقيده بالحاء المهملة الزبيدي في مستدركاته في «تاج العروس» مادة (حكن)، فقال: حكينا بكسرتين مشددة الكاف لقب، وابن حكينا شاعر معروف. قلت: وهو ما مال إليه العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة».

(٤) التنميس: التلبيس والتدليس، يقال: نمّس عليه الأمر تنميساً.

(٥) في هامش (ب)، أراد بالطرحة الطيلسان، وفي اصطلاح الصيادين هي الشبكة.

(٦) البيتان في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٢٣٣.

(٧) في (ب) و(ع): حين، والمثبت من «الخريدة».

(٨) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢٣٨.

يـقـومُ لـلـنَّـاس مُـكْـرِمـاً فـإذا رامــوا نَـدَاه يـقــومُ لـلـنّــاسِ[١]

عليُّ بنُ جعفر بن الحسن المَـعَرّي[٢]

كتب إلى الأفضل ابنِ أَمير الجيوش يقول: [من الطويل]

وَهَـبْـنـي أسـاءَتْ فِـكْـرتـي أو تَـعـذَّرَتْ عـليَّ الـقـوافـي أو جَـفَـتْـنـي الـمـقـاصِـدُ
أمـا كـان فـي حُـكْـمِ الـتَّـنـاصُـفِ بـيـنـنـا تراضٍ ولي مِنْ حُسْنِ رأيكَ عاضِدُ[٣]

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغَزَّالي الطُّوسي[٤]

[ذكره الأئمة وأربابُ السِّير، منهم جدِّي، وعبد الغافر في «ذيل نيسابور»، وابن السَّمْعاني، والحافظ ابن عساكر.

فأما جدِّي، فإنه قال:][٥] ولد سنة خمسين وأربع مئة، وتفقَّه على أبي المعالي الجويني، وبَرَعَ في النَّظر في مُدَّةٍ قريبة، وقاوم الأقران، وتوحَّد، وصنف الكُتُبَ الحِسان في الأصول والفروع، التي تَفَرَّد بحُسْنِ وَضْعها وترتيبها، وتحقيق الكلام فيها، حتى إنه صنف في حياة أُستاذه ابن الجُوَيْني، فنَظَرَ في كتابه المسمَّى بـ«المنخول»، فقال: دَفَنْتني وأنا حيٌّ، هلَّا صَبرْتَ حتى أموت. وأراد أن كتابك قد غَطَّى على كتابي.

ووقع له القَبُول من نظام المُلْك، فَرَسَمَ له بالتدريس بمدرسته ببغداد، فدخل بغداد سنة أربعٍ وثمانين وأربع مئة، ودرَّس بها، وحَضَرَه الأئمة الكبار كابن عَقِيْل، وأبي الخَطَّاب[٦]، وتعجبوا من كلامه، واعتقدوه فائدة، ونقلوه في مُصنفاتهم، ثم إنه تَرَك

---

(١) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ١/ ٢٣١.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١١/ ٨٨٥، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٢١ ـ ١٢٤.

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١١/ ٨٨٥.

(٤) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٨٣ ـ ٨٥، و«تبيين كذب المفتري»: ٢٩١ - ٣٠٦، و«تاريخ دمشق» (خ) و(س): ١٥/ ٩١٩ ـ ٩٢٢، و«الكامل» ١٠/ ٤٩١، و«وفيات الأعيان»: ٤٠/ ٢١٦ ـ ٢١٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٩١ ـ ٢٨٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٢٢ ـ ٣٤٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته، والدراسات المعاصرة عنه كثيرة تكاد تعز على الحصر.

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) أبو الخطاب: هو شيخ الحنابلة محفوظ بن أحمد بن حسن الكلواذاني، المتوفى سنة (٥١٠هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

التدريس، والرِّياسة، ولَبِسَ الخامَ الغليظ، ولازم الصَّوْم، وكان لا يأكل إلا من أُجْرة النَّسخ، ، وحَجَّ وعاد.

ثم رحل إلى الشَّام، وأقام ببيتِ المقدس ودمشق مُدَّةً يطوفُ المشاهد، وأخَذَ في تصنيف كتاب «الإحياء» في القُدْس، ثم تَمَّمه بدمشق، إلا أنه وضَعَه على مذهب الصُّوفية وترك فيه قانون الفِقْه؛ مثل أنَّه ذَكَرَ في مَحْوِ الجاه ومجاهدةِ النَّفس: أنَّ رجلاً أراد مَحْوَ جاهِهِ، فدخل الحَمَّام، فلبس ثيابَ غيره، ثم لَبسَ ثيابَهُ فوقها، وخَرَجَ يمشي على مَهَلٍ حتى لَحِقُوه، فأخذوها منه، فسمّي سارِقَ الحَمَّام[(١)].

وذِكرُ مِثْلِ هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيحٌ[(٢)]، لأنَّه متى كان للحمّام حافِظٌ وسَرَقَ منه سارق قُطِعَ، ثم لا يَحِلُّ لمسلمٍ أَنْ يتعرَّضَ لأمرٍ يأثَمُ النَّاس به في حَقِّه.

وذكر فيه أنَّ رجلاً اشترى لحماً، فرأى في نفسه أنه يستحيي من حَمْلِهِ إلى بيته، فعلَّقه في عُنُقه ومشى، وهذا في غاية القُبْح، ومِثلُه كثير[(٣)].

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي، رحمه الله: وقد جمعت أغلاط الكتاب «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» وأشرتُ إلى بعض ذلك في كتابي المسمَّى بـ«تلبيس إبليس»، وذَكَرَ في كتاب «النكاح»: أنَّ عائشة ﵂ قالت لرسولِ الله ﷺ أنتَ الذي تزعم أنَّك رسولُ الله[(٤)]؟ وهذا محال[(٥)].

وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفِقْه أنه صَحِبَ الصُّوفية، فرأى حالاتِهم الغاية. وقال: إني أخَذتُ الطَّريقة من أبي علي الفارْمَذِي[(٦)]، وامتَثَلْتُ ما كان

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين»: ٣/ ٢٨٨ طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) في (ع) و(ب): وهذا قبيح، والمثبت من «المنتظم».

(٣) «المنتظم»: ٩/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٤) انظر «إحياء علوم الدين»: ٢/ ٤٣، وذكر العراقي أن أبا يعلى أخرجه في «مسنده»، وأبا الشيخ أخرجه في «الأمثال» من حديث عائشة وفيه ابن إسحاق وقد عنعنه. قلت: ولم أجده في مطبوعيهما.

(٥) «المنتظم»: ٩/ ١٦٩.

(٦) نسبة إلى فارمذ، هي من قرى طوس، وأبو علي هو الفضل بن محمد، كان شيخ خراسان، وصاحب الطريقة في تربية المريدين، والأصحاب، وقد توفي سنة (٤٧٧هـ)، انظر ترجمته في «الأنساب»: ٩/ ٢١٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٦٥.

يشيرُ به من وظائف العبادات، واستدامةِ الذِّكْر إلى أن جُزْتُ تلك العِقاب، وتكلَّفْتُ تلك المَشَاقَّ، وما حَصَّلتُ على ما كنتُ أَطلُبُه. ثُمَّ إنَّه نظر في كتاب أبي طالب المكي، يعني «القُوت» وكلام المتصوفة القُدماء، فاجْتَذَبه ذلك بمرَّةٍ عن الفقه.

وذكر في كتاب «الإحياء» من الأحاديث الموضوعة وما لا يَصِحُّ غيرُ قليل، وسَبَبُه قِلَّةُ معرفته بالنَّقل، فليتَه عَرَضَ تلك الأحاديث على من يَعرف، وإنما نَقَلَ نَقْلَ حاطبِ ليل(١).

وذكر في آخر «مواعظ الخلفاء» فقال: روي أنَّ سُلَيْمان بنَ عبد الملك بَعَثَ إلى أبي حازم: ابعث إليَّ من إفطارك. فبعثَ إليه نُخالة مَقْلُوَّة، فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يفطر، ثم أفْطَرَ عليها، وجامع زوجته، فجاءت بعبد العزيز فلما بلغ، وُلِدَ له عمر بن عبد العزيز.

وهذا من أقبح الأشياء، لأنَّ عمر ابنُ عَمِّ سليمان، وهو الذي ولاه الخلافة، فقد جعله ابن ابنه، فما هذا حديثُ من يعرف [من] النقلِ [شيئاً](٢) أصلاً(٣).

وكان بعضُ النَّاس قد شُغِفَ بكتاب «الإحياء»، فأَعْلمتُه بعيوبه، ثم كتبتُه [له](٢)، وأسقطتُ ما يَصلُح إسقاطُه، وزِدْتُ ما يصلح أن يُزَاد(٣). وأُحرِقَ كتابُ «الإحياء» في المَغرب مرَّتين.

ثم إنَّ أبا حامد عاد إلى وطنه مشغولاً بتعبُّده، فلما صارتِ الوزارة إلى فخر المُلْك أحضره وسَمِعَ كلامه، وأخرجه إلى نَيْسابور، فخرج، ودرَّس، وعاد إلى وطنه، واتخذ في جواره مدرسةً، ورِباطاً للصُّوفية، وبنى داراً حَسَنة، وغَرَسَ فيها بُستاناً، وتشاغَلَ بحفظِ القرآن، وسَمَاعِ الحديث.

وحُكِيَ عن أبي منصور الرَّزَّاز الفقيه، قال: دخل أبو حامد بغداد، فقوَّمنا ملبوسَه ومركوبه بخمس مئة دينار، فلما تزهَّد وسافر عاد إلى بغداد، فقوَّمنا ملبوسه بخمسة عَشَرَ قيراطاً(٣).

---

(١) «المنتظم»: ٩/ ١٦٩.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) «المنتظم»: ٩/ ١٧٠.

وحدّث بعضُ الفقهاء عن أنوشروان الوزير أَنَّهَ زار أبا حامد، فقال له: زمانُك محسوبٌ، وأنت كالمُسْتأجر، فتوفُّرُك على ذلك أَوْلى من زيارتي. فخَرَجَ أنوشروان وهو يقول: لا إله إلا الله، هذا الذي كان في أول عُمُره يستزيدني فَضْل لقبٍ في ألقابه، وكان يَلبَس الحرير والذهب آل أمرُه إلى هذا الحال!

وتوفي [أبو حامد][١] يوم الاثنين رابع عشرة جُمادى الآخرة بطُوس[٢]، ودفن بها، وسأله بعضُ أصحابه قُبيل الموت، فقال [له][١]: أَوْصني. فقال له: عليك بالإخلاص. ولم يزل يكرِّرُها حتى مات [هذا صورةُ ما ذكر جدِّي في «المنتظم»[٣] في ترجمة الغزَّالي.

وذكر جَدِّي في كتاب «الثَّبات عند الممات» عن أحمد بن محمد أخي أبي حامد الغزَّالي، قال:][١] لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصَلَّى، وقال: عليَّ بأكفاني. فأخذها وقبّلها، وتركها على عينيه، وقال: سَمعاً وطاعة للدُّخول على المَلِك، ثم مَدَّ رِجليه، واستقبل القِبلة، ومات قبل الإسفار[٤].

والغَزَّالي هو القائل: ويكره الاستجمار بورق المُصحف[٥]. هذا خلاصة ما ذكر أبو الفرج ابن الجوزي، رحمه الله.

وقال عبدُ الغافر بن إسماعيل في كتاب «ذيل نَيسابور»: أبو حامد الغَزَّالي حُجَّة الإسلام، لم تَرَ العيونُ مِثلَه لساناً وبياناً، ونُطقاً وخاطراً، وطَبْعاً وذكاءً، قَدِمَ نَيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحَرْمين، واجتهد، وبذَّ[٦] الأقران، وكان الطَّلبة في أيام إمامِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) طوس: كانت ثاني مدينة في خراسان بعد نيسابور، وفيها قبر الإمام الرضا، وقبر هارون الرشيد إلى جواره، وقد دمرها المغول سنة (٦١٧هـ)، ولم تقم لها قائمة من بعد، وقد نشأ حول مشهد الرضا عمارة اتسعت فيما بعد حتى ظهرت مدينة مشهد منذ القرن الثامن تحيط بها قبور من بينها قبر الغزالي إلى شرقي ضريح الإمام الرضا، وهناك كذلك قبر الفردوسي الشاعر المشهور. انظر «بلدان الخلافة الشرقية» كي لسترنج: ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٣) «المنتظم»: ١٦٨ ـ ١٧٠.

(٤) «الثبات عند الممات»: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٥) لم أهتد إلى موطن هذه الجملة في كتب الغزالي، وما إخالها تصدر عنه.

(٦) بَذَّ القوم يبذهم: سبقهم وغلبهم. «اللسان» (بذذ).

الحرمين يستفيدون منه، وصنف الكُتُب، فكان إمام الحرمين لا يؤثر ذلك لما لا يخفى من طباع البشر، وإنما كان يُظْهر خلافَ ذلك.

ثم خرج أبو حامد من نيسابور، وقدِمَ على نظام المُلْك، فأقبل عليه أحسن قَبُول، وأمره بالتَّدْريس بالنّظامية ببغداد، فدرَّس بها ـ وذكر تصانيفه ـ ثم تزهَّد، وسَلَكَ طريق التَّألُّه[١]، وتَرَكَ الحُشمة[٢]، وحَجَّ، ووَرَدَ الشَّام، وسكن المنارة الغربية من جامع دمشق، وتمَّم فيها «الإحياء»، ثم عاد إلى وطنه بعد أن أقام بالشَّام عَشر سنين[٣].

[وأما الحافظ ابن عساكر فقال][٤]: قَدِمَ الشَّام سَنَةَ تسعٍ وثمانين [وأربع مئة][٥]، وكان إماماً في عِلْم الفِقه مذهباً وخلافاً، وسَمِعَ «صحيح البخاري» [من أبي سهل محمد ابن عبد الله الحَفْصي[٦] ـ وذكر بمعنى ما ذكرنا ـ، قال:][٧]، وكانت وفاته في جُمادى الأولى بطُوس[٨].

وله [من][٩] المصنفات: «البسيط»، و«الوسيط» و«الوجيز»، و«تهافت الفلاسفة» و«[بداية][١٠] الهداية»، و«شرح أحوال الباطنية» و«المستصفى» في أصول الفِقه، ويقال: إنَّه صنف ثلاثين كتاباً[١١].

وذكره ابنُ السَّمْعاني في «الذَّيل»، وقال: ومن شِعْره: [من الكامل]

---

(١) التأله: التعبُّد. «معجم متن اللغة»: ١/ ١٩٩.

(٢) الحشمة: الأتباع، من الحَشَم والحَشَمة والحُشْمة: خاصة الرجل عبيداً كانوا أو أهلاً أو جيرة، ويجمع على أحشام. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٩٨.

(٣) انظر «المنتخب من السياق» للصريفيني: ٨٣ ـ ٨٥.

(٤) في (ع) و(ب)، وقال ابن عساكر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٥) في النسخ الخطية: سبع وثمانين، وهو تصحيف، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٩/ ٩١٩، وما بين حاصرتين منه.

(٦) شيخ صحيح السماع، توفي سنة (٤٦٦هـ)، انظر «الأنساب»: ٤/ ١٧٥.

(٧) ما بين حاصرتين من (م).

(٨) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٩/ ٩١٩ ـ ٩٢٢.

(٩) ما بين حاصرتين من (ب).

(١٠) ما بين حاصرتين من «مؤلفات الغزالي» لعبد الرحمن بدوي: ١٣٨.

(١١) انظر «مؤلفات الغزالي» فهو كتاب نفيس في بابه.

حَلَّتْ عقاربُ صُدْغِهِ في خَدِّه قمراً يجِلُّ بها عن التَّشبيهِ
ولقد عَهِدْناه يحُلُّ ببُرجها ومن العجائبِ كيفَ حلَّتْ فيهِ

محمود بن علي[١] بن المهنَّا[٢]

أبو سلامة المَعَرِّيّ، القائل لما هَجَمَ [الفرنجُ][٣] المعرَّة: [من الخفيف]

أنا من بَلدةٍ قَضَى الله يا صا حِ عليها كما تَرَى بالخرابِ
قتلوا أهلَها فبادُوا جميعاً من شيوخٍ وصِبيَةٍ وشبابِ[٤]

وجدُّه أبو المكارم الفَضْل بن عبد القاهر المَعَرِّي[٥] هو القائل: [من البسيط]

ليلي وليلى نفى نومي اختلافُهما حتّى لقد صَيَّراني في الهوى مَثَلا
يجودُ بالطُّول ليلي كلَّما بَخِلتْ بالطَّوْلِ[٦] ليلى وإنْ جادَتْ به بَخِلا

مُقَاتل بن عَطِيَّة بن مقاتل[٧]

أبو الهَيْجاء، شِبْلُ الدَّوْلة، الأَمير البَكْري؛ من ولد الصِّدِّيق رضي الله عنه، كان شُجاعاً شاعراً [فصيحاً][٣]، ويقال: إنَّه كان خَتَنَ[٨] نظامِ المُلْك، وهو الذي رثى نظامَ المُلْك، فقال: [من البسيط]

كان الوزيرُ نظامُ المُلْك لؤلؤةً نفيسةً صاغَها الرحمنُ من شَرَفِ
أضْحَت ولا تعرفُ الأيامُ قيمتَها فَرَدَّها غَيْرَةً منه إلى الصَّدَفِ[٩]

---

(١) في «الخريدة»: علوي.
(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٠٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٠٣.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) البيتان في «الخريدة»، وانظر حاشيتنا رقم٤ ص٤١ من هذا الجزء.
(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٦) من معاني الطَّوْل: الغنى والسَّعة، انظر «اللسان» (طول)، وكأن الشاعر عنى بها هنا الوصال.
(٧) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٥/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٧١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٠٤.
(٨) الختن: الصِّهْر. «اللسان» (ختن).
(٩) في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٠٠ بتحقيقي، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ١٣٠، وفيهما: عَزَّت ولم تعرف الأيام قيمتها.

وقال العماد الكاتب: كان شِبْلُ الدَّوْلة من أولاد العَرَب، وقعَ بينه وبين إخوته خشونة، ففارقهم، وصار إلى خُراسان وغَزْنة، ومَدَحَ أعيانها، واختصَّ بنظامِ المُلْك، ودخل كَرْمان، وقصد كريمها مُكرَم بن العلاء، ومدَحه فأجازه، وعادَ إلى خُرَاسان، ونزل هَرَاة، وشبَّبَ بامرأةٍ، وعاد إلى مَرْو، فأقام بها، وغَلَبَتْ عليه السَّوداءُ إلى آخر عُمُره، وحُمِلَ إلى مارَسْتانها، فتوفِّي به في حدود سنة خمسٍ وخمس مئة؛ إما بعدها وإما قبلها.

وقال ابنُ السَّمْعاني: قال يمدح البُرْهان عبد العزيز بن مازه[1]: [من الكامل]

أمَّا الدِّيارُ فقد نَأَتْ سُكَّانُها ... فعلامَ يَنْعَبُ للنَّوى غِرْبانُها!
سارتْ حُدُوجُ[2] المالكيَّةِ غُدْوَةً ... بالأمسِ تُعرفُ بالقبابِ قِيانُها
وغَدَتْ ديارُ الظَّاعنين مَحَلَّةً ... ترْعى خلالَ فروجِها صنوانُها
أهدى نسيمُ الرَّوضِ أنفاسَ الصَّبا ... وغَدَتْ تُخالُ نَوافجاً[3] كُثبانُها
تدعو أئمةَ شَرعِ دينِ محمدٍ ... حتَّى أجابَ دعاءَها بُرْهانُها
برهانُها المذكور بل إنسانُها ... بل سَيْفُها القِرضابُ[4] بل سُلطانُها
نَسَخَتْ إمامتُك الأئمةَ مِثْلَما ... نُسِخَتْ بدينِ محمدٍ أديانُها
وأنا ابنُ صدِّيق النَّبيِّ محمدٍ ... شَهِدَتْ بأنسابي لكم عَدنانُها

وكتَبَ إلى نظامِ المُلْك، وقد سار إلى العراق: [من البسيط]

إنْ كنتُ مُرْتحلاً عنكمْ فَدَيْتُكُمُ ... نَحْوَ العِراقِ فَقَلْبي عندكُمْ باقِ
وإنْ رأيتُمْ سنا بَرْقٍ يلوحُ دُجًى ... فإنَّه شُعْلَةٌ من نارِ أشواقي
وإن تلاطَمَ جيحونٌ بمَزْجِ دَمٍ ... فإنَّه قَطرةٌ من ماءِ آماقي

---

(١) هو عبد العزيز بن عمر المعروف ببرهان الأئمة من فقهاء الحنفية، له ترجمة في «الجواهر المضية»: ٢/ ٤٣٧، و«الفوائد البهية»: ٩٨، ولم يذكرا له سنة ولادة ولا وفاة، وستأتي ترجمة ابنه عمر في وفيات سنة (٥٣٦هـ).

(٢) حدوج جمع، مفردها الحِدْج: مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمِحَفَّة. «اللسان» (حدج).

(٣) النوافج جمع، مفردها نافجة: وعاء المسك. «معجم متن اللغة»: ٥/ ٥٠٨.

(٤) السيف القرضاب: القاطع، يقطع العظام. «اللسان» (قرضب).

وإن سَقَتْكُمْ غوادي المُزنِ رائحةً فإنَّ دمعي الذي يهمي بكُمْ ساقي
وإنْ كَتَبْتُ كتاباً نحو سَيِّدكُمْ فإنَّه في جَنابِ إبنِ إسحاقِ
شمسِ الكُفَاة نِظامِ المُلْك أكرمِ مَنْ ساسَ البسيطةَ مِنْ ماضٍ ومن باقِ
أقلامُهُ أبداً في كَفِّ دَولَتِه للنّاسِ تجري بآجال وأرْزاقِ
هذي سحائِبُ كفَّيهِ ندًى وردًى على الورى ذاتُ إرْعادٍ وإبراقِ

السَّنة السادسة وخمس مئة

فيها قَدِمَ يوسفُ بنُ أيوب الهَمَذَاني الواعظ بغداد(١)، وكان قدمها بعد الستين وأربع مئة، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي، وبَرَعَ في الفِقْه، وعاد إلى مَرْوِ، وجَلَسَ في رباطٍ يتعبَّدُ، واجتمع إليه جماعةٌ من المنقطعين إلى الله تعالى، ثُمَّ عاد إلى بغداد في هذه السنة، ووَعَظَ بها، ولم يتعرَّض لمذهب الأشعري، فوقع له القَبُول، فقام إليه ابنا أبي بكر الشَّاشي، فقالا له: إن كنتَ تتكلَّم على مذهب الأشعري، وإلا فلا تتكلم. فقال: اجلسا، لا متعكما الله بشبابكما. فماتا شابَّيْن.

وقام إليه [رجل يقال له](٢) ابن السَّقَّاء، فآذاه في مسألة في الأُصول، فقال له: اجلس، فإني أجِدُ مِنْ كلامك ريحَ الكُفْرِ، ولعلك تموتُ على غير دين الإسلام. فاتَّفق بعد مُدَّة أنَّ ابنَ السَّقَّاء خَرَجَ إلى بلادِ الرُّوم، وتنصَّر(٣)، ومات كافراً(٤).

وكان يوسف الهَمَذاني من الأبدال، قال: دخلتُ جَبَلَ زز لزيارة عبد الله الجوني، فوجدتُ ذلك الجبل كثيرَ المياه والأشجار، معموراً بالأولياء، على رأس كلِّ عينٍ واحدٌ من الرِّجال مشغولٌ بالعبادة، فَطُفْتُ عليهم، ولا أعْلَمُ حَجَراً في ذلك الجبل لم تُصبه دمعتي(٥).

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٣٥هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) نقل ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٧/ ٧٩ عن ابن النجار قال: كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم، مجوداً في تلاوته... نعوذ بالله من سوء القضاء. وزوال نعمته، وحلول نقمته، ونسأله الثبات على دين الإسلام، آمين آمين آمين.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧١.

(٥) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٩٤ ـ ٩٥.

وفيها اشتدَّ خوفُ أهلِ صور من نزولِ الفرنج [عليها مرَّة ثانية](١)، فاتفقوا مع واليها عِزِّ الملك أنوشتِكِين الأفضلي على تسليمها إلى ظهير الدِّين طُغْتِكِين، بحُكْمِ ما سَبَقَ من نُصرته لهم، وما عانى من الشِّدَّة في دَفْعِ العدوِّ عنهم، فراسلوا طُغْتِكين في هذا المعنى، فجاء الرَّسولُ إلى بانياس، وواليها سيف الدولة مسعود، فأخبره، فسار مسعود معه إلى دمشق، فوجد أتابك قد مضى إلى ناحية حماة ليتَّفق مع رِضوان صاحب حلب على أمرٍ، فخافَ مسعود أن يتأخر الأمر إلى حينِ عَودِ أتابك من حماة، فيسبق بغدوين فينزل على صور، فَيَفُوتُ الغَرَض، فتحدَّث مع تاجِ الملوك بُوري بالمسير معه إلى بانياس [وانتهاز الفُرصة في تسليم صور](٢)، فأجابه، وسار معه إلى بانياس، وتَمَّ مسعود إلى صور، ومعه من يُعتمد عليه من العَسْكر، وبلغ أتابك فبعث قطعةً من الأتراك إلى تقوية صور، فساروا إليها ودخلوها، وأنفق فيهم أتابك، وطابَتْ [نفوسُ أهلِ صور](٣)، وأجروا في الرَّسم على الخُطْبة والسِّكَّة لصاحب مِصر، [ولم يغيِّر عليهم شيئاً](٤) وكتَبَ أتابك إلى الأفضل: إنَّ الفرنج نزلوا على صور وشارفوا أَخْذَها، وبَعَثَ أهلُها إليَّ يستنجدوا بي، وإنني أنجدتهم بنفسي ومالي ورجالي، وسألوني بعد ذلك إنفاذَ عسكرٍ إليهم، فبعثْتُ [إليهم](٤) رجالي، ومتى وصل إليها من مِصر من يَذُبُّ عنها سلَّمتُها إليه، فلا تهمل حالَ الأُسطول، وإنفاذ الغَلَّة والقُوة(٥).

وجاء بغدوين إلى عكا، فبلغه الخبر، فتوقف، وفاتَ غرضه، ولما فاتَ غرضُه شَرَعَ في الغارات على حوران، والسَّواد، وكَثُرَ فسادُه، فكتَبَ أتابك إلى مودود [صاحب المَوْصِل](٤) يخبره ويطلُبُ نجدتَه، وكانا قد اتفقا وتصادقا، [وتحابا محبَّةً عظيمة](٤)، فسار مودود بعساكره، فقَطَعَ الفرات، وخَرَجَ إليه أتابك، فالتقيا على سَلَمْية، واتَّفق رأيُهما على قَصدِ بغدوين، وساروا من حِمْص بعساكر الشَّرق وحمص،

(١) في (ع) عليهم في ثاني مرة، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) نفوسهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

وحماة ودمشق وأعمالها، وجازوا على البِقاع، فنزلوا الغَوْر على [القحاوين][(١)]، وجمَعَ بغدوين، ونَزَلَ على جسر الصَّنَّبْرَة[(٢)]، فتقَدَّم بعضُ الغِلْمان، وقطَعَ الجسر للعلوفة، فالتقوا الفرنج، ونَشَبَ القتال، وجاء أتابك، وقطع الجِسْر، واقتتلوا، فانهزم الفرنج، وقتِلَ منهم نحو ألفي فارس من الشُّجعان والأبطال، وغَنِموا أثقالَهم، وأُفلت بغدوين بعدما قُبِضَ وأُخذ سلاحه، وغَرِقَ أكثرهم في البحيرة بحيث صارت دماً، وامتنع النَّاس من الشُّرب منها أياماً [حتى صفت][(٣)].

وبعث أتابك ومودود إلى السُّلْطان محمد يخبرانه بهذا الفتح، وبعثا بالأسارى والهدايا، ورؤوس الفرنج وخيولهم وسلاحهم[(٤)].

ثم أغار المسلمون على الضِّياع التي بين القُدْس وعكا، وأخربوا ونهبوا وقتلوا، وعادوا إلى دمشق، فنزل مودود في حُجْرة الميدان الأخضر، وبذل أتابك المجهود في خدمته [وكل ما يقدر عليه][(٥)]، وخدمه بنفسه، وواصلا الصَّلاة في جامع دمشق، والتبرُّك بنظر المُصحَف.

قال [أبو يعلى][(٥)] ابن القلانسي: وهذا المُصحف حمله عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة إلى طبرية، وحمله أتابك طُغْتِكين من طبرية إلى دمشق[(٦)].

[فصل وفيها توفي

أحمد بن الفرج بن عمر[(٧)]

أبو نصر الدِّينوري، والدُ شُهْدة بنت أحمد الكاتبة، شيخة شيوخنا.

---

(١) في (ع): النجادين، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب) و(م)، والمراد به الأقحوانة كما جاء مصرحاً به عند ابن القلانسي وابن الأثير، والأقحوانة موضع على شاطئ بحيرة طبرية. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٢٣٤.

(٢) الصنبرة: موضع بالأردن مقابل لقصبة أفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. «معجم البلدان»: ٣/ ٤٢٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (م)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٢٩٣ ـ ٢٩٥، و«الكامل» ١٠/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٦.

(٥) ما بين حاصرتين من (م).

(٦) «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٧) له ترجمة في «الأنساب»: ١/ ١١٨، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٢، و«الكامل»: ١٠/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٧٨، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

كان زاهداً عابداً، حسَنَ السِّيرة، وكانت وفاتُهُ في جُمادى الأولى، ودفن بباب أبرز.

سَمِعَ القاضي أبا يعلى، وابن المأمون، وابن المهتدي، وابن النَّقُّور، وابن المُسْلمة، والخطيب، وغيرهم. وروى عنه جماعةٌ، منهم ابنته شُهدة، وكان صدوقاً ثِقَةً.

وفيها توفي

محمد بن محمد بن أيوب(١)

أبو محمد القَطَواني السَّمَرْقَنْدي، وقَطَوان على خمسة فراسخ من سمرقند.

سافر الكثير، ولقي الشيوخ، وكان يعظ، وله القَبُول التَّام بين الخواص والعوام، وكان يلقى الملوك بالأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر من غير محاباة، سَقَطَ من الفرس، فتوفِّي في رجب، سَمِعَ أصحاب الأصم وغيرهم، وكان ثِقَةً.

وفيها توفي

اللَّامِشِي الحَنَفي(٢)

أبو عبد الله، واسمه](٣) محمد بن موسى بن عبد الله اللَّامِشِي التركي، مصنف أصول الفِقه على مذهب أبي حنيفة، كان إماماً فاضلاً عارفاً بفنون القضاء والعلوم، [وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال:](٣) وَلِيَ القضاءَ بالبيت المُقَدَّس مدَّةً، فَشُكِيَ إلى واليها سُكْمان بن أُرْتُق، فعزله، فنَزَلَ دمشق، فولاه تاجُ الدَّوْلة القضاء بها، وكان غالياً

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٠/ ١٩٨، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٢ ـ ١٧٣، و«معجم البلدان»: ٤/ ٣٧٥، و«اللباب»: ٣/ ٤٧، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٣١٩، و«طبقات المفسرين» للداودي: ٢/ ٢٣٤، و«الفوائد البهية»: ١٨٦.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٣٦ ـ ٣٧، و«معجم البلدان»: ١/ ٤٧٦، و«اللباب»: ١/ ١٩٤، و«ميزان الاعتدال»: ٤/ ٥١ ـ ٥٢، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ٨٧ ـ ٨٨، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦، و«لسان الميزان»: ٥/ ٤٠٢، و«تاج التراجم»: ٢٠٢ ـ ٢٠٣، و«قضاة دمشق» للنعيمي: ٤٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

في مذهب أبي حنيفة، وأراد أن ينقل محرابَ الشَّافعية من [جامع][١] دمشق إلى الحنفية، فثار العوام، وصَلُّوا بدار الخيل، موضع المدرسة الأمينية اليوم، فلم يلتفت، وجعل الإمامة للحنفية، [وهو أول من فعل ذلك][٢]، ورتَّبَ الإقامة مثنى مثنى[٣].

وبقي الأمر على حاله إلى سنة سبعين وخمس مئة، فلما ملك صلاحُ الدين يوسف ابنُ أيوب ـ رحمه الله ـ أعاد المحراب إلى الشَّافعية. [وقال ابن عساكر:][٢] وكان اللامشي يقول: لو كان إليَّ أمرٌ لأخذتُ [الجِزْية][٢] من الشَّافعية. [قلت: إنْ ثَبَتْ عنه هذا فقد أخطأ، ولعلَّهم شنَّعُوا عليه][٢]. وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة ثالث عشرة جُمادى الآخرة [قال ابن عساكر: شهدتُ جِنازَتَه وأنا صغير، قال:][٢] ولم تكن سيرته في القضاء محمودة، [سمع ببغداد القاضي أبا عبد الله بن الدَّامغَاني ـ وعليه تفقَّه ـ وأبا الفَضْل بن خَيْرون وغيرهما، وروى عنه أبو محمد بن صابر، وأبو البركات بن عبد شيخُ ابنِ عساكر][٤].

[قلتُ: وفي الفُقَهاء آخر يقال له اللامشي اسمه الحسن بن علي، نذكره في سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة[٥]] [٦].

المُعَمَّر بنُ عليّ بنِ المُعَمَّر[٧]

أبو سَعد بن أبي عِمامة، البغدادي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٣٦.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، ثم ذكر فيهما قول ابن عساكر: ولي القضاء بالبيت المقدس إلى قوله: وكان غالياً في مذهب أبي حنيفة. قلت: وقد سلف، فأغنى عن إثباته هنا.

(٥) لم ترد ترجمته في نسخنا الخطية، وهذا يؤكد ما ذهبتُ إليه من أن ما بين أيدينا من مرآة الزمان هو مختصره.

(٦) جاء عقب هذا في (م) و(ش)، وفيها توفي هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاوس المقرئ الشافعي، إمام جامع دمشق، سمع الحديث الكثير، وأم بالناس مدة طويلة، وتوفي بدمشق، سمع أباه والشيوخ بمصر مع أبيه ونصر المقدسي وغيره، وكان ثقة صدوقاً.

قلت: وورود الترجمة هذه في وفيات سنة (٥٠٦هـ) خطأ، إذ إن وفاته على الصحيح هي سنة (٥٣٦هـ)، وسترد ترجمته في وفياتها.

(٧) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٧٣ ـ ١٧٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٤٥١ ـ ٤٥٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة تسعٍ وعشرين وأربع مئة. وسَمِعَ الحديث وَوَعظَ، وجُمهورُ وَعْظِهِ حكاياتُ السَّلَف، وكان له خاطرٌ حاد وذِهن حاضر، ومجونٌ سائر، وكان يحاضر المستظهر.

ولما دخل السُّلْطان ملك شاه بغداد ومعه نِظامُ المُلْك، قام ابنُ أبي عِمامة في الجامع بحيثُ يسمع النِّظام، وقال: الحمد لله وليِّ الإنْعام، وصلَّى الله على مَنْ هو للأنبياء خِتام، وعلى آله سُرُجِ الظَّلام، وعلى [أصحابه][1] الغُرِّ الكِرام، والسَّلام على صَدْرِ الإسلام، ورَضِيِّ الإمام، زَيَّنَه الله بالتَّقوى، وخَتَمَ عملَه بالحُسنى. وجَمَعَ له بين خَيْري الآخرة والدُّنيا.

يا صدرَ الإسلام، معلومٌ أنَّ مَن هو أَمير فهو في الحقيقة أجير، قد باع زمنه [و][2] أخذَ ثمنه، فلم يبقَ له من نهاره ما يتصرف فيه على حسب إيثاره واختياره، وليس له أن يُصَلِّيَ نافلة، ولا يَدخُل مُعتَكَفاً دون التَّبَتُّلِ لتدبيرهم، والنَّظَرِ في أمورهم، لأنَّ ذلك فَضلٌ، وهذا فَرضٌ.

يا صدرَ الإسلام، استأجرك جلالُ الدَّوْلة بالأُجرة [الوافرة][3]، لتنوبَ عنه في الدُّنيا والآخرة، فأمَّا في الدُّنيا ففي مصالح المُسْلمين، وأما في الآخرة فلتجيب عنه رَبَّ العالمين، فإنَّه [سيوقفه][4] بين يديه، ويقول له: ملَّكتُك البلادَ والعِباد، فما صنعتَ في إقامة البَذْلِ وإفاضة العدل؟ فلعلَّه يقول: يا ربِّ اخترتُ رجلاً عاقلاً، حازماً فاضلاً، وسمَّيتُه نظامَ المُلْك، وبَسَطتُ يدَه في السَّيفِ والقلم، ومكَّنْتُه من الدِّينار والدِّرهم، فسَلْه يا رب ماذا صنعَ في عبادِك وبلادك؟ أفتُحْسِنُ أنْ تقول في الجواب: نَعَمْ، تَقَلَّدْتُ أمورَ البلاد، ومَلَكْتُ أزِمَّةَ العِباد، فبَثَثْتُ النَّوال، وأعْطيتُ الإفضال، حتى إذا قَرُبْتُ من لقائك ودَنَوتُ من تلقائك اتخذتُ الأبوابَ والحُجَّاب، ليصدُّوا عني القاصد، ويردُّوا عني الوافد.

---

(١) في النسخ الخطية: وعلى آله، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم».

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ع): الوافية، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ع) و(ب): فإنه سيوقفك سلطانك بين يديه، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ٩/ ١٧٣.

فاعْمُرْ قبرَك كما قد عَمَرْتَ قَصرك، وانتهزِ الفُرصَةَ ما دام الدَّهْرُ يقبلُ[1] أمرك، ولا تعتذر فما ثَمَّ مَنْ يَقْبَلُ عُذرَك. هذا ملكُ الهِند وهو عابدُ صنمٍ، ذَهَبَ سَمعُه، فدخل عليه أهلُ مملكته يعزُّونه في سَمعِهِ، فقال: والله ما حُزْني لذهابِ هذه الجارحة، ولكن لصوتِ المظلوم كيف لا أسمَعُه فأغيثُه. ثُمَّ قال: إنْ كان ذهب سَمعي فما ذهَبَ بَصري. ثم نادى في مملكته: لا يَلبَسُ ثوباً أحمر إلا متظلِّم.

ولما دخل رسولُ ملك الرُّوم على كِسرى أنوشروان، قال له: قد أقْدَرْتَ عدوَّك عليكَ بتسهيل الوصولِ إليك. فقال: إنَّما أجلس هذا المجلس لأكشف ظُلامةً وأقضي حاجة.

وأنتَ يا صَدرَ الإسلامِ أحَقُّ بهذه المأْثَرَة، وأَولى بهذه المَعدَلة، وأحرى من أعدَّ جواباً لتلك المسألة، فإنَّ الله الذي تكاد السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ منه في موقفٍ ما فيه إلا خاشعٌ أو خاضع أو مُقنِع[2]، ينخلعُ فيه القَلْبُ، ويحكم فيه الرَّبُّ، ويَعظُمُ فيه الكَرْبُ، ويَشِيبُ الصَّغير، [ويعزل][3] الملكُ والوزير، يومَ ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣] ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ [آل عمران: ٣٠] فقد مَحَضتُ لك النَّصيحة مع براءتي من التُّهَمة، فليس لي في الأرض ضَيعة، ولا بيني وبين أحدٍ حُكُومة، ولا بي - بحمد الله - فَقْرٌ ولا فاقة.

فلما سَمِعَ نظامُ الملك الموعظة بكى بكاءً طويلاً، وأمَرَ له بمئة دينار، فأبى أن يأخذها. وقال: أنا في ضيافةِ أَمير المؤمنين، ومَنْ كان في ضيافته يَقْبُحُ به أن يأخذَ عطاءَ غيرِه. فقال له: فُضَّها على الفقراء. فقال: الفقراءُ ببابك أكثر منهم على بابي. ولم يأخذ شيئاً.

---

(١) في (ب) يقيل.

(٢) المقنع: الذي يرفع رأسه ينظر في ذل. «معجم متن اللغة»: ٤/ ٦٦٢.
قلت: وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

(٣) في (ع) و(ب) يقل، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم».

وكانت وفاتُه في ربيع الأول، ودُفِنَ بباب حَرْب، وكان ثِقَةً[١].

السنة السابعة وخمس مئة

فيها استوزر المستظهر أبا منصور الحسين بن الوزير أبي شجاع، وخَلَعَ عليه خِلَع الوِزارة وأوصله إليه. وولَّى محمدُ شاه بِهْرُوزَ الخادم شِحنكية بغداد، فقامتِ الهيبة[٢].

[وفيها استشهد الأمير مودود بجامع دمشق، وسنذكره][٣].

وفيها عاد جواب الأفضل إلى طُغْتِكين يتضمَّنُ الشكر له في حديثِ صور، ويقول: إنَّ هذا الأمر وقعَ مِنا أجملَ موقع وأحسنَ مَوْضع. وبعَثَ الأُسطول فيه المِيْرَةُ، ومالُ النَّفقة للعساكر والغَلَّات، وكان مقدَّمُهُ شرفَ الدَّوْلة بدرَ بنَ أبي الطَّيِّب الدِّمشقي الوالي ـ كان ـ بطرابُلُس عند تَملُّك الفرنج لها، فَرَخُصَتِ الأسعارُ، واستقامتِ الأمور، [وزال طمع الفرنج عن صور][٣]، وكان معه خِلَعٌ فاخرة من صاحب مِصر لطُغْتِكِين، وولدِهِ تاج الملوك بُوري، ولخواصِّه، ولمسعود والي صور[٤].

وراسل بغدوين مسعودَ يسأله الموادعة [والمسالمة ليحسم أسباب الأذى من الجانبين][٣] فأجابه [إلى ذلك][٣]، وانعقد الأمر بينهما على السَّداد، [وصُلْح الفئتين][٣]، واستقامتِ الأمور، وأمِنَتِ السُّبُل، ودَبَّ التُّجَّار من جميع الأقطار.

وكان ابنُ السُّلْطان تُكُش بن ألب أرسلان قد هَرَبَ من محمد شاه إلى الشَّام، فلم يقبله رِضوان [صاحب حلب][٣] ولا [أتابك][٣] طُغْتِكِين، فتوجَّه إلى مِصر، فلقي من الأفضل ما أَحَبَّ من الإحسان والإكرام، فأقامَ عنده[٥].

---

(١) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٥، و«الكامل» ١٠/ ٤٩٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق»، لابن القلانسي: ٣٠٠-٣٠١.

(٥) كان ابن تكش قد توجه أولاً إلى طنكري صاحب أنطاكية، ثم بعد وفاته توجه إلى مصر، انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٢، ٣٠١.

[وفيها توفي رضوان صاحب حلب، وسنذكره][(١)].

وفيها عامَلَ جماعةٌ من الباطنية من أهل فامية ومعرَّة النُّعمان، ومَعَرَّة مَصرين على حِصن شَيْزَر في فِصحِ النَّصارى، فَوَثَبَ فيه مئة راجل على حين غَفْلةٍ من أهله، فملكوا الحِصن وأخرجوهم منه، وأغلقوا أبوابه.

وكان بنو مُنْقِذ قد خَرَجوا لمشاهدة عيد النَّصارى، وبلغهم الأمر، فجاؤوا ـ [وكانوا قد أحسنوا إلى هؤلاء الذين وثبوا، وإنما رتَّبوا ذلك في المدة الطويلة][(١)] ـ ودلَّى الحُرَمُ الحبالَ من القَلْعة، واستقوا الرِّجال، وفتحوا [الأبواب][(٢)]، وصَعِد الأُمراء بنو مُنقِذ فقاتلوهم فذلُّوا، فقتلوهم عن آخرهم، وقتَلُوا كلَّ مَنْ كان على رأيهم في البَلَدِ من الباطنية، ووقع الاحتراز في مِثْل ذلك.

وقيل: إنَّ بني منقذ كانوا يخرجون إلى الصَّيْد، فقالت الباطنية: الصَّوابُ أن يتخاصَمَ مِنا اثنان، ونَصعد إلى القلعة ولنا بها جماعة، فلما صَعدا فَطِنَ النّاس، فَغَلَّقوا الأبواب وقتلوهم، ثم احترزَ بنو منقذ فما كان يغيب واحدٌ إلا ويحضُر آخر[(٣)].

وحجَّ بالنَّاس زَنْكي أخو البُرْسُقي[(٤)].

وفي ذي الحِجة جَهَّزَ السُّلْطان محمد شاه ولده مسعود إلى الشَّام لقتال الفرنج، وكَتَبَ إلى ملوك الأطراف، ثم عَرَضَ أمرٌ مَنَعَ من ذلك.

وفيها توفي

إسماعيل بن أحمد بن الحسين[(٥)]

ابن علي بن موسى، أبو علي البيهقي، ووالده[(٦)] الإمام أبو بكر أحمد صاحب التَّصانيف.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (ع) و(ب) الباب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٥.

(٥) له ترجمة في «التحبير» للسمعاني: ١/ ٨٣ ـ ٨٥، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٥ ـ ١٧٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) في (ع) و(ب): وولده، وهو تصحيف، والصواب ما هو مثبت من «المنتظم»: ٩/ ١٧٥، وقد سلفت ترجمة والده أبي بكر في وفيات سنة (٤٥٨هـ).

ولد إسماعيل سنة ثمانٍ وعشرين وأربع مئة، وسافر الكثير، ولقي الشُّيوخ، وسكن خُوارَزْم قريباً من عشرين سنة، ودرَّس بها، ثم مضى إلى بَلْخ، فأقام بها مُدَّة، وَوَرَدَ بغداد، وورد نَيسابور في هذه السنة، ثُمَّ خرج إلى بيهق فتوفِّي بها، وكان إماماً فاضلاً حَسَنَ الطَّريقة، صدوقاً، ثِقَةً[١].

[فصل وفيها توفي][٢]

رِضْوان بنُ تاج الدَّوْلة تُتُش

صاحب حلب، ويلقب بفخر الملك [وقد ذكرنا سيرته في السنين][٢]، وكان ملكه بحلب سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة بعد قتل أبيه، وكان المستولي على أمره جناح الدولة حسين، ففارقه، وكان رضوان غير محمود السِّيرة، وهو أول من بنى بحلب دار الدعوة وقتل أخَوَيه: أبا طالب، وبَهْرام [ابني تاج الدولة تُتُش][٣]، وقتل خواصَّ أبيه واحداً بعد واحدٍ.

وكان ظالماً، بخيلاً شحيحاً، قبيح السيرة، ليس في قلبه رحمة ولا شفقة على المسلمين، وكانتِ الفرنجُ تغار[٤] وتسبي، وتأخذ من باب حلب ولا يخرج إليهم، ومَرِضَ أمراضاً مُزْمنة، ورأى العِبَرَ في نفسه، وتوفي في الثامن والعشرين من جُمادى الآخرة.

وترك [ولداً صغيراً اسمه][٥] ألب أرسلان وعمره ست عَشَرَة سنة، وكان أخرسَ في كفالةِ لؤلؤ الخادم، [والغالبُ على ملك حلب مِثْل هذا؛ أن يموتَ صاحِبُها ويتولَّى أمرَ

---

(١) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وقد سلفت أخباره في أثناء هذا الجزء، وانظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٦/ ٢٥٧، و«بغية الطلب» لابن العديم: ٨/ ٣٦٥٩ ـ ٣٦٦٧، و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٣١٥ ـ ٣١٦، وانظر ترجمة ابنه ألب أرسلان في «تاريخ ابن عساكر» ٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١، و«بغية الطلب» ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) كذا في (ع) و(ب) و(م): ولم أر من استعمل هذا الفعل، وصوابه تغير.

(٥) في (ع) و(ب): وترك ولده ألب أرسلان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

ولدِهِ الصغير بعضُ مماليكه من زمنِ سيف الدولة إلى هلم جرا. وكان رضوان قد بنى دار الدَّعوة، وأطمعهم في حلب، فلما ماتَ أشار البديعُ رئيسُ حلب على لؤلؤ والصبي بقتلِ كل مَنْ في حلب منهم، وأغلق][١] باب دار الدَّعوة، فخاف لؤلؤ والصبي، وجَسَرَ عليهم البديع، فَقَتَلَ منهم خَلقاً كثيراً، فخافَ الصبيُّ، فسارَ في خواصِّه [وغِلْمانه][٢] إلى دمشق، فأكرمه طُغْتِكِين، وأجلسه على تَخْتِ عمِّه دُقاق بقلعة دمشق، وأقام عنده مُدَّة، فأحسنَ ضيافته، وقدَّم له ألطافاً كثيرة، وسأل طُغْتِكين أن يمضي معه إلى حلب [ليدبِّر][٣] أموره. فمضى معه، ودبَّر أموره، وعاد إلى دمشق، فكثُرَ فسادُ الصَّبيِّ، ودَسَّ إلى أخويه مَن قَتَلَهما بعدما حَبَسَهما، وأساء السِّيرة، [وأفسد][٢] واغتال النَّاس يقتلهم[٤]، فاستوحشَ منه لؤلؤ، وخاف أن يقتلَه، فامتنع من الاجتماع معه[٥].

[وقد ذكره أبو يعلى ابن القلانسي، فقال: وفي سنة سبع وخمس مئة في جمادى الآخرة وردت الأخبار بمرضٍ عَرَضَ لرضوان صاحبها][٦] ومات في التاريخ المذكور، [وقال:][٢] وخلَّف في خزانته من العين والعَرُوض والأواني ما تقديره ست مئة ألف دينار، وتقرَّر الأمرُ بعده لولده ألب أرسلان [وعمره ست عشرة سنة][٧] وفي كلامه حُبْسة وتمتمة، وأمه بنت الأمير يغي سغان، صاحب أنطاكية، فقبض على جماعةٍ من خواصِّ أبيه، فَقَتَلَ بعضاً، وأخذ مالَ بعض، ودبر الأمرَ معه خادمُ أبيه لؤلؤ، فأساء كلُّ واحدٍ منهما التَّدبير، وقبَضَ على أخويه مَلِك شاه من أُمِّه وأبيه، ومبارك من جاريةٍ، وقتَلَهما.

(١) في (ع) و(ب): وكان أخرس في كفالة لؤلؤ الخادم، فأشار البديع رئيس حلب بقتل الباطنية وغَلْقِ باب دار الدعوة، وما بين حاصرتين من (م).
(٢) ما بين حاصرتين من (م).
(٣) في (ع) و(ب): يدبر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).
(٤) في (م) و(ش): فقتلهم.
(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٦) في (ع) و(ب): وقال ابن القلانسي: عرض لرضوان مرض، ومات في التاريخ المذكور، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وقد كان أبوه رضوان في مبدأ أمره فَعَلَ مِثْلَ فِعْله؛ قَتَلَ إخوته من تاج الدولة أبا طالب وبَهْرام شاه، وكانا على غاية من حُسْنِ الصُّورة، قال: فَفَعَلَ ولدُه بولديه مكافأةً عما فعل في إخوته][١].

وكان أمر الباطنية قد قوي بحلب، [واشتدَّت شوكته، وخاف البديع رئيس الأحداث بحلب، وأعيان البلد منهم][١]، وكان الحكيم المنجم [و][١] أبو طاهر الصَّائغ أوَّل مَنْ أظهر هذا المذهب بالشَّام في أيام رضوان، فمال إليهم خَلْقٌ كثير، من جبلِ السُّمَّاق وسَرْمِيْن[٢] والـمَعَرَّة وتلك النَّواحي، فقرر البديعُ رئيسُ الأحداث بحلب مع ألب أرسلان الإيقاع بهم، فَقَبَضَ على أبي طاهر الصَّائغ، ومَنْ دَخَلَ معه، وهم زُهاءُ مئتي نفس، وقتَلَ في الحال أبا طاهر [الصائغ][١] وإسماعيل الداعي، وأخا الحكيم المنجم وأعيانهم، وحَبَسَ بعضهم، واستصفيتْ أموالُهم، ومنهم من رُمي من أعلى القلعة، ومنهم من خُنِقَ وقتل، وهرب بعضُهم إلى الفرنج، وتفرَّقوا في البلاد، وَدَعَتْ ألب أرسلان الحاجةُ إلى من يدبره، فراسل طُغْتِكين فلم يُجِبْه، فَخَرَجَ بنفسه إلى دمشق في رمضان، فخدمه أتابك، [وقام في خدمته على ما ذكرنا][١]، وسار معه إلى حلب، فأقام يُدَبِّر أموره، فحبس الصَّبيُّ جماعةً من أصحابه منهم وزيرُ أبيه الفَضْل بن الموصول ـ وكان محمود السِّيرة مشهوراً بفعل الخير ـ وقبض أعيانَ عسكر أبيه، فحين رأى أتابك أموره على غير السَّداد، [وبان له اختلال التدبير وفسَاد الحال][١]، عاد إلى دمشق ومعه والدة [الملك رضوان بسؤالها ورغبتها في ذلك][٣].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)

(٢) جبل السماق: هو جبل من أعمال حلب الغربية، وسرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ١٠٢، ٣/ ٢١٥.

(٣) في (ع) و(ب): ومعه والدة رضوان بسؤالها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠١ ـ ٣٠٣.

شُجاع بنُ أبي شجاع فارس بن الحسين(١)

أبو غالب الذُّهْلي.

ولد في رمضان سنةَ ثلاثين، وسَمِعَ الحديث الكثير، وكان مفيدَ أهلِ بغداد والمرجوع إليه في سماع الشيوخ، وتوفي في جمادى الأولى، ودُفِنَ ببابِ حَرْب، وكان ثِقَةً، مأموناً، ثَبْتاً، عارفاً بالحديث، ويورِّق للنَّاس.

قال عبد الوهَّاب الأنْمَاطي: دخلتُ عليه، فقال: توِّبني. فقلتُ: من أيِّ شيء؟ قال: كتبتُ شِعْرَ ابنِ الحَجَّاج(٢) سبعَ مرَّاتٍ.

محمد بن أحمد بن الحسين(٣)

أبو بكر الشَّاشي، الفقيه الشَّافعي.

ولد سنةَ سبعٍ وعشرين(٤)، وأربع مئة، وتفقَّه على جماعةٍ، وقرأ على ابن الصَّباغ كتابه «الشَّامل»، ودَرَّس بالنِّظامية، وتوفي في شوال، ودُفِنَ عند أبي إسحاق الشِّيرازي.

وكان ينشد: [من الوافر]

تَعَلَّمْ يا فتى والعُوْدُ رَطْبٌ   وَطِيْنُكَ لَيِّنٌ والطَّبْعُ قابِلْ
فَحَسْبُك يا فتى شَرَفاً وفَخْراً   سكُوتُ الحاضرينَ وأنتَ قائِلْ

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ١٩٨، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٦، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٥٠٠، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١١ ـ ١٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ابن الحجاج: هو حسين بن أحمد بن محمد البغدادي، شاعر ماجن، توفي سنة (٣٩١هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها.

(٣) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٩، و«الكامل»: ١٠/ ٥٠٠، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٨٣ ـ ٢٩٢.

(٤) كذا في (ب) و(ع)، و«المنتظم»، و«الكامل»، وعند ابن خلكان والذهبي وغيرهما سنة تسع وعشرين، وهو الصواب، يؤيده ما نص عليه ابن عبد الهادي في «طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٣، ذلك أنه قال: توفي وله ثمانٍ وسبعون سنة.

محمد بن أحمد بن محمد(١)

أبو المُظَفَّر الأَبِيْوَرْدِي، [من](٢) ولد معاوية بن محمد بن عثمان ابن عُتْبة ابن عَنْبَسَة ابن أبي سُفْيان صَخر بنِ حرب(٣).

كان عالماً بالأنساب وفنون اللغة والآداب، وسَمِعَ الحديث، ورواه، وصنف «تاريخ أَبِيْوَرْد» و«المختلف والمؤتلف في أنساب العرب»، وغير ذلك.

وكان له الشِّعْر الرَّائق، [غير أنه](٤) كان فيه كِبْرٌ وتِيْه [عظيمان](٤) بحيث إنه كان إذا صلَّى يقول: اللهم مَلِّكْني مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها.

وكتب [مرَّةً](٤) قصَّةً إلى الخليفة، وعلى رأسها: الخادمُ المعاوي؛ يريد معاوية بن محمد بن عثمان، [فكره الخليفةُ النِّسبةَ إلى معاوية، وأمرَ بقشط](٥) الميم وردَّ القِصَّة، فبقيت: الخادم العاوي.

وتوفي بأصبهان، وكان ثِقَةً، ومن شِعْره: [من الطويل]

تــنــكَّــرَ لــي دَهْــرِي ولــم يَــدْرِ أَنَّــنــي ... أَعِــزُّ وأحــداثُ الــزَّمــانِ تَــهُــونُ
وظَلَّ يُريني الخَطْبَ كيفَ اعتداؤه ... وبِتُّ أُرِيْهِ الصَّبر كيفَ يكُونُ(٦)

---

(١) له ترجمة في «الأنساب المتفقة»: ١٥١ ـ ١٥٢، و«الأنساب»: ١١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٦، و«معجم الأدباء»: ١٧/ ٢٣٤ ـ ٢٦٦، و«معجم البلدان»: ١/ ٨٦، و«الكامل»: ١٠/ ٥٠٠، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٤٩ ـ ٥٢، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٨٣ ـ ٢٩٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).
(٣) انظر نسبه في «الأنساب المتفقة» لابن طاهر القيسراني: ١٥١.
(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
وقد طبع ديوانه بتحقيق الدكتور عمر الأسعد ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ثم أعادت نشره مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٧، وهو صاحب القصيدة التي يقال إنه رثى بها القدس حين استولى الفرنج عليها سنة (٤٩٢هـ)، ومطلعها:

مـزجـنـا دمـاء بـالـدمـوع الـسـواجـم ... فـلـم يـبـق مـنـا عـرضـة لـلـمـراحـمِ

وهي في «ديوانه»: ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧.
(٥) في (ع) و(ب) بن عثمان، فأمر الخليفة بقشط الميم، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٦) «ديوان الأبيوردي»: ٢/ ٥٥.

[سمع إسماعيل بن مسعدة، وأبا بكر بن خلف، وأبا محمد السَّمَرْقندي، وأبا الفَضْل بن خيرون، وغيرهم][١].

محمد بن طاهر بن علي بن أحمد[٢]

أبو الفَضْل المَقدِسي، الحافظ، [وذكره جدي في «المنتظم» وابن السمعاني في «الذيل»، والحافظ ابن عساكر.

فأما جدي، فقال:] ولد سنة ثمانٍ وأربعين وأربع مئة.

وأول ما سَمِعَ وكَتَبَ سنة سِتِّين، وسافَرَ، وسمع الكثير، وكان يحفظ الحديث، وله به مَعرِفة، وصنف فيه وفي غيره، إلا أنه كثير الوَهَم، وصنف كتاباً سمَّاه: «صفوة التصوف»، يضحك منه من [يراه][٣]، ويعجب من [استشهاده على مذاهب الصوفية بالأحاديث التي لا تناسب ما يحتج لمن نَصَره][٤]، وكان داوودي المذهب، فمن أثنى عليه فلحفظه الحديث، وإلا فالجرح أَوْلى به.

وقال محمد بن ناصر: لا يحتجُّ به، كان يذهب مَذاهبَ أهل الإباحة.

وذكره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الدَّقَّاق، فأساء الثَّناء عليه جداً، ونَسَبَه إلى أشياء، وكذلك أساء الثَّناء عليه الحافظُ إسماعيل بن أحمد الطَّلْحي، وكان سيئ الرَّأي فيه.

وقال أبو معمر بن أحمد الأنصاري: أنشدنا لنفسه: [من البسيط]

دَعِ التَّصَوُّفَ والزُّهْدَ الذي اشْتغلتْ ... بـه جـوارحُ أقـوامٍ مِـنَ الـنَّـاسِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وفيهما: وكانت وفاته بأصبهان، وكان ثقة. قلت: وقد سلف ذلك في سياق ترجمته، فأغنى عن تكراره، وانظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٥/ ٤٨١ ـ ٤٨٣، و«المنتظم» ٩/ ١٧٧ ـ ١٧٩، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٣ ـ ١٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٦١ ـ ٣٧١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ب) و(ع): رآه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ب) و(ع): ويعجب من استشهاداته بالأحاديث التي لا تناسب، وكان داوودي.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وَعُجْ على دَيْرِ[(١)] داريًّا فإنَّ به ... الرُّهبانَ ما بَيْنَ قِسِّيْسٍ وشَمَّاسِ
واشْرَبْ مُعَتَّقةً مِنْ كَفِّ كافِرَةٍ ... تسقيك خَمْرَيْنِ من لَحْظٍ ومن كاسِ
ثُمَّ اسْتَمِعْ رَنَّةَ الأَوْتارِ مِنْ رشأٍ ... مُهَفْهَفٍ طَرْفُهُ أمضى من الماسِ
غَنَّى بشِعْرِ امْرِئٍ في النَّاس مُشْتَهرٍ ... مُدَوَّنٍ عندهم في صَدْرِ قِرْطاسِ
لولا نسيمٌ بذِكْراكُمْ يُرَوِّحُني ... لكنتُ مُحتَرِقاً مِنْ حَرِّ أنفاسي

[وكانت[(٢)] وفاته في ربيع الأول، ودفن بمقبرة العقبة[(٣)] بالجانب الغربي عند رباط البِسْطامي، ولما احتضر جعل يردد هذا البيت: [من المتقارب]

وما كنتُمُ تعرفون[(٤)] الجَفَا ... فممن ترى قد تعلمتُمُ

هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»[(٥)] عن محمد بن طاهر.

وذكره الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»، فقال: كان ابنُ طاهر يُعْرَفُ بابنِ القَيْسَراني، طافَ الدُّنيا في طلب الحديث، وسمِعَ بالعراق والشَّام ومِصر وخُرَاسان والجبل، وقدِمَ دمشق في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة، فَسَمِعَ أبا القاسم بن أبي العلاء، وبمصر إبراهيم بن سعيد الحَبَّال، وأبا الحسن الخِلعي وغيرهم، وله مصنفاتٌ كثيرة إلا أنه كثير الوَهَم، وله شِعرٌ حسن مع أنه ما كان يُحْسِنُ النحو.

(١) في (ع) دار، والمثبت من (ب).
(٢) جاء في (ع) و(ب) في آخر الترجمة:
توفي ابن طاهر في ربيع الأول، ودفن بمقبرة العقبة بالجانب الغربي عند رباط البسطامي، ولما احتضر جعل يردد هذا البيت:
وما كنتمُ تعرفون الجفا ... فممن ترى قد تعلمتمُ
وكان يعرف بابن القيسراني، وطاف الدنيا في طلب الحديث، وسمع بالعراق والشام ومصر وخراسان والجبل، وقدم دمشق، وما كان يحسن النحو، وله شعر حسن.
قلت: وفي هذا تداخل بين ما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم»، وما ذكره ابن عساكر في «تاريخه»، وقد آثرت تقديم ما بين حاصرتين من (م) هنا لتستقيم الترجمة مع ما ورد في المصدرين اللذين ألمع إليهما سبط ابن الجوزي في صدر الترجمة، وليكون بناء الترجمة أقرب إلى ما كتبه السبط، وفي ذلك دليل أيضاً إلى أن ما بين أيدينا من مرآة الزمان هو المختصر منه.
(٣) كذا في النسخ الخطية ومطبوع «المنتظم»، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«وفيات الأعيان»: في المقبرة العتيقة، وهو الصواب.
(٤) في (م) تعلمون، والمثبت من (ع) و(ب).
(٥) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٧ ـ ١٧٩.

قال: وأنشدني أبو جعفر حَنْبل بن عليّ البخاري الصُّوفي، قال: أنشدنا أبو الفَضْل محمد بن طاهر لنفسه]: [من الطويل]

إلى كم أمَنِّي النَّفْسَ بالقُرْبِ واللِّقا ... بيومٍ إلى يومٍ وشَهْرٍ إلى شَهْرِ
وحتَّامَ لا أحظى بِوَصلِ أَحِبَّتي ... وأشكو إليهمْ ما لَقِيْتُ مِن الهَجْرِ
فلو كان قلبي مِنْ حديدٍ أذابَهُ ... فِراقُكُمُ أو كان مِنْ أصلَبِ الصَّخْرِ
ولما رأيتُ البَيْنَ يزدادُ والنَّوى ... تَمَثَّلْتُ بيتاً قِيْلَ في سالِفِ الدَّهْرِ
متى يستريحُ القَلْبُ والقلبُ مُتْعَبٌ ... ببَيْنٍ على بَيْنٍ وهَجْرٍ على هَجْرِ

[قال الحافظ: وأنشدنا أيضاً لابن طاهر][(١)]: [من المتقارب]

خَلَعْتُ العِذار بلا مِنَّةٍ ... على مَنْ خَلَعتُ عليه العِذارا
وأصبحتُ حيرانَ لا أرْتَجي ... جِناناً ولا أتَّقي فيه نارا

وقال [الحافظ][(٢)] ابنُ عساكر: سمِعْتُ أبا العلاء الحسن بن أحمد الهَمَذاني يقول: ابْتُلي محمدُ بنُ طاهر بهوى امرأةٍ من أهل الرسداق، وكانت تسكن قريةً على ستَّةِ فراسخَ مِنْ هَمَذَان، فكان كلُّ يوم يذهب إلى قريتها فيراها تَغْزِلُ في ضَوْءِ السِّراج، ثم يرجع إلى همذان، فكان يمشي في كلّ يومٍ وليلة اثني عَشَرَ فرسخاً[(٣)].

المُؤْتَمن بن أحمد بن علي[(٤)] بنِ الحسن[(٥)]

أبو نَصر السَّاجي، المَقْدِسي.

---

(١) في (ع) وقال أيضاً من شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٥/ ٤٨١ ـ ٤٨٣.
قلت: وجاء في (ع) و(ب) عقب هذا ما ذكرته في الحاشية رقم٢ من الصفحة السالفة.

(٤) له ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (خ) و(س): ١٧/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، و«المنتظم»: ٩/ ١٧٩ ـ ١٨٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٨ ـ ٢٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٠٨ ـ ٣١١، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(٥) كذا في النسخ الخطية و«المنتظم»، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة» و««طبقات علماء الحديث» و«السير»: الحسين، وهو الأشبه.

ولد سنة خمس وأربعين وأربع مئة. وسَمِعَ الحديث، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي، ورحل إلى أصبهان والشَّام وخُراسان والجبال، ومازال يسمع ويستفيد إلى أن مات ببغداد في صَفَر، ودُفِنَ بباب حَرْب.

وكان حافظاً، ثقة، صدوقاً، عارفاً بالحديث معرفةً جيدة[١]، حَسَنَ القراءة، صحيح النقل مع شَرَفِ نَفْسٍ، وقناعةٍ، وصبرٍ على الفقر[٢].

وكان الإمام أبو عبد الله الأنصاري إذا رآه يقول: لا يمكن أحد أَنْ يكذبَ على رسولِ الله ﷺ وهذا حيٌّ[٣].

[فصل: وفيها توفي

الأَمير مودود][٤] صاحب المَوْصِل

قد ذكرنا أنه جاء إلى الشَّام لمساعدة أتابك طُغْتِكِين، وكَسَرَ الفرنج، وعاد مع أتابك إلى دمشق، ونَزَلَ في المَيْدان الأخضر، وكان يدخُل كل جُمُعةٍ إلى دمشق، فيصلِّي بالجامع، ويتبرَّك بمُصحَف عثمان رضوان الله عليه، فدخل الجامع على عادتِهِ، ومعه أتابك، والغِلْمان حوله بالسُّيوف المُسَلَّلة، وأنواع السِّلاح، وأتابك بين يديه خدمةً له، فلما حَصَلا في صَحْنِ الجامع وَثَبَ رجلٌ من بين النَّاس لا يُؤبه له، ولا يُحْفَلُ به، فَقَرُبَ من مودود كأنَّه يدعو له ويتصدَّق منه، فلزم بَنْدَ قَبائه، وضَرَبَه بخنجر أسفلَ سُرَّته ضربتين إحداهما نَفَذَتْ إلى خاصرته، والأُخرى إلى فَخِذه، والسُّيوف تأخذه من كلِّ ناحية، وقطِعَ رأسُه ليعرف شخصه، فما عُرِفَ وأُحرق، وعدا أتابك خُطُوات وقتَ الكائنة، وأحاطَ به أصحابه، ورَجَعَ إلى مودود وهو يمشي، فتماسك ووقعَ عند الباب الشّمالي من الجامع، وحُمِلَ إلى دار أتابك، وخِيْط جُرْحُه، فعاشَ ساعاتٍ يسيرةً، ومات من يومه، فَقَلِقَ أتابك لوفاته على هذا الوَجْه، وحَزِنَ حُزْناً شديداً، وكذا سائر النّاس، ودُفِن بمشهدٍ داخل باب الفراديس، وشَرَعَ أصحابُه في العَوْدِ إلى المَوْصِل

---

(١) في (ع): له معرفة جيدة، والمثبت من (ب).

(٢) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٧/ ٢٥٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وغيرِها من البلاد، وأمر لهم أتابك بإطلاق ما يستدعونه لسفرهم، واستصحبوا معهم أموالَه وجواريَه، وأسبابه، ولم يزل مدفوناً حتى بعثتْ زوجتُه وولدُه من المَوْصِل في شهر رمضان مَنْ حَمَلَه في تابوتٍ إلى المَوْصِل، وشيَّعه أتابك إلى الثَّنيَّة[(١)].

وكان سأله أتابك يوم جُرِحَ أَنْ يُفْطر وكان صائماً، فلم يفعل، وقال: والله لا لَقِيْتُ الله إلا صائماً.

وكتَبَ بغدوين ملك الفرنج إلى طُغْتِكِين: إنَّ أمةً قتلَتْ عميدَها في يوم عيدها في بيتِ معبودها لحقيقٌ على الله أن يبيدَها[(٢)].

وقيل: إنَّ هذه الواقعة كانت سنة خمسٍ وخمس مئة، وذكر بعضُهم أَنَّ أتابك خافَ منه فوضَعَ عليه مَنْ قَتَلَه، وليس بصحيحٍ، فإنَّه كان أحَبَّ النَّاس له، وحَزِنَ عليه حُزْناً عظيماً، وشَقَّ ثوبه عليه، وجَلَسَ في عَزَائه سبعةَ أيام، وتصدَّق عنه بمالٍ جزيل.

وبلغ السُّلْطان [محمد شاه][(٣)] ما جرى، فأقطع المَوْصل والجزيرة لآق سُنْقُر البُرْسُقي، وأمره بتقديم عمادِ الدِّين زَنْكي [والد نور الدين محمود رحمة الله عليه][(٣)] والرجوع إلى إشارته لما ظَهَرَ منه من النَّهْضة والكفاية ويُمْنِ النَّقيبة[(٤)].

السَّنة الثَّامنة وخمس مئة

فيها كانت زلزلة عظيمة بالجزيرة، هَدَمَتْ مُعْظَمَ أسوار الرُّها وحَرَّان، ووقعتْ دورٌ كثيرة، وحرقتِ الفرات، فهدمت في بالس مئة دار، وقلبت بنصف القلعة، وخَسْف بسُمَيْساط وغيرها[(٥)].

---

(١) هي ثنية العُقاب: وهي في طريق القاصد من دمشق إلى حمص، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ٢٨٥، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) انظر «الباهر»: ١٩، و«الكامل»: ١٠/ ٤٩٧، و«كتاب الروضتين»: ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) وهم سبط ابن الجوزي في قوله: فأقطع الموصل والجزيرة لآق سنقر البرسقي، وقال نحو ذلك ابن الأثير في «الكامل» ١٠/ ٥٠١، أما في «الباهر»: ١٩ ـ ٢٤ فقد ذكر أن الذي ولاه السلطان الموصل بعد مقتل مودود هو جيوش بك، وسير معه ولده الملك مسعود، ثم إنه جهز آق سنقر في العساكر، وسيره إلى قتال الفرنج، وكتب إلى عساكر الموصل وغيرها يأمرهم بالمسير معه، فساروا وفيهم عماد الدين زنكي، ثم لما توفي السلطان محمد سنة (٥١١هـ)، وولي ابنه السلطان محمود ولَّى آق سنقر الموصل وأعمالها سنة (٥١٥هـ)، وأمره بحفظ عماد الدين زنكي، والوقوف عند إشارته، وانظر تفصيل ذلك أيضاً في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٠٦ ـ ١١٣ بتحقيقي.

(٥) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٨٠ ـ ١٨١.

وفيها واطأ لؤلؤ خادم [الملك][(١)] رضوان [بن تاج الدولة][(١)] على قَتْلِ ألب أرسلان [ابن رضوان][(١)] جماعةً، ففتكوا به في قلعة حلب، واضطربتِ الأمورُ بعده، وكان سيِّئ السّيرة مع عسكره ورعيته، [فلم يتأسفوا عليه، ولم][(١)] يحزنوا لفقده[(٢)].

وفيها نزل نجمُ الدِّين إيل غازي بن أُرْتُق على حِمْص، وفيها خيرخان بن قراجا، وكان عادةُ نجمِ الدِّين إذا شَرِبَ الخمر وتمكَّن منه أقام أياماً مخموراً، لا يُفيق لتدبيرٍ ولا يُستأمر في أمر، وعَرَفَ منه خيرخان هذه العادة، فتركه حتى سَكِرَ، وهَجَمَ عليه برجاله وهو في خيمته، وقبَضَ عليه، وحَمَلَه إلى قلعة حِمص، وعَرَفَ طُغْتِكِين، فشَقَّ عليه، وكاتَبَ خيرخان يوبِّخُه ويلومه ويأمره بإطلاقِهِ، وأقام أياماً ثم أطلقه[(٣)].

وفيها ماتَ بغدوين صاحبُ القُدْس بجرحٍ أصابه في الوقعة المتقدمة على طبرية، فأقاموا مَنِ اختاروه مِنْ أصحابه[(٤)].

وفيها كانت وقعةٌ عظيمة بالجزيرة والشَّام؛ لَمَّا ولَّى السُّلْطانُ البُرْسُقيَّ إمرةَ المَوْصِل والجزيرة[(٥)] أمره بجَمْعِ العساكر لجهاد الفرنج، فكتَبَ إلى أمراءِ الأطراف، فمنهم مَنْ جاء بنفسه، ومنهم من بَعَثَ عسكره، فبعث إيل غازي ابن أُرْتُق ولدَه بعسكرٍ ضعيفٍ، فلم يرضَ به البُرْسُقي، ونهب العَسْكر، وقبَضَ على ولده. وكان مسعود بن السُّلْطان محمد مع البُرْسُقي، وبلغ إيل غازي، فنزل من مارِدِين، والتقى البُرْسُقيَّ على الخابور، وكان البُرْسُقي أرجل ومعه خَلْقٌ كثير، ومع إيل غازي نَفَرٌ يسير إلا أنه كان شجاعاً، فحمل بنفسه فكَسَر البُرْسُقي، وقتَلَ مِنْ رجاله جماعةً، وبلغ محمد شاه فَغَضِبَ، وجهَّزَ عسكراً لقتال إيل غازي، وعَلِمَ إيل غازي، فسار إلى دمشق مستنجداً بطُغْتِكين، وكانا قد اتَّفقا؛ لأَنَّ طُغْتِكين خافَ مِنْ مجيء مسعود إلى الشَّام فتؤخذ دمشق منه، فاتَّفقا

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٤.

(٣) المصدر السالف: ٣٠٥.

(٤) تابع سبطُ ابن الجوزي ابنَ القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٥ في ذكر وفاته في هذه السنة، وقد وهما في ذلك، والصحيح أن وفاته كانت سنة (٥١٢هـ)، وهو ما ذكره ابن الأثير في «كامله»: ١٠/ ٥٤٣، وانظر «الحروب الصليبية» لوليم الصوري: ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٣٠ (ترجمة حسن حبشي) و«تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيمان: ٢/ ٢٢٩.

(٥) انظر حاشيتنا رقم٤ ص٧٥ من هذا الجزء.

وتحالفا، وعاد إيل غازي إلى مارِدين، ونزل في طريقه الرَّسْتن[1]، وقعد يشرب، وباتَ على حاله، وبلغ ابن قراجا، فسار إليه في اللَّيْل، وكَبَسَه وقتَ السَّحَر وهو نائمٌ سكران، فأطلعه إلى قلعة حمص هو وولدَه، وكتَبَ إلى السُّلْطان محمد يخبره، وأرسل مسعود بن السُّلْطان من الرَّقَّة يَطْلُبه.

وكان البُرْسُقي ومسعود قد نزلا الرَّقَّة ينتظران العساكر [فقال ابن قراجا: قد كاتبتُ فيه السُّلْطان][2] وأنا منتظرٌ جوابَهُ. وأبطأ الجوابُ عليه، فأرسل طُغْتِكين يتوعَّده، فأطلقه، وأخذَ ابنه رهينةً، وعاد إيل غازي إلى مارِدين، وعَبَرَ البُرْسُقي الفُرَات، ونزل على حلب، فنزل إليه لؤلؤ، وساروا بالعساكر إلى أنطاكية، فخرج إليهم طنكري في عددٍ يسير، فتأخروا إلى سَرْمِين، فتبعهم طنكري، والتقوا، وكان ابن قراجا قد أعطى ولد إيل غازي للبُرْسُقي، فَوَكَلَ به جماعةً، واشتغل بالقتال مع الفرنج، فكسره طنكري وهزمه، وقتَلَ طنكري ابنَ إيل غازي، وبلغ السُّلْطان، فقال: قد علمتُ أنَّ مصافّاً فيه البُرْسُقي لا يُفْلح. وردَّه إلى هَمَذَان.

وقيل: إنَّ السُّلْطان جَهَّز البُرْسُقي وابنَه منكلي صاحب همذان وأخاه زَنْكي، ودَفَعَ ولدَه مسعود إلى البُرْسُقي، وقال له: اقْصِدْ صاحبَ مارِدين، ثُمَّ طُغْتِكِين. وجَهَّزَ معه أعيانَ الأمراءِ، فسارَ في عشرة آلاف، فعيَّدوا عيد الأضحى على الرَّقَّة، وعبروا الفرات، وخلَّفوا إيل غازي وراءهم، وقالوا: إذا فَرَغنا من الشَّام رَجَعْنا إليه. فنزلوا الناعورة على فرسخين مِنْ حلب، وراسلوا لؤلؤاً، وطلبوا منه تسليم حلب، فقال: أمهلوني أياماً. ولمَّا قَطَعوا الفرات من بالِس، جاء إيل غازي فَقَطعها من النهر، ووصل دمشق، واتَّفق مع طُغْتِكِين، وساروا في ألفي فارس للقاء البُرْسُقي، فراسل منكلي بنُ البُرْسُقي طُغْتِكِين، وقبَّحَ عليه مخالفةَ السُّلْطان، وأشار عليه أن يكون مع الجماعة، فوعدهم بذلك، وساروا عن حلب إلى حماة، وبها ثَقَلُ طُغْتِكِين، فنهبوه.

وكان السُّلْطان قد وصَّاهم كلما فتحوا بلداً سلَّموه خيرخان بن قراجا، وكان بقلعة حماة نصر ولودان شاه ابنا علي الكُرْدي في طاعة طُغْتِكِين، فلم ينزلا إليهم، واستأذنهم

(١) الرستن: بلدة تقع شمالي مدينة حمص، وتبعد عنها ٢٠كم.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

خيرخان في المضي إلى حِمْص ليقيم لهم الضِّيافة، وسلَّم إليهم [ابن][(١)] إيل غازي، وكان إيل غازي قد اتفق مع طنكري ومع طُغْتِكين ومع صاحب طرابُلُس وملوكِ الفرنج على قتال أصحابِ السُّلْطان، واجتمع الكُلُّ على فامية، ونَزَلَ طُغْتِكين وإيل غازي في جبالها، والفرنج ناحية عنهم، فأقاموا شهرين وبينهم وبين عسكر السُّلْطان ثلاثة فراسخ، فضجروا، وعاد طُغْتِكين إلى دمشق خوفاً عليها، وعاد إيل غازي إلى مارِدِين، وعاد عسكر حلب إلى حلب.

وضَجِرَ عسكر السلطان، فرحلوا إلى كَفْرطاب، وكانت الفرنج [فيها][(٢)]، فقتلوا فيها ثلاثة آلاف، ثم وقع التخاذل، وقالوا: أيّ فائدة لنا كوننا كلَّما فتحنا بلداً سلَّمناه إلى خيرخان فتفرَّقوا، ورحل بعضُهم إلى بُزاعة، وبعضهم قطع الفرات، وسار مُعْظَمُهم إلى حلب، وطنكري مقيمٌ بجبال فامية لا يخطر للمسلمين ببال، فسار في خمس مئة فارس وألفي راجل طول الليل، وكَمَنَ في النَّهار، ثم [صبَّحهم][(٣)] في اليوم الثاني، فركب البُرْسُقي والعسكر، وقاتلوا ساعةً، ثُمَّ اندفعوا على حَمِيَّةٍ، فوقعتِ الفرنجُ في السُّوقة، ومَنْ تَخَلَّف من العسكر، فقتلوا ثلاثة آلاف، وقالوا: هؤلاء عِوَض مَن قُتِلَ بكفر طاب. ونهبوا أموال التُّجَّار وسَبَوْا الحريم، وكان أياز بن إيل غازي، قد وَكَلَ به البُرْسُقي، فقتلَه الموكل به وهرب.

وأضْرَمَ الفرنج في الصَّناديق والخيام النَّار، وأحرقوا[(٤)] ثلاثة آلاف أسير ما بين شاب، وشيخ وامرأة، وبعثوا بالأسارى إلى دمشق [وماردين وحلب.

وبلغ أتابك بدمشق، فعزَّ عليه ما جرى][(٢)]، وسار إلى رَفَنِيَّة بغتةً وهي للفرنج، فقتل أهلَها، وغَنِمَ أموالها، وأَسَرَ، وعاد إلى دمشق، فبعث برؤوسهم وخَيْلهم وأسلحتهم، وهدايا وألطافاً إلى الخليفة والسُّلْطان، واعتذر، فلم يُقبل عُذره، وكان بباب السُّلْطان من يَحْسُدُه، فكثَّروا عليه، فرأى أن يمضي بنفسه إلى بغداد، فسار، فأمر الخليفة

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في (ع) و(ب)، والسياق يقتضيه.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ع) أصبح، والمثبت ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (ع): وأحرقوا ثلاثة آلاف، وقال: هؤلاء عوض من قتل بكفرطاب، وقتلوا ثلاثة آلاف أسير. قلت: وفي العبارة تكرار، والمثبت من (ب).

والسُّلْطان الموكبيين وأرباب الدولتين بلقائه، فلم يتخلَّف عنه أحد، وأكرمه الخليفة والسلطان، وأقام ببغداد أياماً، واعتذر بالفرنج، فَخَلَعَ عليه الخليفةُ والسُّلْطان، وكتبا له منشوراً بالشَّام، فعاد إلى دمشق، وقد تبدَّلَتْ تلك الوَحْشة أُنساً. وقيل: إنما دَخَلَ بغداد سنة تسعٍ وخمس مئة(١).

وفيها توفي

الأمير أحمديل(٢)

صاحبُ مَرَاغة، كان في خِدْمته خمسةُ آلاف فارس، وإقطاعه أربع مئة ألف دينار، وكان شجاعاً جَوَاداً، ولما قَدِمَ طُغْتِكين بغداد كان يحضُر كلَّ يومٍ إلى دار السُّلْطان مع الأمراء إلى الخِدْمة، فبينا هو جالسٌ ذاتَ يوم في الدار، وإلى جانبه أحمديل الرَّوَّادي(٣) تقدَّم رجلٌ ومعه قِصَّة، فسأل أحمديل إيصالها إلى السُّلْطان، فمدَّ يده ليأخذها، فضربه بسِكِّين، فأخذه أحمديل وتركه تحته، وجاء آخر فَضَرَبَ أحمديل، وقال: شاباش(٤). كأنَّه استحسن فِعْل الأَوَّل، وجاء ثالث وصاح: شاباش، وضَرَبَه، وقتِلُوا، وظَنَّ الحاضرون أَنَّ المُراد طُغْتِكِين، وكان أحمديل قد أنكى في الباطنية [فَقُتِلَ](٥) وتفرَّق النّاس، وهذا إقدامٌ من الباطنية لم يُقدموا [على](٥) مِثله في دار السُّلْطان.

---

(١) وهو ما ذكره ابن القلانسي، وسيأتي ص٨٢ من هذا الجزء.

(٢) وهم سبط ابنُ الجوزي في ذكر وفاته في هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٠٨، وابن العماد في «شذرات الذهب»: ٤/ ٢١.
وذكر ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣١٥، وابن الجوزي في «المنتظم»: ٩/ ١٨٥، وابن الأثير في «كامله»: ١٠/ ٥١٦، وابن شاكر في «عيون التواريخ» (خ) ١٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ وفاته سنة (٥١٠هـ)، وهو الصواب.
واختلف فيه قول الذهبي، فذكر وفاته سنة (٥٠٨هـ) في «العبر»: ٢/ ١٥، وفي «دول الإسلام»: ٢/ ٣٦، وذكره في «تاريخ الإسلام» ١١/ ١٩ في سنة (٥٠٨هـ) وقال: وقيل بعد ذلك، فليحرر، ثم أعاد ذكره في حوادث سنة (٥١٠هـ)، وقال: الأصح أن أحمديل صاحب مراغة قتل في أول سنة عشر ببغداد بدار السلطنة. قلت: وهو ما اعتمده في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٨٣.

(٣) ذكر السمعاني هذه النسبة في كتاب «الأنساب»: ٦/ ١٧١، وقال: هذه النسبة إلى رواد، وهو اسم رجل من أجداد المنتسب إليه.

(٤) شاباش: كلمة فارسية معربة تقال في التهنئة والفرح. انظر «المعجم الذهبي»: ٣٦٠ ـ ٣٦١، و«معجم عطية»: ٩٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وعاد طغتكين إلى الرَّمْلة[١] غربي بغداد، فنزل في مخيَّمه، وبكى النَّاس على أحمديل، وأحرق غِلْمانُه رَحله وخيامه.

وطلب طُغْتِكين دُسْتوراً إلى دمشق، فأُعطي، فسار بالخِلَع ومراكب الذَّهب والفِضَّة، ووعده السُّلْطان أن يُنْفِذَ إليه عسكراً، وكتَبَ السُّلْطان إلى البُرْسُقي إلى هَمَذَان ليحضر، فحضر في عساكره، وسار إلى الشام، فتلقَّاه طُغْتِكين وأكرمه.

وكان ابنُ صنجيل صاحب طرابُلُس قد خَرَجَ، فنزل عين الجَر[٢]، وأخرب البِقاع، فخرجا إليه، فبيَّتاه ليلاً، وقتَلا من أصحابه ثلاثة آلاف، وأسرا مِثْلَهم، وعاد إلى دمشق، وانهزم ابنُ صنجيل في نَفَرٍ يسير، وعاد البُرْسُقي إلى العراق بعد أن خدمه أتابك وأكرمه، وتأكدت الصَّداقة بينهما والمودَّة.

[وذكر أبو يعلى] ابن القَلانسي أن هذه الوقعة كانت سنةَ عشرٍ وخمس مئة، [وأنَّ البُرْسُقي كانت له المَوْصِل، وسنذكره هناك][٣].

[فصل: وفيها توفي

[ابن] قيراط الدِّمَشْقي[٤]

واسمه سُبَيْع بن المُسَلَّم بن علي، أبو الوَحْش[٥]، الضَّرير المقرئ.

ولد سنة تسعَ عشرة وأربع مئة، وقرأ القرآن بحرف ابن عامر على رشأ بن نظيف، وأبي علي الأَهْوازي، وسَمِعَ الحديث منهما ومن غيرِهما، وروى عن الخطيب أيضاً، ولم يَزَلْ ملازماً للجامع إلى أن توفي، ودُفِنَ بالباب الصَّغير.

---

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٣/ ٦٩: محلة خربت نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد.

(٢) يقال لها الآن عنجر.

(٣) في (ع) و(ب): وقال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٩٤ من هذا الجزء.

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٠٦، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٧/ ٦٧ ـ ٦٨، و«معرفة القراء» للذهبي: ٢/ ٨٨٨، و«العبر» ٤/ ١٦، و«عيون التواريخ» (خ) ١٣/ ٣٠٩، و«غاية النهاية»: ١/ ٣٠١، و«توضيح المشتبه»: ٩/ ١٧٧، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢٣، وما بين حاصرتين منها.

(٥) في (م) و(ش) أبو الحسن، وهو تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته.

وفيها توفي

الشريف ابن أبي الجِنّ[(١)]

واسمه علي بن إبراهيم بن العَبَّاس بن الحسن بن العَبَّاس بن الحسن بن الحسين، والحسين هو أبو الجن - وقد تقدَّم نسبه - وكنية عليٍّ أبو القاسم، العَلَوي الحُسَيْني[(٢)]][(٣)] ويعرف بالنَّسيب.

ولد يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وأربع مئة، وقرأ القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء، وكان خطيبَ دمشق في أيام المِصريين، وكان سُنّياً حَسَنَ السيرة، مرضيَّ الأمر، ممدوحاً بكل لسان.

قال ابن عساكر: لما ولدتُ سأل الشَّريفُ أبي، فقال: ما سَمَّيتَه؟ فقال: علياً، قال: وما كَنَّيْتَه؟ قال: أبا القاسم، فقال: أَخَذْتَ اسْمِي وكُنْيتي، قال: وما رأينا أحداً تسمَّى بهذا الاسم، وتكنَّى بهذه الكُنْية إلا وكان طويل العُمُر.

[قال]: وصلى على جِنازةٍ بجامع دمشق، وكبَّر أربعاً، فكتبَ صاحِبُ مِصر إلى أبيه يعاتبه، فقال [له]: لا تصل [بعدها][(٤)] على جنازة[(٥)].

ولما قَدِمَ بغداد جاء إلى دار النَّقيب بالكَرْخ فدخل، وجلس معه في الدَّسْت، فأنكروا عليه، وسأله النقيبُ عن نَسَبه، فانْتَسَبَ له، فقال: مَوْضِعَك قَعدتَ. وأكرمه غاية الإكرام.

وسمع من أبيه[(٦)] [وجده أبي البركات، وأبي الحسين بن أبي نصر، وأبي عبد الله ابن سلوان، وأبي علي الأهوازي، ورشأ بن نظيف، والقاضي محمد بن سلامة القُضَاعي، وأبي بكر الخطيب وغيرهم، وكريمة بنت أحمد.

---

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٠٥، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١١/ ٨٥٨ - ٨٦٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٥٨ - ٣٦٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) و(ب): علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن الحسن بن أبي الجن، أبو القاسم الحسيني، والمثبت من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب) بعد هذا، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «تاريخ ابن عساكر» ١١/ ٨٥٩.

(٦) في (ع) و(ب) بعد هذا: وغيره، وخرج له الخطيب فوائد عن شيوخه في عشرين جزءاً، وروى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وأخرج له الخطيب فوائد عن شيوخه في عشرين جزءاً، وروى عنه شيخه أبو محمد عبد العزيز الكَتَّاني، وأبو محمد بن صابر، وأبو الحسن السُّلَمي، وأبو محمد بن طاوس، والحافظ ابنُ عساكر.

وذكره أبو سَعد السَّمْعاني في «الذيل»، وأثنى عليه، وقال: كان حَسَنَ السِّيرة، ممدوحاً بكل لسان، سَمِعَ من الخطيب الكثير]، وخَطُّه وسماعاتُهُ على أكثر مصنفات الخطيب.

وتوفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر بدمشق، وأوصى أن يصلِّي عليه أبو الحسن السُّلَمي، وأنْ يُسَنَّمَ قبره، وكانت له جنازةٌ عظيمة، ودُفِنَ بالباب الصَّغير، رحمة الله عليه(١).

عليُّ بنُ محمدِ بنِ محمد بن جَهِيْر(٢)

أبو القاسم، زعيمُ الدِّين، الوزير ابن الوزير ابن الوزير.

كان في أيام القائم، وبعض أيام المقتدي يتولى كتابة ديوان الزِّمام، ووزر للمستظهر مَرَّتين: ففي الأُولى أقام ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياماً، ثم عُزِلَ [وولي بعده ابنُ المُطَّلب، ثم عُزِلَ](٣)، وأُعيدَ ابنُ جَهِيْر، فأقام خمس سنين وخمسة أشهر، وتوفي في سابع عشرين ربيع الأول، ولم [يزل](٤) يتدرَّج في المراتب والولايات خمسين سنة. وكان عاقلاً حليماً، سديدَ الرَّأي، حسنَ التَّدْبير والثَّبات(٥).

السنة التَّاسعة وخمس مئة

[وفي هذه السنة على رأي أبي يعلى القلانسي](٤) دخل طُغْتِكين بغداد؛ لأنه قال، وفي سنةِ تسعٍ وخمس مئة قويت شوكةُ الفرنج في رَفَنِيَّة، وبالغوا في تحصينها، وشَحَنُوها بالرِّجال، وشَرَعوا في الفساد، فأظهر طُغْتِكين أَنَّه قاصدٌ إلى بعض الجهات، وسار إليها مُغِذًّا، فَبَغَتَهُمْ، وأحاط بهم، وقتَلَ وأَسَرَ، وغَنِمَ أصحابُه منه ما امتلأَتْ به الأيدي، وذلك في جُمادى الآخرة، ثُمَّ عاد إلى دمشق ومعه الأسرى، ورؤوس القَتْلى.

---

(١) انظر «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١١/ ٨٥٩ـ ٨٦٠.
(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٨٢، و«الفخري في الآداب السلطانية»: ٣٠٠.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب).
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).
(٥) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٨٢.

ولما شاع [عنه][١] ما رزقه الله من الجهاد والعدل والإحسان إلى الرَّعية، حَسَدَه أقوامٌ على باب السُّلْطان وطعنوا عليه، وراموا فسادَ حاله، وكَتَبَ إليه بذلك [مِنْ أصدقائه][١] مَنْ يُؤْثِرُ إصلاحَ حاله، فاقتضتِ الحالُ أنْ سار بنفسه إلى بغداد، ومعه من الهدايا والتُّحَف ما يليق بالخليفة والسُّلْطان، فَبُولغ في إكرامه واحترامه، [وفُعِلَ في حقِّه ما قدَّمناه][٢]، وشُرِّف بالخِلَعِ الخليفية، والسُّلْطانية، وكُتِبَ له المنشور السُّلْطاني بولاية الشَّام حَرْباً وخَراجاً، وإطلاق يده في ارتفاعه[٣] على حَسَبِ اختياره، من إنشاء أبي إسماعيل الأصفَهاني الطُّغْرائي، فكان منه بعد البسملة:

هذا منشور أَمَرَ بإنشائِهِ السُّلْطان المُعَظَّم غياثُ الدُّنيا والدِّين أطال الله [بقاءه][٤] وأعزَّ أولياءه، ونَصَر لواءه، وخَذَلَ أعداءه، وحمى حَوْباءه[٥]، الأمير الأَجَل الإسْفِهْسِلَّار[٦] الكبير ظهير الدين أتابك، أدام الله تأييده، لمّا بان تمسُّكه من الطَّاعة بأحكمِ علائِقها، واعتصامه من الخِدْمة بأوكدِ وثائِقها، ولما أَجْلَتِ التَّجاربُ منه عينَ النَّاصح الأريب، والمهذَّب اللَّبيب، المندرج في مراقي الرُّتَب السَّنِيَّة بالمساعي الرَّضِيَّة، والذَّبِّ عن حَوْزة الإسلام، ومواقفه المشهودة العِظام، ومقارعته الأعداء، والاستقلال بعظيم الأعباء، فرأيناه أَحقَّ بملابس الإنعام، وبما حُبِيَ به من الكرامة بأَوْفر الأقسام، ففوَّضْنا إليه أمورَ الشَّام. وذكر ما جَرَتْ به العادة في العُهود[٧].

وفيها صالح بردويل صاحبُ القُدْس الأفضلَ بنَ أَمير الجيوش، وكان قد أخذ في السَّبْخة المعروفة اليوم به[٨] قافلةً عظيمة جاءت من مِصر، فرأى الأفضلُ مهادنته، وأَمِنَ النَّاس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص٧٨ من هذا الجزء.

(٣) أي إيراده وخراجه، انظر «معجم متن اللغة»: ٢/ ٦٢١.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) الحوباء: النفس، «معجم متن اللغة»: ٢/ ١٨٦.

(٦) لقب كان يطلق على مقدم العسكر، انظر «معجم متن اللغة»: ١/ ١٧٥ .

(٧) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٠٦ ـ ٣١٣.

(٨) في (م) و(ش): المعروفة بسبخة بردويل، قلت: قال محمد رمزي: ويقال لها بحيرة بردويل، واقعة على شاطئ البحر المتوسط، شرقي بور سعيد، وعلى بعد ٩٠كم منها، وهي لم تزل موجودة إلى اليوم. انظر «النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٧١ حاشية رقم ٤.

وفيها تكاملت عمارة دار السُّلْطان ببغداد التي تولَّى عِمارتها بِهْروز الخادم، وحَمَلَ إليها أعيانُ الدَّوْلة أنواعَ الفُرُش والبُسُط والأواني، وأمَر السُّلْطان أن يحضرها القُضَاة والأشراف والصُّوفية والقُرَّاء، فحضروا، وقرؤوا القرآن فيها ثلاثةَ أيامٍ متوالية[(١)].

وفيها توفي[(٢)]

علي بن جعفر ابن القَطَّاع[(٣)]

أبو القاسم السَّعدي، الصِّقِلِّي، مِنْ كبار علماء صِقِلِّية، صنفَ كتاباً سَمَّاه: «الدُّرَّة الخطيرة في ذكر شُعراء الجزيرة»[(٤)]، يعني جزيرة صِقِلِّية، قَدِمَ مِصر، ومَدَحَ الأفضل [ابن أَمير الجيوش][(٥)]، ومِنْ شِعْره في الزُّهْد: [من الوافر]

تَنَبَّهْ أيُّها الرَّجُلُ النَّؤوْمُ ... فقد نَجَمَتْ بعارِضِكَ النُّجومُ
وقد أبدى ضِياءُ الصُّبحِ عَمَّا ... أَجَنَّ ظَلامَةُ اللَّيْلُ البَهيمُ
فلا تَغْرُرْكَ يا مغرورُ دنيا ... غَرورٌ لا يدومُ لها نعيمُ

وقيل: إنَّه مات سنةَ ثمانٍ وخمس مئة، وقيل: عاش إلى آخر زمانِ الأفضل.

وذكر في كتاب: «الدُّرَّة الخطيرة»، جماعةً من الفُضَلاء، منهم أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الرحمن بن أبي البِشْر الكاتب الأنصاري، له بيتان جَمَعَ فيهما حروفَ المعجم، وهما: [من البسيط]

---

(١) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٨٢.

(٢) لم يضبط سبط ابن الجوزي سنة وفاته، فذكرها في هذه السنة (٥٠٩هـ) وتابعه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٠٩، وقال السبط ـ كما سيأتي في الترجمة ـ وقيل: إنه مات سنة ثمانٍ وخمس مئة، وقيل: عاش إلى آخر زمان الأفضل. قلت: يعني إلى سنة (٥١٥هـ) ـ وهذا القول الأخير هو الصحيح في تاريخ وفاته كما ذكر ذلك جمهور من ترجم له ـ وذكر ياقوت في «معجم الأدباء» أنه توفي سنة (٥١٤هـ).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ٥١ ـ ٥٥، و«معجم الأدباء»: ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٣، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٩، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٣٣ ـ ٤٣٥.

(٤) وهو كذلك صاحب كتاب «الأفعال»، وهو مطبوع، مشهور، متداول.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

مُزَرْفَنُ[١] الصُّدْغِ يَسْطُو لَحْظُهُ عَبَثاً ... بالخَلْقِ جَذْلان إنْ تشكو الهوى ضَحِكا
لا تَعْرِضَنَّ لِوَرْدٍ فوق وَجْنَتِهِ ... فإنَّما نَصَبَتْهُ عَيْنُهُ شَرَكا

وقال أيضاً: [من الطويل]

ألا فَلْيُوَطِّن نَفْسَهُ كلُّ عاشقٍ ... على سَبْعةٍ محفوفةٍ بغَرَامِ
رقيبٍ وواشٍ كاشِحٍ ومُفَنِّدٍ ... مُلِحٍّ ودَمْعٍ واكِفٍ وسَقَامِ

ومنهم: محمد بن عيسى، ومن شِعْره: [من المجتث]

مولايَ يا نورَ قَلْبي ... ونورَ كلِّ القُلُوبِ
أما تَرَى ما بِجِسْمي ... من رِقَّةٍ وشُحُوبِ
فَلِمْ بَخِلْتَ بوَصلٍ ... وليسَ لي مِنْ ذُنُوبِ
فإنْ يكنْ ليَ ذَنْبٌ ... فأنتَ فيه حسيبي
ومِحْنَتي فيكَ جَلَّتْ ... عن فَهْم كلِّ طبيبِ
[وما لدائي دواءٌ ... إلاَّ وِصَالُ الحبيبِ][٢]
بَرِّدْ غليلَ فؤادي ... بزَوْرةٍ عن قريب

ومنهم: أبو حفص عمر بن خَلَف[٣] بن مكي، [كان] من كبار الفُضَلاء، وله خُطَبٌ [من جنس خطب ابنِ نُباتة، وهو شاعرٌ فصيح، وله الشِّعْر المليح][٤]، ومن شِعْره: [من الخفيف]

لا تُبادِرْ بالرَّأي مِنْ قَبْلِ أنْ تُسْـ ... ـألَ عنه وإنْ رأيتَ عَوَارا
أحْمَقُ النَّاس مَنْ أشارَ على النَّا ... س برأي مِنْ قَبْلِ أنْ يُسْتَشارا[٥]

---

(١) من الزُّرفين: حلقة الباب، ومنها: زرفن صدغه، جعلها كالزرفين، وهي كلمة مولدة، انظر «معجم متن اللغة»: ٣/ ٢٨.

(٢) في (ع) و(ب):

وما أرى لي دواء ... إلا وصال الطبيب

والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٠٦ ـ ١٠٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٠٧.

ومنهم: [أبو علي] الحسن بن عبد الله[١] [وهو القائل][٢] في الشَّيْب: [من الطويل]

وزائرةٍ للشَّيْبِ حَلَّتْ بعارضي ... فعاجَلْتُها[٣] بالنَّتْفِ خَوفاً من الحَتْفِ

فقالتْ على ضَعْفي اسْتَطَلْتَ ووَحْدتي ... رُوَيْدَكَ للجيش الذي جاء مِنْ خَلْفي[٤]

ومنهم: السُّوسي[٥] [من مدينة سوسة][٦] قال يمدح جبارة العلوي معارضاً مهيار في قوله[٧]: [من الرَّملِ]

بَكَّرَ العارِضُ[٨] تحدوه النُّعامى[٩] ... وسَقَاكِ الرِّيَّ يا دارَ أُماما[١٠]

طَلَعَتْ رايتُهُ خافقةً ... خفقانَ القَلْبِ أمسى مُسْتَهاما

باتَ بالأَبْرَقِ بَرْقٌ يتسامى ... فجفا الجَفْنُ لمرآهُ المَنَاما

أيُّها البارِقُ قد هِجْتَ إلى ... ساكنِ الأَبْرَقِ شَوقاً وغَرَاما

وأَذَعْتَ السِّرَّ بالدَّمْعِ الذي ... لم أُطِقْ إذْ فاضَ للحبِّ اكْتِتاما

بذمام الحبِّ يا بَرْقُ عسى ... لك عِلْمٌ حَيُّهم أينَ أقاما

استمالوني بوَصلٍ في الهوى ... فكما ملتُ رأوا وَصلِي حَرَاما

وإذا هَبَّتْ صَباً قلتُ لها ... بَلِّغي يا ريحُ مَنْ نهوى السَّلاما

ومنها في المديح:

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٠٩ ـ ١١٠، وفيه: أبو الحسن بن عبد الله، والمثبت في «المرآة» هو في إحدى نسخ «الخريدة»، وقد أشار المحقق إلى ذلك في الحاشية.

(٢) في (ع) و(ب): وقال في الشيب، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش): فبادرتها.

(٤) في (م) و(ش): رويدك حتى يقدم الجيش من خلفي. والبيتان في «الخريدة»: ١/ ١٠٩.

(٥) هو التراب السوسي، له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء المغرب: ١/ ١٣٠ ـ ١٣٧، و«رحلة التجاني»: ٤٣ ـ ٥٢.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) في (ع) عارضاً في قوله: ، وفي (ب): عارض قال يمدح جبارة العلوي مهيار في قوله، والعبارة هذه والأبيات التي بعدها ليست في (م) و(ش)، والمثبت هو ما استظهرناه، وجبارة العلوي كان صاحب سوسة.

(٨) العارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. «اللسان» (عرض).

(٩) النعامى: بضم النون: من أسماء ريح الجنوب، لأنها أبل الريح وأرطبها. «اللسان» (نعم).

(١٠) «ديوان مهيار»: ٣/ ٣٢٧.

خَلِّ أوْصافَ التَّصابي والصِّبا ... والمغاني والغَواني والنَّدامى
وانْقُلِ الهَزْلَ إلى الجِدِّ ولا ... تَلْهُ عن أوصافِ مَنْ سادَ الأناما
وإذا اسْتَصرخْتَهُ في حادِثٍ ... فعلى الحادِثِ جَرَّدْتَ حُساما
مُقْبِلُ القَلْبِ على سُبْلِ الهُدَى ... مُعْرِضٌ عن كلِّ ما جَرَّ أثاما
ليس يدري ما المزامير ولا ... يسمعُ الصَّنْجَ ولا ذَاقَ المُدَاما
لا ولا تَحْمِلُهُ الأطماعُ أنْ ... ينقضَ العَهْدَ إذا أعطى الذِّماما
بَيْتُهُ كَعبَةُ جُوْدٍ نُصبتْ ... أغْنَتِ المِسكينَ حقّاً واليتامى
رُكْنُها إحدى يَدَيْهِ فاجْعَلُوا ... بَدَلَ الرُّكْنِ بيمناه اسْتِلاما
لذوي الحاجِ زِحامٌ حَوْلها ... زَحْمَةَ الحُجَّاجِ قد زاروا المقاما
كلُّ وِرْدٍ هكذا مُسْتَعْذَبٌ ... يُكْثِرُ النَّاس حواليهِ الزِّحاما

من أبيات[١].

قال المصنف رحمه الله: لم أقف على تاريخ وفاة هؤلاء المذكورين سوى [صاحب هذه الترجمة وهو][٢] علي السَّعْدي، والله أعلم.

غَيْثُ بنُ عليٍّ بنِ عبد السَّلام[٣]

أبو الفرج، الكاتب الأَرْمَنَازِي، خطيبُ صُور.

ولد سنةَ ثلاثٍ وأربعين وأربع مئة، وسَمِعَ الكثير، وجَمَعَ تاريخ صور، ولم يتمَّه، وكان فاضلاً، ثِقَةً، صدوقاً، ثَبْتاً، عارِفاً بالحديث، توفِّي في صفر بدمشق، ودفن بالباب الصَّغير ـ وأرمناز: قريةٌ من قرى أنطاكية ـ وكَتَبَ الكثير، وخَطُّه مليح.

[فصل: وفيها توفي ابن الهَبَّارية البغدادي، واسمه][٢]:

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٣٤ ـ ١٣٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ١/ ١٨٩، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٨٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

محمد بن علي، وقيل: محمد بن محمد بن صالح[(١)]

أبو يعلى، العَبَّاسي، ابن الهَبَّارية، الشَّاعر البغدادي، كان فيه إقدامٌ بالهَجْو على أرباب المناصب، [فحكى أبو المعالي الكتبي في كتاب «زينة الدهر في فضلاء أهل العصر» أنَّ ابنَ الهبارية][(٢)]، خَرَجَ مِنْ بغداد، وقدِمَ أصبهان، وبها السُّلْطان مَلِك شاه [ابن ألب رسلان][(٢)]، ووزيره نظامُ المُلْك، فدَخَلَ على النِّظام، ومعه رُقْعتان رُقْعة فيها هَجْوه، والأُخرى مَدْحُه، فأعطاه التي فيها هجوه، [فقرأها النِّظام، فإذا فيها هذه الأبيات][(٣)]: [من مجزوء الكامل]

لا غَـرْوَ إنْ مَـلَـكَ ابـن إسْـ ـحـاقٍ وسـاعـده الـقَـدَرْ

وصـفَـا لـدَوْلَـتِـهِ وخَـصَّ (م) أبـا الـمـحـاسـنِ بـالـكَـدَرْ

فـالـدَّهْـرُ كـالـدُّولابِ لـيـ ـسَ يـدورُ إلَّا بـالـبَـقَـرْ

يعني بَقَرطُوس. فكتَبَ النِّظامُ على رأسها: يطلق لدى القواد رسمه مضاعفاً.

وأبو المحاسن صِهْرُ نظام المُلْك، ويقال له: أبو الغنائم، وكان بينه وبين النظام منافرة، وكان ابنُ الهَبَّارية يميلُ إلى أبي المحاسن، فَنَقَمَ عليه النِّظامُ بهذا السبب.

[وذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وقال][(٤)]: إنَّ أبا الغنائم يلقَّب بتاج المُلْك وهو ابن دارست، قال لابنِ الهَبَّارية: اهجُ النِّظام. فقال: كيف أهجوه، وهو مُنعِمٌ عليَّ؟ ـ فَحمَلَه على أن سأله شيئاً يَصعُبُ إجابته [إليه][(٥)]، فسأله فمنعه، فَعَمِلَ هذه الأبيات، فلما وَصَلَتْ إلى النِّظام، قال: جَعَلَني من بقرطوس. ثم استدعاه، وخَلَعَ عليه، وأعطاه خمس مئة دينار. فقال [ابن الهبَّارية][(٢)] لتاجِ المُلْك: ألم أقل لك إني ما أهجوه، وهذا فِعْلُه في حَقِّي؟[(٦)].

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٣/ ٣٠٦ ـ وذكر أن وفاته سنة (٤٩٠هـ) ـ و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٧٠ ـ ١٤٠، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٥٣ ـ ٤٥٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٩٢، و«الوافي بالوفيات»: ١/ ١٣٠ ـ ١٣٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ب): التي فيها هجوه النظام، ومنها، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ب) قال العماد الكاتب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٦) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٧٧ ـ ٧٨.

ويقال: إنَّ سبَبَ غَضَبِ نظامِ الملك على ابن الهَبَّارِيَّة قولُه، وكتب بها إليه: [من الوافر]

أَيَجْمُلُ يا نظامَ المُلْك أنِّي ... أُعاوِدُ مِنْ حِماكَ كما قَدِمْتُ
وأصدُرُ عن حِياضِك وَهْيَ نَهْبٌ ... بأفواهِ السُّقاةِ وما وَرَدْتُ
يدلُّ على فِعالِكَ سوءُ حالي ... ويَنْطِقُ عن مقالي إنْ كَتَمْتُ
إذا اسْتُخْبِرْتُ ماذا نِلتَ منه ... وقد عَمَّ الوفودَ نَدًى سَكَتُّ
وما في الوافدينَ عليكَ شَخصٌ ... يَمُتُّ من الولاء كما أَمُتُّ
هُمُ دُوْني إذا اخْتُبِروا جميعاً ... فلمْ بالدُّونِ دُونَهُم خُصِصتُ
ولي أَصلٌ وفَضْلٌ غيرُ خافٍ ... ولكنْ ما لفَضْلٍ منكَ بَخْتُ
إذا ما ضُعْتُ عند بني جَهِيْرٍ ... وعندك مَعْ سَمَاحِكَ وامتُهِنْتُ
فأينَ الفَرْقُ بَيْنَكُمُ وماذا ... بِبُعدي عن ديارِهُم اسْتَفَدْتُ
وها أنا ساكِتٌ فإنِ اصطلَحْنا ... وإلَّا خانَني صبري وقلْتُ

وبلغ النِّظام، فأَهْدَرَ دَمَه.

[وقال عُبيد الله بن علي المعروف بابن المارَسْتانية في «ذيل تاريخ بغداد»: لما أَهْدَرَ نظامُ الملك دَمَ ابن الهبارية][1] استجار بصَدْر الدِّين محمد الخُجَنْدي، وكان يمضي في كل يوم [اثنين][2] إلى دار النِّظام بأصبهان ومعه الفقهاء للمناظرة. فقال لابنِ الهبارية: ادخلْ معنا في جُمْلة الفقهاء متنكِّراً، فإذا فَرَغَتِ المناظرة، فَقُمْ في المجلس مستغفراً. فَفَعلَ، فقال الخُجَنْدي: قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٢٢٤] وقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [الفرقان: ٧٠]، والخادمُ يسأل العفو عن الشَّريف بقَبُول شفاعتِه خاصَّة وشفاعة الفقهاءِ عامَّة، فقال النِّظام ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [المائدة: ٩٥]، ثم أذِنَ له في الإنشاد، فقام، وقال: [من المتقارب]

لِعِزَّة أَمْرِكَ دارَ الفَلَكْ ... حَنَانَيْكَ فالأَمْرُ والنَّهيُ لكْ

فقال النِّظامُ: كَذَبْتَ، ذاك اللهُ تعالى: فقال:

---

(١) في (ع) و(ب): وقال ابن المارستانية: لما أهدر دمه، وما بين حاصرتين من (م) و(ش). وترجمة ابن المارستانية سترد في وفيات سنة (٥٩٩هـ) من هذا الكتاب.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

رَفَعْتَ الشَّريعةَ بعد الخمولِ ... فلو تستطيعُ لباسَتْ يَدَكْ
ولو كنتَ في زَمَنِ المُصطفَى ... لنَصَّ عليكَ وما أَهْمَلَكْ
ولو رَدَّ موسى إليكَ الأمورَ ... رَدَدْتَ على السَّامِرِي ما أَفَكْ
فلَمْ يختَلِفْ قَوْمُهُ بعدَهُ ... ولا قِيلَ إذ جاء: ما أَعْجَلَكْ
وكم نعمةٍ لك عند الجلا ... لِ[1] ليس بكافرِها إنْ نَسَكْ
ألم تكُ رَبَّيْتَهُ مُرْضَعاً ... وقُدْتَ له الجيشَ حتَّى مَلَكْ
ورَبُّك ولَّاكَ لا غَيْرُهُ ... فَمَنْ ذا يحاوِلُ أنْ يَعْزِلَكْ

وقال العماد الكاتب: كان ابنُ الهَبَّارِيَّة من شُعَراء نظام الملك، غَلَبَ على شِعْره الهجاءُ والهَزْلُ والسُّخْف، وسَبَك في قالب ابنِ الحَجَّاج[2]، وفاقه في الخلاعة والمجون، والنَّظيف من شِعْره [في][3] غايةِ الحُسْن.

ومن شِعْره: [من الكامل]

وإذا البياذِقُ في الدُّسُوتِ تَفَرْزَنَتْ ... فالرَّأيُ أنْ تَتَبيذَقَ الفِرْزانُ[4]
وإذا النُّفوسُ مع الدُّنوِّ تباعدتْ ... فالحَزْمُ أن تتباعد الأبدانُ
خُذْ جملةَ البَلْوى ودَعْ تَفْصِيلَها ... ما في البَرِيَّةِ كلِّها إنسانُ[5]

وقال في نظام الملك: [من الكامل]

وإذا سَخِطْتُ على القوافي صُغْتُها ... في غيرِه لأُذِلَّها وأُهينَها
وإذا رضيتُ نَظَمْتُها لجلالِهِ ... كيما أُشَرِّفَها به وأَزِينَها[6]

(١) الجلال هو جلال الدولة لقب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، انظر «وفيات الأعيان»: ٥/ ٢٨٣.
(٢) انظر حاشيتنا رقم٢ ص٦٩ من هذا الجزء.
(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وانظر «خريدة القصر» قسم شعراء العراق ١/ ٧٠ ـ ٧١.
(٤) البياذق جمع، مفردها بيذق، معرب بيذه، وهم الرجَّالة في الحرب، والفرزان: هو ما يلي البيذق في اصطلاح الشطرنج، وهو الملك، والدسوت جمع، مفردها الدست، يعني صدر المجلس، وهي دخيلة عباسية، انظر «المعرب» للجواليقي: ١٣٠، ٢٨٥، و«معجم الألفاظ الفارسية»: ٣٢، ١١٨، و«معجم متن اللغة»: ٢/ ٤٠٨.
(٥) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٧٢ ـ ٧٣.
(٦) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٧٣ ـ ٧٤.

وقال [في][١] ابن جَهِير لما اسْتُوزِرَ ثانياً بسبب مصاهرتِهِ لنظام الملك [على][١] ابنته: [من البسيط]

قُلْ للوزيرِ ولا تُفْزِعْكَ هَيْبتُهُ وإنْ تَعَاظَمَ واسْتولى لِمَنْصبهِ
لولا ابنةُ الشيخِ ما استُوزِرْتَ ثانيةً فاشكُرْ حِراً صرتَ مولانا الوزيرَ بِهِ[٢]

وقال: [من مجزوء الكامل]

قد قلتُ للشيخ الرَّئِيْـ ـسِ أخي السَّماح أبي المُظَفَّرْ
ذكِّرْ مُعين المُلْك بي قال المؤنَّثُ ما يُذَكَّرْ[٣]

وقال [في ابن جَهِير هذه الأبيات][٤]: [من الطويل]

ولو أنَّني استمدَدْتُ من ماءِ مُقْلتي لجاءَتْك كُتْبي وهي حُمْرٌ سطُورُها
وكيف تلامُ العَيْنُ إن قَطَرَتْ دماً وقد غابَ عنها نورُها وسُرورُها[٥]

وقال: [من الكامل]

أهدى لنا نَفَسُ الصَّبا أنفاسَكُمْ سَحَراً فقلتُ عسى الصَّبا عَطَّارُ
وتمايلتْ للسُّكْرِ باناتُ الحِمى حتَّى كأنَّ نسيمَهُ خَمَّارُ[٦]

[قلتُ][٧]: وكان ابنُ الهَبَّارية من الفُضَلاء، وله كتابٌ سَمَّاه: «فلك المعاني» جمع فيه [أخباراً و][٧] طُرَفاً، فمنه لبعضهم: [من المنسرح]

أعْتَقَني سوءُ ما صَنعْتَ من الرِّ قِّ فيا بَرْدَها على كَبِدِي
فصرتُ عبداً للسُّوءِ منكَ وما أحسنَ قَبْلي سُوءٌ إلى أَحَدِ

قال: وقال رجلٌ لابنِ عباس: سَلِ الله أن يغنيني عنِ النَّاس، فقال: إنَّ الله لا يغني [الناس][٧] عن الناس، ولكن ادعُ الله أَنْ يُغنيك عن لئام النَّاس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٨٧.
(٣) المصدر السالف: ١/ ٨٨.
(٤) ما بين حاصرتين من (م).
(٥) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ١٠١.
(٦) المصدر السالف: ١/ ١٠٣.
(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قال: وقال الشَّريف ابن البيَّاضي: [من الكامل]

لـيس الـشَّـريـف مـن الـشّـرافُ جُـدُودُه ... مَـنْ نَـفْـسُـهُ شَـرُفَـتْ فـذاكَ شـريـفُ

وقال [آخر][1]: [من البسيط]

قـالـوا حَـبِـيْـبُـك مِـمْـراضٌ فـقـلـتُ لـهـم ... نـفـسـي الـفـداءُ لـه مِـنْ كـلِّ مـحـذورِ

يـا لـيـتَ عِـلَّـتَـه بـي غَـيْـرَ أنَّ لـه ... أجـرَ الـمـريـضِ وأنـي غـيـرُ مـأجـورِ

وقال جَحْظة: [من الكامل]

يـا مَـنْ بَـعُـدتُ عـن الـكـرى لِـبـعـادِهِ ... والـصَّـبـرُ مُـذْ غُـيِّـبْـتَ عـنـيَ غـائـبُ

أصـبـحـتُ أجْـحَـدُ أنَّـنـي لـكَ عـاشِـقٌ ... والـعَـيْـنُ مُـخْـبِـرَةٌ بـأنِّـيَ كـاذِبُ

وقال: حَجَّ الكافي أبو الفَضْل زيدُ بنُ الحسين، فلما عاد، قال: [من الكامل]

يـا رَبِّ أيُّ فـضـيـلـةٍ فـي مـكَّـةٍ ... حـتـى فَـرَضْـتَ عـلـى عـبـادِك بِـرَّهـا

أَلِـخـصـبـهـا أحَـبـبْـتَـهـا أَلِـطـيـبـهـا ... اخْـتَـرْتَـهـا أَمْ لـيـسَ تَـعْـرِفُ حَـرَّهـا[2]

قال: وقال الرَّشيد لجعفر: اعزلْ أخاكَ الفَضْل عن الخاتم عَزلاً لطيفاً.

فكتب إلى الفَضْل: إنَّ أَمير المؤمنين قد رأى أن ينقلَ خاتمَ الخلافة من يمينك إلى يسارك. فكتبَ إليه الفَضْلُ: ما انتقلت عني نعمةٌ صارتْ إليك.

قال: وقال أبو العلاء المَعَرِّي: [من الوافر]

أرى جِـيْـلَ الـتَّـصـوفِ شَـرَّ جِـيْـلٍ ... لـقـد جِـئْـتُـمْ بـشـيءٍ مُـسْـتـحـيـلِ

أقـالَ الـلـهُ حـيـنَ عَـشِـقْـتُـمـوه ... كُـلُـوا أَكْـلَ الـبـهـائـمِ وارْقُـصـوا لـي!

قال: وقال المُبَرِّد: حاجِبُ المَلكِ نِصفُه، وكاتِبُه كلُّه.

قال: وقال عليٌّ عليه السَّلام لبعض الحَرورِيَّة: نومٌ على يقينٍ خيرٌ من صلاةٍ على شَكٍّ.

قال: وكان المنصور يتعرف أخبار العُمَّال وظُلمهم من السَّواد، فيسأل عن البيض والدَّجاج، ويستدل بكثرته على العدل، وبقِلَّته على الظُّلْم.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أعجب حقاً لسبط ابن الجوزي كيف اختار هذين البيتين، وفيهما من سوء الأدب ما لا يليق بمسلم أن يتلفظ بهما.

وقال: كان الأمينُ يُعَيِّر المأمونَ بأُمِّه مراجل، وأنها أَمَةٌ، ويفتخر بأُمِّه زُبيدة، فكتَبَ إليه المأمون: [من البسيط]

النَّاس من جهةِ الأمثالِ[1] أكْفاءُ ... أبوهُمُ آدمٌ والأُمُّ حواءُ
فإنْ يكنْ لهُمُ مِنْ أصلِهِمْ نَسَبٌ ... يفاخرون به فالطِّيْنُ والماءُ
ورُبَّ مُعْرِبةٍ[2] ليست بمنجبةٍ ... وربَّما أنجبتْ للفَحْلِ عَجماءُ
وإنَّما أمهاتُ النَّاس أوعيةٌ ... مُسْتَودَعاتٌ وللأحسابِ آباءُ

وقال: قال سعيد بنُ العاص لبنيه: يا بَنِيَّ، لم أَظْلِمْكُم في أُمهاتكم فلا تظلموا أبناءكم في أُمهاتهم، فيعيرونهن، فإنَّ فسادَ مَن فَسَدَ لعِرْقِ سوءٍ من أُمِّ سوءٍ، وما أنجبت دَنِيَّةٌ، ولا أخلفت سُرِّيَّة، وكلُّ وعاءٍ يَرُدُّ إليك ما أَوْدَعْتَه إلا الأرحام، فإنَّها تحيل المياه.

وقال [عبد الله بن المبارك][3]: [من مجزوء الرمل]

قد أَرَحْنا واسْتَرَحنا ... مِنْ غُدُوٍّ ورواحِ
واتِّصالٍ بأميرٍ ... ووزيرٍ ذي سَمَاحِ
بعَفافٍ وكَفافٍ ... وقُنُوعٍ وصلاحِ
وجَعَلْنا اليأْسَ مِفْتا ... حاً لأبوابِ النَّجاحِ

وقال ابنُ المعتز: [من المتقارب]

وإنْ فُرْصةٌ أمكَنَتْ في العدوِّ ... فلا تبدِ فِعْلَك إلَّا بها
فإنْ أنتَ لم تأْتِها مُسْرِعاً ... أتاك عدوُّك مِنْ بابها

وقال آخر: [من الطويل]

وماذا عسى الواشون أن يتحدَّثُوا ... سوى أنْ يقولوا: إنَّني لك عاشِقُ
نَعْم صدق الواشون أنتِ حبيبةٌ ... إليّ وإن لم تصفُ منك خلائقُ

وقال أبو نواس: [من السريع]

---

(١) في (م) و(ش): التمثيل.
(٢) المعرب من الخيل: الذي ليس فيه عرق هجين، والأنثى معربة، «اللسان» (عرب).
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

مَا حَطَّكَ الواشونَ عن رُتْبةٍ عندي ولا ضَرَّكَ مُغْتابُ
كأنَّما أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

وكانت وفاة ابنِ الهَبَّارية بكَرْمان في هذه السَّنة، [وقال العماد الكاتب: في][(١)] سنة أربعٍ وخمس مئة[(٢)]، والأوَّل أصح. [وابن الهبارية هو الذي رثى الحسين عليه السلام][(٣)].

هبة الله[(٤)] بنُ المبارك بن موسى بن علي[(٥)]

أبو البركات السَّقَطي.

سافر إلى الأمصار في طلب الحديث، وجَمَع وأرَّخ، وكان له معرفةٌ باللغة، وتَعِبَ في جَمْع الحديث، لكنَّه أفسدَ ذلك بأن ادَّعى سماعاً ممن لم يره، منهم أبو محمد الجوهري، فإنَّه لا يحمل سِنُّه السماعَ منه، وسُئل ابنُ ناصر عنه، فقيل له: أثقةٌ هو؟ [فقال][(٦)]: لا والله، حدَّث بواسط عن شيوخ لم يرهم، فظهر كَذِبُهُ عندهم.

توفي في ربيع الأول، وصلَّى عليه أبو الخَطَّاب الكَلْوذَاني، ودُفِنَ عند قبر منصور بن عمار بباب حَرْب.

قال المصنف رحمه الله: وهذا السقطي احتجَّ به الخطيب في مواضع في مثالب العلماء، ولم يبيِّنْ ضعفَه.

---

(١) في (ع) و(ب): وقيل سنة أربع وخمس مئة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش). قلت: وذكر السمعاني في «الأنساب»: ١٢/ ٣٠٦ أن وفاته بعد سنة (٤٩٠هـ)، والصحيح ما ذكره السبط، وصححه كذلك الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ١/ ١٣٢.

(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٧٢.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ب) بياض، وفي (ع) عبد الله، وهو تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٥) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ٩٢، و«المنتظم»: ٩/ ١٨٣، و«ميزان الاعتدال»: ٤/ ٢٩٢، و«لسان الميزان»: ٦/ ١٨٩ ـ ١٩٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ٩/ ١٨٣.

السَّنة العاشرة وخمس مئة

[وفيها ولد جَدِّي رحمه الله على وجه الاستنباط لا على وجه التحقيق.

و](١) فيها احترقت بغداد من الجانب الشرقي حريقاً لم يُرَ مِثلُه بحيث أكلتِ النار جذوعَ النَّخل، ودور الخليفة والنِّظامية، وسَلِمَتِ الكتب. واحترقت الدور الشاطئية ورباط بِهْروز وغيره، وكان في ذلك عبرةٌ وموعظة(٢).

وأقام السُّلْطان محمد ببغداد هذه الصَّيْفية، وكان من عادته أن يصيّف بهَمَذان، ثم رحل إلى هَمَذَان، وبعثَ للخليفة من النَّهروان خَيْلاً وطِيْباً، وطلب من [الخليفة شيئاً من] ملبوسه ومصحفاً ولواء، فَبَعَث بذلك إليه(٣).

قال ابنُ القلانسي: وفيها وَرَدَ الخبر بأنَّ بدران بن صنجيل(٤) صاحب طرابُلُس قد جمع [وحشد](١) ونهض إلى ناحية البِقاع، وكان سيف الدِّين [آق](٥) سُنْقُر البُرْسُقي صاحب المَوْصِل قد وَصَلَ دمشق في بعض عسكره لمعونة طغتِكِين [فالتقاه وسُرَّ به](١)، واتفقا على تَبييت الفرنج ليلاً، فأغذَّا السير [ليلاً ونهاراً](١) حتى هجموا على خيامهم وهم غارُّون، فوضعوا فيهم السيف قَتْلاً وأسراً، وهَرَب بدران، وغَنِمَ المسلمون خيولهم، وسلاحهم وأموالهم، وعادا إلى دمشق، وتوجَّه البُرْسُقي إلى بلده بعد استحكام المودَّة بينه وبينَ أتابك(٦).

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (م) و(ش): وكان ذلك عبرة لمن اعتبر، وموعظة لمن افتكر.

(٣) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٨٤ وما بين حاصرتين منه.

(٤) هذا من أوهام ابن القلانسي، وتابعه عليه السبط، إذ إن بدران ـ وهو تعريب برتراند ـ قد مات سنة (٥٠٥هـ) (١١١٢م)، وخلفه ابنه بونز، وهو المراد هنا.

وصنجيل هو ريموند كونت تولوز، وقد بنى قلعة قرب طرابلس أطلق عليها جبل الحاج، غير أنها اشتهرت عند المسلمين بقلعة صنجيل، أي سان جيل، انظر «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيمان: ٢/ ٩٩ ـ ١٠٠، ٢٠٢.

(٥) زيادة من عندنا إتماماً لاسمه.

(٦) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣١٤ ـ ٣١٥.

وفيها قُتِلَ لؤلؤ الذي قتَلَ ألب أرسلان بن رِضوان بحلب، كان قد استولى [على الحاشية][(١)]، وشرع في قتل غِلْمان أُستاذه، فاتفقوا [على قتله، فقتلوه، وهذا قول ابن القلانسي][(٢)] والصَّحيح أنه قُتِلَ في السنة الآتية.

وحجَّ بالنَّاس أَمير الجيوش الحَبَشي المُسْتَظْهري، ودَخَل مكَّةَ وعلى رأسه الأعلامُ، وخلفه الكُوسات والبُوقات، والسيوفُ في رِكابه، وإنما قَصَدَ إذلالَ أمير مكَّة والسُّودان.

[قلتُ: وقد أنكرَ عليه ابنُ عقيل هذا الحال، فقال: حكى لي أَمير الجيوش أنَّه دخل إلى مكَّة على الوجه المذكور لِيَذِلَّ أَمير مكَّة والسُّودان، قال ابن عقيل: حكاه لي متبجِّحاً بذلك، ذاهلاً عن حُرْمة المكان، فقلتُ في نفسي: أَمَا كان مع هذا الحَبَشي من ينبِّهه على حرمة المكان؟ فإنَّ ناقة رسولِ الله ﷺ لما خَلأَتْ، قال رسولُ الله ﷺ: «حَبَسَها حابِسُ الفِيْل»[(٣)]، فلما أعطاهم ما أرادوا أُطْلقت، وقد صِيْنَ المسجدُ عن إنشاد الضَّالَّة حتى قيل لطالبها: لا وَجَدْتَ[(٤)]، فكيف يجيء هذا الحبشيُّ بدبادبه، فيدخلها معظِّماً لنفسه!

قلتُ: لا وَجه لإنكار ابنِ عقيل، لأنَّ النَّهي إنَّما هو عن دخولها محارباً، هاتكاً لحرمة البيت والحَرَم، وهذا الحبشيُّ إنما دَخَلَها معظِّماً، لأنَّ أميرها والسُّودان كانوا عصاةً على بني العَبَّاس، لا يَرَون إمامتهم، ويخطبون لغيرهم، فَقَصد بذلك الطَّاعة، والإذعان لا الهوان والعصيان، وليس في الحكاية أنَّه دَخَلَ المسجد الحرام الذي فيه كعبةُ الإجلال والإعظام، وإنما دَخَلَ البلد على ذلك الوَصف الذي فيه إرهابُ الخاصِّ والعام.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ب): فاتفقوا عليه وقتلوه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣١٥.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١) (٢٧٣٢) من حديث المِسْور بن مَخْرمة، ومروان بن الحكم، وبنحوه عن أحمد في «المسند» (١٨٩١٠) (طبعة مؤسسة الرسالة)، وخلأت: الخلاء للإبل كالحرن للخيل.

(٤) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سمع رجلاً ينشد في المسجد ضالة، فليقل له: لا أداها الله إليك، فإن المساجد لم تُبنَ لهذا»، وقد أخرجه مسلم (٥٦٨)، وهو عند أحمد في «المسند» (٨٥٨٨).

فصل وفيها: توفي

إبراهيم بن أحمد، أبو الفَضْل المُخَرِّمي[(١)]

سمع الحديث ورواه، وكان رجلاً صالحاً، نَزَلَ إلى دِجْلة ليتوضَّأ، فَزَلَّتْ قَدَمُه، فَغَرِقَ، فَحُمِلَ إلى بيته فماتَ، ودُفِنَ بباب حَرْب في ربيع الآخر.

سمع أبا محمد الصريفيني وغيره، وروى عنه أشياخنا.

وقال أبو الفَضْل بن ناصر: كان شيخاً مستوراً، كثير تلاوةِ القرآن، محافظاً على الجماعات، وحَضَرْتُ غسله، فرأيت النورَ على وجهه، فقبَّلتُ بين عينيه][(٢)].

وفيها توفي

عَقِيْل بنُ علي [ابن عقيل][(٣)] بن محمد بن عقيل[(٤)]

أبو الحسن [بن أبي الوفاء][(٣)] الحنبلي.

ولد في رمضان سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، [وتفقَّه][(٣)]، وقرأ القرآن وسَمِعَ الحديث، وشَهِدَ عند قاضي القُضَاة أبي عبد الله الدَّامَغَاني، وتوفي في منتصف مُحَرَّم عن تسعٍ وعشرين سنة، ودُفِنَ بالظفرية في دار أبيه، فلما مات أبوه نُقِلَ فدفن في دِكَّة الإمام أحمد رحمة الله عليه.

وظهر من أبيه صبرٌ جميل؛ دَخَلَ عليه بعضُ أصحابه وهو مسجًى، وعليٌّ والِدُهُ يروِّحه [بمروحةٍ][(٣)] بعد موته، فكأنَّه أحَسَّ من الدَّاخل بإنكارِ ذلك، فقال [له][(٥)]: يا هذا، إنها جُثَّةٌ عليَّ كريمة، فما دامتْ بين يديَّ لم تَطِبْ نفسي إلا بتعاهدها، فإذا غابتْ عَنِّي فهي في استرعاءِ مَنْ هو خيرٌ لها مني. [قلتُ: وهذا يحملُ على غَلَبَةِ الحُزن والشَّفقة، وإلا فأيُّ فائدةٍ في ترويح الميت][(٢)].

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٩/ ١٨٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) انظر ترجمة ولديه: أبي الحسن وأبي منصور في «المنتظم»: ٩/ ١٨٦ ـ ١٨٨، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٤، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ١٦٣ ـ ١٦٤، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ٩٧ ـ ٩٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٩ ـ ٤٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(م).

ولما أرادوا غَسْله خَرَجَ أبوه إلى المسجد، فجلَسَ وعنده النّاس، فقرأ قارئ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف:٧٨] فَضَجَّ النَّاس بالبكاء، فقال له ابنُ عَقِيْل: إنْ كان قَصدُك بهذا تهييج الأحزانِ فهو نِياحة، والقرآن ما نَزَل للنِّياحة، وإنما نزل لتسكين الأحزان. فسكت القارئ، [وإنما قصد ترقيق القلوب، فيبكي كل من حضر، لأن كل واحدٍ لا يخلو من شَجَن، فإذا وقع التَّساوي في البكاء حَسُنَ التأسِّي. وفيه أيضاً تخجيل للقارئ وتبكيته، وليس ذلك من مكارم الأخلاق، ولا من باب التودُّد، وفي الجملة فالجَزَعُ أحسنُ من هذا التَّجلُّد، وقد بكى النبي ﷺ عند موت ولده إبراهيم.. الحديث][(١)(٢)].

وكان لابن عقيل ولدٌ آخر كُنْيَتُه أبو منصور، مات سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، وحَزِنَ عليه. قال: فتعزَّيتُ عنه بقِصَّة عمرو بن عبد وَدّ [العامريّ][(١)] الذي قتله عليٌّ عليه السَّلام يوم الخندق، فقالت أخته [ترثيه][(١)] [من البسيط]

لو كان قاتِلُ عمرٍو غيرَ قاتِلِهِ ... لطَال حُزني عليه آخِرَ الأبَدِ
لكنَّ قاتِلَه مَن لا يُقادُ به ... مَنْ كان يُدْعى أبوه بيضَةَ البَلَدِ[(٣)]

قال: فقلتُ سبحان الله!

[من الطويل]

كَذَبْتُ وبَيْتِ الله لو كنتُ صادقاً ... لما سَبَقَتْني بالبكاءِ الحمائِمُ

وذلك لأن أُخت عمرو سَلَّاها وعَزَّاها جلالةُ القاتل، والافتخار بأنَّ أخاها مقتولُه، فهلَّا نَظَرْتُ إلى قاتِلِ ولدي، وهو الأبَديُّ القديم، فهانَ عليَّ الأمر[(٤)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) فيما أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠٣) من حديث أنس بن مالك، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين ـ وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام ـ فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك ـ وإبراهيم يجود بنفسه ـ فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: وأنتَ يا رسولَ الله! فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

(٣) البيتان بنحو هذا اللفظ في «الأضداد» لابن الأنباري: ٧٧، «شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام»: ٢/ ٨٠٤، و«أمالي المرتضى»: ٢/ ٧ ـ ٨، و«اللسان» (بيض)، وقيل: إن الأبيات لامرأة من العرب غير أخته.

(٤) انظر «المنتظم»: ٩/ ١٨٦ ـ ١٨٨.

محمدُ بنُ عليٍّ بن ميمون(١)

أبو الغنائم، ابنُ النَّرْسي، الكوفي.

محدِّثٌ مشهورٌ، ويُعرف بأُبيّ؛ لأنَّه كان جَيِّدَ القراءة [في أول زمانه، فلقبوه أُبيّاً](٢).

ولد سنة أربع وعشرين وأربع مئة في شَوَّال، وسَمِعَ الحديث الكثير، وسافَرَ إلى الشَّام والسَّواحل، وخُتِمَ به عِلْمُ الحديث بالكوفة، وكان يقول: توفِّي بالكوفة ثلاث مئة وثلاثةَ عشرة من الصَّحابة لا يُعرْف قَبْرُ أحدٍ منهم إلا قبر عليٍّ عليه السَّلام.

وقال محمد بن ناصر: ما رأيتُ مثل أبي الغنائم ابن النَّرْسي في ثِقَتِهِ وحِفْظه، ما كان أحد يقدر أن يُدْخِلَ في حديثه ما ليس منه، [وكان](٣) من قُوَّام اللَّيْل، مَرِضَ ببغداد، فانحدر إلى الكوفة، فمات بحِلَّة ابنِ مَزْيَد يوم السَّبت سادس عشرة شعبان، فحمل إلى الكُوفة [فدفن بها. وقال محمد بن عبد الباقي البزَّاز: ما كان بالكوفة](٣) من أهل السُّنَّة والحديث سواه [سمع ببغداد أبا محمد الجَوْهَرِي، والتَّنوخي والعُشَاري وغيرهم، وقرأ القرآن بالرِّوايات فبرع فيه، ورحل إلى الشام والقدس، فروى عنه الفقيه نَصر وهو من شيوخه](٢)، وكان فاضلاً ثِقَةً، عاش سِتّاً وثمانين سنة مُمَتَّعاً بجوارحه.

محفوظ بن أحمد بن الحسن(٤)

أبو الخَطَّاب الكَلْوَذَاني(٥)، الحَنْبلي.

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٢/ ٧٠ ـ وفيه وفاته سنة (٥٠٧هـ) وهو خطأ، تابعه عليه ابن الأثير في «اللباب»: ٣/ ٣٠٦ ـ و«المنتظم»: ٩/ ١٨٩، و«معجم البلدان»: ٥/ ٢٨٠، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ٣٣ ـ ٣٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «طبقات الحنابلة»: ٢/ ٢٥٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣/ ٣٨، و«الأنساب»: ١٠/ ٤٦١ ـ ٤٦٢، و«المنتظم»: ٩/ ١٩٠ ـ ١٩٣، و«اللباب»: ٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨، و«الكامل» ١٠/ ٥٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) يقال الكلوذاني والكلواذاني، وهي نسبة إلى كلوذان: قرية من قرى بغداد على بعد خمسة فراسخ منها، انظر «الأنساب»: ١٠/ ٤٦٠.

ولد في شوال سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، وتفقَّه على القاضي أبي يعلى بن الفراء، وسَمِعَ الحديث وحدَّث، وأفتى ودَرَّسَ، وصنف «الهداية» وغيرها، وشَهِدَ عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدَّامَغَاني، وكان [عاقلاً][(١)] فاضلاً شاعراً، وله قصيدةٌ من جِنْسِ العقيدة، أوَّلُها: [من الكامل]

دَعْ عنك تَذْكارَ الخليطِ المُنْجِدِ ... والشوقَ نحو الآنساتِ الخُرَّدِ[(٢)]
والنَّوْحَ في أطلال سُعدى إنَّما ... تَذْكارُ سُعدى شُغْلُ مَنْ لم يُسْعَدِ
واسْمَعْ مقالي إنْ أردتَ تخلُّصاً ... يومَ الحسابِ وخُذْ بهديي تَهْتَدِي
قالوا بِمَ عَرَف المكلَّفُ رَبَّهُ؟ ... فأجبتُ بالنَّظر الصَّحِيحِ المُرْشِدِ
قالوا فهل رَبُّ الخلائقِ واحدٌ؟ ... قلتُ الكمالُ لربِّنا المُتَفَرِّدِ
قالوا فهل لله عندك مُشْبِهٌ؟ ... قلتُ المُشَبِّهُ في الجحيمِ المُوْصَدِ
قالوا فهل تَصِفُ الإلهَ، أبِنْ لنا؟ ... قلت الصِّفاتُ لذي الجلالِ السَّرْمدي
قالوا فهل تلك الصِّفاتُ قديمةٌ ... كالذَّاتِ؟ قلتُ كذاكَ لم تتجدَّدِ
قالوا فأنتَ تراه جِسْماً، قُلْ لنا؟ ... قلتُ المُجَسِّمُ عندنا كالمُلْحِدِ
قالوا فهل هو في الأماكن كلِّها؟ ... فأجبت بل في العُلْوِ مذهبُ أحمدِ[(٣)]
قالوا أتزعُمُ أنْ على العَرْشِ اسْتوى؟ ... قلتُ الصَّوابُ كذاك خَبَّرَ[(٤)] سيِّدي
قالوا فما معنى اسْتِوَاه، أبِنْ لنا؟ ... فأجَبْتُهُمْ هذا سؤالُ المُعْتدي
قالوا النُّزولُ؟ فقلتُ ناقِلُهُ لنا[(٥)] ... قَومٌ تَمَسُّكُهُمْ بشَرْعِ محمَّدِ
قالوا فكيفَ نزولُهُ؟ فأجَبْتُهُمْ ... لم يُنْقَلِ التكييفُ لي في مُسْنَدِ
قالوا فَيُنْظَرُ بالعيونِ، أَبِنْ لنا ... فأَجَبْتُ رُؤْيَتُهُ لمنْ هو مُهْتَدِي
قالوا فهل لله عِلْمٌ؟ قلتُ ما ... مِنْ عالِمٍ إلا بعِلْمٍ مُرْتدي
قالوا فيوصَفُ بالكلامِ، أبِنْ لنا ... قلتُ السكوتُ نقيصةُ المتوحِّدِ

(١) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): وكان عاقلاً شاعراً، فاضلاً لبيباً ماهراً.
(٢) خُرَّد، جمع نادر، مفرده خريدة وخريد وخَرُود، وهي من النساء البكر التي لم تمسس قط. «اللسان» (خرد).
(٣) في (م): فأجبت علواً ذاك مذهب أحمد.
(٤) في (ع) و(ب) يخبر، والمثبت من (م) و(ش).
(٥) في (ع) و(ب): له، والمثبت من (م) و(ش).

فقال له الشيخ علي: أحسنتَ أحسنتَ، ولقد صدقت.

وقال الشيخ عمر البزاز: سمعتُ سيِّدي الشَّيخ عبد القادر ﷺ يقول: عَثَرَ حسين الحلاج فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده، ولو كنتُ في زمنه لأخذتُ بيده، وأنا لكلِّ من عَثَر به مركوبه من أصحابي ومريديّ ومحبيّ إلى يوم القيامة آخذ بيده، يا هذا؛ فرسي مُسْرَج، ورمحي منصوب، وسيفي شاهر، وقوسي موتر، أحفظك لله، وأنتَ غافل!

ذكر شيء من أجوبته ﷺ :

سُئِلَ عن صفات الموارد الإلهية والطَّوارق الشَّيطانية، فقال: الوارد الإلهي لا يأتي باستدعاء، ولا يذهب بسبب، ولا يأتي على نَمَطٍ واحد، ولا في وقتٍ مخصوص، والطَّارق الشَّيطاني بخلاف ذلك غالباً.

وسئل عن المحبة، فقال: هي تشويش في القلوب يقع في المحبوب، فتصير الدُّنيا عليه كحَلْقة خاتم أو مجمع مأتم، والحبُّ سُكْرٌ لا صحو معه، وذِكْرٌ لا محو معه، وقَلَقٌ لا سكون معه، وخلوص المحبوب بكلِّ وَجْه سِرًّا وعلانية بإيثار اضطرار لا بإيثار اختيار، وبإرادة خِلْقة لا بإرادة كُلْفة، والحبُّ العمى عن غير المحبوب غيرةً عليه، والعمى عن المحبوب هيبةً له، فهو عمى كلُّه، والمحبون سُكارى لا يصحون إلا بمشاهدة محبوبهم، مَرْضى لا يشفون إلا بملاحظة مطلوبهم، حيارى لا يأنسون إلا بمولاهم، ولا يلهجون بغير ذكره، ولا يجيبون غير داعيه، وفي هذا المعنى يقول مجنون ليلى: [من الطويل]

لقد لامني في حُبِّ ليلى أقاربي

الأبيات[1].

وسئل ﷺ عن التَّوحيد، فقال: هو إشارة سِرِّ الضَّمائر بإخفاء السَّرائر، عند ورود الحضرة، ومجاوزةُ القلب منتهى مقامات الأفكار، وارتفاعُه على أعلى درجات الوِصال، وتجلُّله أستارَ التَّعظيم، وتخطِّيه إلى التقرُّب بأقدام التجريد، وترقيه إلى التَّداني بسعي التفريد، مع تلاشي الكونين، وتعطُّل الملكين، وخَلْعِ النَّعلينِ، واقتباس النُّورين، وفناء العالمين تحت لَمَعان أنوار بروق الكَشْف من غير ما عزيمة متقدِّمة.

(١) وعجزه: أبي وابنُ عميِّ وابن خالي وخاليا
وانظر الأبيات في «ديوانه»: ص٣٠٦-٣٠٧.

وسئل عن التَّجريد، فقال: هو تجريد السِّرِّ عن المدثر بثياب السكون عن طلب المحبوب، وتعريه في التنزيل بلباس الطمأنينة على مفارقة المحدود، والرُّجوع من الخلق إلى الحقِّ مُبيناً.

وسئل عن الهِمَّة، فقال: هي أن يتعزَّى بنفسه عن حُبِّ الدُّنيا، وبروحه عن التعلُّقِ بالعقبى، وبقلبه عن إرادةٍ مع إرادة المولى، وبتجرُّدِ سِرِّه عن الإشارة إلى الكون ولو بلمحةٍ أو طرفة.

وسئل عن الشَّوق، فقال: أحسنُ الأشواقِ ما كان عن مشاهدة، فهو لا يَفْتُرُ على اللِّقاء، ولا يَسْكُنُ على الرؤية، ولا يذهب على الدُّنو، ولا يزول على الأُنْس، بل كلما ازداد لقاءً ازداد تشوُّقاً، ولا يصحُّ الشَّوق حتى يتجرَّد من عِلَله، وهي موافقة روح، أو متابعة هِمَّة، أو حَظُّ نَفْس، فيكونُ شوقاً مجرَّداً عن الأسباب، فلا يدري السببَ الذي أوجب له ذلك الشوق، لأنه هو ذا يشاهده ويتشوق إلى المشاهدة مع المشاهدة.

وسئل عن التوكل، فقال: هو اشتغالُ السِّرِّ بالله عن غير الله، فينسى ما يتوكَّلُ عليه لأجله، ويستغني عما سواه، فيرتفع عن خشية الفَنَاء في التوكل، والتوكُّلُ استشراف السِّرِّ بملاحة عين المعرفة إلى خفي غيب المقدورات، واعتقاد حقيقة اليقين بمعاني مذاهب المعرفة أنها محتومة، لا يقدح فيها تناقض.

وسئل عن التَّوبة، فقال: التوبة نَظَرُ الحقِّ تعالى إلى عنايته السَّابقة القديمة لعبده، وإشارته بتلك العناية إلى قلب عبده، وتجريده إياه بالشَّفقة، مجتذباً إليه وقابضاً، فإذا كان ذلك كذلك انجذب القلب إليه عن كلِّ هِمَّةٍ فاسدة، وتابعته الروح، ووافقه العقل، وصحَّتِ التوبة، وصار الأمر كلُّه لله تعالى.

وسئل عن البكاء، فقال: ابك له، وابك منه، وابك عليه.

وسئل عن الدُّنيا، فقال: أَخرِجْها من قَلْبك إلى يدك، فإنها لا تغرُّك.

وسئل عن التَّصوف، فقال: الصُّوفي من جَعَل ضالَّته مراد الحقِّ منه، ورَفَضَ الدُّنيا فَخَدَمَتْه ووفَّتْه أقسامه، وحَصَلَ له في الدُّنيا قبل الآخرة مرامه، فعليه من ربه سلامه.

وسئل عن الفَرْق بين التعزُّز والتكبُّر، فقال: التعزُّز ما كان لله وفي الله، ويفيد ذُلَّ النَّفْس، وارتفاع الهِمَّة إلى الله عز وجل. والتَكبُّرُ ما كان للنَّفْس، وفي الهوى، ويفيد هيجان الطَّبع وقهقرة الإرادة عن الله عز وجل، والكِبْر الطَّبيعي أسهل من الكبر المكتسب.

وسئل عن الشُّكْر، فقال: حقيقةُ الشكر الاعترافُ بنعمة المُنْعم على وَجْه الخضوع، ومشاهدةُ المِنَّة وحفظُ الحُرْمة على وَجْه معرفة العجز عن الشكر، وينقسم أقساماً:

شكر باللِّسان: وهو الاعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة.

وشكر بالأركان: وهو الإنصاف بالخدمة، والوقار.

وشكر بالقلب: وهو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحُرمة، ثم التَّرقِّي بعد حضور هذه المشاهدة إلى الغيبة في رؤية المنعم عن رؤية النِّعمة. والشاكر الذي يشكر على الموجود، والشَّكور الذي يشكر على المفقود. والحامد الذي يشهد مع المنع عطاء، والضُّرّ نفعاً، ثم يستوي عنده الوصفان، والحمد الذي يستنفد المحامد شهود الكمال بوصف الجمال، ونعت الجلال بعين المعرفة على بساط القُرْب.

وسئل عن الصبر، فقال: هو الوقوف مع البلاء بحُسْنِ الأدب، والثَّبات مع الله عَزَّ وجل، وتلقي أمر أقضيته بالرُّحْب والسَّعَة على أحكام الكتاب والسُّنَّة، وينقسم أقساماً: صبر لله، وهو الثَّبات على أداء أمره، وانتهاء نهيه. وصبر مع الله: وهو السُّكون تحت جريان قضائه وفعله فيك، وإظهار الغِنى مع حلول الفقر من غير تعبيس. وصبر على الله: وهو الرُّكون إلى وَعْده في كلِّ شيء، والسير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن، وهِجْران الخَلْق في جَنْبِ الحقِّ شديد، والمسير من النَّفس إلى الله أشدّ، والصَّبر مع الله أشد، والفقيرُ الصَّابر أفضل من الغنيِّ الشَّاكر، والفقير الشَّاكر أفضل منهما، والفقير الصَّابر الشاكر أفضل منهم، وما خطب البلاء إلا مَنْ عرف المبتلي.

وسُئِلَ عن حُسن الخُلُق، فقال: هو أن [لا] يؤثر فيك جفاءُ الخَلْق بعد مطالعتك الحق[1]، واستصغار نفسك وما منها معرفةً بعيوبها، واستعظام الخلق وما منهم نظراً إلى ما أُودعوا من الحِكَم والإيمان، وهو أفضلُ مناقب العبد، وبه تظهر جواهر الرجال.

(١) في (ح): هو أن يؤثر فيك خفاء الحق، والمثبت من «الغنية»: ٢/ ١٩٢، وما بين حاصرتين منه.

وسئل عن الأخذ والرَّدِّ، فقال: الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عنادٌ وشقاق، الأخذ مع عدم الهوى وفاق واتِّفاق، وتركه رياءٌ ونفاق.

وسُئِلَ عن الفناء، فقال: هو أن يطالع الحقُّ تعالى سِرَّ وليِّه بأدنى تجليه، فيتلاشى الكون ويفنى الولي تحت تلك الإشارة، وفناؤه في ذلك الوقت بقاءٌ، لكنَّه يفنى تحت إشارة الباقي، فإنْ كانت إشارة الحق نفسه، فإنَّ تجليه بنفسه، فكأنَّه ينفيه عنه، ثم ينفيه به.

وسئل عن الوفاء، فقال: هو الرِّعاية لحقوق الله تعالى في الحرمات أن لا يطالعها بسِرٍّ ولا نَظَر، والمحافظة على حدود الله قولاً وفعلاً، والمسارعة إلى مرضاته بالكُلِّية سِرًّا وجَهْراً.

وسُئِلَ عن الرِّضا، فقال: هو ارتفاع التَّردُّد، والاكتفاء بما سَبَق في عِلْم الله عز وجل في أزله، والرِّضا أن لا يستشرف القَلْبُ إلى نزولِ قضاءٍ من الأقضية بعينه، فإذا نَزَلَ قضاءٌ، فلا يستشرف القلب إلى زواله.

وسئل رضي الله عنه عن الخوف، فقال: الخوفُ على أنواعٍ: فالخوفُ للمُذْنبين، والرَّهبة للعابدين، والخَشْية للعالمين، والوَجْد للمحبين، والهيبة للعارفين، فخوفُ المُذنبين من العقوبات، وخوفُ العابدين من فوت ثواب العبادات، وخوفُ العالمين من الشكر الخفي للطَّاعات، وخوفُ المحبين فوت اللِّقاء، وخوف العارفين الهيبة والتَّعظيم، وهو أشد الخوف؛ لأنَّه لا يزول أبداً، وسائر هذه الأنواع تسكن إذا قوبلت بالرَّحمة واللُّطف.

وسُئِلَ عن الدُّعاء، فقال: هو على ثلاث درجات: تصريح، وتعريض، وإشارة، فالتَّصريح: ما يلفظ به، والتَّعريض: دعاء في دعاء مضمر، وقول في قول مستور، وإشارة في فعل مخفي، فمن التعريض قولُ النَّبي ﷺ: «لا تكِلْنا إلى أنفسنا طَرْفة عين»[1]، ومن الإشارة قولُ إبراهيمَ الخليل ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، يشير إلى الرؤية، والتَّصريح قول موسى عليه السَّلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(١) كذا قال، ولم أجده مرفوعاً في دواوين السنة المعتمدة.

وسُئِلَ عن المشاهدة، فقال: هي العمى عن الكونين بعين الفؤاد، ومطالعة الحقِّ بعين المعرفة على غير توهُّم استدراكٍ، ولا طَمَعٍ في تصوُّرٍ ولا تكييف، واطِّلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق تعالى به من الغيوب.

وسُئِلَ رضي الله عنه عن معنى القُرْب، فقال: هو طَيُّ المسافاتِ بلطف المداناة.

وقيل بين يديه: ما أحسنَ المولَّهين، فقال: عقلاءُ الله تعالى أحسن، لأنَّ المولَّه سُلِبَ عقله بنظرة أو لحظةٍ، والعاقل تهبُّ عليه نسمات الله فلا تحرِّك من شعر لحيته طاقة تجمّل بها على تحامل النبوة[١].

وقال الشيخ عبد الرَّزَّاق: كان من أدعية والدي في مجالس وعظه: اللهمَّ، إنَّا نسألك إيماناً يصلح للعرض عليك، وإتقاناً نقف به في القيامة بين يديك، وعصمة تنقذنا بها من ورطات الذنوب، ورحمة تطهرنا بها من دَنَس العيوب، وعِلْماً نفقه به أوامرك ونواهيك، وفهماً نعلم به كيف نناجيك، واجعلنا في الدُّنيا والآخرة من أَهْل ولايتك، واملأ قلوبنا بنور معرفتك، وكَحِّلْ عيون عقولنا بإثمد هدايتك، واحرس أقدام أفكارنا من زوالق مواطئ الشبهات، وامنع طيور نفوسنا من الوقوع في شباك موبقات الشهوات، أعِنَّا في إقام الصَّلوات على تَرْك الشهوات، وامحُ سطور سيئاتنا من جرائد أعمالنا بأيدي الحسنات، كن لنا حيثُ ينقطع الرَّجاء منا إذا أعرض أهلُ الوجود بوجوههم عنا، حين نحصل في ظُلَم اللحود رهائن أفعالنا إلى اليوم المشهود، أَجِرْ عبدك الضَّعيف على ما ألف من العِصْمة من الزَّلل، ووَفِّقْه والحاضرين لصالح القَوْل والعمل، وأَجْرِ على لسانه ما ينتفع به السَّامع، وتَذْرِفُ له المدامع، ويلين له القَلْبُ الخاشع، واغفرْ له وللحاضرين، ولجميع المسلمين.

وكان من أدعيته:

اللهم، إنَّا نعوذ بوصلك من صَدِّك، وبقربك من طَرْدك، وبقَبُولك من ردِّك، فاجعلنا من أهل طاعتك ووُدِّك، وأَهِّلنا لشكرك وحمدك.

---

(١) كذا، ولم تتجه لي العبارة.

وكان ربما خَتَمَ مجلسه بأن يقول: جَعَلَنا الله وإياكم ممن تَنَبَّه لخلاصه، وتنزَّه عن الدُّنيا، وتذكر يوم حشره، واقتفى آثار الصَّالحين، إنَّه وليُّ ذلك، والقادر عليه.

تسمية شيوخه:

اشتغل بالقرآن العظيم حتى أتقنه، وتفقه بأبي الوفاء علي بن عَقيل، وأبي الخَطَّاب محفوظ الكَلْواذاني، وأبي الحسن محمد بن القاضي أبي العلاء، وأبي سَعْد المبارك بن علي المُخَرِّمي مَذْهباً وخلافاً وفروعاً وأصولاً، وقرأ الأدب على أبي زكريا يحيى بن علي التِّبْريزي، وسَمِعَ الحديث من جماعةٍ، منهم: أبو غالب محمَّد بن الحسن الباقِلَّاني، وأبو سَعْد محمَّد بن عبد الكريم بن خُشَيْش، وأبو الغنائم محمَّد بن علي بن ميمون النَّرْسي، وأبو بكر أحمد بن المُظفَّر، وأبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسن القارئ السَّرَّاج، وأبو القاسم علي بن أحمد بن بيان الكَرْخي، وأبو عثمان إسماعيل بن محمَّد، وأبو طالب عبد القادر بن محمَّد بن يوسف، وابن عمه عبد الرَّحمن بن أحمد، وأبو البركات هبة الله بن المبارك، وأبو العِزّ محمد بن المختار، وأبو نَصْر محمَّد، وأبو غالب أحمد، وأبو عبد الله يحيى أولاد الإمام أبي علي بن البَنَّاء، وأبو الحسين المبارك ابن الطُّيوري، وأبو منصور عبد الرَّحمن القَزَّاز، وأبو البركات طلحة العاقولي، وغيرهم.

وصَحِبَ الشيخ أبا الخير حَمَّاد الدَّبَّاس[1]، وأخذ عنه عِلْم الطَّريقة، وتأدَّب به، وأخذ الخِرْقة الشَّريفة من أبي سَعْد المبارك المخرِّمي، ولقي جماعةً من أعيان زُهَّاد الزمان، وأضيف إلى مدرسة المخرِّمي مما حولها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثليها، وبذل الأغنياءُ في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء بأنفسهم، فتكملت المدرسة المنسوبة إليه الآن، وكان الفراغ منها في سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة، وتصدَّر بها للتدريس والفتوى، وجَلَسَ بها للوعظ، وقُصِدَت بالزِّيارات والنُّذور، واجتمع عنده بها من العلماء والفقهاء والصُّلحاء جماعة من الآفاق، فحملوا عنه وسمعوا عنه، وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق، وتتلمذ له خلق كثير، فممن انتمى إليه من المشايخ وأخذ عنه شيئاً من العلوم الشيخ الإمام القُدْوة أبو عمرو عمار بن مرزوق بن حميد بن سلام القُرَشي، نزيل مِصْر.

---

(١) في ترجمته في «السير» ١٩/ ٥٩٤ : «أبو عبد الله».

قال الشيخ عبد الرَّزَّاق: لما حَجَّ والدي ـ رحمه الله ـ في السنة التي كنتُ فيها معه، اجتمع به في عرفات الشيخان: عمَّار بن مرزوق، وأبو مَدْين، ولبسا منه خرقة بركة، وسمعا عليه جزءاً من مروياته، وجلسا بين يديه.

وقال الشيخ سَعْد بن عمار بن مرزوق: كان أبي ـ رحمه الله ـ يقول: قال شيخُنا عبد القادر كذا وكذا، رأيتُ سَيِّدَنا الشيخ عبد القادر يفعل كذا وكذا، سمعتُ أستاذنا الشيخ عبد القادر يقول كذا، وكان إمامنا وقُدْوتنا الشيخ عبد القادر يفعل كذا.

والقاضي أبو يعلى محمد ابن الفَرَّاء.

قال عبد العزيز بن الأخضر: سمعتُ القاضي أبا يعلى ابن الفَرَّاء يقول: جالستُ الشيخ عبد القادر كثيراً، وقلتُ بإرادته.

والشيخ الفقيه أبو الفَتْح نَصْر بن فِتْيان بن مطر بن المَنِّي، والشيخ أبو محمَّد محمود ابن عثمان النَّعَّال، والإمام أبو حفص عمر بن أبي نَصْر بن علي الغَزَّالي، والشيخ أبو محمَّد الحسن الفارسي، والشيخ عبد الله بن أحمد بن الخَشَّاب، والحافظ أبو العِزّ عبد المغيث بن زهير بن علوي الحَرْبي، والإمام أبو عمر عثمان بن إسماعيل الملقب بشافعي زمانه، والشيخ محمد الكِيزاني، والشيخ الفقيه رسلان بن عبد الله بن شعبان، والشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحَرِيمي العَطَّار، والشيخ محمّد بن قائد الأَوَاني، وعبد الله بن سنان الرُّدَيني، والحسن بن عبد الله بن رافع الأنصاري، وطلحة بن مُظَفَّر بن غانم العَلْثي، وأحمد بن أسعد بن وهب بن علي الهَرَوِي، ومحمَّد ابن الأزهر الصَّريفيني، و[أحمد بن][1] يحيى بن بركة بن محفوظ الدَّبيقي، وعلي بن أحمد بن وهب الأَزَجي، وقاضي القضاة عليّ، وأخوه الحسن ابنا أحمد ابن الدَّامَغاني، وقاضي القضاة عبد الملك بن علي بن دِرْباس الماراني، وأخوه عثمان، وولده عبد الرَّحمن، وإبراهيم بن مُزَيْبل بن نَصْر المخزومي الضَّرير، وولده عبدالله، ومحمَّد بن رسلان الشَّافعي، وولده عبدالرحمن، وعبد الله بن نَصْر بن حمزة البكري، وعبد الجبَّار بن أبي الفَضْل القَفْصي، وعلي ابن طاهر الأنصاري، وعبد الغني بن عبد

---

(١) مابين حاصرتين من «معجم البلدان»: ٢/ ٤٣٨.

الواحد المقدسي الحافظ، وأبو عمر محمَّد بن أحمد ابن قدامة المقدسي، وإبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الإمام موفق الدِّين، رحمه الله.

قال الشيخ شمس الدِّين رحمه الله: سمعتُ الشيخ موفق الدين رحمه الله يقول: لبست أنا والحافظ عبد الغني الخِرْقة من يد شيخ الإسلام عبد القادر في وقتٍ واحد، واشتغلنا عليه بالفِقْه، وسمعنا منه، وانتفعنا بصحبته، ولم ندرك من حياته غير خمسين ليلة.

[وأبو][(١)] محمَّد بن أبي الحسن الجُبَّائي، وخلف بن عَيَّاش المِصْري، وعبد المنعم بن علي الحَرَّاني، وإبراهيم الحداد التيمي، وعبد الله الأسدي اليمني، وعطيف بن زياد اليمني، وعمر بن أحمد اليَمَني، ومدافع بن أحمد وإبراهيم بن بشارة العدني، وعمر بن مسعود البَزَّاز، وأسباه مير بن محمّد الجيلاني، وعبد الله البطائحي نزيل بَعْلَبَكّ، ومكي بن أبي عثمان السَّعْدي وولداه عبد الرَّحمن وصالح، وعبد الله بن الحسين العُكْبَرِي، وأبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد، وأخوه أحمد، وعتيق، وعبد العزيز بن أبي نَصْر الجُنَابَذي، ومحمّد بن أبي المكارم الحجة البعقوبي، وعبد الملك بن ديالى، وولداه أبو الفرج وأبو أحمد، وعبد الرَّحمن بن نجم الخَزْرجي، ويحيى التكريتي، وهلال بن أُميَّة العَدَني، ويوسف بن المُظَفَّر - يعرف بالعاقول - وأحمد بن إسماعيل بن حمزة، وعبد الله بن أحمد المنصوري، ومحمّد بن شهرويه الصّريفيني، وعثمان الياسري، ومحمّد الواعظ الخَيَّاط، وتاج الدِّين بن بطة، وعمر المدائني، وعبد الرَّحمن بن بقاء، ومحمّد بن النَّحالْ، وعبد العزيز بن دُلَف، وعبد الكريم بن محمّد المِصْري، وعبد الله بن محمَّد بن الوليد، وعبد المحسن بن الدَّوَيْرة، ومحمد بن أبي الحسين، ومحمَّد بن عبد الصَّمد الصُّوفي نزيلْ مِصْر، ودُلَف الحَرِيمي، ومحمد بن أحمد المؤدِّب، ويوسف بن هبة الله الدِّمَشْقي، وعبد الباقي ابن عبد الجبار الهَرَوِي، وأحمد بن الدَّبيقي البابَصْري، وعبد الرَّحمن بن محمَّد الهاشمي، وأحمد بن مطيع، وعلي بن النَّفيس المأموني، ومحمد بن الليث الضَّرير، والشريف أحمد ابن مسعود، وعلي بن أبي بكر بن إدريس، ومحمد بن نَصْر، وعبد اللطيف بن محمد

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا.

الحَرَّاني وغيرهم، ممن يطول هذا المختصر بذكرهم، وإنما سمينا أعيان من بَلَغنا من أصحابه.

ذكر أولاده، رضي الله عنه:

كان له عِدَّة أولاد ذكوراً وإناثاً، فمن أعيانهم الشيخ عبد الوهَّاب، تفقَّه على والده، وسمع منه، ومن أبي غالب ابن البَنَّاء وغيرهما، ورحل إلى بلاد العَجَم في طلب العِلْم، ودرَّس بعد والده بمدرسته، وحدَّث ووعظ وأفتى، وتخرَّج به جماعة، منهم: الشَّريف الحسيني البغدادي، وأحمد بن عبد الواسع بن أميركاه، وغيرهما، وتوفي ببغداد ليلة الخامس وعشرين من شوَّال سنةَ ثلاثٍ وتسعين وخمس مئة، ودفن من الغد بمقبرة الحَلْبة، ومولده في شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، رحمه الله.

والشيخ عيسى، تفقَّه على والده، وسمع منه، ومن أبي الحسن محمَّد بن صَرْما وغيرهما، ودرَّس، وحدَّث، ووعظ، وأفتى، وصنَّف، ومن مصنَّفاته كتاب «جواهر الأسرار ولطائف الأنوار» في علوم الصُّوفية، وقَدِمَ مصر، وحدَّث بها، ووعظ، وتخرَّج به من أهلها غيرُ واحد، منهم: أبو نزار ربيعة بن الحسن الحَضْرمي الصَّنعاني، ومسافر بن يعمر المِصْري، وأحمد بن مَيْسرة، وحامد بن أحمد المِصْري الأَرْتاحي، ومحمّد بن حمد الفقيه المحدِّث، وعبد الخالق بن صالح القُرَشي الأموي المِصْري، وغيرهم.

والشيخ أبو بكر عبد العزيز، تفقَّه على والده، وسمع منه، ومن أبي منصور عبد الرَّحمن بن محمد القَزَّاز، وغيرهما، وحدَّث ووعظ، ودرَّس، وتخرَّج به غيرُ واحد، وكان بَهِيًّا متواضعاً، رحل إلى الحيال؛ قرية من قُرى سِنْجار، واستوطنها، رحمه الله.

والشيخ عبد الجبار، تفقَّه على والده، وسمع منه، ومن أبي منصور القَزَّاز، وغيرهما.

والشيخ عبد الرَّزَّاق، تفقَّه على والده، وسَمِعَ منه، ومن أبي الحسن بن صَرْما وغيرهما، وحدَّث وأملى، وخرَّجَ، ودرَّس، وأفتى، وناظر، وتخرَّج به غيرُ واحد، منهم: إسحاق بن أحمد بن غانم العَلْثي، وعليّ بن علي خطيب رُؤْيا وغيرهما، وحُدِّث عنه أنه مَكَثَ ثلاثين سنة لا يرفع رأسه إلى السَّماء حياءً من ربه عزَّ وجل. وتوفي ببغداد

في السادس من شَوَّال سنة [ثلاث وست مئة، ومولده سنة][١] ثمانٍ وعشرين وخمس مئة، رحمه الله.

والشيخ إبراهيم، تفقَّه على والده، وسمع منه، ومن سعيد بن البَنَّاء وغيرهما، ورحل إلى واسط، وتوفي بها سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة.

والشيخ محمّد، تفقَّه على والده، وسمع منه، ومن ابن البَنَّاء، وأبي الوقت، وغيرهم، وحدَّث، وتوفي ببغداد في الخامس والعشرين من ذي القَعْدة سنةَ ست مئة، ودُفِنَ من يومه بمقبرة الحَلْبة، رحمه الله.

والشيخ عبد الله، سمع من أبيه، ومن ابن البَنَّاء، وتوفي ببغداد في السَّابع والعشرين من صفر سنةَ سبعٍ وثمانين وخمس مئة، ومولده سنة ثمانٍ وخمس مئة، وهو أسنُّ أولاد سيدنا الشيخ محيي الدِّين، رحمة الله عليه.

والشيخ يحيى، تفقَّه على والده، وسمع منه، ومن محمد بن عبد الباقي وغيرهما، وحدَّث، وانتفع به النَّاس، وقَدِمَ مِصْر، وتوفي ببغداد في ليلة النِّصف من شعبان سنة ستّ مئة، ودُفِن عند أخيه عبد الوهَّاب، ومولده في سادس ربيع الأول سنة خمسين وخمس مئة، رحمه الله.

والشيخ موسى، تفقَّه على والده، وسَمِعَ منه، ومن ابن البَنَّاء وغيرهما، وحدَّث بدمشق وعمَّر، وانتفع به النَّاس، ودخل مِصْر، واستوطن دمشق، وتوفي بها بالعقيبة في ليلة مستهل جُمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وست مئة، ودفن بسفح جبل قاسيون، ومولده سَلْخ ربيع الأول سنة تسعٍ وثلاثين وخمس مئة، ويقال: سنة سبع وثلاثين وخمس مئة، وهو آخر مَنْ مات من أولاده ﷺ.

والشيخ عفيف بن المبارك سِبْطه، تفقَّه على جَدِّه، وسمع منه، ومن أبي زُرْعة.

وعبد السَّلام بن الشيخ عبد الوهَّاب، تفقَّه على جَدِّه وأبيه، ودرَّس وأفتى، وتولى عِدَّة ولايات، ومولده ثامن ذي الحِجَّة سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة، وتوفي ببغداد

(١) مابين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

في ثالث رجب سنة إحدى عشرة وست مئة، ودُفِنَ من يومه في مقبرة الحَلْبة، وسيأتي ذكره إنْ شاء الله تعالى.

وسليمان بن عبد الوهَّاب: سمع من غير واحد، وحدَّث.

وداود بن عبد الوهَّاب، تفقه وسَمِعَ وحدَّث، وتوفي ببغداد في ثامن عشر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وست مئة، ودُفِنَ من الغد بمقبرة الحَلْبة عند أبيه وجَدِّه، رحمه الله.

ونصر بن الشيخ عبد الرَّزَّاق، تفقَّه على والده وغيره، وسمع منه، ومن والده، ومن عمه عبد الوهَّاب، ومن أبي هاشم الدُّوْشابي وغيرهم، ودرَّس وحدَّث، وأملى، ووعظ، وأفتى وناظر، وتولى قضاء القضاة بمدينة السَّلام، وتخرَّج به في عِلْمي الشَّريعة والحقيقة غيرُ واحد، وتوفي ببغداد في السَّادس عشر من شَوَّال سنة ثلاثٍ وثلاثين وستّ مئة، ودفن بباب حَرْب، ومولده الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمس مئة. وأُمه أَمَةُ الكريم تاج النِّساء بنت فضائل بن علي التَّكْريتي، سمعت وحدَّثت، وكان لها حظٌّ وافر من الخير والصَّلاح، وتوفيت ببغداد في الثَّاني عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وست مئة، ودُفنت بباب حَرْب.

وعبدُ الرَّحيم بن الشيخ عبد الرَّزاق، سمع من محمّد بن عبد الباقي، وشُهْدة بنت الإِبَرِي، وخديجة بنت أحمد النَّهرواني وغيرهم، وحدَّث، وتوفي ببغداد في سابع ربيع الأول سنة ستٍّ وست مئة، ودُفِنَ من يومه بباب حرْب.

وإسماعيل بن عبد الرَّزَّاق، سمع من غير واحد، وتفقَّه، وحدَّث، وتوفي ببغداد في ثالث عشر المحرَّم سنة ست مئة، ودُفِنَ بمقبرة الإمام أحمد، رحمة الله عليه.

وأبو المحاسن بن عبد الرَّزَّاق، تفقَّه على والده، وغيره، وسمع منه، ومن عمِّه عبد الوهَّاب وأبي الفَتْح، وغيرهم. وتوفي شهيداً بأيدي التَّتر ببغداد في صفر سنة ست وخمسين وست مئة، ومولده سنة أربع وسبعين وخمس مئة ببغداد، رحمه الله.

والشيخة سعادة بنت عبد الرَّزَّاق، سمعت من عبد الحق، وغيره، وتوفيت ببغداد في سابع عشر جُمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وست مئة، وصَلَّى عليها أبو صالح.

والشيخة عائشة بنت عبد الرَّزَّاق، سَمِعَتْ من عبد الحقِّ وغيره، وحدَّثت، وكانت خَيِّرة، زاهدة، عابدة، صالحة، توفيت ببغداد في ثالث عشر ربيع الأَوَّل سنة ثمانٍ وعشرين وست مئة، ودُفِنَتْ من الغد بباب حَرْب.

ومحمَّد بن عبد العزيز، سمع من غير واحد، وكانت الحيال داره وتُرْبَتَه، وأُخته زهراء زاهدة، سَمِعَتْ وحدَّثَتْ، وتوفيت ببغداد في السَّابع من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وست مئة.

والشيخ محمّد بن نَصْر بن عبد الرَّزَّاق، تفقَّه على والده، وسمع منه ومن غيره، وكان يُشْبه جدَّ أبيه سيدنا شيخ الإسلام محيي الدِّين رحمة الله عليه، وتوفي ببغداد سنة ستٍّ وخمسين وست مئة.

والشيخ يحيى بن نَصْر بن عبد الرزاق، تفقَّه على والده وغيره، وسمع من والده، ومن غيره، وحدَّث ووعظ، وله كلامٌ حسن على لسان أهل الحقيقة، وشِعْرٌ بديع، سُئِلَ عن المتمكِّن، فأنشد لنفسه: [من البسيط]

يسقي ويشربُ لا تلهيه سَكْرَتُهُ ... عن النَّديمِ ولا يلهو عن الكاسِ
أطاعه سُكْرُهُ حتى تحكَّمَ في ... حالِ الصُّحاةِ وذا من أَعْجَبِ النَّاسِ

ثم تلعَّب فيهما بالعبارة، فقال: [من الوافر]

ويَشْرَبُ ثُمَّ يسقيها النَّدامى ... ولا يُلْهيه كأسٌ عن نديمِ
له مع سُكْره تأييدُ صاحٍ ... ونشوةُ شاربٍ وندى كريمِ

والشيخ محمّد بن علي البغدادي التَّوحيدي، سِبْط عبد الرَّزَّاق، تفقَّه على خاله نصر، وتخرَّج به، وسمع منه، ومن عليِّ بن أبي بكر البعقوبي، وعمر السُّهْرَوَرْدِي، واسحاق العَلْثي، وهبة الله المنصوري الخطيب وغيرهم، توفي ببغداد على أيدي التَّتر شهيداً في صفر سنة ستٍّ وخمسين وستّ مئة، ولقد كان منهم بمصر غير واحد وبغيرها من البلاد، رحمهم الله أجمعين.

ذكر ثناء المشايخ على سيدنا الشيخ محيي الدِّين ﷺ، وتعظيمهم له وتأدُّبهم معه، وذكرهم لشيء من طريقه، وتنبههم على عِظَم مَحلِّه وعلوِّ قَدْره.

قال أبو الفتح الهروي: سمعتُ الشيخ علي بن الهِيْتي يقول: لا مريدين بشيخهم أسعد من مريدي الشيخ عبد القادر، سلام الله عليه.

قال: وسمعتُ الشيخ أبا سعد القيلويي يقول: ما رَجَعَ سيدنا الشيخ عبد القادر إلى العالم إلَّا على أن من تمسَّك بذيله نجا.

وقال بقاء بن بطو: رأيتُ أصحابَ سيدي الشيخ عبد القادر كلَّهم غُرًّا في جحفل السعداء.

وقال الشيخ عدي بن أبي البركات: سمعتُ عمي الشيخ عدي بن مسافر سنة أربعٍ وخمسين وخمس مئة بزاويته بالجبل يقول: مَنْ سألني من أصحاب المشايخ أن أُلبسه خرقةً فعلتُ له ذلك، إلا أصحابَ الشيخ عبد القادر، فإنهم منغمسون في الرحمة، وهل يترك أحدٌ البحر ويأتي إلى السَّاقية!

وقال الشيخ علي بن إدريس البعقوبي: سُئِلَ الشيخ علي بن الهيتي وأنا أسمع عن طريق سيِّدنا الشيخ عبد القادر، ﷺ، فقال: كان قدمه التَّفويض والموافقة مع التَّبرِّي من الحَوْل والقُوة، وطريقه تجريدُ التَّوحيد، وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية بسر قائم في مقام العِنْدية لا بشيء ولا لشيء، وكانت عبوديته مستمدَّة من لحظ كمال الرُّبوبية، فهو عبدٌ سما عن مصاحبة التفرقة إلى مطالعة الجمع مع أحكام الشَّرع.

وقال الشيخ عدي بن أبي البركات: قيل لعمِّي الشيخ عَدِي بن مسافر، وأنا أسمع: ما طريقُ الشيخ عبد القادر؟ فقال: الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والرُّوح، واتِّحاد الباطن والظَّاهر، وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النَّفع والضَّر، والقُرْب والبُعْد.

وقال الخليل بن أحمد الصَّرْصَرِي: سمعتُ الشيخ بقاء بن بطو يقول: طريقُ سيِّدنا الشيخ عبد القادر ﷺ اتحاد القول والفعل، واتحاد النفس والوقت، ومعانقة الإخلاص والتَّسليم، وموافقة الكِتاب والسُّنَّة في كل خطرة ولحظة، ونفس ووارد وحال، والثبوت مع الله عزَّ وجل.

وقال الشيخ أبو سعد القيلويي: قوة سيدنا الشيخ عبد القادر مع الله وفي الله وبالله، ضَعُفَتْ عندها قُوى الصَّناديد، ولقد سبق كثيراً من المتقدِّمين بتمسكه بعروة من طريقة لا انفصامَ لها، ولقد رفعه الله إلى مقام عزيز بتدقيقه في تحقيقه.

وقال الشيخ عبد الرَّحمن الرِّفاعي: قَدِمْتُ بغداد، وحضرتُ الشيخ عبد القادر ـ سلام الله عليه ـ فرأيتُ من حاله وفراغ قلبه وخلوّ سِرِّه ما أذهلني، فلما رجعتُ إلى أُم عبيدة[1] أخبرت خالي الشيخ أحمد عنه بذلك، فقال: يا ولدي، ومن يُطيق مثل قوة الشيخ عبد القادر وما هو عليه، وما وصل إليه.

وقال أبو محمَّد الحسن: سمعتُ الشيخ علي الفرنثي يقول لرجلٍ: لو رأيتَ الشيخ عبد القادر لرأيتَ رجلاً فاقت قوتُه في طريقه إلى ربه قوى أهل الطَّرائق شِدَّة ولزوماً، كانت طريقه التَّوحيد وصفاً وحُكْماً وحالاً، وتحقيقه الشَّرْع ظاهراً وباطناً، ووصفه: قلبٌ فارغ، وكونٌ غائب، ومشاهدة ربٍّ حاضر، بسريرة لا تتجاذبها الشكوك، وسِرٌّ لا تتنازعه الأغيار، وقلبٍ لا تفرقه البقايا، جعل الملكوت الأكبر من ورائه، والمُلْك الأعظم تحت قدمه، رضي الله عنه.

وقال الشيخ أبو محمّد الشَّنْبكي: سمعتُ شيخنا أبا بكر بن هوار يقول: أوتاد العراق ثمانية: معروف الكَرْخي، والإمام أحمد ابن حنبل، وبِشْر الحافي، ومنصور بن عَمَّار، والجُنَيْد، والسَّرِي، وسَهْل بن عبد الله التُّستري، وعبد القادر الجِيْلي. فقلتُ له: ومن عبد القادر؟ قال: عجميٌّ شريف، يسكن بغداد، يكون ظهوره في القرن الخامس، وهو أحدُ الصِّدِّيقين الأوتاد، الأفراد، أعيان الدُّنيا، أقطاب الزَّمان.

وقال الشيخ أبو محمد الشَّنْبكي: كان شيخنا أبو بكر بن هوار يذكر الشيخ عبد القادر الذي يتوق يظهر بالعراق في وسط القرن الخامس، وينص على فضْله، وما كان علمي به يتجاوز مسمعي، ثم كوشفت بمقامات الأولياء، فإذا هو في صدورهم، وكوشفت بمقامات العلماء، فإذا هو في صدورهم، وكوشفت بمقامات الأقطاب، فإذا هو في صدورهم، وكوشفت بمراتب المقرَّبين، فإذا هو من أعلاهم، وكوشفت بأطوار

(١) أم عبيدة: أرض بالبطائح، وانظر «طبقات الشعراني»: ١/ ١٢١ .

المكاشفين، فإذا هو من أجلِّهم، وسيظهره الله مظهراً لا يظهر فيه إلا الصِّدِّيقون المُؤَيَّدون العلماء بالله تعالى، وهو ممن يُقْتدى بأفعاله وأقواله، وسوف يرفع الله ببركته خَلْقاً من العباد إلى الدَّرجات العُلى، وهو ممن يباهي الله به الأمم يوم القيامة.

قلتُ: وكان الشيخ أبو بكر بن هوار ـ رحمة الله عليه ـ عظيمَ القَدْر، كبيرَ الشَّأْن وإليه ينتمي أكثر أعيان مشايخ العراق، وتتلمذ له خَلْق كثير لا يحصون من أرباب المقامات الرَّفيعة، وكان جميلَ الصِّفات، شريف الأخلاق، كامل الآداب، كثيرَ التَّواضع، شديدَ الاقتفاء لأحكام الشَّرْع، مكرِّماً لأهل السُّنَّة والدِّين، دائم المجاهدة، لازم المراقبة إلى الرَّبِّ، وله كلامٌ عالٍ في علوم المعارف.

قال الشيخ أبو محمَّد الشَّنْبكي: كان شيخنا أبو بكر بن هوار شاطراً، يقطع الطَّريق بالبطائح، ومعه رفقاء هو مقدَّمهم، فسمع ليلةً امرأةً تقول لزوجها: انزل ها هنا لئلا يأخذنا ابن هوار وأصحابه. فاتعظ وبكى، وقال: الناس يخافوني وأنا لا أخاف الله تعالى. وتاب في وقته ذاك، وتاب معه أصحابه، وانقطع مكانه متوجِّهاً إلى ربِّه على قدم الصِّدق والإخلاص في إرادته، ووقع في نفسه أن يُسَلِّم نفسه إلى من يُوصله إلى رَبِّه عزَّ وجل، ولم يكن يومئذٍ بالعراق شيخٌ مشهور، فرأى في منامه رسولَ الله ﷺ، وأبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، فقال: يا رسولَ الله، ألبسني خِرْقة، فقال له: يا ابن هوار، أنا نبيُّك وهذا شيخك، وأشار إلى الصِّدِّيق رضوان الله عليه، ثم قال: يا أبا بكر، ألبس سَمِيَّك ابن هوار. فألبسه الصِّدِّيق رضي الله عنه ثوباً وطاقية، ومَرَّ بيده على رأسه، ومسح على ناصيته وقال: بارك الله فيك، وقال له رسولُ الله ﷺ: يا أبا بكر، بك تحيا سنن أهل الطريق من أمتي بالعراق بعد موتها، ويقوم منار أربابِ الحقائق من أحباب الله تعالى، وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة، وقد هَبَّت نسمات الله بظهورك. ثم استيقظ، فوجد الثوب والطَّاقية عليه، وكانت على رأسه ثواليل، فلم يَرَها، وكأنَّه نودي في العراق أن ابنَ هوار وصل إلى الله عز وجل، فأهرع إليه الخلق من كل قطر، وبَدَتْ علامات قُرْبه من الله تعالى، وترادف إخباره عن ربه عز وجل، وكنت آتيه وهو في البطيحة وحده، والأُسْد مُحْدقةٌ به، يتمرَّغ بعضُها على قدميه.

وقال الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي: سمعت خالي الشيخ منصور يقول: أول من ذلَّل الأُسد والحيَّات لأهل البطائح الشيخ أبو بكر بن هوار، وسبب ذلك أنه أراد أن يرحل إلى مكة، فأحدقت به الأفاعي والحَيَّات والكواسر من الطُّيور والجن، وسألَتْه بالله العظيم أن لا يرحل عنهم، فأخذ عليهم أن لا يؤذوا مريداً له ولا محباً إلى يوم القيامة.

وقال الشيخ عزاز بن مستودع: الشيخ أبو بكر بن هوار أول المشايخ بالعراق بعد مضي السَّلف، وكانت الأنوار تُرى تخترق البطائح من كَثْرة ما يَطْرُقها رجالُ الغيب لزيارته، وكان مجابَ الدَّعوة، وكان ظاهر التَّصريف، إذا أجدبت قريةٌ أتاه أهلُها يشتكون إليه الجَدْب، ويسألونه الاستسقاء، فيقول لهم: أدركوا أهلكم. فما يلحقون بيوتهم حتى يخوضوا في ماء المطر، ولا يعدو المطر تلك القرية.

وزُلزلت واسط مرة زلزالاً شديداً رجَّت منه الجبال، وتساقط البُنْيان، وضجَّ النَّاس بالصُّراخ، فإذا الشيخ أبو بكر بينهم، وبينه وبين واسط أيام، فسكن الزَّلْزال، وطلبوه فلم يروه. وكان بواسط يومئذٍ رجلٌ صالح، فرأى في منامه تلك الليلة مَلَكين نازلَيْن من السَّماء أحدهما يقول للآخر: كادت هذه الأرض أن تذهب اليوم. فقال له صاحبه: وما أمسكها؟ قال: إنَّ الله تعالى نَظَر إلى ابن هوار، فرحم الخَلْق، وأَذِنَ في تسكين الزَّلزال.

وقال الشيخ أحمد بنُ أبي الحسن الرِّفاعي: أتتِ امرأةٌ إلى الشيخ أبي بكر بن هوار، وقالت له: إنَّ ابني غرق في الشَّطِّ، وليس لي سواه، وأنا أُقسم بالله عزَّ وجل أنَّ الله أقدرك على رَدِّه عليَّ، فإن لم تفعل شكوتك غداً إلى الله ورسوله، وأقول: يا ربّ، أتيته ملهوفة، وكان قادراً على رَدِّ لهفتي، فلم يفعل. فأَطْرق، ثم قال: أرني أين غَرِقَ ابنُك. فأتت به إلى الشَّطِّ، فإذا ابنها قد طفا على وَجْه الماء ميتاً، فسبح الشيخ في الماء حتى وصل إليه، وحمله على عاتقه، وأعطاه لأُمه، وقال: خُذيه، فقد وجدته حَيًّا، فانصرفت وهو يمشي معها، ويدُه في يدها، كأَنْ لم يكن به شيء قَطُّ.

قلتُ: وكان الشيخ أبو محمَّد الشَّنْبكي جليلَ القَدْر، انتهت إليه الرياسة في تربية السَّالكين الصَّادقين بالعراق، وكَشْف مشكلاتهم، وتخرَّج بصحبته غيرُ واحد من العظماء مثل الشيخ أبي الوفاء، والشيخ منصور، والشيخ عزاز وغيرهم، وكان لطيف الصِّفات، وافر العقل، مخفوض الجناح، شديد الحياء، دائباً في اتِّباع أحكام الشَّرْع

وآداب السنة، وله كلامٌ نفيس في الحقائق، وكان يقطع الطَّريق، ثُمَّ تاب على يد ابن هوار، وأقام عنده ثلاثة أيام، فقال ابنُ هوار في اليوم الرَّابع: قد صرتَ شيخاً مكمَّلاً، ثم قال لأصحابه: قد وصل أبو محمَّد إلى الله تعالى في ثلاثة أيام، فقال: تركتُ الدُّنيا في اليوم الأول، والآخرة في اليوم الثَّاني، وطلبتُ الله في اليوم الثالث طلباً مجرَّداً عما سواه، فوجدته.

واشتهر أمره في الآفاق، فظهرت أمارات قُرْبه من الله سبحانه وتعالى، وتتابعت كراماته، فكان يبرئ اللهُ تعالى بدعوته الأكمه والأبرص والمجنون، ويبارك له في اليسير.

قلت: إنما قصدتُ بذكر بعضِ مناقب ابن هوار والشَّنْبكي ـ رحمة الله عليهما ـ ليُعلم محلّهما، ويتمسك بقولهما في حَقِّ سيدنا محيي الدِّين ﷺ حسبما تقتضيه شهادةُ مثلهما، وإنْ كان ليس هذا موضع استقفاء أحوالهما.

وقال الشيخ عبد اللَّطيف: سمعتُ أبي يقول: سمعت الشيخ عزاز بن مستودع البطائحي، يقول: قد دخل بغداد شابٌّ عجمي شريف، اسمه عبد القادر، ستبرز في هيئته المقامات، وتظهر في جلاله الكرامات، ويسطو بعِزَّة الحال، ويعلو في رفعة المحبة، ويُسَلِّم إليه الكون وجميع من فيه من الفاضل والمفضول يده، وله قدمٌ راسخة في التمكين، تقدم بها في القدر، ويد بيضاء في الحقائق امتاز بها في الأزل، ولسان بين يدي الله عزَّ وجل في حضرة القُدْس، وإنه من أرباب المراتب التي فاتت كثيراً من الأولياء.

قلتُ: كان الشيخ عزاز من أعيان مشايخ العراق، اجتمع إليه جماعةٌ من الصُّلحاء وذوي المراتب، وأخذوا عنه علم الطَّريقة، وانتفعوا به، وكان جميلَ الأوصاف، متَّبعاً لأحكام الشَّرْع والسُّنَّة، مفوِّضاً لأحكام الله، مُسْترسلاً مع أقداره، كثير المجاهدة والمراقبة والمعانقة لطريق السَّلف في السِّرِّ والجَهْر، وله كلامٌ عالٍ على لسان أهل المعارف، وكراماتٌ ظاهرة، وكانت الجن تكلِّمه، والأُسْد تأنس به، والوحوش تألفه، والطير تأوي إليه، وكان يقول: من أَنِسَ بالله أَنِسَ به كلُّ شيء، ومن خاطبه الله تعالى

خاطبه كلُّ شيء، ومَنْ هاب الله هابه كلُّ شيء، ومَنْ وَصَلَ إلى الله تأخَّر عنه كلُّ شيء إجلالاً له، ومَنْ عرف الله جهله كل شيء بعظيم ما أودعه.

وقال الشيخ عبد اللَّطيف: كان الشيخ عزاز يمشي بين النخل، فاشتهى الرُّطَب، فتدالَّت له عراجين النخل، فأكل منها، ثم عادت إلى حالها.

قال: ومرَّ بأسد قد افترس شاباً بالبطيحة، وقد قضم ساقه نصفين، فصاح عليه، فولَّى منهزماً، فتناول الشيخ من الأرض حصاةً قدر الفولة، وحذفه بها، فخرَّ ميتاً، ثم جاء إلى الشَّاب، ووضع ما انكسر من ساقه في موضعه، وأَمَرَّ عليه يده، فإذا هو سويٌّ، فقام يعدو إلى أهله، ومات الشيخ بعد ذلك بيسير.

قلت: كان الشيخ منصور من سادات المشايخ، صاحب حال، ومقامات وكرامات ظاهرة، ومواهب باهرة، كانت أمه تدخل وهي حامل به على شيخه الشيخ أبي محمَّد الشَّنْبكي، وكان بينها وبينه نسب، فنهض لها قائماً، ونَكِرَتْ منه ذلك، وسُئِلَ عنه فقال: إنما أقوم للجنين الذي في بطنها إجلالاً له، فإنَّه أحدُ المقرَّبين إلى الله تعالى أصحاب المقامات، وله شأنٌ عظيم.

قلت: وكان الشيخ منصور جميلاً بهيًّا، كاملَ الآداب، معانقاً طريق السَّلف والاسترسال مع أحكام الله عزَّ وجل في الشِّدَّة والرخاء، لم يَكْبُ جوادُ طريقه، وكان مجابَ الدَّعوة، وله كلامٌ جليل في علوم الحقائق.

وقال الشيخ علي بن الهيتي: أتاه رجلٌ من مِصْر، وقال له: يا سيدي، قد هاجرتُ إليك من مصر، وتركت مالي وولدي، ووطني وجاهي رغبةً في صُحْبتك. فنفخ الشيخ منصور في صَدْر الرَّجل، فأضاءت في قلبه برقة كشفت له عن الملكوت الأعلى، وقال له: هذه بتركك المال والولد والوطن. ثمَّ نفخ في صدره بعد شهر، فمحقت منه البقايا، وانتسخت منه الحظوظ، وقال له: هذه بتركك الجاه والرِّياسة. ثم نفخ في صدره بعد شهر، فأشهد مقامه بين يدي الله عزَّ وجل، وأقيم فيه، وقال له: هذه بهجرتك إليَّ. ثم قال له: يا هذا، إني استوهبتك من الله عزَّ وجل، وقد وهبك لي، وصرَّفني فيك، وجعل عطيتك على يدي، وهذه غايتك التي أنت عندها قائم. ولم يزل هذا الرجل على هذا الحال إلى أن توفي بالبطائح.

وقال الشيخ أحمد بن الرِّفاعي: سُئِلَ شيخنا خالي منصور عن المحبة، فقال، وأنا أسمع: المحب سكران في خُماره، حيران في شرابه، لا يخرج من سكرة إلا إلى حيرة، ولا من حيرة إلا إلى سَكْرة، ثم أنشد:

الحبُّ سُكْرٌ خُماره التَّلَفُ   يَحْسُنُ فيه الذُّبول والدَّنَفُ
والحب كالموت يفني كل ذي شغفٍ   ومن تطعَّمه أودى به التَّلف
في الحُبِّ مات الأُلى أصفوا محبتهم   لو لم يحبوا لما ماتوا وما تلفوا[1]

سكن نهر دقلا من أرض البطائح، واستوطنها إلى أن مات بها، وقد عَلَتْ سِنُّه، وقبره بظاهرها يزار، ولما حضرته الوفاة، قالت له زوجته: أَوْصِ لولدك، فقال: بل لابن أختي أحمد. فلما كرَّرت عليه القول، قال لابنه ولابن أخته: ائتياني بنخيلٍ كثير. ولم يأته ابن أخته بشيء، فقال له: يا أحمد لم تأتِ بشيء. فقال له: إني وجدته كلّه يُسَبِّح، فلم أستطع أن أقطع منه شيئاً. فقال الشيخ لزوجته: سألتُ غير مرة أن يكون ابني، فقيل لي: بل ابن أُختك أحمد.

وحكى جماعةٌ من أصحاب الشيخ منصور البطائحي، وهو خال الشيخ أحمد الرفاعي، وبصحبته انتفع وتخرَّج، قالوا: ذُكر الشيخ عبد القادر وهو شابٌّ عند شيخنا الشيخ منصور، فقال: سيأتي زمانٌ يُفْتقر إليه فيه، وتعلو منزلته بين العارفين، ويموت وهو أحبُّ أهلِ الأرض إلى الله تعالى ورسوله في ذلك الوقت، فمن أدرك منكم ذلك فليعرف حُرْمته، وليعظِّمَ أمره.

وقال الشيخ علي بن الهيتي: كان شيخنا أبو الوفاء يتكلَّم على النَّاس فوق الكرسي، فدخل الشيخ عبد القادر إلى مجلسه، وهو يومئذٍ شابٌّ أَوَّلَ ما دخل بغداد، فقطع كلامه، وأمر بإخراج الشيخ عبد القادر، فأُخرج وتكلَّم، ثم دخل الشيخ عبد القادر المجلس، فقطع كلامه، وأمر بإخراجه، فأُخرج، وتكلَّم، ثم دخل الشيخ عبد القادر ثالثةً، فنزل الشيخ أبو الوفاء، واعتنقه، وقبَّلَ بين عينيه، وقال: قوموا لوليِّ الله يا أهلَ بغداد، ما أمرتُ بإخراجه إهانةً له، بل لتعرفوه، وعِزَّة المعبود على رأسه سناجق قد تجاوزت ذوائبها المشرق والمغرب. ثم قال له: يا عبد القادر، الوقت الآن لنا وسيصير

(١) البيت الأول من المنسرح، والثاني والثالث من البسيط!

لك يا عبد القادر، قد وهبوك العراق يا عبد القادر، كلُّ ديك يصيح ويسكت إلا ديكك، فإنَّه يصيح إلى يوم القيامة. وأعطاه سجادته وقميصه، ومسبحته وقصعته وعُكَّازه، فقيل له: خُذْ عليه العهد، فقال: على جبينه داعي المخرِّمي[١]. فلما انقضى المجلس، ونزل تاجُ العارفين أبو الوفاء من الكُرْسي جلس على آخر مرقاة، وأمسك بيد الشيخ عبد القادر، وقال له في غلبات النَّاس: يا عبد القادر، لك الوقت، فإذا جاء فاذكر هذه الشيبة. وقبضَ على كريمته.

قال الشيخ عمر البزاز: وكانت مسبحة الشيخ أبي الوفاء التي أعطاها لسيدنا الشيخ عبد القادر إذا وضعها سيدنا الشيخ على الأرض تدور وحدها حبةً حبة، فلما مات أخذها بعده الشيخ علي بن الهيتي، وكانت القصعة التي أعطاها له لا يَمَسُّها أحد إلا وأرجفت يده إلى كتفه.

وقال مطر: كنتُ يوماً عند شيخنا أبي الوفاء بزاويته معلمينا[٢]، فقال لي: يا مطر، أغلق الباب، فإذا جاء شابٌّ عجمي يطلب الدُّخول عليَّ فامنعه، فقمت، وإذا الشيخ عبد القادر وهو شابٌّ يومئذٍ، فطلب الدخول عليه، فاستأذنتُ الشيخ، فلم يأذن له في الدُّخول، ورأيتُه يمشي في الزَّاوية كالمنزعج، ثم أَذِنَ له، فلما رآه مشى إليه خُطُواتٍ، واعتنقا طويلاً، وقال له: يا عبد القادر، وعِزَّة من له العِزَّة، ما منعتك من الدُّخول عليّ أول مرَّة جحداً لحقِّك بل خشية، لمَّا علمت أنك تأخذ وتعطيني أَمِنْتُ.

قلت: كان الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء سيدَ مشايخ العراق في وقته، وله الكراماتُ الخارقة، وانتهت إليه رياسة هذا الشَّأن في زمانه، وتخرَّج به جماعةٌ من صدور مشايخ العراق مثل الشيخ علي بن الهيتي، والشيخ بقاء بن بطو، والشيخ عبد الرَّحمن الطفسونجي، والشيخ مطر، والشيخ حامد الكُرْدي، والشيخ أحمد البقلي وغيرهم، وكان له أربعون خادماً من أصحاب الأحوال، ولما أخذ عليه شيخه الشَّنْبكي العهد قال: قد وقع اليوم في شبكتي طائِرٌ لم يقع مثلُه في شبكة الشيخ أبي الوفاء.

---

(١) لعله يعني شيخه المخرِّمي، والله أعلم، انظر ص٧٨ من هذا الجزء.

(٢) كذا، ولم أتبينها.

[وكانت مشايخ البطائح يقولون: عجباً لمن يذكر أبا الوفاء][1]، ولم يمرّ يده على وجهه، ويسمِّي الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ، كيف لا يسقط وجهه من هيبته!

ورُوي أن الشيخ عزاز رأى النبي ﷺ في المنام، فقال: يا رسول الله، ما تقول في أبي الوفاء؟ قال: قُلْ بسم الله الرحمن الرحيم، ما أقول فيمن أباهي به الأمم يوم القيامة!

وكان للشيخ أبي الوفاء كلامٌ عالٍ على لسان أهل الحقائق، رحمة الله عليه، منه: مَنْ أخلص لله تعالى في معاملته يخلُصُ من الذُّنوب الكاذبة، ومن ضَيَّع حكم وقته فهو جاهل، ومن قَصَّر فيه فهو غافل، ومن أهمله فهو عاجز، والتَّسْليم إرسالُ النَّفس في ميادين الأحكام، وتركُ الشفقة عليها من الطَّوارق.

وقال الشيخ علي بن الهِيْتي: طرقت منازلةٌ من منازل الغيب عشرةً من الأولياء زمن شيخنا أبي الوفا رضي الله عنه، واشتركت فيها أسرارهم، وأشكل شيء من أمرها عليهم، فاجتمعوا، وأتوا إلى الشيخ أبي الوفاء ليسألوه عنها، فوجدوه نائماً، وسمعوا كلَّ عضو منه ينطق بالتسبيح والتَّهليل، فجلسوا ينتظرون يقظته، فنطقت لهم أعضاؤه وخاطبتهم بمنازلهم، وكشفت لهم منها ما أَشكل عليهم، وانصرفوا قبل أن يستيقظ. وكان نرجسي الأصل؛ قبيلة من الأكراد.

وقال سيدنا محيي الدِّين رحمة الله عليه: ليس على باب الحق عز وجل كُرْدي مثل الشيخ أبي الوفاء.

وقال الشيخ حماد بن مسلم الدَّبَّاس، وقد ذكر عنده سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وهو يومئذٍ شاب: رأيتُ على رأسه علمين قد نصبا من البهموت الأسفل إلى الملكوت الأعلى، وسمعت الشاويش يصيح له في الأفق الأعلى بألقاب الصِّدِّيقين.

وقال محمود بن النعال: سمعتُ أبي يقول: كنتُ يوماً عند الشيخ حماد الدَّبَّاس، فجاء الشيخ عبد القادر وهو شابٌّ يومئذٍ، فقام إليه، وتلقَّاه، وقال: مرحباً بالجبل الراسخ، والطَّوْد المنيف الذي لا يتحرَّك، وأجلسه إلى جانبه، وقال له: ما الفرق بين الحديث والكلام؟ فقال: الحديث ما استدعيت من الجواب، والكلام ما صدقك من الخطاب، وانزعاج القلب لدعوة الانتباه أرجح من أعمال الثَّقلين، فقال له الشيخ حماد: أنت سيد العارفين في عَصْرك.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ح)، والمثبت من «طبقات الشعراني»: ١/ ١١٦ .

قلتُ: كان الشيخ حماد الدَّبَّاس أحدَ العلماء الرَّاسخين في العِلْم وعلوم الحقائق، وانتهت إليه تربية المريدين ببغداد، وانعقد عليه الإجماع في الكَشْف عن مخفيات المراد، وانتمى إليه معظمُ مشايخ بغداد وصوفيتهم في وقته، وهو أحدُ مَنْ أخذ عنه سيدنا الشيخ عبد القادر ـ رحمة الله عليه ـ وصحبه، وأثنى عليه، وروى كراماته، وكان أبو الوفاء إذا قَدِمَ بغداد، ينزل عنده ويعظِّم شأنه، وكان المشايخ ببغداد يعظمون أمره ويتأدَّبون في حضرته، وينصتون لسماع كلامه.

وقال الشيخ أبو النَّجيب: الشيخ حماد الدباس من أَجَلِّ من لقيتُ من مشايخ بغداد، وهو أوَّلُ شيخ فتح الله عليَّ ببركته، وكانت دَبَّاسته لا يدخلها زنبور ولا ذبابة، وله كلامٌ عالٍ في طريقة القوم، رحمة الله عليه.

وقال سيدنا الشيخ عبد القادر: قدم بغداد رجلٌ يقال له يوسف الهَمَذاني، وكان يقال: إنه القُطْب، ونزل في رباط، فلما سمعتُ به مشيت إلى الرِّباط، فلم أره، فقيل لي: هو في السِّرْداب، فنزلتُ إليه، فلما رآني قام، وأجلسني، ففرسني، وذكر لي جميعَ أحوالي، وحَلَّ لي جميع ما كان مشكلاً عليّ، ثم قال لي: يا عبد القادر، تكلَّم على النَّاس. فقلتُ: يا سيدي، أنا رجلٌ أعجمي أيش أتكلَّم على فصحاء بغداد؟ فقال لي: أنتَ حفظت القرآن والفِقْه وأُصول الفقه والخلاف والنَّحو واللغة وتفسير القرآن، ألا يصلح لك أن تتكلَّم على النَّاس؟! اصعد على الكرسي وتكلم، فإني أرى فيك عِذْقاً وسيصير نخلةً.

قلتُ: تَقَدَّم ذكر يوسف الهَمَذاني في سنة خمس وثلاثين وخمس مئة.

وقال الشيخ أبو سلمان داود المَنْبِجي: كنتُ يوماً عند الشيخ عقيل المنبجي، فقيل له: قد اشتَهَر ببغداد أمر شاب عجمي شريف اسمه عبد القادر. فقال الشيخ عقيل: وإن أمره في السَّماء أشهر منه في الأرض، ذاك الفتى الرَّفيع المدعو في الملكوت بالباز الأشهب، وسينفرد في وقته، وسَيُردُّ إليه الأمر، ويصدر عنه.

والشيخ عقيل أول من لَقَّب سيدنا الشيخ محيي الدِّين رضي الله عنه بالباز الأشهب فيما نعلم.

قلت: كان عقيل شيخ شيوخ الشَّام في وقته، وتخرَّج بصحبته الشيخ عَدِي بن مسافر، والشيخ موسى الزولي وغيرهما، وهو أوَّل من دخل بالخرقة العمرية إلى الشَّام، وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم الشيخ علي الفرنثي: رأيتُ أربعة من المشايخ يتصرَّفون في قبورهم كما يتصرف الأحياء: الشيخ عبد القادر، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيلاً المنبجي، والشيخ حياة بن قيس الحَرَّاني.

وكان للشيخ عقيل كلامٌ عالٍ في المعارف.

وقال الشيخ أبو المجد بن أحمد: أخبرنا أبي عن أبيه قال: حضرت الشيخ عقيلاً بظاهر منبج تحت الجبل، وعنده جمعٌ من الصُّلحاء، فقال له أحدهم: ما علامة الصَّادق؟ قال: لو قال لهذا الجبل تحرَّك فيتحرك الجبل، ثم قال له: ما علامة المتصرِّف؟ قال: لو أراد وحوش البرِّ والبحر أن تأتيه لفعلت. فما تمَّ كلامه حتى نَزَلَ علينا من الجبل وحوش سدتِ الفضاء، وأخبرنا الصَّيادون أنَّ شَطَّ الفرات امتلأ في ذلك الوقت أسماكاً. قال: يا سيدي، وما علامةُ المبارك على أهل زمانه؟ قال: لو وكز برجله هذه الصَّخرة لتفجَّرت عيوناً. قال: فتفجَّرت صخرةٌ كانت بين يديه عيوناً، ثم عادت صخرة كحالها أوَّل مرة.

سكن ﷺ منبج، واستوطنها نيفاً وأربعين سنة، وماتَ بها، وقد عَلَت سِنُّه، وقبره بها ظاهر يزار.

وقال الشيخ عمر الصِّنْهاجي: جاء بعضُ أصحابنا إلى الشيخ أبي يعزى يستأذنه في المسير إلى بغداد، فقال له: إذا أتيتَ بغداد فلا يفوتنك رؤية رجل بها شريف عجمي اسمه عبد القادر، فإذا رأيته سَلِّم عليه عني وسَلْه لي الدُّعاء، وقل له: لا تنسَ أبا يعزى من قلبك، فإنه والله لم يخلِّف في العجم بأسره مثله، وإنك لن ترى في العراق مثله، وإن المشرق ليفضل عن المغرب به، وإنَّ علمه ونسبه قد ميَّزاه على الأولياء تمييزاً واضحاً كثيراً.

قلتُ: كان الشيخ أبو يعزى من أعيان المشايخ بالمغرب، وتخرَّج به من أكابر مشايخها وأعلام زُهَّادها جماعةٌ، وأقام في بدايته في خمس عشر سنة لا يأكل إلا حب الخُبازى، وكانت الأُسْد تأوي إليه، والطَّير تعكف عليه، وكانت الأُسد إذا ضربت

وافترست القفول جاء فأمسك بأذنابها وقادها، فتنقاد له ذليلة، وكان أهل المغرب يستسقون به فيُسْقون، ويرجعون إليه في المعضلات فتنكشف.

وقال الشيخ أبو محمد الإفريقي: جاء إلى الشيخ أبي يعزى المحتطبون يشكون إليه كثرة الأُسْد في غابةٍ يحتطبون فيها، فقال لخادمه: اذهب إلى طرف الغابة، وناد بأعلى صوتك: معاشر الأسد يأمركِ أبو يعزى أنْ ترحلي من هذه الغابة. قال: فذهب وفعل ذلك، فكانت الأُسد تُرى خارجةً من الغابة تحمل أشبالها حتى لم يبق فيها شيء منها، ولم يُر بعد ذلك فيها أسد.

وقال الشيخ شاور السبتي المحلي: صنعَ الخليفةُ ببغداد وليمةً، ودعا إليها جميع مشايخ العراق وعلمائها، فحضروا كلُّهم إلا سيدنا الشيخ محيي الدِّين عبد القادر والشيخ عدي بن مسافر والشيخ أحمد الرِّفاعي رحمة الله عليهم، فلمَّا انصرف النَّاس قال الوزير للخليفة: إنَّ الشيخ عبد القادر والشيخ عدياً والشيخ أحمد لم يحضروا، فقال الخليفة: فكأن لم يحضر إذن أحد. ثم أمر حاجبه أن يأتي إلى الشيخ عبد القادر يدعوه أن ينطلق إلى جبل الهَكَّار، وإلى أُم عبيدة ليحضر الشيخ عدي والشيخ أحمد، قال الشيخ شاور: فقال لي الشيخ عبد القادر قبل أن يقوم الحاجب من مجلس الخليفة، وقبل أن تُسَطَّر البطاقتان: يا شاور، اذهب إلى المسجد الذي بظاهر باب الحَلْبة تجد فيه الشيخ عدي بن مسافر ومعه اثنان، فادعهم لي، ثم امضِ إلى مقبرة الشُّونيزي تجد فيها الشيخ أحمد الرّفاعي ومعه اثنان، فادعهم لي، قال: فذهبت إلى المسجد الذي بظاهر باب الحَلْبة، فوجدت الشيخ عدياً ومعه اثنان، فقلتُ: يا سيدي، أجب الشيخ عبد القادر، فقال: سَمْعاً وطاعة، وقاموا، فذهبتُ معهم، فقال لي الشيخ عدي: يا شاور، ألا تذهب إلى الشيخ أحمد كما أمرك الشيخ عبد القادر[(١)]؟ قلتُ: بلى، فأتيت مقبرة الشُّونيزي، فوجدت الشيخ أحمد ومعه اثنان، فقلتُ: يا سيدي، أجب الشيخ عبد القادر، فقال: سمعاً وطاعة. وقاموا، فتوافى الشيخان في باب رباط الشيخ عبد القادر وقتَ المغرب، فقام إليهم الشيخ، وتلقاهم، فما لبثوا غير يسير، فجاء الحاجب إلى الشيخ، فوافاهما عنده، فأسرع إلى الخليفة، وأخبره باجتماعهم،

---

(١) في النسخة: عدي، وهو سبق قلم، والصواب ما أثبته، انظر صدر الخبر.

فكتب الخليفةُ إليهم بخطِّه يسألهم الحضور، وبَعَثَ إليهم ولده وحاجبه، فأجابوه وذهبوا، وأمرني سيدنا الشيخ محيي الدين بالمسير معه، فلمَّا كُنَّا بالشَّطِّ إذا الشيخ ابن الهيتي، فتلقاه المشايخ، وسار معهم، فأُتي بنا إلى دارِ حَسَنةٍ، فإذا الخليفةُ فيها قائم، مشدود الوسط، ومعه خادمان له، وليس في الدار سواهم، فتلقَّاهم الخليفة، وقال لهم: يا سادة، إنَّ الملوك إذا اجتازوا برعاياهم بسطوا لهم الحرير ليطؤوه، ووضع لهم ذيله، وسألهم أن يمشوا عليه، ففعلوا، وانتهى بنا إلى سماطٍ مهيأ، فجلسوا، وأكلوا وأكلنا معهم، ثم خرجوا، وأتوا إلى زيارة قبر الإمام أحمد ابن حنبل رحمة الله عليه، وكانت ليلةً شديدة الظُّلْمة، فجعل الشيخ عبد القادر كلما مرَّ بحجرٍ أو خشبة أو جدار أو قبرٍ أشار بيده إليه، فيضيء كضوء القمر، ويمشون في نوره إلى أن ينتهي ضوءه، فيشير الشيخ إلى آخر، فيضيء، فما زالوا يمشون في النُّور، وليس فيهم من يتقدَّم على الشيخ عبد القادر إلى قبر الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، فدخل المشايخ الأربعة يزورون، ووقفنا على باب المزار حتى خرجوا، فلما أرادوا أن يتفرَّقوا، قال الشيخ عدي للشيخ عبد القادر: أوصني. قال: أوصيك بالكتاب والسُّنَّة. ثم تفرَّقوا.

وقال الشيخ عمر البزاز: كان سيدنا الشيخ محيي الدِّين ـ رحمة الله عليه ـ يثني كثيراً على الشيخ عدي بن مسافر، فاشتقت إلى رؤيته، واستأذنتُ الشيخ في زيارته، فأَذِنَ لي، فسافرت حتى أتيتُ جبل الهَكَّار، فوجدته قائماً على باب زاويته بلاكش، فقال: أهلاً يا عمر، تركت البحر، وجئت إلى السَّاقية! يا عمر، الشيخ عبد القادر مالك أزِمَّة الأولياء كلِّهم، وقائد.

عدي بن مسافر رضي الله عنه مشهور، ومحلُّه معروف، وقد تقدَّم ذكره في السنة السابعة والخمسين وخمس مئة، فينظر هناك.

وقال الشيخ العارف القُدْوة علي بن وهب السِّنْجاري: عبد القادر أحدُ أعيان الدُّنيا، الشيخ عبد القادر أحدُ أفراد الأولياء، الشيخ عبد القادر من تُحَفِ الوجود، الشيخ عبد القادر من هدايا الله تعالى إلى الكون، طوبى لمن رآه، طوبى لمن جالسه، طوبى لمن باتَ في خاطر الشيخ عبد القادر.

قلت: كان الشيخ عليُّ بن وهب كبيرَ القَدْر، تتلمذ له جماعةٌ من الأكابر مثل الشيخ سويد السِّنجاري، والشيخ أبي بكر الجاري، وجماعة لا يحصون كثرة، ويقال: إنه مات عن أربعين رجلاً من مريديه كلهم أصحاب أحوال، وحدّث عنهم أنه لما مات اجتمعوا في رَوْضة تجاه زاويته، فجعل كل منهم يأخذ من تلك الروضة قبضة من نباتها، ويتنفس عليها، فتزهر من جميع الأزهار مختلفة ألوانها حتى أَقَرَّ بعضُهم لبعض بالتمكُّن والتَّصريف، والشيخ علي بن وهب يسمى برادّ الفائت؛ لأنَّه من فَقَدَ حالاً كان له وأتى إليه رَدَّه عليه بزيادة.

ومناقبه كثيرة، وهو ربعي شيباني، سكن البدوية؛ قرية من أعمال سِنْجار، وبها مات وقد نيَّف على الثمانين، وقبره ظاهر يزار، وكان عالماً فاضلاً فصيحاً متواضعاً، لا يحلف بالله تعالى، ولا يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى، رحمة الله عليه ورضوانه.

وقال الشيخ يحيى التكريتي: لما قدم الشيخ موسى بن ماهين الزولي بغداد حاجًّا كنتُ أنا ووالدي معه، فلما اجتمع بالشيخ عبد القادر رأينا من احترام الشيخ موسى له وأدبه معه ما لم نَرَه فَعَلَه مع غيره من النَّاس، فلما خلونا به قال له والدي: ما رأيتُك احترمتَ أحداً مثلما احترمت الشيخ عبد القادر، فقال: الشيخ عبد القادر خيرُ النَّاس في زماننا هذا، وسُلْطان العارفين في وقتنا، وكيف لا أتأدَّب مع من تتأدب معه ملائكة السَّماء.

قلتُ: كان الشيخ موسى من أجلِّ المشايخ وأعظمهم حالاً، وهو أحد من أبرزه الله إلى العباد، وأنطقه بالمُغَيَّبات، وخَرَقَ له العادات، وأوقع له الهيبة في القلوب، وانعقد عليه إجماع المشايخ وغيرهم، وقُصِدَ بحلِّ مشكلات الموارد، وكَشْفِ مخفياتها، وتربية السالكين، وتخرَّج بصحبته كثير من مشايخ بلاد المشرق، وتتلمذ له جماعةٌ من أهل الأحوال، وكان سيِّدنا محيي الدِّين يُثْني عليه كثيراً، ويعظِّمُ شأنه.

ولما اجتمع الشيخ إبراهيم الأعزب والشيخ عسكر النعيبي بالبطائح، قال الشيخ عسكر للشيخ إبراهيم[١].

---

(١) بياض في الأصلِ.

وكان للشيخ موسى كلامٌ بليغ على لسانِ أهل المعرفة، وكان إذا مَسَّ الحديد بيده لان حتى يصيرَ كاللُّبان.

ووقع بمارِدِين حريقٌ، فضجَّ النَّاس به، فأعطاهم عُكَّازه، وأمرهم أن يلقوه في النَّار، فألقوه، فانطفأت لوقتها، وأخرجوا العُكَّاز لم يسخن ولا اسْوَدَّ.

وكان كثير الإخبار بالمغيَّبات، وأتته امرأةٌ بصغير عمره أربعة أشهر، فدعاه إليه، فأتاه يعدو، فأقرأه سورة الإخلاص، فقرأها الصَّبيُّ، ومازال يمشي ويتكلَّم من ذلك الوقت، وكبر والتحى، فوالله ما زادَتْ فصاحةُ نُطْقه على فصاحته حين تكلَّم بين يدي الشَّيخ أَوَّل مرَّة.

ومات الشيخ بمارِدِين وقد عَلَتْ سِنُّه، وقبره ظاهر يزار، ولما وضع في لحده نهض قائماً يصلي، واتَّسع له اللَّحد، وأُغمي على من كان نزل قبره، وكان جميلاً بهياً فاضلاً، رحمة الله عليه.

وقال الشيخ شهاب الدِّين: دخلتُ مع عمِّي الشيخ أبي النَّجيب عبد القاهر السُّهْرَوَرْدِي في سنة ستين وخمس مئة إلى الشيخ عبد القادر، فتأدَّب عمي معه أدباً عظيماً، وجلس بين يديه أُذُناً بلا لسان، فلما رجعنا إلى النِّظامية، قلتُ له في ذلك، فقال: كيف لا أتأدَّب معه وهو له الوجود التَّام، وقد صرف في وجود الملك، وبُوهي به في وجود الملكوت، وانفرد في عالم الكون في هذا الوقت؟ وكيف لا أتأدَّب مع من صرَّفه مالكي في قلبي وحالي، وفي قلوب الأولياء وأحوالهم، إن شاء أمسكها، وإن شاء أرسلها؟

قلت: كان الشيخ أبو النجيب عظيمَ القَدْرِ، جَمَعَ بين العِلْم والعمل، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قلتُ: وحكى لي ابنُ الشيخ عز الدين عبد العزيز السلمي الشافعي نزيل مِصْر، كان يقول: كراماتُ الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه[1].

وقال الشيخ محمد بن أبي العَبَّاس الخضر بن عبد الله الحسني المَوْصلي: سمعتُ أبي يقول: كنتُ يوماً جالساً بين يدي سيدنا الشيخ محيي الدِّين عبد القادر رضي الله عنه، فخطر في نفسي زيارة الشيخ أحمد الرِّفاعي، فقال لي: يا سيدنا، أتحبُّ زيارة الشيخ أحمد؟

(١) لم يذكر عنه شيئاً من كراماته، ولعله بيَّض لها، ولم يسدَّها.

قلتُ: نعم. فأطرقَ يسيراً، ثم قال: يا خضر، ما ترى الشيخ أحمد؟ فإذا إلى جانبه شيخٌ مهيب، فقمتُ إليه، وسلَّمت عليه، فقال: يا خضر، مَنْ يرى مثل الشيخ عبد القادر سيد الأولياء يتمنَّى رؤية مثلي، وهل أنا إلا من رعيَّته! ثم غاب عني، فبعد وفاة سيدنا الشيخ رحمة الله عليه انحدرت إلى أُم عبيدة لأزوره، فقَدِمْتُ عليه، إذا هو الشخص الذي رأيته إلى جانب الشيخ عبد القادر ـ رحمة الله عليه ـ في بغداد، لم تجدد رؤيته عندي زيادة، فقال لي: يا خضر، ألم تَكْفِكَ الأُولى؟

وقال الشيخ عبد الله البطائحي رحمة الله عليه: انحدرتُ في حياة سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه إلى أُم عُبيدة، وأقمتُ برواق الشيخ أحمد أياماً، فقال لي الشيخ أحمد يوماً: اذكر لي شيئاً من مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته، فذكرتُ منها شيئاً، فجاء رجلٌ في أثناء حديثي، فقال لي: مَهْ، لا تذكر عندنا مناقب غير هذا. وأشار إلى الشيخ أحمد، فنظر إليه الشيخ أحمد مُغْضَباً، فوقع الرَّجل بين يديه ميْتاً، ثم قال: ومَنْ يبلغ مبلغ الشيخ عبد القادر، ذاك بحر الشَّريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيِّهما شاء اغترف الشيخ عبد القادر، لا ثاني له في وقتنا هذا.

قال: وسمعتُه يوصي أولاده فيه وأكابر أصحابه، وقد جاء رجل يودِّعه مسافراً إلى بغداد قال: إذا دَخَلْتُم بغداد، فلا تقدِّموا على زيارة الشيخ عبد القادر شيئاً إن كان حياً، ولا على زيارة قبره إن كان ميتاً، فقد أُخذ له العهد: أَيما رجلٍ من أصحاب الأحوال دخل بغداد، فلم يَزُرْه، سُلِبَ حاله، ولو قبيل الموت. والشيخ عبد القادر خَسِرَه من لم يَرَه، رضي الله عنه.

قلتُ: كان الشيخ أحمد الرِّفاعي رحمة الله عليه عظيم القَدْر كبير الشأن، ومحلُّه عظيم، وحاله أشهر من أن ينبَّه عليه، وهو أحدُ من اشتهر في الدُّنيا، وتتلمذ له من الخَلْق عالمٌ لا يُحصون كثرةً في كلِّ بلد وقطر، ولم أر في مُدُنِ المسلمين مكاناً يخلو من زاوية ومكان برسمهم، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب مفصَّلاً.

دخل عليه رجلٌ، فوضع له الشيخ طعاماً، فقال: إذا جاء وقتي أكلتُ، وقال له: ومتى وقتك؟ قال: المغرب، قال: عن كم؟ قال: عن ستة أشهر، فلما كان وقتُ المغرب قُدِّم له الطَّعام، فسأله الرجل أن يأكل معه، فقال: إذا جاء وقتي أكلتُ، قال:

ومتى وقتك؟ قال: بعد ستة أشهر، قال: وكم مضى لك؟ قال: ستة أشهر، فسئل الشيخ عن ذلك فقال: دخلت أنا إلى دارنا يوماً شديد الحر وأنا عطشان، فوجدتُ ماءً مخلوطاً ببياض العجين، فأردتُ أن أشربه، فقالت لي نفسي: ترى الماء البارد في الكوز! ثم امتنعتُ من الشرب، وعاهدتُ الله تعالى أن لا آكل ولا أشرب إلى سنة.

والشيخ أحمد أحدُ مَنْ قهر أحواله وملك أسراره، وانتهت إليه الرياسة في علوم الطَّريق، وشَرْحِ أحوال القوم، وكَشْفِ منازلاتهم، وله كلامٌ شريف على لسان أهل الحقائق.

وقال الشيخ أبو الحسن علي ابن أخت الشيخ أحمد: كنتُ يوماً جالساً على باب خلوة خالي، وليس فيها غيره، فسمعتُ عنده حِسًّا، فنظرتُ، فإذا عنده رجلٌ، فتحدَّثا طويلاً ثم خرج من كوَّةٍ في الحائط، ومَرَّ في الهواء كالبَرْقَ الخاطف، فدخلت على خالي، وقلت: ما الرجل؟ قال: أورأيته؟! قلتُ: نعم. قال: هو الذي يحفظ الله به قَطْر البحر، وهو أحدُ الأربعة الخواص إلا إنه هُجر منذ ثلاث ليال، وهو لا يعلم، قلت: فبأي سبب؟ قال: مُطرت جزيرته حتى سالت أوديتها، فَخَطَر في نفسه: لو كان هذا في العمران. ثم استغفر، فَهُجِرَ، فقلتُ: أَوَأَعْلَمْتَه؟ قال: لا، فقلت: لو أَذِنْتَ لي لأَعْلَمْتُه. قال: رَنِّقْ، فرنَّقْتُ[1]، ثم سمعتُ صوته: ارفع رأسك. فرفعتُه، وإذا بجزيرة في البحر، قمت أمشي فيها، وإذا بالرجل، فأخبرتُه، فقال: ناشدتك اللهَ إلا ما وضعت خرقتي في عُنُقي، وسحبتني على وجهي، ونادِ عليَّ: هذا جزاءُ من يعترض. فوضعتُ الخِرْقة في عنقه، ثم هممتُ بسحبه، وإذا هاتفٌ يقول: يا عليّ، دَعْه، فقد ضجَّتْ ملائكة السماء باكيةً عليه، وقد رضي عنه. فأغمي عليَّ ساعة، ثم سُرِّي عني، وإذا أنا بين يدي خالي بخلوته، ووالله لا أدري كيف ذهبتُ، ولا كيف جِئْتُ.

قلت: وكرامات سيدنا شيخ الإسلام مُحيي الدِّين عبد القادر رحمة الله عليه كثيرة، ومناقبه غزيرة، وقد اقتصرنا على هذه النبذة، إذ لا يحتمل هذا الكتاب أكثر منها، وبالله التوفيق.

---

(١) من رنَّقَ الطائرُ: إذا خفق بجناحيه في الهواء، وثبت ولم يطر، فرنَّقْتُ: أي تهيأتُ لذلك. انظر «لسان العرب» (رنق).

وكذلك نبهت على محل المشايخ الذين أثنوا عليه بما يعرف به مَحَلَّهم الناظِرُ في هذه الترجمة والمتأمّل لها، ويعلم أنَّ الفَضْل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفَضْل العظيم، مع أنه لم يجتمع لأحدٍ من المناقب، وأسباب المحامد ما اجتمع لسيدنا الشيخ محيي الدِّين ـ رحمة الله عليه ـ من العِلْم والعمل والحسب، والمواهب الجسيمة، والنّعم المتابعة، نفعنا الله ببركته، وحشرنا في زمرته، وأماتنا على محبته، فقد حُكي أن بعض محبيه حَلَفَ بالطَّلاق أن سيدنا الشيخ عبد القادر أفضل من أبي يزيد البِسْطامي رحمة الله عليه، ثم استفتى علماءَ العراق، فكلٌّ منهم أحجم عن الجواب، فتحيَّر في أمره، فقيل له: عليك بالشيخ عبد القادر، فهو أخبر بذلك، فجاء إليه، وقصَّ عليه قِصَّته، فقال: وما الذي حملك على هذا؟ فقال: قد وقع ذلك، فَمُرْني ما أفعل؟ هل أفارق زوجتي أو أستمر على مضاجعتها؟ فقال: ضاجع زوجتك، فكلُّ ما وَصَلَ إليه أبو يزيد البِسْطامي وصلتُ إليه، وسبقتُه بفضيلة عِلْم الفُتْيا، وهو لم يفت، وتزوَّجْتُ ولم يتزوج، ورُزِقْتُ الأولاد.

قلت: وسَيِّدنا أحقُّ النَّاسِ بقول المتنبي: [من الطويل]

إذا علويٌّ لم يكن مثل طاهر فما هو إلا حجة للنواصب[1]

[وفيها توفي][2]

عبد الكريم بن محمَّد بن أبي فضل الأنصاري الحرستاني[3]

الشافعي][4]، ولد سنة سبع عشرة وخمس مئة، وسافر إلى العراق وخراسان، وسمع الحديث وتفقه، واستنابه أبو سعد بن أبي عصرون بالزاوية الغربية بجامع دمشق [في التدريس][4]، وضمَّ إليه المدرسة الأمينية، وكانت وفاته بدمشق في رمضان، [سمع أبا الحسن بن قُبيس وغيره][4]، وكان صالحاً، ثقة.

---

(١) «ديوانه»: ١/ ٢٨٤.

قال الإمام الذهبي: ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، ولكن كثيراً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة... وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه. «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) مابين حاصرتين من (م).

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»، المجلد ٤٣/ ١٠١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

محمد بن حيدر بن عبد الله(١)

أبو طاهر بن شعبان الشاعر البغدادي، ومن شعره: [من مجزوء الكامل]

خُذْ بي على قَطَنٍ يمينا ... فعسى أُريك به القطينا
حتى إذا طَلَعَتْ به ... أقمارُ رنَّحتِ الغُصونا
يُخْلِفْنَ ميعادَ الوفا ... ءِ لنا ويَمطُلْنَ الدُّيونا
ويقمن من تلك العيو ... نِ على خواطِرنا عُيُونا
يا من تسمَّحَ للعوا ... ذلِ بي وكنتُ به ضنينا
أحسنتُ ظني في هوا ... ك فلِمْ أسأت بي الظنونا
مني تعلمت الحما ... م النوح والإبل الحنينا(٢)

وأنشد أصحابه قبيل موته لما احتضر: [من الطويل]

خليليَّ هذا آخرُ العهد منكُمُ ... ومني فهل من مَوْعِدٍ نستجدُّهُ
لأنَّ أخاكم حلَّ في دار غُربةٍ ... يطولُ بها عن هذه الدَّارِ عَهْدُهُ
فلا تعجَبُوا إذْ خَفَّ للبَيْنِ رَحْلُهُ ... وقد جَدَّ في إثْرِ الأَحِبَّةِ جِدُّهُ
وقد أزمع المسكينُ عنكم ترحُّلاً ... فهل فيكُمُ من صادقٍ يستردُّه(٣)

محمّد بن الوزير يحيى(٤)

ابن هبيرة، عز الدين.

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٢١٩-٢٦٦، و«المحمدون من الشعراء»: ٢٧٢-٢٧٤، و«الوافي بالوفيات»، ٣/ ٣٢-٣٤، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٢٤٥-٣٤٧، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٧٢، ووفاته في «الوافي بالوفيات» و«فوات الوفيات»: سنة ٥١٧هـ، وهذا هو الصحيح فيما ذكر العلامة محمد بهجة الأثري في حاشيته على «الخريدة»، فقد ذكر العماد الكاتب أن عمر بن الواسطي الصفار ذكر له ببغداد في سنة ٥٦١هـ أنه دخل وهو صغير على ابن حيدر في أيام المسترشد، وعنده جماعة يعودونه في مرضه الذي مات فيه، وخلافة المسترشد كانت بين سنتي ٥١٢هـ - ٥٢٩هـ، فلعل سبط ابن الجوزي وهم، فظن تاريخ لقاء الواسطي بالعماد الكاتب هو تاريخ وفاته، والله أعلم. وفي «الخريدة» و«المحمدون» شُعَيْبان، وفي «النجوم الزاهرة»: شعبان.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢٢٤-٢٢٦.

(٣) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢٢٣.

(٤) له ترجمة في «الخريدة»، قسم شعراء العراق: ج٢/ ١٠٠-١٠١، و«الفخري»: ٣١٦-٣١٧، و«المنتظم»: ١٠/ ٢١٨، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ١٩٨-١٩٩، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٧٢.

كان فاضلاً، كبيرَ الشَّأن، عظيم القَدْر، ناب عن أبيه في الوِزارة مُدَّة، ولما توفي الوزير أُخذ وحُبس في دار الخليفة، فَغُفِلَ عنه، فهرب إلى الجانب الغَرْبي من بغداد، وواعد بدوياً كان صديقاً لأبيه أن يهرب به، فقال: ادخل جامع بلهيقا حتى أتجهَّز وآتيك. وجاء إلى أُستاذ الدَّار فأخبره بخبره، فبعث وأخذه، وضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً، وأُلقي في مطمورة، [قال جدي في «المنتظم»: فحدثني][1] بعض الأتراك، وكان محبوساً عندهم، أنهم صاحوا من فوق المطمورة: أين ابن الوزير؟ ودلُّوا له حبلاً، فتعلَّق به، وصَعِدَ، فمدُّوه، وجلس واحدٌ على رأسه، وآخر على رِجْليه، وخُنِقَ بحبلٍ، وأُخرج من دار الخليفة ميتاً، [وأما أخوه شرف الدين ظفر، فإنه أخرج من دار الخليفة ميتاً في صفر سنة اثنتين وستين وخمس مئة، فحمل إلى أبيه، فدفن عنده، وكانا من أجلاء الناس وأكابرهم][1].

السنة الثانية والستون وخمس مئة

فيها تزوَّج المستنجد بابنة عمه أبي نصر ابن المستظهر، ودَخَلَ بها في رجب ليلة الدعوة التي كان يعملها كل سنة للصُّوفية وغيرهم، وغنَّى المغني [في هذه الليلة][1]: [من الطويل]

يقول رجالُ الحيِّ تطمعُ أن ترى ... محاسنَ ليلى مُتْ بداء المطامعِ
وكيف ترى ليلى بعينٍ ترى بها ... سواها وماطَهَّرْتَها بالمدامعِ
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى ... حديثُ سواها في خروقِ المسامعِ

وكان مع الصُّوفية رجل من أهل أصبهان، فقام قائماً، وجعل يقول للمغني: أي خواجا جي كفت. والمغني يعيد الأبيات، فصاح، ووقع ميتاً، فصار ذلك الفرح مأتماً، وبكى الخليفة والصُّوفية، ولازالوا يتراقصون حوله إلى الصَّباح، وحملوه إلى الشُّونِيزيّة، فدفنوه بها.

وفيها حشد شملة التركماني، وجاء ومعه صبيٌّ من أولاد السَّلْجوقية ليحاصر بغداد، فنزل البنْدَنيجين، وبعث الخليفةُ إليه العساكر، فنزلوا مقابله وبينهم النهر، فبعث

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الخليفةُ إليه يوسف الدِّمَشْقي، فوعظه وذكر [له][١] ما يجب [عليه][١] من طاعة الخليفة ووبَّخه، فرحل إلى هَمَذان، [فيقال: إن يوسف الدمشقي مات عنده، وقيل في السنة الآتية][١].

وفيها عاد أسد الدين شيركوه إلى مِصْر؛ وهي المرة الثَّانية، وسببه أنَّ العاضد كتب إلى نور الدين [محمود][١] يستنجده على شاور، وأنه قد استبدَّ بالأمر، وظَلَمَ وسَفَك الدَّم، وكان في قلب نور الدين من شاور لأنَّه غدر بأسد الدين، واستنجد بالفرنج، فسار أسد الدِّين من دمشق منتصف ربيع الأوَّل، ومعه [ابن أخيه][١] صلاح الدين، فنزل الجِيْزة غربي مصر على البحر، وكان شاور قد أعطى الفرنج الأموال [العظيمة][١]، وأقطعهم الإقطاعات، وأنزلهم دُور القاهرة، وبنى لهم أسواقاً تخصُّهم، وكان مقدَّمهم الملك مُرِّي وابن بيرزان، فأقام أسد الدِّين على الجِيْزة شهرين، وعدَّى إلى بَرِّ مِصْر والقاهرة في خامس عشرين جُمادى الآخرة، وأصْعَدَ إلى البابين، وخَرَجَ شاور والفرنج، ورتَّب العساكر، فجعل الفرنج في الميمنة مع ابن بيرزان، وعسكر مصر في المَيْسرة، وأقام الملك مُرِّي في القلب في شوكة الفرنج والخيَّالة، ورتَّبَ أسدُ الدِّين عساكره، فجعل صلاح الدين في الميمنة، وفي الميسرة الأكراد، وأسد الدين في القلب، فحمل الملك مُرِّي على القلب فَتَعْتَعَهُ، وكانت أثقالُ المُسْلمين خلفه، فاشتغل الفرنج بالنَّهب، وحَمَل صلاحُ الدِّين على شاور فكسره، وفَرَّق جَمْعه، وعاد أسدُ الدِّين إلى صلاحِ الدين فحملا على الفرنج، فانهزموا، فقتلا منهم ألوفاً، وأسرا مئةً وسبعين فارساً، وطلبوا القاهرة، فلو ساق أسدُ الدِّين خلفهم لملك القاهرة، وإنما عَدَل إلى الإسكندرية، فتلقَّاه أهلُها طائعين، فدخلها، وولَّى عليها [ابن أخيه][١] صلاح الدين، فأقام بها، وسار أسدُ الدِّين إلى الصَّعيد، فاستولى عليه، وأقام يجمعُ أمواله [ويجبي خراجه][١]، وخرج شاور والفرنج من القاهرة، فحصروا الإسكندرية أربعة أشهر، وأهلُها يقاتلون مع صلاح الدِّين، ويقوُّونه بالمال، وبلغ أسد الدين، فجمع عَرَبَ البلاد، وسار إلى الإسكندرية، فعاد شاور إلى القاهرة وراسل أسدَ الدِّين، وأعطاه إقطاعاً بمصر، وعَجَّل له مالاً، فعاد إلى الشَّام، وصلاح

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الدين معه، واعتذر إلى نور الدين بكثرة الفرنج والمال، ورأى صلاح الدين لأهل الإسكندرية ما فعلوا، فلما ملك أَحْسَنَ إليهم، [وسنذكره][(١)].

ثم إنَّ الفرنج طلبوا من شاور أن يكون لهم شِحْنة بالقاهرة، ويكون أبوابها بأيدي فُرْسانهم، ويحمل إليهم في كلِّ سنة مئة ألف دينار، ومن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله، ويعود بعض ملوكهم إلى السَّاحل، فأجابهم، وهذا كله تقرَّر والعاضد لا يعلم بشيء منه، وسار بعضُ الفرنج إلى السَّاحل.

وكان نورُ الدِّين ينظر من سِتْرٍ رقيق، ويخاف على مِصْر من غَلَبة الفرنج عليها، فسار بعساكره إلى السَّاحل، ففتح المُنَيْطِرة، وقلاعاً كثيرة، فخاف كلُّ مَنْ بمصر من الفرنج، فعادوا إلى السَّاحل، ثم طمعوا في مِصْر، وعادوا إليها سنة أربع وستين [وخمس مئة][(١)]، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى.

وفيها احترقت اللَّبَّادين وباب السَّاعات بدمشق حريقاً عظيماً صار تاريخاً، وسببه أنَّ بعض الطَّبَّاخين أوقد ناراً عظيمة تحت قدر الهريسة ونام، فاحترق دُكَّانه، ولعبتِ النَّار في اللَّبَّادين، وتعدَّت إلى دورٍ كثيرة، ونُهِبَتْ أموالٌ عظيمة، وأقامت النَّار تلعبُ أياماً كثيرة.

وفيها قدم [أبو حامد محمّد بن محمّد الأصفهاني الملقب بالعماد الكاتب إلى][(٢)] دمشق، فأنزله القاضي كمال الدين الشَّهْرُزُوري بالمدرسة التي بناها نور الدين بنواحي باب الفرج [عند حمام القصير للشافعية][(١)]، وهي تنسب إلى العماد، وإلى هلمَّ جرًّا، ثم ولاه إياها نُور الدِّين في سنة سبعٍ وستين [وخمس مئة][(١)] بعد الفقيه ابن عبد، وكان بين العماد ونجم الدِّين أيوب وأسد الدين شيركوه معرفةٌ، لأنَّ عمه العزيز أحمد بن حامد اعتقله السُّلطان محمود [بن محمد بن محمد بن ملك شاه][(١)] بقلعة تكريت لما كان نجم الدين واليها [وقد ذكرناه][(١)] فانتسجت المودَّة بينهم من هناك، فلما قدم العماد دمشق بكَّرَ نجمُ الدين إلى زيارته بقصد تعظيمه بذلك، وكان صلاح الدين مع أسد الدين بمصر، فمدح العماد نجمَ الدِّين أيوب، فقال: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وفيها قدم العماد الكاتب إلى دمشق، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

يومُ النَّوى ليس من عُمْري بمحسوبِ ... ولا الفِراقُ إلى عَيْشي بمنسوبِ
ما اخترتُ بُعدَك لكنَّ الزمانَ أتى ... كَرْهاً بما ليس يا محبوبُ محبوبي
أرجو إيابي إليكم ظافراً عَجِلاً ... فقد ظَفِرْتُ بنجم الدِّين أيوبِ
موفَّقُ الرأي ماضي العَزْم مرتفعٌ ... على الأعاجم طُرًّا والأعاريبِ
أحبَّك الله إذْ لازمتَ سَجْدَتَهُ ... على جبينٍ بتاج الملك معصوبِ
أخوك وابنكَ عِزًّا منهما اعتصما ... بالله والنَّصْر وعدٌ غيرُ مكذوبِ
هما همامان في يومَيْ وغًى وقِرًى ... تعوَّدا ضربَ هامٍ أو عراقيبِ
ليستقرَّ بمصر يوسفٌ وبه ... تَقَرُّ بعد التَّنائي عَيْنُ يعقوبِ
ويلتقي يوسفٌ فيها بإخوته ... والله يَجْمَعُهُمْ من غير تَثْريبِ[1]

وفيها توفي

أحمد بن علي بن الزُّبير[2]

القاضي الرَّشيد، أصله من أُسْوان، وسكن مِصْر، وكان من شعراء شاور وابنه الكامل، وله فيهما مدائح، إلا أنه لم ينجُ من شَرِّ شاور؛ اتهمه بمكاتبة أسد الدين، وأنه أعان عليه، فقتله، وله تصانيفُ حسان، منها كتاب «جِنان الجَنَان ورياض الأذهان»[3]، ذيَّل به «اليتيمة»، وكان قد دخل اليمن، وهو القائل: [من الطويل]

تواصى على ظُلْمي الأنامُ بأَسْرهِمْ ... وأظلمُ مَنْ لاقيتُ أهلي وجيراني
لكلِّ امرئ شيطانُ جِنٍّ يكيده ... بسُوءٍ ولي دون الورى ألفُ شيطانِ[4]

وقال يمدح طلائع بن رُزِّيك: [من مجزوء الكامل]

جارى الملوكَ إلى العُلا ... لكنهم ناموا وأَسْرَى

---

(١) الأبيات في «كتاب الروضتين»: ٢/ ١٧-١٨.

(٢) له ترجمة في: «معجم الأدباء»: ٤/ ٥١-٦٦، و«خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١/ ٢٠٠-٢٠٢، و«الروضتين»: ٢/ ٢٥، و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٦٠-١٦٤، و«الطالع السعيد»: ٩٨-١٠٢، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢٢٠-٢٢٥، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٩٧-٢٠٣، «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) كان في أربع مجلدات، ولما يصل إلينا.

(٤) البيتان في «الخريدة»، قسم شعراء مصر: ١/ ٢٠٣.

سـائِـلْ بـه عَـصَـبَ الـنِّـفـا قِ غـداةَ أمـسـى الـقـوم أَسْـرى
قـسـمـاً بـمـنْ طـاف الـحـجـيـ ـج بـبـيـتـه شُـعْـثـاً وغُـبْـرا
لـولا طـلائـعُ لـم نـكـن نـرجـو لـمَـيْـتِ الـمُـلْـكِ نَـشْـرا[1]

[وفيها توفي][2]

الخضر بن شِبْل[3]

ابن الحسين بن عبد الواحد، أبو البركات، [الدمشقي الشافعي، خطيب جامع دمشق، ومدرس الزاوية الغربية][4]، ويعرف بابن عبد، كان عارفاً بالأُصولين والمذهب، نَزِهاً، عفيفاً، ذا مروءة ظاهرة، وكرم وافر، دَيِّناً صالحاً، ثقة صدوقاً.

ولد سنة ست وثمانين وأربع مئة، [وسمع شيوخ دمشق أبا القاسم النَّسيب، وأبا الحسن ابن الموازيني، وأبا طاهر الحِنَّائي، وغيرهم، درس بالزاوية الغربية][2] وبالمدرسة المجاهدية، ووقف عليه نورالدين مدرسته التي بباب الفرج، ومنه انتقلت إلى العماد الكاتب.

ظَفَر ابن الوزير[5]

يحيى ابن هُبَيْرة، شَرَف الدِّين.

ناب عن والده في الوِزارة، قال العماد: قال لي ابنُ الوزير يوماً ببغداد: قد وازنتُ قصيدةَ مهيار التي أوَّلها: [من الرمل]

بـكَّـر الـعـارِضُ تـحـدوه الـنُّـعـامـى وسُـقِـيْـتِ الـغـيـثَ يـا دارَ أُمـامـا

قال: فقلتُ:

أَخْـلَـفَ الـغَـيْـثُ مـواعـيـدَ الـخُـزامـى فـقـفِ الأنـضـاء تـسـتـسـقي الـغَـمـامـا

---

(١) الأبيات في المصدر السالف مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) مابين حاصرتين من (م).

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٥/ ٦٥١-٦٥٢ (وترجمته فيه من زيادات القاسم على تاريخ أبيه)، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٩٢ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: ٢/ ١٠١-١٢٠ ، والأبيات فيه.

وأبحني ساعةً من عُمُري … أملأ الدَّار شكاةً وغراما
أصف الأشواق في[1] تلك الرُّبا … وأعاطي التُّرْب رَشْفاً والتثاما
يا ولاة الغَدْر ما دينُكُمُ … أحرامٌ فيه أنْ تقضوا الذِّماما
أنا مِنْ أَسْرِ الهوى في رِبْقةٍ … حكمتْ للحرِّ فيها أن يُساما
وطني حيثُ أناخَتْ عِيسُكُمْ … ومقامي حيثما اخترتم مقاما

ثم قال لي: وازنها، فقلت: [من الرمل]

خَطَرَتْ تحملُ من سَلْمى سلاما … فانثنى يشكُرُ إنعام النُّعامى
مُغْرمٌ هاجت جواه نَسْمَةٌ … يا لها من نسمةٍ هاجتْ غراما
نفحةٌ أذكت بقلبي لفحةً … كلَّما هَبَّت له زادت ضِراما
يا لأوطاري فقد أَنْشرها … نشرها من بعد ما كانت رِماما
ذكَّرت ريحُ الصَّبا روحي الصِّبا … وزماناً كنتُ بل كان غلاما
ونديماً ليَ لم أندمْ به … يا رعاه الله من بين النَّدامى
قال ما أطيبَ أيام الصِّبا … قلتُ ما أطيَبَه لو كان داما
أنْجِداني فبنجْدٍ أَرَبي … حينَ غيري شامَ بالغَوْرِ الشآما
وانشُرا عنديَ أخبار الحِمى … فبأخبار الحِمَى قلبيَ هاما
ناظري من دمعتي في شُغُلٍ … فانظُرا عنيَ هاتِيكَ الخِياما
عَلِّلاني بأحاديثهم … فأحاديثُهمُ تَشْفي الأُواما
هذه أطلالهم تشكو الظَّما … فدعا الأَدْمُعَ تنهلُّ انسجاما
وقفا نَسْتَسْقِ جَدْوى ظَفَرٍ … فهو من بخَّلَ بالجود الغَماما

من أبيات.

وقد وازنها جماعةٌ، ولم يبلغ أحدٌ شأو مهيار في قوله: [من الرمل]

حَمِّلوا ريح الصَّبا نَشْرَكُمُ … قبل أن تحمل شيحاً وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى … [إن أذنتم لجفوني أن تناما][2]

---

(١) في (ح): إلى، والمثبت من «الخريدة»: ٢/ ١١٠.

(٢) ما بين حاصرتين من «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١١٧.

ولما مات الوزير عزمَ ظفر على الخروج من بغداد، فَقُبِضَ عليه، وقُتل، وأُخرج ميتاً في صفر، فحمل إلى أبيه، فدفن عنده.

محمد بن الحسن(١)

ابن علي، أبو المعالي ابن حَمْدُون، الكاتب، كان فاضلاً فصيحاً، وله اختصاصٌ بالمستنجد، يجتمع به ويذاكره، وولاه ديوان الزِّمام، وكان كريمَ الأخلاق، حَسَنَ العِشْرة، وكتابه «التذكرة»(٢) كتابٌ نافع، وتوفِّي في ذي القَعْدة، ودُفِنَ بمقابر قريش، وكان صدوقاً ثِقَةً.

الموفق بن أحمد(٣)

ابن محمَّد الخُوارَزْمي، أبو المؤيَّد، خطيب خوارزم، قدم بغداد حاجاً سنة نيف وأربعين، وعاد إلى خوارزم، فتوفي بها، ولما حَجَّ رأى الخدم يُلْبِسُون الكعبة السِّجاف، فقال: [من البسيط]

أملبسَ البيت أستاراً ظواهرها ... تبلى كما بليت يوماً بواطنُها
الله ألبسه من فَضْلِه خِلَعاً ... يبلى الزمان(٤) ولا تبلى محاسنها(٥)

يحيى بن عبدالله(٦)

ابن القاسم، تاج الدِّين الشَّهْرُزوري.

كان فاضلاً شاعراً، وكانت وفاته بالموصل، ومن شعره يوازن قصيدة مهيار التي يقول فيها: [من المتقارب]

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٢١-٢٢٢، و«الخريدة»، قسم شعراء العراق: ٢/ ١٨٤، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٣٨٠-٣٨٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٣٥٧، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٣٢٣-٣٢٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٧٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢٠٦.

(٢) حققه د. إحسان عباس، ونشرته دار صادر في بيروت سنة ١٩٩٦.

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم «شعراء أصبهان»: ٢/ ١٧٣-١٧٤ وفيه توفي بعد الستين. و«إنباه الرواة»: ٣/ ٣٣٢، و«العقد الثمين»: ٧/ ٣١٠-٣١١، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٥٢٣، و«بغية الوعاة»: ٢/ ٣٠٨، وفيها وفاته سنة (٥٦٨هـ).

(٤) في النسخة الخطية لا تقرأ، وأثبتها من إحدى نسخ «الخريدة».

(٥) البيتان في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٦) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم «شعراء الشام»: ٢/ ٣٤٠-٣٤٢ وفيه توفي سنة ٥٦٦هـ، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٤٥ وفيه أنه توفي سنة ٥٥٦هـ، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣، وفيه توفي سنة ٥٥٦ هـ.

وعَطِّلْ كُؤوسك إلا الكبار تجد للصِّغار أُناساً صِغارا[١]

فقال يحيى: [من المتقارب]

وَسَقِّ الندامى عقيقيَّةً تضيءُ فَتَحْسَبُ في الكأسِ نارا
تدور المسرَّة مَعْ كاسها وتتبعُه حيث ما الكاسُ دارا
ولا عيبَ فيها سوى أنَّها متى عَرَّسَتْ بحمى الهمِّ سارا
ستلقى ليالي الهموم الطِّوال فبادِرْ ليالي السُّرور القِصارا

[فصل وفيها توفي

علي بن أبي سعد[٢]

الأَزَجي، الخَبَّاز، من باب الأَزَج.

ولد سنة خمس وثمانين وأربع مئة، وسمع الحديث، وتوفي في شعبان.

وسمع أبا القاسم بن الحُصَيْن وغيره، وروى عنه أشياخنا، وكان ثقة، وهو الذي روى عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: لما أخرج الله آدم من الجنة بكى عليه كل شيء إلا الذهب والفضة. الحديث[٣]. وهذا الشيخ هو خال يحيى بن بَوْش][٤].

السنة الثالثة والستون وخمس مئة

[ذكر جدي في «المنتظم» أن الورد ببغداد ابتاع في هذه السنة مئة][٥] رطل بقيراط وحبة. [وقال غيره: وفي هذه السنة][٦] زاد ظلم أبي جعفر بن البلدي وزيرالخليفة ومصادراته للكتَّاب والعُمَّال، وتتبّعه لأولاد ابن هُبيرة وابن رئيس الرُّؤساء وغيرهم

(١) ديوان مهيار: ١/ ٣٥٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٢١.

(٣) هو موضوع لا أصل له، انظر الفردوس للديلمي: ٣/ ٤٢٤، الموضوعات للفُتَّني: ١٦١، وكنز العمال ٣/ ٢٤٠، وساقه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية»: ٢٧٠-٢٧١ من كلام أبي العباس بن عطاء الآدمي المتوفى سنة (٣٠٩هـ) أو (٣١١هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح): فيها بيع الورد ببغداد مئة رطل بقيراط وحبة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٦) ما بين حاصرتين من (م).

خوفاً من التقدُّم، فساءتِ السُّمْعة وقَبُحَتِ السِّيرة، وتجبَّر تجبراً زائداً، ولبَّس على الخليفة [وتتبع من يقع إليه بما لا يريد،][1] ولم يجد مانعاً يمنعه، ولا صادًّا يصدُّه، فاستغاثَ النَّاسُ منه إلى الله، ودعوا عليه، فأخذه الله أَخْذَ عزيزٍ مقتدر، فسلَّط عليه الحُمَّى المحرقة، وعسر البول والحصى، فكان يستغيث الليلَ والنَّهار، فلا يُغاث، ويداوى بأنواع الأدوية فلا تنجع [فيه][1]، فقال بعضُهم: [من المنسرح]

قالوا أبو جعفر يبول الحصى ... وليس يدرون فيه ما السِّرُّ
فقلتُ هذا مما يدلكُمُ ... فيه على أنَّ وَجْهَه صَخْرُ

وفيها قطع نورُ الدين الفرات، واستولى على الجزيرة والرُّها، وعاد إلى مَنْبِج، وبها يَنَال بن حَسَّان، فأخذها منه، ثم أعاده إليها، فقال العماد الكاتب: [من الكامل]

أدركتَ من أمر الزَّمانِ المُشْتهى ... وَبَلغْتَ من نيل الأماني المُنْتهى
لازِلتَ نورَ الدين في فَلَك العُلى ... ذا غُرَّةٍ للعالمين بها البها
كلُّ الأُمور وَهَتْ وأمرك مُبْرَمٌ ... مُسْتَحْكِمٌ لا نَقْضَ فيه ولا وَهَا
ما صِيْنَ عنك الصِّينُ لو حاوَلْتَهُ ... والمَشْرِقانِ فكيفَ منْبج والرُّها
يا محييَ العَدْلِ الذي في ظِلِّه ... من عَدْله رعَتِ الأُسودُ مع المَهَا
محمودُ المحمودُ مَنْ أيَّامُهُ ... لبهائها ضحكَ الزَّمانُ وقَهْقها
ما للملوكِ لدى بهائك رَوْنَقٌ ... وإذا بدَتْ شَمْسُ الضُّحى خَفي السُّها
أَتْعَبْتَ نَفْسك كي تنالَ رفاهةً ... مَنْ ليس يتعب لا يعيش مُرَفَّها
ولك الفَخَارُ على الملوكِ ودونَهُمْ ... أصبحتَ من كلِّ العيوب مُنَزَّها

وفيها فوض نور الدين أمر الرُّبُط والزَّوايا والأوقاف بدمشق وحماة وحمص وبَعْلَبَكّ وغيرها إلى شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حَمُّويه، وكَتَبَ له العماد منشوراً، [وذكره في «البرق الشامي»][2].

وفيها سَلَّمَ زينُ الدين علي كوجك المَوْصِل وبلادها إلى قُطْب الدِّين، وأخذ إرْبل، ومضى إليها، فتوفي بها، وولَّى قطبُ الدِّين المَوْصل مملوكَه فخر الدِّين عبد المسيح،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) سنا البرق الشامي: ١/ ١٣٥-١٣٦، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فأساء السِّيرة [وسلك غير طريق زين الدِّين][1]، فكرهه الناس، فلم تطل أيامه، [وسنذكره في سنة ست وستين وخمس مئة][1].

وفيها توفي

ظافر بن القاسم[2]

أبو منصور، الإسكندراني.

شاعر فاضل، ويقال له الحَدَّاد، قال يمدح قاضي الإسكندرية ويهنئه بشهر رمضان:

[من مجزوء الكامل]

شهرُ الصِّيامِ بكَ المهنَّا ... إذْ كانَ يُشْبِهُ منكَ فنَّا
ما سارَ حولاً كاملاً ... إلا ليسرقَ منكَ معنى
وينالَ منكَ كما ننا ... لُ ويستفيدَ كما استفدنا
بهرتْ محاسِنُكَ الورى ... فأعادتِ الفُصَحاءَ لُكْنا
والفَضْلُ أعظمُ بعضُ وصـ ... ـفِكَ فهو غايةُ ما وَجَدْنا
إنَّ الذي صَدَحَ الحما ... مُ به ثناؤكَ حينَ غَنَّى
فتَهَنَّ شهركَ واستزدْ ... بقدومه سَعْداً ويُمْنا
فمكانُهُ من عامِهِ ... كمكانِكَ المحروسِ مِنَّا[3]

وقال: [من الوافر]

هيَ الدُّنيا فلا يَحْزُنْكَ منها ... ولا من أهلِها سَفَهٌ وعابُ
أتطلبُ جيفةً لتنالَ منها ... وتُنْكِرُ أنْ تُهارِشَكَ الكلابُ[4]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٢/ ٢٧-٣٣، و«الخريدة»، قسم «شعراء مصر»: ٢/ ١-١٧، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٥٤٠-٥٤٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٦/ ٥٢١-٥٢٨، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٩٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته، ووفاته عندهم سنة ٥٢٩ هـ، ما عدا الوافي فذكر أنه توفي سنة ٥٢٥هـ، وقد تابع السبط في ذكره بوفيات هذه السنة ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٧٦-٣٧٧.

(٣) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٥-٦.

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٨.

وأحضره الأمير ابن ظفر والي الإسكندرية ليَبْرِدَ له خاتماً قد ضاق في خِنْصَره، فقال: [من السريع]

قَصَّر في أوصافك العالَمُ ... فاعْتَرَفَ النَّاثر والنَّاظِمُ
مَنْ يكنِ البحرُ له راحةً ... يضيقُ عن خِنْصَرِهِ الخاتَمُ[1]

ودخل يوماً على الأمير، وفي حجره غزالٌ مستأنس، فقال له بعض الحاضرين: قل فيه شيئاً. فقال بديهاً: [من المتقارب]

عجبتُ لجرأة هذا الغزالِ ... وأمرٍ تهيَّا له واعتمدْ
وأعجبْ به إذْ بدا جاثماً ... فكيف اطمأنَّ وأنتَ الأسَدْ

فأمر له بعطاء[2].

وكان على بابِ الأمير شِباكاً تمنع العصافير، فقال له ممتحناً: قُلْ فيها شيئاً، فقال: [من المتقارب]

رأيتُ ببابك هذا المنيفِ ... شِباكاً تُحيِّر مَنْ قد شَبَكْ
وفكَّرْتُ فيما جرى لي فقلتُ ... مكانَ البحورِ يكونُ الشَّبَكْ[2]

وقال: [من الطويل]

ألا رُبَّ من يلقاك في زِيِّ ناسكٍ ... كسُفْيانِ الثَّوريِّ وابنِ عياضِ
يميلُ على مالِ الأنامِ كأنَّه ... فريسةُ صيدٍ وهو ليثُ غياضِ
فيا مَنْ يرى أنَّ الرِّياءَ وسيلةٌ ... تَنَبَّهْ فما الرَّحمنُ عنكَ براضِ

وقيل: هي لغيره.

عبد الرَّحيم بن رُسْتم[3]

أبو الفضائل الزَّنْجاني الشَّافعي، [قاضي بعلبك، تفقه ببغداد على أبي منصور الرَّزَّاز، وقدم][4] دمشق سنة تسع وثلاثين، ودرس بالزَّاوية الغربية في الجامع،

---

(١) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ١٥.

(٢) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ١٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) له ترجمة في «طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٥٨-١٥٩، و«طبقات الإسنوي»: ٢/ ٨، و«الدارس»: ١/ ٤١٨، وقد أحالوا في ترجمته على «تاريخ ابن عساكر»، ولم أجدها في المطبوع منه.

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

وبالمدرسة المجاهدية، وكان فاضلاً، ولاه نورُ الدِّين قضاء بَعْلَبَكَّ، فأقام بها مُدَّة، وقُتِلَ بها، فَحُمِلَ إلى قاسيون، فدفن به.

عبد القاهر بن محمد[(١)]

ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله عمُّويه[(٢)].

وقال ابنُ عساكر: عبد القاهر بن عبداللهَ بن محمد بن عبد الله بن سَعْد بن الحسين ابن القاسم بن النَّضْر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق رضوان الله عليه، أبو النَّجيب البغدادي السُّهْرَوَرْدِي، الفقيه الواعظ، الصُّوفي[(٣)].

وقال ابنُ السَّمْعاني: عبد القاهر بن عبدالله بن محمَّد بن عَمُّويه، وهو عبد الله بن سَعْد بن الحسن بن القاسم بن علقمة بن النَّضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصديق[(٤)].

وقال محمد بن القادسي: كان من ولد الأمير حسنويه الكُرْدي، ولم يكن بكرياً، والله أعلم، نزل بغداد، وتفقَّه في النِّظامية زماناً، ثم هَبَّ عليه نسيم الإقبال والتوفيق، فدلَّه على الطريق، فانقطع عن النَّاس مدة مديدة، ثم رجع، ودعا الخَلْقَ إلى الله تعالى، فرجع جماعةٌ كبيرة بسببه إلى الله تعالى، وأنشد: [من الكامل]

يا سادةً عمروا بقلبي منزلاً ... يتعوَّضون به عن الجُدْرانِ
فتجمَّلوا ما دمتُمُ سُكَّانه ... فعمارةُ الأوطان بالسكان
وتعجبوا من شجو قَلْبِ المُبْتلى ... سبحانَ من عافاكُمُ وبلاني

وقال ابنُ عساكر: قدم بغداد وهو شابٌّ، وسمع بها الحديث وتفقَّه، ثم اشتغل بالزُّهد والمجاهدة حتى كان يستقي[(٥)] الماء ببغداد بالقربة، ويأكل من كَسْب يده، ثم

---

(١) كذا في (ح)، وكأنه نسبه إلى جده، والذي في مصادر ترجمته «عبدالقاهر بن عبد الله».

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ١٩٧، و«تاريخ ابن عساكر»: مج ٤٣/ ٧١-٧٢، و«المنتظم»: ١٠/ ٢٢٥، و«تاريخ إربل»: ق ١/ ١٠٧، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٠٤-٢٠٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٧٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) «تاريخ ابن عساكر»: مج ٤٣/ ٧١.

(٤) «الأنساب» للسمعاني: ٧/ ١٩٧.

(٥) في (ح): لا يستقي، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

وَعَظَ، وحصل له القَبُول، وولي مدرسة النِّظامية، وقدم دمشق سنة ثمانٍ[١] وخمسين، ووعظ بها وحدَّث، وعاد إلى بغداد، وعاد عازماً على زيارة القُدْس، فلم تتفق لانفساخ الهُدْنة بين المسلمين والفرنج، وأكرمه نورُ الدِّين، وأقام بدمشق مُدَّةً يسيرة، ووعَظَ بها وحدَّث، وعاد إلى بغداد[٢].

وقال: ولدتُ بسُهْرَوَرْد سنة تسعين وأربع مئة، وتوفِّي ليلة السبت ثامن عشر جُمادى الأُولى[٣].

عبد الكريم بن محمَّد[٤]

ابن عبد الجبار، أبو سَعْد بن السَّمْعاني التَّميمي.

ولد بمرو في شعبان سنة ست وخمس مئة، ورحل إلى البلاد، وسمع الحديث، ودخل بغداد سنة اثنتين وثلاثين[٥]، وذَيَّل على تاريخ الخطيب، وكان يتعصَّب على مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، ويبالغ، وطَعَنَ في جماعةٍ من أصحابه، فشفى غيظه في كتابه بما لا معنى له، فلم يُرْزق نشره لسوء قصده، فتوفي وما بلغ الأمل، ولو أن متتبِّعاً يتبَّع ما في كتابه من الأغاليط والأنساب المختلطة، ووفاة قوم هم في الحياة، لأخرج كثيراً من الغلط، غير أنَّ الزَّمان أشرف من أن يضيع في مثل هذا، وكان مموَّهاً؛ فكان يأخذ الشيخ البغدادي، فيقعده فوق نهر عيسى، ويقرأ عليه، ويقول: حدثني فلان من وراء هذا النهر، ويأخذ آخر، ويقعده في رقة بغداد، ويسمع عليه، ويقول: حدَّثني فلان بالرَّقة، في أشياء من هذا الفن كثيرة.

ولما قدم ابن السمعاني دمشق نَزَلَ على ابنِ عساكر، وكان بينهما مؤانسة، قال ابنُ عساكر: ثم عاد من دمشق إلى بغداد فسمع تاريخ الخطيب وذَيَّله، وعاد إلى خُراسان،

---

(١) في (ح): ثلاث، وهو تحريف، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

(٢) «تاريخ ابن عساكر»: مج ٤٣/ ٧٣.

(٣) في مصادر ترجمته: جمادى الآخرة.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: مج ٤٣/ ١٠١-١٠٣، و«المنتظم»: ١٠/ ٢٢٤-٢٢٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٥٦-٤٦٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) في (ح): اثنتين وثمانين، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم».

وعبر النهر، وحدَّث ببَلْخ دهراً، وصنَّف كتاباً سَمَّاه «فرط الغرام إلى ساكني الشَّام»، وأرسل به إلى دمشق، وهو بخطِّه في ثمانية أجزاء تشتمل على أخبار وحكايات، وكتبَ كتاباً بخطِّه فيه: [من المتقارب]

نسيمَ صَبا الوَجْد بَلِّغْ سلامي ... إلى ساكني أرضِ نجدٍ وشامِ
زماناً نعِمْنا بروضاتِ عَيْشٍ ... سَقَتْها الغوادي دموعَ الغَمَام
فماذا عليهم إذا ما قنعنا ... برَجْعِ التَّحايا وَرَدِّ السَّلام[١]

ومات بمرو في ربيع الأول ـ أو الآخر ـ سنة اثنتين وستين وخمس مئة، وغير ابن عساكر يقول في هذه السنة.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذيل أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الدُّبيثي على ذيل ابن السمعاني.

عليُّ بن بُكتِكين[٢]

زين الدِّين كوجك، التركي.

[وهو الذي حاصر بغداد مع محمَّد شاه وكان قصيراً جداً فلذلك سمي كوجك، وكان][٣] حاكماً على المَوْصل وغيرها، عادلاً، حسنَ السيرة، كثير الأمانة، محافظاً على الأيمان والعهود، قليل الغدر، متجاوزاً عن الزلَّات، ميمون النَّقيبة، لم يُكْسر جيشٌ هو فيه، وكان بخيلاً، ثم إنه جادَ في آخر عمره، وبنى المدارس والرُّبُط والقناطر والجسور، وحكى أنَّ بعض الجند جاءه بذنب فرس، وقال: مات فرسي، فأعطاه، وأخذ ذلك الذنب، وجاءه آخر، وقال: مات فرسي، فأعطاه فرساً، ولا زال يَتَدَاوَل ذلك الذنب اثنا عشر رجلاً وهو يعلم أنَّه الأَوَّل، ويعطيهم الخيل، فلما أضجروه أنشد: [من الكامل]

ليس الغبي بسيِّدٍ في قومه ... لكنَّ سيد قَوْمِهِ المتغابي[٤]

(١) «تاريخ ابن عساكر»: مج ٤٣/ ١٠٢-١٠٣.
(٢) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٤/ ١١٤، و«الروضتين»: ٢/ ٣٨-٤١، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر.
(٣) في (ح): وغيرها، وكان قصيراً جداً عادلاً، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ١/ ٨٧.

فعرفوا أنَّه قد علم، فلم يرجعوا إليه، ولما كبر طرش وقَلَّ نظره، فسلَّم البلاد إلى قُطْب الدِّين، وقال: إنك لا تنتفع بي، فقد كبرت وهرمت، وضَعُفَتْ قوَّتي، وخانني سمعي وبصري. وكانت إرْبل له، أعطاه إياها أتابك زَنْكي، فمضى إليها، وأقام بها حتى توفي في ذي الحِجَّة، وكانت أيامه على المَوْصِل إحدى وعشرين سنة ونصفاً، ولم يخلف شيئاً لأنَّه أنفقه في أبواب البر [والصدقات](١) ولما توفي كان الحاكمُ بإرْبل خادِمَهُ مجاهد الدين قيماز، وملك بعده ولده زين الدين يوسف بن علي، ثم [ملك بعده](١) مظفر الدين كُوكُبُوري [بن زين الدِّين، وسنذكره](١).

محمَّد بن إسحاق(٢)

ابن محمَّد بن هلال الصَّابي، من ولد غرس النعمة صاحب التاريخ.

ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وولي ديوان الزّمام للمقتدي، وله ترسُّلٌ وكلامٌ فصيح، وهو من بيت الفَضْل والرياسة والكتابة، وتوفي في بغداد في شوال، وكان ثِقَةً.

محمد بن(٣) عبد الحميد(٤)

أبو الفَتْح، علاء الدِّين الرَّازي، العالم السَّمَرْقندي، صاحب «التعليقة» و«المعترض والمختلف» على مذهب أبي حنيفة.

وكان من فُرسان الكلام، قدم بغداد، وناظر وبَرَعَ، وفاق أهلها، وكان شحيحاً بكلامه، فكانوا يوردون عليه أسئلة وهو عالم بأجوبتها، فيكاد ينقطع ولا يذكرها لأحد لئلا تستفاد منه، وقيل: إنَّه تنسَّك، وتَرَكَ المناظرة، واشتغل بالخير إلى أن مات.

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢/ ١٩١.

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ١/ ٢٥٥، ٢٥٦، و«المنتظم»: ١٠/ ٢٢٦، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢١٨، «معجم البلدان»: ١/ ١٨٩، «لسان الميزان» ٥/ ٢٤٣، «الجواهر المضية»: ٣/ ٢٠٨-٢٠٩، «تاج التراجم»: ١٩٣-١٩٤، «طبقات المفسرين» للداودي: ٢/ ١٧٧، «الفوائد البهية»: ١٧٦ وفي الوافي والجواهر وتاج التراجم والداودي وفاته سنة (٥٥٢هـ).

(٤) في (ح) عبد المجيد، وهو تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته.

هبة الله بن الحسن[(١)]

ابن هبة الله، أبو الحسين الدمشقي، [أخو الحافظ ابن عساكر، وكان هبةُ الله أسنَّ من الحافظ][(٢)].

ولد سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، وسافر إلى بغداد، [وتفقه على أسعد المِيْهني، وسمع من أصحاب التنوخي والبرمكي وغيرهما، وتفقه بالشام أيضاً على الفقيه نصر][(٢)] ودرس بالزَّاوية الغربية بجامع دمشق، وبالمدرسة الأمينية، وسمع منه أخوه الحافظ ابن عساكر، وكان غزير العِلْم، كبير القدر، [وكان][(٢)] يَفْضُلُ على أخيه، وتوفي بدمشق.

هبة الله بن محفوظ[(٣)]

ابن الحسن أبو الغنائم، ابن صَصْرى، الدِّمَشْقي، التَّغلبي.

قَبِلَ القُضاة قوله وله عشرون سنة، وسمع الحديث الكثير، وكانت وفاته بدمشق، ودفن بباب توما عند أهله. [سمع شيوخ الشام، أبا محمد بن طاوس وطبقته، وتفقه على أبي الحسن السُّلَمي][(٢)] وكان صالحاً، متصدِّقاً، دَيِّناً، ثِقَةً.

فصل: وفيها توفي

يوسف بن عبدالله[(٤)]

ابنُ بُنْدار، الدِّمشقي الكبير.

تفقَّه ببغداد على أسعد المِيْهَني، وبرع في المناظرة، ودرَّس بالنِّظامية وبغيرها، وكان كبير القَدْر، بعثه المستنجد إلى شملة التركماني رسولاً، فمات هناك في شوال.

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء الشام: ١/ ٢٨١، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٣١١، «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٩٥-٤٩٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «طبقات الشافعية»: للإسنوي: ٢/ ١٤٣-١٤٤ نقلاً عن «تاريخ ابن عساكر»، وترجمته فيه في القسم المخروم من النسخة التي بين يدي.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٢٦، و«الكامل»: ١١/ ٣٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥١٣-٥١٤، و«طبقات الشافعية»: للإسنوي: ١/ ٥٤٠-٥٤١، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٦٣هـ)، وانظر ج٢٠/ ٤٠٦، من هذا الكتاب.

وله واقعات عجيبة ببغداد حكاها أشياخنا، منها أنه كانت له بغلة حرون، ركبها يوماً، فدخلت به في درب لا تنفذ، وكان يوسف قصيراً مدوراً بعمامة كبيرة وثوب واسع الكمين، فجعل يضرب البغلة وهي تحتك بالحائط ولاتزول من مكانها، فقال: فَعَل الله بالغلام وصنع، كم أقول له: استعمل هذه البغلة تحت الرَّاوية حتى تلين آذانها، وهو لا يقبل. وهناك امرأة مُطِلَّةٌ من روزنة، فقالت له: يا فقيه، فذي ما تحمل دلو، فكيف تحمل راوية؟! فخجل، ونزل من عليها، وساقها بين يديه.

ومنها: أنه اجتاز يوماً بمحلة قَرَاح أبي الشَّحم، فنبحته كلابها، فقال: قبَّح الله كلاب هذه المحلَّة، فما أكثرها وأضراها! فقالت امرأة من طاقة: نعم، وكلهم اليوم غرباء.

ومنها أنه اجتاز على جماعة، فسلَّم عليهم، فلم ينصفوه، فقال لغلامه: ما ترى هؤلاء التيوس؟ فقال واحد منهم: الله يحفظك يا أبانا. ومن هذا شيء كثير.

السنة الرَّابعة والستون وخمس مئة

في المحرَّم ملك نورُ الدِّين محمود قلعة جَعْبر، خرج صاحبها ابنُ مالك العُقَيْلي يتصيَّد، فأخذه بنو كلب، وذهبوا به إلى نور الدين، فأحسن إليه وأكرمه، وقال: أنتَ عاجز عن حِفْظها، فاخترْ مهما شِئْتَ من الإقطاعات والبلاد. فامتنع، فأرسل إليها نور الدين فخر الدين مسعود ابن الزَّعفراني ومجد الدِّين ابن الدَّاية، فحاصراها، فلم يقدرا عليها، ثم إن صاحبها طلب من نور الدين سَرُوج وأعمالها ومالاً، فأعطاه وتسلمها. وهذه القلعة ما زالت في يد بني مالك من أيام السُّلْطان ملك شاه إلى هذه السنة، وبلغ نور الدين أنهم كان لهم رجال يقطعون الطريق.

وفي صفر خرج الفرنج من عَسْقلان والسَّاحل طالبين الدِّيار المِصْرية، فنزلوا [على][1] بِلْبِيْس، وأغاروا على الرِّيف، فقتلوا وأسروا، فأخرج شاور مَنْ كان بالقاهرة من الفرنج، وقَتَلَ البعض وهرب الباقون، وأمر شاور أهل مصر بأن ينتقلوا إلى

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

القاهرة، وأحرق مِصر، وسار الفرنج [من][١] بِلبْيس، فنزلوا على القاهرة في تاسع صفر، وضايقوها، وضربوها بالمجانيق، فلم يجد شاور بُدًّا أن كاتب نورَ الدين بأمر العاضد، وكان الفرنج لما وصلوا إلى مصر في المرَّتين الأوليين اطَّلعوا على عوراتها، وطمعوا فيها، وعلم نور الدين، فاسترجع وخاف عليها، وجاءته كُتُبُ العاضد وشاور فقال نور الدين لأسد الدين: خُذِ العساكر وتوجَّه إليها، وقال لصلاح الدين: اخرج معه. فامتنع، وقال: يا مولانا ما يكفي ما لقينا من الشَّدائد! فقال: لابُدَّ من خروجك. فما أمكنه مخالفة نور الدين.

فساروا إلى مِصْر، وبلغ الفرنج، فرجعوا إلى السَّاحل، وقيل: إنَّ شاور أعطاهم مئة ألف دينار، وجاء أسد الدين فنزل على باب القاهرة، فاستدعاه العاضد إلى القَصْر، وخلع عليه في الإيوان خِلَع الوِزارة، وسُرَّ أهل مصر بوصوله.

وقيل: إنَّه لم يستدعه، وإنما بعث إليه بالخِلَع والأموال والإقامات وللأمراء الذين معه، وأقام مكانه وأربابُ الدَّولة يتردَّدون إلى خِدْمته كلَّ يوم، ولم يقدر شاور على منعهم لكثرة العساكر وكون العاضد مائلاً إلى أسد الدين، فكاتَبَ الفرنج، واستدعاهم، وقال: يكون مجيئكم إلى دمياط في البحر والبر. وبلغ أعيانَ دولة المِصْريين، فاجتمعوا عند أسد الدين، وقالوا: شاور [هو][١] فساد العباد والبلاد، وقد كاتَبَ الفرنج، وهو يكون سبب هلاك الإسلام.

ثم إنَّ شاور خاف لما تأخَّر وصول الفرنج، [فشرع][٢] في عمل دعوة لأسد الدِّين والأُمراءِ ويقبضهم، فنهاه ابنه الكامل، وقال: واللهِ لئن لم تنته عن هذا الأمر لأعرِّفن أسد الدين. فقال له شاور: والله لئن لم أفعل هذا لنُقتلن كلنا. فقال: [له ابنه][١]: لأن نقتل والبلاد بيد المسلمين خيرٌ من أن نُقْتَلَ والبلاد بيد الفرنج.

وكان شاور قد شَرَطَ لأسد الدين ثُلُثَ البلاد، فأرسل [أسد الدين][١] يطلب منه المال، فجعل يتعلَّل ويماطل وينتظر وصولَ الفرنج إلى البلاد، فقتلوه، وسنذكره [في موضعه][١] إن شاء الله تعالى.

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): فعمل، والمثبت مابين حاصرتين من (م) و(ش).

ولما قُتِلَ بَعَثَ العاضد منشوراً بالوِزارة لأسد الدِّين بخطِّ الفاضل، وعليه بخطِّ العاضد ما صورته: هذا عهدٌ لم يعهد إلى وزيرٍ بمثله، فتقلَّد ما أراك الله أهلاً بحمله، وخُذْ كتابَ أمير المؤمنين بقوَّة، واسحَبْ ذيل الافتخار بأنِ اعْتَرف بخدمتك بيتُ النُّبوة، والتزمْ حقَّ الأمانة تجدْ إلى الفوز سبيلاً ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[النحل: ٩١].

وأرسل العاضد نسخةَ الأَيمان إلى أسد الدين، وحَلَفَ كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه على الوفاء والطَّاعة والصَّفاء، فتصرَّف أسدُ الدين شهرين ومات، ولما احْتُضر أوصى إلى ابنِ أخيه صلاح الدين، فاختلف عليه جماعةٌ من الأُمراء عقيب وفاةِ أسد الدين، وبلغ نورَ الدين اتِّفاقُ الأمراء على صلاح الدين، فقال له الملك المُعَظَّم تورانشاه بن أيوب، وكان أسنَّ من صلاح الدِّين: يا مولانا أريد أن أسير إلى أخي. فقال له: إنْ كنتَ تسير على مِصْر وترى يوسف أخاك بعين أنه كان يقف في خدمتك وأنت قاعد فلا تسير، فإنك تفسد العباد والبلاد، فتحوجني إلى عقوبتك بما تستحقه، وإن كنتَ تسير إليه، وترى أنَّه قائم مقامي، وتخدمه كما تخدمني، وإلا فلا تذهب إليه. فقال: يا مولانا سوف يبلغك ما أفعل من الخدمة والطَّاعة. وسار إلى مصر، فتلقَّاه صلاحُ الدين من بِلْبِيس وخدمه، وقدَّم له المال والخيل والتُّحف، وأقام على أحسن حال، وفعل ما ضمن لنور الدين.

وكان للعاضد خادمٌ يقال له مؤتمن الخلافة، وكان مُقَدَّم السُّودان والخدم، والمشار إليه في القَصْر، فأمر بقتال الغُزِّ، واتَّفق العسكر المِصْري مع الخادم وثاروا على الغُزِّ، فقتلوا منهم جماعةً، فركب صلاح الدِّين وشمس الدولة، ودخلا إلى باب القصر، وأبلى شمس الدولة بلاءً حسناً، وقتل الخادمَ وجماعةً من السودان، فأرسل العاضد إلى صلاح الدين يتعتَّب عليه، ويقول: فأين أمانتُكم؟ هذا الخادم جاهل، فَعَلَ ما فعل بغير أمرنا. فقال صلاحُ الدين: نحن على الأَيمان والعهود ما نتغير، وما قتلنا إلا مَنْ قَصَدَ قتلنا.

وفيها توفي [صاحب دمشق][(١)]

أبق بن محمّد[(٢)]

ابن بوري بن أتابك طُغْتكين؛ مجير الدِّين، وهو آخر ولد طغتكين، وكان لطغتكين تاجُ الملوك بوري، فولد بوري إسماعيل ومحمود ومحمد، ولما ماتَ بوري ملك بعده ولده إسماعيل، فَقُتِلَ لفساده، وولي بعده أخوه محمود. فقتل، فولي بعده أخوه محمد، فمات، فولي بعده ابنه مجير الدين أبق بن محمد، ومات ببغداد، ودفن بداره التي عند النِّظامية، وبلغ نور الدين، فقعَدَ له في العزاء، [وقد ذكرنا سيرته][(٣)].

حميد بن مالك[(٤)]

ابن مُغْيث بن نَصْر بن مُنْقِذ، أبو الغنائم الكِناني.

ولد بشَيزر سنة إحدى وتسعين وأربع مئة، ونشأ بها، ثم انتقل عنها وسكن دمشق مُدَّةً، وكان قارئاً للقرآن، فاضلاً عفيفاً أديباً، قال في وصف دمشق: [من البسيط]

ما بعد جِلِّقَ للمُرْتادِ منزلةٌ ... ولا كسُكَّانها في الأرض سُكَّانُ
فكلُّها لمجال الطَّرْفِ مُنْتَزَهٌ ... وكلُّهم لصروف الدَّهْرِ أقرانُ
وهم وإنْ بَعُدُوا مني بِنِسْبتهم ... إذا بَلَوْتُهُمُ بالوُدِّ إخوانُ

ومات أخوه يحيى فرثاه، وقال: [من الطويل]

يذكِّرُني يحيى الرِّماح شوارعاً ... وبيض المواضي جُرِّدَتْ للوقائعِ
فأقسمُ ما رؤياه في العين بهجةً ... بأحسنَ مِنْ أوصافِهِ في المسامعِ

وكانت وفاته بحلب ليلة نصف شعبان.

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٥/ ١٨٨-١٨٩، و«الروضتين»: ١/ ٣٠٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٦٥-٣٦٦ و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٨٥-١٨٦، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ١٨٨.

(٣) مابين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر حوادث سنة (٥٤٩هـ).

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٥/ ٣٥٦، و«معجم الأدباء»: ١١/ ١٦-١٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٠٢.

سَعْد الله بن نَصْر(١)

ابن سعيد، أبو الحسن ابن الدَّجاجي، الواعظ الحنبلي البغدادي.

ولد في رجب سنة ثمانين وأربع مئة، وتفقَّه وناظر، وكان حلو الإيراد، كثير المطالعة، فصيحاً، خاف من الخليفة لحادثٍ نزل به، قال: فرأيت في المنام قائلاً يقول: [من الكامل]

ادفعْ بصَبْرِكَ حادثَ الأَيَّامِ وتَرَجَّ لُطْفَ الواحدِ العَلَّامِ
لا تأيسنَّ وإنْ تضايق كَرْبُها ورماكَ رَيْبُ صُرُوفِها بسِهامِ
فله تعالى بين ذلك فَرْجةٌ تخفى على الأبصار والأوهام
كم مَنْ نجا مِن بين أطراف القَنا وفريسةٍ سَلِمتْ من الضِّرْغامِ

وسئل عن أخبار الصِّفات، فقال: لا تتعرض لها يا عديم، وعليك بالرِّضا والتسليم، وأنشد: [من الطويل]

أبى العاتبُ الغضبانُ يا نفس أَنْ يرضى وأنتِ التي صَيَّرْتِ طاعته فَرْضا
فلا تهجري من لاتطيقين هَجْرَهُ وإنْ هَمَّ بالهِجْرانِ خَدَّك والأَرْضا

وكانت وفاته في شعبان، ودفن عند رباط الزَّوْزني، ثم نُبِشَ بعد خمسة أيام، ونقل إلى مقابر الإمام أحمد رحمة الله عليه، وكان ديناً عفيفاً ثقة.

شاور بن مجير السَّعْدِي

وزير الدِّيار المِصْرية [وقد ذكرنا وقائعه إلى هذه السنة، و(٢)] كان جَبَّاراً لا ينظر في عاقبة، سفَّاكاً للدِّماء، ممدَّحاً، [وقد مدحه عمارة اليمني الشاعر بقصائد.

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٤/ ٢٩٤ ، «المنتظم» ١٠/ ٢٢٨ ، «معرفة القراء الكبار»: ٢/ ١٠١٢-١٠١٣ ، «الوافي بالوفيات»: ١٥/ ١٨٦-١٨٧ ، «فوات الوفيات»: ٢/ ٤٦ ، «البداية والنهاية» وفيات سنة (٥٦٤هـ)، «ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٣٠٢-٣٠٥ ، «غاية النهاية»: ١/ ٣٠٣ ، «المقصد الأرشد»: ١/ ٤٣٠-٤٣١ ، «شذرات الذهب»: ٤/ ٢١٢-٢١٣ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وقد سلفت أخباره في هذا الكتاب، وانظر أخباره كذلك في «كتاب الروضتين»، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٣٩-٤٤٨ .

ذكر مقتله: قد ذكرنا أنه عزم على عمل دعوة لأسد الدين والأمراء، ثم يقتلهم، وأن ابنه الكامل نهاه،[(١)] واختلفوا في كيفية مقتله على أقوال:

أحدها أنَّ الأمراء اتفقوا على قتله لما علموا بمكاتبته الإفرنج، وأنَّ أسد الدّين تمارض، وكان شاور يخرج إليه كل يوم، والطَّبْل والبوق يضرب بين يديه على عادة وزراء مصر، فجاء ليعودَ أسدَ الدين، فقتلوه.

و[القول][(١)] الثاني أن صلاح الدِّين وجُرْديك اتَّفقا على قَتْله، وأخبرا أسد الدين، فنهاهما، وقال: لا تفعلا، فنحن في بلاده ومعه عسكرٌ عظيم. فسكتا، واتفق أنَّ أسد الدين ركب إلى زيارة الشَّافعي رحمة الله عليه، فأقام عنده، وجاء شاور على العادة إلى أسد الدين، فالتقاه صلاحُ الدين وجُرْديك، وقالا: هو في الزّيارة، انزل. فامتنع، فجذباه، فوقع إلى الأرض، فقتلاه.

و[القول][(١)] الثالث أنهما لما جذباه لم يمكنهما قتله بغيرِ أمر أسد الدِّين، وسحبه الغِلْمان إلى الخيمة، وانهزمَ أصحابه إلى القاهرة ليجيِّشوا عليهم، وعلم أسدُ الدين، فعاد مُسْرعاً، وجاء رسولٌ من العاضد برقعة يطلبُ من أسد الدِّين رأسَ شاور، وتتابعتِ الرُّسُل، وكان أسد الدين قد بعث إلى شاور مع الفقيه عيسى يقول: لك في رقبتي أيمان، وأنا خائف عليك من الذي عندي، فلا تجئ. فلم يلتفت، وجاء على العادة، فجذبوه، وألقوه عن فرسه، وأدخله جُرْديك إلى الخيمة، وحَزَّ رأسه، فلما عاد أسد الدين استرجع، وبعث برأسه إلى العاضد، فَسُرَّ به، ودعا العاضد ولدَ شاور الكامل، فقتله في الدِّهليز، وقتل أخاه، واستوزر أسد الدِّين، وذلك في ربيع الآخر[(٢)].

شِيرْكُوه أسد الدين[(٣)]

[عم صلاح الدين][(١)].

أقام في الوِزارة شهرين وأياماً، لأنه وَزَرَ في سابع عشر ربيع الآخر، وتوفي فجأة يوم السبت ثاني عشر جُمادى الآخرة، [وكانت وزارته شهرين وخمسة أيام][(١)]، وكان كثير الأكل للحوم

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (م) و(ش): واستوزر أسد الدين على ما ذكرنا، وقتل شاور في ربيع الآخر.

(٣) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وانظر أخباره كذلك في «الروضتين»، وفي «وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٧٩-٤٨١ .

الغليظة، فكانت تتواتر عليه التُّخَم والخوانيق، فاعتراه خانوقٌ عظيم، فقتله، ودُفِنَ بظاهر القاهرة إلى أن مات أخوه نجم الدِّين أيوب، فحملا جميعاً إلى مدينة النَّبيِّ ﷺ، فدفنا في رباطيهما، وكان قد أوصى إلى ابنِ أخيه صلاح الدين، فاختلفَ الأُمراء عليه، منهم عز الدين الياروقي رأس الأتراك، وسيف الدين [علي بن أحمد الهكاري](١) المشطوب ملك الأكراد، وشهاب الدِّين محمود صاحب حارم؛ وهو خال صلاح الدين، وجماعة، وكلٌّ واحدٍ منهم رام أن يكونَ له الأمر، فبادر العاضد، واستدعى صلاحَ الدين، وخَلَعَ عليه في الإيوان خِلْعة الوِزارة، وكتب عهده [كما فعل بأسد الدين](٢)، ولقبه الملك النَّاصر ـ وقيل: إنما لقبه المستضيء بعد ذلك ـ وشَرَعَ الفقيه عيسى في تفريق البعض [عن البعض](٢)، وأصلح الأمور لصلاح الدِّين، وبَذَلَ صلاحُ الدِّين الأموال، وأحسن إلى الجميع، فأطاعوه، وأقام نائباً عن نور الدِّين، يُدْعى لنور الدين على المنابر بعد العاضد، ولصلاح الدين بعدهما.

وذكر ابنُ عساكر أسدَ الدِّين، فقال: ولي دمشق مُدَّة، وقام بحرب الفرنج، وفتح حُصُوناً كثيرة، وكان شجاعاً مقداماً، صارماً، مهيباً، وحَجَّ سنة خمسٍ وخمسين [وخمس مئة، وذكر فتوح مصر(٣).

انتهت ترجمة أسد الدين، والحمد لله وحده، وصلى على أشرف خلقه محمد، ﷺ](٢).

عبد الخالق بن أسد(٤)

ابن ثابت، أبو محمَّد الدِّمَشْقي.

كان عارفاً بالحديث، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، ودرَّس بالصَّادرية بدمشق، وكان مُفْتياً، وكانت وفاته بدمشق، ومن شِعْره: [من مجزوء الكامل]

قـال الـعـواذِلُ مـا اسـم مَـنْ أَضْـنـى فُـؤادك قـلـتُ: أَحـمَـدْ
قـالـوا أَتَـحْـمَـدُهُ وقـد أضـنـى فـؤادك قـلـت: أَحْـمَـدْ

(١) في (م) و(ش): أحمد بن علي الهكاري المشطوب، وهو قلب، والصواب ما هو مثبت.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) «تاريخ ابن عساكر»: ٨/ ١٧٠-١٧١.
(٤) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٩٧، و«العبر»: ٤/ ١٨٧، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٥٤، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٣٦٨-٣٧٠، وفيه توفي سنة (٥٨٣هـ) وقد انفرد بذلك، و«تاج التراجم»: ١٣٣-١٣٤، و«الطبقات السنية»: ٤/ ٢٧٤-٢٧٥، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢١٢، و«الدارس»: ١/ ٥٣٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٨١.

محمد بن عبد الملك بن عبد الحميد[(١)]

أصله من مَيَّافارِقين، وانتقل إلى بغداد، فأقام بها، وكان صالحاً زاهداً، يتكلَّم على النَّاس بجامع الخليفة على السجَّادة قاعداً، وربما قام على قدميه قائماً، وكان يحفظ «نهج البلاغة»، وكان لكلامه في القلوب موقع، وتوفي في رجب ببغداد بباب أبرز، وعمره إحدى وسبعون سنة.

وله نَظْمٌ ونَثْر، فمن ذلك: اللهم إنِّي أعوذُ بك من حركات الهوى واللهو، وسكنات البلادة والسَّهو، أطلعْ ثمارَ الأماني من أغصان آمالنا، لُمَّ بلُطْفك شَعَثَ أحوالنا.

ولما حُوصرت بغداد، قال: عساكر الأقضية والأقدار مُحْدِقةٌ بأسوار الأعمار، تَهْدِمُها بمعاول اللَّيل والنهار، فلو أضاء لنا مِصْباحُ الاعتبار، لم يبق لنا سكونٌ ولا قَرَار.

وقال: الخَلْوة لقومٍ سرور، ولآخرين غرور، ولا تنظروا إلى المَجَازِيَّات الزَّائلات، وانظروا إلى الحقائق الدائمات.

وقال: اللهم، سَلِّمْ القلوبَ من سُموم الهموم، بدِرْياق الثقة بالرِّزق المقسوم.

ومن شعره: [من البسيط]

يا مَنْ يرى خدمة السُّلْطان عُدَّته ... ما أرْشُ كدِّكَ إلَّا الهَمُّ والنَّدمُ
دعِ الملوكَ فخيرٌ من طِلابك ما ... ترجوه عندهُمُ الحِرْمانُ والعَدَمُ
إني أرى صاحِبَ السُّلْطان في ظُلَمٍ ... ما مِثْلُهُنَّ إذا قاس الفتى ظُلَمُ
فقلبُه تَعِبٌ والنَّفْسُ خائفةٌ ... وعِرْضُه عُرْضة والدِّينُ منثلمُ[(٢)]

السنة الخامسة والستون وخمس مئة

فيها نزل الفرنج على دِمياط يوم الجُمُعة ثالث صفر، وجدُّوا في القتال، وأقاموا عليها ثلاثة وخمسين يوماً يضربونها بالمجانيق، ويزحفون عليها ليلاً ونهاراً، ووجَّه صلاحُ الدِّين إليها العساكر مع خاله شهاب الدِّين وتقيِّ الدِّين، وطلب من العاضد

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٤٣١-٤٥٤، و«المنتظم»: ١٠/ ٢٢٩، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٢٤٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢١٤.

(٢) نسبت الأبيات إلى أبي الفتح البستي، وهي في «ديوانه»: ١٧٦-١٧٧، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

مالاً، فبعث إليه بشيءٍ كثير، فكان صلاحُ الدِّين يقول: ما رأيتُ أكرمَ من العاضد، جهَّز إليَّ في حصار الفرنج ألف ألف دينار سوى الثِّياب وغيرها.

وأشغل نور الدِّين بلاد الفرنج بالغارات، ووقع فيهم الوباء والفناء، فرحلوا في ربيع الآخر[١] بعد أن مات منهم خَلْقٌ كثير.

وفي رجب وصل نجمُ الدِّين أيوب إلى مِصْر، وكان صلاح الدين قد طلبه من نور الدين، فخرج صلاحُ الدين وجميعُ الأُمراء إلى لقائه، وترجَّل صلاحُ الدين والجميع، ومشوا في رِكابه، وقال له صلاح الدين: هذا الأمر لك، ونحن بين يديك. فقال له: يا بُني ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت أَهْلٌ له. وحكَّمه في الخزائن، فكان يُطْلق ولا يردُّ أحداً.

وكَثُرَ فساد الغُزِّ، فكتب العاضد إلى نور الدين يسأله أن يكون صلاحُ الدين وأصحابه وخواصُّه مقيمين عنده، والباقون يرجعون إلى الشَّام، فلم يُجِبْه، وقال: هؤلاء فرسان الإسلام، وليس للفرنج إلا سهامهم. وكَتَبَ إلى صلاح الدين يكفُّهم عن الفساد.

وفي شعبان سار نور الدِّين إلى الكَرَك، فنازله، وضربه بالمجانيق، واجتمع ملوك السَّاحل، وجاؤوه فتأخر إلى البَلْقاء.

وفي شوال كانت بالشام زلازلُ هائلةٌ بحيث وقع مُعْظم دمشق وشرّافات الجامع، وتشقق رؤوس المنائر، وكانت تهتز مثل النخل في يوم ريحٍ عاصف، وكانت بحلب أعظم بحيث وقع نصف القلعة والبلد، فَهَلك من أهلها ثمانون ألفاً تحت الهَدْم، وتهدَّمت أسوارُ جميعِ القلاع، وخرج أهلُها إلى البراري.

ووقعت قلعة حِصْن الأكراد، بحيث لم يبق للسُّور أثر، وكذا حماة وحمص، ولولا أن نور الدين كان بالبَلْقاء والفرنج في قتاله لسار وأخذ حِصْن الأكراد.

وجاءه ما شغل قلبه من ناحية الشَّرْقِ ودمشق: أمَّا من [ناحية][٢] الشرق فوفاة أخيه قُطْب الدين مودود بالمَوْصِل، وأمَّا [من][٢] دمشق فوفاة العمادي، وكان نائبه في حلب وغيرها، وكانت له بَعْلَبَكّ وتدمر، وكان عزيزاً عنده، وصاحبه وحاجبه.

---

(١) عن العماد: فرحلوا في الحادي والعشرين من ربيع الأول، انظر «الروضتين»: ٢/ ١٤٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وبلغه أيضاً وفاةُ مجد الدِّين ابن الدَّاية بحلب، وكان صاحبَ أمره، وسار نورُ الدِّين إلى حلب خوفاً عليها من العدو؛ لأن أسوارها تهدَّمت، وفرَّق العساكر في القلاع خوفاً عليها من العدو؛ لأنها بقيت بغير أسوار.

وفي الزلزلة يقول العماد: [من الخفيف]

سَطْوَةٌ زَلْزَلَتْ بِسُكَّانِها الأَرْ ... ضَ وهدَّت قواعِدَ الأَطْوادِ
خَفَضَتْ من قلاعها كُلَّ عالٍ ... وأعادَتْ قِلاعَها كالوادِ

وكانت هذه الزلزلة عامةً في الدنيا، أخربت [قلاع المسلمين وبلادهم بالشَّام و[(1)] حلب والعواصم وأنطاكية، ونزلت اللاذقية وجبلة، وجميعَ بلاد السَّاحل إلى الدَّاروم، و[يقال إنَّه][(1)] لم يمت بدمشق إلا رجلٌ واحد أصابه حجرٌ وهو على دَرَج جيرون، لأنَّ أهلها خرجوا إلى الصَّحراء.

ثم امتدَّت الزلزلة، وقطعت الفرات، فوصلت إلى المَوْصِل وسِنْجار ونَصِيبين والرُّها وحَرَّان والرَّقَّة ومارِدين وغيرها، وامتدت إلى بغداد وواسط والبَصْرة، وجميع بلاد العراق، ولم يَرَ النَّاس زلزلةً من أَوَّل الإسلام مِثْلَها أفنتِ العالم.

وفيها أمر نور الدين بعِمارة جامع داريَّا القائم الآن، وكان قديماً عند قُبَّة أبي سليمان الدّارَاني، فأحرقوه لما نزلت الفرنج على داريا في أيام مجير الدين أبق، فعمر نور الدين في هذه السنة هذا الجامع الذي في وسط القرية.

[فصل: وفيها توفي

[علي بن] هبة الله[(2)]

ابن محمد بن أحمد بن أبي البركات، البخاري، الفقيه الشافعي.

تفقَّه ببغداد على أسعد المِيْهني، وسمع أباه، وولي القضاء بقونية من بلد الروم.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة لوفيات النقلة»: ١/ ٢٨١ (في ترجمة ابنه علي حوادث سنة (٥٩٣هـ)، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ٢٨٣، و«طبقات الشافعية»: للسبكي: ٧/ ٢٣٨، و«طبقات الشافعية»: للإسنوي: ٢/ ١٧٤، وابنه علي سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٩٣هـ)، وما بين حاصرتين من مصادر ترجمته، وسياق هذه الترجمة.

وابنه علي بن علي ولي القضاء ببغداد، وكنيته أبو طالب، وناب في الوزارة. ومات ابنه علي ببغداد في سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة، وعقبه اليوم ببغداد قضاة، يقال لهم: بيت البخاري][1]

وفيها توفي

الحسين بن محمد[2]

أبو المُظَفَّر ابن السِّبْبي البغدادي.

كان يلي ضياعاً للخليفة من بلد قُوسان، فرُفِع إليه أنَّه خان، فحبسه، فكتب إلى أهله من الحبس لنفسه: [من الطويل]

سلامٌ على أهلي وصَحْبي وجُلَّاسي ... ومَنْ في فؤادي ذكرُهُم راسبٌ راسي
أحبةَ قلبي قَلَّ صبريَ عنكُمُ ... وزاد بكم وجدي وحُزْني ووسواسِي
أعالجُ فيكُمْ كلَّ همٍّ ولا أرى ... لداءِ همومي غيرَ رؤيتكُمْ آسي
خذوا الواكِفَ المِدْرار من فَيْضِ أدْمُعي ... وحَرّ لهيبِ النَّارِ من كَرْبِ أنفاسي
لقد أبدتِ الأيَّامُ لي كلَّ شِدَّةٍ ... تشيبُ لها الأكبادُ فَضْلاً عن الرَّاسِ
أقول لقلبي والهمومُ تنوشُهُ ... وقد حدَّثَتْه النَّفْسُ بالصَّبْر والياسِ
وكيف اصطباري عنكُمُ وتجلُّدي ... على فَقدكُمْ ويلي على قلبيَ القاسي
ومَنْ لي بطيفٍ منكُمُ أنْ يزورني ... على الليلة الليلاء في جُنْحِ ديماسي[3]

حمَّاد بن منصور البُزَاعي[4]

ويعرف بالخرَّاط، شاعر فصيح، فمن شعره: [من الرجز]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٣١، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١٨٥-١٨٦، و«الكامل»: ١١/ ٣٤٩، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٤٠-٤١.

(٣) القصيدة في «المنتظم» و«الكامل»: مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء الشام: ٢/ ١٣٠-١٥٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ١٤٨-١٥٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٨٣.

تَـوَلَّـعـي يـا نـسـمـاتِ نَـجْـدِ ... بـالـشِّيح في ذاك الـحِمى والـرَّنْـدِ
لـعـلَّ ريـاكِ إذا مـا نَـفَـحَـتْ ... يـعـودُ حَـرُّ لَـوْعـتـي بـبَـرْدِ
أصـبـو إلـى ريـح الـصَّـبـا لـو أنـهـا ... تُـهـدي حديث الـحيِّ فـيمـا تُـهـدي
اسـأَلـهـا هـل صَـافـحـتْ مـواقـفـاً ... أَوَدُّ لـو صـافَـحْـتُـهـا بـخـدِّي
أَسْـتـودِعُ الـلـهَ بـهـا قَـلْـبـي فـقـد ... طـال بـه بـعـد الـفِـراق عَـهْـدِي
كـان مـعـي قـبـل رحـيـلـي عـنـهُـمُ ... ثُـمَّ رَحَـلْـتُ وأقـام بـعـدي
لـهـفـي عـلـى زمـانِ قُـرْبٍ مـا وفـى ... بـمـا أُلاقـي مـن زمـانِ الـبُـعْـدِ
أبـكـي ويـبـكـي رحـمـةً لـي مـعـشـرٌ ... مـا عـنـدهُـمْ من الـهـوى مـا عـنـدي
تـجـمَّـعـوا فـيـك عـلـى الـحُـبِّ مـعـي ... لـكـنـنـي كـنـتُ الـمُـعَـنَّـى وَحْـدي
ويـلاه مـن شَـوْقٍ تـبـيـتُ نـارُهُ ... تـشـبُّ بـيـن أَضْـلُـعـي وجِـلْـدي
يـا بَـيْـنُ أنـجَـزْتَ وعـيـدي فـمـتـى ... تُـنْـجِـزُ أيـامُ الـلِّـقـاء وَعْـدي[1]

وقال: [من المنسرح]

مـوسـى هـواكـمْ بـجـانـبِ الـطُّـورِ ... يـسعـى بقلـبٍ في الـحبِّ مكسـورِ
حـيـرانَ فـي ظُـلْـمـة الـرَّجـاء فـهـل ... نـارُ انـعـطـافٍ تُـدْنـيـه مـن نـورِ
نـادُوه سِـرًّا بـكُـنْـهِ سِـرِّهُـمُ ... لُـطْـفـاً ونـاجـوه بـالـمـعـاذيـرِ[2]

وقال: [من مجزوء المتقارب]

تـكـلَّـمَ بـالأَدْمُـعِ ... وقـال فـلـم تـسـمـعـي
شـكـا بـالـبُـكـا لـورحـمـ ... ـت شـكـوى فـتـى مـوجَـعِ
وأشـفَـقَ يـوم الـنَّـوى ... عـلـى سِـرِّه الـمُـوْدَعِ
ودلَّ بـمـاء الـجـفـون ... عـلـى الـنَّـار فـي الأَضْـلُـعِ[3]

---

(١) القصيدة في «خريدة القصر»: ٢/١٣٣-١٣٤.
(٢) الأبيات من قصيدة في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/١٤٧-١٤٩.
(٣) الأبيات في «الخريدة»: ٢/١٤٥-١٤٦.

طاووس أم المستنجد(١)

كانت كثيرة الصَّدقات والمعروف، توفيت في ذي الحِجَّة، وحملت إلى ترب الرُّصافة، وكان الوزير وأربابُ الدولة قياماً إلى السُّفن، وهي في الزَّبْزب، وجلس الوزير لها في العزاء ثلاثة أيام.

علي بن ثَرْوان(٢)

ابن زيد بن الحسن، أبو الحسن الكِنْدي، ابن عم تاج الدين الكندي.

كان فاضلاً، أديباً، حسن الخط، سكن دمشق، وتوفي بها، وحظي عند نور الدين، ومن شعره: [من الرمل]

هَتَكَ الدَّمْعُ بصوبٍ هَتِنٍ كلَّ ما أضمرتُ من سرٍّ خَفِي
يا أخِلائي على الخَيْفِ أما تَتَّقونَ الله في حَتْ المَطِيِّ

محمّد بن إبراهيم بن هانئ(٣)

أبو القاسم المغربي.

من شعراء الدولة المِصْرية، ومن شعره: [من الرمل]

امسحوا عن ناظري كحل السُّهادِ وانفُضُوا عن مضجعي شوكَ القَتَادِ
أَوْ خُذوا مني الذي أبقيتمُ ما أُحب الجسمَ مسلوبَ الفُؤادِ
هل تجيرون محباً من هوًى أو تفكُّون أسيراً من صِفاد

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٣١-٢٣٢، وفيه أنها توفيت يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء الشام: ١/ ٣١٠-٣١٢، وفيه وفاته بعد ٥٦٥هـ، و«معجم الأدباء»: ١٢/ ٢٧٥-٢٧٧، «إنباه الرواة»: ٢/ ٢٣٥، «بغية الوعاة»: ٢/ ١٥٢.

(٣) «الوافي بالوفيات»: ١/ ٣٥٢-٣٥٥ واسمه محمد بن هانئ، ولم يذكر في آبائه إبراهيم غير الصفدي، فإن كان هو ابن هانئ الشاعر المشهور، فقد توفي سنة (٣٦٢هـ) على قول ابن خَلِّكان، وسنة (٣٦٥هـ) على قول السبط، يقوي ذلك إيراده قصيدة: امسحوا عن ناظري كل السهاد، فقد أوردها الصفدي في ترجمته ١/ ٣٥٢-٣٥٥. أما إذا كان غيره فلم أقف على ترجمته إلا أنني وجدت في «الخريدة»، قسم شعراء مصر: ١/ ٢٤٨ ترجمة محمّد بن هانئ، وكناه أبا عبد الله وقال: توفي في آخر أيام الصالح بن رزيك قبل سنة ستين، وانظر مصادر ترجمته في «السير»: ١٦/ ١٣١.

فعلى الأيام من بعدكُمُ ما على الثكلاء من لبس الحداد
وحديثٍ عنكُمُ أكثره عن نسيمِ الرِّيح أو بَرْقِ الغوادِ
لم يزدنا القُرْبُ إلا هَجْرَهُ فرضينا بالتَّنائي والبِعادِ

وقال: [من المتقارب]

صهٍ كلُّ آتٍ قريبُ المدى وكلُّ حياةٍ إلى منتهى
ولم أر كالمرءِ وهو اللَّبيبُ يرى مِلءَ عَيْنيه ما لا يُرى
وليس النواظر إلا القلوبُ وأما العيون ففيها العمى
خليليَّ هل ينفعنِّي البكا أو الوَجْدُ لي راجعٌ ما مضى
هلموا فذا مصرع العالمين ففي كلِّ قلبٍ عليه أسى
ضريحٌ سَقَتْه غِزارُ الدُّموعِ فما باتَ حتى سقاه الحَيَا
وما جادَهُ الغيثُ من غُلَّةٍ ولكن ليبكِ النَّدى بالنَّدى

وقال في مرض بعض الأمراء: [من البسيط]

يا خير ملتحف بالجودِ والكَرَم وأفضل النَّاس من عُرْبٍ ومن عَجَمِ
يا ابنَ الهدى والندى والمكرمات معاً والحِلْم والعِلْم والآداب والحِكَمِ
لو كنت أُعطى المنى فيما أُوَمِّلُهُ حَمَلْتُ عنك الذي حُمِّلْتَ من ألم
الله يعلمُ أنِّي مُذْ سمعتُ بما عَرَاكَ لم أغتمضْ وَجْداً ولم أَنَمِ
أدعو وطوراً أجيل الوَجْهَ مُبْتهلاً على صعيد الثَّرى في حِنْدسِ الظُّلَمِ

مودود بن زَنْكي(١)

[ولقبه](٢) قُطْبُ الدِّين، [أخو نور الدين محمود،](٢) صاحبُ المَوْصِل.

كان أسمَرَ اللون، تامَّ القامة، عادلاً، منصفاً، ولما احْتُضِرَ أوصى إلى ولده عماد الدين زنكي، وكان أكبرَ ولده وأعزَّهم عليه، وكان الحاكم على المَوْصل فخر الدين عبد المسيح، وكان يكره عمادَ الدين، وكان عمادُ الدين قد أقام عند نور الدِّين بحلب

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ٣٥٥-٣٥٦، و«الباهر»: ٩٤، ١٤٦، و«الروضتين»: ٢/ ١٦١-١٦٥، «وفيات الأعيان»: ٥/ ٣٠٢-٣٠٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٢١-٥٢٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

مُدَّة، وزوَّجه ابنته، وكان نور الدين يبغض عبد المسيح لظُلْمه، فخاف عبدُ المسيح أن يعزله عمادُ الدين زنكي، فاتَّفق مع الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش صاحب ماردِين زوجة قُطْب الدين أن يثنوا قطب الدين عن عماد الدين، وأن يستخلف ولدَه سيف الدين غازي بن مودود، فعهد إليه، وتوفي قطب الدين وقد جاوز الأربعين، فكانت ولايته إحدى وعشرين سنة، ولما بلغ نورَ الدِّين فعلُ عبد المسيح واستبدادُه [قال: أنا أولى][1] بتدبير أولاد أخي من غيري. وقَصد المَوْصِل.

أبو بكر ابن الدَّاية[2]

[ويلقب][3] مجد الدِّين.

وكان شجاعاً دَيِّناً، من أكابر أُمراء نور الدِّين، بنى بحلب خانكاه، [وهي باقية إلى هلم جراً][3] واتَّفق موتُ العمادي في هذه السنة [وكان من أعظم أمرائه][3]، فبكى نور الدين، وقال: قُصَّ جناحاي. وأعطى أولادَ العمادي بَعْلَبَكَّ، وقدَّم على العساكر سابقَ الدِّين عثمان بن الدَّاية أخا مجد الدِّين، ودفن مجدُ الدين بحلب، والعمادي بقاسيون في تُرْبةٍ قريبة من تربة شركس شماليِّها، وهي أَوَّلُ تربةٍ بنيت في الجبل، واسمه مكتوبٌ[4] على بابها: هذه تربة محمد بن العِمادي.

السنة السَّادسة والستون وخمس مئة

في أول المحرَّم سار نور الدين إلى سِنْجار ، ففتحها، وسلَّمها إلى عمادِ الدين زنكي ابنِ أخيه، وسار، فنزل على المَوْصِل من المشرق، عَبَر من مخاضة عند بَلَد، وكان عبد المسيح قد نفَّذ عِزَّ الدين مسعود بن مودود إلى أتابك إيلدكز يسأله شفاعةً إلى نور الدين بالكَفِّ عن المَوْصِل، فجاء الرَّسول إلى نور الدين، وأبلغه الرِّسالة، فقال

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، انظر «الروضتين»: ٢/ ١٦٦ .

(٢) أخباره مبثوثة في «الروضتين»، وكتب تاريخ تلك الفترة. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): ووقفت على باب التربة وعليها مكتوب.

للرسول: قُلْ لصاحبك: أنا أَرْفَقُ وأَشْفَقُ على أولاد أخي منك، فلا تدخل بيننا، وعند الفراغ من هذا الأمر أسير إليك، ويكون الجواب على باب هَمَذان، فإنَّك قد أهملت أمور الثُّغور حتى استولى عليها الكُرْج، وأنا وَحْدي بالشَّام، وقد ابتليتُ بأشجع النَّاس، وأشدِّهم بأساً وهم الفرنج، فأسرتُ ملوكهم، وقتلتُ كنودهم، وبعتهم بيعَ العبيد، واستوليتُ على بلادهم، فلا يَسَعُني في دِيْني أنْ أَدَعَكَ على ما أنتَ عليه. وكان كلُّ مَنْ بالمَوْصِل مع نور الدين، وكاتبوه بالوثوب على عبد المسيح، وتسليمِ البلد إليه، وعَلِمَ عبدُ المسيح، فراسله في الطَّاعة، وتسليم البلد إليه، وتقريره على سيف الدِّين، وأن يكون عبدُ المسيح مقيماً به على حاله، فقال نور الدين: أَمَّا تقرير سيفِ الدين على البلد فَنَعَمْ، وأما أنتَ عبدَ المسيح، فلك الأمانُ على نَفْسك ومالك، وما يَحِلُّ لي أَنْ أَدَعَكَ في المَوْصِل لظُلمك وعَسْفك، ولكني آخذكَ معي إلى الشَّام، وأُحْسنُ إليك.

ثم فتحتِ الأبواب لنور الدين، فدخل المَوْصِل في ثالث عشر جُمادى الأُولى، وولَّى عليها خادماً، يقال له كُمُشْتِكِين بالقلعة، وقرَّر ابنَ أخيه سيف الدين على حاله.

وكان نور الدين قد بعثَ العمادَ الكاتب إلى الخليفة يستأذنه فيما يفعل، فوصل العماد ونورُ الدِّين على المَوْصل، ومعه الخِلَع والتَّقليد، فأَلْبَسَ ابنَ أخيه سيف الدين الخِلْعة، وأزال من المَوْصل الضَّمانات والمكُوس، وعَدَلَ وأحسنَ إلى أهله، وأعطى عمر المَلَّاء ستين ألفَ دينار من فتوح الفرنج، وأمره بعمارة الجامع النُّوري وسط البلد، وأعطى جزيرةَ ابنِ عمر لابنِ أخيه سيف الدين مضافاً إلى المَوْصل، وأقام عشرين يوماً، وكان يحبُّ الموصل، فقيل له: لو أقمتَ بها. فقال: ومَنْ يجاهد الكُفَّار، ويحفظ بلاد المسلمين! ثم رحل نحو الشَّام ومعه عبد المسيح، وقد أحسن إليه، وأقطعه إقطاعاتٍ كثيرة، ثم قال له: ويحك، ما هذا الاسم القبيح، أَمَا كان في الدنيا مسلمٌ يغيِّره، وكيف وافقك أخي قُطْب الدين على هذا؟ وسمَّاه عبد الله.

وفيها توفي المستنجد، وولي المستضيء.

الباب الثالث والثلاثون في خلافة المستضيء بأمر الله

وهو أبو محمّد الحسن بن يوسف المستنجد بأمر الله، وأُمُّه أُمُّ ولد تدعى غضة أرمنية.

ولد في شعبان سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة، ولم يلِ الخلافةَ مَنْ اسمه الحسن وكنيته أبو محمد غيرَ الحسن بن علي عليه السَّلام والمستضيء.

بويع بالخلافة يوم الأحد تاسع ربيع الآخر، وأَطْلَقَ الأموال للأمراء والعلويين والهاشميين والقُضَاة والعلماء وجميعِ الناس، وردَّ المظالم، وأسقط المكوس، وولى أمر الجند والممالك قُطْبَ الدِّين قيماز مملوك المستنجد، ولقبه ملك العرب والعجم، واستوزر ابن رئيس الرؤساء، وكان الوزير ابن البلدي قد قُتل يوم مات المستنجد، ولما ولَّى ابنَ رئيس الرؤساء الوِزارة خَلَعَ عليه، ومشى بين يديه قُطْبُ الدِّين وأربابُ الدولة، ولم يتخلف أحد، وجلس في الديوان، ومدحه الشُّعراء، فقال ابنُ التعاويذي: [من الكامل]

الدَّسْتُ من لألاء وَجْهك مشرقُ ... وعلى الوِزارة من جلالك رَوْنَقُ
رُدَّتْ إليك وأصلُها بك ثابِتٌ ... عالي البناء وفَرْعُها بك مُوْرِقُ
أنتم وإن رَغَمَ [(١)] العِدَى وُرَّاثُها ... قِدْماً وغيرُكُمُ الدَّعيُّ المُلْحَقُ
لكُمُ استقادَ على الإباء شَمُوسُها ... وبكُمْ تَجَمَّع شَمْلُها المتفرِّقُ[(٢)]

وأنشد الحيص بيص: [من الوافر]

أقول وقد تولَّى الأمرَ حَبْرٌ ... وليٌّ لم يَزَلْ بَرًّا تقيّا
وقد كُشِفَ الظَّلامُ بمستضيءٍ ... غدا بالخَلْقِ كلِّهُمُ حَفِيّا
بلغنا فوقَ ما كُنَّا نرجِّي ... هنيئاً يا بني الدُّنيا هَنِيّا
سألْنا الله يَرْزُقُنا إماماً ... نُسَرُّ به فأعطانا نبيًّا[(٣)]

---

(١) رغم: كره: «اللسان» (رغم).

(٢) انظر القصيدة في «ديوان سبط ابن التعاويذي»: ٢٩٦-٢٩٨.

(٣) الأبيات في ديوانه ٣/ ٢٧٩، وقد أوردها العماد الكاتب في «الخريدة»، قسم شعراء العراق: ٢/ ٣٣٠. قال إبراهيم، عفا الله عنه: والبيت الأخير فيه الغلو المفضي إلى الكفر والعياذُ بالله، مما يقدح بالمادح والممدوح على السواء، المادح بقوله والممدوح بقبوله، نسأل الله السلامة.

وقال عبد الرَّحمن بن محمّد بن عبد السّميع الواسطي الهاشمي: رأيت في المنام ليلة مات المستنجد قائلاً يقول: [من البسيط]

ماتَ الخليفةُ واستولى على النَّاسِ ... ابنٌ له طاهرٌ من نَسْلِ عَبَّاس
فارحلْ إلى بابه واضرعْ إليه تَجِدْ ... من جُوده دافعاً للضُّرِّ والباسِ
والظُّلْمُ والجَوْرُ قد حُصَّتْ قوادِمُهُ ... مع الخوافي وخافَ القَطْعَ بالرَّاسِ
مَنْ يَفْعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازيه ... لا يذْهَبُ العُرْفُ بين اللهِ والنَّاسِ(١)

وولَّى المخزن ظهير الدِّين ابن العَطَّار، وولَّى ابنَ البخاري الدِّيوان، وولَّى ابن الشَّاشي تدريس النِّظامية، وولَّى الأمير السيد العلوي التدريس بجامع السُّلْطان ببغداد.

وفيها بعث الخليفةُ رسولاً إلى نور الدين يعرِّفه بخلافته، ويطلب البيعةَ له، فقال له العماد الكاتب: [من الكامل]

هل عائدٌ زمنَ الوِصالِ المنقضي ... أم عائِدٌ لي في الصَّبابة ممرضي
لا أشتكي إلا الغرام فإنَّه ... بَلْوى عليَّ من السَّماء بها قُضي
يا لاح حالي في الهوى مشهورةٌ ... حاولتَ تسليتي وأنتَ محرِّضي
أنفقتُ ذُخْرَ الصَّبْرِ من كَلَفي فهل ... من واهبٍ للصَّبْرِ أو من مُقْرِضِ
لهفي على زمنِ الشَّباب فإنني ... بسوى التأسُّفِ عنه لم أتعوَّضِ
نُقِضَتْ عهودُ الغانياتِ وإنها ... لولا انقضاءُ شبيبتي لم تنقضِ
يا حُسْنَ أيَّام الصِّبا وكأنَّها ... أيامُ مولانا الإمامِ المستضي
ذي البهجةِ الغَرَّاء يُشْرِقُ نورُها ... والطَّلْعة الزَّهْراءِ والوجْه المضي
قَسَمَ السَّعادةَ والشَّقاوة ربُّنا ... في الخَلْقِ بين مُحِبِّهِ والمُبْغِضِ
فَضَلَ الخلائفَ والخلائقَ بالتُّقى ... والفَضْلِ والإفضالِ والخُلُقِ الرَّضي
فانْعَمْ أميرَ المؤمنين بدَوْلةٍ ... ما تنتهي وسعادةٍ ما تنقضي(٢)

فبعث نور الدين إلى الخليفة شرف الدين ابن أبي عصرون نائباً عنه في الخِدْمة.

---

(١) هذا بيت مشهور للحطيئة، وقد ضمنه أبياته، انظر «ديوانه»: ص٥١ .

(٢) انظر بعض الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١٧-١٨ ، و«كتاب الروضتين»: ٢/ ١٧٩-١٨٠ .

وفيها بنى صلاحُ الدِّين بالقاهرة مدرسةً للشَّافعية، وكان موضعُها حبسَ المعونة، وبنى بها أيضاً مدرسة للمالكية تعرف بدار الغزل، وولَّى صدر الدين عبد الملك بن دِرْباس الكُرْدي القضاء بالقاهرة ومِصْر وأعمالها.

وفي جُمادى الأُولى خرج صلاح الدين بالعساكر إلى الشَّام، فأغار على غَزَّة وعسقلان والرَّمْلة، ومضى إلى أَيْلة وكان بها قلعة فيها جماعةٌ من الفرنج، والتقاه الأُسطول في البحر، فافتتحها، وقَتَلَ مَنْ فيها، وشحنها بالرِّجال والعُدَد، وكان على الحجازِ منها خَطَرٌ عظيم، ثم عاد إلى القاهرة في جُمادى الآخرة.

وفي شعبان اشترى تقيُّ الدِّين عمر بن شاهنشاه منازل العِزّ بمصر، وعملها مدرسةً للشافعية، ووقفَ عليها حمام الذهب والرَّوضة وغيرهما.

وفيها توفي

عبد الله بن خلف[1]

ابن عبد الله الكَفْرطابي، ولد بشَيْزَر، وقدم دمشق سنة تسعٍ وعشرين، وأقام بجامع حماة يدرِّس النحو اثنتي عشرة سنة، وماتَ بها، وكتب إلى ابن منيرة[2]، وقد حال بينهما الوَحَل: [من البسيط]

يا حُجَّتي حين ألقى الله مُنْفَرِداً ... تفديك نفسيَ بالأَهْلين والوَطَنِ
بيني وبينك سورُ الوَحْلِ ليس له ... بابٌ فقلبي رهينُ الهَمِّ والحَزَنِ
ما هَجْرُ مِثْلِكَ محمودٌ عواقِبُهُ ... ولا التَّصبُّرُ عن رؤياك بالحَسَنِ

محمد بن أسعد[3]

أبو المُظَفَّر، العراقي، الواعظ.

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٩/ ١٦٤.

(٢) هو محمّد بن يوسف بن عمر المعروف بابن منيرة الخولي، توفي سنة (٥٥٣هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها، وانظر «معجم الأدباء»: ١٩/ ١٢٢-١٢٣، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ٢٤٧، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام ١/ ٥٧٣-٥٧٤.

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق، مج ١/ج٣/ ٢٦٦-٢٧٣، «المحمدون»: ٢٠٨-٢١١، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن الدبيثي: ١/ ١٧٦، و«العبر» ٤/ ١٩٩، و«ميزان الاعتدال»: ٣/ ٤٨٠، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٢٥، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٨٩-٩٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٢٠٣، وتوضيح المشتبه: ٣/ ٢٨٧، =

توفي بدمشق، ودفن بالباب الصَّغير، ومن شعره: [من الطويل]

ألا هَلْ لِصَبٍّ بالشآم متيمٍ ... بحبِّكُمُ بين الأنام بلاغُ
له شُغُلٌ بالحبِّ عن كل شاغلٍ ... وليس له عما عراه فراغُ
تجرَّع يوم البَيْنِ كأسَ فراقكم ... فليس لكأس الصَّبْر فيه مساغ[1]

محمود بن نعمة الشَّيْزَرِي[2]

أبو الثَّناء.

شاعرٌ فصيح، وهو القائل: [من الطويل]

يقولون كافات الشِّتاء كثيرة ... وما هي إلا فَرْدُ كافٍ بلا مِرا
إذا صحَّ كاف الكيس فالكلُّ حاصِلٌ ... يصحُّ وكلُّ الصَّيْدِ يوجد في الفَرا

يوسف المستنجد بالله ابن المقتفي محمّد[3]

ولد في ربيع الآخر سنة عشر وخمس مئة، وكان أسمرَ طويلَ اللِّحْية، معتدلَ القامة، شُجاعاً، مهيباً، عادلاً، رفيقاً بالرَّعية، ذكياً فطِناً، فصيحاً، أزال المظالم والمكوس [وله واقعات عجيبة][4] كتبَ إليه منكورس شحنة البَصْرة يطلب أمانه، وكان قد عصى عليه، فوقع على رأس الرُّقْعة: يُؤَمَّن ولا يُؤْمَن.

وأشكى إليه رجلٌ من القاضي، فوقَّع على الرقعة: تجنَّبِ الآثام، وأنصفِ الأنامَ، وخَفْ سطواتِ حاكم الحُكَّام.

= و«لسان الميزان»: ٥/ ٧٣-٧٤، و«تاج التراجم»: ١٨٥-١٨٦، و«الدارس»: ١/ ٥٣٨-٥٣٩، «طبقات المفسرين» للداودي: ٢/ ٨٧-٨٩، «شذرات الذهب»: ٤/ ٢١٨، وفي بعض المصادر وفاته سنة (٥٦٧هـ).

(١) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٢٧١.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٥٧٥-٥٧٩، و«النجوم الزاهرة»: ٨/ ٣٥٨-٣٥٩، وفيه وفاته سنة (٥٥٦هـ)، وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٤/ ٤١٣.

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ١٨-٢٢، و«المنتظم» ١٠/ ١٩٢-١٩٤- ٢٣٦، و«الكامل»: ١١/ ٢٥٦، و«الباهر»: ١٥٠-١٥٢، ٣٦٠-٣٦٢، و«الروضتين»: ٢/ ١٧٧-١٧٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤١٢-٤١٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

والتقاه ابن شبيب في البرية في الرَّبيع، فقال له الخليفة: أين شتَّيت؟ فقال: عندك يا أمير المؤمنين. أراد الخليفة ابن شبيب، وأراد ابن شبيب عبدك.

وقبض الخليفةُ على إنسان يسعى بالنَّاس، فشفع فيه بعضُ أصحاب الخليفة، وبذل عشرة آلاف دينار [فقال له الخليفة: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار][1] وأحضر لي إنساناً مثله يُؤذي النَّاس بالسِّعايات لأحبسه، وأكُفّ شَرَّه عن النَّاس.

ومن شعر المستنجد: [من الخفيف]

عَيَّرَتْني بالشَّيْبِ وهو وَقارُ ... ليتَها عَيَّرَتْ بما هو عارُ
إنْ تكن شابتِ الذَّوائبُ مني ... فالليالي تَزِيْنُها الأقمارُ

وقال في بخيل:

وباخلٍ أشعل في بيته ... طرمذةٌ[2] منه لنا شَمْعَهْ
فما جَرَتْ من عينها دمعةٌ ... حتى جَرَتْ من عينه دَمْعَهْ

ذكر وفاته:

مرض في ربيع الآخر أياماً، فاحمرَّ الأُفُق، وما زالتِ الحُمْرة على الحيطان وشعاعُها متَّصلٌ بالسَّماء حتى مات، وكان قد فوَّضَ أمورَ العساكر إلى قُطْب الدِّين قيماز مملوكه، فأظهر الاستبداد بالأمر، وبلغه أَنَّ قيماز يجتمع بالمستضيء، وأنَّ بينهما مراسلاتٍ، فتغيَّر عليهما، وكان وزيره ابنُ البلدي قد اطَّلع على الحال، وأخبر المستنجد، فأمره بالقبض عليهما، وخاف قيماز، ومرض المستنجد، وكان له طبيبٌ، يقال له ابن صفية، فخلا به قيماز، وقال: خَلِّصْنا منه وإلا قتلتُك. فقال: به حُمَّى محرقة، وليس عليه أضرَّ من الحَمَّام. فدخل عليه قيماز وهو في فراشه، فقال: قد وَصَفَ لك ابنُ صفية الحَمَّام. فقال: لا حاجة لي فيه. وقيماز يقول: لابُدَّ لك منه. فحمله كَرْهاً وهو يقول: بلى ينفعك. فأدخله الحَمَّام، وأغلق عليه الباب، وقطع [عنه][1] الماء البارد، فمات يوم السبت ثامن ربيع الآخر، ودفن بالدَّار وقد بلغ ثمانياً

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الطرمذة: المفاخرة والنفج: «تاج العروس» (طرمذ).

وأربعين سنة، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً، وعمل العزاء ثلاثة أيام، [قال جدي: وتكلمت فيه وخُلع عليَّ][(١)].

ولما جلس المستضيء للبيعة، عَزَمَ الوزير ابن البلدي على الهرب، فلم يقدر، فاستدعاه المستضيء، فلما دَخَلَ عليه ضربه الغِلْمان بالسُّيوف، ورموا به في دِجْلة.

السنة السَّابعة والستون وخمس مئة

فيها خُطِبَ لبني العَبَّاس بمِصْر [بعد انقطاع الخطبة عن بني العباس فيها مئتي سنة وثماني سنين][(٢)] وسببه أنَّ صلاح الدِّين لما استولى عليها، وضَعُفَ أمر العاضد كتبَ إليه نورُ الدِّين يأمره بقطع الخطبة للمِصْريين، وإقامتها لبني العَبَّاس، فخاف من أهل مِصْر أن لا يجيبوه إلى ذلك، وربما وقعت فتنة لا تُتدارك، فكَتَبَ إلى نور الدين يخبره، فلم يسمع منه، وألزمه إلزاماً لا محيد عنه، ومرض العاضد، فجمع صلاحُ الدِّين الأُمراء والأعيان واستشارهم، فمنهم مَنْ أجاب ومنهم من امتنع، وقالوا: هذا بابُ فتنة وما يفوت. فعاود نورُ الدِّين، فأرسل رسلاً، وألزمهم بذلك، فأقامها.

واختلفوا في الخطيب، فقيل: إنَّه رجل من الأعاجم يقال له العالم، وقيل: هو رجلٌ من أهل بَعْلَبَك يقال له: محمّد بن المحسَّن ابن أبي المَضَاء البَعْلَبكي، فأُقيمت في أول المحرَّم والعاضدُ مريض، فأخفى عنه أهلُه ذلك، وقيل بلغه، فأرسل إلى صلاح الدين يستدعيه ليوصيه، فخاف أن يكون خديعةً، فلم يذهب إليه، ومات يوم عاشوراء، فندم صلاحُ الدِّين على قَطْعِ الخطبة، وقال: يا ليتني صبرتُ حتى يموت.

وكتَبَ صلاحُ الدِّين إلى نور الدين يخبره بإقامة الدعوة العبَّاسية، فكتب نورُ الدِّين كتاباً إلى بغداد من إنشاء العماد، وفيه: [من الخفيف]

قد خَطَبْنا للمستضيء بمصرٍ ... نائبِ المُصْطفى إمامِ العَصْرِ
ولدنيا تضاعفَتْ نِعَمُ اللَّـ ... ـهِ وجَلَّتْ عن كلِّ عَدٍّ وحَصْرِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ٢٣٣.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

واستنارت عزائمُ الملكِ العا ... دلِ نور الدينِ الهُمامِ الأغرِّ
هو فَتحٌ بِكْرٌ ودون البرايا ... خَصَّه الله باقتراعِ البِكْرِ

من أبيات(١).

وبعث نور الدِّين إلى الخليفة بالبشارة شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن أبي عَصْرون.

وقال ابنُ الخراساني الشَّاعر(٢): [من البسيط]

جاء البشيرُ فَسُرَّ النَّاسُ وابتهجوا ... فما على ذي سرورٍ بعدها حَرَجُ
أُقيمتِ الدعوةُ الغَرَّاءُ معلنةً ... للمستضيء بمصرٍ واستوى العِوَجُ
هو الإمامُ الذي قامت دلائِلُهُ ... وكلُّ ذي لَسَنٍ بشُكْره لَهِجُ
لِذِكْرِهِ عَبَقٌ في كلِّ ناحيةٍ ... فالكونُ أجمعُ من أنبائه أَرِجُ
حتى لقد دَخَلَ الأقوامُ كلُّهم ... في دين خالقهمْ من بعد ما خرجوا
بالمستضيء أضاءتْ كلُّ داجيةٍ ... كأنَّما أُوقدتْ بين الورى سُرُجُ
أعطى من المالِ ما لم يُعْطه أحدٌ ... لله منه خِضَمٌّ كلُّه لُجَجُ
يا أهل مِصْر لقد جاءتْ سعادتُكُمْ ... واستوضحت سُبُل الخيراتِ فابتهجوا
صِرْتُمْ رعيَّةَ خَيْرِ الخَلْقِ كلِّهم ... مَنْ حُبُّه بدماءِ الخَلْقِ مُمْتَزِجُ

من أبيات(٣).

وقال أحمد بن المُؤَمَّل العَدْوَاني البَغْدادي: [من السريع]

قد جاء فَتْحُ اللهِ والنَّصْرُ ... واعتذرتْ مما جَنَتْ مِصْرُ
وأرسلَتْ تسألُ صَفْحاً لها ... فاغفِرْ فمن عادتك الغَفْرُ
كان على منبرها ظلمةٌ ... إذْ لم يكنْ في أُفْقها بَدْرُ

---

(١) الأبيات في «الخريدة»: قسم شعراء العراق: ٢/ ١٤-١٧ ، وانظر «الروضتين»: ٢/ ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) هو أبو العز محمّد بن محمّد بن مواهب، الكاتب المعروف بابن الخراساني، شاعر وأديب ونحوي، توفي سنة (٥٧٦هـ)، وله اثنتان وثمانون سنة، انظر ترجمته في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: ج٣/ مج١/ ٢٢٨-٢٥٥ ، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٤٦-٤٧ ، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٢١٣-٢١٤ ، و«الوافي بالوفيات»: ١/ ١٥٠-١٥١ .

(٣) انظر بعضها في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٢٣٤-٢٣٥ .

فمذ أضاءَ المُسْتضي أَشْرَقَتْ وابتهجَ المنبرُ والقَصْرُ
وأصبحت قاهرةُ المُدَّعي مقهورةً قد زانها القَهْرُ(١)

وقال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في جملة خُطْبة كتابٍ سمَّاه «النَّصْر على مِصْر»: الحمد لله الذي قدَّم الآدميين على جميع المخلوقين تعظيماً لهم وتبجيلاً، ثم فَضَّل محمَّداً ﷺ وصان شَرْعه أن يُغَيَّر نَسْخاً أو تبديلاً، ثم جَمَعَ شَمْلَ أُمَّته بخلافة بني العَبَّاس زادها الله تجميلاً، فكم هَيْنَم عدوٌّ في ولايتهم وعدَّ نفسه عديلاً، فأُديلت دولتهم عليه وكفى بالإدالة دليلاً، ولما بانت البوارق بمصر من فِرْعونها زمناً طويلاً، مدَّ لهم أَمَدَ البغي فحملوا منه حِمْلاً ثقيلاً، فلما نهضت خلافةُ الإمام المستضيء بأمر الله بالحق سَدَّتْ في وجوه الظَّلَمة سبيلاً، وخربت قصر مصر بالظُّلم، وأعادت باغي البغي قتيلاً، وبادت شرقاً وغرباً وقُرْباً وبعْداً، والعاقبة للمتقين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ثم اتبع أقوام يسمَّون الرَّافضة، يثلبون الصَّحابة، ولا يدينون بطاعة الخلافة، ومعنا في بلدتنا منهم خَلْقٌ كثير، ولم نطلع منهم على هفوة وعثرة، وكلما رأوا من أنوار الدولة العَبَّاسية ما يخجلُ الشَّمْسَ والقمر سَلَوا نفوسهم بساكني مصر والمنتظر، فليتهم علموا أَنَّ صاحب مصر قد محقته آفة، وأن المنتظر حديث خرافة، يا لهذا الفتح فتحٌ ضاهى فتح مكة، تجهَّمت فيه وجوه ضُربت على غير المسكنة، أظهر عليها الحُزْن والأسف أثره ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٨٠] ولقد فَتَحَ هذا الفَتْحُ صدرَ كلِّ صَدْر، أسهمنا من وقعته وما حضرنا وقعة بدر.

ثم قال في آخر الكتاب: هذه كلمات مَنْ قَلْبُهُ معقودٌ على الولاء، ولسانُه مشغولٌ بالدُّعاء، ولا بُدَّ أن يبوح بفضل العطر ناشق، ولا يمكن أن يكتم وَجْده عاشق، ولما علَّق الناسُ اللآلي المثمنات، عَلَّق العبدُ ـ إذ لا مال له ـ هذه الكلمات، استجاب الله منه صالحَ دعائه، في صباحه ومسائه، بمحمّد وآله، وانقطعت ولايةُ المِصْريين عن مصر، وقد كان يخطب لبني العَبَّاس بها إلى سنة تسع وخمسين وثلاث مئة في خلافة

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٣٢٥-٣٢٦.

المطيع، وولي بعده تسعة من الخلفاء، والأمر بحاله إلى هذه السنة، فعادت الخطبة، فكان مدَّةُ انقطاعها لبني العباس بمصر مئتي سنة وثماني سنين.

وفيها بعث الخليفة صَنْدَل المقتفوي؛ وهو أكبر الخدم إلى نور الدين جواب [ابن أبي][(١)] عصرون بالخِلَع لنور الدين، وفيها الطَّوْق فيه ألفُ دينار، والفَرَجية والعِمامة، ولصلاح الدِّين دونها، وبعث لنور الدين سيفَيْن، قلَّده سيفاً للشَّام وسيفاً لمِصْر، وزينت بغداد وضُربت القِباب.

وفيها بدت الوَحْشة بين نور الدِّين وصلاح الدّين، لأنَّ نور الدِّين كَتَبَ إلى صلاحِ الدِّين بأن يجمع العساكر، ويقدَمَ إلى الشَّام ليحاصر الكَرَك، ويجتمعا هناك لتدبير أمورٍ لا ذكر لها في كتابٍ، فَبرَزَ صلاحُ الدين إلى بِلْبِيس، وكتَبَ إلى نور الدِّين يخبره بأنَّه واصِلٌ، وخرج نورُ الدِّين إلى دمشق، فنزل على البَلْقاء، وأقام ينتظره، وشاور صلاح الدين أصحابه، فخوَّفوه من نور الدِّين، فأثنوا عزمه، فكَتَبَ يعتذر من اختلال البلاد، وأنَّه متى بَعُدَ عنها لم يأمن أهلَها. فشَقَّ على نور الدين، ولم يقبل عُذْره، وعَزَمَ على قَصْدِ مِصْر، وإخراجِ صلاح الدين منها، وشَرَع يتجهَّز، فجمع صلاحُ الدِّين الأُمراءَ وأهلَه، وقال: ما تَرَوْن؟ وكان فيهم تقيُّ الدِّين عمر بن أخي صلاح الدين، و شهاب الدين خال صلاحِ الدِّين، فقال تقي الدين: إنْ جاء قاتلناه. وكان نجمُ الدِّين أيوب حاضراً، فسبَّ تقيَّ الدِّين وزَبَرَه، وقال لصلاح الدين: أنا أبوك، وهذا خالك ـ عن شهاب الدِّين ـ أتظنّ في هؤلاء كلِّهم من يحبُّك ويريد لك الخير مِثْلَنا؟ قال: لا، فقال: والله لو رأينا المولى نور الدِّين لم يُمْكِنَّا إلا أَنْ نترجَّل، ونقبِّل الأرض بين يديه، ولو أمرنا بقتلك لفعلنا، فإذا كُنَّا نحن كذا، فكيف غيرنا! وهذه البلاد [له][(٢)] ونحن مماليكه، وأنت نائبه فيها، وإذا أراد عَزْلك، فأيُّ حاجة لك في المجيء، يُنفِّذ كتاباً مع نجَّاب يأمرك بالمسير إليه لتنزل إلى خدمته، وهل عندنا له خلاف. وتفرقوا على هذا، وكتَبَ أصحابُ الأخبار إلى نور الدين بصورة المجلس، وأما نجم الدين، فإنه خلا بابنه، وقال له: يا قليل المعرفة، تجمعُ هذا الجمعَ الكثير، وتُطْلعهم على ما في

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين ليس في (ح)، والمثبت من «الروضتين»: ٢/ ٢٢٨.

نفسك، ومتى بلغ نور الدين أنك عازمٌ على مَنْعه من البلاد قَصَدَك بعساكر الشَّام والشَّرق ودياربكر والرُّوم وغيرها، فلم يبق معك أحد، وأولهم خالك وغيره ممن نافسك في المُلْك، وفي قلوبهم منك ما فيها، وقد كَتَبَ أصحابُ الأخبار إلى نور الدين بما قلتَ، فاكتبْ إليه كتاباً تُذْعِنُ له فيه بالطَّاعة، وقُلْ له: ما حاجة إلى قَصْدي بنفسك، ابعثْ أحد غِلْمانك يحملني إلى بين يديك، [فهو إذا سمع هذا عدل عن قصدك، واشتغل بما هو أهم عنده](١)، والأيام تندرج، والله تعالى كل يوم في شأن. فكَتَبَ صلاحُ الدين إلى نور الدين بذلك، فرجع عن قَصْده، واستحيا منه، واشتغل عنه بالفرنج.

وقال ابن شدَّاد رحمه الله: قال لي صلاح الدين: أشار عليَّ جماعةُ الأهل إنْ قصدني نور الدين أَنْ أقاتله، وكنت وَحْدي أُخالفهم، وأقول: والله لا كان ذلك أبداً، ولا قاتلت مولاي، حتى وصلت الأخبار بموته(٢).

وقال أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجَزَري: في هذه السنة اتَّخذ نورُ الدِّين الحَمَام الهوادي في جميع البلاد في الأبراج تنقل إليه الأخبار، وسببُه اتِّساعُ مملكته، فكانت من حَدِّ بلاد النُّوبة إلى هَمَذَان، وكان أهم ما عنده قَلْع الفرنج من السَّاحل، فكان إذا تحرَّك الفرنج لقصده أو تحرَّك لقصدهم، كتب الكُتُبَ على أجنحة الطيور إلى البلاد البعيدة يستدعي العساكر، فيأتون إليه بسرعة(٣).

وفيها قبض المستضيء على وزيره ابنِ رئيس الرؤساء، ونُهبت دوره، وسببه ولده كمال الدين، فإنَّه كان ظالماً جبَّاراً، دخل الخادم صَنْدَل إلى دار الوزير، فأطبق دواته وحَبَسَ ابنه كمال الدين في بيت من الدَّار، واستولى على جميع [ما في الدار من المال والثياب والمتاع والخدم والمماليك والخيل وغيرها](٤)، وكمال الدين(٥) في البيت ينظر إلى ماله كيف ينهب، ولا يقدر على الكلام.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من الباهر: ١٥٩، وانظر «الروضتين»: ٢/٢٢٨-٢٢٩.

(٢) النوادر السلطانية ص ٤٧.

(٣) الباهر: ١٥٩، و«الكامل»: ١١/٣٧٥.

(٤) في (ح): على جميع ما فيها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) كذا في النسخ الخطية، والصواب «عضد الدين» وهو لقب الوزير، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٧٣هـ).

وفيها توفي

حَسَّان بن نُمَيْر، أبو النَّدى[١]

الشَّاعر الكلبي، ويقال له عَرْقلة، من حاضرة دمشق، [ذكره العماد في «الخريدة» وقال]: كان شيخاً خليعاً أعور، مطبوعاً كيِّساً، لطيفاً ظريفاً منادماً، واختصَّ بصلاح الدِّين، وله فيه قصائدُ كثيرة، وقيل: إنَّ وفاته تأخَّرت حتى أَخَذَ صلاحُ الدين دمشق.

[وله ديوان مشهور][٢]، ومن شعره وقد اقترح عليه مجير الدين أبق موازنة:

شَربْتُ من دِنانه ... من كلِّ دَنٍّ قدحا

فقال: [من مجزوء الرجز]

من لي بساقٍ أغيدٍ ... عِذارُه قد سنحا
كأنه بَدْرُ دُجًى ... في كفِّه شمسُ ضُحًى
ما زلتُ من مُدامِهِ ... مُغْتبقاً مُصْطبحا
حتى غدوتُ لا أرى النُّـ ... ـدمان إلا شبحا
وقد عصيتُ في الهوى ... من لامَ فيه ولحا
يا قلبُ كم تذكُرُه ... لا بارحتك البُرحا
هذا الذي تَعْشَقُه ... كم قلبِ صَبٍّ جَرَحا
يا صاحِ يا صاح اسْقني ... من راحتيك القَدَحا
واغتنمِ العيشَ فما ... تُبْقي الليالي فَرَحا
كأنَّما البَدْرُ وقد ... لاحَ لنا مُتَّضِحا
وجهُ مجيرِ الدِّين مَو ... لانا إذا ما مُدِحا[٣]

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ١٧٨-٢٢٩، و«فوات الوفيات»: ١/ ٣١٣-٣١٨، و«الوافي بالوفيات»: ١١/ ٣٦٤-٣٦٨، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٦٤-٦٥، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢٢٠، وقد طبع ديوانه بتحقيق أحمد الجندي، وصدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ١٩٣، وهي في «ديوانه»: ١٨-١٩.

وقال يمدح شمسَ الدَّولة تورانشاه، وقد نزل دمشق في دار عَمِّه أسد الدين لما فتحت دمشق، وهذا يدلُّ على تأخُّر وفاته: [من الرجز]

قلتُ لحُسَّادِك زِيْدُوا في الحَسَدْ ... قد سَكَنَ الدَّارَ وقد جازَ البَلَدْ
لا تعجَبُوا إنْ حَلَّ دارَ عَمِّهِ ... أما تَحُلُّ الشمسُ في بُرْجِ الأَسَدْ[(١)]

وقال يمدح صلاح الدِّين: [من الخفيف]

أصبحَ المُلْكُ بعد آلِ عليٍّ ... مُشْرقاً بالملوك من آل شاذي
وغدا الشَّرْقُ يحسدُ الغرب للمُلْـ ... ـك ومِصْرٌ تزهو على بغداذ
ما حواها إلا بَعَزْمٍ وحَزْمٍ ... من صليل الفولاذ في الفولاذِ
لا كفِرْعَوْن والعزيز ومن كا ... نَ بها كالخَصِيْبِ والأُستاذِ[(٢)]

وكان صلاحُ الدِّين قد وعده إذا فتح مِصْر أن يعطيه ألفَ دينار، فلما فتحها قصده وامتدحه بأبيات منها: [من البسيط]

قُلْ للصَّلاح معيني عند إقتاري ... يا ألفَ مولاي أينَ الألفُ دينارِ
أخشى من الأَسْرِ إنْ حاولتُ أرضكُمُ ... وما تفي جَنَّةُ الفِرْدَوْس بالنَّارِ
فَجُدْ بها عاضديَّاتٍ موفَّرةً ... من بعضِ ما خلَّف الطَّاغي أبو الطَّاري
حُمْراً كأسيافكم غُبْراً كخيلكُمُ ... عُتْقاً ثقالاً كأعدائي وأطماري[(٣)]

[قال][(٤)]: فأعطاه [صلاح الدين][(٤)] من عنده ألف دينار، وأخذ له من إخوته مِثْلَها، فعاد إلى دمشق، فأدركه أجلُه بها [بعد سنة ست أو سبع وستين وخمس مئة][(٤)].

وقال في محبوب له أحول، ومَدَحَ في آخرها الوزير جمال الدين الموصلي: [من المنسرح]

يا لائمي هل رأيتَ أعجب من ... ذي عَوَرٍ هائمٍ بذي حَوَلِ
أَقِلُّ في عينه ويكثر في ... عيني بضدِّ القياسِ والمَثَلِ

---

(١) البيتان في «الخريدة»: ١/ ٢٠٢، وهما في «ديوانه»: ٣٦.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢٠٣-٢٠٤. وفي «ديوانه»: ٣٧-٣٨.

(٣) الأبيات مع اختلاف في بعض الألفاظ في «الخريدة»: ١/ ١٧٨-١٧٩، وهي في «ديوانه»: ٤٩-٥٠، وانظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ١٢٨-١٢٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

مــا آفــتــي غــيــرُ ورد وجــنــتــه والــوَرْدُ لا شــكَّ آفــةُ الــجُــعَــلِ
فــلــو رأتْ حُــسْــنَــه فــلاســفــةٌ لــعــوَّذتــه بــعِــلَّــةِ الــعِــلَــل
قد ذُقْتُ منه هجراً أَمَرَّ من الصَّـ ـبرِ ووَصْلاً أحلى من العَسَلِ
أهوى تجنِّيه والصُّدودَ كما يهوى المعالي محمَّدُ بنُ علي
محمّد خاتَمُ الكرام كما سَمِيُّهُ كانَ خاتَمَ الرُّسلِ[1]

وقال: [من الطويل]

يقولون لِمْ أَرْخَصْتَ شِعْرَك في الورى فقلتُ لهم إذ ماتَ أهلُ المكارمِ
أُجازى على الشِّعْر الشّعير وإنّه كثيرٌ إذا خلَّصتُه من بهائمِ[2]

وقال: [من البسيط]

عندي إليكم من الأشواقِ والبُرَحا ما صيَّر الجِسْمَ من بعد الضَّنا شبحا
أحبابنا لا تظنُّوني سلوتُكُمُ الحالُ ما حالَ والتَّبْريح ما بَرِحا
لو كان يسبح صَبٌّ في مدامعه لكنتُ أَوَّلَ مَنْ في دمعه سَبَحا
أو كنت أعلمُ أنَّ البَيْنَ يقتلُني ما بِنْتُ عنكُمْ ولكنْ فات ما ذُبِحا[3]

وقال: [من الكامل]

كَتَم الهوى فَوَشَتْ عليه دموعُهُ مِنْ حَرِّ جَمْرٍ تحتويه ضلوعُهُ
صبٌّ، تشاغَلَ بالرَّبيعِ[4] وزَهْره قومٌ، وفي وَجْه الحبيبِ ربيعُهُ
يا لائمي فيمن تمنَّعَ وَصْلُهُ عن بُغْيتي أحلى الهوى ممنوعُهُ
كيفَ التخلُّصُ إنْ تجنَّى أوْ جنى والحُسْنُ شيءٌ ما يُرَدُّ شفيعُهُ
شمسٌ ولكن في فؤادي حرُّها بَدْرٌ ولكنْ في القلوب طلوعُهُ
قال العواذِلُ ما الذي استحسنتَهُ فيه وما يَسْبيك قلتُ جميعُهُ[5]

---

(١) «الخريدة»: ١/ ١٨٠-١٨١، «ديوانه»: ٨٥-٨٦.
(٢) البيتان في «الخريدة» ١٨٢، و«ديوانه»: ٩٤.
(٣) وهما في «الخريدة»: ١/ ١٨٢، «ديوانه»: ١٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٤) في النسخ الخطية: بالحبيب، والمثبت من «ديوانه» و«الخريدة»، وهو أصح.
(٥) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ١٨٣، و«ديوانه»: ٥٨-٥٩ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وقال: [من الطويل]

تُـرى عـنـد مَـنْ أَحْـبَـبْـتُـهُ لا عَـدِمْـتُـهُ ... من الشَّـوق ما عـنـدي ومـا أنـا صـانـعُ

جـمـيـعـي إذا حَـدَّثْـتُ عـن ذاك ألـسـنٌ ... وكلّي إذا نُوجيتُ[١] عنه مسامعُ[٢]

وقال في ذم كتاب: [من الكامل]

وَصَلَ الـكـتـابُ عـدمـت عـشـرَ أنـامـلٍ ... أَلَّـفْـنَ مـا فـيـه مـن الـتَّـضْـمـيـنِ

مـا كـان أشـبـهـه وقـد عـايَـنْـتُـهُ ... بـوثـيـقـةٍ ظـهـرت عـلـى مَـدْيـونِ[٣]

[وعرقلة هو القائل لما ولي صلاح الدين شحنكية دمشق: [من المتقارب]

رويـدكـم يـا لـصـوص الـشـآم ... فـإنـي لـكـم نـاصـحٌ فـي مـقـالـي

وقد ذكرناه.

وعرقلة هو القائل في وصف دمشق][٤]: [من البسيط]

أمـا دمـشـقُ فـجـنَّـاتٌ مُـزَخْـرَفَـةٌ ... لـلـطَّـالـبـيـن بـهـا الـوِلْـدانُ والـحُـوْرُ

مـا صـاح فـيـهـا عـلـى أوتـاره قَـمَـرٌ ... إلا وغـنَّـاه قُـمْـرِيٌّ وشُـحْـرورُ

يـا حـبَّـذا ودروعُ الـمـاءِ تـنـسُـجُـهـا ... أنـامـلُ الـرِّيـح إلا أنَّـهـا زُورُ[٥]

عبد الله بن أحمد[٦]

ابن أحمد بن أحمد، أبو محمد بن الخشاب.

النَّحْوي اللُّغوي، حُجَّة العرب [وجامع أسباب الأدب، قرأ القرآن، وسمع الحديث][٧] برع في فنون العلوم، وانفرد بعِلْم النحو والعربية، وفاق أهلَ عصره.

---

(١) في «الديوان» و«الخريدة»: إذا حُدِّثتُ.

(٢) البيتان في «الخريدة»: ١/ ٢١٢، و«الديوان»: ٥٩-٦٠.

(٣) «الخريدة»: ١/ ٢٢٧، و«الديوان» ١٠١.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وفي (ح): وقال يصف دمشق.

(٥) «ديوانه»: ٤١، و«الخريدة»: ١/ ٢٠٤.

(٦) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: مج ١/ ج٣/ ٧-١٨، «المنتظم»: ١٠/ ٢٣٨-٢٣٩، و«معجم الأدباء»: ١٢/ ٤٧-٥٣، «الكامل»: ١١/ ٣٧٥-٣٧٦، «إنباه الرواة»: ٢/ ٩٩-١٠٣، «وفيات الأعيان»: ٣/ ١٠٢-١٠٤، «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٢٣-٥٢٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

قال ابنُ الأخضر: دخلتُ يوماً عليه وهو مريضٌ وعلى صَدْره كتابٌ ينظر فيه، فقلتُ: ما هذا؟ قال: ذَكَرَ ابنُ جني مسألةً في النحو، واجتهد أن يستشهد عليها ببيتٍ من الشعر فلم يحضره، وإني لأعرفُ على هذه المسألة سبعين بيتاً من الشِّعْر، كلُّ بيت من قصيدة يصلح أن يستشهد به عليها.

وكان مُغرًى بشرى الكُتُب؛ حَضَرَ يوماً سوق الكُتُبيين، فَنُودي على كُتُبٍ بخمسِ مئة دينار، ولم يكن عنده شيء، فاشتراها، وقال: أخروني ثلاثة أيام. ومضى فنادى على [ساج][1] داره، فبلغت خمس مئة دينار، فنقَضَ ساجَها، وباعه بخمس مئة دينار، فوفى [بها][1] ثمن الكتب، وبقيت الدَّار له بغير شيء.

وكان يؤدِّب أولادَ الخليفة، ويخرج من دار الخليفة وقتَ العصر، فيقف على الحِلَق في الرَّحْبة وعلى من يلعب بالشِّطْرنج، فقيل للخليفة: ينبغي أن يُصان عن مثل هذا. فأرسل إليه فيها، فقال: هذه الأماكن لا تخلو من فائدة، وما أنا ممن يدخل تحت حَجْر، فإنْ رضيتم، وإلا فالله قد أقالكم، أنا ما خطبتُ منكم هذا، أنتم خطبتموني. فقال الخليفة: دعوه على حاله. [وكان يكتب خطاً حسناً، وله مصنفاتٌ في النحو واللغة والعَروض والحساب وغيره][1]، وكانت وفاتُه في رمضان، ودفن قريباً من بِشْر الحافي.

[وكان يقول الشعر][1]، ومن شعره في فتح مصر: [من الطويل]

يقولون مصرٌ قد أبانتْ وأقلعتْ ... وقد سَعِدَتْ من بَعْدِ شِقْوتها مِصْرُ
وآلتْ إلى آلِ النَّبيِّ وآنست ... طُمَأْنينةً منهم وكان بها ذُعْرُ
وهل مصرُ إلا آبقٌ غاب بُرْهة ... وعاد إلى مولًى له أَمْرُهُ أَمْرُ
فأوسعَه صَفْحاً وأَوْلاه رحمةً ... وكان له منه التَّغَمُّدُ والغَفْرُ
وقد كان فِرْعونٌ يُدلُّ بمُلْكها ... ويعروه كِبْرٌ أنْ جرى تحتها نَهْرُ
فأوبقه طغيانُه وعُتُوُّه ... وأرداه في اليَمِّ التَّجبُّر والكِبْرُ
وقال لموسى إذ أتاه بآية ... هي الآية الكبرى ألا إنَّ ذا سِحْرُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وهل هو إلا النِّيلُ إنْ مَدَّ أخْصَبَتْ　　على قَدَرٍ منه ويُمْحِلُها الجَزْرُ
وكان على عهد ابن هند مدينةً　　بها القِبْطُ فوضى حين ولِّيها عمرو
إمام نَمَتْه الصِّيْدُ من آلِ هاشم　　هُمُ أمناءُ الله والحُجَجُ العَشْرُ
نوى الخيرَ من قبل الخِلافة قَلْبُهُ　　فصدَّقه الإحسانُ والنَّائل الغَمْرُ
به تفخرُ الأملاكُ في أُفق العُلى　　ويُزْهى به العَبَّاس والحُجَّةُ الحَبْرُ
عليه من اللاهوت نورٌ وهيبةٌ　　لها يُذْعِنُ العاصي ويستعبد الحُرُّ
إذا شاءَ أمراً فالقضاءُ مؤَيِّدٌ　　لما شاءَ والإقبالُ يتبع والنَّصْرُ
تبسَّمَتِ الدُّنيا بذكر خليفةٍ　　تُهنَّا به الأيامُ والخَلْقُ والعَصْرُ
هو الظِّلُّ ظِلُّ الله في الأرض كلِّها　　له المُلْك والأفضال والنَّهْي والأمرُ(1)

وقال: [من السريع]

صفراءُ لا من سَقَم مَسَّها　　كيف وكانت أُمُّها الشَّافِيَهْ
عُرْيانةٌ باطِنُها مُكْتَسٍ　　فاعْجَبْ لها كاسيةً عاريه(2)

عبد الله بن أحمد بن الحسين(3)

ابن إسحاق، أبو محمَّد الحِمْيري، ويعرف بابن النَّقَّار الكاتب.

ولد بطرابلُس سنة تسع وسبعين وأربع مئة، [ونشأ بها، وقرأ القرآن والأدب](4) ولما استولى الفرنج عليها انتقل إلى دمشق(5). [وله شعر رقيق ومعنى دقيق، ومنه هذه الأبيات](4)

بادِر إلى اللَّذَّاتِ في أزْمانها　　وارْكُضْ خيولَ اللَّهو في مَيْدانها
واستقبلِ الدُّنيا بصَدْرٍ واسعٍ　　ما أوْسَعَتْ لكَ من رحيبِ مكانها

---

(1) «الخريدة»: 3/ 11-16.

(2) «الخريدة»: 3/ 10.

(3) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ): 8/ 1005-1007، و«الخريدة»، قسم شعراء الشام: 1/ 314-315، و«تكملة إكمال الإكمال»: 348، و«توضيح المشتبه»: 9/ 118، «النجوم الزاهرة»: : 6/ 65.

(4) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(5) في (م) و(ش): وذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وقال: ابن المنقار الكاتب الدمشقي، كان فاضلاً، كتب للملوك دمشق ولنور الدين محمود بن زنكي، وعاش نيِّفاً وتسعين سنة، وله شعر، وسيأتي هذا النقل في (ح) بعد الأبيات الآتية.

واستخدمِ الأيَّام قبل نفورها ... واستغنمِ اللَّذَّاتِ قبل حِرانها
جاءَتْكَ أيَّامُ الرَّبيعِ فمرحباً ... بقُدُومها وبحُسْنِ فِعْلِ زمانِها
وحَبَتْك من سرِّ السَّحاب بجنَّةٍ ... تتفتَّنُ الأبصارُ في أفنانِها
وبَدَتْ لك الدُّنيا تُدِلُّ بحُسْنها ... وبهائِها وتميسُ في أرْدانِها
أرأيتَ أبهى من بدائعِ نَوْرِها ... في الرَّوضِ طالعةً على غُدْرانها
فكأنَّ مَعْبد أوْ مُخارِقَ أصبحا[١] ... في طِيْبِ صوتهما كبعض قِيانها
يا صاح مالك لا تزال مُولَّهاً ... تُعطي الصَّبابةَ منك فَضْلَ عِنانها
ما للرِّياض إلى دموعك حاجةٌ ... قد ناب صَوْبُ الغَيْثِ عن هَمَلانها
هل أذكَرَتْكَ علامةٌ لشقيقها ... أم هيَّجتْك إشارةٌ في بانها
أم حرَّكَتْ منك البلابلُ ساكناً ... بحنينِ ما رَجَّعْنَ من ألحانها
ما ذاك إلا أنَّ في الأحبابِ ما ... أجرى لك العَبَراتِ من ألوانها
فذكرتَ ألوانَ الخُدودِ بوَرْدِها ... وسوالف الأصْداغ من رَيْحانها
وكذا المحاسنُ لا تكون محاسناً ... إلا إذا جُليت على أقرانها
آهاً لقلبٍ لم يزل في صَبْوَةٍ ... وصبابةٍ يُلْقى على نيرانها
غَلَبَتْ عليه يدُ النَّوى ويدُ الهوى ... كالنَّارِ لا يقوى على سُلْطانها
يا قاصداً أرضَ الأحِبَّة زائراً ... بلِّغْ تحيَّتَنا إلى سُكَّانِها[٢]

وقال العمادُ الكاتب: ابن النَّقَّار الدِّمشقي، كان فاضلاً، كتَبَ لملوكِ دمشق ولنور الدين، وعاش نيفاً وتسعين سنة، ومن شِعْره: [من الكامل]

الله يعلَمُ أنَّني ما خِلْتُهُ ... يَصْبو إلى الهِجْران حين وَصَلْتُهُ
مَنْ مُنصفي مِنْ ظالمٍ مُتَعَتِّبٍ ... يزدادُ ظُلْماً كلَّما حكَّمْتُهُ
ملَّكْتُه رُوحي ليحفظَ مُلْكَه ... فأضاعني وأضاع ما ملَّكْتُهُ

(١) معبد هو ابن وهب، من كبار المغنين في العصر الأموي، توفي سنة (١٢٦هـ)، وله ترجمة في الأغاني: ١/ ٣٦-٥٩ طبعة دار الكتب، ومخارق: هو ابن يحيى الجزار، كان إمام عصره في فن الغناء في العصر العباسي، وتوفي سنة (٢٣١هـ)، وله ترجمة في الأغاني: ٣/ ٧١-٧٢ طبعة دار الكتب، ولم يصرف الشاعر «معبد» لضرورة الشعر.

(٢) القصيدة بتمامها في «تاريخ ابن عساكر»: ٨/ ١٠٠٦-١٠٠٧.

لا ذَنْبَ لي إلا هواه لأنَّه لما دعاني للسَّقام أَجَبْتُهُ
أحبابَنَا أنفقتُ عُمْري عندكُمْ فمتى أُعوِّضُ بعضَ ما أَنْفَقْتُهُ
وبمن أعود إلى سواكُمْ قاصداً والقَلْبُ في عَرَصاتكم خَلَّفْتُهُ
ولمن ألوم على الهوى وأنا الذي قُدْتُ الفؤاد إلى الغرامِ وسُقْتُهُ
أأرومُ غيركُمُ صديقاً صادقاً هيهاتَ ضاقَ الوقتُ عمَّا رُمْتُهُ
قد كنتُ أَعْذِلُ كلَّ صَبٍّ في الهوى وألومه في العِشْق حتى ذُقْتُهُ
مالي سوى قلبي وفيك أَذَبْتُهُ مالي سوى دمعي وفيك سكَبْتُهُ
أبكي إذا جَنَّ الظلامُ تشوُّقاً في طول ليلٍ في هواك سَهِرْتُهُ
وأنوح إنْ ناحَ الحمامُ ضحىً على إلفٍ فقدتُ الصَّبْرَ حين فَقَدْتُهُ
ما كنتُ أعرِفُ ما الغرامُ ولا الأسى والشَّوْقَ والتَّبريحَ حتى ذُقْتُهُ[١]

عبد الله العاضد[٢]

صاحبُ مِصْر، ابنُ يوسف بن الحافظ، أبو محمَّد، لم يلِ أبوه الخلافة [وقد ذكرناه][٣]، وأمُّه أمُّ ولد يقال لها سِتُّ المُنى. ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة، وبويع في رجب سنة خمس وخمسين [وخمس مئة][٣] وهو ابن إحدى عشرة سنة، وتوفي يوم عاشوراء وعمره ثلاث وعشرون سنة[٤]، فكانت أيَّامه إحدى عشرة سنة وشهوراً.

واختلفوا في سبب وفاته على أقوالٍ، أحدها: أنَّه تفكَّر في أموره، فرآها في إدبار، فأصابه ذَرَبٌ عظيم، فمات منه.

والثاني: أنَّه لما خُطِبَ لبني العَبَّاس بَلَغَهُ؛ فاغتمَّ، ومات. وقيل: إنَّ أهله أخفوا عنه ذلك، وقالوا: إنْ سَلِمَ فهو يعلم، وإن مات فلا ينبغي أن ننغِّص عليه هذه الأيام التي بقيت من عمره.

(١) الأبيات في «الخريدة»: قسم شعراء الشام: ١/ ٣١٤-٣١٥، مع اختلاف في بعض الألفاظ، ما خلا الأبيات الثلاثة الأخيرة فيها، وإخالها زيادة من ناسخ لأنها من طبقة أدنى من ذلك الشعر، وقد كررت فيه قافية سلفت، والله أعلم.

(٢) ترجمته في «الكامل»: ١١/ ٢٥٥ وما بعدها، «وفيات الأعيان»: ٣/ ١٠٩-١١٢، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ٢٤٣ وما بعدها، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ٢٠٧-٢١٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في «السير» أنه ولد سنة (٥٤٦هـ)، فيكون عمره حين بويع تسع سنين، وعمره حين توفي إحدى وعشرون سنة.

والثَّالث: أنَّه لما أيقن بزوالِ دولته كان في يده خاتم، له فَصٌّ مسموم، فمصَّه، فمات.

وجلس صلاح الدين في عزائه، ومشى بين يدي جِنازته، وتولى غَسْله وتكفينه، ودفَنَه عند أهله، واستولى صلاحُ الدِّين على ما في القَصْر من الأموال والذَّخائر والتُّحَف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره.

وكان في القَصْر من الجواهر النَّفيسة ما لم يكن عند خليفةٍ ولا ملك مما قد جُمِعَ على طول السِّنين، فمنه: القضيب الزُّمرُّذ، وطوله قبضة ونصف، والحبل الياقوت الأحمر، والدُّرَّة اليتيمة مثل بيض الحَمام، والياقوتة الحمراء وتسمى الحافر، وزنها أربعة عشر مثقالاً، ومن الكُتُب المنتخبة بالخطوط المنسوبة مئة ألف مجلد، ووَجَدَ عِمامة القائم وطَيْلَسانه بحاله، بَعَثَ البساسِيريُّ بهما إلى المستنصر، ووجد أموالاً لا تحدُّ ولا تحصى.

وأفرد أهلَ العاضد ناحيةً عن القصر، وأجرى عليهم [جميع][1] ما يحتاجون إليه، وسلَّمهم إلى قراقوش، فعَزَلَ الرِّجال عن النِّساء، واحتاط عليهم، وفرَّق الأموالَ التي أخذها من القَصر في العساكر، وباع بعضَ الجواري والعبيد، وأعطى للقاضي الفاضل من الكُتُب ما أراد، وبعثَ إلى نور الدِّين بعِمامة القائم وطَيْلَسانه، وهدايا، وتُحفاً، وطِيْباً، ومئة ألف دينار ـ وكان نور الدين بحلب ـ فلما حضرت بين يديه، قال: والله ما كان بنا حاجة إلى هذا، ما وصل إلينا عُشْر معشار ما أنفقناه على العساكر التي جهَّزناها إلى مِصْر، وما قصدنا [بفتح مصر إلا فتح السَّاحل، وقلع الكفار منه][2]، وأنشد: [من البسيط]

لـم يُنْفـقِ الـذَّهـبَ الـمُـرْبي بـكَـثْـرَتِـهِ على الـحـصـى وبـه فـقـرٌ إلـى الـذَّهَـبِ

وانقضت أيَّامُ المِصْريين بوفاة العاضد، وعِدَّتهم أربعة عشر على عدد بني أمية، إلا أن أيَّامهم طالت، فملكوا مئتين وثماني سنين، وبنو أمية ملكوا نيِّفاً وتسعين سنة.

[وقد ذكرنا سيرة المصريين على وجه التفصيل، وتقلب الأمور والأحوال، ونذكرهم هنا على وجه الإجمال فنقول: أولهم][3]:

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): وما قصدنا بفتحها إلا فتوح الساحل، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ح): وأول المصريين، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

عبيد الله الملقب بالمهدي، وهو جَدُّهم. قال ابنُ عبد البر: هو عبيد الله بن محمّد ابن ميمون بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق عليه السَّلام، والثاني: ابنه أبو القاسم محمد [بن عبيد الله](١)، ويلقب بالقائم بأمر الله، والثالث: ابنه إسماعيل [بن محمّد](١)، ويلقب بالمنصور، والرَّابع: ابنه أبو تميم مَعَدّ، ويلقب بالمُعِزِّ لدين الله، وهو الذي بنى له جوهر القاهرة، والخامس: ابنه نزار [بن معد](١) ويلقب بالعزيز بالله، والسادس: ابنه منصور، ويلقَّب بالحاكم بأمر الله، والسَّابع: ابنه علي [بن منصور](١)، ويلقب بالظَّاهر لدين الله، والثامن: ابنه معَدَّ [بن علي](١)، ويلقب بالمستنصر بالله، وَلِيَ ستين سنة، والتَّاسع: أبو القاسم أحمد، ويلقب بالمُسْتَعْلي، والعاشر: ابنه منصور [بن أبي القاسم](١) ويلقب بالآمر بأحكام الله، وقُتِلَ، والحادي عشر: أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر، ويلقب بالحافظِ لدين الله، والثَّاني عشر: ولده إسماعيل ويلقب بالظَّافر، وقُتِلَ. والثَّالث عشر: عيسى، ويلقب بالفائز بأمر الله، والرَّابع عشر: العاضد.

[وقد رثاهم جماعة، منهم عمارة اليمني بقصيدته التي يقول فيها:

رميتَ يا دَهْرُ كفَّ المجد بالشَّلل

وهي كانت سبب قتله](١).

محمد بن محمّد بن محمّد [ثلاث مرات](١)

البغوي(٢) ويقال البروي(٣).

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٧٩، و«الكامل»: ١١/ ٣٧٦، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٢٥-٢٢٦، و«العبر»: ٤/ ٢٠٠، و«الوافي بالوفيات»: ١/ ٢٧٩-٢٨٠، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ٣٨٩-٣٩١، و«البداية والنهاية»، وفيات سنة (٥٦٧هـ)، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢٢٤.

(٣) قال العماد في «الشذرات»: والبروي، بفتح الموحدة وتشديد الراء المضمومة نسبة إلى بَرُّويه: جد.
وقال ابن خَلِّكان في «وفياته»: بفتح الباء الموحدة والراء وبعدها، وغالب ظني أنها من نواحي طوس، والله أعلم.

قدم بغداد في أول ولاية المستضيء، ووعظ بالنِّظامية، ونَصَرَ مذهب الأشعري، وبالغ في ذمِّ الحنابلة. وقال: لو كان إليَّ أمرٌ لوَضَعْتُ عليهم الجِزْية، [وكان شاباً حَسَن الصُّورة، مليح العبارة، فصيحاً ، فيقال: إن الحنابلة دسُّوا عليه من قتله أو سمَّه؛ جاءته][1] امرأةٌ في الليل ومعها صحن حلوى، فطرقت بابه [فقال: مَنْ؟][1] قالت: أنا امرأةٌ آكل من مغزلي، وقد غَزَلْتُ قطناً وبعتُه، واشتريت من ثمنه هذه الحلوى، واشتهيت أن الشيخ يأكل منه، فإنَّه حلال. فتناوله منها ومَضَتْ، فجلس يأكل هو وزوجتُه وولدٌ له صغير، فأصبحوا موتى جميعاً في رمضان، ودُفِن بباب أبرز.

وكان قد عدا في تلك الأيام ساعٍ للشِّيعة أسود، فخرجوا للقائه، فأنبط [ولم يجئ]، فضاقت صدورهم.

قال المصنف رحمه الله: فجلس جدِّي عقيب ذلك، وقال في أثناء كلامه: كم أبرق مبتدع بأصحاب أحمد وأرعد، فحظي بوباله وهُمْ بالعيش الأرغد، وأما أنت يا أبعد، فإنْ أردت تموت أو أردت تجرَّد، مات البروي وأنبط الأسود.

السَّنة الثامنة والستون وخمس مئة

فيها خَتَنَ الخليفةُ أولاده، فيقال: إنَّه ذبَحَ ألف رأس من الغنم وخمس مئة بقرة وخمسة آلاف دجاجة، وعمل ألف صحن حلوى، وعشرين ألف قطعة خُشْكنانك[2]، وخَلَعَ على جميع أربابِ الدَّولة والقضاة والعدول، والعلماء، والصُّوفية وغيرهم.

وفيها بعث صلاحُ الدِّين إلى نور الدين هديةً فيها فيل وحمار عتَّابي، فبعث بها نور الدين إلى بغداد، وخرج النَّاس لتلقيها، وتعجبوا[3] من خِلْقة الحمار.

[وكان بمحلة العَتَّابيين رجلٌ نحوي، قاصر في كل شيء، قد تعلَّق بطرف من النحو، وكان يدعي دعاوى عظيمة، فخرج مع الناس يتفرج، ورآه بعض الظراف: فقال: يا

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز أو الفستق ويكون على هيئة الهلال، انظر «المعرب»: ١٣٤، ودوزي: ١/ ٣٧٣ .

(٣) في (م): وعجبوا.

قوم، ليس العجب أن يحمل الفتى حمارٌ عتابي، عندنا عتابي حمار[١]. فضحك الناس][٢].

وفيها سار نورُ الدِّين إلى المَوْصل، وصلَّى في الجامع الذي بناه وسط البلد، وتصدَّقَ بمالٍ عظيم، ولما علم صلاح الدِّين أَنَّ نورَ الدين [قد][٢] توجَّه إلى المَوْصل خرج بعساكر مصر إلى الشَّام، فحصر الكَرَك والشَّوْبك، ونهب أعمالها، وكان جماعةٌ من العرب نازلين بأرض الكَرَك ينقلون الأخبار إلى الفرنج، وإذا غاروا على البلاد دلُّوهم على المسلمين، فنهبهم صلاحُ الدين، وقتل البعض، وأجلى من بقي منهم عن أرض الكرك، وكتب إلى نور الدين كتاباً من إنشاء الفاضل: سببُ إصدار هذه الخِدْمة إلى حضرة مولانا الملك العادل أعزَّ الله سُلْطانه، ومكَّن بالنَّصر إمكانه، وشيَّد بالتأييد مكانه، ونَصَرَ أنصاره، وأعان أعوانه، عَلِمَ المملوك بما يؤثرُه المولى من قَصْدِ الكُفَّار بما يَقُصُّ به أجنحتهم، ويحصُّ[٣] به أسلحتهم، ويقطع موادَّهم، ويخرِّبُ بلادهم، ومن أكبر الأسباب المعينة لهم على ما يراد منهم أن لا يبقى في بلادهم أحد من العُرْبان، وأن ينتقلوا من ذُلِّ الكُفْر إلى عِزِّ الإيمان، ومما اجتهد فيه غاية الاجتهاد، وعَدَّه من أسباب الجهاد ترحيل كثير من أنفارهم، والحرص على تبديل ديارهم بحيث إنَّ العدوَّ إذا نَهَضَ اليوم لا يجد بين يديه دليلاً، ولا يستطيع حيلة، ولا يهتدي إليه سبيلاً، [وهو «كتاب طويل»][٢].

ثم عاد صلاح الدِّين إلى مِصْر.

وقيل: هي أوَّل غَزَاةٍ غزاها.

[وذكر القاضي أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي، ويعرف بابن شداد قاضي حلب ـ رحمه الله ـ في سيرة صلاح الدين، وقال: إنما بدأ صلاح الدين بالكرك والشوبك لأنهما في طريق الديار المصرية، وكانوا يغارون على القوافل منها، فقصد

(١) نوع من حمر الوحش المخططة، نسبة إلى العتابيين، إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها، اشتهرت بالنسيج المخطط، ومن ثم كان هذا النوع من الحمير يوصف بالعتابي تشبيهاً له بهذا النسيج، انظر «وفيات الأعيان»: ٤/ ٣٨٩ ، و«تكملة المعاجم العربية» لدوزي (الطبعة الفرنسية): ٢/ ٩٣ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في «الروضتين»: ٢/ ٢٣٩ : ويفلل أسلحتهم.

تسهيل الطريق ليصل البلاد بعضها ببعض، فحصرها هذه السنة، فلم يظفر منهما بطائل، وتأخر فتحهما إلى ما بعد الفتوح][١].

وعاد نور الدِّين إلى المَوْصل، وقطع الفرات، وقصَدَ بلاد الرُّوم؛ وسببُه أنَّ عزَّ الدين قليج رسلان صاحب الرُّوم كان قد تعرَّض لبلاد نورالدِّين محمد بن قرارسلان ابن أُرْتُق صاحب آمِد، فسار نورُ الدِّين في نجدته.

وقال ابن الأثير: إنما سار نورُ الدِّين إلى بلاد عِزِّ الدين قليج رسلان بن مسعود بن قليج رسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش بسبب ذي النُّون بن الدَّانْشَمَنْد صاحب مَلَطْيَة، كان قليج رسلان قد أخرجه منها ومن سيواس، فأرسل إليه نورُ الدِّين يشفع فيه، فلم يجبه، ففتح نورُ الدِّين بَهَسْنى، ومَرْعَش، وقلاعاً من أعمال قليج رسلان، وبينا هو على ذلك جاءه خبرٌ من حِمْص بأنَّ الفرنج نزلوا عليها فرجع إلى الشَّام ومعه ابن الدَّانْشَمَنْد، ووعده بخلاص قلاعه، ولما أخذ نورُ الدين مَرْعَش وبَهَسْنى والمَرْزُبان وغيرها، خاف منه قليج رسلان، فأجابه إلى ما أراد، ورَدَّ بلاد ابن الدَّانْشَمَنْد، وشَرَطَ عليه نورُ الدِّين تجديدَ إسلامه لأنه كان يُتَّهم بالزَّنْدقة، وأنَّه متى طلب منه العساكر ينجده وأن يزوِّج ابنته بابنِ أخيه سيف الدِّين غازي صاحب المَوْصِل، ففعل، وبعثَ نورُ الدِّين فخر الدِّين عبد المسيح مع ابن الدَّانْشَمَنْد إلى مَلَطية وسيواس، ومعه عسكر يكون في خِدْمته، فأقام عنده حتى توفي نورُ الدين، ورجعتِ البلادُ إلى قليج رسلان[٢].

وفيها قدم القُطْب النَّيْسابوري من حلب إلى دمشق، فدرَّس في الزَّاوية الغربية بجامع دمشق وبالمدرسة الأمينية، وقيل: لم يدرس بالأمينية[٣].

وشَرَع نورُ الدِّين في بناء مدرسة للشَّافعية[٤] إلى جانب الجاروخية، فأدركه أجله [دون بنائها][٥] وقد وضع [نور الدين][٤] المحراب وبعض البناء، وبقي أمرها على حاله، فجاء العادل أبو بكر بن أيوب، فأزال ذلك البناء، وبناها البناء المُحْكم، ودُفِنَ فيها.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «النوادر السلطانية»: ٨٦-٨٧ .
(٢) انظر «الباهر»: ١٦٠-١٦١ .
(٣) في (م) و(ش): بعثه نور الدين يدرس بالمدرسة الأمينية وبالزاوية الغربية بجامع دمشق؛ زاوية الفقيه نصر، وقيل: لم يدرس بالأمينية بل بالزاوية الغربية.
(٤) هي المدرسة العادلية الكبرى.
(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها بعث تَقيُّ الدِّين عمر [ابن أخي صلاح الدين][1] جيشاً إلى المغرب مع مملوكه يوزبا، فالتقاه عسكر ابن عبد المؤمن، فهزمه بعد أنْ أقامَ الدَّعوة العباسية بإفريقية، فعاد إلى القاهرة مهزوماً[2].

وفيها وَصَلَ توقيعُ الخليفة إلى نور الدين بأوانا وصَريفين قريتين بدُجَيْل كانتا لأبيه زَنْكي، وعَزَمَ نورُ الدِّين على بناء مدرستين ببغداد أحدهما للحنفية والأُخرى للشَّافعية، وأن يوقف عليهما القريتين، فمات.

وفيها توفي

أيوب بن شاذي[3]

ابن مروان[4]، نجم الدِّين؛ والد صلاح الدين. كان عاقلاً، حازماً، شجاعاً، حليماً، رحيماً، جَوَاداً، عاطفاً على الفقراء والمساكين، محبًّا للصَّالحين، قليل الكلام جداً لا يتكلَّم إلا لضرورة، ولما قَدِمَ مِصْر سأله ولده صلاحُ الدِّين أَنْ يكون هو السُّلْطان، فقال: أنت أَوْلى.

[وكان يلعب بالأكرة دائماً، قال القاضي ابن شدَّاد: كان كثير الركض بالخيل، يلعب بالأكرة، ومن يراه يلعب بها ما يقول إلا أنه يموت من ظهر الفرس، و][1]، ركب يوماً من داره، وخرج من باب النَّصْر يريد الميدان، فشبَّ به فرسه، فوقع على رأسه، [فحمل على داره][5] فأقام ثمانية أيام، وتوفي ليلة الثلاثاء السَّابع والعشرين من ذي الحِجَّة، ودُفِنَ إلى جانب أخيه أسد الدين في بيتٍ بالدَّار السُّلْطانية، ثم نقلا بعد سنين إلى مدينة النَّبيِّ ﷺ، وكان صلاح الدين قد عاد من الكَرَك، فبلغه خبره في الطريق، فحزن عليه، وتأسَّف حيث لم يحضره، وخلف من الذكور ستة: يوسف صلاح الدين،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في سياقة هذا الخبر اختلاف، وذلك أن تقي الدين عمر أرسل سنة (٥٦٨هـ) غلامه قراقوش، فاستولى على طرابلس. أما يوزبا فأرسله سنة (٥٨٢هـ)، وقد أسر ثمة، انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٦٧، ٣/ ٢٥٦-٢٥٧، ٤/ ٢١٧.

(٣) ترجمته في «الكامل»: ١١/ ٣٩٣-٣٩٤، و«الروضتين»: ٢/ ٢٤١-٢٦٠، «وفيات الأعيان»: ١/ ٢٥٥-٢٦١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٨٩-٥٩٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) الصحيح في نسبه أنه لا يعرف له جد فوق شاذي. انظر «الروضتين»: ٢/ ٢٥٠.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «النوادر السلطانية»: ٤٦.

وأبا بكر العادل، وتورانشاه شمس الدولة، وشاهنشاه، وطُغْتِكِين سيف الإسلام، وبوري تاج الملوك[١]، وهو الأصغر، وشمس الدولة الأكبر، ومن البنات: ستَّ الشَّام، وربيعة خاتون.

الحسن بن أبي الحسن صافي[٢]

ملك النُّحاة، مولى حسين بن الأُرموي التَّاجر البغدادي.

ولد [ببغداد][٣] سنة تسع وثمانين وأربع مئة، وقرأ النحو [على أبي الحسن الاستراباذي الفَصيحي، وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني، وقرأ][٣] أصول الفِقْه والخلاف والمذهب والحديث، وبَرَعَ في النحو، وفاق أهلَ زمانه، وفُتح له جامع الخليفة، فدرَّس فيه النحو، ثم سافر إلى خراسان وكَرْمان وغَزْنة، وصنَّف الكتب في فنون العلوم، ثم دخل الشَّام، واستوطن دمشق، وله ديوان شعر [مليح][٣] ومدائح في النبيِّ ﷺ، فمنها: [من المنسرح]

يا خاتم الأنبياءِ قاطبةً أتاك لفظُ الثَّناءِ يَسْتَبِقُ
كنتَ نبياً وطينُ آدمَ مَجْـ ـبولٌ وتلك الأنوارُ تأتلِقُ
وعدتَ فينا تهدي إلى سُبُلِ الـ ـحقِّ فقد أُوضحتْ بكَ الطُّرُقُ

وقد وصفه العماد الكاتب[٤] بالكريم، فقال: كان يضمُّ من الذَّهب يده على المئة والمئتين، ويُمْسي وهو منها صِفْرُ اليدين، وكان يصنعُ الحلاواتِ ويُهديها إلى جيرانه وأصحابه وخُلَّانه، [قال][٣]: ووصل إلى أصبهان في سنة إحدى وأربعين [وخمس مئة][٣]، وعاد إلى دمشق، فعاش تحت ظلِّ نور الدين [محمود][٣] إلى أن مات.

---

(١) في (م): «تاج الإسلام».

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: (خ) س: ٤/ ٤٣٧-٤٤٠، «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: مج١/ج٣/ ٨٩-١٣٧، و«معجم الأدباء»: ٨/ ١٢٢، و«إنباه الرواة»: ١/ ٣٠٥-٣١٠، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٩٢-٩٤، «إشارة التعيين»: ص٩١-٩٢، «العبر» للذهبي ٤/ ٢٠٤، «الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٥٦، «طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٦٣-٦٤، «شذرات الذهب»: ٤/ ٢٢٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): وذكره الحافظ ابن عساكر، ووصفه بالكرم فقال: كان يضم من الذهب يده على المئة والمئتين ويمسي وهو منها صفر اليدين.

ومن شعره يشكو من دمشق: [من الكامل]

لأُرَحِّلَنَّ مطيَّتي عن بلدةٍ شعثاءَ يُكرَهُ ماؤها وهواؤها
ولأزجُرَنَّ العِيْسَ عنها مُعْرِضاً إنْ أدركتني [١] دولةٌ ولواؤها
فإلامَ أُغضي في دمشق على القذى والأرضُ نازحةٌ بها أرجاؤها
أأُضامُ والأملاكُ ترجو أنْ ترى شخصي ولي في العالمين ولاؤها
إنْ لم أثُرْ أنَفاً فلا أجْرَتْ يدي قلماً، به يُرْوي المعاليَ ماؤها [٢]

وبلغ ابنَ منير أنه كتب إلى بعضِ القضاة: المجلس القاضوي، فقال يهجوه: [من المتقارب]

أيا ملك النَّحو والحاءُ من تهجِّيه من تحتُ قد أعجموها
أتانا قياسُكَ هذا الذي يُعَجِّمُ أشياءَ قد أعربوها
ولما تَصَفْعَنْتَ في القاضوي غدا وَجْه جَهْلِك فيه وجُوها
وقالوا قفا الشيخ إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها [٣]

فأجابَه: [من المتقارب]

أيا ابنَ منيرٍ حسِبْتَ الهجا ءَ رتبةَ فخرٍ فبالغتَ فيها
جمعتَ قوافيَ من ذا وذا وأصبحتَ منتحِلاً تدَّعيها
وقالوا قفا الشيخ إنَّ الملوك إذا أخطأتْ سوقةٌ أدَّبوها [٤]

وله مقاماتٌ من جنس مقامات الحريري، هَزْلٌ وكذب، وله كتاب أربع مئة كرَّاسة سماه «التذكرة السفرية» وكان قد تزوَّج ببغداد امرأة بذيئة اللِّسان، فكانت تسفه عليه، [فقالت له يوماً: أنا امرأتك، زوج مَنْ أنتَ؟] [٥].

وكان يغشى وزيرَ الخليفة، فمدحه في بعض اللَّيالي بقصيدة فأمر له بجائزة سنية، وخِلْعة، فقال: ما أُريدها، فقال الوزير: وما الذي تريد؟ قال: لي امرأةٌ سفيهة، وقد فضحتني عند

(١) في «الخريدة»: «إن أقدرتني».
(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١٢٤-١٢٥.
(٣) إشارة إلى سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٤) «الخريدة»: مج١/ج٣/ ١٣٥-١٣٦.
(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الجيران بطول لسانها، وأُريد أن لا يبقى في هذا المجلس شمعة إلا وتحمل بين يدي إلى داري لعلَّها تكفُّ لسانها عني. فقال [الوزير](١): الخِلْعة والبغلة والشَّمْع لك، فخرج وعليه الخِلْعة وتحته البغلة والشموعُ بين يديه، فلمَّا قَرُبَ من داره أمر غِلْمان الوزير، فصاحوا بين يديه. فأطلع الجيران من الرَّوازن والسُّطوح وامرأته في الجُمْلة، فبهتت، وكفَّتْ عنه [لسانها](١) بعد ذلك. [وقال الحافظ ابن عساكر: مات ملك النحاة بدمشق في شوال](٢)، ودُفن بالباب الصَّغير، وكان صحيحَ الاعتقاد، كريمَ النَّفْس، وجاوز ثمانين سنة(٣).

[قال العماد](١): ورآه بعض [الصَّالحين من](١) أصحابه في المنام فقال [له](١): ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبياتٍ قلتُها [في أيام الدنيا. قلتُ: وما هي؟ فأنشدني](١): [من المنسرح]

يـاربِّ هـا قـد أتـيـتُ مـعـتـرفـاً ... بـمـا جَـنَـتْـه يـداي مـن زَلَـلِ
مـلآنَ كـفٌّ بـكـلِّ مـأثـمـةٍ ... صِـفْـرَ يـدٍ مـن مـحـاسـن الـعـمـل
فـكـيـف أخـشـى نـاراً مـسـعَّـرةً ... وأنـت يـا ربِّ فـي الـقـيـامـة لـي

[قال](١): فوالله منذ فَرَغْتُ من إنشادها ما سمعتُ حسيسَ النَّار(٤).

سَعْد بن علي بن القاسم (٥)

ابن علي، أبو المعالي الكُتُبي الحَظِيري الحنفي.

والحَظيرة قرية بدُجَيْل [وقد ذكره الأئمة، وأثنوا عليه، فقال جدي في «المنتظم»](١): كان فاضلاً، يقول الشِّعر [المليح والنَّثر الفصيح](١)، وله رسائلُ ومدائح، وكان من الذَّكاء على غايةٍ، وتوفي في صفر، ودُفِنَ بباب حرب، وكان دلال الكتب ببغداد.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) في (ح): ومات بدمشق في الشوال، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) «تاريخ ابن عساكر»: ٤/ ٤٤٠.
(٤) «الخريدة»: مج١/ ج٣/ ١٣٧.
(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٤١-٢٤٢، «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٤/ ٢٨-١٠٦، «معجم الأدباء»: ١١/ ١٩٤-١٩٧، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٢٦٦-٣٦٨، «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٨٠-٥٨١، و«الوافي بالوفيات»: ١٥/ ١٦٩-١٧٠، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٦٨.

[هذا صورة ما ذكره جدي رحمه الله[١].

وذكره القاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي في «تاريخه»، وقال: أبو المعالي الكتبي، وأثنى عليه ثناء كبيراً، وقال: صحب أبا القاسم علي بن أفلح الشاعر مدَّة، واشتغل بالأدب حتى برع فيه، وفاق أهل زمانه، وقال الشعر، وتفقه على مذهب أبي حنيفة][٢] وغلبت عليه الفكرة، فأحبَّ الخلوة، فخرج على قدم التجريد سائحاً، ورأى عجائب [من الدُّنيا][٢]، وجال في الأقطار، وحجَّ، وعاد إلى بغداد، وصنَّف الكتب: «لُمَح المُلَح» في الألغاز، و«زينة الدَّهر في شعراء العَصْر»، وغيرهما.

[وذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وسجع له، وقال: أنشدني أبياتاً في وصف العِذار أرق من الاعتذار، وذكر مقطعات من شعره، وكلاماً فاحشاً يدل على أنه كان خليعاً ظريفاً، وأنشدني له في الشيب][٣]: [من الطويل]

بدا الشيب في فَوْدي فأقصَرَ باطلي ... وأيقنت قطعاً بالمصير إلى قبري
أتطمَعُ في تسويد صُحْفي يدُ الصِّبا ... وقد بيَّضَتْ كفُّ النُّهى حُسْبَةَ العُمْرِ[٤]

وقال: [من المنسرح]

صُبْحُ مشيبي بدا وفارقني ... ليلُ شبابي فصحتُ واقَلَقي
وصرتُ أبكي دماً عليه ولا ... بُدَّ لصُبْحِ المشيبِ من شَفَقِ[٥]

وقال: [من الطويل]

أرى ذا النَّدى والطَّوْلِ يغتاله الرَّدى ... ويُبقي الذي مافيه طَوْلٌ ولا منُّ
كما الورد يبدو في الغصون وينقضي ... سريعاً ويبقى الشَّوْكُ ما بقي الغُصْنُ[٦]

وقال: [من الطويل]

---

(١) «المنتظم»: ١٠/ ٢٤١-٢٤٢.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) في (ح): وقال في المشيب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) «الخريدة»: ٤/ ٤٣.
(٥) المصدر السالف.
(٦) «الخريدة»: ٤/ ٤٤-٤٥.

يقولون لا فَقْرٌ يدوم ولا غنى ... وما كُرْبَةٌ إلا سيتبعها كَشْفُ
ولستُ أرى فقري وضُري بمنقضٍ ... كأنّي على هذين وحدهما وَقْفُ[1]

وقال في خُطْبة كتاب «لُمَح المُلَح»: هذا كتابٌ أَحكمتُ أُصوله، وأَبرمتُ فصوله، خدمتُ به خزانةَ إمام الزَّمان، وتالي القُرْآن، وصاحب القرآن، الإمام الأوَّاه، المقتفي لأمر الله، الذي لم يكن في خليقةٍ مِثْلَه خليفة، وكلّ طريقةٍ منه طريفة، فكم من قطرةٍ من سحابِ مبتدعاتِ كَلِمِه جمعتُها في قرار واديه، ودرّة من سحاب توقيعات قلمه رصَّعْتُها بين صغار لآليه، إمامٌ يواقيت مناقبه عالية عن مطمح مُشْتام، غالية على مطمع مستام، أعلق شهابَ العَدْل فتسعَّر لَفْحه، وأغلق بابَ الظُّلْم فتعسَّرَ فتحه، واستقامتِ الأقاليم بأقلامه، واستغنت الأيامى في أيامه، وأحيا محيَّاه وارفةَ عَدْلِهِ.

[من الهزج]:

وذي زيغٍ أعدَّ له ... فحين أتاه عدَّلَهُ
وجادله فجادله ... فجدَّ له فجدَّ لَهُ
إمامٌ مَنْ تأمَّله ... لكَشْفِ الضر أمَّلَهُ
يرى من نَسْلِ عَبَّاسٍ ... طليق الكفِّ مُرْسَلَهُ

ينحو الصَّواب قولاً وآراءً، ويصوِّب في الإباء طولاً وعطاء، جَمَعَ أشتات الفضائل، وقطع أسباب الرَّذائل، وأجار الأنام من جَوْر الأيام، وبلغ الأوطار، كم غاش لذكره عاشٍ إلى ضوء ناره، عاشٍ بمبارّه، فلا زالت رياض ناديه ممرعة الرُّوَّاد، وحياض أياديه مترعة للوُرَّاد، ما تثنى عود ورسا عمود، واهتزَّ عامل بُسْتان، واعتز عامل بسُلْطان، وحبست شياطين جوارحه الكائدة استسلاماً، وحبست سلاطين جوارحه الصائدة آثاماً، كمن كَرَعَ في رياض المنى صادياً، ورتع في غياض الهوى متمادياً.

---

(١) «الخريدة»: ٤/ ٤٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ. وفي (م) انتهت ترجمته، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
تم الجزء الثالث عشر من «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لابن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه، ووافق الفراغ من نسخه في العشر الآخر من رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وسبع مئة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بالتقصير إبراهيم بن عبد العزيز، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الرابع عشر «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» السنة التاسعة والستون وخمس مئة.

السَّنة التاسعة والسُّتون وخَمس مئة

في يوم عاشوراء جَلَسَ محمد الطُّوسي بالتَّاجية، وقال على المنبر: إنَّ ابن مُلْجَم لم يكفر بقتل علي عليه السلام، فضُرِبَ بالآجُرِّ، وثار النَّاس، ولولا مَنْ كان حوله من الغِلْمان لقُتِلَ، فلما كان في اليوم الثَّاني من مجالسه فرشوا له المنبر ليجلس، فاجتمع الناس على باب التَّاجية، ومعهم قوارير النِّفْط ليحرقوه، وبعضهم في أيديهم الآجُر ليرجموه، فلم يحضر، فأحرقوا منبره، وأحضره نقيب النقباء، وأسمعه كلاماً غليظاً، فقال له: أنتَ نائبُ الدِّيوان، وأنا نائب الله في أرضه. فقال له النقيب: أنا نائبُ الدِّيوان وأنت نائب الشَّيطان. وأمر بأن [يجرَّ][1] برِجْله، وكتب إلى الخليفة يخبره [بما بدا منه][1]، فأمر [الخليفة][1] بنفيه، فنفي إلى الجانب الغربي، ثم خرج بعد مُدَّة إلى مِصْر، [وجرى له العجائب، وسنذكره][1].

وفيها كَتَبَ صلاحُ الدِّين إلى نور الدين يسأله ويستأذنه في إنفاذ جيشٍ إلى اليمن، فأَذِنَ له، فبعث أخاه تورانشاه شمسَ الدَّوْلة، فسار إليها في رجب، وكان بها عبد النَّبي ابن مهدي، ويلقب بالدَّاعي من أصحاب المِصْريين، وكان ظالماً فاتكاً، فحصره شمسُ الدَّولة في قصر زَبيد مدَّة، ثم طلب الأمان، فأَمَّنه، فلما نزل إليه قيَّده ووكل به، [فسار شمس الدولة][1]، ففتح صنعاء وحصون اليمن والمدائن، فيقال: إنَّه فتح ثمانين حِصْناً ومدينة، واستولى على أموالها وذخائرها، وقَتَلَ [الخارجي][1] عبدَ النَّبي [بن مهدي][1] وولى على زبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ [أبا الميمون، وكان من الفصحاء جواداً مُمَدَّحاً][1]، وعزّ الدين عثمان بن الزَّنجيلي على باقي البلاد.

وفيها أكثر نور الدِّين من الصَّدقات والصِّلات، وزاد في الأوقاف، وكسا اليتامى، وزوَّج الأرامل، وأغنى الفقراء، وكشف المظالم، بحيث لم يبق في بلاده مَظْلِمة [إلا ردَّها][1]، وبعث خالد بن محمّد بن القَيْسَراني أميناً على مال القَصْر، ومستوفياً لحواصل البلاد، فأكرمه صلاحُ الدِّين، وقال: نحن مماليكُ نورِ الدِّين، افعل ما أمرك إلا أنَّ جماعةً من الأكابر قد تصرَّفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم، ولا يرضون بأن

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ينقص ارتفاعها، فعَلِمَ خالدُ أنَّ طاعته إنما هي مخادعة ومراوغة، فسكتَ، ولم يشافهه، ومات نورُ الدين في شوَّال، وبَطَلَ ذلك الأمر.

وفيها قبضَ صلاحُ الدِّين على جماعةٍ من أعيان الدَّوْلة المِصْرية مثل داعي الدُّعاة، وعمارة اليمني [الشاعر][1] وغيرهما، بلغه أنهم يجتمعون على إثارة الفتن، واتفقوا مع السُّودان وكاتبوا الفرنج، وأنهم يريدون قَتْلَ صلاح الدِّين والغُزّ، ورتَّبوا مع السُّودان أن يثوروا [وينادوا][1] بشعار المِصْريين، وكان زين الدين بن نُجَيَّة الواعظ قد اطَّلعَ على ذلك، فخاف من صلاح الدين، فأنهى إليه الحال وما دبَّروا، فقبض عليهم، وقَتَلَ داعي الدُّعاة، وصلب عُمارة، [وسنذكره][1].

[فصل: وفيها توفي

أبو العلاء الهَمَذاني الحافظ[2]

واسمه الحسن بن أحمد بن الحسن العَطَّار، سافر إلى الأقطار في طلب الحديث، وقرأ القرآن واللغة، وعاد إلى هَمَذان، فأقام بها، وصنَّف الكُتُب، وكان حافظاً دَيِّناً، سخياً، وانتهى إليه عِلْمُ الحديث والقراءات، وكان له قَبُولٌ عظيم ومكانة عالية، وتوفي ليلة الخميس عاشر جمادى الأولى، ودفن في هَمَذَان وقد جاوز الثمانين.

رآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: نزل عليَّ الملكان، فقلت: على ماذا أتيتما؟ وصحتُ عليهما، فرجعا، ولم يقولا شيئاً][1].

وفيها توفي

عبد النَّبي بن مهدي[3]

قال المصنِّف رحمه الله: وقعتُ على تاريخ بمصر، فرأيتُ فيه أنَّ شمس الدَّولة لما سار إلى اليمن، وكان أعيانُها قد كتبوا إلى صلاح الدِّين يسألونه أن يبعث إليهم بعضَ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٤٨، و«معجم الأدباء»: ٨/ ٥-٥٢ و«الكامل»: لابن الأثير ١١/ ١٦٧، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٠-٤٧ و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ١٠٠-١٠٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد»: ٢٩٩-٢٣٧، و«كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٧٢-٢٧٥، ٣٦٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٨٢-٥٨٣، و«الوافي بالوفيات»: : ١٩/ ٢٤٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

أهله، فلما وصل شمسُ الدولة إلى مكَّة صَعِدَ صاحبُها إلى أبي قُبَيْس، فتحصَّن منه بقلعةٍ بناها عليه، وأغلق بابَ الكعبة، وأخذ المفاتيح، فجاء شمسُ الدولة، فطاف بالبيت، وصلَّى رَكعتين، وصَعِدَ إلى باب الكعبة، وقال: اللهم إنْ كنتَ تعلم أني جِئْتُ إلى هذه البلاد لإصلاح العِباد وتمهيدها، فيسِّر عليَّ فتح هذا الباب، وإنْ كنتَ تعلم أني جئتُ لغير ذلك فلا تفتحه. ومدَّ يده، فجذب القُفْل فانفتح، فدخل [شمس الدولة][1] إلى البيت، فصلَّى ودعا، فلما بلغ أمير مكة ذلك نزل إلى خدمته، وحمل المفاتيح، واعتذر، وقال: خفتُ منك، والآن فأنا تحت طاعتك. فقال له: إذا أخذتُ منك المفاتيح، فلمن أُعطيها؟ ثم خلع عليه وعلى أصحابه، وطيَّب قلبه، وسار إلى اليمن، فانهزم عبد النّبي بين يديه إلى زَبيد.

وكان أبوه مهدي قد فتح اليمن وقتل خَلْقاً كثيراً، وشقَّ بطون الحوامل، وذَبَحَ الأطفال على صدور أُمهاتهم، وكان يرى رأي القرامطة، ويُظْهر أنَّه داعية لصاحب مِصْر، ويتستَّر بالإسلام. وكان قد مات قبل دخول شمس الدولة اليمن بسنين، وملك بعده ولدُه عبد النبي، ففعل باليمن أشدَّ مما فعل أبوه وسبى نساءهم، واستعبدهم، وكان أبوه لما مات بنى عليه قُبَّة عظيمة، وصفَّح حيطانها بالذَّهب [الأحمر][1] والجواهر [ظاهراً][1] وباطناً بحيث لم يُعمل في الدُّنيا مثلُها، وجَعَلَ فيها قناديلَ الذهب وستور الحرير، ومَنَعَ أهلَ اليمن من زَبيد إلى حضرموت أن يحجوا إلى الكعبة، وأمرهم بالحجِّ إلى قبر أبيه، فكانوا يحملون إليها من الأموال في كلِّ سنة ما لا يُحَدُّ ولا يحصى، ويطوفون حولها مثلما يطاف بالكعبة، ومن لم يحمل مالاً قتله، وكانوا يقصدونها من السَّحَر، فاجتمع فيها أموالٌ عظيمة.

وأقام عبد النبي على الظُّلْم والفِسْق والفجور وذَبْحِ الأطفال وسَفْكِ الدِّماء وسبي النِّساء، إلى أن دخل شمسُ الدولة إلى اليمن. وجاء إلى زَبيد، فيقال: إنَّه حَصَرَ عبد النَّبي فيها، وأَمَّنه وقيَّده وقتله [وقد ذكرناه][1].

ويقال: إنَّه انهزم بين يديه وجاء إلى قبر أبيه والقُبَّة فهدمها، وأخذ ما كان فيها من المال والجواهر والفِضَّة، فكان على ست مئة جمل، ونبش القبر، وأحرق عظام أبيه

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وذَرَاها في الرِّيح، ومضى إلى صنعاء، فحلف شمسُ الدَّولة لا ينتهي عنه حتى يقتله ويحرقه كما فعل بأبيه، وسار خَلْفه، فرجع إلى زبيد، وعاد شمس الدولة إليها فظفر به، فأخذ ما كان معه، وقتله وصلبه وحَرَقه كما فعل بعظام أبيه.

عُمارة اليمني ابن الحسن[١]

[أبو حمزة الشاعر][٢].

قلت[٣]: وقال القاضي شمس الدولة ابن خَلِّكان قاضي القضاة رحمه الله: هو أبو محمَّد عُمارة ابن أبي الحسن علي بن زيد بن بدران بن أحمد بن محمَّد بن سليمان الحَكَمي[٤]، الملقب نجم الدِّين، الشَّاعر، بلغ الحُلم سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة، وشُنق يوم السبت ثاني رمضان سنة تسعٍ وستين بالقاهرة[٥] ـ وهو من جبال اليمن من مدينة مُرْطان، بينها وبين مكة في مهبِّ الجنوب أحد عشر يوماً[٦].

وهو من قحطان من ولد سَعْد العشيرة، كان فقيهاً فصيحاً، أقام بزبيد مدَّةً يُقرأ عليه مذهب الشَّافعي رحمة الله عليه، وله في الفرائض مصنَّف مشهور باليمن، واستحلفه أبوه أن لا يهجو أحداً، ومدح المِصْريين[٧]، فقرَّبوه، وأعطوه الأموال، وكان عندهم بمنزلة الوزير، وخَدَمَ الملكة أم فاتك صاحب زبيد، وحجَّ معها، فحصل له مالٌ عظيم، ثم طرأت أمور باليمن اقتضت خروجه منها في سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة، ومات فيها أمير الحرمين هاشم، فكلَّفه ولده قاسم السِّفارة له عند الدولة المصرية، فقَدِمَ مِصْر سنة خمسين وصاحبها الفائز بن الظَّافر والوزير طلائع بن رُزِّيك، فدخل عليهما، ومدحهما بقوله: [من البسيط]

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣/ ١٠١-١٤١، و«الروضتين»: ٢/ ٢٨٢-٣٠٥، و«مفرج الكروب»: ١/ ٢١٢-٢٣٨، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٣١-٤٣٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٩٢-٥٩٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته. وفي كتابه «النكت العصرية» أطراف من سيرته الذاتية، ومقطعات من شعره.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وكذا سماه السِّبْط وكنَّاه.

(٣) القائل هو قطب الدين اليونيني، مختصر مرآة الزمان.

(٤) انظر الاختلاف في نسبه في حواشي «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٣١-٤٣٢.

(٥) «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٣١، ٤٣٥.

(٦) إلى هنا ينتهي النقل من «وفيات الأعيان».

(٧) في (م) و(ش): ذكره العماد في «الخريدة»، وقال: مدح المصريين ـ قلت: وليس الخبر في «الخريدة».

الحمدُ للعِيْس بعد العَزْم والهِمَم حَمْداً يقوم بما أولَتْ من النِّعَم
لا أجحد الحقَّ عندي للرِّكابِ يدٌ تمنَّتِ اللُّجْمُ فيها رُتْبَةَ الخُطُمِ
قرَّبْنَ بُعْدَ مزار العِزِّ من نَظَري حتى رأيتُ إمام العَصْرِ من أَمَمِ
ورُحنَ من كعبة البَطْحاءِ والحَرَمِ وفداً إلى كعبة المعروف والكَرَمِ
فهل درى البيتُ أني بعد فُرْقته ما سرتُ من حَرَمٍ إلا إلى حَرَمِ
حيث الخلافةُ مضروبٌ سُرادِقُها بين النَّقيضين من عَفْوٍ ومن نِقَمِ
وللإمامةِ أنوارٌ مقدَّسةٌ تجلو البغيضين من ظُلمٍ ومن ظُلَمِ
وللنبوَّةِ آياتٌ تنصُّ لنا على الخفيين من حُكْمٍ ومن حِكَمِ
وللمكارمِ أعلامٌ تعلِّمنا مَدْحَ الجزيلين من بأسٍ ومن كَرَمِ
وللعُلا ألسنٌ تُثْني محامدها على الحميدين من فِعْلٍ ومن شِيَمِ
ورايةُ الشَّرف البذَّاخِ ترفَعُها يدُ الرَّفيعين من مجدٍ ومن هِمَمِ
أقسمتُ بالفائز المعصوم معتقداً فوزَ النَّجاةِ وأَجْرَ البِرِّ في القَسَمِ
لقد حمى الدِّينَ والدُّنيا وأهلَهما وزيرُه الصَّالحُ الفرَّاجُ للغُمَمِ
اللابس الفَخْرَ لم تَنْسُجْ غلائلَه إلا يدُ الصَّنْعتين السيفِ والقلمِ
وُجُودُه أوجد الأيام ما اقترحتْ وَجُودُه أعدَمَ الشَّاكين للعَدَمِ
قد ملَّكَتْه العَوَالي رِقَّ مملكةٍ تعيرُ أنفَ الثُّريا عزَّةَ الشَّمَمِ
أرى مقاماً عظيمَ الشَّأنِ أوْهَمني في يقظتي أنَّها من جُمْلة الحُلُمِ
يومٌ من الدَّهر لم يَخْطُرْ على أملي ولا ترقَّتْ إليه رَغْبَةُ الهِمَمِ
ليتَ الكواكبَ تدنو لي فأنظِمَها عقودَ مَدْحٍ فما أرضى لكم كَلِمي
ترى الوِزارةَ فيه وهي باذِلةٌ عند الخلافة نُصْحاً غير متَّهمِ
عواطِفٌ علَّمتنا أنّ بينهما قرابةً من جميل الرَّأي لا الرَّحِمِ
خليفةٌ ووزيرٌ مدَّ عَدْلُهما ظِلاً على مَفْرِقِ الإسلامِ والأُمَمِ
زيادةُ النِّيل نَقْصٌ عند فيضهما فما عسى نتعاطى مِنَّةَ الدِّيَمِ

[وهي قصيدة في نفسها نفيسة إلا أن قوله "الحمد للعيس" فإنها لفظة غير رئيسة، لأن الحمد لا ينبغي إلا لعز الله وجلاله، وكبريائه وكماله، فلما أنشده القصيدة خلع

عليه الفائز، وأضافه إلى الأعيان وكبراء الدولة][١] مثل أبي المعالي بن الجبّاب الجليس والموفق أبي الحجاج يوسف بن الخلال [وقدمه وأكرمه ، وكان يستشيره، وله مدائحُ كثيرةٌ في الخلفاء، والوزراء والملوك، وشاور والصالح بن رُزِّيك وشمس الدولة تورانشاه، وأكثر مدائحه فيه، ومدح نور الدين وصلاح الدين، وقد وقفت على ديوانه وذكرت منه هاهنا من الحوادث ما يليق بزمانه، ولما قتل الصَّالح بن رُزِّيك رثاه، فقال ـ وقد نقل تابوته من دار الوزارة إلى القرافة، فدفن في تربته، فقال[١]]: [من الكامل]:

خَرِبَتْ ربوعُ المكْرُماتِ لراحلٍ ... عَمَرَتْ به الأجداثُ وهي قِفارُ
نَعْشُ الجدود العاثرات مُشَيَّعٌ ... عَمِيَتْ برؤيةِ نَعْشه الأَبْصارُ
شَخَصَ الأنامُ إليه تحت جِنازةٍ ... خُفِضَتْ برفعة قَدْرِها الأقدارُ
وكأنَّه تابوت موسى أُودِعتْ ... في جانبيه سكينةٌ ووَقارُ
وتغاير الحَرَمان والهَرَمانِ في ... تابوته وعلى الكريم يُغارُ
أحْلِلْتَ دارَ كرامةٍ لا تنقضي ... أبداً وحلَّ بقاتليك النَّارُ
غَضِبَ الإله على رجالٍ أقدموا ... جَهْلاً عليك وآخرين أشاروا
لا تعجبوا لقُدارِ ناقةِ صالحٍ ... فلكلِّ عَصْرٍ ناقةٌ وقُدارُ[٢]

وقال يرثيه: [من الطويل]

سمعتُ حديثاً أحْسُدُ الصُّمَّ عنده ... ويَذْهَلُ واعِيه ويَخْرَسُ قائِلُهْ
وقد رابني من شاهد الحال أنَّني ... أرى الدَّسْتَ منصوباً وما فيه كافِلُهْ
وأنِّي أرى فوقَ الوجوه كآبةً ... تَدُلُّ على أنَّ الوجوه ثواكِلُهْ
ولم لا نبكِّيه ونندُبُ فَقْدَهُ ... وأولادُنا أيتامُه وأرامِلُهْ

وقال يمدح شمس الدولة ويحرِّضه على اليمن، [وقيل: هذه الأبيات كانت سبباً لمسير شمس الدولة إلى اليمن][٣]: [من البسيط]

---

(١) في (ح): «فخلعا عليه، وأضافه الفائز إلى كبراء الدولة، وقدمه وأكرمه، وكان يستشيره، وأضافه إلى الأعيان مثل أبي المعالي بن الجباب الجليس والموفق أبي الحجاج يوسف ابن الخلال والوزراء والملوك. وقال: وقد نقل تابوت الصالح من دار الوزارة إلى القرافة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو قدار بن سالف الذي يقال له أحمر ثمود، عاقر ناقة صالح عليه السلام، انظر اللسان (قدر).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

العِلْمُ مُذْ كان محتاجٌ إلى العَلَمِ ... وشَفْرَةُ السَّيْفِ تستغني عن القَلَمِ
وخير وصْفِكَ إنْ غامرتَ في شَرَفٍ ... عزمٌ يفرِّقُ بين السَّاقِ والقَدَمِ
إنَّ المعالي عروسٌ غير راضيةٍ ... إنْ لم تخلّقْ رداياها برَشْحِ دَمِ
كم يترك البيض في الأجفان ظامئةً ... إلى الموارِدِ في الأعناق والقِمَمِ
ومُقلَةُ المَجْدِ نحو العِزِّ شاخِصةٌ ... فاتركْ قعودَك عن حوماتها وقُمِ
أمامَكَ الفَتْحُ من شامٍ ومن يَمَنٍ ... فلا تَرُدَّ رؤوسَ الخيل باللُّجُمِ
فعمُّك الملك المنصور سوَّمها ... من الفرات إلى مِصْرٍ بلا سأمِ
هذا ابنُ تُومَرْتَ قد كانت بدايتُهُ ... كما يقولُ الورى لحماً على وَضَمِ
قد كان أوَّل هذا الدِّين من رَجُلٍ ... سعى إلى أن دَعوه سيِّدَ الأُمَمِ

قال العماد [الكاتب في «الخريدة»][1]: اتفقتْ لعمارة اتفاقاتٌ عجيبة، منها أنَّه نُسِبَ إليه قولُ هذا البيت، فكان أحدَ أسباب قَتْله، ويجوز أن يكون معمولاً عليه، ثم قال: فَقُطِعَ الطريق على عُمارة، واعتيض بخرابة عن العِمارة، فأفتى فقهاءُ مِصْر بقتله، وحرَّضوا السُّلْطان على المُثْلة بمِثْله[2].

ثم قال عمارة: [من البسيط]

وما رضيتُ بوَجْهي أنْ أجودَ به ... على بخيلٍ ولا استسمنت ذا وَرَم
حاشا عوائدك الحُسْنى تنامُ لها ... أجفانُ عينٍ وعينُ الله لم تَنَمِ

من أبيات.

ذكر مقتله: واختلفوا فيه على أقوال، [أحدها][1] أنَّ سببه قوله هذا البيت، وكان في قلب صلاح الدين منه، لأنَّه نُقل إليه عنه أنَّه سعى في الدولة، [وسنذكره][1].

والثَّاني: أنه رثى أهل القَصْر بمرثية عرَّض فيها بصلاح الدِّين، فقال: [من البسيط]

رميت يا دَهْرُ كفَّ المَجْدِ بالشَّلَلِ ... وجِيْدَه بعد حُسْن الحَلْي بالعَطَلِ
سَعَيْتَ في منهج الرأي العثور فإنْ ... قَدَرْتَ من عَثَرات السَّعْي فاسْتَقِلِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٣/ ١٠٤ .

جَدَعْتَ مارِنَك[1] الأقنى فأنفك لا ... ينفكُّ ما بين نقْصِ الشَّين والخَجَلِ
هَدَمْتَ قاعدة المعروفِ عن عَجَلٍ ... سُقيتَ مُهْلاً[2] أما تمشي على مَهَلِ
قَدِمْتُ مِصْرَ فأوْلتني خلائِفُها ... من المكارمِ ما يُرْبي على الأمل
قومٌ عَرَفْتُ بهم كَسْبَ الألوف ومِنْ ... كمالها أنَّها جاءت ولم أَسَلِ
وكنتُ من وزراء الدَّسْت حيث يرى ... رأس الحِصانِ يهاديه على الكَفَلِ
يا عاذلي في هوى أبناءِ فاطمةٍ ... لك المَلامةُ إن قَصَّرْتَ في عَذَلي
بالله زُرْ ساحةَ القَصْرَيْنِ وابكِ معي ... عليهما لا على صِفِّيْنَ والجَمَلِ
وقل لأهلهما واللهِ ما التحمت ... فيكم جروحي وما قَرْحي بمُنْدَمِلِ
ماذا تَرَى كانتِ الإفرنجُ فاعلةً ... في نَسْلِ آل أميرِ المؤمنين علي
هل كان في الأمر شيءٌ غير قسمة ما ... مُلِّكْتُمُ بين حُكْم السَّبْي والنَّفَلِ
مررتُ بالقَصْر والأركانُ خاليةٌ ... من الوفودِ وكانت قِبْلَةَ القُبَلِ
فملتُ عنها بوجهي خوفَ مُنْتَقِدٍ ... من الوشاة ووَجْه الوُدِّ لم يَمِلِ
أَسْبَلْتُ من أسفٍ دمعي غَدَاةَ خَلَتْ ... رحابُكُمْ وغَدَتْ مهجورةَ السُّبُلِ
أبكي على مأثُراتٍ من مكارِمِكُمْ ... حالَ الزَّمانُ عليها وهي لم تَحُلِ
دارُ الضِّيافةِ كانت أُنْسَ وافِدِكُمْ ... واليومَ أَوْحَشُ مِنْ رَسْمٍ ومن طَلَلِ
وكسوة النَّاس في الفَصْلَيْن قد دَرَسَتْ ... ورَثَّ منها جديدٌ عنهمُ وبلي
وأوَّلُ العام والعيدان كم لكُمُ ... فيهنَّ من وَبْلِ[3] جُودٍ ليس بالوَشَلِ
وموسم كان في يوم الخليج لكم ... تمشي العرائس في حلي وفي حلل
والأرضُ تهتزُّ في يوم الغدير كما ... يهتز ما بين قصريكم مِنَ الأسَلِ
كانت رواتبكم للمؤمنين وللضَّـ ... ـيف المقيم وللطَّاري من الرُّسُلِ
وما خَصَصْتُمْ بهذا أهلَ مِلَّتِكُمْ ... حتى عَمَمْتُمْ به الأقصى من المِلَلِ
وللجوامع من أَحْباسِكُمْ نِعَمٌ ... لمن تصدَّر في فَضْلٍ وفي عَمَلِ

(١) المارن: ما لان من الأنف. «اللسان» (مرن).
(٢) المهل: القيح والصديد. «اللسان» (مهل).
(٣) الوبل: المطر الشديد الضخم القطر: «اللسان» (وبل).

وبانوا فكم دمعٍ من الأَسْرِ أطلقوا ... نجيعاً وكم قلبٍ أعادوا إلى الأَسْرِ
فلا تُنْكِروا خَلْعي عِذاري تأسُّفاً ... عليهمْ فقد أوضحتُ عندكُمُ عُذْرِي[(١)]

وقال: [من السريع]

يا قلبُ هل يَرْجعُ دَهْرٌ مضى ... يجمَعُنا يوماً بوادي الغضا
وباجتماع الشَّمْلِ يَقْضي لنا ... مَن كان بالبَيْنِ علينا قضى
فتصبحُ الآمالُ مُخْضَرَّةً ... فيهمْ وقد هَبَّ نسيمُ الرِّضا
ويرجعُ الوَصلُ إلى وَصلِنا ... ويصبحُ الإعراضُ قد أَعْرَضَا[(٢)]

وقال: [من الطويل]

بدا لك سِرٌّ طال عنكَ اكْتِتامُهُ ... ولاح صباحٌ كان منك ظلامُهُ
وأنت حجابُ القَلْبِ عن سِرِّ غَيْبِهِ ... ولولاك لم يُطْبَعْ عليه[(٣)] خِتامُهُ
وإن غِبْتَ عنه حَلَّ فيه وطَنَّبَتْ ... على مَنْكِبِ الكَشْفِ المَصُونِ خيامُهُ
وجاء حديثٌ لا يُمَلُّ سماعُهُ ... شَهِيٌّ إلينا نثرُهُ ونِظامُهُ[(٤)]

وقال: [من مجزوء الخفيف]

قد رَجَعْنا إلى الوَفا ... وانقضتْ مُدَّةُ الجفا
والذي كدَّرَ الوِصا ... لَ مِنَ الصَّدِّ قد صَفا[(٥)]
سُخْطُكُم كان عِلَّتي ... ورضاكُمْ هو الشِّفا
أَرْشِدُوني بنظرةٍ ... قد سَئِمْنا التعَسُّفا[(٦)]

وقال: [من مجزوء الوافر]

بقلبي منهمُ عُلَقُ ... ودمعي فيهمُ عَلَقُ

---

(١) «الخريدة» ٢/ ٣١٠.
(٢) «الخريدة»: ٢/ ٣١١.
(٣) في (ع): عليك، والمثبت من «الخريدة».
(٤) «الخريدة»: ٢/ ٣٠٩.
(٥) في (م) و(ش):
والذي كدَّرَ الصُّدو ... دُ من الوصل قد صفا
وهو الموافق للخريدة.
(٦) «الخريدة»: ٢/ ٣١٤.

وعـــنـــديَ مـــنـــهـــمُ حُـــرَقُ لـــهـــا الأحـــشـــاءُ تـــحـــتـــرقُ
ونـــحـــنُ بـــبـــابـــهـــمْ فِـــرَقٌ أذابَ قـــلـــوبَـــنَـــا الـــفَـــرَقُ
ومـــا تـــركـــوا ســـوى رَمَـــقـــي فَـــلَـــيْـــتَـــهُـــمُ لـــه رمـــقـــوا[1]
فـــلا وَصـــلٌ ولا طَـــمَـــعٌ[2] ولا نَـــــــــــوْمٌ ولا أَرَقُ
ولا يـــــأسٌ ولا أَمَـــــلٌ[3] ولا صَـــبـــرٌ ولا[4] قَـــلَـــقُ

وقال: [من مجزوء الكامل]

وافـى الـنَّـسـيـمُ بـنـفـحـةٍ نَـشِـطَـتْ فـؤادي مـن عِـقـالِ
مِـسْـكِـيَّـةٌ أنـفـاسُـهـا تُـهْـدي الـذَّكـاءَ إلـى الـغَـوَالِ
واسْـتَـعْـجَـمَـتْ أنـفـاسُـهـا فـسـألـتُ أصـحـابـي وآلـي
عـنـهـا فـحـاروا فـي الـجـوا بِ ومـا شَـفَـوْا قَـرَمَ الـسُّـؤالِ
فـسـألـتـهـم[5] لـمـا رأيـ ـتُ حـجـابـهـم عَـمَّـا بـدا لـي
هَـمَّ الـحـبـيـبُ بـأنْ يـزو رَ وهـذه ريـحُ الـوِصَـالِ[6]

[وقال [من الطويل]

أسـكـانَ نَـعْـمـان الأراكِ تَـيَـقَّـنـوا بـأنَّـكُـمُ فـي رَبْـعِ قـلـبـيَ سُـكَّـانُ[7]]

وقال: [من السريع]

واحَـسْـرتـي إذْ رحـلـوا غُـدْوةً ولا أُرى فـي جُـمْـلَـةِ الـظَّـاعـنـيـنْ
قـد قُـلْـتُ لـمَّـا رَحَّـلُـوا عِـيْـسَـهُـمْ يـا لـيـتـنـي كـنـتُ مـع الـرَّاحـلـيـنْ

(١) في (ع): لي رمق، والمثبت من «الخريدة».
(٢) في «الخريدة»: فلا وصل ولا هجر.
(٣) في «الخريدة»: ولا يأس ولا طمع.
(٤) في (ع): يلي، والمثبت من «الخريدة»: ٢/ ٣١٥.
(٥) في (ع): فماجيتهم، والمثبت من «الخريدة».
(٦) «الخريدة»: ٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣.
(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر تتمة الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٣١٩، وقد أوردها ابن خلكان في ترجمة أبي بكر بن الصائغ الأندلسي، وتردد في نسبتها إليه، وقد وجدها كذلك في «ديوان ابن حيوس» [٢/ ٦٤٥]، انظر «وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٣٠.

واخَجْلَتي إذْ لم أُطِقْ بَعدَهُمْ تَصبُّراً مِنْ نَظَرِ الشَّامتينْ
ما حِيْلَتي إذْ حالتي بَعدَهُمْ حالُ شِمالٍ فارَقَتْها يمينْ(١)

يحيى بن علي بن الحسن(٢)

أبو سَعد، الحُلْواني، أحدُ أئمَّة الشَّافعية، [تفقه على أبي إسحاق الشيرازي، ودرس بالنظامية، وذكره ابن السمعاني في «الذيل» فحكى عنه العماد في «الخريدة» قال: خرج أبو سَعد](٣) من بغداد في رسالة [إلى ما وراء النهر إلى ملكها](٣) محمد بن سليمان المعروف بأرسلان خان ملك ما وراء النهر في أواخر رجب [سنة عشرين وخمس مئة](٣)، فتوفي هناك، وقد كان فقيراً.

ومن شِعْره: [من الطويل]

مررتُ بخبَّازٍ أُحاوِلُ حاجةً مُدِلًّا عليه أيْ بأنيَ عالِمُ
فلمَّا رآني قال أهْلاً ومَرْحباً ظَفِرْتَ بما تهوى فأينَ الدَّراهِمُ
فقلتُ معي فَضْلٌ وعِلْمٌ وخاطري يجيشُ فُصولاً كلُّها لي لوازِمُ
فقال ومَنْ هذي الذَّخائِرُ عنده يحاولُ عندي حاجةً ويساوِمُ
لعمريَ لو بِعْتَ الجميعَ بلُقْمَةٍ لما كنتُ مِمَّن في الشِّراءِ يخاصِمُ

السَّنة الحادية والعشرون وخمس مئة(٤)

فيها في المحرَّم جاء عسكرُ السُّلْطان محمود إلى باب النُّوبي ليدخلوا إلى دار الخليفة، فمنعتهم خاتون بنت السُّلطان، فجاؤوا إلى باب الغَرَبَة، فكسروه، ودخلوا إلى التّاج، فنهبوا دار الخليفة، وخَرَجَ الجواري حاسراتٍ يَلْطِمْنَ، فَدَخَلْنَ دارَ خاتون، وأُخْبِرَ الخليفة، فخرج من سُرادِقه، والوزير ابنُ صدقة بين يديه، وأمر العسكر فَعَبروا،

(١) «الخريدة»: ٢/ ٣١٩.
(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٤/ ١٩٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥١٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣ _ ٣٣٤، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٤٣٢.
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) من هنا تبدأ نسخة أحمد الثالث ذات الرقم (٢٩٠٧)، وقد رمزتُ لها بالحرف (ح).

وسَبَحَ العَيَّارون، وعَسْكر السُّلْطان مشغولون بالنَّهْب، وفي دار الخليفة منهم نحو ألف رجل، فلما رأَوْا عسكرَ الخليفة قد عَبَروا إليهم، ذَلُّوا وانهزموا، ووقع فيهم السيف، واختفوا في السَّراديب، فَقَتَلَ عسكرُ الخليفة منهم جماعةً، وأسروا، وكان فيهم أُمراء، ونَهَبَ العوام دورَ أصحاب السُّلطان ووزيره [ودار العزيز أبي نصر المستوفي، وأبي البركات الطبيب][1]، وكان عنده ودائع، فأُخذت من داره ما مبلغه وقيمته ثلاث مئة ألف دينار، وهَرَبَ أصحابُ السُّلْطان، وقُتِلَ منهم عِدَّة وافرة في الدُّروب والمضايق، والخليفة والوزير مقيمان في الجانب الغَرْبي حتى نقل الحُرَمَ من الحريم الطّاهري، ثم عَبَرَ الخليفة إلى داره يوم السبت سابع المحرَّم، ومعه العساكر، وحرسوا المضايق، والقتالُ يعمل إلى يوم عاشوراء، وتردَّدَتِ الرَّسائلُ بين الخليفة والسُّلْطان، وقال السلطان: ابعث من يُحَلِّفني. فمالَ الخليفةُ إلى الصُّلْح، وبَعَثَ قاضي القضاة الزَّيْنبي نيفاً وثلاثين شاهداً، فحبسهم السُّلطان عنده ستة أيام، فيئس الناس من الصُّلْح، وعادوا إلى حَفْرِ الخَنادق، وقُسِمَتِ المَحالُّ على المقدَّمين، وأجفل أهلُ الجانب الغربي خوفاً مِمَّا أسلفوا من شَتْمِ السُّلْطان، فإنهم بالغوا، وكانوا يقولون: يا باطني، لما لم تقدر على غَزْوِ الرُّوم جئت تغزو الخليفة والمسلمين!

ودخل يرنقش الزَّكوي على السُّلْطان، فأَغْراه بالنَّاس، فَنَفَرَ فيه، وقال: أنت قَصدُك هلاك الإسلام ونهب المسلمين، وتريد مني أن أُغَيِّر القِبْلة.

ثم تقدَّم في وقته بإحضار قاضي القُضَاة والعدول، فَصَلَّى القاضي بالسُّلْطان المغرب، وسَلَّم عليه، فأَذِنَ له في الجلوس، وقُرِئَ عليه مكتوبُ الخليفة، فقام وقَبَّلَ الأرض، وقال: سَمْعاً وطاعةً لأمير المؤمنين. ولم يخالف في شيء مما اقترح عليه، وحَلَفَ، وشَرَطَ على الخليفة أن لا يستخدم العساكر، ويعود إلى الحالة الأُولى. فطابتْ قلوبُ النَّاس، وفُتحت العقود، وطُمَّتِ الخنادق، ودَخَلَ [أصحاب][2] السُّلْطان البلد، وجعلوا يقولون: لنا ثلاثة أَيَّامٍ ما أكلنا الخُبْز، ولولا الصلح لمتنا

(١) ما بين حاصرتين من (ح)، ولفظ: دار مثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٢.
(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

جوعاً. وكان الخبز في الحريم رخيصاً، وفي عسكر السلطان غالياً، فما رُؤي سُلْطاناً حاصر بلداً هو المحصور إلا هذا، وظهر من السُّلْطان حِلْمٌ وافر عن العوام، وطلب أصحابُ السُّلْطان من الخليفة ما نُهِبَ من دورهم، فقبض على عالم كثير من العوام، واسترجع منهم البعض، ثُمَّ بَعَثَ الخليفة إقبال الخادم وابن الأنباري وابن الصَّاحب إلى السُّلْطان بخيلٍ كثيرة وبغالٍ وجواشن وتخوت ثياب، وأنزل الوزير ابن صدقة في الزَّبزب، والكلُّ بين يديه في السُّفن، وصَعِدوا إلى دار السُّلْطان، وكان يوماً عظيماً، فدخلوا إلى السُّلْطان فقام، وقَبَّل الأرض، ودعا للخليفة. وجاء وزير السُّلْطان إلى الخليفة، فأكرمه كرامةً لم يُكْرَم بها قَطُّ وزير.

ومَرِضَ السُّلْطان مرضاً صَعْباً، فبعث إليه الخليفةُ بمالٍ وشراب، وأدويةٍ وألطاف، فَصَلُحَ، ثم انتكس وأُرجف عليه، وكان الخليفة قد هَيَّأ له الخِلَع، فمنعه المرض، وأشار عليه الطبيب بالخروج من بغداد، فبعث الخليفة إليه بالخِلَع وهو مطروحٌ على جنبه، فأُرميت عليه.

وقيل: إنَّ سبب مرضه أنَّه ركب يوماً في ميدان الحلبة، فأصابه غَشْي، فَسَقَطَ من فرسه، وحُمِلَ إلى داره، فأُرجف بموته وحُمِلَ في مِحَفَّةٍ، وأَمَرَ أَنْ يُمَرَّ به تحت منظرة الخليفة، فلما وَصَلَ إليها أمر أنْ يُحَطَّ هناك، وبَعَثَ إلى الخليفة يقول: ما أصابني هذا إلا عقوبة لما بدا مني، وأسأل العفو، وأن لا تدعو عليَّ. فأجابه الخليفة، وطَيَّبَ قلبه.

وسار إلى الجبل ثاني عشرة ربيع الآخر، وولَّى شحنكيَّة بغداد بِهْرُوز الخادم، وولى المَوْصِل زَنْكي بن آق سُنْقُر، فلمَّا وَصَلَ السُّلْطان هَمَذَان جاءته رسل سنجر تلومه على ما فَعَلَ ببغداد، وتقبِّحُ عليه ذلك، وبَعَثَ سنجر إلى الخليفة رسولاً يعتذر إليه مما جرى من محمود[1].

وفي هذه الواقعة يقول الأَرَّجاني[2] من قصيدة: [من البسيط]

لقد رأى اللهُ ما أبدى خليفَتُهُ ... وما أعادَ من الأَمْرِ الذي اشتهرا
خلافةٌ ورَّثتها السَّابقونَ له ... وراثةً قد نَفَوْا عن صَفْوِها الكَدَرا

---

(١) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٢ ـ ٥، و«الكامل»: ١٠/ ٦٣٥ ـ ٦٣٨.

(٢) هو أحمد بن محمد، أبو بكر الأرجاني، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤ هـ) من هذا الكتاب.

سَفَّاحُهُمْ بعدَهُ المنصورُ يَتْبَعُهُ الـ ـمهديُّ، ثُمَّ اقتفى الهادي له الأثرا
ثُمَّ الرَّشيدُ وأبناءٌ له نُجُبٌ ثلاثةٌ للهُدَى أَعْزِزْ بهم نَفَرا
أمينُ مُلْكٍ ومأمونٌ ومُعْتَصِمٌ وواثِقٌ وكفى فَخْراً بِمَنْ فَخَرا
ومَنْ تَوَكَّلَ فيما قد تَقَلَّده ومَنْ دَعُوه لأَمْرِ الله مُنْتَصِرا
ومستعينٌ له المُعْتَزُّ مرتَدِفٌ والمهتدي بَعدَهُمْ أبقى له سِيَرا
وقامَ مُعْتَمِدٌ يتلوه مُعْتَضِدٌ ومكتفي مُعْقِبٌ للمُلْكِ مُقْتَدِرا
والقاهر القَرْمُ(١) والرَّاضي ومتقياً فاذْكُرْ ومستكفياً مِنْ بعده ذُكرَا
ثُمَّ المطيعُ يليه الطَّائع ارْتَفَعَتْ عَلْياه بالقادر العالي إذا قَدَرا
وقائِمٌ قد تلاه مُقْتدي سَبَقَا أيام مستظهرٍ بالله قد ظَهَرا
عشرون يَتْبَعُهُمْ منهم ثمانيةٌ كانوا المنازِلَ والمسترشدُ القَمَرا(٢)

وفيها عند خروج السلطان من بغداد سار زَنْكي إلى المَوْصِل، وقُتِلَ ابن البُرْسُقي، لما قُتِلَ ولي ابنُه مسعود المَوْصِل، فلما دخل السُّلْطان محمود بغداد اتَّفق القاضي بهاء الدين الشَّهْرُزُوري ونصير الدِّين جَقَر(٣) وصلاح الدين محمد الياغبساني(٤) على النزول إلى بغداد، فأخذوا أموالاً كثيرة، وانحدروا ليخدموا بها السُّلْطان محمود ليقرَّ مسعود ابن البُرْسُقي على ولاية المَوْصِل(٥)، فلما وصلوا ارتأَوْا وقالوا: هذا صبيٌّ، وربما لا يقوم بالأمر فيكون عيباً علينا، فقالوا: حتى نجتمع بابنِ قسيم الدَّوْلة زَنْكي بن آق سُنْقُر، وكان شحنة بغداد في تلك السَّنة. فاجتمعوا به، واستحلفوه على أن يكون القاضي بهاء الدين قاضي قُضاة البلاد والأمور الدينية إليه، وتقدمة العساكر لصلاح الدِّين، وولاية البلد وغيره لنصير الدين، فَحلَفَ لهم، وتقرَّرَ الأمر، وقَدَّموا المال

---

(١) القرم من الرجال: السيد المعظَّم. «اللسان» (قرم).

(٢) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء أهل فارس: ٣/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) في (ع) و(ح)، جعفر، وهو تحريف، والمثبت من «وفيات الأعيان» ١/ ٣٦٤-٣٦٦، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ١١٦ بتحقيقي.

(٤) في (ع) و(ح): الثعلباني، وهو تحريف، والمثبت من «كتاب الروضتين»: ١/ ١١٥.

(٥) في هذا القول وهم، إذ إن مسعوداً ولي بعد مقتل أبيه آق سنقر البرسقي، ثم ما لبث أن توفي، فولي بعده أخ له صغير، ومن ثم جرى له ما جرى، انظر تفصيل ذلك في «كتاب الروضتين»: ١/ ١١٥ ـ ١١٦، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٦٤٣، وانظر ص٢٠٨ من هذا الجزء.

للسُّلْطان، فأجابهم إلى ذلك، وبعث مع زنكي ابني السُّلْطان ألب رسلان والخفاجي، وجعله أتابكهما، فدخل المَوْصِل في هذه السنة. وقيل: في سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة.

وفيها وردتِ الأخبارُ أَنَّ السُّلْطان محموداً لما وصل هَمَذَان قَبَضَ على العزيز وصادره واعتقله، وعلى وزيره أيضاً، وسببه أَنَّ الوزير تكلَّم في العزيز، ويرنقش الزَّكوي تكلَّم في الوزير، وقال للسُّلْطان: هذا أَخَذَ الأموالَ من الخليفة، واتفق مع وزيره ابن صَدَقَة على أن يُرَحِّلاك من بغداد، ولا تبلغ غرضاً، فكلُّ ما جرى عليك منه.

[قلت: وهذا العزيز هو عم العماد الكاتب الأصفهاني، وسنذكره في سنة ست وعشرين وخمس مئة][1].

وفيها بَعَثَ السُّلْطان إلى أنوشروان وهو مقيمٌ بالحريم الطَّاهري ببغداد ليستوزره، فلم يكن عنده شيء، فجهَّزه الوزير ابن صَدَقة والخليفة بالخِيَم والدَّوابّ وغيرها، وسار إلى هَمَذَان، فأقام وزيراً عشرة أشهر، ثم استعفى، وعاد إلى بغداد.

وفيها ثارتِ الفِتَنُ ببغداد، وسببه أبو الفتوح[2] الإسْفَرايِيني، فإنَّه كان يعظ ويَذْكُرُ مذهبَ الأَشْعري، ويورد أحاديثَ وأشياءَ على مذهب القُصَّاص.

جلس يوماً بالنِّظامية وقال: قيل لرسولِ الله ﷺ: كيف أصبحتَ؟ فقال: أعمى بين عُمْيان، ضالًّا بين ضُلَّال[3]. فأحضره الوزير ابنُ صَدَقة، وأحضر الفقهاء، فأفتوا بقَتْلِهِ، فاستقرَّ أن يُجدِّدَ إسلامه ويشدَّ الزِّنَّار[4] ويتوب، ومُنِعَ من الجلوس، وعاد فجلس، فَرُجِمَ.

وكان يركبُ وعليه السِّلاح، ويُسْقِطُ حُرْمَةَ المُصحف عند العوام، فاجتاز يوماً بسوق الثّلاثاء، فَرُجِمَ، ورموا عليه الميتات.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص٢٤٢-٢٤٤ من هذا الجزء.

(٢) في (ع) و(ح): أبو الفرج، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/٦، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٣٨هـ).

(٣) لم أقف عليه في كتب الموضوعات على نكارة متنه.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ٤ ص ١٩٦ من هذا الجزء.

وكان يقول: ليس هذا الذي نتلوه كلام الله إنَّما هو عبارةٌ عنه. ووجدوا عند بعضِ أصحابه مُصحفاً وبين كلّ سطرين بيتُ شِعْرٍ، فأَمَرَ الخليفةُ بأَنْ يُخْرَجَ الإسفراييني من بغداد، ثم تعصَّب له قومٌ على مِثْلِ رأيه، فجلس، وظهر الشَّيخ عبد القادر الجِيلي، وجلس في الحلبة، ومالَ إليه النَّاس، وانتصر الحنابلة، فزال ما قَرَّر الإسفراييني من قلوب النَّاس، ورُزِقَ الشيخ عبد القادر القَبُول التَّام(١).

وفيها قَتَلَ الباطينةُ وزيرَ السُّلْطان سنجر، وكان قد أفنى منهم اثني عشرة ألفاً، فبعثوا إليه سائساً يخدمه في إصطَبْله مُدَّةً إلى أن وجد الفُرْصة، فدخل الوزير يوماً يفتقد دوابَّه، فوثَبَ عليه، فقتله، وقُتِلَ بعده(٢).

وفيها سافر بغدوين صاحبُ القُدْس إلى وادي موسى، فنهب أهلَه، وشَرَّدهم عنه(٣).

وفيها قيل: ماتَ مسعود بن البُرْسُقي بالرَّحبة، وكان في عَزْمِهِ أخذُ دمشق(٤).

وفيها توفي

أحمد بن [أحمد بن] عبد الواحد(٥)

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن المتوكل على الله، أبو السَّعادات.

سمع الحديث الكثير [ولقي الشيوخ](٦)، ووقع ليلة الخميس سابع عشرين رمضان من سَطْحه بمحلَّة التُّوثة، فماتَ، ودُفِنَ بمقبرة [باب](٦) الدَّيْر عن ثمانين سنة، [سمع أبا الغنائم ابن المأمون، وأبا جعفر بن المسلمة، والخطيب وغيرهم. وذكره جدي في «مشيخته» وقال: ولد سنة إحدى وأربعين وأربعة مئة، وكان صحيح السماع، وسمعتُ منه](٦).

---

(١) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٦ـ ٧.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٤٤.

(٣) المصدر السالف: ٣٤٧.

(٤) المصدر السالف: ٣٤٤.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٧٢ ـ ٧٤، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٤٩، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، و«عيون التواريخ» وفيات سنة (٥٢١هـ)، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٢، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٦٤، وما بين حاصرتين من مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المشيخة»: ٧٣-٧٤ .

[فصل: وفيها توفيت

فاطمة بنت الحسين(١)

ابن الحسن بن فَضْلويه الرازي، كانت واعظةً متعبِّدة، لها رِباطٌ تجتمع فيه الزَّاهدات، سمعت الكثير وروت الكثير من الحديث، وكانت صالحةً، توفيت في ربيع الأول، سمعتْ أبا جعفر بن المسلمة، وأبا بكر الخطيب وغيرهما، وذكرها جدي رحمه الله في «مشيخته»، فقال: سمعتُ عليها بقراءة أبي الفَضْل محمد بن ناصر كتاب «ذم الغيبة» لإبراهيم الحربي، ومن مجالس ابن سمعون بروايتها عن ابن النَّقور [عنه](٢)، و«مسند» الشافعي وغير ذلك](٣).

هبة الله بن علي بن إبراهيم(٤)

أبو المعالي الشِّيرازي. كان من أكابر الفُضَلاء، ومن شِعْره [ذكره ابن السمعاني](٥): [من الوافر]

أَحِنُّ إلى أُناسٍ قد أَنِسْنا ... بقربِهُمُ زماناً ثم غابوا
ونعلَمُ أنَّنا لا بُدَّ يوماً ... نتابِعُهُمْ فيَجْمَعُنا التُّرابُ
فيارَبَّ الورى عَطْفاً علينا ... فليسَ إلى سِواكَ لنا مآبُ

السَّنة الثَّانية والعشرون وخمس مئة

فيها وصل عليُّ بن طِراد من عند سنجر ومعه رسولٌ، فطلب الرَّسول أن يَخْطُبَ على منابر بغداد في الجُمَع، فأَذِنَ له في كل جُمُعة في جامعٍ.

---

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧-٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٥-٢٠٦، وفي «المشيخة»: فاطمة بنت محمد بن الحسين.

(٢) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «مشيخة ابن الجوزي»، و«المنتظم».

(٤) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٢٩٣ - وفيه وفاته سنة (٥٢٠هـ) - و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها توجَّه محمود إلى سنجر، واتفقا بعد خشونةٍ كانت بينهما، وسَلَّم إليه دُبَيْساً، وقال: تسأل الخليفة أن يرضى عنه، وتعزل زَنْكي من المَوْصل، وتسلمها إلى دُبَيْس.

وتقدَّم الخليفة إلى نقيب النُّقباء وشيخ الشيوخ ليمضيا إلى سنجر في الرِّسالة، فبذَلَ النقيب ثلاثين ألف دينار، وشيخ الشيوخ خمسة عشر ألفاً ولا يخرجا، فأُخذ المال منهما وأُعفيا(١).

وفيها توفي

الحسنُ بنُ علي بنِ صَدَقَة(٢)

أبو علي، جلال الدِّين، وزير المُسْتَرْشد.

كان عاقلاً، رئيساً، فاضلاً دَيِّناً، ناصحاً لمخدومه، حَسَنَ السِّيرة، محمودَ الطَّريقة، محبوباً إلى الخاصَّة والعامة، جَوَاداً مُمَدَّحاً، توفي ببغداد ليلة الأحد، وحَضَرَ أربابُ الدَّولة، وكان يوماً مشهوداً، وحَزِنَ الخليفةُ عليه، وتطاول للوزارة جماعة، منهم عِزُّ الدولة بن المُطَّلب، وابن الأنباري وأحمد بن النِّظام وغيرهم، فلم يستوزر أحداً منهم، واستناب نقيبَ النُّقباء عليّ بن طِراد الزَّيْنبي.

ومن شِعرْ ابنِ صدقة يمدح المسترشد: [من الطويل]

وَجَدتُ الورى كالماءِ طَعْماً ورِقَّةً   وأنَّ أميرَ المؤمنين زُلالُهُ
وصَوَّرْتُ معنى العَقْلِ شخصاً مُصَوَّراً   وأنَّ أميرَ المؤمنين مِثالُهُ
فلولا مكانُ الدِّين والشَّرْعِ والتُّقى   لقلتُ من الإعظامِ جَلَّ جلالُهُ(٣)

قال أحمد بن عَمَّار الكوفي(٤) يمدحه: [من الخفيف]

---

(١) انظر «المنتظم»: ١٠/٨_٩ .

(٢) له ترجمة في «المنتظم» : ١٠/٩_١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٢/ ٩٤_٩٦، و«الكامل»: ١٠/ ٦٥٢، و«الفخري»: ٣٠٤_٣٠٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٥٢_٥٥٣، و«العبر» ٤/ ٥١ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/١٤٧_١٤٨، و«عيون التواريخ» في وفيات سنة (٥٢١هـ)، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٦٦.

(٣) انظر «المنتظم»: ١٠/٩-١٠ .

(٤) ستَرِد ترجمته في وفيات سنة (٥٢٧هـ) من هذا الجزء .

خَلِّهِ تُنْضِ ليلَهُ الأَنْضاءُ   فعساه يشفي جَوَاهُ الخواءُ
فقدِ استَنْجَدَتْ حَيَاهُ رُبى نَجـ   ـدٍ وشامَتْ بُروقَهُ شَمَّاءُ
وَثَنَتْ نحوه الثَّنِيَّةُ قَلْباً   قُلَّباً تستخِفُّه الأَهْواءُ
عاطفاتٍ إليه أعطافَها شو   قاً كما تَلْفِتُ الطِّلى الأَطْلاءُ
دِمَنٌ دامَ لي بها اللَّهو حيناً   وصفا لي فيها الهوى والهواءُ
وأَسَرْتُ السَّرَّاءَ فيها بقلبٍ   أَسَرَتْه مِنْ بعدها الضَّراءُ
فَسَقَتْ عَهْدَها العِهادُ وَرَوَّتْ   منه تلكَ النَّواديَ الأَنْداءُ
وَأَرَبَّتْ على الرُّبى من ثَراها   ثَرَّةٌ للرِّياضِ منها ثَرَاءُ
زَمَنٌ كان لي على الهَمِّ هَمٌّ   بالتَّصابي وبالغواني غَنَاءُ
في رياضٍ راضت خِلالَ جلال الدِّ   ينِ أَرْواحُهُنَّ والصَّهْباءُ
شِيَمٌ شامها النَّسيمُ فَرَقَّتْ   وَجَفَتْ عن سموِّها الأَسْماءُ
شابَ بالعُرْفِ عَرْفَهُنَّ وقِدْماً   خامَرَ الخمرَ في الزُّجاجةِ ماءُ
مَلِكٌ خاطَبَ الملوكَ بِرَمْزٍ   خَطَبَتْ عن خُطَّابِهِ الخُطَباءُ
أَلْمَعِيٌّ لو شامَ لامعَ أمرٍ   لأَرَتْهُ غيوبَهُ الآراءُ
لكَ من وَجهِهِ وكَفَّيْه ماءا   ن فهذا حَياً وذاك حَيَاءُ
رَوَّضَ الرَّوْضَ والنَّديَّ نَدَاه   فاعْتَفَتْه الأحياءُ والأَحياءُ(١)
بيدٍ أَيَّدَتْ من الدَّهْر ما انآ   دَ وكانتْ لها اليدُ البيضاءُ
ويراعٍ راعَ الذَّوابِلَ بَأْساً   ورَعى المجدَ حين قَلَّ الرِّعاءُ
كلَّما صَلَّ(٢) صالَ منهُ بصِلٍّ   لا يُرى للرُّقى إليه ارْتِقاءُ
وإذا ماجَ ثُمَّ مَجَّ لُعاباً   كان منه الشِّفاءُ والإشقاءُ
فعليهِ للسَّائلين صِلاتٌ   ولديهِ للصَّائلين صِلاءُ(٣)
قد أصابوا لديه صَوْباً وصاباً   فيهما راحةٌ لهم وشقاءُ

---

(١) النديّ: النادي، اعتفته: طلبت معروفه. الأحياء: النَّاس والحيوان. والأحياء ـ الثانية ـ أحياء العرب.

(٢) في (ع) و(ح): صال، والمثبت من «الخريدة»، وصلَّ: صات، والصِلُّ: الحية من أخبث الحيات.

(٣) الصِّلاء: النار، الوقود.

وَرَّثَــتْــه هَــدْيَ الــجـدودِ جـدودٌ ورَّثَـــتْـــهـــا آبـــاءَهـــا الآبـــاءُ
مــعــشـرٌ عــاشــروا الــزَّمــان وولَّــوا وعـــلـــيـــهِ رِيٌّ بـــهـــم ورُواءُ
يــا أخــا الــجُــوْدِ والــسَّــمــاح نِــداءٌ بــيــنَ سَــمْــعَــيْــه مــن نَــدَاك نِــداءُ
رائــقــاً لا يُــرِيْــقُ فــيــنــا دمَ الــ أمــوالِ حــتَّــى تــحــيــا بــه الــعَــلْــيــاءُ
كــلــمــا هَــزَّه الــسَّــمــاحُ تــثــنَّــى بــيــن أثــنــائِــهِ عــلــيــك الــثَّــنــاءُ
حــاز شَــأْوَ الــصِّــفــاتِ فــالــعِــلْــم مــنــه عَــلَــمٌ والــذَّكــاءُ فــيــه ذُكــاءُ
مُــسْــتَــقِــلٌّ لــلــمــالِ لا يَــجْــتَــدِيْــه إنَّــمــا هَــمُّــهُ الــعُــلَــى والــعَــلاءُ
هــمَّــةٌ نــالــتِ الــثُّــريــا عُــلُــوَّا فــاســتــوى عــنــدهــا الــثَّــرى والــثَّــراءُ
لــم يَــطُــلْــهــا طَــوْلُ الــسَّــحــاب ولا جــا زت بــمــجــرى أفــلاكــهــا الــجَــوْزَاءُ
تــســتــمــيــلُ الآمــالُ عِــطْــفَــيْــه عَــطْــفــاً ويــهــزُّ الأرجــاءَ مــنــه الــرَّجــاءُ
وإذا الــقَــصْــدُ أخــطــأ ابــنَ عــلــيٍّ فــعــلــى الــعُــرْف والــعُــفَــاةِ الــعَــفَــاءُ

من أبيات[1].

الحسين بن علي بن أبي القاسم[2]

أبو علي اللَّامِشِي السَّمَرْقَنْدِي، الفقيه الحنفي.

كان يُضرب به المَثَل في النَّظر، سَمِعَ الحديث ورواه، وكان صالحاً على طريقة السَّلَف، مُطَّرِحاً للكُلْفة، بُعِثَ رسولاً من خاقان ملك ما وراء النَّهر إلى بغداد، فاتَّفق أوانُ الحَجِّ: فقيل له: قد قطعت مسافةً بعيدة، فلو حَجَجْتَ، فقال: معاذ الله أَنْ أجعلَ الحَجَّ تَبعاً لرسالة هؤلاء. وَرَجَعَ إلى سَمَرْقَنْد، فتوفِّي بها في رمضان عن إحدى وثمانين سنة.

---

(١) أورد القصيدة بتمامها العماد الكاتب في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/م١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٣، مع اختلاف في بعض ألفاظها، وأورد بعض أبياتها الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢٥٦.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ١٢/ ٣٧٦، و«التحبير»: ١/ ٢٣٤-٢٣٦، و«المنتظم»: ١٠/ ١٠، و«معجم البلدان»: ٥/ ٨، و«اللباب»: ٣/ ٤٠٢، و«الجواهر المضية»: ٢/ ١٢٠-١٢١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٣، و«الفوائد البهية»: ٦٧.

طُغْتِكِين بن عبد الله[١]

أبو منصور ظهير الدين أتابك صاحب الشام، مملوك تاج الدَّوْلة تُتُش.

كان مقدَّماً عنده، زَوَّجه أُمَّ ابنه دُقاق، ونَصَّ عليه في أتابكية دُقاق، وقد ذكرنا وقائعه، وكان شجاعاً، شَهْماً، عادلاً، ولما احتُضِرَ أوصى إلى ولده تاج الملوك بوري بحُسْنِ الطَّريقة، والتزام العَدْل، وإقامة منار الإسلام، والجهاد والإحسان إلى الرَّعية، ومراجعة العلماء وأرباب الخبرة فيما يتجدَّد.

وتوفي يوم السبت ثامن صفر، ودُفِنَ في تربته التي بناها قِبْلي دمشق عند المسجد الجديد، وهي قائمة إلى هلمَّ جرا، وحَزِنَ أهلُ دمشق عليه، وعُمِلَ المأتم له في كل مَحلَّة وسوق، لأنه كان حَسَنَ السيرة، ظاهر العَدْل، كثيرَ الإحسان، مُدَبِّراً للممالك، فَحَسُنَتْ آثاره، وعُمِرَتْ البلاد في أيامه، وأقام حاكماً على الشَّام خمساً وثلاثين سنة.

وجَلَسَ بُوري مكانه، فسار سيرته مُدَّة، وأَقَرَّ الولاة على حالهم، ثم تغيَّرَتْ نِيَّته وأظهر[٢] السُّوء لأصحابِ أبيه، والظُّلم للرَّعية، وقَبَضَ على خواصِّ أبيه واحداً بعد واحد، فاسترابوا به، ونَفَرَتِ القلوبُ منه، وتمكَّن وزيره المَزْدَقاني من أهل دمشق، وصادَقَ الباطنية، واستعان بهم.

وقال ابنُ القلانسي: مَرِض طُغتِكين مَرَضاً أنهك قُوَّته، وأَنْحَلَ جسمه، [وأضعف مُنَّته][٣]، فأحضر ولده بُوري، وأمراءَ دولته وخواصَّه، ونَصَّ على بوري، ووَصَّاه، وذكر بمعنى ما تقدم.

قال: فَعَدَل ولده في الرعية [وعمَّ إحسانُه جميعَ البرية][٣]، وكان بظاهر دمشق أماكن داثرة، [ومواضع غامرة][٤] فلما قَصَدَ طُغْتِكِين بغداد، كتب إلى المسترشد يستأذنه في بيعها ليصرف ثمنها في الأجناد [والمريدين الجهاد][٣]، فأَذِنَ له في ذلك، ووقَّع بخطِّه إذْناً مُؤَبَّداً، فَعَمَرتْ ضياع كانت خالية، وعلى عروشها خاوية، وظهرت

(١) سلفت أخباره مفرقة على السنين، وله ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥١٩ ـ ٥٢١، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في (م) و(ش): وأضمر.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) الغامر من الأرض والدور: الخراب، «معجم متن اللغة»: ٤/ ٣٢٣.

منها الخيرات، وعَمَّتِ البركات.

وأَسَرَّ بوري في نفسه من أمر الباطنية ما لم يُبْدِه لأحد عندما قويت شوكَتُهُمْ، فلما مكَّنه الله منهم أوقعَ بهم، وكان بَهْرَام داعيهم في بانياس، قد بَثَّ دُعاته في سائر الجهات، واستغوى خَلْقاً كثيراً، وشَرَعَ في قَتْلِ الأعيان والزُّهَّاد، والوزير يساعِدُه على أغراضه لتكون أيديهما واحدة، وبُوري غير راضٍ بذلك، بل تبعثه السِّياسة على الصَّبْر، وكان بنو جندل في وادي التَّيْم هم الأعيان، فاحتال على برق بن جَنْدَل حتى صار في يده، وكان شابًّا شجاعاً، حَسَنَ الصُّورة، فقتله صَبْراً، وكان له أَخٌ يقال له ضَحَّاك، فاتَّفق مع أهله، وتعاهدوا على قتال بَهْرام، فحشد وخَرَجَ من بانياس قاصداً إليهم، وكانوا مستعدِّين للقائه، فنزل قريباً منهم في خيمةٍ، واستعدَّ للزَّحْف إليهم، فجاؤوا بقَضِّهم وقَضِيْضهم، وهَجَموا عليه الخيمة، وقطَّعوه إرْباً إرْباً، وقتلوا أصحابه، ولم يُفْلت منهم إلا الشَّريد، وقام بعده رفيقُه إسماعيل العَجَمي، وجرى المَزْدَقاني معه على عادته مع بَهْرام لكن قَلُّوا وضَعُفوا، فحينئذٍ أخذ بُوري في استئصالهم، وأوقع بالوزير، وسنذكره إن شاء الله تعالى في السَّنة الآتية(١).

شَرَفُ النِّساءِ شرف خاتون

زوجة طُغْتِكِين والدةُ بُوري.

كانت صالحة، كثيرة الخيرات، [قال أبو يعلى بن القلانسي: إنها توفيت في هذه السنة](٢)، ودُفنت في قُبَّتها التي بنتها خارجَ بابِ الفراديس.

عبد الله بن طاهر بن محمد بن كاكُوا(٣)

أبو محمد الواعظ، [ويعرف بابن زينة](٤).

---

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٤٧ ـ ٣٥٦، وص ٢١٧، ٢١٩ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٥٦.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٩/ ٤٥٥، و«مختصره» لابن منظور: ١٢/ ٢٨٣، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٤، ووفاته عند ابن عساكر سنة (٥٢٠هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ولد بصُور، ونَشَأ بالشَّام، [وذَكَرَ أَنَّه سمع القاضي القُضَاعي، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي، وسمع منه][(١)] قال: أنشدني أبو إسحاق الشِّيرازي لنفسه: [من البسيط]

لـمَّـا أَتـانـي كـتـابٌ مـنـك مُـبْـتَـسِـمـاً ... عـن كـلِّ مـعـنًـى ولـفـظٍ غـيـرِ مـحـدودِ
حَـكَـتْ مـعـانـيـه فـي أثـنـاء أَسْـطُـره ... أفعـالَـكَ الـبِـيْـضَ فـي أحـوالـيَ الـسُّـودِ

[وقد ذكرناه في ترجمة أبي إسحاق][(١)].

كافور بن عبد الله[(٢)]

أبو المِسْك الحَبَشي الخَصِيّ، ويعرف بالصُّوري.

[وأصله من مصر، وسكن صور، فنسب إليها][(١)].

طاف الدُّنيا، وسمع الحديث، وعاد إلى بغداد فمات بها، قَدِم بَيْهَق، فكتب إلى رئيسها محمد بن منصور البَيهقي: [من البسيط]

هـل مِـنْ قِـرًى يـا أبـا سَـعـد تَـجـودُ بِـهِ ... لـخـادمٍ قـادمٍ وافـاكَ مـن صُـوْرِ
شِـعـارُهُ إنْ دَنَـتْ دارٌ وإنْ بَـعُـدَتْ ... الـلـهُ يُـبْـقـي أبـا سَـعـدِ بـن مَـنْـصـورِ[(٣)]

السَّنة الثَّالثة والعشرون وخمس مئة

فيها في المحرَّم عاد السُّلْطان محمود إلى بغداد، [وأقام دُبَيْس في بعض الطريق، فاجتهد في أن يمكن دُبَيس من دخول بغداد][(٤)] وأن يرضى عنه فلم يمكن، وبعث السُّلْطان إلى زَنْكي بأن يسلم المَوْصِل إلى دُبَيْس، فلم يفعل.

وفيها وكل السُّلْطان محمود بقاضي القضاة الزَّيْنَبي، وسببُه أَنَّه نُقِلَ إليه أن مغلَّ أوقاف مدرسة أبي حنيفة يغل في كلِّ سنة ثمانين ألف دينار، وما ينفق عشرة آلاف دينار، فطلب السُّلْطانُ منه الحساب.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٤/ ٤٩٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٤/ ٣١١ ـ ٣١٢، وعندهم وفاته سنة (٥٢١هـ).

(٣) البيتان في «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٤) ما بين حاصرتين من (ح).

وفي صفر خَلَعَ الخليفةُ على أبي القاسم عليّ بن طِراد نقيب النقباء خِلَعَ الوِزارة.

وفيها ضَمِنَ زَنْكي للسُّلْطان مئة ألف دينار على أن لا يعزله عن المَوْصِل، وضَمِنَ الخليفة للسلطان مثل ذلك ولا يولي دُبَيْساً ولاية، فَقَبِلَ السُّلْطان.

ثم إنَّ دُبَيْساً دخل بغداد وأتى إلى دارِ السُّلْطان، وركب في طَيَّارٍ[١] للسلطان في دِجْلَة، والنَّاسُ يلعنونه ويسُبُّونه، وكان سنجر قد سلَّمه إلى ابنته امرأةِ محمود، فكانتِ السببَ في دخوله بغداد.

ورحل السُّلْطان من بغداد في جُمادى الآخرة، وسَلَّم الحِلَّة وشحنكية بغداد إلى بِهْروز الخادم، واتَّفَقَ أن ماتت ابنةُ سنجر التي كانت تدافع عن دُبَيْس، ومَرِضَ محمود، فأخذ دُبَيْسٌ ولداً صغيراً لمحمود، ومضى إلى الحِلَّة، فدخلها في رمضان، وخَرَجَ منها بِهْروز. وبَعَثَ بِهْروز كاتبه إلى محمود بذلك، وكان عند محمود نَظَر الخادم الذي للخليفة ليقيمه من عزاء ابنة سنجر، فأُخبر، فقال لمحمود: منعتَ أميرَ المؤمنين من أن يستخدم العساكر، وسلَّطْتَ عليه عدوَّه. فأحضر محمود الأحمديلي وقزل، وقال: أنتما ضَمِنْتُما دُبَيْساً، وما أعرفه إلا منكما. فسار الأحمديلي يطلب العراق، وبَعَثَ دُبَيْسٌ إلى الخليفة يقول: إنْ رضيت عني رَدَدْتُ عليك أضعافَ ما غَرِمْتَ من الأموال، وأكون مملوكك. وشَرَعَ في بيع الغِلال وجَمْعِ الأموال، حتى حَصَّلَ خمس مئة ألفِ دينار، ودَوَّن عشرة آلاف فارس بعد أن وصل في ثلاث مئة، ووصل الأحمديلي بغداد، ودخل على الخليفة، فأعطاه يده فَقَبَّلَها، ثم عَبَرَ دِجْلة قاصداً إلى الحِلَّة. ووصلتِ الأخبارُ بأَنَّ السُّلْطان قد وصل يريد بغداد، فبعث إليه دُبَيْسٌ أموالاً عظيمة وخَيْلاً وهدايا، وضَمِنَ له أَنَّه إذا أَصلَحَ بينه وبين الخليفة أعطاه مئتي ألف دينار، وللخليفة ثلاث مئة حصان بأطواق الذَّهب، وإن لم يرضَ عنه دَخَلَ البَرِيَّة، فقال السُّلْطان: لا أرضى عنه أبداً. فأخذ الصَّبيَّ، وخَرَجَ من الحِلَّة بالجمال والرَّوايا، ولا يدري أين يقصد، فوصل الخبر بأَنَّه دخل البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة، فبَعَثَ

(١) الطيار: زورق خفيف سريع الجريان، انظر «معجم متن اللغة»: ٣/ ٦٤٦.

السُّلْطان إليه قزل في عشرة آلاف فارس، فدخَلَ البَرِيَّة وانقطع خبره. وخَرَجَ الوزير أبو القاسم للقاء السُّلْطان، فأعطاه السُّلْطان فرسه وعليه ما قيمته ثلاثون ألف دينار.

وفي روايةٍ: أن سنجر دَفَعَ دُبَيْساً إلى محمود، وكان معتقلاً عنده بنيسابور، وقال له: ادخل به إلى بغداد، واشفعْ فيه عند الخليفة. فلمَّا دخل به قَبِل الخليفة شفاعته، وخَلَعَ عليه، وأعاده إلى الحِلَّة، والأَوْل أَشْهر.

وفيها كانت فتنة الإسماعيلية بدمشق، وكان ابن محرز قد سَلَّم إليهم حِصن القدموس لأَنَّ بُوري قصده ليأخذه منه، فسلمه إليهم، وكان الوزير المَزْدَقاني بدمشق يكاتبهم ويهاديهم خوفاً من بني الصُّوفي، فَشَرَعَ وجيه الدِّين المُفَرِّج بن الصُّوفي رئيس دمشق مع بوري في الإغراء بالإسماعيلية، وهوَّن عليه أمرهم، وساعده الحاجب فيروز، ثم اتَّفقوا على قَتْلِ الوزير المَزْدَقاني، فاستدعاه بُوري إلى القلعة سابع رمضان، فجلس عنده، فلمَّا قام ليخرج وَثَبَ عليه جماعةٌ من الأجناد، فقتلوه في دِهْليز قلعة دمشق، وقطعوا رأسه، وأحرقوا جسده في باب الحديد، ثم مضوا إلى دار الدَّعْوة، وقتلوا كلَّ من بها، وثار عوامُّ دمشق على الإسماعيلية، فقتلوهم شَرَّ قِتْلةٍ؛ ذبحاً ورضًّا بالحجارة والسُّيوف، وصَلَبوا منهم جماعةً على سور دمشق، فكان عِدَّةُ مَنْ قُتِلَ منهم عشرة آلاف على ما قيل، ولم يتعرضوا لحريمهم ولا لأموالهم، فقال نَصر بن إبراهيم البازْيار[1] يمدح ابنَ الصُّوفي: [من الوافر]

مَلَكْناكُمْ فَصُنَّا مَنْ وراكُمْ ... ولو مُلِّكْتُمونا لم تَصُونوا
أَسَلْنا مِنْ دمائِكُمُ بحوراً ... جسومكُمُ لجائِشها سَفِيْنُ
فقلتُ لذي النِّفاقِ بحيثُ كانوا ... أبادَ حِماكُمُ الأسدُ الحرونُ[2]

---

(١) شاعر ولد بحلب، ونشأ بدمشق، كان معلم كُتَّاب، ثم أصبح طبيباً، وترجم له العماد في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٦٥ ـ ١٦٨، وساق مقتطفات من شعره، وذكر أن وفاته سنة (٥٤٢هـ) عن سبعين عاماً، وترجم له كذلك الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٥٠ ـ ٥١، والبازيار: اسم يطلق لمن يحفظ الباز، وهو من الجوارح التي يصاد بها، انظر «اللباب» لابن الأثير: ١/ ١٠٩.

(٢) الأبيات من قصيدة ساق بعض أبياتها العماد في «الخريدة»، والصفدي في «الوافي بالوفيات» مع اختلاف في ترتيب أبياتها.

وكان ببانياس العَجَمي، فسلَّمها إلى الفرنج [خوفاً من المسلمين][١]، فقويت [نفوس الفرنج][٢] على قَصدِ دمشق، واستعدُّوا لها، وبَلَغَ بوري فراسل ملوكَ الأطراف، وبَعَثَ بالفقيه عبد الوهَّاب بن الحَنْبلي إلى بغداد رسولاً عنه وعن أهل دمشق بذكر استيلاء الفرنج على بانياس، وأنَّ قَصدَهم دمشق، [وقد أشرفوا عليها][١]، فَخُلِعَ عليه، ووعد بإنفاذ العساكر، وجاء الفرنج، فنزلوا على جسر الخشب، وأخرج بُوري عَسْكراً من باب شرقي في اللَّيل على ناحية بُراق[٣]، فوقعوا على جماعةٍ من الفرنج كانوا قد مضوا إلى حوران يطلبون المِيْرة، فقتلوهم وأسروا الباقين، وبلغ الفرنج، فرحلوا نحو حوران والمسلمون خلفهم ينهبون ويقتلون حتى وصلوا إلى طبرية[٤].

وفيها توفي

أسَعد بن أبي نَصر[٥]

أبو الفَتْح المِيْهَني، الإمام الشافعي، [صاحب التعليق، تفقه على أبي المظفر السَّمْعاني وغيره، و][١]، بَرَعَ في الفِقْه، وفاقَ أبناء جنسه [في النَّظر][١]، وحَصَلَتْ له منزلةٌ عند الملوك، وقَدِمَ بغداد، ودَرَّس بالنِّظامية، وعَلَّق عنه بها جماعةٌ «تعليقته» الخلافية، وخَرَجَ من بغداد، فنزل هَمَذَان، فمرِضَ وكان في بيتٍ، فقال لمن [كان][١] عنده: اخرجوا عني. فخرجوا، فجعل يَلْطِمُ وجهه ويبكي، ويقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] يُرَدِّدُها حتى مات.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و (ح): نفوسهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) براق: قرية في حوران تبعد ١٨ كم شمال شرق بلدة المسمية في منطقة الصنمين محافظة درعا، انظر «المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري»: ١/ ٢٦٧.

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٥٦ ـ ٣٦٠، و«الكامل»: ١٠/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨.

(٥) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢٠، و«المنتظم»: ١٠/ ١٣، و«الكامل»: ١٠/ ٦٦٠، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، و«طبقات الشافعية» للسبكي»: ٧/ ٤٢ ـ ٤٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وذكر ابن الجوزي وابن الأثير وفاته في هذه السنة كما عند السبط، وذكر السبكي وفاته بعد العشرين وخمس مئة، أما الباقون فذكروا وفاته سنة (٥٢٧هـ).

حمزة بن هبة الله بن محمد(١)

ابن الحسين بن داود بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو الغنائم النَّيْسابوري.

ولد سنة تسع وعشرين وأربع مئة، وسمع الحديث الكثير، وحَدَّث بالكثير، وضَمَّ إلى شَرَفِ النَّسْب شَرَفَ التَّقوى، وكان زيديَّ المذهب، توفي في المُحَرَّم.

طاهر بن سَعد(٢)

أبو علي الوزير المَزْدَقاني.

كان سَمْحاً، جَوَاداً، بنى المسجد على الشَّرَف شمالي دمشق عند تُرْبة ستِّ الشَّام، ويسمى مسجد الوزير، وفيه القُرَّاء، وعليه الوقف، وكان قد عاداه وجيه الدولة [المفرِّج بن الحسن](٣) بن الصُّوفي [رئيس دمشق](٣)، فانتمى إلى الإسماعيلية خوفاً منه، فَقُتِلَ كما ذكرنا(٤).

[فصل: وفيها توفي

عبد الله بن محمد بن إسماعيل(٥)

أبو محمد المصري، نزيل مكة، ويُعرف بابن الغَزَال، لأن جدَّه كان يُشْبِهُ الغَزَال في عَدْوه.

أقام بمكة واستوطنها، وذهب بصره بها، وتوفي ودفن في المُعَلَّى.

---

(١) له ترجمة في «منتخب السياق» للصريفيني: ٣١٧ ـ ٣١٨، و«التحبير»: ١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦، و«المنتظم»: ١٠/ ١٣ ـ ١٤، و«الكامل»: ١٠/ ٦٦٠، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٧٣.

(٢) سلفت أخباره مفرقة على السنين، وله ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) انظر ص٢١٧ من هذا الجزء.

(٥) له ترجمة في «العقد الثمين»: ٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣، و«مختصر تاريخ ابن عساكر»: ١٣/ ٢٦٨ (اختصار سكينة الشهابي على نهج ابن منظور)، وفيه وفاته سنة (٥٢٤هـ).

سمع بمكة كريمةَ بنتَ أحمد المَرْوزية، وبمصر القاضي القُضاعي، وبدمشق أبا القاسم الحِنَّائي، وأبا الحسن[١] بن صَصْرَى، والخطيب، وغيرهم.

وروى عنه الحافظ ابن عساكر، لم يرو عنه إلا حديثاً واحداً لصممٍ كان به، وهو قوله عليه السلام: «الأعمال بالنِّيَّات»[٢]][٣].

هبةُ الله بنُ أحمد بنِ محمد[٤]

أبو محمد الأَنْصاري، ويعرف بابن الأَكْفَاني.

دمشقيٌّ، ولد سنةَ أربعٍ وأربعين وأربع مئة، وماتَ بدمشق، سمع الكثير، ولقي الشُّيوخ، سمع جَدَّه لأُمه أبا الحسن بن صَصْرَى [والخطيب وغيرهما، وروى عنه غيث ابن علي، وهو من أقرانه، وقال الحافظ ابن عساكر: سمع أباه [وأبا] الحسين وأبا نصر بن طلاب وغيرهم][٥] وكان يزكِّي الشُّهود إلى أن مات، وكان يُنْشد: [من الطويل]

إذا رشـوةٌ مـن بـاب دارٍ تَـقَـحَّـمَـتْ عـلـى أهـلِ بـيـتٍ والأمـانـةُ فـيـهِ
سَـعَـتْ هَـرَبـاً مـنـه وولَّـتْ كـأنـهـا حـلـيـمٌ تـولَّـى عـن جـواب[٦] سَـفِـيْـهِ

السَّنة الرَّابعة والعشرون وخمس مئة

فيها في ربيع الأوَّل كانت ببغداد زَلْزلةٌ عظيمة هَدَمَتْ دُوراً كثيرة، ومات خَلْقٌ كثير، ثم حَدَث عَقِيبها موتُ السُّلْطان محمود، وحروبٌ عظيمة.

---

(١) في (م) و(ش) أبا القاسم، والمثبت من «العقد الثمين».

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب، وهو في «المسند» للإمام أحمد (١٦٨).

(٣) ما بين حاصرتين من (م)، ونحوه في (ش).

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٠، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور: ٢٧/ ٦٥ ـ ٦٦، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٦٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته، ووفاته عندهم سنة (٥٢٤هـ).

(٥) في (ع) و (ح): بن صصرى وغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع) و(ح) من ، والمثبت من «مختصر ابن منظور»، وفي (م) و(ش): جؤار.

وفي جمادى الأُولى ارتفعت سحابةٌ على بلد المَوْصِل، فأمطرتْ ناراً أحرقت ما مَطَرَت عليه.

وقُتِلَ الآمر صاحب مِصر.

وفيها استَوْزَرَ بُوري المُفَرِّجَ بنَ الصُّوفي، وكان ضعيفَ الكتابة إلا أنَّ رأيه كان سديداً، ومذهبه في النَّزاهة حميداً، فَعَدَل وأحسن، وولَّى في الأعمال الثِّقات والكُفاة.

وفيها وَصَلَ زَنْكي بن آق سُنْقُر إلى حلب من المَوْصِل وقد أَظْهَرَ أنَّه على عَزْمِ الجهاد، وراسل بُوري يلتمس منه المعونة على محاربة الفرنج، فأرسل إليه مَنِ اسْتَحْلفه الأيمان المغلَّظَة، واستوثق منه لنفسه ولصاحب حِمْص وحماة وأصحاب الأطراف، وكان سونج بن بوري بحماة، فبعث إليه من دمشق خمس مئة فارس، وأمره بالمُضِي إلى خدمة زَنْكي، وكان في عسكر بوري أعيان الأُمراء، فسار سونج من حماة إلى حلب، فأحسن زَنْكي لقاءهم وأكرمهم، وغافلهم أياماً وقَبَضَ عليهم، وسونج في الجُمْلة، ونَهَبَ خيامهم وأثقالهم، وهَرَبَ منهم من قَدَر، وجاء في يومه إلى حماة، فاستولى على مافيها لخلوِّها من الرِّجال، ورحل إلى حِمْص وكان صاحبها خيرخان معه، وهو الذي حَسَّنَ له الغَدْر، فحين حصل على حِمْص اعتقله ونَهَبَه، وطلبَ منه تسليمَ حِمْص، فأبى مَنْ في القلعة وقاتلوه، فأقام أياماً ورحل إلى المَوْصل، ومعه سونج بن بوري، واعتقل الباقين في حلب، وقيَّدهم، والتمس منهم خمسين ألف دينار، فشرع بُوري في تحصيلها، ولما بلغ الملوكَ فِعْلُ زَنْكي لعنوه وسَبُّوه ونفروا منه، وساءت سيرته، وبلغ السلطان، فَجَهَّز إليه [جيشاً][1]، فمَرِضَ واشتغل بمَرَضِهِ.

وفيها ظهر بالعراق عقاربُ طَيَّارة لها أجنحة، وهي ذاتُ شوكتين، فقتلتْ من الأطفال خَلْقاً كثيراً.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

فصل وفيها توفي

إبراهيم بن عثمان بن محمد [(١)]

أبو إسحاق الغَزِّي الكلبي، وقيل أبو القاسم، وقيل أبو مَرْثَد[(٢)]، الشَّاعر.

ولد بغَزَّة سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، وكان أحدَ فضلاءِ الدَّهْر، انتقل إلى العراق، وخرج إلى خُرَاسان، وكَرْمان وفارس وأَصبهان، وامتدح [بها][(٣)] جماعةً من الرؤساء [والأعيان][(٣)]، وانتشر شِعْرُه هناك.

[وقد ذكره ابنُ السَّمعاني في «الذيل» والحافظ ابن عساكر في «التاريخ» والعماد في «الخريدة»، وقال ابن عساكر: وقد اختلفوا في كنيته، فقيل أبو القاسم، وقيل أبو إسحاق، وقيل: أبو مَدْيَن[(٤)]، الكَلْبي، شاعرٌ مُحْسِنٌ مجيدٌ][(٥)].

وأثنى عليه العماد الكاتب، فقال: وكم له من حِكْمةٍ مُحْكَمَةِ النَّسْج، وفِقْرَةٍ واضحةِ النَّهْج، وكلامٍ أحلى من منطق الحسناء، [وأ]على [من] منطقة الجوزاء، وقصائد كالفرائد، وقلائد كعقود الخرائد، وغُرَرٍ حِسان، ودُرٍّ ومَرْجان، وذكر كلاماً طويلاً[(٦)].

وقال ابنُ السَّمْعاني: خَرَجَ الغَزِّي من مَرْو يريد الحج، فتوفيَ في الطَّريق، فَحُمِلَ إلى بَلْخ، فَدُفن بها، وكان يقول: إني لأَرْجو أن يعفو الله عني لأني شيخٌ مُسِنٌّ قد جاوزتُ الثَّمانين سنة، وأنا من بَلَدِ الإمام الشَّافعي، وغريبٌ.

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠، و«نزهة الألباء»: ٣٨٧، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٣ ـ ٧٥، و«المنتظم»: ١٠/ ١٥ ـ ١٦، و«الكامل»: ١٠/ ٦٦٦ ـ ٦٦٧، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٥٧ ـ ٦٢، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٥١ ـ ٥٤، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٥٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وعند ابن خلكان والذهبي في «السير»: إبراهيم بن يحيى بن عثمان.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وفي «تاريخ ابن عساكر» و«الوافي بالوفيات»: أبو مَدْين، وانظر الاختلاف في كنيته فيما سيأتي.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م): أبو مزيد، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٤٦٩.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) «الخريدة»: قسم شعراء الشام: ١/ ٣، وما بين حاصرتين منه.

قال العماد: ومن شِعْره [من الطويل]

وحَتَّامَ أرجو دولةً وزراؤها ... يَردُّونَ إنْ حَيَّيْتَهُمْ بالحواجبِ
سواءٌ لديهمْ ما حوى سِلْكُ ناظمٍ ... وماضَمَّه في ظُلْمةٍ حَبْلُ حاطبِ
قَضَتْ عُنَّةُ التَّمييز والفَهْم في الورى ... بتعنيسِ أبكارِ العُلُومِ الكواعِبِ
وإني لتُغْنيني عن السَّيفِ عَزْمَتي ... فهل فيه ما تُغْنِيْه عن كَفِّ ضارِبِ
عسى بين أحشاءِ الليالي عجيبةٌ ... حُبالى الليالي أُمهات العجائِبِ
وتهتَزُّ بالقَطْرِ البحارُ[1] وإنَّها ... لمستغنياتٌ عن نَوَالِ[2] السَّحائِبِ[3]

وكان الغَزِّي قد نَفَق على المعين القاشاني وزير سنجر، فقيل للوزير: إنه قد أَسَنَّ عن قول الشِّعْر. فقال له: أُريد أن توازن قصيدة أبي العلاء التي يقول فيها: [من البسيط]

هاتِ الحديثَ عن الزَّوْراءِ أَوْ هِيْتا ... ومُوقدِ النَّارِ لا تَكْرَى[4] بتَكْرِيْتا

فقال على البديه: [من البسيط]

أَمِطْ عن الدُّرَرِ الزُّهْرِ اليواقيتا ... واجعلْ لحجِّ تلاقِينا مواقِيْتا
جمعتَ ضِدَّيْنِ كان الجَمْعُ بينهما ... لكلِّ جَمْعٍ من الألباب تَشْتِيْتا
وفِتْيَةٍ من كُماةِ التُّرْكِ ما تركَتْ ... للرَّعدِ كَبَّاتُهُمْ[5] صَوْتاً ولا صِيْتا
قومٌ إذا قُوبِلُوا كانوا ملائكةً ... حُسْناً وإن قُوتِلُوا كانوا عفارِيْتا
مُدَّتْ إلى النَّهْبِ أيديهم وأَعْيُنُهُمْ ... فزادهُمْ فَلَقُ الأَحشاءِ تثبيتا
بدارِ قارونَ لَومَرُّوا على عَجَلٍ ... لباتَ من فاقةٍ لا يملكُ القُوتا
بالحِرْصِ فَوَّتني دَهْرِي فوائده ... وكلَّما زِدْتُ حِرْصاً زادَ تَفْويتا
دُنْيا اللَّئيم يدٌ في كَفِّها بَرَصٌ ... فكلُّ ما لَمَسَتْهُ كان مَمْقُوتا

[ومنها يُعَرِّض بشعرِ المعري][6]:

---

(١) في (ع) و(ح): السحاب، والمثبت من «الخريدة».
(٢) في (ع) و(ح): توالي، والمثبت من «الخريدة».
(٣) «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ١٦ ـ ١٨.
(٤) الزوراء: بغداد، ولا تكرى: لا تطفأ، وأصل الكرى النوم، فجعل انطفاء النار نوماً، انظر «شروح سقط الزند» السفر الثاني: القسم الرابع: ١٥٥٣ ـ ١٥٥٤.
(٥) الكبَّة: الحملة في الحرب. «اللسان» (كبب).
(٦) ما بين حاصرتين من (ح).

بديهةٌ ما اسْتَعَانَتْ عند تَقْفِيَةٍ بذِكْرِ هِيْتٍ ولا مرَّتْ بتكْرِيْتا[١]

وقال أيضاً: [من الكامل]

خُذْ ما صفا لك فالحياةُ غُرورُ والدَّهْرُ يَعدِلُ تارَةً ويجورُ
لا تَعْتِبَنَّ على الزَّمانِ فإنَّه فَلَكٌ على قُطْبِ اللَّجاجِ يَدُوْرُ
أبداً يُوَلِّدُ تَرْحَةً من فَرْحَةٍ[٢] ويَصُبُّ غَمًّا منتهاه سُرورُ
تعفو السُّطورُ إذا تقادَمَ عَهْدُها والخَلْقُ في رِقِّ الحياةِ سُطُورُ
كلٌّ يَفِرُّ من الرَّدى ليفوتَهُ ولهُ إلى ما فَرَّ منه مَصِيْرُ
فانْظُرْ لنَفْسِك فالسَّلامةُ نُزْهةٌ[٣] وزمانُها ضافي الجناح يطيرُ
مرآةُ عَيْشِكَ بالشَّبابِ صقيلةٌ وجَناحُ عُمْرِكَ بالمشِيْبِ كسيرُ
بادِرْ فإنَّ الوقتَ سَيْفٌ قاطعٌ والعُمْرُ جَيْشٌ والشَّبابُ أميرُ[٤]

وقال: [من السريع]

طول الحياةِ ما لها طائِلُ نَغَّصَ عندي كلَّ ما يُشْتَهى
أصبحتُ مِثْلَ الطِّفْلِ في ضَعْفِهِ تَشَابَهَ المَبْدَأُ والمُنْتَهى
فَلِمْ تَلُمْ سَمْعِي إذا خانني «إنّ الثَّمانين وَبُلِّغْتَها»[٥]

قوله «إنَّ الثَّمانين وَبُلِّغْتَها»[٦] تَضمين لعوف بن مُحَلِّم الشَّيْباني، أنشده لعبدِ الله بن طاهر[٧].

(١) الأبيات ما عدا البيت الأخير في «خريدة القصر»: ١/ ٨ ـ ١١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٢) في (ع) أن يولد فرحة في ترحة، وفي (ح) «من» بدلاً من «في»، والمثبت من (م) و(ش).
(٣) في «الخريدة»: نُهْزَة.
(٤) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢١ ـ ٢٣.
(٥) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٦) البيت هو:

إن الثمانين وبُلِّغتَها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وهو دائر في كتب العربية، انظره في «أمالي القالي»: ١/ ٥٠، و«أمالي ابن الشجري»: ١/ ٣٢٩.
(٧) عوف بن مُحَلِّم الشيباني، شاعر صاحب أخبار ومعرفة بأيام الناس، وكان نديماً لطاهر بن الحسين والد عبد الله بن طاهر، ثم بعد وفاة طاهر قَرَّبه عبد الله، وأنزله منزلته من أبيه، وتوفي نحو سنة (٢٢٠هـ). =

وقال: [من الخفيف]

وصُــدُورٍ[1] لا يَـشْـرحـون صُـدُوراً　　شَـغَـلَـتْـهُـمْ عـنَّـا صـدورُ الـدَّجـاج[2]

[قلت: وقبله][3]:

أنـا فـي الـحِـلَّـة الـغَـداةَ كـأنِّـي　　عـلـويٌّ فـي قَـبْـضَـةِ الـحَـجَّـاجِ

بـيـن قـومٍ لا يـعـرفـونَ كـلامـاً　　طَـبْـعُـهُـمْ خـارجٌ عـن الـمِـنْـهـاجِ

وقال: [من الخفيف]

إنَّـمـا هـذه الـحـيـاةُ مـتـاعٌ　　فـالسَّـفـيـه الـغَـويُّ مَـنْ يَـصطـفـيـهـا

مـا مـضـى فـات والـمـؤمَّـلُ غَـيْـبٌ　　ولـكَ الـسَّـاعـةُ الـتي أنـتَ فـيـهـا[4]

وقال: [من الكامل]

لـيـتَ الـذي بـالـعِـشْـق دونَـك خَـصَّـنـي　　يـا ظـالـمي قَـسَـمَ الـمَـحَـبَّـة بَـيـنـنـا

ألْـقـى الـهِـزَبْـرَ فـلا أخـاف نُـيـوبَـه　　ويَـرُوْعُـنـي نَـظَـرُ الـغَـزَالِ إذا رنـا[5]

وكان قد غَسَلَ أكثرَ شِعْرِه وتركه، فقيل له في ذلك، فقال: [من الكامل]

قـالـوا هَـجَـرْتَ الـشِّـعْـرَ قـلـتُ ضـرورةٌ　　بـابُ الـبـواعـثِ والـدَّواعـي مُـغْـلَـقُ

خَـلَـتِ الـبـلادُ[6] فـلا كـريـمٌ يُـرْتَـجـى　　مـنـه الـنَّـوالُ ولا مـلـيـحٌ يُـعْـشَـقُ

ومـن الـعـجـائـبِ أنَّـه لا يُـشْـتَـرى　　ويُـخـانُ فـيـه مـع الـكَـسَـادِ ويُـسْـرَقُ[7]

[وفيها توفي أبو عبد الله البارع الزاهد، شيخ جدِّي رحمه الله، واسمه][8]

= وعبد الله بن طاهر من أشهر الولاة في العصر العباسي، ولي إمرة الشام مدة، وولاه المأمون خراسان، وظهرت فيها كفايته، وكانت وفاته سنة (٢٣٠ هـ)، انظر «فوات الوفيات»: ٣/ ١٦٢ ـ ١٦٤، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٨٣ ـ ٨٩.

(١) صدور جمع، مفردها صدر: وهو في القوم رئيسهم، انظر «معجم متن اللغة»: ٣/ ٤٣٠.

(٢) «الخريدة»: ١/ ٣٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (ح).

(٤) «الخريدة»: ١/ ٣٦.

(٥) انظر القصيدة في «الخريدة»: ١/ ٣٨ ـ ٤١.

(٦) في (م) و(ش): الديار.

(٧) «الخريدة»: ١/ ٦.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الحسين بن محمد بن عبد الوهَّاب[(١)]

أبو عبد الله، البارع النَّحْوي [الشَّاعر][(٢)]، وهو أخو أبي الكَرَم بن فاخر النَّحْوي لأُمِّه[(٣)].

ولد سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، [و][(٢)] قرأ القرآن بالرِّوايات [على أبي بكر بن الخياط وغيره][(٢)]، وسمع الحديث [الكثير][(٢)]، واشتغل باللغة والأدب، وقال الشِّعْرَ [المليح][(٢)]، وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشرة جُمادى الآخرة بعدما أَضَرَّ، ودُفِنَ بباب حرب [سمع القاضي أبا يعلى بن الفرَّاء وابن المسلمة وأبا بكر بن الخياط وغيرهم، وروى عنه جَدِّي في «المشيخة»، وكان جواداً كريماً][(٢)].

قال ابنُ ناصر: كان فيه تساهُلٌ في الحديث وضَعْف.

ومن شِعْره: [من مجزوء الرجز]

إنْ كان جيرانُ الغَضَى ... رَضُوا بقَتْلي فَرِضَا

والله لا كنتُ لما ... يهوى الحبيبُ مُبْغِضا

صرتُ لهمْ عبداً وما ... للعَبْدِ أنْ يَعْتَرِضا

هُمْ قَلَّبوا قَلْبي من الشَّـ ... ـوقِ على جَمْرِ الغَضَى

وهم أحالوا الجِسْمَ منِّـ ... ـي بالنُّحولِ عَرَضَا

أحبابَنا جارَ عليَّ ... بَيْنُكُمْ فيما مضَى

إن كان قَتْلي في الهَوَى ... عليكُمُ مُفْتَرَضَا

واأسفا على الصِّبا ... كان خِضاباً فَنَضَا

عادَ سَوَادُ لِمَّتي ... من الفِراقِ أبيضَا

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٦١ ـ ٨٨، و«المنتظم»: ١٠/ ١٦ ـ ١٩، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٨٠ ـ ٨٢، و«معجم الأدباء»: ١٠/ ١٤٧ ـ ١٥٤، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٦٦٧، و«إنباه الرواة»: ١/ ٣٢٨-٣٢٩، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ١٨١ ـ ١٨٤، و«معرفة القراء الكبار»: ٢/ ٩٢٠ ـ ٩٢٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٣٣ ـ ٥٣٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) كان أبو الكرم إماماً في اللغة والنحو، ولد سنة (٤٣١ هـ)، وتوفي سنة (٥٠٠هـ)، وقيل سنة (٥٠٥ هـ)، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٣٠٢-٣٠٣، وفيه مصادر ترجمته.

كـأَنَّـمـا عَـهْـدُ الـشَّـبـا ... بِ كـان دَيْـنـاً يُـقْـتَـضَـى
كـم نُـلْـتُ فـيـه أمـلاً ... وكـم بـلـغـتُ غَـرَضَـا
يـا حـاكـمـيـنَ بـالـصُّـدو ... دِ جـائـريـنَ فـي الـقَـضَـا
عـنـدي بـقـايـا كَـمَـدٍ ... يـضـيـقُ عـنـهـنَّ الـفَـضَـا
مـن لـمـريـضٍ لا يـرى ... إلا الـطَّـبـيـبَ الـمُـمْـرِضـا
أعْـرَضَ عـنـه الـصَّـبْـرُ مُـذْ ... أصـبـحَ عـنـه مُـعْـرِضـا[1]

[وقال][2]: [من مجزوء الرجز]

آهٍ لـبـرقٍ لـمَـعَـا ... مـاذا بـقَـلْـبـي صَـنَـعَـا
أيـقـظَ مـنِّـي لـلـغَـرَا ... م مُـسْـتَـهـامـاً مُـوجَـعـا
فـبِـتُّ مِـنْ إيـمـاضـه ... أَسْـكُـبُ دَمـعِـي دُفَـعـا
يـا بَـرْقُ إمَّـا تَـرَيَـنِّـ ... ـي لـلـصَّـنـيـعِ مـوضـعـا
فَـحَـيِّ عـنِّـي أَرْبُـعـاً ... أكـرِمْ بـهـنَّ أَرْبُـعـا
يـا نـاظـراً[3] أقـسـمَ مِـنْ ... بـعـد الـنَّـوى لا هَـجَـعـا
كَـبَّـرَ مُـذْ فـارَقْـتُـهُـمْ ... عـلـى الـرُّقـادِ أرْبَـعـا
كـان عَـصِـيًّـا دَمْـعُـهُ ... بـالـنَّـوْمِ صـار طَـيِّـعـا[4]
لـو يـسـتـطـيـعُ لـسـقـى ... مـاءَ الـشُّـؤونِ أَجْـمَـعَـا
تـلـكَ الـرُّبـا وذلـك الـ ... مُـصـطـاف والـمُـرْتَـبـعـا
مـصـارع الـعُـشَّـاق فـيـ ... ـهـا مَـصـرعـاً فـمَـصـرعـا
كَـمْ كَـبِـدٍ قـطَّـعـهـا ... هَـجْـرُ الـحـبـيـبِ قِـطَـعـا
وكـم ديـارٍ بـالـنَّـوى ... أضـحـتْ خـلاءً بَـلْـقـعـا
أحـبـابَـنـا عَـلِّـي أرى ... شَـمْـلـي بـكُـمْ مُـجْـتَـمِـعـا

---

(١) القصيدة بتمامها في «الخريدة»: ٣/٦٦ ـ ٦٩ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٢) ما بين حاصرتين من (ح).
(٣) في «الخريدة»: من ناظر.
(٤) في «الخريدة»: فاليوم عاد طيِّعا.

لـيـتَ الـفِـراقَ لـم يـكُـنْ　　يـومَ دعـا فـأَسْـمَـعـا[١]

وقال من جملة قصيدة: [من المتقارب]

كـأنّـي نَـظَـرْتُ وقـد شِـمْـتُـهُ　　ديـارَ الأَحِـبَّـةِ مَـغْـنًـى فـمَـغْـنَـى
فَـبُـحْـتُ ومَـن خـانـه صَـبْـرُهُ　　فـلـيـس لِـكـتْـمـانِـهِ الـحُـبَّ معـنـى
ومـاذا عـلـى مُـدْنَـفٍ بـالـعـراق　　تـذكَّـرَ بـالـرَّمْـلِ عـهـداً فـحـنَّـا
وإنّـي لـكـلٍّ شَـجٍ عـاذِرٌ　　إذا نـاحَ مِـنْ طَـرَبٍ أو تَـغَـنَّـى
ولـي مـهـجـةٌ قُـرِنَـتْ بـالأسـى　　إلـى جَـسَـدٍ ظـاهـر الـضُّـرِّ مُـضْـنـى
إذا ذَكَـرَتْ عَـهْـدَ أُلافـهـا　　أَجَـدَّ لـهـا ذلـك الـذِّكْـرُ حُـزْنـا
سـقـى الـلـه أَرْبُـعَـنـا بـالـحِـمـى　　وإن كُـنَّ بُـدِّلْـنَ بـالـسَّـكْـنِ سَـكْـنـا
وحـيَّـا وجـوهـاً عَـهِـدْنـا بـهـا　　وإنْ حَـجَـبَـتْـهـا يـدُ الـبَـيْـنِ عنّـا[٢]

وقال: وقد حَجَّ سنةَ ثلاثٍ وتسعين وأربع مئة: [من المديد]

ذَكَـرَ الأحـبـابَ والـوَطَـنـا　　والـصِّـبـا والإلْـفَ والـسَّـكَـنـا
فـبـكـى شَـجْـواً وحُـقَّ لـه　　مُـدْنَـفٌ بـالـشَّـوقِ حِـلْـفُ ضَـنَـى
أبـعـدَتْ مـرمًـى يـدٌ رَجَـمَـتْ[٣]　　مِـنْ خُـراسـانٍ بـه الـيَـمَـنـا
مَـنْ لـمـشـتـاقٍ تُـمَـيِّـلُـهُ　　ذاتُ أَيْـكٍ مَـيَّـلَـت فَـنَـنـا
لـم تـعـرَّضْ فـي الـحـنـيـن بـمَـنْ　　مـسـعـدٌ إلا وقـلـت أنـا
لـكِ يـا ورقـاءُ أُسـوةُ مَـنْ　　لـم تُـذِيـقـي طَـرْفَـه الـوَسَـنـا
بـكِ أُنـسـي مِـثْـلُ أُنـسِـكِ بـي　　فـتـعـالَـيْ نُـبْـدِ مـاكَـمَـنـا
نـتـشـاكـى مـا نُـجِـنُّ فـإنْ　　نُـحْـتِ شَـجْـواً صِـحـتُ واحَـزَنـا
أنـا لا أنـتِ الـبـعـيـدُ هـوًى　　أنـا لا أنـتِ الـغـريـبُ هُـنـا
أنـا فَـرْدٌ يـا حَـمَـامُ وهـا　　أنـتِ والإلْـفُ الـقـريـنُ ثُـنـا
إسْـرَحـا رَأْدَ الـنَّـهـارِ ضـحًـى　　واسْـكُـنـا جُـنْـحَ الـدُّجـى غُـصُـنـا

---

(١) القصيدة بتمامها في «الخريدة»: ٣/ ٧٨ ـ ٨١.

(٢) انظر أبياتاً من القصيدة في «الخريدة»: ٣/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٣) في (ع) و(ح): نزحت، والمثبت من «الخريدة».

وابْـكِـيـا يـا جـارتـيَّ لِـمـا ... صَـنَـعـتْ أيـدي الـفِـراقِ بـنـا
كـم تـرى أَشـكـو الـبِـعـادَ وكـم ... أَنْـدُبُ الأَطـلالَ والـدِّمَـنـا
أيـنَ قَـلْـبـي مـا صَـنَـعْـت بـه ... مـا أَرى صـدْرِي لـه سَـكَـنَـا
كـان يـومَ الـنَّـفْـرِ وَهْـو مـعـي ... فـأَبـى أن يَـصـحَـبَ الـبَـدَنـا
أبـهِ حـادي الـفِـراقِ حَـدَا ... أَمْ بـه داعـي الـشَّـبـابِ عَـنَـا
رَفَـعـوا سُـجْـفَ الـقِـبـاب فـلا الـ ... ـفَـرْضَ أَدَّيْـنـا ولا الـسُّـنَـنـا
كَـمْ أخـي نُـسْـكٍ وذي وَرَعٍ ... جـاء يـبـغـي الـحَـجَّ فـافْـتَـتَـنـا
أَنْـصِـفُـونـا يـا بـنـي حَـسَـنٍ ... لـيـس هـذا مـنـكُـمُ حَـسَـنـا
نـحـنُ وَفْـدُ الـلـه عـنـدكُـمُ ... مـا لـجـيـرانِ الـغـضـى ولـنـا
ذُبْـتُ حـتـى لـو أخـو رَمَـدٍ ... ضـمَّـنـي جَـفْـنـاه مـا فَـطِـنـا
لـو رآنـي حـاسـدي لـبـكـى ... رحـمـةً لـي أو عـلـيَّ حَـنَـا
لـيَ عَـيْـنٌ دَمْـعُـهـا دِرَرٌ ... خُـلِـقَـتْ أَجْـفـانُـهـا مُـزُنـا
وحَـشـاً أنـفـاسُـهـا شَـرَرٌ ... مُـحْـرِقـاتٌ مَـنْ إلـيَّ دَنَـا
ضَـمَّـنـا رَمْـيُ الـجِـمـارِ فـمـا ... راح حـتـى رُحْـتُ مـمـتَـحـنـا
بـيـنـمـا نـقـضـي مـنـاسِـكَـنـا ... إذ لـقِـيْـنـا دونَـهـا الـفِـتَـنـا
قـد(١) سَـمَـحْـنـا بـالـقـلـوبِ لـكُـمْ ... لـيـس نَـبْـغـي مـنـكُـمُ(٢) ثَـمَـنـا
فـاعْـقِـرُوهـا بـالـلِّـحـاظِ إذا ... شِـئْـتُـمُ أَنْ تَـعْـقِـروا الـبُـدْنـا
لـم يُـجِـرْنـا مـنـكُـمُ حَـرَمٌ ... مَـنْ أتـاه خـائـفـاً أَمِـنـا

من أبيات(٣).

وقال أيضاً: [من البسيط]

رُدِّي عليَّ الكرى ثُمَّ اهْجُري سَكَني ... فقد قَنِعْتُ بطيفٍ منكِ في الوَسَنِ

---

(١) في (ع): كم، والمثبت من (ح).

(٢) في (ع) و(ح): دونها، والمثبت من «الخريدة».

(٣) انظر القصيدة بتمامها في «الخريدة»: ٣/ ٨٣ ـ ٨٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وترتيب الأبيات.

عَلَّمْتِ بالهَجْرِ جَنْبي هَجْرَ مضجعِهِ ... وبالرُّقادِ جُفُوني صُحْبةَ الحَزَنِ
لا تحسبي النَّوْمَ قد أصبحتُ أَطْلُبُه ... إلا رجاءَ خيالٍ منكِ يُؤْنِسُني
تركتِني والهوى فَرْداً أُغالِبُهُ ... ونامَ ليلُكِ عن هَمٍّ يُؤَرِّقُني
سَلِمْتِ ممَّا عَنَاني فاسْتَهَنْتِ به ... لا يعرف الشَّجْوَ إلا كلُّ ذي شَجَنِ
شتَّانَ بينَ خَلِيٍّ مُطْلَقٍ وَشَجٍ ... في رِبْقةِ الحُبِّ كالمَصفُود في قَرَنِ
اللهَ في كَبِدي الحَرَّى عليكِ وفي ... قلبي المُعَنَّى حليفِ السُّقْمِ والمِحَنِ
إنْ كان يوجِبُ ضُرِّي رَحْمتي فَرِضًى ... بسوءِ حالي وَخَلٌّ للضَّنى بَدَني
يا هَمَّ نَفْسِيَ في قُرْبٍ وفي بُعدٍ ... وراحةَ القَلْبِ في حَلٍّ وفي ظَعَنِ
حُرِمْتُ منكِ الرِّضى إنْ كان غَيَّرني ... عَمَّا عَهِدْتيه شيءٌ أو يُغَيِّرُني
لو قيلَ لي نَلْ من الدُّنيا مُناكَ لما ... جَعَلْتُ غَيْرَكِ لي حَظّاً من الزَّمَنِ
مَنَحْتُكِ القلبَ لا أبغي به ثمناً ... إلا رِضاكِ وافَقْري إلى الثَّمَنِ[1]

منصور[2] الآمر بأحكام الله[3]

ابن المستعلي، صاحب مِصر.

لما كان يوم الثلاثاء ثالث ذي القَعدة خَرَجَ من القاهرة، وأتى الجزيرة، وعبر بعض الجسر، فَوَثَبَ عليه قومٌ، فلعبوا عليه بالسُّيوف - وقيل: كانوا غِلْمان الأفضل - فَحُمِلَ في مركبٍ إلى القَصر، ومات من ليلته، وعمره أربعٌ وثلاثون سنة، وكانت أيامه أربعاً وعشرين سنة وشهراً[4].

---

(١) الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ١٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) في (ع): منصور أبو محمد، وقوله أبو محمد خطأ، وهو ليس في (ح)، والصواب أبو علي كما في مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٨-٣٦٤، و«الكامل»: ١٠/ ٦٦٤ - ٦٦٥، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٢٩٩ - ٣٠٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ١٩٧ - ١٩٩، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٣١ - ١٣٣، وفي «السير» تتمة مصادر ترجمته.

(٤) كذا قال، وفيه متابعة لما ذكره ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٢، والذي عند ابن خلكان والذهبي والمقريزي أنه ولي سنة (٤٩٥هـ)، وله خمسة أعوام، فتكون أيام ولايته تسعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوماً فيما ذكر المقريزي في «اتعاظ الحنفا» ٣/ ١٢٩، وانظر «الكامل»: ١٠/ ٦٦٤ - ٦٦٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ١٩٩، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٧٣.

ومولده سنة تسعين وأربع مئة.

وكانت سيرته قد ساءتْ بالظُّلْم والعَسْف والمصادرة، ولما قُتِلَ وَثَبَ غلامٌ له أرمنيٌّ، فاستولى على القاهرة، وفرَّق الأموال في العساكر، وأراد أن يتأمَّر على النَّاس، فخالفوه، ومضوا إلى أحمد بن الأفضل فعاهدوه، وجاؤوا به إلى القاهرة، فخرج الغلامُ الأرمنيُّ فقتلوه، وولَّوْا أبا الميمون عبد المجيد بن [أبي][1] القاسم بن المستنصر، ولي الخلافة ولقبوه بالحافظ، ووَزَرَ له أبو علي أحمد بن الأفضل، وسمَّاه أمير الجيوش، فأحسنَ إلى النَّاس، وأعاد إليهم ما صادرهم به الآمر، وأسقط المكوس، فأَحَبَّه النَّاس، فحسده مقدَّمو[2] الدولة، واغتالوه، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى[3].

وقيل: إنَّ الآمر لم يخلِّف ولداً، وترك امرأةً حاملاً، فماجَ أهل مِصر، وقالوا: لا يموت أحدٌ من أهل هذا البيت إلا ويخلّف ولداً ذَكَراً، منصوصةً[4] عليه الإمامة. وكان قد نَصَّ على الحَمْلِ قبل موته، فوضعتِ الحاملُ بنتاً، فعدَلوا إلى الحافظ، وانقطع النَّسْلُ من الآمر وأولاده. وهذا مذهب طائفة من شيعة المِصريين، فإنَّ الإمامةَ عندهم من المستنصر إلى نزار.

وكان نَقْشُ خاتم الآمر: «الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين»، وابتهج النَّاسُ بقَتْله.

السنة الخامسة والعشرون وخمس مئة

فيها قد ذكرنا أَنَّ دُبَيْساً دَخَلَ البريةَ وانقطع خبره واخْتَلفوا في قِصَّته، أما تواريخ البغداديين، فإنهم قالوا: ضَلَّ في طريقه، فَقُبِضَ عليه بحِلَّة حسان بن مكتوم[5] الكَلْبي من أعمالِ دمشق، وتَقطَّع عنه أصحابه، فَحُمِلَ إلى دمشق، فباعه أميرُها ابنُ طُغتِكِين من زَنْكي بن آق سُنْقُر [صاحب الموصل][6] بخمسين ألف دينار، وكان زنكي عدوَّه،

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٣.

(٢) في (ع) و(ح) مقدمي، والمثبت من «النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٧٤، وهو ينقل عن «المرآة».

(٣) انظر ص ٢٤٩ من هذا الجزء.

(٤) في (ع) و(ح): منصوصاً، والمثبت من «النجوم الزاهرة»: ٥/ ١٧٢.

(٥) في (ع) و(ح): مكرم، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق للمنتظم: ١٠/ ٢٠.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فظنَّ أنه سَيُهْلِكُهُ، فلما حَصَلَ في قبضته أكرمه وخوَّله المالَ والسِّلاح، فلما وَرَدَ الخبر إلى بغداد، بَعَثَ الخليفةُ ابنَ الأنباري ليتوصَّل في أخذه، فلما وصل الرَّحْبة قَبَضَ عليه أميرُها بأمرِ زنكي، وحُمِلَ إلى قلعة المَوْصلِ.

وأمَّا تواريخ أهلِ الشَّام وأبو يعلى بن القلانسي فإنهم قالوا: وَصَلَ دبيس إلى الشام، وبلَغَ بوري أنه ببعض حلل العرب بنواحي صَرْخَد، وأنَّه قد ضَلَّ عن الطريق، فأرسل إليه من قَبَضَ عليه، ثم أنزله بدمشق، وأقام له الإقامة، وكتب إلى الخليفة يعرِّفه، فشكره، وقال: احتفظ به حتَّى أُنفذ من يتسلَّمه. وبلغ زَنْكي، فبعثَ إلى بوري يسأله أن يسلِّمَه إليه ويعطيه خمسين ألف دينار، وكان عند زنكي ابنُ بوري وجماعةٌ من أمرائه الذين غَدَرَ بهم على حلب على خمسين ألف دينار، فقال زنكي: اجعل دُبَيْساً عِوَض الخمسين ألف دينار. فمال بُوري إلى ذلك من أجل ابنه سونج وأمرائه، فأرسل إليه بدُبَيْس، وبَعَثَ إليه بابنه وبالأمراء، ووصل سديدُ الدولة بنُ الأنباري إلى دمشق يطلبُ دُبَيْساً، فاعتذر بوري بما جرى من المفاداة، فرجع إلى بغداد، فالتقاه عسكر زنكي في الطَّريق فأوقعوا به وبمن معه، وحُمِلَ إلى قلعة المَوْصِل، فلم يخلص إلا بشفاعة السُّلْطان مسعود.

وقال ابنُ القلانسي: وفيها وَرَدَ الخبر من حِلَّة مكتوم[1] بن حسان بن مِسْمار بوصول دُبَيْس إليه في خواصِّ غِلْمانه وأصحابه، وأنه ضَلَّ الطريق، ولم يكن معه دليل، ومات معظم أصحابه من العطش، فأرسل بوري مَنْ أحضره، وأنزله معه في القلعة، وخَدَمه، وحَمَلَ إليه من الطعام واللِّباس والفُرُش ما يليق به، وذلك في شعبان، وبَعَثَ إلى الخليفة يُعَرِّفُه، فأمره أن يحتفظ به ليرسل من يأخذه، وبَلَغَ زنكي، فأرسل إلى بوري بالمفاداة، وذكر بمعنى ما ذكَرْنا، وأن زنكي بَعَثَ بالمعتقلين إلى قارا في عسكره، وأَنَّ بوري بَعَثَ بدُبَيْس إليه في عسكره، ووقعتِ المفاداة [وذلك في ذي العقدة.

ولما اجتمع بوري بولده والجماعة سُرَّ بهم، وحينئذٍ خُوطب في الرَّئيس ابن الصوفي فأَطْلَقَه، وخَلَعَ عليه، وأعاده إلى رياسته، وابن المَزْدَقَاني بحاله على وزراته.][2].

(١) في (ع) و(ح): مكرم، والمثبت من (م) و(ش)، وهو الموافق لذيل تاريخ دمشق: ٣٦٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٦٦ ـ ٣٦٧، وسيأتي نحو هذا الخبر ص ٢٣٣، وأثبت ما في (م) و(ش) لزيادة معنى به.

وفي ربيع الأول وَصَلَ الخبرُ إلى بغداد أَنَّ مسعوداً أخا محمود انفصل من سنجر، وجاء يَطْلُبُ السَّلْطنة، وقد اجتمعَ إليه جماعةٌ من العساكر، وكان محمود ببغداد، فَبَعَثَ إلى الخليفة يستأذنه في الرَّحيل إليه، فقال الخليفة: قد عَلِمْتَ ما بيني وبينك من الأيمان، [و][1] أنني لا أستخدم أحداً، ومتى سافرت من العراق عاد دُبَيْس إلى الحِلَّة، وأفسد وَعاث، وقصد بغداد. فقال محمود: متى رحلتُ من العراق وخفتَ على نَفسك والمسلمين، ولم أَقْدر على نجدتك بنفسي أو بعسكري فقد نَزَلْت عن اليمين، وافعلْ ما تراه من المَصلحة. ورَحَل عن بغداد، وقصد هَمَذَان، فراسله مسعود، وتحالفا واجتمعا، وحَمَلَ مسعود الغاشية بين يديه، وأعطاه محمود مئةً وخمسين ألف دينار والعساكر والبلاد، وافترقا.

وفيها تغيَّرَتْ نيةُ محمود على الخليفة، وكان قد عَهِدَ إلى ولده داود، واستحلف له الأمراء والخواصّ قبل رحيله من بغداد، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه مالاً للنفقة وأن يخطب لولده، فقال: أما المال فما عندي، والخُطْبَة فالأمر فيها إلى سنجر فهو السُّلْطان. فغَضِبَ محمود، وعَزَمَ على تغيير الخلافة، وخرج إلى هَمَذَان، فلما استقرَّ بها جاءته رسل سنجر، فاستخفَّ بهم وأهانهم، وقال: أنا السُّلْطان، ومَنْ سنجر؟! وقَبَضَ على أعيان الأُمراء، وصادَرَ أهلَ هَمَذَان، وأَخَذَ أموالهم، وظَلَمَ وعَسَفَ، وأقام الخُطْبة لابنه داود بالجبل وأَذْرَبيجان، وعَزَمَ على دخول بغداد وتغيير الخليفة، فعاجله الموت بمرضٍ حَدَثَ به، واستقرَّتِ السَّلْطنةُ بعده لأخيه مسعود، وولاية العهد بعده لداود بن محمود، ثم لأخيه طغريل بن محمد[2].

وفيها عَزَلَ بوري وزيرَه المُفَرّج بن الصُّوفي، واعتقله وأقاربَهُ اعتقالاً جميلاً، واستوزر كريمَ الملك أبا الفضائل أحمد بن عبد الرزاق المَزْدَقاني نسيب الوزير[3]،

---

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ٢٠، والخبر فيه.

(٢) في (م) و(ش): وفيها ورد الخبر من بغداد بوفاة السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بن ألب رسلان في شوال بمرض حدث به، واستقرت السلطنة بعده لأخيه مسعود، وولاية العهد بعده لداود بن محمود، ثم لأخيه طغريل بن محمد، وسيأتي كل واحد منهما في موضعه، إن شاء الله تعالى.

(٣) هو ابن عم الوزير أبي علي المزدقاني، وقد سلفت أخبار الوزير، وانظر ص٢١٣، ٢١٧، ٢١٩ من هذا الجزء.

فاستقامتِ الأحوال، وكان عارفاً بقوانين الدَّواوين، فصيحاً بالعربية والعجمية، ثم أَطْلَقَ ابنَ الصُّوفي، وخَلَعَ عليه، وأعاده إلى رياسته، والمَزْدَقاني بحاله على وزارته.

وفيها جُرِحَ بوري؛ وذلك لأَنَّ الباطنية الذين في الشرق، لَمَّا عَلِمُوا ما جرى على إخوانهم في الشَّام ندبوا لقَتْلِ بوري رجلين فجاءا إلى دمشق، وتوصَّلا حتى خدما في ركابه، وأقاما ينتهزان الفُرْصة، وقد أَنِسَ بهما ظَنًّا منه أَنَّهما من غِلْمانه، فوثبا عليه يوم الخميس خامس جُمادى الآخرة بقلعة دمشق، فضربه أحدُهما بالسَّيْف طالباً رأسه، فوقع في رقبته، فجرحه، وضربه الآخر بسكينٍ في خاصرته، نَفَذَت بين الجلد واللحم، ورمى بنفسه إلى الأرض، وتكاثر أصحابه عليهما، فقطَّعوهما، وخِيْطَتْ جراحتُه، فبَرَأَ الذي في عنقه، ونَسَرَ(١) الذي في خاصرته، فكان سبباً لهلاكه، فَجَمَعَ الأُمراء والمقدَّمين والخواص والأعيان، وقال لهم: إني قد أيست من الحياة بسبب هذا الجرح، ولابُدَّ من الموت، وهذا ولدي أبو الفتح إسماعيل أكبر ولدي، وقد لاحت لي منه أمارة النَّجابة، وقد رأيتُ أَنْ أجعلَه وليَّ عهدي، فقالوا: الحكم لك فيما تراه، وطاعتُنا لك في حياتك كطاعتنا لولدك بعدك. فَسُرَّ بقولهم، وخَلَعَ عليه الخِلَع السَّنية، واستقرَّتْ فيه ولايةُ العهد.

فصل: وفيها توفي

أحمد بن محمد بن عبد القاهر(٢)

أبو نَصر الطُّوسي، كان [يصلي ببغداد في مسجد الشَّاكرية](٣)، ثم انتقل إلى المَوْصِل، فتوفِّي بها يوم السبت حادي عشرين ربيع الأول [سمع ابن المهتدي وابن المُسْلمة وابن النَّقور وغيره، وذكره جدي في «مشيخته» وقال: كان سماعه صحيحاً،

(١) نسر الجرح: نقض. «معجم متن اللغة»: ٥/ ٤٤٧.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢١ ـ ٢٢، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١١٧ ـ ١١٨، و«الكامل»: ١٠/ ٦٧١، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٦٤، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ٥٨ ـ ٥٩، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٧٣.

(٣) في (ع) و(ح): كان ببغداد، ثم انتقل إلى بغداد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وتفقَّه على أبي إسحاق الشيرازي، وكان شيخاً[1] لطيفاً على وجه نور[2]، قال جدِّي: وأنشدني أشعاراً حسنة، منها][3]: [من الطويل]

على كلِّ حالٍ فاجعلِ الحَزْمَ عُدَّةً ... تقدِّمُه بين النَّوائبِ والدَّهْرِ
فإنْ نُلْتَ خيراً نُلْتَهُ بعزيمةٍ ... وإنْ قَصُرَتْ عند الخُطُوبِ فمنْ عُذْرِ

ومنها: [من البسيط]

لَبِسْتُ ثوبَ الرَّجا والنَّاس قد رقدوا ... وقمتُ أشكو إلى مولايَ ما أجِدُ
وقلت يا عُدَّتي في كلِّ نائبةٍ ... ومَنْ عليه لكَشْفِ الضّرِّ أعْتَمِدُ
وقد مَدَدْتُ يدي والضّرُّ مُشْتَمِلٌ[4] ... إليكَ يا خيرَ مَن مُدَّتْ إليه يَدُ
فلا تَرُدَّنَّها يا ربِّ خائبةً ... فبحرُ جُوْدِكَ يَرْوِي كلَّ مَنْ يَرِدُ[5]

[قلت: وأحمد هذا هو جَدُّ شيخنا أبي عبد الله أحمد والركن بن عبد الله بن أحمد][6].

حمّاد بنُ مُسْلم الرَّحْبي الدَّبَّاس[7]

شيخ الشيخ عبد القادر وغيره، [ذكره جدي رحمه الله في «المنتظم»، وقال: سمع الحديث من أبي الفضل بن خيرون وغيره إلا أنه كان][8] على طريقة التصوف

---

(١) في (م): سمحاً.

(٢) «مشيخة ابن الجوزي»: ص١١٨.

(٣) في (ع) و(ح): فتوفي بها يوم السبت حادي عشرين ربيع الأول، وكان شيخاً لطيفاً على وجهه نور، وينشد أشعاراً حسنة، منها قوله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في «المنتظم»: وقد مددت يدي بالذل صاغرة.

(٥) «المنتظم»: ١٠/ ٢١ ـ ٢٢، وفي هامش (ح) بخط مغاير: ومنه

أشكو إليك ذنوباً أنت تعرفها ... مالي على حملها صبر ولا جَلَدُ

قلت: والأبيات مشهورة، وهي لأبي إسحاق الشيرازي، انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي: ٤/ ٢٠٥.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٢ ـ ٢٣، و«الكامل»: ١٠/ ٦٧١، «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٩٤-٥٩٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٨) في (ع) و(ح): وسمع من أبي الفضل بن خيرون وغيره، وكان على طريقة التصوف، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[يدَّعي][(١)] المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن، [وكان عارياً من علوم الشريعة، ولم ينفق إلا على الجُهَّال][(٢)] وكان ابنُ عقيل ينفِّرُ النَّاسَ عنه، [حتى إنه بلغه أنه][(٢)] يعطي كلَّ من تصيبه الحُمَّى لوزةً وزبيبة ليأكلها فيبرأ، [فبعث إليه ابن عقيل: إنْ عُدْتَ إلى مثل هذا ضربتُ عُنُقك. فكان يقول: ابن عقيل عدوي][(٢)]، وصار النَّاسُ ينذرون له النُّذور، فيقبل الأموال، ويفرِّقُها على أصحابه، ثم كره قَبُول النُّذور لقول النبي ﷺ: «إن النَّذْر يُسْتَخْرَجُ به من البخيل»[(٣)]، [فصار يأكلُ بالمنامات، كان يأتي الرَّجلُ فيقول: قد رأيتُ][(٤)] في المنام قائلاً يقول: أعطِ حمَّاداً كذا وكذا. فاجتمعَ له أصحابٌ ينفق عليهم مما يفتح له، وماتَ في رمضان، ودُفِنَ بالشُّونيزِيَّة.

[هذا صورة ما ذكر جدي رحمه الله في «المنتظم»[(٥)].

قلت: أما تعرض ابن عقيل لهذا الرجل الصالح، فلو ستر ابن عقيل نفسه كان أصلح، فإن الرجل كان من الأبدال][(٦)]، وقد أدركتُ جماعةً من الأكابر يحكون عن الشيخ عبد القادر عن حماد من الكرامات ما يشبه المتواتر.

وأما حديث اللَّوْزة والزَّبيبة فهذه عادةُ المشايخ في حسن الظَّنِّ بهم، وقد رأينا جماعةً فعلوا ذلك فعوفوا، وأما قوله: إنَّ النَّاس كانوا يأتون إليه، فيقول الرجل: رأيتُ إنساناً يقول: احملْ إلى حماد كذا وكذا، فهذا شيء لا تعلُّقَ له به، ولا كان يدَّعيه كرامةً ولا وسيلةً إلى أَخْذِ أموال النَّاس، وإنما الله سبحانه كان يلهمهم ذلك في المنام الذي هو من جنس الوحي في حق

---

(١) في (ع) و(ح): يشير إلى المعرفة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وهو الموافق للمنتظم.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو عند أحمد في «المسند» (٥٢٧٥). ولفظه عند أحمد: نهى رسول الله ﷺ عن النذر وقال: «إنه لا يرد من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل».
وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة برقم (١٦٤٠).

(٤) في (ع) و(ح): فكان الرجل يجيء فيقول: رأيت في المنام.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «المنتظم»: ١٠/ ٢٢-٢٣.

(٦) في (ع) و(ح): وكان الرجل من الأبدال. قال المصنف رحمه الله: وقد أدركت جماعة من الأكابر .. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الأخيار، فلا يلامُ على أمرٍ ليس فيه إجبار][١]، و[لو][٢] لم يكن لحماد من الفضائل التي اتصف بها في زهادته وطريقته ومكاشفته إلا أنَّ الشيخ عبد القادر أحد تلامذته [لكفاه][٢].

[وفيها توفي

محمد بن عمر بن عبد العزيز[٣]

أبو بكر الحَنَفي المُقْرِئُ، البخاري، ويعرف بِكاك.

سافر إلى البلاد، فسمع بنَيْسابور وبُخارى وسَمَرْقَنْد وهَمَذَان وبغداد، وأقام بها مُدَّة، وعاد إلى سَمَرْقَنْد، فسكَنَ بها مُدَّةً، ثم قَدِمَ بغداد، وحَجَّ وحدَّث بالحَرَمين وغيرهما، وكان أديباً فاضلاً، صالحاً، مُكْثراً، فلَّما عاد من الحج في هذه السَّنة توفي بالمحرَّم بالأجفُر][٤].

علي بن المُسْتَظْهر، أبو الحسن[٥]

الذي هرب من التَّاج ومضى إلى دُبَيْس[٦]، توفي في رجب، وأَمَرَ الخليفةُ بحملِ تابوته إلى الرُّصافة[٧]، وجَلَسَ الوزيرُ وأربابُ الدولة في بيتِ النوبة في العَزَاء ثلاثةَ أيام.

محمد بن أحمد بن جِياء ـ بجيم ـ أبو الفرج[٨]

شَرَفُ الكُتَّاب الحِلِّي][٩]، كان فاضلاً، وهو القائل: [من الكامل]

حَتَّامَ أَجْرِي في ميادين الهوى   لا سابقاً أبداً ولا مسبوقُ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١/ ٢٤، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٢٤٣، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤، و«العقد الثمين»: ٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). والأجفُر، بضم الفاء: موضع بين فيد والخزيمية، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة. «معجم البلدان»: ١/ ١٠٢.

(٥) له ترجمة في «المنتظم» : ١٠/ ٢٣، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٦٧٠.

(٦) انظر ص١٠٦ من هذا الجزء.

(٧) رصافة بغداد، وكانت بالجانب الشرقي منها، وفيها مقابر الخلفاء من بني العباس، انظر «معجم البلدان»: ٣/ ٤٦.

(٨) له ترجمة في «معجم الأدباء» : ١٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ١١٢ ـ ١١٣، و«بغية الوعاة»: ١/ ٢٣، ووفاته عندهم سنة (٥٧٩ هـ)، وقد نيف على الثمانين. وهو الصواب. وضبط الصفدي جياء، بكسر الجيم.

(٩) في (ع) و(ح): الحلوي، والمثبت من «الوافي بالوفيات»، وقد صرح ياقوت في «معجم الأدباء» أنه من أهل الحلة المزيدية. والنسبة إليها: الحِلِّي، على القياس.

مـا هَـزَّنـي طَـرَبٌ إلـى رَمْـلِ الـحِـمـى … إلا تَـعَـرَّضَ أَجْـرَعٌ وعَـقِـيْـقُ
شَـوقٌ بـأَطْـرافِ الـبـلادِ مُـفَـرَّقٌ … يـحـوي شتيتَ الـشَّـمْـلِ مـنه فـريـقُ
ومـدامِـعٌ كُـفِـلَـتْ بـعـارضِ مُـزْنَـةٍ … لَـمَـعَـتْ لـهـا بـيـنَ الـضُّـلـوعِ بـروقُ
فـكـأَنَّ جَـفْـنـي بـالـدُّمـوع مُـوَكَّـلٌ … وكـأنَّ قـلـبـي لـلـجـوى مَـخْـلُـوقُ
إنْ عـادتِ الأيـامُ لـي بـطُـوَيْـلـعٍ … أو ضَـمَّـنـي والـظَّـاعـنـيـنَ طـريـقُ
لأُنـبِّـهَـنَّ عـلـى الـغَـرامِ بِـزَفْـرتـي … وَلَـتَـطْـرَبَـنَّ لـمـا أَبُـثُّ الـنُّـوقُ

محمد بن الحسين بن محمد بن علي(١)

أبو تمَّام الزَّيْنَبي، بيتُه معروفٌ بالشَّرَف والفَضْل.

ولد سنة ست وأربعين وأربع مئة، وسمع الحديث الكثير، وكان سيِّداً فاضلاً، توفي في ذي القَعدة، وصَلَّى عليه ابنُ عَمِّه أبو القاسم علي بن طِراد، وحُمِلَ إلى الحَرْبية، فَدُفِنَ في تُرْبة أبي الحسن القَزْويني.

محمود بن محمَّد بن مَلِك شاه(٢)

ابن ألب رسلان، السُّلْطان.

قد ذكرنا جُمْلةً من سيرته، وكان قد عَزَمَ على إفساد الأمور على الخليفة، فعاجله الموتُ بهَمَذَان يوم الخميس خامس عشرة شَوَّال، وعمره ثمانٍ وعشرون سنة، ومُدَّة وقوع الملك عليه أربع عشرة سنة، وكان قد عَهِدَ إلى ابنه داود وهو صغيرٌ في حِجْر زوجِ أُمِّه الأحمديلي صاحب أَذْربيجان، فجدَّد أبو القاسم وزير محمود على الأُمراء العهود، وكَتَبَ إلى الأحمديلي بذلك.

وكان مسعود ببلاد أرانية(٣)، فتحرَّك إلى العراق، وطَلَب السَّلْطنة، وكتب إلى الخليفة ولم يكتب إلى سنجر، وعَلِمَ سنجر، فسار من خراسان إلى هَمَذَان، وفوَّضَ

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٤، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١١٤ ـ ١٤٤، و«الكامل»: ١٠/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) أرانية لعلها أران، وجاء في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٤٧ أنه كان ببلاد أرمينية، وقد ذكر ياقوت أن أران أول مملكة أرمينية، انظر «معجم البلدان»: ١/ ١٦١.

إلى ابن أخيه طُغْرِيل ولايَةَ العراق، وأضافَ إليه عسكَرَ محمود، وجعل لداود بن محمود من الإقطاع ما يكفيه إلى أن يَبْلُغَ مَبْلَغَ الرِّجال، ويرى فيه رأيه، هذا ومسعود بأرانية، فكتَبَ إلى الأحمديلي يقول: أنا ما أريد السَّلْطنة إلا لابن أخي داود، وأقنعُ بما أفتحه من البلاد. فَطَمِعَ الأحمديلي، وقال لمسعود: تقدَّم وأنا على إِثْرِك. وعاد إلى سنجر إلى خرَاسان، وجاء مسعود إلى هَمَذَان ومعه الأحمديلي، فخرج إليهم طُغْرِيل، فكسرهم، فمضى إلى أرانية والأحمديلي إلى أَذْربيجان، وتقرر مُلْكُ طغريل بهَمَذَان.

هِبةُ الله بنُ محمد بنِ عبد الواحد[1]

أبو القاسم بن الحُصَيْن الشَّيْباني الكاتب.

ولد سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، وبكَّر به أبوه وبأخيه أبي غالب عبد الوَاحد، فأسمعهما «المسند»[2] وغيره من أبي علي بن المُذْهِب، والتَّنوخي وأبي طالب بن غَيْلان وغيرهم حتى صار أَسْنَدَ أهلِ عَصره. ورحل إليه الطَّلَبَة من البلاد، وكان ثِقَةً صدوقاً، صحيح السَّماع، وكانت وفاتُه بين الظُّهْر والعَصر من يوم الأربعاء رابع عشرة شَوَّال، وأشرف على غسْله ابنُ ناصر بوصيةٍ [منه][3]، وصلَّى عليه في جامع [القصر، وحُمِلَ إلى جامع][4] المنصور، فصلَّى عليه عبد الوهَّاب الأنماطي، ودُفِنَ بباب حَرْب عند بِشْر الحافي.

السنة السادسة والعشرون وخمس مئة

فيها وَصَلَ مسعود إلى بغداد في عشرة آلاف، وورد قراجا السَّاقي صاحب خُوزستان وفارس ومعه سَلْجوق شاه بن محمد، وكلاهما يطلب السَّلْطنة، وانحدر زَنْكي من

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٤، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٠ ـ ٦١، و«الكامل»: ١٠/ ٦٧١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٣٦ ـ ٥٣٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) وقد تفرد ابن الحصين برواية مسند الإمام أحمد عن أبي علي بن المُذهب، عن القطيعي، عن عبد الله بن الإمام أحمد، عن الإمام أحمد، وعن روايته هذه كانت طبعة مؤسسة الرسالة، التي شرفني الله تعالى بالمشاركة في خدمتها مع شيخي الجليل شعيب الأرنؤوط، وصديقي الأثير الشيخ محمد نعيم العرقسوسي.

(٣) ما بين حاصرتين من «المنتظم» و«المشيخة» لابن الجوزي.

(٤) ما بين حاصرتين من (ح).

المَوْصِل لينضمَّ إلى مسعود، [فلما بلغ تكريت خلَّف قراجا سلجوق شاه في عَدَدٍ يسير، وأمرهم بمدافعة مسعود][٢] إلى أن يعود، وأَسْرى في يومٍ وليلةٍ إلى تكريت، فواقع زنكي فهزمه، وأَسَرَ جماعةً من أصحابه، وعاد بهم، ثم دخل السُّفراء بينهم، وحَصَلَ الاتِّفاقُ بين مسعود وقراجا وسَلْجوق، واستحلفهم الخليفة واجتمعوا، وقويت الأراجيف بمجيء سنجر إلى بغداد، فَعُمِلَ السُّور وجُبي العراق، وخرجوا بأجمعهم متوجِّهين لقتال سنجر، وألزمَ قراجا الخليفةَ بالخروج، فكرهه، فتوعَّده قراجا، وقال: إنَّ الذي تخافه من سنجر في آجل الأمر إنْ لم تخرج نحن نُعَجِّلُه لك الآن. وبعث سنجر يقول للخليفة: أنا العبد، مهما أُرِيْدَ مني فَعَلْتُ. فلم يقبل منه. وسارَ الجماعة، وخَرَجَ الخليفةُ بعدهم بأيامٍ من باب النَّصر في أُبَّهة الخلافة على عادته في سادس عشرة جُمادى الآخرة، وضَجَّ النَّاس له بالدُّعاء، وباتوا يَخْتِمون الختمات، ثم رحل في ثاني رجب، وقُطِعَتْ خُطْبة سنجر، وأقام الخليفة بخانِقِين[١].

وورد سنجر هَمَذَان في مئة وستين ألفاً، وكان مع مسعود وقراجا ثلاثون ألفاً، وكانت الوقعة قريباً من الدِّينور، وكان يوماً لم يكن في الإسلام مثله، أُحصي القَتْلى فكانوا أربعين ألفاً، وقُتِلَ قراجا، وانهزم مسعود، وأَجْلَسَ سنجر طُغْرل على تخت المُلْك بهَمَذَان، وعاد سنجر إلى خُراسان، وكَتَبَ إلى زَنْكي ودُبَيْس [بقصدِ بغداد، وبلغ الخليفة، فعاد من خانِقِين، وجاء زنكي ودُبَيْس][٢] في سبعة آلاف، وعَبَرَ الخليفة إلى الجانب الغربي في ألفي فارس، والتقوا، فانكسرت ميمنةُ الخليفة، فرمى الطَّيْلَسان من على رأسه، وجذب السَّيف وعليه البُرْدة، وحَمَلَ العسكر معه، فانهزما، وقُتِلَ من القَوْم مقتلةٌ عظيمة، وهرب زنكي إلى تكريت ودُبَيْس إلى الفرات.

وفيها بعث الخليفة إلى أنوشروان بن خالد صاحبَ المخزن ابنَ طلحة يأمره أن يجلس في الديوان ليخلع عليه خِلَع الوِزارة، فامتنع وقال: إني لما استوزرني السُّلْطان طلبت الإقالة، وقد قَنِعْتُ من الدُّنيا بمكاني هذا. فلم يَعْفِه، فأجابَ، فعُرِضَ عليه دارُ

---

(١) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ٣٤٠.
(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

ابنِ صَدَقَة، فامتنع، وقال: كان له عليَّ حَقٌّ - وكان ابنُ صَدَقَة يَصِلُه كلَّ سنةٍ بمالٍ كثير - فَعُرِضَ عليه دارٌ أُخرى.

وفيها عاد دُبَيْس إلى بلاده، وجَمَعَ الجموع، وكان الخليفة قد ولَّى بالحِلَّة إقبال المُسْتَرشِدي، وأَمَدَّه بعسكرٍ، فَهَزَمَ دُبَيْساً، فهرب إلى أَجَمَةٍ فيها ماء فأقام ثلاثة أيام لا يأكل طعاماً، حتى أخرجه جماسٌ[١] على ظهره، وخلَّصه.

وفيها وصل داود بن محمود والأحمديلي إلى بغداد.

وفي شعبان قَبَضَ الخليفةُ على وزيره أبي القاسم شَرَفِ الدِّين[٢]، وأَخَذَ من داره أموالاً عظيمة، منها البَدَنة اللؤلؤ التي أخذها دُبَيْس من الأمير أبي الحسن بن المُسْتظهر لمَّا أسره، ومعضدةً قيمتُها مئة ألف دينار، ومن أواني الذَّهب والفِضَّة ومراكب الذهب والثِّياب والأثاث ما أقاموا ثلاثة أيام في نَقْله وما فرغ، وخمس مئة رأس من الخيل والبِغال والجِمَال، وأُخذ خَطُّ الوزير بعدها بثلاثين ألف دينار.

وفيها[٣] ما أَحَسَّ النَّاسُ إلا بابنِ دُبَيْس وقد قَدِمَ بغداد في خمسين فارساً، ولم يعلم به أحد حتى نَزَلَ وقَبَّل عتبة باب النّوبي، وتمرَّغ على الصخرة، وقال: قد جِئْتُ إلى هذه العتبة، فإما أَنْ يعفوَ عني أمير المؤمنين أو يقتلَني. فعفا الخليفةُ عنه، وأنزله داراً، وأعطاه دنانير.

وفيها تُكُلِّم في خاتون المستظهرية بسبب شابٍّ يقال له ابن المهر[٤]، فَحَلَّ الخليفةُ إقطاعها، وقَتَل ابن المهر، وأَظْهَرَ أَنَّه قد هَرَبَ، وطرَدَ الخليفةُ خُدَّامَها، وأخذ خَيْلَها، وأقام معها في دارها من يَحْفَظُها، واشْتُهِرَ أَمْرُها، فَكَتَبَتْ إلى سنجر، فيقال: إنَّه كَتَبَ إليها أَنَّه يريد الفَتْك بالخليفة. فَوَقَعَ كتابُهُ في يد الخليفة، فهيَّجه ذلك على الخروج لقتاله.

---

(١) وهي كذلك في «المنتظم»: ١٠/ ٢٧، ولم أهتد إلى معناها المراد في ذلك العصر.

(٢) يعني علي بن طراد الزينبي، وقد أعيد إلى الوزارة سنة (٥٢٨هـ)، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٣٨هـ).

(٣) في (م) و(ش): في شعبان.

(٤) في (م) و(ش): ابن المهتر، وفي مطبوع «المنتظم»: ١٠/ ٢٧: ابن المهير.

فصل [قال جَدِّي في «المنتظم»:][(١)]

وفيها توفي

أحمد بن حامد بن محمد[(٢)]

أبو نَصر، المُسْتَوْفي، المعروف بالعزيز، عَمُّ العماد الكاتب.

قَبَضَ عليه الأنساباذي وزير طُغْريل، وسُلِّمَ إلى بِهْرُوز الخادم، فحمله إلى تكريت، فَقُتِلَ فيها، وكان من رؤساء الأعاجم.

[هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»[(٣)].

قلت: وهذا العزيز هو [عم] العماد الكاتب الأصبهاني، صاحب «الخريدة»][(٤)].

ولد [العزيز][(١)] بأصبهان سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة، وهو من بيت الفَضْلِ والكتابة، وكان مُدَبِّر الممالك، واختصَّ بالسُّلْطان محمود بن محمد [بن ملك شاه][(١)]، ودَبَّر قوانين الوزارة مُدَّة، وقيل: كان صديق الدَّرْكِزيني وزير محمود، فسعى به، فتأكَّدَتِ العداوةُ بينهما، وكان محمود صبياً يميل إلى جَمْع المال، فسعى به الدَّرْكِزيني، فحبسه بقلعة تكريت، فما زالَ محبوساً حتى مات محمود، وأَجْلَسَ الدركزيني أخاه طغريل في السَّلْطنة، فقال لطغريل: قد استولى العزيز على الأموال، فأمر بِهْروز [الخادم][(٥)] بتقريره، فلم يقرَّ بشيء، فَخُنِقَ، وقيل: سُمَّ، وقيل: دَخَلَ عليه قومٌ من الباطنية فقتلوه، ثم أمر طغريل بالوزير الدَّرْكِزيني، فَصُلِبَ بعد أربعين يوماً من قَتْلِ العزيز لأمرٍ بلغه عنه.

وكان العزيز جَوَاداً مُمَدَّحاً [، مدحه الشُّعراء، وقد ذكره العماد في «الخريدة»[(٥)]، وكان][(١)] شاعراً فصيحاً، كَتَبَ إلى بعض أصدقائه: [من الخفيف]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/٢٨، و«دولة آل سلجوق»: ١٤٢ ـ ١٤٣، ١٥٢ ـ ١٥٦، و«وفيات الأعيان»: ١٠/١٨٨ ـ ١٩٠، و«الوافي بالوفيات»: ٦/٢٩٩ ـ ٣٠٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٤٩، وذكر العماد وفاته سنة (٥٢٧هـ)، وانظر «كتاب الروضتين»: ٢/١٧.

(٣) «المنتظم»: ١٠/٢٨.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، ولفظ «عم» زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٥) «الخريدة» قسم شعراء أصفهان: ١/٤٣-٦١.

يـا أخـا الـفَـضْـلِ لِـمْ تَـأَخَّـرْتَ عَـنَّـا فـأَسَـأْنـا بـحُـسْـنِ عَـهْـدِك ظَـنَّـا
كـم تـمـنـيـتُ لـي صـديـقـاً صَـدُوقـاً فـإذا أنـتَ ذلـك الـمُـتَـمَـنَّـا
فـبـغُـصـنِ الـشَّـبـابِ لـمَّـا تـثـنَّـى وبـعـهـد الـصِّـبـا وإنْ بـانَ عَـنَّـا
كُـنْ جـوابـي إذا قـرأتَ كـتـابـي لا تَـقُـلْ لـلـرَّسـولِ كـان وكُـنَّـا[١]

[ذكر واقعته مع ابن القُدُوري][٢]:

قدم على العزيز في أيام السُّلْطان محمود ـ وهو حينئذٍ متولِّي ديوان الاستيفاء ـ رجلٌ يعرف بابنِ القدوري من أهل الشَّام، فمدحه بقصيدةِ ابنِ الخَيَّاط التي [قالها في مدح أبي النجم هبة الله بن بديع الأصبهاني وزير تاج الدولة تُتُش، وكان ابنُ الخَيَّاط قد سافر مع الوزير من دمشق إلى العراق، وورد الرَّي، والقصيدة طويلة، وأولها: [من الطويل]

أيا بَيْنُ ما سُلِّطْتَ إلا على ظُلْمي ويا حبُّ ما أَبْقَيْتَ منِّي سوى الوَهْمِ

وقد ذكرناها في ترجمة ابنِ الخياط في سنة سبع عشرة[٣] وخمس مئة، فلما حضر القُدُوري بين يدي العزيز امتدحه بها، وأنشده إياها، فاهَتزَّ][٤] العزيز لأَوَّلها، فلما بلغ إلى المخلص وقد غَيَّره بأبياتٍ ضعيفةٍ [ركيكة][٥]، أطرقَ العزيز [ساعة][٥]، ثم قام ودخل، واستدعاه [وأدناه منه][٥]، وقال له: اصدُقني، لِمَنْ هذا الشِّعْر، وسوف ترى ما أفعل معك؟ فقال له: يا سيدي، والله ما أنا شاعر، وإنما جار عليَّ الزَّمان وافتقرت، فَقَصَدْتُك طالباً إحسانَك، والقصيدُ لابنِ الخَيَّاط. فاصفَرَّ لونُ العزيز، وقال له: طِبْ نَفْساً وقَرَّ عَيْناً. ودَفَعَ إليه مئةَ دينار، وثوباً أَطْلَس، وعِمامةَ قَصَب، ونوَّه بذكره في المجالس [والمحافل][٥]. وقال: شاعِرٌ مجيد. فأثرى الرجل بعد فَقْرٍ، واستغنى.

---

(١) «الخريدة» قسم شعراء أصفهان: ١/ ٤٤ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) .

(٣) في (م) تسع عشرة، وهو خطأ، والصواب ما هو مثبت، انظر ص١٧٤-١٧٦ من هذا الجزء.

(٤) في (ع) فمدحه بقصيدة ابن الخياط التي مدح بها وزير تُتُش، والقصيد:

أيا بين ما سلطت إلا على ظلمي

وقد ذكر ذلك في ترجمة ابن الخياط قريباً، فلما أنشده إياها اهتز العزيز. قلت: وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[قلت: وهذه الحكاية تدل على مكارم أخلاق العزيز، ولا يوجد مثلها في السمع والأراجيز، وكم له من فضائل وفواضل عديدة، وقد استوفى العماد أخباره في «الخريدة»، وكان الواجب ذكره في أول «الخريدة»][١].

بُوري بن [أتابك][٢] طُغتِكِين [صاحب دمشق][٢][٣]

كان حليماً شجاعاً شَهْماً [وذكره جماعةٌ في تواريخ الشام، منهم الحافظ ابن عساكر، فقال:][٢] ولد في رمضان سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة، وولي إمرة دمشق بعد موت أبيه سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وكانت سيرتُه سيرةً قريبة، وكان فيه سماحة، وقَتَلَ أبا علي بن المَزْدَقاني والإسماعيلية، [ولم يزل والياً على دمشق حتى وثب عليه اثنان من الباطنية يوم الخميس لخمسٍ خَلَوْن من جمادى الآخرة، وقيل: يوم الاثنين حادي عشرين رجب من سنة ست وعشرين وخمس مئة][٤].

وقال [غيرُ][٢] ابنِ عساكر: بعث إليه الإسماعيلية رجلين، فضرباه بالسَّكاكين، وقد خَرَجَ من الحَمَّام، وهو مُلْبِس[٥]، فأثَّر فيه بعضَ الأثر. وكان قد اعتقل وجيه الدولة بن الصُّوفي، فَعَلِمَ أنَّ الصواب معه في تَتَبُّعِ الباطنية، فأَطْلَقه، ورده إلى رياسته، وأقام ينتقض عليه الجُرْحُ تارةً، ويندمل تارة، [فلما كان في رجب من هذه السنة انتقض عليه، فمات][٢].

ولما احْتُضِرَ أوصى إلى ولده شمسِ الملوك إسماعيل، فكانت ولايتُهُ ثلاثَ سنين وشهوراً.

وقد مدحه ابنُ الخَيَّاط فقال: [من الطويل]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وقد ذكره في أول شعراء أصفهان.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل دمشق» لابن القلانسي: ٣٧٠ ـ ٣٧١، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٣/ ٤٣٣، و«الكامل»: ١٠/ ٦٧١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ع) و(ح): وقتل أبا علي بن المزدقاني والإسماعيلية، وقد ذكرنا وثوب الباطنية عليه، وبقي إلى يوم الاثنين حادي عشرين رجب هذه السنة ومات... وما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٣/ ٤٣٣.

(٥) أي لابساً الدرع، من اللبوس، وهي الدرع التي تلبس في الحرب. انظر «اللسان» (لبس).

لـقـد كَـرَّمَ الـلـه ابـنَ دَهْـرٍ تَـسُـودُهُ   وشَـرَّفَ يـا تـاجَ الـمـلـوكِ بـك الـدَّهْـرا
وَمَـنَّ عـلـى هـذا الـزَّمـانِ وأهـلِـهِ   بـأرْوَعَ[1] لا يـعـصـي الـزَّمـانُ لـه أَمْـرا
إذا قـلـتُ فـي تـاجِ الـمـلـوك قـصـيـدةً   من الشِّعْرِ قالوا قد مَدَحْتَ به الشِّعْرى[2][3]

ولما ولي ولده إسماعيل بعده أحسن السِّياسة والسِّيرةَ، وبَسَطَ العَدْل، وأحسن إلى الأجناد، وردَّ التدبير إلى يوسف بن فيروز شِحْنة دمشق حاجب أبيه، وأزال المكوس والضَّمانات والمُؤَن.

وكان أخوه شمس الدولة محمد بن بُوري ببَعْلَبَكّ قد تعرَّض لحِصن اللَّبْوة والرأس، واستنزل منهما من كان أبوه قرَّرهم فيهما، فراسله شمسُ الملوك بإعادتهما إلى مَنْ رَتَّبه أبوه فيهما، فأبى، فخرج من دمشق في ذي القَعدة، ومعه آلاتُ القتال، وورَّى بمكانٍ آخر، ثم سارَ من طريق غير معهود، فنازل الحِصْنَيْن، ففتحهما، وجاء إلى بَعْلَبَكّ، فتحصَّن منه أخوه بالحرامية وغيرهم، فدخل رَبَضَ بعلبك وملكه، وقتل من أهلها مَنْ قاتله، ونَصَبَ المجانيق على القلعة، فلما أَحَسَّ أخوه بالهلاك بَذَلَ له الطَّاعة، وأن يقرَّه على ما كان بيده في أيام بُوري، فأجابه، ووفى له[4].

عبد الكريم بن حمزة بن الخَضِر، أبو محمد السُّلَمي[5]

دمشقي، سمع الكثير [ولقي الشيوخ][6]، وتوفي بدمشق [سمع أبا بكر الخطيب، وأبا الحسن بن أبي الحديد وغيرهما، وروى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره. وقال عبد الكريم: أنشدنا الخطيب، عن رضوان بن الدِّيْنَوري، عن أبي حاتم الخزاعي، قال: أنشدنا أبو القاسم العِجْلي لنفسه][7]: [من البسيط]

---

(١) الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه. «اللسان» (روع).

(٢) الشِّعْرى: كوكب نير يطلع من الجوزاء. «اللسان» (شعر).

(٣) «ديوان ابن الخياط»: ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، دار صادر بيروت ط٢/ ١٩٩٤ .

(٤) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٧١ ـ ٣٧٤.

(٥) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٠/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٦٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٠٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) في (ع) (ح): وتوفي بدمشق، وأنشد لأبي القاسم العجلي.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) (ش).

الـضَّـيْـفُ مُـرْتَـحِـلٌ والـمـالُ عـارِيَـةٌ ... وإنّـمـا الـنَّـاسُ في الـدُّنـيـا أحـاديـثُ
فـلا تَـغُـرَّنَّـك الـدُّنـيـا وزَهْـرَتُـهـا ... فـإنَّـهـا بـعـدَ أيـامٍ مـواريـثُ
واعـمـلْ لـنـفـسِـكَ خـيـراً تَـلْـقَ نـائِـلَـهُ ... فالخيرُ والشَّرُّ بعدَ الموتِ مبثوثُ(١)

محمد بن أحمد بن يحيى، أبو عبد الله العُثْماني، المَقْدِسي(٢)

من ولد محمد الدِّيْباج(٣)، وهو من أهل نابلُس، وأصله من مكَّة، ونَزَلَ القُدْس، ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة ببيروت، وسمع الحديث [بمَكة والشام وبغداد](٤)، وجاور بمكة، وتولَّى عمارة الحَرَم، وقَدِمَ بغداد، وجَلَسَ للوعظ بجامع الخليفة، ودَرَّس بالنِّظامية، وكان له عند الخليفة والنَّاسِ جاه وحُرْمةٌ، لصيانته وعِفَّته ولزومه مسجده(٥).

[قال جَدِّي رحمه الله: وسمعته ينشد: [من الخفيف]

دَعْ جُـفـونـي يـحـقُّ لـي أَنْ أَنُـوحـا ... لـم تَـدَعْ لي الـذُّنوبُ قَلْباً صـحـيـحـا
أَخْـلَـقَـتْ بَـهْـجـتي أكـفُّ الـمـعـاصي ... ونـعـاني الـمـشـيـبُ نـعْـيـاً فَـصِـيـحـا
كـلَّـمـا قـلـتُ قـد بـرا جُـرْحُ قـلـبـي ... عـادَ قـلـبـي مـن الـذُّنـوبِ جـريـحـا
إنـمـا الـفـوزُ والـنَّـعـيـمُ لـعـبـدٍ ... جـاءَ فـي الـحَـشْـرِ آمـنـاً مـسـتـريـحـا

وكانت وفاته ببغداد في صفر، ودفن بمقبرة الوردية، وقيل: إنه مات في سنة سبع وعشرين(٦) وخمس مئة. كذا قال جدي في «المنتظم»(٧)، وقال: هو محمد بن أحمد

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٠/ ٤٢٧.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٥/ ٣٩٢، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٧٤١ ـ ٧٤٢، و«تبيين كذب المفتري»: ٣٢١، و«المنتظم»: ١٠/ ٣٣، و«الكامل»: ١١/ ٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٤ ـ ٤٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته، ووفاته عندهم سنة (٥٢٧ هـ).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن أمير المؤمنين عثمان، وقد لقب بالديباج لحسنه، قتل سنة (١٤٥هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ح) عقبه: وتوفي ببغداد في صفر بمقبرة الوردية، وقيل: إنه مات سنة تسع وعشرين، وكان قد جمع بين العلم والزهد، والورع وحسن الخلق، وكثرة المروءة، وأنشد ـ ثم ذكر الأبيات، وقلت: وقد سقت ما في (م) و(ش) بين حاصرتين لما فيهما من الزيادة.

(٦) في (م) و(ش): تسع وعشرين، وهو تحريف، والمثبت مما يستفاد من «المنتظم» ومصادر ترجمته.

(٧) «المنتظم»: ١٠/ ٣٧.

من ولد محمد الدِّيباج بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: وهو من أهل نابلس، ويقال له المقدسي، قال: وكان غالياً في مذهب الأَشْعري.

وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: سمع بمكة نَصر بن مرزوق الزَّعفراني(١)، وبدمشق نَصْراً المقدسي، وببغداد شيوخ ذلك العَصر، قال: وسمعت منه بمكة وبغداد، وكان قد جَمَعَ بين العلم والزهد والورع، وحسن الخلق وكثرة المروءات، وكانت وفاته ببغداد](٢).

[فصل: وفيها توفي:

محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفَرَّاء(٣)

أبي الحسين بن أبي يعلى.

ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، وتفقَّه في مذهب أحمد، وناظر وأفتى، وكان يبيتُ في داره بباب المراتب وَحْده، وكان له مالٌ كثير، وعَلِمَ به خُدَّامُه، فدخلوا عليه ليلةً، فَقَتَلوه، وأخذوا المال، وذلك ليلة الجمعة عاشر المحرَّم، ثم إنَّ الله أوقعهم كلَّهم، فَقُتِلوا.

سمع أبا يعلى، والخطيب، وابن النَّقور، وغيرهم، وكان ثِقَةً](٤).

السَّنة السَّابعة والعشرون وخمس مئة

فيها خُطِبَ لمسعود ببغداد، ومِنْ بعده لابن أخيه داود، وخُلِعَ عليهما، وعلى سُنْقُر الأحمديلي بباب الحجرة.

---

(١) كذا في (م) و(ش)، وهو خطأ، صوابه فيما ذكر ابن عساكر: ١٤/ ٧٤١ أنه سمع ببغداد أبا الحسن بن مرزوق الزعفراني. قلت: وأبو الحسن هو محمد بن مرزوق، محدث ثبت، ولد سنة (٤٤٢هـ)، ومات في بغداد سنة (٥١٧هـ)، وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٤٧١ ـ ٤٧٢.

(٢) «تاريخ ابن عساكر»: ١٤/ ٧٤١ ـ ٧٤٢.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٢٩، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٧، و«الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٦٨٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٠١ ـ ٦٠٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
وهو صاحب كتاب «طبقات الحنابلة»، وقد طبع في مصر سنة ١٩٥٢م، بعناية الشيخ محمد حامد الفقي.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وأرسل الخليفةُ مضاربه فَضُربتْ بالرَّمْلة[١]، وأصبح فنزل في شبَّارةٍ مُصعِداً إلى التُّسْتَريين[٢]، وفي صَدْرِ السفينة يرنقش البازْدار، وبيده سيفٌ مسلولٌ، وسُنْقُر الأحمديلي قائماً بين يديه، والخدم والخواصّ حوله، وصَعِدَ من الشَّبَّارة، وركب ومضى إلى المضارب، والناسُ مشاةٌ بين يديه، ومشى الملكان مسعود وداود بين يديه مسافةً يسيرة، وأمرهما بالركوب، وسيَّرهما إلى هَمَذان، وضَمَّ إليها نَظَر الخادم، ومعه مهدُ الخليفة، وخيمة سوداء، ولواءٌ أسود، وخرج إليهم طُغْريل، فهزموه، واستقرَّ مسعود بهمذان، ووثَبَ جماعةٌ من الباطنية على الأحمديلي، فقتلوه. واتُّهم مسعود أنَّه وَضَعَهم عليه.

وفيها عَزَمَ المسترشدُ على المسير إلى المَوْصِل، وعَبَرَ، ونزل في الدَّار الزَّكوية التي على الصَّراة، ثم رَحَلَ إلى الرَّمْلة ومعه نيِّفٌ وثلاثون أميراً واثنا عشرة ألف فارس، وكان بِهْروز بقلعة تكريت، فأَرْسَلَ إليه الخليفة بالنزول عنها وتسليمها والمال الذي فيها، فأجابَ بأني رجلٌ كبير، ولا طاقةَ لي بالخِدْمة. وأرسل بالمال والضِّيافات، فأعفاه من النُّزول.

وسار الخليفةُ إلى المَوْصِل، فوصَلَها في العشرين من رمضان، فأقام ثمانين يوماً على حِصارها، وبَعَثَ إليه زَنْكي: أنا أُعطيك الأموال، وأدخل في الطَّاعة، وارْحَلْ عني. فلم يجبه.

ثُمَّ رَحَلَ عقيبَ ذلك، لأَنَّه بلغه أنَّ مسعوداً غَدَرَ بالأحمديلي وقَتَلَه، وخَلَعَ على دُبَيْس. وعاد الخليفةُ إلى بغداد في ذي الحِجَّة.

وفيها فَتَحَ شمسُ الملوك صاحبُ دمشق بانياس، وكان الفرنج لما أخذوها طَمِعُوا في المُسْلمين، وقووها بالرِّجال والسِّلاح، وعزموا على نَقْضِ الهُدْنة، وبلغ شمسَ الملوك، فسار إليها بخَيْله ورَجْلِهِ، وقاتلهم قتالاً شديداً أياماً، فلمَّا كان يومُ الأحد غُرَّة صَفَر زَحَفَ إليها، وترجَّل وترجَّلَتِ العساكر بأَسْرها، وطمُّوا الخندق، وهَجَموا البلد، وقتلوا من الفرنج خلْقاً كثيراً، والتجأ الخَيَّالة والفرسان إلى الحِصن، فحصرهم،

---

(١) الرملة: محلة كانت نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد. «معجم البلدان»: ٣/ ٦٩.

(٢) محلة كانت ببغداد في الجانب الغربي بين دجلة وباب البصرة، يسكنها أهل تُسْتر، وتعمل بها الثياب التسترية. انظر «معجم البلدان» ٢/ ٣١.

فصاحوا: الأمان، فأَمَّنهم، ونزلوا، فأَسَرَهم جميعاً، وعادَ إلى دمشق لستٍّ [ليالٍ][1] خَلَوْن من صفر بالغنائم، والأسرى في الحبال، والرؤوس على الرِّماح والقَصَب، وكان فَتْحاً عظيماً [لم ير أهلُ دمشق مثله][1].

وسار شمسُ الملوكِ إلى حماة، وبها نُوَّاب زَنْكي، فأقام عليها أياماً، وحَصَرها، وقاتلوه، ففتحها عَنْوَةً، وقيل: بالأمان في رمضان.

وفيها توفي كريمُ المُلْك أبو الفَضْل أحمد بن عبد الرزاق وزير شمس الملوك في ذي الحِجَّة، فحَزِنَ النَّاسُ عليه، لأنَّه كان حَسَنَ السِّيْرة، كريمَ الأخلاقِ، مُحِبًّا للصَّالحين وأهلِ الخير، جَوَاداً، مُمَدَّحاً.

فصل

وفيها نَزَلَ صاحِبُ القُدْس على السَّاحل، وجمع الفرنج، وقَصَدَ حلب، ووصل [إلى][1] قِنَّسْرين، فخرج إليه سوار نائب زَنْكي في العَسْكر، والتقوا، فَقُتِلَ من الفريقين نحو مئتين من الأعيان، وانهزمَ سوارَ إلى حلب، وتَبِعهم الفرنج، وجاء من حلب جماعةٌ، فرجع سوار إلى الفرنج، فقتل منهم مقتلةً عظيمة، وانهزموا إلى أَنْطاكية.

وفيها توفي

أحمد بن سلامة بن عبيد الله[2] بن مَخْلَد[3]

أبو العَبَّاس بن الرُّطَبي [الكَرْخي][1].

تفقَّه [على أبي إسحاق الشِّيرازي وغيره][1]، وسمع الحديث، وولي القضاء بحريمِ دار الخليفة، والحِسْبة أيضاً، وكان يؤدِّب أولاد الخليفة، وكان ثقة، وتوفي في رجب، [وصُلِّي عليه بجامع القَصر][1]، ودفن بباب أبرز إلى جانب أبي إسحاق الشِّيرازي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في النسخ الخطية: عبد الله، وهو تحريف، والمثبت في أغلب مصادر ترجمته، و«توضيح المشتبه»: ٤/ ٢٠٢.

(٣) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢١ ـ ٣٢٢، و«المنتظم»: ١٠/ ٣١ ، و«الكامل»: ١١/ ٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦١٠ ـ ٦١١ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

[وحكى صاحبه موسى بن غريب بن شبابة قال][١]: دخلتُ عليه وهو في الموتِ، وهو يأمر بتجهيزه وتكفينه ومَوْضِع قبره، وما على قلبه من الموت، كأنَّه ينتقل من دار إلى دار.

[سمع أبا القاسم البُسْري وغيره، وكان ثقة][٢].

أحمد بن الأفضل[٣]

أمير الجيوش، ويلقب بالأكمل.

ولي تدبير أمر مِصر كما ينبغي، واستولى على الحافظ، فحسده جماعةٌ، [ودبَّروا في قتله فقال قوم: ركبَ][٤] يوماً في المَيْدان ومعه غِلْمانٌ بغير سلاح، فَوَثَبَ عليه جماعةٌ، فقتلوه. وقيل: خَرَجَ إلى بُسْتانه، فوثَبَ عليه جماعةٌ من غِلْمان الخاصَّة، فقتلوه، وحملوا رأسه إلى الحافظ، فَسُرَّ بقَتْله، لأَنَّه كان قد حَجَرَ عليه. واستوزر يانس الكاتب، ولقبه أمير الجيوش، واستصفى أموال الأكمل، فكانت ثلاث مئة ألف دينار.

[وفيها توفي

عبد الباقي بن عبد الله بن محمد[٥]

أبو المعالي، العَطَّار الدِّمَشْقي، سمع الحديث، وتوفي بدمشق، ودفن بمقبرة الكهف بقاسيون، سمع أبا عبد الله بن أبي الحديد وغيره، وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر، وكان صالحاً، ثِقَةً][٢].

أحمد بنُ عَمَّار بنِ أحمد بن عَمّار[٦]

أبو عبد الله، الحسيني، الكوفي، العالم الفاضل، الفصيح.

---

(١) في (ع) (ح): قال موسى بن غريب: دخلت عليه... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٠/ ٦٧٢ ـ ٦٧٤، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٤١٥، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، وقد ذكروا أنه قتل سنة (٥٢٦هـ). وانظر ص٣٩٩ من هذا الجزء.

(٤) في (ع) و(ح): فحسده جماعة، فركب يوماً، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) لم أجد له ذكراً في مشيخة ابن عساكر.

(٦) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق ج٤/ م١/ ٢٢٧ ـ ٢٤٦، و«الوافي بالوفيات» ٧/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥١.

قدم بغداد، ومدح الوزير ابنَ صَدَقة بقوله:

خــلِّــهِ تُــنْــضِ لــيــلــه الأنــضــاءُ

وقد ذكرناها في ترجمة ابن صَدَقة[١].

ومن شِعْره: [من السريع]

وشادِنٍ في الشّرْبِ قد أُشْرِبَتْ ... وَجْنَتُهُ ما مَجَّ راووقُهُ[٢]

ما شُبِّهَتْ يوماً أبارِيْقُهُ ... بريقِهِ إلاَّ أبى رِيْقُهُ[٣]

وقال: [من الكامل]

يا بانةَ العَلَمَيْنِ كَمْ من مَعْلَمٍ ... فَتَكَتْ مَهَاهُ بالكَمِيِّ المُعْلَمِ

سَلَّتْ عليه ظُبَى السُّيوفِ ظِباؤه ... وقَضَتْ بلا جُرْحٍ دماه على الدَّمِ

يا للعلى أَيَضِلُّ مِثْلي فيكُمُ ... ما بينَ أطلالٍ وبينَ معالِمِ

وتحكُّم الأعداءِ فيَّ وطالما ... أصبحتُ أَحْكُمُ في مليكٍ حاكمِ

وإذا ركبتُ بجيشِ عَزْمٍ مُعْلَمٍ ... يبدو كموج اللُّجَّةِ المُتَلاطِمِ

في جَحْفَلٍ متعاضد متعاقِدٍ ... في قَسْطَلٍ[٤] متراكبٍ متراكمِ

وصواهِلٍ وصوائلٍ وصوافنٍ ... وصواعِقٍ وصوائبٍ وصوارِمِ

وإذا تفاخَرَتِ الرِّجالُ بهاشمٍ ... غُرَرِ الأنامِ فنحن غُرَّةُ هاشمِ

مِثْلي تَغَلْغَلَ في العلاءِ وحَلَّقَتْ ... بجناحِهِ في المَجْدِ عَشْر قوادِمِ

ورأى العُلا بِلِحاظ عاشٍ عاشقٍ ... ورمى العِدى بشواظِ غاشٍ غاشِمِ[٥]

علي بن عبد الله بن نَصر السَّرِي[٦]

أبو الحسن، الزَّاغوني، الفقيه الحَنْبلي.

(١) انظر ص٢١١ من هذا الجزء.
(٢) الراووق: المصفاة التي يُصَفَّى بها الشراب. «اللسان» (روق).
(٣) «الخريدة»: ج٤/ م١/ ٢٣٥.
(٤) القسطل: غبار المعركة.
(٥) ساق العماد في «خريدة القصر» بيتين من القصيدة. وعاشٍ: أي ضعيف البصر، وغاشٍ: ضارب ضرباً شديداً. وغاشم: ظالم.
(٦) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٢، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٨٦ ـ ٨٨، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٠٥ ـ ٦٠٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

ولد سنة خمسٍ وخمسين وأربعة مئة، وقرأ القرآن والأدب والفرائض والأصول، وتفقَّه وَوَعَظَ، وأنشأ الخُطَب، وكان له حَلْقةٌ بجامعِ المنصور للنَّظر والوعظ، وتوفي يوم الأحد سابع عشرة المحرَّم، وصُلِّي عليه بجامع القَصر والمنصور، ودُفِنَ بباب حَرْب، سمع الصَّريفيني، وكان ثِقَةً.

محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد(١)

أبو سعيد النَّيْسابوري.

ولد سنة أربع(٢) وأربعين وأربع مئة، وقَدِمَ بغداد، وكان رئيس نَيْسابور، وقاضيها، وله دُنيا واسعة، ومنزلة عالية عند الخاصّ والعام، وتوفي بنيسابور يوم السبت غُرَّة ذي الحِجَّة(٣)، وكان نبيلاً، ثِقَةً.

محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم(٤)

أبو بكر المَزْرَفي.

ولد سنة تسع وثلاثين(٥) وأربع مئة، وسمع الكثير، وانفرد بعلم الفرائض. وتوفي في سجوده في المحرَّم، ودُفِنَ بباب حَرْب، وكان ثَبْتاً صالحاً، متعبِّداً صدوقاً، ثِقَةً.

السَّنة الثَّامنة والعشرون وخمس مئة

فيها وصلتْ هدَايا زَنْكي، واتَّفَقَ مع الخليفة.

---

(١) له ترجمة في «التحبير»: ٢/ ٧٤ ـ ٧٥، و«المنتظم»: ١٠/ ٣٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٩١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع): سبع، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «التحبير»، و«المنتظم» وغيرهما من المصادر.

(٣) في «التحبير»: ثامن عشر ذي الحجة، وفي «المنتظم»: ثاني عشر ذي الحجة.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٣ ـ ٣٤، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٦ ـ ٦٨، و«معجم البلدان»: ٥/ ١٢١، و«معرفة القراء الكبار»: ٢/ ٩٣٧ ـ ٩٣٨، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٣١ ـ ٦٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته. جاء اسمه في «مشيخة ابن الجوزي» و«معجم البلدان»: محمد بن الحسن.

(٥) في (ع) و(ح): تسع وثمانين، ومثله في «المنتظم»، وهو خطأ، والمثبت من «مشيخة ابن الجوزي»، وبقية المصادر.

وعُزِلَ أنوشروان من غير أن يُؤذى، بل نزل في الليل [بنفسه][(١)] في سفينةٍ إلى داره بالحريم الطَّاهري، وأُعيد أبو القاسم بن طِرَاد إلى الوِزارة، وخُلِعَ عليه، وزِيْدَ في فُرُشه الطَّوق، وأُعطي الكوسات والأعلام.

وفيها قَدِمَ رسولٌ من سنجر يَطْلُبُ الخِلَع، فبعث له الخليفة خِلَعاً بمئةِ ألفٍ وعشرين ألف دينار مع ابن الأنباري.

وبَعَثَ الخليفةُ إلى تكْريت، فَحَصَرها وفيها بِهرْوز، فصانَعَ بمالٍ، فَقُبِلَ منه.

وفيها قدم البقش السِّلاحي؛ من كبار أُمراء الأتراك إلى بغداد، وعَرَضَ الخليفةُ العساكر يوم عيد الفطر، وركب الوزير شرف الدِّين وقاضي القُضَاة، والنَّقيبان وأربابُ الدَّولة، فكانوا خمسة عشرة ألف فارس، ولم يُرَ عيدٌ اجتمع فيه أربابُ الدولة إلا هذا.

وفيها عاد طُغْريل إلى هَمَذَان، ومالتِ العساكر إليه، وانحلَّ أمرُ أخيه مسعود، وبَعَثَ الخليفة إلى مسعود يطلبه ليرفع منه، فَدَخَلَ بغداد متخفياً في ثلاثين فارساً، فبعث إليه الخليفة بمالٍ وتُحَف، ووَقَعَ الخليفةُ بُملَطَّفات من بعض الأُمراء إلى طُغْريل فطلبهم، فهربوا إلى مسعود، واستجاروا به، فأرسل الخليفةُ يطلبهم منه، فامتنع، وقال: قد استجاروا بي.فقال الخليفة: إنما أفعل هذا لأجلك، وأُنَصِّبُكَ مرَّة بعد أخرى وأنت تفعل هذا؟! ووقع الاختلاف، واختلط العسكر، ومدُّوا أيديهم إلى المال والحريم. فأرسل الخليفة إلى مسعود يقول: انصرف إلى بعض الجهات بالعسكر الذين صاروا إليك. فنزل بدار الغَرَبة رابع عشرين ذي الحِجَّة، وتواترت الأخبار بمجيء طُغْريل إلى بغداد، فلمَّا كان يوم السبت سَلْخ ذي الحجة بعث الخليفة بالخِلَع، والتَّاج والطَّوق، وتخوت الثِّياب، وثلاثين ألف دينار إلى مسعود، فأخذ الجميعَ، ولم يرحل.

وفيها حاصر شمسُ الملوك صاحبُ دمشق شقيف تيرون المطلّ على بيروت وصَيْدا، وكان فيه الضَّحَّاك بن جَنْدل، فانتزعه منه، وعَوَّضه ضياعاً.

وفيها خَرَجَ شمسُ الملوك يتصيَّدُ، فانفردَ عن أصحابه، فَوَثَبَ عليه أحدُ مماليك جَدِّه طُغْتِكِين، ويعرف بإيلبا، فضربه بالسَّيْف ضربةً هائلة، أراد قطع رأسه، فانقلبَ

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

السيفُ من يده، فرمى بنفسه إلى الأرض، فضربه أُخرى، فوقعت في عُنُق الفرس، فأَتْلَفَتْه وحال بينهما الفرس، [وأدركته العساكر][١] وكانوا بصَيْدنايا وجبة عسال[٢]، وانهزم إيلبا، وعادَ شمسُ الملوك إلى دمشق سالماً، وبثَّ الغِلْمان في طلبه، فقاتلهم، ثم ظفروا به، فلما جاؤوا به إليه قال [له][٣]: ما الذي حَمَلك على ما صنعتَ؟ قال: لم أفعله إلا تقرُّباً إلى الله تعالى لأريح المسلمين منك، لأنَّك قد ظلمت المساكين، وضعفاء النَّاس [من أهل الضّياع والمتعيشين][٣]، وإن معي فلاناً وفلاناً، وكلُّنا اتفقنا عليك. فجمع المتهومين، وقَتَلَ الجميعَ صبراً، وأولُ ما قَتَلَ إيلبا [ولامه النَّاسُ حيث قَتَلَ الغِلْمان بقولِ هذا الجاني من غير بينة ظهرت][٣]، ولم يكفه قَتْلُ المتهومين ظُلْماً حتى اتَّهم أخاه سونج، فتركه في بيتٍ، وسدَّ عليه الباب، فمات جوعاً، ثم بالغ في سَفْكِ الدِّماء والظلم والأفعال القَبيحة، ولم يقف عند حَدٍّ، [وسنذكر قتله في السنة الآتية][٣].

وفيها وقع الخُلْفُ بين ولدي الحافظ أبي علي الحسن ولي العهد وبين أخيه أبي تراب حَيْدَرة بمصر، وانقسم الجُنْدُ فريقين؛ أحدهما إلى مذهب السُّنَّة، والثَّاني إلى مذهب الشِّيعة، ووقع القتال، فكان النَّصرُ لولي العهد، وأباد من تبع أخاه من السُّودان وغيرِهم بالقَتْلِ.

وفيها نَقَضَ الفرنج الهُدْنة، ونزلوا حوران، وخرج شمسُ الملوك إليهم في حشده [وجمعه][٣]، وخيم بإزائهم، [وكانوا في جَمْع عظيم][٣] فلما رأى [شمس الملوك][٣] أنه لا طاقة له بهم غافلهم في الليل ورحل نحو طبرية وعكا وصور والسَّاحل، فقتل وسبى، وغَنِم غنائم كثيرة، وعاد إلى دمشق على طريق الشَّعْراء، ورحل الفرنج إلى بلادهم، فساءهم ما رأوا من الخراب والنَّهب، فذلوا وتفرَّقوا، وذلك في ذي الحِجَّة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) صيدنايا: بلدة في القلمون تبعد عن دمشق (٣٠كم)، وجبة عسال بلدة في القلمون كذلك، وتسمى الآن عسال الورد، وتبعد عن دمشق (٦١كم).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل: وفيها توفي

أحمد بن إبراهيم، أبو الوفاء، الفيروزابادي(١)

وفيروزاباد: حَدُّ بلاد فارس.

سمع الحديث، وخَدَمَ المشايخ الصُّوفية، وكان حافظاً لِسِيَرهم وأَشْعارهم، كرِيمَ الأخلاق، لطيفاً، جَوَاداً، وسكَنَ رِباط الزُّوْزَني مقابل جامع المنصور، وكان يسمعُ الغِناء [على عادتهم، وكان](٢) يقول لعبد الوهَّاب الأنماطي: إني لأدعو لك وقت السَّماع. فكان الأنماطي يتعجَّبُ، ويقول: أليس هذا يعتقدُ أنَّ ذلك وقت إجابة! وتوفي ليلة الاثنين حادي عشرة صَفَر، وحَضَر جِنازته خَلْقٌ كثير، منهم أربابُ الدولة، [وقاضي القضاة والنَّقيبان وخدم الخاصة](٢)، ودُفِنَ على باب الرِّباط، وعُمِلَ له يوم السبت ثامن عشرة صفر دعوةٌ عظيمة، أُنفق فيها مالٌ كثير، بين جامع المنصور والرِّباط على عادة الصُّوفية إذا مات لهم ميت، لم يتخلَّف عنها أحد. [سمع من أبي طاهر الباقلاوي، وأبي الحسن الهَكَّاري، وغيرهما](٢).

حسن بن إبراهيم بن علي(٣)

ابن بَرْهون، أبو علي، الفارِقي.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة، وتفقَّه على أبي إسحاق الشِّيرازي وغيره، وولي القضاء بواسط، وأعمالها، فتوفي بها في محرَّم عن ستٍّ وتسعين سنة، وهو سليمُ الحواس والعَقْل، وما زال يكرِّرُ الفِقْه إلى أن مات، وكان زاهداً عابداً، وَرِعاً مهيباً، لا يحابي أحداً في الحكومات.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/٣٦ ـ ٣٧، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٧٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٨٢ ـ ٨٣، وجاء اسمه في «العبر» و«الشذرات»: أحمد بن علي الشيرازي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٧، و«الكامل»: ١١/ ١٧، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٧٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الشَّاشي[(١)]

ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وتفقَّه، وأفتى وناظر [في زمان أبيه][(٢)]، وكان ظريفَ الشَّمائل، حَسَنَ العبارة، [وكان][(٢)] يعظ وينشئ الكلامَ المطابق والمجانس. قال يوماً في مجلس [من مجالس][(٢)] وعظه: أين القدود العالية والخدود الوَرْدية، امتلأت بها العالية والوَرْدية. اسم مقبرتين بنهر مُعَلًّى.

وجلس يوماً آخر النهار في التَّاجية، وكان في السَّماء غيم، فارتجل في الطَّريق أبياتاً قالها في آخر المجلس، وهي: [من الرجز]

قَضِيَّةٌ أَعْجَبْ بها قَضِيَّهْ ... جلوسُنا اللَّيلةَ في التَّاجِيَّهْ
والجوُّ في حُلَّتِهِ الفِضِّيَّةْ ... صِقالُها قَعْقَعَةٌ رَعدِيَّهْ
أعلامُها شَعْشَعَةٌ بَرْقِيَّهْ ... تَنْثُرُ مِنْ أرْدانها العِطْرِيَّهْ
ذائِبَ درٍّ يَنْشُرُ البَرِيَّهْ ... والشَّمْسُ تبدو تارةً جَلِيَّهْ
ثُمّ تراها مرةً خَفِيَّهْ ... كأنَّها جاريةٌ حَيِيَّهْ
حتى إذا كانت[(٣)] لنا العَشِيَّهْ ... نَضَتْ لباسَ الغَيْم بالكُلِّيهْ
وأَسْفَرَتْ في الجهةِ الغربيَّهْ ... صفراءَ في مِلْحَفَةٍ وَرْسِيَّهْ
كرامةٌ أعرفها شاشِيَّهْ

[قلت: وأعجبُ من ذا أن بعض أشياخنا حكى لي][(٤)] أنَّه قَدِمَ رجلٌ علوي، فجلس في التَّاجية آخر النهار، فذكر حديث رُدَّتِ الشَّمْسُ لعلي عليه السَّلام[(٥)]، ثُمَّ شَرَعَ في

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٧ ـ ٣٨، و«الكامل»: ١١/ ١٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٧/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٢٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٢/ ٨٧، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) (ش).

(٣) وكذلك هي في «المنتظم» : ١٠/ ٣٨، وفي «الوافي بالوافيات» و«طبقات السبكي»: حانت، وهي الأشبه.

(٤) في (ع) و(ح): وأعجب من هذا أنه قدم.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) حديث ردُّ الشمس لعلي، أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠٦٧) (١٠٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٣٨٢) و(٣٩٠) والعقيلي في «الضعفاء»: ٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨، وابن الجوزي في «الموضوعات»: ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، وهو حديث منكر، وقد حكم عليه أئمة الحديث بالوضع، وأشبع القول فيه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: ٦/ ٧٧ ـ ٨٧، فراجِعْه، فإنه نفيسٌ.

مناقب أهل البيت، فارتفعت سحابةٌ، فغطَّتِ الشَّمْسَ، وأظلمتِ الدُّنيا حتى خُيِّلَ للنَّاس أنَّ الشمس قد غَرَبَتْ، فأومى العَلَوي إلى جهة المغرب، وارتجل [وقال][1]:

[من الكامل]

لا تَغْرُبي يا شمسُ حتى ينتهي ... مَدْحي لآلِ المُصطفى ولِنَجْلِهِ
واثني عِنانَك إنْ أردتِ ثناءَهُمْ ... أنسيتِ إذْ كان الوقوفُ لأجْلِهِ
إنْ كان للمولى وقوفُكِ فليكُنْ ... هذا الوقوفُ لخَيلِهِ ولرَجْلِهِ

فطلعت الشمس، فلم يبقَ إلا من رمى ثيابه على العلوي.

وتوفي ابنُ الشَّاشي في المحرَّم، ودُفِنَ عند قبر أبيه في تُرْبة أبي إسحاق الشِّيرازي [سمع أباه، وأبا عبد الله بن طلحة النِّعالي، وغيرهما][1].

ومن شعره: [من الدوبيت]

الدَّمْعُ دماً يسيلُ مِنْ أجفاني ... إنْ عشتُ مع الفِراقِ ما أَجْفَاني
سِجْني شَجَني وحاكمي سَجَّاني ... والعاذِل بالمَلامِ قد شَجَاني
والذِّكْرُ لهم يزيدُ في أَشْجاني ... والنَّوْحُ معَ الحَمَامِ قد أَشْجاني
ضاقت ببعادِ منيتي أعطاني ... والبينُ يدَ الهمومِ قد أعطاني

وفي ابن الشَّاشي يقول مَعْدَان بن كثير البالِسِي: [من الكامل]

يا كعبةَ الفَضْلِ افْتِنا لِمْ لَمْ يجبْ ... فَرْضاً على قُصَّادِكَ الإحرامُ
ولِمَ تُضَمِّخْ زائريك بطِيْبِ ما ... تُلْقِيه وَهْوَ على الحجيجِ حَرَامُ

عبد الواحد بن شُنَيْف أبو الفرج الحَنْبلي[2] [الدَّارَقَزِّي][1]

[سمع الحديث وتفقه وبرع وأفتى وناظر، وكان أميناً للقاضي][1].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٣٩، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦، و«المقصد الأرشد»: ٢/ ١٣٩، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١١٥، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٨٥ ـ ٨٦.

توفي بعضُ أصحابه، وأوصى إليه بولده، فكان ينفق عليه مما خلَّفه أبوه و[وكان](١) الصَّبيُّ [فَطِناً](١) يكتب ما ينفق عليه، فمَرِضَ الشيخ فقال للصبي: أيش بقي لك عندي؟ فقال: والله مالي عندك شيء، لأن ما ترك أبي أنفقته عليَّ، [فقال: بلى، وأخرج](١) سبعين ديناراً، وقال: [خذ](١) هذه [فهي](١) لك، فإني كنتُ أتَّجر لك بشيءٍ من مالك، وهذه رِبْحُهُ.

وتوفي رجل بدار القَزِّ، وأوصى إليه أن يقسم ميراثه، فأعطى زوجته حَقَّها، وأعطى الباقي ذوي أرحامه، وكان ابن الرُّطبي على التَّرِكات، وعبد الواحد نائبه، فكَتَبَ ابنُ الرُّطبي إلى المسترشد يُخبره بما صنع [وقال: إنه ورث ذوي الأرحام](٢) فكتَبَ الخليفة: نِعْمَ ما فعل إذْ عَمِلَ بمذهبه، والذَّنْبُ لمن استعملَ حنبلياً في هذا، وقد عَلِمَ مذهبه.

[وقيل: إنه لم يكن عبد الواحد نائب ابن الرُّطبي، وإنما توفي رجل حَشْري(٢) بدار القَزّ، وكان ابن الرُّطبي يتولى التَّرِكات، فكَتَبَ إليه ابنُ الرُّطبي بأن يتولى تَرِكَتَهُ، فَفَعَلَ فيها ما فعل](١).

وتوفي عبدُ الواحد في شعبان، وخَلَّفَ مالاً كثيراً.

عليُّ بنُ محمد، أبو الحسن العَنْبَرِي(٣)

ويقال له ابنُ دَوَّاس القَنَا، شاعِرٌ فصيح، أصله من البَصرة، وسكن وَاسِطاً، وتوفي بها.

ومن شعره: [من البسيط]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الحشري: هو الميت الذي خلف مالاً، وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو له وارث ذو فرض، ولكنه لا يستغرق جميع المال الذي خلفه ولا عاصب له، فهذا كان ماله يعود لبيت المال، وكان له ديوان خاص به يسمى «المواريث الحشرية»، وقد عمل أبو الفرج الحنبلي بمذهبه فورث ذوي الأرحام، ومن ثم استنكر عليه القاضي ابن الرطبي الشافعي فعله.

وقد تحرفت «حشري» في «المنتظم» و«المنهج الأحمد» إلى حشوي، واعتمدها «محقق؟» المنهج قائلاً في حشري: وهو من آفات الطبع، فتأمل! انظر «صبح الأعشى»: ٣/ ٤٦٠، و«المصباح المنير» (حشر).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/م١/ ٣٦١ ـ ٣٦٣ و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ٨٨ ـ ٨٩، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٤.

هل أنتِ مُنْجِزَةٌ بالوَصلِ ميعادِي ... أم أنتِ مُشْمِتَةٌ بالهَجْرِ حُسَّادِي
سألتُ طَيْفَكِ إلماماً فَضَنَّ به ... ولو أَلَمَّ لأَرْوَى غُلَّةَ الصَّادي
يا ظَبْيَةَ الحَيِّ ما جِيْدي بمنعطِفٍ ... إلى سِواكِ ولا حَبْلي بمُنْقادِ
لولا هواكِ لما اسْتَلْمَعْتُ بارِقةً ... ولا سألتُ حَمَامَ الدَّوْحِ إسعادي
ولا وقفتُ على الوادي أسائِلُهُ ... بالدَّمعِ حتى رثى لي ساكنُ الوادي
رحلتُمُ وفؤادي في رحالِكُمُ ... موزَّعٌ بين إتْهامٍ وإنجاد
إن تأسِرُوا فذوو عِزٍّ ومَقْدِرَةٍ ... أو تُطْلِقُوا فذوو مَنٍّ وإرْفادِ[(١)]
إذا سَمَحْتُمْ بتقريبي ولم تَصِلُوا ... حَبْلي فسِيَّانَ تَقْريبي وإبعادي[(٢)]

محمد بن عبد الله بن تُومَرْت المَصمُودي[(٣)]

صاحب المَغْرب.

كان قد رحل في شبيبته إلى الإسكندرية ومِصر والعراق، وحجَّ وحَفِظَ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وتَنَسَّك، وأَمَرَ بالمعروف، ونهى عن المنكر، وهَجَرَ لذَّات الدُّنيا، وعاد إلى المَغْرب، فانتهى إلى بِجَاية، فكَسَرَ بها آلاتِ اللَّهو، وأَهْراقَ الخمرَ، وخَرَجَ منها إلى قريةٍ يُقال لها: مَلَّالة، فرأى عبدَ المؤمن، فتفرَّس فيه، وسأله عن [قبيلته و][(٤)] نسبه، فأخبره أنَّه من قَيْس من شعب الشَّريد بن مُسْلم[(٥)]، فقال محمد بن تُومَرْت لأصحابه: هذا الذي بَشَّر به النَّبيُّ ﷺ، فقال: «إن الله ينصُرُ هذا الدِّينَ في آخر الزَّمان

---

(١) في (ع) و(ح):

إن تأسرون فذو عز ومقدرة ... أو تطلقون فذو مَنٍّ وإرفاد

والمثبت من «الخريدة».

(٢) القصيدة في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ٣٦٢ـ ٣٦٣.

(٣) أخباره في «الكامل» لابن الأثير: ١٠/ ٥٦٩ ـ ٥٨٢، و«المعجب» ٢٦٢ ـ ٢٨٧، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٤٥ ـ ٥٥، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٣٩ ـ ٥٥٢.

ووفاته على الصحيح سنة (٥٢٤هـ) كما في مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) كذا في النسخ الخطية، ولم أقف عليه.

برجلٍ من قيس سُلَيْم»[١]، واستبشر به ابنُ تُومَرْت، وعَلِمَ أَنَّه وارِثُه، وحامِلُ أمانته، ومقيمُ دعوته، وتوفي ابن تُومرت بمكانٍ يقال له تينمَل، وقبره ظاهر يُزار[٢].

وقال أبو يعلى بنُ القلانسي: حدَّثني مَنْ أثقُ به مِنْ أهل المغرب، أَنَّ الفقيه ابنَ تُومَرْت من جبل السُّوس، وأَصلُه مَصمُودي، وكان غايةً في الفِقْه، والدِّين، مشهوراً بالوَرَع والزُّهْد، وكان قد سافر إلى العراق، واجتمع بالأئمة والفقهاء، وأَخَذَ عنهم، وناظر، وسمع الحديث، وعاد إلى مِصر، وقرأ على علمائها، ثم عاد إلى المغرب، ودعا إلى مذهب الفكر، وابتدأ ظهوره في سنة اثنتي عشرة وخمس مئة في مدينة تعرف بدرن في جبلٍ أوله في البحر المحيط وآخره في بحر الإسكندرية، وغَلَبَ على جبل السُّوس، واجتمع إليه خَلْقٌ كثير من قبائل المصامدة بجبل درن[٣].

وقيل: إنه وصل إلى المهدية، وأمر أهلها أن يبنوا قصراً على نِيَّة الفكرة، وأن يعبدوا الله تعالى فيه بالفكرة، فاجتمعَ مشايخُ أهلِ المهدية وفقهاؤها، وعَزَموا على بنائه، فقام رجلٌ من كبار الفقهاء، فقال: نقيم ما أقمنا في المهدية، ويجيءُ إليكم رجلٌ بربري مَصمُودي يأمركم بالعبادة بالفكرة، فتجيبون إلى ما أمركم به؟! وأنكر ذلك إنكاراً شديداً حتى عادوا عنه، وأبطلوه، فخرج المَصمُودي من المهدِيَّةِ، ولم يتمَّ له فيها أمر، فجاء إلى بِجاية؛ وهي في يد بني حَمَّاد من صِنْهاجة، فأنكر عليهم شُرْبَ الخمر، وكَسَرَ الأواني، فامتنعوا من شُرْبها، وساعده على ذلك آلُ حمدون[٤] صاحب

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (م) و(ش) عقب هذا: وسنذكر سيرة عبد المؤمن في سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مئة. قلت: وهذا هو المشهور من سيرة ابن تومرت. في سنة ثمان وتسعين وأربع مئة (كذا)، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره من قبل أن يقدم بالمغرب. ثم ذكر البيتين الآتيين ص٢٦٣.

(٣) انظر «الروض المعطار»: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٤) وهي كذلك في أصل «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٥٥، غَيَّرها «محققه» إلى ابن حماد ظناً منه أن المراد بالنص هو حاكمها يحيى بن عبد العزيز بن حماد، وهو آخر ملوكها، والحق أن آل حمدون كانوا المتحكمين في بجاية، وذلك لانشغال أميرها يحيى بالصيد واللهو، وقد بين منزلة آل حمدون ابن الأثير في «الكامل»: ١١/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

هذا البلد، وحَمَلَ إليه مالاً، فلم يقبله، وأظهر الزُّهْد والورع، ثم خَرَجَ من بِجاية، وقصد أغمات، وأظهر الزُّهْد، ودرَّس الفِقْه، واجتمع إليه أربعُ مئة رجلٍ من المصامدة، ثم ارتفع أمره، وبلغ خبره إلى [ابن][1] يوسف بن تاشفين، وأنه يبيح دمه ودمَ أصحابه، فاستدعاه، وأحضر الفقهاءَ فناظروه، وأشاروا بحبسه، فلم يقبل يوسف، وأطلقه، وحاربه بعد ذلك، وكان يدعى بالخارجي[2].

ذكر عقيدة ابنِ تُومَرْت:

ذكرَ في أوَّلها حديثَ ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال" «بُني الإسلام على خمس»[3] الحديث. وحديث معاذ لمَّا بعثه النبيُّ ﷺ إلى اليمن، وأمره بإقامة الصَّلوات وإيتاء الزكاة، وقال: «اتَّقِ دعوةَ المَظْلوم»[4] الحديث.

ثم قال: فثبتَ بهذا أَنَّ العبادةَ لا تَصحُّ إلا بالإيمان، والإخلاص، وذلك بالعِلْم والعمل، بالطَّلب والطلب، بالإرادة والإرادة، بالرَّغبة والرَّهْبة، والرَّغْبة والرَّهْبة، وبالوَعد والوعيد، بالشَّرْع والشَّرع، بصدق الرَّسول وصِدْق الرَّسول، بإظهار المعجزة بإذن الله تعالى.

ثم قال: وبضرورة العقل يُعرف وجودُ الباري، والضَّرورةُ مالا يتطرَّق إليه الشَّك، ولا يمكن العاقل جحده، وهذه الضَّرورة على ثلاثة أقسام: واجب، وجائز، ومستحيل.

فالواجب: لابُدَّ من كونه؛ كافتقارِ الفِعل إلى الفاعل.

والجائز: ما يمكن أن يكون وأن لا يكون؛ كنزول المطر، ونحوه.

---

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق»، وهو علي بن يوسف بن تاشفين، وقد توفي سنة (٥٣٧هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٢٤-١٢٥.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٥٣ ـ ٤٥٦.

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو في «المسند» (٦٠١٥).

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩)، وهو في «المسند» (٢٠٧١).

والمستحيل: ما لا يمكن كونه؛ كالجمع بين الضِّدَّين.

وهذه الضرورة مستقِرَّةٌ في نفوس العقلاء بأجمعهم؛ أَنَّ الفعل لابُدَّ له من فاعل، وأَنَّ الفاعل ليس في وجوده شكٌّ، وهذا معنى قوله ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] وما انتفى عنه الشَّكُّ وَجَبَ كونه معلوماً، فَثَبَتَ بهذا أَنَّ الباري يُعْلَمُ بضرورة العقل، وبحدوث نفسه أيضاً، لأَنَّه يَعْلَمُ أَنَّ له صانعاً صنعه، لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] وذكر الآياتِ التي فيها خَلْقُ الإنسان، ثم قال: فالسَّموات والأرضُ وجميعُ الموجودات يُعْلَمُ بها وجودُ الباري، وكذا الليل والنهار والحيوانات، وقد نبَّه الله على خَلْقها في آياتٍ كقوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ١٦٤] الآية.

ثم قال: وإذا كان خالقَ كلِّ شيء عُلِمَ أنه لا يشبهه شيء لأَنَّه ليس من جِنْسها ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

ثم ذكر فصولاً في دَفْعِ التَّشْبيه والتكييف والتعطيل، وأَثْبَتَ التَّوحيد والتَّنزيه، ثم قال: عَرَفه العارفون بأفعاله، ونفوا التكييف عن عِزَّته وجلاله.

ثم قال: وما وَرَدَ من الآيات المتشابهات كآيات النُّزول ونحوها، فيجب الإيمانُ بها مع نفي الكيفية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] الآية. فقد أثنى الله عليهم، وقالت عائشة رضي الله عنها: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله، فاحذروهم. وليس الباري متصِلٌ بخَلْقِهِ.

ثم قال: وهو عالم بِعلْمٍ واحد، قادِرٌ بقُدْرةٍ واحدة.

ثم أَثْبَتَ القَدَر، وقال: وجميعُ المخلوقات صادِرَةٌ عن قَضَائه وقَدَره، قَدَّرها في أزليَّته من غير زيادةٍ ولا نُقْصان، لا تبديلَ في المقدور، ولا تحويل في المحتوم، أوجدها بغير واسطة ولا بعِلَّة، وليس له شريكٌ في إيجادها ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ثم قال: وأسماؤه موقوفة على إذْنه، لا يُسمَّى إلا

بما سَمَّى به نَفْسَه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، ولا مجال للقياس فيها ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وذكَرَ ما يتعلق بها من الآيات.

ثم أثبت رؤية الله تعالى في الجَنَّة، وذَكَرَ آياتِ النَّظر والأحاديث، ثم قال: من غير تشبيه ولا تجسيم.

ثم قال: والمعجزات حَقٌّ، وذَكَرَ قَلْبَ العصا حَيَّةً، ونَبْعَ الماءِ من بين أصابع نبينا ﷺ، وذَكَرَ القرآن الذي هو المعجز الأكبر، وذكر كلاماً طويلاً.

ومن شِعْره: [من البسيط]

إنِّي وفي النَّفْسِ أشياءُ مُخَبَّأَةٌ ... لأَلْبِسَنَّ لها دِرْعاً وجِلْبابا
كيما أُطَهِّرَ دِيْنَ الله من دَنَسٍ ... وأُوْجِبَ الفَضْلَ للسَّاداتِ إيجابا

محمد بن علي بن عبد الواحد[1]

أبو رَشِيْد، من أهل آمُل طَبَرِسْتان.

وُلِدَ سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، وحَجَّ، وجاور بمكة سنين، وسمع الحديث، [وحدث بشيء يسير][2]، وكان زاهداً عابداً، منقطعاً، مشغولاً بنفسه، ركب البحر، فلمَّا وَصَلَ إلى بعض الجزائر خَرَجَ من السفينة، وودَّع أصحابه، وقال: أُريدُ أَنْ أُقيمَ هاهنا. فقالوا: هذا مكانٌ منقطع، ولا فيه عمارة، فكيف تصنع؟ فقال: لابُدَّ. فأقلعوا في البحر، فهاجتْ عليهم الرِّيح، فردَّتْهم إلى الجزيرة، [فسألوه أن يجيء معهم، فأبى، فأقلعوا، فردَّتهم الريح إلى الجزيرة][2] ثانياً وثالثاً ورابعاً، فاجتمع إليه التُّجَّار، وقالوا: لا يحلُّ لك أن تسعى في إتلافِ نفوسنا وأموالنا، كلَّما دفعنا رَدَّتنا الرِّيح إليك، فاصحبْنا إلى دَرْبَنْد، فإذا رجعنا فأَقِمْ هناك. فأجابهم، وأقام معهم بدَرْبَنْد أياماً، ثم

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٤٠، و«الكامل» ١١/ ١٨ ـ وفيه: محمد بن علي بن عبد الوهاب ـ و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

رجع إلى الجزيرة، وأقام بها سنين، وكان فيها عَيْنٌ، فكان يشربُ منها ويتوضأ، ثم رَجَعَ إلى آمُل، فسكنها إلى أن توفي في جُمادى الأُولى، وقبره بآمُل يُتبرَّك به.

وقال بعضُ أصحابه: مضيت إلى تلك الجزيرة، فرأيتُ فيها ثعباناً يبتلع ابنَ آدم، فزرت موضع سجوده، ورجعت.

[فصل: وفيها توفيت والدة المسترشد[١]، كانت صالحة متصدِّقة، توفيت ليلة الاثنين تاسع عشرة شوال، وصلى عليها المسترشد ليلاً، وحملت إلى الرُّصافة][٢].

السَّنة التاسعة والعشرون وخمس مئة

فيها قُتِلَ المسترشد، ودُبَيْس، [وشمس الملوك صاحب دمشق][٣]، ومات طُغْريل السُّلْطان.

وفيها أخرجَ الخليفة سُرادِقَه إلى رؤوس الحيطان، لأَنَّه اطَّلع على سوءِ نية مسعود.

ووصل الخبر بوفاة طُغْريل بهَمَذَان، فسار مسعود جريدةً[٤]، ولحقه عسكره، وأعاد الخليفة سُرادقه إلى داره، وأما مسعود فإنَّه وَصَلَ هَمَذَان، واختلف عليه العسكر، فكان ممن انعزل عليه قزل وسُنْقُر والبازدار[٥] وغيرهم، ونزلوا بعيداً من هَمَذَان، فأسرى إليهم، وبَيَّتَهُمْ، فبدَّدَ شَمْلَهم، ونَهَبَ أثقالهم، فورد هؤلاء الثلاثة بغداد، وأخبروا بسوء نيَّته في الخِلافة.

وخَرَجَ أنوشروان لوزارة السُّلْطان مسعود، فَنُهِبَ جميعُ ما كان معه في الطَّريق.

وفي المحرم وَصَلَ زَنْكي بغداد، فالتقاه الوزيرُ وأرباب الدَّوْلة، ودَخَلَ، وقَبَّلَ عَتبة الباب النُّوبي، وقال: أنا وأبي عبيدُ هذه العَتَبة، وما زالت العبيد تجني والموالي تعفو.

---

(١) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٤١ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، والرصافة هي رصافة بغداد.

(٣) في (ع) و(ح): بوري، وهو وهم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) أي لم يكن معه رجَّالة، انظر «اللسان» (جرد).

(٥) في (ع): البادزاني، وفي (ح) البارذان، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٤١ ، وسيأتي على الصواب ص٢٦٥ .

وقدَّم الهدايا والتُّحَف، ومفاتيح أبواب الموصل، فأُنْزِلَ وأُكرم، وأقام أياماً، وخُلِعَ عليه، ورَحَلَ إلى الشَّام ليأخذ دمشق.

وجاء رسولُ دُبَيْس يستعطف الخليفة، فلم يعطف عليه، فمضى دُبَيْس إلى مسعود.

وفي صفر وصل ابنُ الأنباري من عند سنجر، وأخبر أنه تُلُقِّيَ من أربعة فراسخ، وأن سنجر نزل من التَّخْت مراراً، وقبَّلَ الأرضَ وحافِرَ فرسِ الخليفة.

وفي ربيع الأول[1] وردتِ الأخبارُ بتغيُّرِ مسعود على الخليفة تغيُّراً كُلِّيًّا، وأنَّه قد جمع العساكر ومقصوده بغداد، ووصلت مقدّمته إلى حُلْوان، وفيها دُبَيْس، وأقطع مسعود العساكر العراقَ، وبلغ الخليفة، فبعث مقدمته إلى المَرْج، وفيها الجاولي شِحْنة بغداد، وكجبة، وأرغش، وجماعةٌ من السِّلاحية في ألفين وخمس مئة فارس، وقال: تحفظون الطَّريق إلى أنْ أَصِلَ إليكم.

وكان زَنْكي على دمشق يحاصرها، فبعث أهلُها يقولون للخليفة: رَحِّله عنا، ولك في كلِّ سنة خمسون ألف دينار. فَبَعَثَ إليه، وقال: ارْحَلْ، واقْدُمْ علينا لتساعدَنا على مسعود، ونَخْطُب لك. فقال: سَمْعاً وطاعةً.

وكان سنجر قد كَتَبَ إلى مسعود يقول: ما دام البازدار وابن بُرْسُق وقزل ويرنقش معك ما تُصِيْبُ خيراً، فهم الذين أفسدوا أمر أخيك طُغْريل، فابعثْ إليَّ برؤوسهم. فأطلعهم مسعودٌ على الكتاب، وقال: لو أردتُ بكم سوءاً لفعلت. فقبَّلوا الأرضَ، وقالوا: الآن قد عَلِمْنا أنَّك صافي القلب لنا، فابْعَثْنا مع دُبَيْس في المقدِّمة. فَبَعَثَ بهم، فقالوا: ما وراء هذا الكلام خير، والواجب خدمة أمير المؤمنين، فله في رقابنا عهود، وهذا عاقبة الغدر. فكتبوا إلى الخليفة: قد انفصلنا عن مسعود، ونحن ببلاد ابنِ بُرْسُق، فإنْ كانت لك نِيَّةٌ في الخروج فاخْرُجْ، فنحن بين يديك، وإلا فاخْطُبْ لبعضِ أولاد السُّلْطان، ونَفِّذْه إلينا لنكون معه. فكتب إليهم: دوموا على ما أنتم عليه، فأنا صائِرٌ إليكم. وبعثَ سديدَ الدولة [إليهم يطيِّبُ قلوبَهُمْ، ويَعِدُهُمْ الإقطاعَ، وبلغ مسعوداً،

(١) في (ح): الآخر.

فرحل إليهم جريدةً ليَكْبِسَهم، فانهزموا، فأخذ أموالهم، وسَبَقَ سديدَ الدولة][١] إلى بغداد ليخبر بحالهم، فأعيد إليهم بالخِلَع والأموال والإقامات.

فلما كان يوم السبت حادي عشرة رجب تقدَّم الخليفة بإخراجِ مضاربه ومضاربِ أصحابه، وانزعج أهلُ بغداد، وبَعَثَ السُّلْطان دُبَيْساً في خمسة آلاف، فكَبَسَ المقدِّمة، وقَتَلَ منهم، فدخلوا بغداد عُراةً سادس عشرة رجب، فأنزلهم الخليفة دارَ السُّلْطان، وبَعَثَ إليهم بالأموال والخيل والإقامات والخِلَع، وأطلق لهم ثمانين ألف دينار، وقُطِعَتْ خُطْبَة مسعود، وخُطِبَ لسنجر وداود، واستفتى الفقهاءَ في مسعود، وأنَّه خالف، فأفتوا بعَزْلِهِ وقتالِهِ، وخَرَجَ الخليفةُ في أُبَّهة الخِلافة، والخلائقُ يمشون بين يديه حتى نَزَلَ سُرادِقَه عند رؤوس الحيطان، ودَخَلَ الوزيرُ شرفُ الدِّين علي بن طِراد، وسديدُ الدَّوْلة بنُ الأنباري، وكمال الدين بنُ طلحة صاحِبُ المخزن على الخليفة، فقال له الوزير: يا مولانا، في نفسي شيءٌ، فهل يُؤْذنُ لي في المقال. فقال: قُلْ. فقال: إلى من نمضي، وبمن نعتَضد، وإلى من نلتجئ؟ ومقامنا ببغداد أصلح وأحوط لنا إذا قَصَدَنا[عدو][١] كُنَّا مستظهرين، ولما خَرَجَ الحسين عليه السَّلام من الحجاز إلى العراق جرى عليه ما جرى، ولو أقام بمكَّة ما اختلفَ عليه اثنان. فقال الخليفة لابنِ الأنباري: ما تقول أنتَ يا كاتب؟ فقال: الرأي ما رآه الوزير، والرأي المقام، وليتَ العراق تبقى علينا. فقال لصاحب المخزن: ما تقول أنتَ يا وكيل؟ فقال: في نفسي ما في نفسِ مولانا. وكان هو الذي حَمَلَه على الخروج، فأنشد المسترشد: [من الخفيف]

غيرَ أنَّ الفتى يلاقي المَنَايا ... كالحاتِ ولا يلاقي الهَوانا
وإذا لم يكنْ من الموتِ بُدٌّ ... فمن العَجْزِ أنْ تموتَ جَبَانا[٢]

فاسترجع القوم، وأيقنوا بالهلاك.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) البيتان للمتنبي من قصيدة مطلعها:

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم من شأنه ما عنانا

وهي في «ديوانه»: ٤/ ٣٧٠-٣٧٢، وفيه: فمن العجز أن تكون جبانا.

ثم رحل يومَ الخميس ثامن شعبان في سبعةِ آلاف فارس، وكان مسعود بهَمَذَان في ألفٍ وخمس مئة فارس، وكان أصحابُ الأطراف قد كاتبوا الخليفة، فتوقف في طريقه، فاستَصلَحَ مسعود أكثرهم حتى صار في خمسة عشرة ألفاً، وتسلَّل جماعةٌ من أصحاب الخليفة حتى صار في خمسة آلاف، ونفَّذَ إليه زَنْكي نَجْدةً فلم تلحق، وأرسل داود بن محمود إلى الخليفة وهو بأَذْرَبيجان، يشير أنَّ الخليفةَ ينزل الدِّيْنَور حتى يوافيه داود، فلم يقبل، واستعجل في ضرب المصافِّ.

فلما كان يومُ الاثنين عاشر رمضان التقوا، فجعل الخليفة على ميمنته البازدار وقزل وغيرهما، وفي ميسرته الأُمراء السِّلاحية، وكانت الوقعة [قريب][1] من جبل بَهِسْتون[2]، فحملت ميمنةُ الخليفة فكسرت ميمنةَ مسعود، فانهزموا ثلاثة فراسخ، ونادى مسعود: المال لكم والدَّم لي، ومن أقام بعد الوقعة من أصحاب الخليفة ضُرِبَتْ عُنُقُه. فغدرت ميسرةُ الخليفة، ومالت كلُّها إلى مسعود، وجاءت ميمنةُ الخليفة من وراء الميسرة، فوجدت الميسرة قد مالت إلى مسعود، فانهزموا لا يلوون على شيء، وأُسر المسترشد وأصحابه، وأُخذ ما كان معه من الأموال، وكانت على سبعين بغلاً في صناديق، أربعة آلاف ألف دينار، وكان رَحْلُه على خمسة آلاف جمل وأربع مئة بغل، فيها عشرة آلاف عِمامة، وعشرة آلاف قَبَاء وجُبَّة ودُرَّاعة، وعشرة آلاف قَلَنْسُوة مُذْهَبة، وثلاثة آلاف ثوب رومي وممزوج ودَبِيْقي. ومضى من النَّاس ما قَدَّروه بعشرة آلاف ألف دينار سوى الخيل والأثاث، ولم يُقْتل بين الصَّفَّين سوى خمسةِ أنفس غَلَطاً، ونادى مسعود: مَنْ أقام مِنْ أصحاب الخليفة بعد الوقعة قَتَلْتُه. فهرب الناس، وتفرَّقوا في الجبال، وتخطَّفَهم الأكرادُ والتركمان، ووصَلَ مَنْ سَلِمَ منهم إلى بغداد عُراةً حُفاة، قد تَقَطَّعَتْ أَرْجُلُهم من الصَّخْرِ والحَفَاء، ومات أكثرهم، وحَمَلَ مسعودٌ الوزيرَ ابنَ طراد وابنَ الأنباري وابنَ طلحة وقاضي القضاة الزَّيْنبي ونقيبَ الطَّالبيين إلى القلعة معتقلين، ثُمَّ كَتَبَ مسعود كتاباً مع بكبة، وولَّاه شِحْنكية بغداد، وفي الكتاب عن لسان الخليفة إلى أستاذ الدَّار: ليعتمد الحسن بن جَهِير مراعاة الرَّعية، والاشتمال عليهم، وكفِّ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) جبل عالٍ مرتفع، قرب قرية بهستون، وهي بين همذان وحلوان، انظر «معجم البلدان»: ١/ ٥١٥ .

الأذى عنهم، فقد ظَهَرَ من الولد غياثِ الدِّين[١] ـ متَّع الله به ـ في الخِدْمة ما صَدَقَتْ به الظُّنون، فَلْيُجْمِعْ وكاتبَ الزِّمام والمخزن على إخراج العُمَّال إلى نواحي الخاصّ لحمايتها، فقد نُدِبَ من الجَنَاب الغياثي هذا الشِّحْنةُ لذلك، وَلْيَهْتَمَّ بكُسْوة الكَعْبة، فنحن في إثْر هذا المكتوب واصلون، إنْ شاء الله تعالى.

فلما كان يومُ عيد الفِطْر نَفَرَ أهلُ بغداد، ووثبوا على الخطيب، وكسروا المِنْبر والشُّبَّاك، ومنعوه من الخُطْبة، وخرجوا إلى الأسواق يحثون على رؤوسهم التراب، ويبكون ويصرخون، واقتتل أصحابُ الشِّحنة والعوام، وخَرَجَ النِّساء حاسراتٍ يَنْدُبْن في الأسواق، وتحت التَّاج، وقُتِلَ من العوام مئةٌ وثلاثة وخمسون، وهَرَبَ أبو الكرم الوالي وحاجب الباب إلى دار خاتون، وأشرفت بغداد على النَّهْب، فنادى الشِّحنة: لا ينزل أحد في دار أحد، ولا يؤخذ من أحد شيء، فإنَّما جِئْنا في الصُّلْح، والسُّلْطان واصِلٌ إلى هاهنا بين يدي أمير المؤمنين، وعلى كتفه الغاشية. فَسَكَنَ النَّاس.

وأما حديث الخليفة، فاختلفتِ الأقوال؛ فقومٌ يقولون: إنَّ مسعوداً ينتظر جوابَ عَمِّه سنجر، وقوم يقولون: يصل عن قليل، وقوم يقولون: إنَّ داود قد عَزَمَ على قتال مسعود، واستنقاذِ الخليفةِ منه.

وسار داود لقتال مسعود، وجاء مسعود إلى مَرَاغة[٢]، والخليفة معه.

و[فيها][٣] زُلْزِلَتْ بغدادُ مراراً [لا تحصى][٣]، وكان مبدأ الزَّلازل يوم الخميس حادي عشر شَوَّال، فزلزلت يومئذٍ ستّ مَرَّات ودامت كل يوم ست مرات إلى ليلةِ الجُمُعة سابع عشرين شَوَّال، ثم ارتجَّت ليلة الثلاثاء نصف اللَّيل حتى تفرقعت السقوف، وانتثرت الحيطان، ولم تزل الأرضُ تميد من نصف الليل إلى الفَجْر والناس يستغيثون، وانقطع خبر العسكر [الذي كان قد خرج من بغداد][٣].

فلما كان يوم الثلاثاء غُرَّة ذي القَعدة وصل ركابيةٌ معهم خَطُّ الخليفة إلى وليِّ عهده بوصولِ رسولِ سنجر إلى مسعود، يقول: ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدِّين مسعود

(١) هو لقب السُّلْطان مسعود، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٧ هـ).

(٢) مراغة، بالفتح: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، انظر «معجم البلدان»: ٥/ ٩٣.

(٣) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

على هذا المكتوب، يدخل على أمير المؤمنين ـ أَعَزَّ اللَّه أنصاره ـ ويقبِّل الأرضَ بين يديه، ويقف ويسأله العفو عنه، والصَّفْحَ عن جُرْمه، فقد ظهر عندنا من الآثار السَّمائية والأرضية مالا طاقةَ لنا بسماع مِثْلها دون المشاهدة من الرِّياح العواصف، والبروق الخواطف، وتزلزلِ الأرض، ودوامِ[1] ذلك عشرين يوماً وتشوُّشِ العساكر، وانقلابِ البُلْدان، ولقد خِفْتُ على نفسي من جانب الله تعالى وظهورِ آياته، وجانبِ المخلوقين والعساكر، وتغيُّرهم عليَّ، وامتناع النَّاس من الصَّلاة في الجوامعِ، وكَسْرِ المنابر، ومَنْعِ الخطباء ما لا طاقةَ لي به، فالله اللهَ تتلافى أمرك، وتحقن دماءَ المُسْلمين، وتعيد أميرَ المؤمنين إلى مُسْتَقَرِّ عِزِّه، وتُسَلِّم إليه دُبَيْساً ليرى رأيه فيه، فإنَّه هو الذي أحوجَ أميرَ المؤمنين وأحوجنا إلى مِثْل هذا، وعَجِّلْ، وانصِبْ له السُّرادِق، واضرِبْ له الخيام والتَّخت، واحملِ الغاشيةَ بين يديه، أنتَ وجميعُ الأمراء، كما جرت عادتُنا وعادةُ أهلِ بيتنا وآبائنا في خِدْمة هذا البيت.

وكان مِحالاً[2] من سنجر ليدفعَ عنه التُّهَمَة.

فلما وقَفَ مسعودٌ على كتاب سنجر بعث بالوزير أنوشروان ـ وكان قد استوزره ثانياً، وشَهِدَ معه هذه الوقعة ـ وبعث معه بنظر الخادم إلى الخليفة يستأذن في دخوله عليه، فأَذِنَ له، فدخل، فقبَّل الأرضَ بين يديه ووقف معتذراً متنصِّلاً، يسألُ العفو والصَّفْحَ عن جُرْمه، والخليفةُ مُطْرِقٌ ساعةً، ثم رَفَعَ رأسه، وقال: قد عُفي عن ذنبك، فاسْكُنْ إلى ذلك، وطِبْ نَفْساً.

وكان قد ضُرِبَ له التَّخْت في سُرادق، فقدَّمَ له فرساً لم يكُ عند مسعودٍ من خيل الخليفة التي أُخذت غيره، وسأله الركوب، فركب، وكان بين الموضعين نصف فرسخ، ومسعود بين يديه، على كتفه الغاشية، ويده في لجام فرس الخليفة، وجميع الأمراء يمشون بين يديه حتى دخل السُّرادق، وجَلَسَ على التخت، ووقف السُّلْطان بين يديه زماناً، فأمره بالجلوس، فأبى، ثم سأل الخليفةَ أن يشفِّعَه في دُبَيْس، فأجابه، فجاؤوا به مكتَّفاً بين أربعة، ومع أحد الموكلين به سيفٌ مجذوب، ومع آخر شقة

---

(١) في (ع) و(ح): ودام، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٤٧.

(٢) المحال: المكر. انظر «اللسان» (محل).

بيضاء، فرموا به بين يدي السَّرير، وهو يقول: العفوَ العفوَ عند القُدْرة. فقال مسعود: هذا هو السَّببُ فيما جرى بيننا، فإذا زال السبب زال الخلاف، وهذا الآن بين يديك، فمهما تأمر يُفعل به، ودُبَيْس يبكي ويتضرَّع بين يدي السَّرير، فقال الخليفة ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[يوسف: ٩٢] وتقدَّم بحَلِّ كِتافه[١]، وسألَ السُّلْطانُ الخليفةَ أَنْ يُنْعِمَ على دُبَيْس بتقبيلِ يده، فأعطاه يده، فقبَّلها، وأمرَّها على وجهه وصَدْره، وأقام الخليفةُ مكانه حتى قُتِلَ في ذي القَعدة، وسنذكره إن شاء الله تعالى[٢].

وأما بكبة فإنَّه شَرَعَ في نَقْضِ سور بغداد، وكلَّف أهلَ محالِّ الجانبِ الغربي بنَقْضه. وقال: أنتم عمرتموه فانقضوه. واستطالَ على أهل بغداد.

وقال ابنُ القلانسي: وفيها هَرَبَ الحاجبُ يوسف بن فيروز شِحْنة دمشق إلى تدمر خوفاً من شمس الملوك بن بوري، وكانت تدمر لشهاب الدِّين محمود بن بوري في زمان أبيه، فَسَئِمَ من المقام بها، وسأل أباه نَقْلَه إلى دمشق، فأجابه، فاستعان يوسف بجماعةٍ من الأمراء على تحصيل تدمر، فخاطبوا بوري، فأعطاه إياها، فَشَرَع في ترميم حِصنها، ونَقْلِ الغِلال والذَّخائر إليه. فلمَّا تنكَّر عليه شمسُ الملوكِ، وعزم على مصادرته وهلاكه هَرَبَ إلى تدمر، ونَدِمَ شمسُ الملوك على إفلاته من يده، فكاتَبَه واستماله، وطيَّب قلبه، فلم يلتفت إليه، وقال: أنا [الغلام] الخادم المقيم على الخِدْمة. ولم يَعُدْ إليه[٣].

فصل: وفيها توفي

إسماعيل بن بوري بن طُغْتِكِين، شمس الملوك، صاحبُ دمشق[٤]

وكان قد ساءت سيرته، وصادر النَّاس، وأخذ أموالهم، وولَّى عليهم رجلاً كردياً يقال له بدران الكافر، فَشَرَع في العقوبات، وأنواع العذاب، وظهر من شمس الملوك

---

(١) الكتاف: الحبل الذي يكتف به الإنسان. انظر «اللسان» (كتف).

(٢) انظر ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٣) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٨٦-٣٨٧، وما بين حاصرتين من (ح).

(٤) انظر كذلك في ترجمته «ذيل تاريخ دمشق»، لابن القلانسي: ٣٧٨-٣٩٠، و«الكامل» ١١/ ٢٠-٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٧٥-٥٧٦.

شحٌّ زائد، وقَتَلَ غِلْمان أبيه وجَدِّه، وأخذ أموالهم، فكتب أهلُ دمشق إلى زَنْكي يسألونه المسير إليهم، فَشَرَع في التأهُّب، فكتب إليه إسماعيل: لا تحشدْ ولا تجمعْ، تعال بسرعة وأنا أسلِّم إليك البلد بعد أن تمكِّنني مِنْ بعض أهله ممن في نفسي منهم. ووالى المكاتبة إليه بخطِّه: لئن لم تقدم وإلاَّ سَلَّمْتُ دمشق إلى الفرنج. وشَرَعَ في نَقْلِ أمواله وذخائره إلى حِصن صَرْخَد، وقَبَضَ على جماعةٍ من الأعيان، فاتفقوا على قَتْلِهِ [وقالوا: هذا نوع سوداء، وكلما جاءت يزداد، وما لها إلا عدمه، فراسلوا][١] أمه زُمُرُّد خاتون، وقالوا: قد عَزَمَ على قتلنا وقتلكِ، وغداً يجيء [أتابك][٢] زنكي فيحكم عليك وعلينا. فدخلتْ عليه ولامته [وعاتَبَتْهُ][٢] وقالت: أنتَ تكون سبب خراب هذا البيت، فارجِعْ إلى سيرة آبائك. فشتَمها، وتهدَّدها بالقَتْلِ، وأسمعها كلاماً قبيحاً، فأرسلت إليهم، وقالت: دونكم وإياه. فَرَتَّبوا له جماعةً من الغِلْمان باتِّفاقٍ من أُمِّه، فقتلوه في دِهْليز قلعة دمشق في رابع عشر ربيع الأوَّل[٣]، [فكانت ولايته ثلاث سنين، لأنه ولي في رجب سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة][٢] وأجلست أُمُّه أخاه، [محمود بن بوري مكانه، ولقبته شهاب الدين، وهو الذي كانت له تدمر][٤]، وجاء [أتابك][٢] زنكي إلى حِمْص، فبلغه الخبر، فبعثَ رسولاً إلى دمشق بتسليم البلد، فَرَدَّه شهابُ الدين وخاتون ردًّا جميلاً، فلم يلتفت [زنكي][٢]، وجاء بعساكره، فخيَّم بين القُصير وعَذْراء[٥] في جمادى الأُولى، وكان يزحف كل يوم، ويقاتل أهل البلد ويقاتلونه، فأقام مُدَّة، فلم يظفر بطائل، واتَّفق وصولُ رسولِ المسترشد يأمره بالرَّحيل إلى بغداد، فرحل، وأقامت خاتون تدبِّرُ الملك مُدَّة، ثم تزوَّجها بعد ذلك زَنْكي، ونَقَلَها إلى حلب، فصار تدبير الملك إلى معين الدِّين أُنَر؛ أحدِ

---

(١) في (ح) و(ع): فاتفقوا على قتله، وراسلوا أمه...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٠، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٢٠: ربيع الآخر.

(٤) في (ع) و(ح): وأجلست أمه أخاه شهاب الدين محمود مكانه، وجاء زنكي.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) القصير: قرية على التخوم الشمالية لغوطة دمشق الشرقية على طريق حمص القديمة، على بعد ٣كم إلى الشمال الشرقي من دوما.

وعذراء: قرية في شمال مرج غوطة دمشق الشرقية، تبعد عن دوما ١٢كم، وعن دمشق ٢٦كم.

مماليك [جَدِّه أتابك][(١)] طُغْتِكِين، [ثم قتله جماعة مِنْ خَدَمِهِ في سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمس مئة، وأجلسوا أخاه محمداً مكانه، وسنذكره][(٢)].

وكان إسماعيلُ شهماً شُجاعاً مِقْداماً، مهيباً [وهو الذي خلَّص بانياس من الفرنج][(١)]، وكانت سيرتُهُ أَوَّلَ ولايته من أحسنِ السِّيَر، أَسْعَرَ بلادَ الفرنج بالغارات، وإنما تغيَّرَتْ سيرتُه في آخر أمره ومدَّ عينه إلى أموال الرَّعية، وأربابِ الدَّولة، وتناهى في ارتكابِ القبائح والمنكرات، وظهر منه بخلٌ زائد، وميلٌ إلى الدَّنايا[(٣)] بحيث لا يأنَفُ من تناول الخسيس الحقير بالعُدْوان.

[وقد ذكر قصته أبو يعلى بن القلانسي، وذكر بمعنى ما ذكرنا، وفيه بأن الكرديَّ بدران سلَّط الله عليه[(٤)] أمراضاً في نحره، فمات بعد أن ربا لسانه، وخَرَجَ على صدره، [وكان قتل إسماعيل في اليوم الذي مات في مثله بدران، ليكونا عبرة لأهل الظلم والعدوان، تقدَّمه بدران بثمانية أيام][(٥)].

وكان مولد إسماعيل في جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وخمس مئة، وقيل: في ربيع الآخر [من هذه السنة] [(٦)].

[وذكر[(٧)] مجيء زَنْكي ومنازلته لدمشق، فلما يئس منها وكان الخليفة قد استدعاه استقرَّ أن يخطبوا لألْب رسلان بن السلطان محمود الذي مع زَنْكي، ورَحَلَ][(٨)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أي قتلوا شهاب الدين محمود بن بوري، وما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص٣١٩-٣٢٠.

(٣) في (ع) الدنيا، والمثبت من (ح).

(٤) في (ع) و(ح): وسلط الله على بدران الكافر أمراضاً في نحره.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ح): وخرج على صدره قبل قتل إسماعيل بثمانية أيام...، وما بين حاصرتين من (ش)، والعبارة غير مستقيمة في (م)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٩٠.

(٦) في (ع): الأول، والمثبت من (ح) و(م) و(ش)، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) يعني ابن القلانسي.

(٨) في (ع) و(ح): ولما استدعى الخليفة زنكي ويئس من دمشق استقر أن يخطبوا لألب أرسلان بن السلطان محمود الذي مع زنكي، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٠-٣٩٢.

جعفر ابن شرف، أبو الفَضْل الأندلسي[(١)]

والد محمد بن جعفر[(٢)] مصنف كتاب «أبكار الأفكار»، له تصانيفُ كثيرة، وشِعْر مليح. عاش خمساً وتسعين سنة، وقيل جاوز المئة. وقيل: مات سنةَ إحدى وثلاثين وخمس مئة، وله نثر، وهو القائل، [وقيل: إنها لابنه محمد][(٣)]: [من الكامل]

صَنَمٌ مِنَ الكافورِ باتَ مُعَانقي ... في حُلَّتَيْنِ تَعَفُّفٍ وتكرُّم
فكَّرتُ ليلةَ وَصلِهِ في هَجْرِه ... فَجَرَتْ بقايا أَدْمُعي كالعَنْدَم[(٤)]
فَطَفِقْتُ أمسحُ مُقْلَتَيَّ بنَحْرِهِ ... إذ عادةُ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ[(٥)]

وقال: [من الطويل]

لِيَهْنِكَ شَهْرُ الصَّوْمِ لا زلت مُدْرِكاً ... لأمثالِهِ يأتي عليكَ ويَذْهَبُ
صلاتُكَ فيهِ رَحْمةٌ ومَثُوبةٌ ... وصَوْمُكَ رِضْوانٌ بهِ يَتَقَرَّبُ
وصمتَ بهِ عن كلِّ إثمٍ وَمَحْرَمٍ ... صيامُ الورى أَنْ يأكُلُوه ويَشْرَبُوا
إلى أن لَقِيْتَ العيدَ بالجِدِّ في التُّقى ... وغَيْرُكَ بالأيَّامِ يَلْهُو ويَلْعَبُ

وقيل: هي لمحمد ابن حَمْدِيس[(٦)].

---

(١) له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسام: ق٣/ج٢/ ٨٦٧-٨٨٦، و«الصلة» لابن بشكوال: ١٣١، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ١٧١-١٨١، و«بغية الملتمس»: ٢٥٦، و«المغرب»: ٢/ ٢٣٠-٢٣٢، و«نفح الطيب»: ١/ ١٥١ و٣/ ٣٩٣-٣٩٦، ووفاته في «الصلة» و«البغية» سنة (٥٣٤ هـ)، وذكر العماد في «الخريدة» وفاته سنة (٥٣١هـ)، وقد أناف على المئة.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وهو خطأ، صوابه: ولد أبي عبد الله محمد مصنف «أبكار الأفكار»كما في «الخريدة» وغيره، ومحمد: هو ابن أبي سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني، شاعر مشهور، كان قرين ابن رشيق صاحب «العمدة»، وتوفي سنة (٤٦٠ هـ). له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسام: ق٤/ م١/ ١٦٩-٢٤٥ ـ وقد ذكر محققه مظان ترجمته ـ و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٢٢٤-٢٣٠، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٣٧-٤٣، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٩٧-١٠١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ح)، وقوله: لابنه خطأ، صوابه لأبيه، وهو الموافق لما في«الخريدة»: ٢/ ١٧٢، وانظر حاشيتنا السابقة.

(٤) العندم: صِبْغ تختضب به الجواري، انظر «اللسان» (عندم).

(٥) «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ١٧٢.

(٦) أورد العماد هذه الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٢٠٧، في ترجمة محمد ابن حمديس ولد الشاعر المشهور عبد الجبار بن أبي بكر ابن حمديس، وكأنه بذلك يرجح نسبتها إليه، والله أعلم.

دُبَيْس بنُ صَدَقَة بنِ منصور بن دُبَيْس[١]

ابن علي بن مَزْيَد، أبو الأَغَرّ الأَسَدِي.

أصله من بني أسد، وقيل من بني خَفَاجة، وأَوَّل مَنْ نبغ من بيته جَدُّه الأكبر مَزْيَد في أيام بني بُوَيْه، فوَّضوا إليه حماية قرية يقال لها سُورا ـ أو الوقف[٢] ـ من أعمال بغداد، فكان يحمي مرَّة، ويُغَارّ أُخرى، ثم مات.

فقام عليٌّ ولدُه مقامه، وكان عائناً؛ ما وقعتْ عَيْنُه على شيء إلا هَلَكَ، نظر يوماً إلى ابنه بَدْران، فاستحسنه، فمات، وكان يبغض ابنه منصوراً، فقيل له في ذلك، فقال: رأيتُ في المنام كأنَّه بَلَغَ عَنَان السَّماء وبيده فأسٌ، وهو يقلع الكواكب، ويرمي بها إلى الأرض، ثم وقع بعدها، ولا أشكُّ أنه يبلغ الغاية العليا، ثم يهلك.

ثم مات دُبَيْس، وقام بعده ابنه منصور، فجرى في أيام القائم منه[٣] ما جرى، فإنه لما أخرج القائم إلى الحديثة، عاد ودَخَلَ بغداد، ونَدِمَ حيث لم ينهب دار الخلافة كما فعل قريش، ثم باين البساسيري وقريشاً بهذا السَّبب.

ثم مات منصور وخَلَفَ ابنُه صدَقَة، فخدم ملك شاه، وكان يتردَّدُ إلى بابه، ويحمل إليه الأموال، فلما قُتِلَ نظامُ الملك ومات ملك شاه أَظْهَرَ الخِلافَ لِبَرْكْيارُوق، وعَلِمَ أَنَّ الحِلَّة لا تحميه، فبنى مكاناً على تل بالبطيحة، وشَقَّ حوله الماء، ونقل إليه أمواله، ثم بنى الحِلَّة وخَنْدَقَ عليها، وغَرَسَ فيها البساتين، ثم صار النَّاس يستجيرون به، فيجيرهم، ثم أُعطي داراً ببغداد، فَعَمَرها وكانت لِبِهْرُوز الخادم، ولَقَّبَ نفسه سيفَ الدولة، والتجأ إليه العَرَبُ وقُطَّاع الطَّريق، وطمع في البلاد، فانْتُدِبَ له العميد أبو جعفر ثقة الملك، فأخذ فتاوي الفقهاء بقتاله، وأنَّه لا يقام عنده جُمُعة، ولا جماعة، وأنهم يسبُّون الصَّحابة ﵃ في بلده، ولا عندهم أذان ولا إقامة، وأنهم

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٥٢-٥٣، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ١٧٠-١٧٢، و«الكامل» ١١/ ٣٠، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٢٦٣، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦١٢-٦١٣. وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) و(ح) يقال لها سورا وللوقف، وقد استظهرتها هكذا، والله أعلم، انظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٧٨.

(٣) خروج القائم إلى حديثة عانة، ونهب بغداد جرى في أيام دُبيس بن علي، وذلك سنة (٤٥٠هـ) لا في أيام منصور، وهذا وهم من سبط ابن الجوزي، والله أعلم، انظر «المنتظم»: ٨/ ١٩١-٢١٢.

يشربون الخمور، ويبيحون الزِّنا، والتجأ إليه سرخاب الحاجب، وطَلَبَه منه السُّلْطان، فامتنع، فبعث إليه بالعساكر فَقُتِلَ، وقد ذكرناه[١].

ثم قام بعده ولده دُبَيْس صاحب هذه التَّرجمة، وكان شَرَّ أهلِ بيته، يرتكب الكبائر، ويفعل العظائم أكثر ما كان يفعل آباؤه، ولقي منه الخليفة والمسلمون فنونَ الأذى، وبشؤمه بَطَلَ الحج مراراً، وأباح الفروج في نهار رمضان، وكان يرى رأي الباطنية.

ولما نزل الأمير أبو الحسن بن المستظهر من التَّاج، والتجأ إليه ظَنَّ أنه يحفظ الذِّمام مثل أبيه، فباعه بيعَ العبيد، ونهبه، وأخذ منه جوهراً قيمته ثلاث مئة ألف دينار.

وطغا على المسترشد وحاربه، فكسره المسترشد، ومضى إلى الشَّام، ووقع بيد زَنْكي، ومَنَّ عليه وأطلقه، فمضى إلى مسعود وإلى سنجر، وهو الذي حَسَّن لهما قَتْلَ المسترشد، ولم يظفر بطائل، فَعَزَمَ على الهرب، ووجَدَ له مسعودٌ مكاتباتٍ إلى زَنْكي يقول: اللهَ أن تقع [في يد][٢] مسعود، واحفظ رأسك. فبعث إليه مسعودٌ غلاماً أرمنياً من سلاحِيَّته، فدخل عليه الخيمة وهو مُطرِقٌ يَنْكُتُ الأرض بأصبعه، فما أحسَّ به حتى ضرب رأسه بالسَّيف، فأبانَه.

ويقال: إنه سُحِبَ إلى بين يدي مسعود، فقام إليه بنفسه فضربه، [فقطع رأسه، وكان ذلك في عشرة ذي الحِجَّة][٣]، فكان بين قَتْلِهِ وقتلِ المسترشد خمسةٌ وثلاثون يوماً، وقيل ثمانية وعشرون يوماً، وما كان بنو سلجوق يتقونه إلا ليكون في وجه الخليفة.

وقال العماد الكاتب: بنو مزيد الأسديون النَّازلون بالحِلَّة على الفرات ملوك العرب وأمراؤها، وكانوا ملجأً اللاجئين وثِمالَ[٤] الرَّاجين، وموئلَ المُعْتَفين[٥]، وكهفَ

(١) انظر حوادث سنة (٥٠١هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

(٣) في (ع) و(ح): قطع رأسه في تاريخ حادي عشر ذي الحجة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): عشرين ذي الحجة.

(٤) الثمال: الملجأ والغياث، والمُطْعِم في الشدة. «اللسان» (ثمل).

(٥) المعتفين: أي طلاب المعروف أو الأضياف: عفوت الرجل: إذا طلبت فضله، والعافية والعُفاة والعُفَّى: الأضياف، وطلاب المعروف، وفلان تعفوه الأضياف وتعتفيه الأضياف. «اللسان» (عفا).

المستضعفين، ومنهم بهاء الدَّوْلة أبو كامل منصور بن دُبَيْس، توفي أبوه أبو الأغرّ دُبَيْس سنة أربعٍ وسبعين وأربع مئة، وكانت إمارته سبعاً وستين سنة، وكان منصورٌ منصوراً في الأمور، مقصوراً زمانُه على إيواء طالب القِرى المقرور، فارس العرب وشجاعها، ومجيد العساكر وجماعها.

ثم ذكر دُبَيْساً وقال: قتله مسعود صَبْراً بعد قَتْلِ المسترشد بشهر، يوم الأربعاء رابع عشرة ذي الحِجَّة بالمَرَاغة، وكان ينشد كثيراً: [من الكامل]

إنَّ اللَّيالي للأنامِ مناهِلٌ ... تُطْوَى وتُبْسَطُ بينها الأعْمارُ
فقِصارُهُنَّ مع الهمومِ طويلةٌ ... وطِوالُهُنَّ مع السُّرورِ قِصارُ[(١)]

وقال ابن السَّمْعاني: وقفتُ على كتاب «الوِشاح»[(٢)]، وفيه: كتب بَدْران بنُ صدقة[(٣)] إلى دُبَيْس وإخوته: [من الطويل]

ألا قُلْ لمنصورٍ وقُلْ لمسيِّبٍ ... وقُلْ لدُبَيْسٍ إنَّني لغريبُ
هنيئاً لكمْ ماءُ الفُرَاتِ وطِيْبُهُ ... إذا لم يكنْ لي في الفُرَاتِ نَصِيْبُ

فكتب إليه دُبَيْس: [من الطويل]

ألا قُلْ لبدرانَ الذي حَنَّ نازعاً ... إلى أرضِهِ والحُرُّ ليس يخيبُ
تمتَّعْ بأيَّامِ السُّرورِ فإنَّما ... عِذارُ الأماني بالهموم يَشِيْبُ
ولله في تلكَ الحوادثِ حِكْمَةٌ ... وللأرضِ من كأسِ الكرام نصيبُ[(٤)]

وقال دُبَيْس: [من السريع]

حبُّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ... للنَّاسِ مِقْياسٌ ومِعْيارُ
يُخْرِجُ ما في أصلِهِمْ مِثْلَما ... يُخْرِجُ غِشَّ الذَّهبِ النَّارُ[(٥)]

(١) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/م١/ ١٧٢ .
(٢) هو «وشاح الدمية» لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي، وهو ذيل على «دمية القصر وعصرة أهل العصر»، انظر «وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٨٧ .
(٣) ستأتي ترجمته ص ٢٩٨ من هذا الجزء.
(٤) «الخريدة» ج٤/ م١/ ١٧٢-١٧٣ .
(٥) المصدر السالف.

وقال: [من البسيط]

ما لامني فيك أعدائي وعُذَّالي ... إلا لِغَفْلتِهِمْ عنِّي وعن حالي
لا طيَّب الله لي عَيْشاً ألَذُّ بِهِ ... إنْ دارَ ذِكْرُ السُّلُوِّ اليومَ في بالي

وقال: [من المتقارب]

ولمَّا رأيتُكَ خَوَّانةً ... تَزِيْنُ القبيحَ فِعالاً جميلا
تَسَلَّيْتُ عنكَ بمن لا أُحِبُّ(١) ... فَدَبَّ السُّلُوُّ قليلاً قليلا

وقيل: إنَّ دُبَيْساً لما قُتِلَ، تزوَّج مسعود بابنته شرف خاتون، وأُمها بنت عميد الدولة ابن جَهِير، وحُمِلَ دُبَيْس إلى زوجته كهارخاتون بمارِدِين، فدفن بميَّافارِقِين عند [نجم الدين](٢) إيلغازي.

عبد الله بن محمد بن عبدالله(٣)

أبو بكر الدِّمَشْقي [المؤدِّب، ويعرف بابن النَّبيه](٢).

قرأ القرآن [علي أبي الوحش بن مُسَلَّم](٢)، وسمع الحديث ووعظ، وتوفي في صفر بدمشق، وكان ثِقَةً، وله قَبُول، وأنشد يوماً على المنبر بجامع دمشق لنفسه: [من المنسرح]

يا قَلْبُ إنَّ الذي كَلِفْتَ به ... أَقْسَمَ لا حالَ عن تغضُّبِهِ
وأنتَ خَبَّرْتَني بأنَّك لا ... تَسْطِيْعُ صَبْراً على تَجَنُّبِهِ
فكيفَ أرجو البقاءَ بينكما ... قد حرتُ واللهِ في تَطَلُّبِهِ

[سَمِعَ أبا الحسن ابن قيس، وأبا محمد الأكفاني، وغيرهما، وروى عنه الحافظ ابنُ عساكر وغيره](٢).

---

(١) في (ح) و(ع): بمن لا أريد، والمثبت من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ترجم له ابن عساكر في «تاريخه»، ولكن لم أقف على ترجمته في النسخة التي بين يدي.

الفضل بن [أحمد بن][1] عبد الله أبو منصور المسترشد بالله[2]

أمير المؤمنين، وأمه لبابة أم ولد. [وقد ذكرنا أنه][3] ولد في سنة أربعٍ أو خمس أو ستٍّ وثمانين وأربع مئة، وكان شهماً، شجاعاً ذا هِمَّةٍ، متشاغلاً بالخير والعبادة، سالكاً سيرة القادر [والقائم][3].

قرأ القرآن، وسمع الحديث [على ابن بيان وأحمد بن السِّيبي][3]، وروى عنه وزيره عليُّ ابن طراد [الزَّينبي][3] وغيره، [وقد ذكرنا أنه قرئ عليه الحديث لما سار إلى قتال دُبَيْس][3]، وكان له شعر [ذكر منه العماد الكاتب في «الخريدة»،][3] فمنه: [من الطويل]

أنا الأشقرُ الموعود[4] بي في الملاحم ... ومَنْ يملكُ الدُّنيا بغير مُزاحم
ستبلغُ أرضَ الرُّومِ خيلي وتُنْتضى ... بأقصى بلادِ الصِّيْن بِيْضُ صوارمي[5]

ذكر مقتله: قد ذكرنا خروجه للقاء مسعود، وخِذْلان العساكر له، وورود كتاب سنجر على مسعود يلومه [فيما فعل][3]، ويأمره بحمل الغاشية[6] بين يديه، وأنه حملها وضَرَبَ له السُّرادق وفيه التخت، [وأجلسه عليه][3]، فلما كان في تلك الليلة رأى في منامه كأنَّ في يده حمامةً مطوَّقة، وقائلاً يقول له: خلاصُك في هذه. فلما أصبح، أخبر الأمير ابن سُكَيْنة بمنامه، وكان عنده[7]، فقال: يا أمير المؤمنين، فما أَوَّلته؟ فقال: ببيتٍ لأبي تمَّام [من الكامل]

---

(١) ما بين حاصرتين مثبت من مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٥٣-٥٤، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ٢٩-٣١، و«الكامل»: ١١/ ٢٧-٢٨، و«مفرج الكروب»: ١/ ٥٨-٦٢، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢١٩-٢٢٣، و«الفخري»: ٣٠٢-٣٠٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٦١-٥٦٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ع): المدعو، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لرواية «الخريدة».

(٥) «خريدة القصر»: ٢/ ٣٠.

(٦) الغاشية: هي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب، يخالها الناظر جميعاً مصنوعة من الذهب، تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها، يحملها الركاب دارية، رافعاً لها على يديه يلقيها يميناً وشمالاً. «صبح الأعشى»: ٤/ ٧.

(٧) في (م) و(ش): فلما أصبح وكان عنده الأمير ابن سُكينة الذي قتل معه، فأخبره بمنامه، فقال: يا أمير المؤمنين.. قلت: وفي «السِّيَر» وغيره أن ابن سُكينة كان إمامه في الصلاة.

هُـنَّ الـحَـمَـامُ فـإنْ كَـسَـرْنَ عِـيـافَـةً حـاءَ الـحَـمَـام فـإنَّـهُـنَّ حِـمـامُ[١]

وخلاصي في حِمامي، فيا ليتني تخلَّصتُ من الأَسْر والذُّلِّ والحَجْر عليَّ بالموت. فَقُتِلَ بعد يومين.

ولما كان في اليوم السَّادس عشر من ذي القَعدة وَصَلَ الخبر بأن رسولاً من عند سنجر واصِلٌ نهار غدٍ يأمر مسعوداً بأن يعيد الخليفة إلى بغداد، ووصل مع الرَّسول سبعة عشرة رجلاً من الباطنية في زِيِّ الغِلْمان، وادَّعى مسعود بعد ذلك أنه لم يعلم بهم، وكَذَبَ بل اتَّفق هو وسنجر على الفَتْك بالخليفة، ودليلُه أَنَّ مسعوداً أفرد لهم خيمةً [قريبة من الخليفة][٢]، وأكرمهم، ولم يخفَ على النَّاس فعلُه، وإنما قَصَدَ دفع التُّهَمة عنه، ولم تندفع.

فلما كان يوم الخميس سابع عشر ذي القَعدة ركب مسعود والعساكر لتلقِّي رسول سنجر، فلما أَبْعَدَ، هَجَمَتِ الباطنيةُ على الخليفة، فضربوه بالسَّكاكين حتى قتلوه، وقتلوا من كان عنده من الخُدَّام، ورمى بنفسه عليه الأمير ابن سُكَيْنة، فقتلوه، ووقع الصُّراخ، وجاءتِ العساكر فأحدقت بالسُّرادق، وخرج القومُ والسكاكين بأيديهم، عليها الدَّم، فمالتِ العساكر عليهم، فقتلوهم، وأحرقوهم، وغُطِيَ الخليفة بسُنْدُسة خضراء لُفُّوه فيها، ودفن على حاله بباب مَرَاغة، [واختلفوا في مقدار عمره، فقال قوم: كان له خمس وأربعون سنة، وقد ذكرنا مولده، فيكون الاختلاف بحسبه، وكانت][٣] خلافته سبع عشرة سنة، وثمانية أشهر وأياماً، وجلس مسعود في العزاء، ووقَع النحيب والبكاء.

ووصل الخبر إلى بغداد ليلة السبت سادس عشرين ذي القعدة، فاحترز الرَّاشد، وقَبَضَ على جماعةٍ من أهله وإخوته، وكَثُرَ البُكاءُ والصُّراخ، وأُغلق البلد، ونقضت

---

(١) البيت في «ديوان أبي تمام» بشرح التبريزي: ٣/ ١٥٢ بلفظ:

هـن الـحـمـام فـإن كَـسَـرتَ عـيـافـةً مـن حـائـهـن فـإنـهـن حِـمـامُ

وهو من قصيدة يمدح بها المأمون، مطلعها:

دِمَـنٌ ألـمَّ بـهـا فـقـال سـلام كـم حَـلَّ عُـقْـدَةَ صَـبْـرِهِ الإلـمـامُ

(٢) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح)، وعمره خمس وأربعون سنة، وقد ذكرنا مولده، فتكون خلافته سبع عشرة سنة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

دكاك باب النّوبي، وبات أستاذ الدّار ابنُ جَهِير، وصاحب الدِّيوان أبو الرِّضى، وصاحب الباب ابن الصَّاحب في صحن السلام، وأُقيم الحَرَسُ في الليل على الأبواب، وأصبح الناس حُفَاة، والنِّساءُ منشراتِ الشُّعور، يَلْطِمْنَ ويَنْشُدْنَ الأشعار التي تُنْشَدُ في المآتم، وقَعَدَ أربابُ الدولة في العزاء ثلاثةَ أيام [وفي اليوم الثالث][1] أقيموا من العزاء، وأُمروا أن يحضروا البيعة.

الباب الثلاثون

في خلافة الرَّاشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد

وأمه خشف أم ولد، وكان أبوه قد نَصَّ عليه، فلما قُتِلَ أبوه بمَراغة كان هو ببغداد، فكتبَ مسعود إلى بكبة الشِّحْنة نائبه ببغداد، يأمره بالاجتماع بأرباب الدَّوْلة والأعيان، ويبايعوا الرَّاشد، فجاء بكبة ليدخل دار الخليفة فَمُنِعَ، واستقرَّ أَنْ يبايعَ من وراء الشُّبَّاك من ناحية الشَّطِّ، وجَلَسَ الرَّاشد في المثمَّنة التي بناها المقتدي في الشُّبَّاك، وبايعه بكبة من وراء الشُّبَّاك يوم الاثنين سابع وعشرين ذي القَعدة، وحَضَرَ القُضاة، والعُدول، والأشراف وأربابُ الدولة، وبايعوا على طبقاتهم، وكان أبيضَ جسيماً، وبين يديه أولادُه وإخوته.

ونُودي في النَّاس برَفْع المظالم، والأَمْرِ بالمعروف، والنَّهْي عن المنكر، فلمَّا كان بعد ثلاثة أيَّام أظهر أكياساً فيها حُجَج على النَّاس ووثائق، وما كَتَبَ عليهم ابنُ الهاروني، فَرَدَّها على أربابها، وأشهد عليهم الشُّهودَ أَنَّهم قد أبرؤوا أميرَ المؤمنين مما أَخَذَ منهم، وَرَدَّ عليهم الأموال، فكَثُرَ الدُّعاء له، وحضر قاضي بعقوبا فتظلَّم، وقال: لي وثائق، وما ظلمني أمير المؤمنين، وإنما ظلمني ابنُ الهاروني. ورُفِعَ قوله إلى الرَّاشد، فأمر بعَزْله. وقال: هذا قد كَذَبَ فَفَسَقَ، لأَنَّ ابنَ الهاروني ما أخذ شيئاً إلا بأمر المسترشد.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال سديد الدولة ابنُ الأنباري: لما قُتِلَ الخليفة استدعاني السُّلْطان مسعود، فدخلت عليه أنا والوزير شرف الدِّين عليُّ بنُ طِراد، وصاحبُ المخزن ابن طلحة، فقال لنا: قد كان ما جَرَتْ به المقادير، فما الذي تَرَوْن في أمر الخليفة؟ فقلنا: قد نصحناه أَوَّلاً، فلم يقبل. فقال: دعوني من هذا، وخذوا فيما قلتُ لكم. فقال الوزير: الخلافة لولي العهد، وقد بايعه النَّاسُ قديماً وحديثاً. فقال: ما أُقرّه على ذلك، لأنَّه يحدِّثُ نفسه بالخروج عليَّ مثل أبيه، وقد عَلِمْتُم أنَّ المسترشد خَرَجَ على أخي محمود مرتين، وكان قَصدُه هلاكَ بيتنا، وتَمَّ عليه ما تَمَّ، وقد بقيت علينا شناعة عظيمة، وسُبَّة إلى آخر الدَّهر، يقول النَّاس: قتلوا الخليفة، وقد كانوا هم السَّبب في عَوْدِ الخلافة إلى هذا البيت، ولا أُريد إلا رجلاً ديِّناً لا يُدْخِلُ نَفْسَه فيما لا يعنيه، ولا يخرج عليَّ ولا على أحدٍ من أهلي، وفي الدَّار جماعةٌ، فاعتمدوا على شيخٍ منهم ذي عقل ورأي وتَدْبير، يُلْزِمُ نَفْسَه ما يجبُ من طاعتنا، ولا تعرِّجوا عن هارون بن المقتدي، فإنَّه شيخ كبير لا يَرى الفِتْنة، وقد أشار به عَمِّي سنجر.

قال: وكان في الدَّار جماعةٌ من أولاد المُقْتدي والمستظهر وغيرهما، مقدار نيِّف وعشرين، وكان للرَّاشد نيِّفٌ وعشرون ولداً لما ولي الخلافة، لأنَّه بلغ لتسع سنين [مضين من عمره، وسنذكره إن شاء الله تعالى][1].

ووصل كتابُ سِنْجر إلى مسعود يقول له: لا تولِّي الأمر إلا من يضمنه الوزير، وابنُ الأنباري، وصاحب المخزن. فقالوا: نرضى الزَّاهِدَ العابد الذي ليس في الدَّار مثله. قال: مَنْ هو؟ قالوا: أبو عبد الله بن المستظهر. يعنون المقتفي ـ وكان صِهْرَ شَرَفِ الدِّين الوزير على ابنته، وكان يوم تزوجها، فُوض إلى أبيها نقابة النُّقباء، ودخل بها، وماتت عنده ـ فقال السُّلْطان: اكتموا هذه الحالة لئلا تتم، فيظهر الخبر، فَيُقْتَلُ أبو عبد الله. ثم تجهز السُّلْطان إلى بغداد، وهم معه.

---

(١) في النسخ الخطية: لسبع سنين، وهو خطأ، صوابه من «مفرج الكروب»: ١/ ٦٢ ، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

السَّنة الثلاثون وخمس مئة

فيها في المحرم وَصَلَ يرنقش الزَّكوي في أمورٍ صعبة رُفِعَتْ إلى الخليفة؛ منها أَنَّه مطالبٌ بخطٍّ كتبه المسترشد بسبع مئة ألف دينار ليتخلَّص من أَسْره، ومطالب لأولاد صاحب المخزن بثلاث مئة ألف دينار، وقسط على أهل بغداد خمس مئة ألف دينار وغير ذلك، فاستشار الرَّاشدُ أربابَ دولته، فأشاروا عليه بالمكاشفة، فبعث إلى يرنقش يقول: قد عَلِمْنا في أيِّ شيء جِئْتَ: أما الأموال المضمونة فإنَّها كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالماً، ومستقرِّ عِزِّه آمناً، لا للممالأة على قتله، وأما أموال النَّاس فلا سبيلَ إليها، وما لك عندنا إلا السَّيْف؛ وأنا مطالِبٌ بثأر أبي.

وقطع خُطْبة سنجر ومسعود، وكاتَبَ زَنْكي، وأطمعه في المُلْك، وقال: يكون الملك ألب رسلان بن محمود الذي عندك، وأنت أتابكه.

وكاتَبَ يرنقش البازدار وإقبال الخادم، وأياز صاحب محمود فقَدِمُوا عليه، وعليهم ثيابُ العزاء، فحسَّنوا للرَّاشد الخروج، واستوزر أبا الرِّضى ابن صدقة، وجاء داود، فنزل دار المملكة، وبَعَثَ الرَّاشد إليه وإلى زَنْكي والجماعة الأموالَ والهدايا. وخطب لداود في صفر.

ثم إنَّ الرَّاشد بلغه عن إقبال الخادم أنه كاتَبَ مسعوداً، فقبض عليه، فأرسل زَنْكي يقول: هذا قد جاء في صحبتي، وهو في ضماني، ولا بُدَّ من الإفراج عنه. فامتنع الرَّاشد، وشَفَعَ فيه جميعُ الأُمراء، فلم يقبل، وكان ذلك سبباً لفساد حال الرَّاشد، فركب زنكي والبازدار إلى السُّور، وأخربوا منه قطعة، وجاء زنكي فوقف تحت التَّاج، وسأل في إقبال سؤالاً تحته إلزام، وكان إقبال قد وُكِّلَ به في التَّاج، فَغَفَلَ عنه الموكَّلون، فهرب إلى زَنْكي، فَصَعُبَ على الخليفة، ووكَّل بأُستاذ الدَّار، والبوابين، وقال: كيف جرى مثل هذا؟! وكان إقبال من خُدَّام المسترشد أستاذ داره، فلما قُتِلَ المسترشد هَرَبَ من مَرَاغة إلى زَنْكي، فأقام عنده.

وبعث الرَّاشد بالوزير محمد بن أحمد بن صَدَقَة إلى زنكي يوبِّخه على ما جرى منه، فلامه زنكي، وقال: ما هذا التدبير السَّيِّئ، والأفعال القبيحة؟ فقال الوزير: أنا مستجير بالله وبك لا أعود إليه، فإنه مستبدٌّ برأيه، وما يسمع مني. فقال: اجلس فأنتَ آمنٌ.

وبَعَثَ الخليفةُ يطلب الوزير، فامتنع، وقال: أيّ وزير أنا إذا كنتُ أشير عليك بالمصلحة لا تقبل مني، وتفعل ما عاقبته إلى الهلاك، قلت لك: لا تقبض الخادم ما قبلت، وقد وَلَّيْتَ ابنَ الهاروني الملعون النَّصراني على المسلمين، وهو يكون سبباً لتغيير الدولة. فقبض الرَّاشد على ابن الهاروني، وأخذ منه مئتي ألف دينار، وكان قد فتح على النَّاس أبوابَ الظُّلْم والمكوس؛ وتقدَّم إلى أبي الكرم الوالي بقَتْله، فقتله، وصلبه.

وأما مسعود فإنَّه أفرج عن أربابِ الدَّوْلة وهم الوزير وابن طلحة وقاضي القضاة، وابن الأنباري، ونقيب الطَّالبيين ابن المُعَمَّر، فأما النَّقيب فتوفي لما نزل من القلعة، وأما قاضي القضاة فانحدر إلى بغداد، وأما الباقون فدخلوا بغداد مع مسعود.

وقبض الرَّاشد على أُستاذ داره أبي عبد الله بن جَهِير، وقيل: إنَّه وُجِدَتْ له مكاتباتٌ، وبَعَثَ زَنْكي يقول: أُريد مال الخادم، فإنَّه مال السُّلْطان، ونحن نحتاج [إلى][(١)] النفقات. فلم يُعْط شيئاً، وأشار زنكي على ابنِ صَدَقَة أَنْ يكون وزير السُّلْطان داود، فأجابه. وولى الخليفة أبا العَبَّاس بن بختيار قضاء واسط. وتواترتِ الأخبارُ بمجيء مسعود، فجاء زَنْكي، فدخل على الخليفة، وقبَّل يده، واستوثق منه.

وقَرُبَ مسعودٌ من بغداد، وبعث يطلب صُلْح الخليفة، فلم يُجِبْه، وأشار زنكي واليرنقش والبازدار بالخروج إلى محاربته، وضُرِبَ سُرادِقُه بباب الحَلْبة[(٢)]، ورُدَّ ابنُ صدقة إلى الوِزارة. وخَرَجَ الرَّاشد من داره سَلْخ شعبان، وجاءت ملطّفات من مسعود إلى الأُمراء، فأحضروها إلى الخليفة وزنكي إلاَّ بكبه الشِّحنة فإنَّه أنكر، فغرَّقه زنكي.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) الحلبة: محلة كبيرة واسعة، شرقي بغداد، عند باب الأزج. «معجم البلدان»: ٢/ ٢٩٠ .

وفي عاشر رمضان جاء رسولُ مسعود يطلب الصُّلح، فقال الأُمراء: ماله عندنا إلا السيف. فكاتبهم مسعود، وحَلَفَ لزنكي على المَوْصِل والشَّام، وأن ليرنقش هَمَذَان، والبازدار أَصبهان، وكَتَبَ سِرًّا إلى الأُمراء بقتل زنكي، فاستفسد الجميع، وخاف بعضُهم من بعض، وأصبح الخليفةُ وليس معه أحدٌ من العساكر.

وجاء غِلْمانُ مسعود إلى تُرب الرُّصافة، فقلعوا شبابيكها، فقال زنكي للخليفة: ما تَمَّ مطلوب إلا أنا وأنت، والمصلحة خروجك معي إلى المَوْصل. ولما تيقَّن الرَّاشد مجيء مسعود، وأَنَّه لا بُدَّ له من تولية غيره، جمع الأُمراء من أبناء الخلفاء وكانوا زيادةً على العشرين، فجعلهم في سِرْداب، واستدعى أبا القاسم بن الصَّاحب حاجب الباب، وأعطاه سيفه، وقال: اذهب، فاضربْ أعناقَ الجميع وإلا ضَرَبْتُ عُنُقَك. فأخذ السيف، وخَرَجَ وتوقف، وقال: كيف أقتل أولادَ الخلفاء! وجاء إلى باب السِّرْداب وليس في عزمه شيء. فوقف متحيِّراً، وإذا بصائحٍ يصيح: وصَلَتْ مقدِّمات مسعود إلى السور. فخرج الرَّاشد من باب البُشْرى، وقد حمل من الجواهر ما قَدَرَ عليه، ومعه قاضي القضاة الزَّيْنبي، وابن صدقة وزيره، وإذا زنكي واقفٌ ينتظره، وكان خروجه ليلة السبت رابع عشرة ذي القَعدة، وسار يوم السبت، وليس معه شيء من آلة السَّفر، وسَلَّم مفاتيح داره إلى خاتون زوجة المستظهر، وترك في الدَّار من الأموال والذخائر والجواهر أضعاف ما كان مع المسترشد، فاستدلَّ النَّاسُ بذلك على إدبار أمره.

وقيل: إن زنكي لما وصلت مقدِّمات مسعود إلى الرُّصافة سار إلى المَوْصِل، ونَهَبَ أصحابه أَوَانا ودُجَيْل، ولحقه الخليفة.

ودخل مسعود بغداد يوم الأحد خامس عشرة ذي القعدة، وبَعَثَ إلى الرَّاشد يسأله الرجوع إلى داره، واسترضاه، فلم يثق به، ولم يرجع، فجمع مسعودٌ القُضَاة والشهود والأعيان، وأَخْرَجَ لهم نسخة يمينٍ كانت بينه وبين الرَّاشد أخذها عليه بكبه، وفيها بخطِّه: متى جنَّدْتُ أو حاربتُ أو جذبتُ سيفاً في وَجْه مسعود فقد خلعتُ نفسي من هذا الأمر. وفيها خطوطُ القُضاة والشُّهود، فشهد بذلك، وحكم القضاة بخلعه.

وقال صدقة الحَدَّاد الحَنْبلي[١] في «تاريخه»: إنَّ الوزير أبا القاسم بن طِراد صدَّر محضراً على الرَّاشد فيه أنواعٌ من الكبائر ارتكبها من الفسق والفجور، ونكاح أُمهات أولاد أبيه، وأخذِ أموال النَّاس، وسَفْكِ الدِّماء، وأنه فعل أشياءَ لا يجوز أن يكون معها إماماً، فتوقف الشُّهود، فتهدَّدهم ابنُ طِراد، وقال: عَلِمْتُم صحة هذا وتيقنتموه، فما المانع من إقامة الشهادة؟ فشهدوا، ومن جُمْلة من شهد فيه ابن الكَرْخي، وابن البَيْضاوي، وابن الهِيْتي، ونقيب الطَّالبيين، وابن الرَّزَّاز[٢]، وابن شافع الحنبلي، وحكم بخلعه يوم الاثنين ثامن عشرة ذي القعدة، وولّوا المقتفي.

الباب الحادي والثلاثون

في خلافة المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر، أخو المسترشد، عَمّ الرَّاشد

وكنيته أبو عبدالله، ومولده في ربيع الأَوَّل سنةَ تسعٍ وثمانين وأربع مئة. وأمه نسيم أُمّ ولد مولَّدة صفراء وتلقب بستِّ السَّادة، وقيل: اسمها عذار، وكان يضرب بها المَثَلُ في الكَرَم والفَضْل، وسنُّ المقتفي يومئذٍ اثنتان وأربعون سنة، واستوزر ابن طِراد.

وإنَّما لُقِّب بالمقتفي لأنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ في منامه قبل أن يلي الخلافة بستة أيام، وهو يقول له: ستلي هذا الأمر، فاقتفِ بي.

ولما ولي مضت خاتون المستظهرية إلى دار السُّلْطان لتسأله في أولاد الرَّاشد وجواريه وحُرَمه وأمواله، فرجعت وقد بَعَثَ مَنْ أخذ جميعَ ما في الدَّارِ من الذَّهب والفِضَّة والجواهر والخيل والثياب والحُصُر، ولم يدع في الإسطبل سوى أربعةِ أفراس، وثلاث بغال لنقل الماء. وكان قد تقرَّر على المقتفي مال البيعة، فأخذ الجميع عِوَضاً عن ذلك، وطولب المقتفي بمالٍ، فقال: قد أخذتم جميعَ ما كان في الدَّار حتى الحُصُر، فمن أين لي مال؟ وعَرَضَ عقاره، فلم يتجاسر أحدٌ أن يشتريه.

---

(١) هو صدقة بن الحسين، وقد توفي سنة (٥٧٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٢) في (ع) و(ح): الروان، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٦٠.

وبعث مسعود غِلْمانه إلى حظايا الرَّاشد، فسلبوهن حُلِيَّهُنَّ، وكشفوا وجوههن، وأخذوا الحَلَق من آذانهنّ، وفضحوهن، وأخذوا حتى ثيابهن.

وأما الرَّاشد فإنَّه وصل المَوْصل سَلْخ ذي القعدة، فأنزله زنكي دار السَّلْطنة، وخدمه.

وفيها قَدِمَ بغداد الحسن بن يعيش[١]، أبو علي المَوْصلي، شاعِرٌ مجيد، ومن شعره: [من الرجز]

ما ذَكَرَتْ كُثْبَ[٢] الصَّريم والنَّقا ... بحاجرٍ إلا ومَدَّتْ عُنُقا
وأَظْهَرَتْ تنفُّساً مَعْ نَفَسي ... كادتْ له الأظعانُ أَنْ تَحْتَرِقا
رِفقاً بها يا أيُّها الحادي فما ... يَضُرُّ حادي الرَّكْبِ لو تَرَفَّقا
كم سُقْتَ يومَ بَيْنِهِمْ حُشاشةً ... مَعْك وكَمْ خَلَّفْتَ جُثْماناً لَقى

وقال: [من الرجز]

هَبَّتْ لنا نُسَيْمَةٌ نَجْدِيَّةٌ ... فَرَفَّعَتْ أعناقَها حنينا
واسْتَنْشَقَتْ رَيَّا رُباها فَغَدتْ ... تَسُحُّ مِنْ عيونها عيونا
ارخِ لها زِمامَها لو لم تكن ... حزينةً لم تَجُبِ الحُزُونا
وقُلْ لها جِدِّي السُّرى لِتَرِدِي ... ماءً بأَرْضِ حاجرٍ مَعِيْنا
أشْمَلَها نحو بلاغٍ رامَهُ ... وشوقُها يَسُوقُها يمينا

وفيها أخذ شهابُ الدِّين محمود بن بوري صاحب دمشق حِمْصَ وقلعتها من خيرخان بن قراجا[٣] بسفارة الحاجب يوسف بن فيروز، وكان مقيماً بتدمر على ما وصَفْنا، وأخذ حماة أيضاً، وكان زَنْكي مشغولاً بالخليفة، وكان خليفته بحلب الأمير سوار، وقد قنع منه بالاسم لا غير.

وحَجَّ بالنَّاس نَظَر.

---

(١) لم أقف على ترجمته في المصادر التي بين يدي.

(٢) كثب جمع، مفردها كثيب، وهي تلال الرمل، وقد سكنت الثاء لضرورة الشعر. «اللسان» (كثب).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والصواب: أولاد خيرخان كما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٩٧.

وفيها توفي

علي بن أحمد بن منصور [١]

أبو الحسن ابن قُبَيْس، الغَسَّاني، النَّحْوي، الزَّاهد.

كان منقطعاً عن الناس بالمنارة الشَّرْقية بجامع دمشق، وكان عالماً بالفرائض والأدب والحساب، ثِقَةً، وَرِعاً، يُفْتي على مذهب مالك.

توفي يوم عرفة، ودفن بالباب الصَّغير، [سمع الخطيب وغيره، وروى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره][٢].

[فصل: وفيها توفي

علي بن أحمد بن الحسن[٣]

أبو الحسن المُوَحِّد، ويعرف بابن بَقْشلان، ويقال بَقْشلام ـ بالميم ـ ذكره جَدِّي في «مشيخته» ولو تركه كان أَوْلى لثلاثة أوجه، إحداها أَنَّه قال: إنما سمِّي البقشلام، لأن أباه باتَ ليلةً بقرية من قُرى بغداد يقال لها شلام كثيرة البق، فكان يقول طول الليل: بق شلام، وهذا كلام لا فائدة فيه. والثَّاني أَنَّ جدي ذكره في «المشيخة»، وقال: كان شيخنا ابن ناصر يغمزه بشيئين، أحدهما الميل إلى الأشاعرة، والثاني بخدمة السلطان، فَظَلَمَ جماعةً من أهل السَّواد. الثالث: أن جدي حكى في «المنتظم» عن ابن ناصر أنه قال: كان في أيام الفِتَن مع أهل البِدَع، ولم يكن من أهل السُّنة ولا العارفين بالحديث، فلا يحتجُّ بروايته.

قلتُ: ومن هذا حاله كيف تجوز الرواية عنه؟ ثم عاد جدي في «المنتظم» وثقه، وقال: ولد ابن البقشلام في شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، وسمع من

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١١/ ٨٥٤-٨٥٥، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٢٣٢، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٨-١٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٦٢-٦٣، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٨٢-٨٤، و«الأنساب»: ٢/ ٢٦٤-٢٦٥، و«اللباب» لابن الأثير: ١/ ١٦٦-١٦٧، و«ميزان الاعتدال»: ٣/ ١١٣، و«لسان الميزان»: ٤/ ١٩٧، و«توضيح المشتبه»: ٨/ ٣٠٢-٣٠٣.

أبي الحسين ابن المهتدي، وأبي يعلى الفراء، وأبي جعفر ابن المُسْلمة، وأبي الحسين ابن النَّقور وغيرهم، وحدَّثَنا عنهم، وكان سماعُه صحيحاً وظاهره الثِّقة. ثم ذكر عن ابن ناصر له بما ذكرناه، وتوفي في رمضان، [ودفن][١] بباب أبرز][٢].

القاسم بن عبد الله بن القاسم[٣]

ابن الشهرزوري، شمس الدين، أخو القاضي كمال الدين

ولي قضاء المَوْصِل، وكان يعظُ النَّاس، وله قَبُول حَسَنٌ، وهو القائل القصيدة المشهورة[٤]، وهي: [من الخفيف]

لَمَعَتْ نارُهُم وقد عَسْعَسَ اللَّيْـ ـلُ وحار الحادي وضَلَّ الدَّليلُ
فتأمَّلْتُها وقلتُ لصَحْبي هذه نارُ آلِ ليلى فَمِيْلُوا[٥]
وفؤادي ذاك الفؤادُ المُعَنَّى وغرامي ذاك الغرامُ الدَّخيلُ
فرمَوْا نحوها لِحاظاً صحيحا تٍ فعادتْ خواسئاً وَهْي حُولُ
ثم مالوا إلى المَلامِ وقالوا خُلَّبٌ ما رأيتَ أو تخييلُ
فَتَجَنَّبْتُهُمْ وملتُ إليها والهوى مَرْكبي وشَوقي الزَّميلُ
ومعي صاحبٌ[٦] أتى يقتفي الآ ثارَ والحبُّ شَرْطُهُ التَّطْفيلُ
وَهْي تَعْلُو ونحن ندنو إلى أنْ حَجَزَتْ دونَها طلولٌ مُحولُ

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم».
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢٣٨ - وفيه توفي سنة (٥٣٠هـ) - و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٢٦٦، ـ وفيه وفاته سنة (٥٣٣هـ) ـ و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٥٨.
(٤) نسبها ابن خلكان في «وفياته»: ٣/ ٤٩-٥١ للمرتضى الشهرزوري، والد القاسم المذكور، وقد سلفت ترجمة المرتضى (وفيات سنة ٥٢٠هـ).
(٥) في «وفيات الأعيان»:

فتأملتها وفكري من البيـ ـن عليل ولحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنَّى وغرامي ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصحبي هذه النار نار ليلى فميلوا

(٦) في (ع) حاجب، والمثبت من (ح).

فَـدَنَـوْنـا مـن الـطُّـلـولِ فـحـالَـتْ ... زَفَـرَاتٌ مِـنْ دونـهـا وغـلـيـلُ
قـلـتُ مَـنْ بـالـدِّيـارِ قـالـوا أسـيـرٌ ... وجـريـحٌ مُـكَـبَّـلٌ وقـتـيـلُ(١)
ما الـذي جـئـتَ تَـبْـتَـغي قلتُ ضيفٌ ... جـاءَ يـبـغـي الـقِـرى حـواه الـمَـقِـيْـلُ
فـأشـاروا بـالـرَّحْـبِ دونـك فـاعْـقِـرْ ... هـا فـمـا عـنـدنـا لـضَـيْـفٍ رحـيـلُ
مـن أتـانـا ألـقـى عـصـا الـسَّـيْـرِ عـنـه ... قـلـتُ مَـنْ لـي بـهـا وكـيـفَ الـسَّـبـيـلُ
فَـحَـطَـطْـنـا إلـى مـنـازِلِ قَـوْمٍ ... صَـرَعَـتْـهـمْ قـبـلَ الـمـذاقِ الـشَّـمُـولُ
دَرَسَ الـوَجْـدُ مـنـهـمُ كـلَّ رَسْـمٍ ... فَـهْـوَ رَسْـمٌ والـقَـوْمُ فـيـهِ حُـلُـولُ(٢)
ومـنَ الـقـومِ مَـنْ يـشـيـرُ إلـى وَجْـ ... ـدٍ تـبـقَّـى عـلـيـه مـنـه الـقـلـيـلُ(٣)
قـلـتُ أهـلَ الـهـوى سـلامٌ عـلـيـكـم ... لـي فـؤادٌ عـنـكـمْ بـكـمْ مـشـغـولُ(٤)
لـم يـزل حـافِـزُ الـتَّـشَـوُّقِ يـحـدو ... نـي إلـيـكـمْ والـحـادثـاتُ تـحـولُ
جـئـتُ كـي أَصـطَـلـي فَـهَـلْ لـي إلـى نـا ... رِكُـمُ هـذه الـغَـدَاة سـبـيـلُ
لا تـروقَـنَّـكَ الـريـاضُ الأنـيـقـا ... تُ فـمِـنْ دونـهـا رُبـاً ومـحـولُ
لـيـسَ إلا الأنـفـاسُ تُـخْـبِـرُ عـنـه ... وَهْـو عـنـهـا مـبـرَّأٌ مَـعْـزولُ

---

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي «وفيات الأعيان»:

قـلـت مـن بـالـديـار قـالـوا جـريـح ... وأسـيـر مـكـبَّـلٌ وقـتـيـلُ

وهو الأشبه.

(٢) بعد هذا البيت في (ح). ليس إلا الأنفاس، وهو كذلك في «وفيات الأعيان».

(٣) بعد هذا البيت في (ح):

ولكل رأيت منهم مقاماً، ومثله في «وفيات الأعيان».

(٤) بعد هذا البيت في (ح): وجفوني قد أقرحتها، ومثله في «وفيات الأعيان».

وبعده فيهما:

لـم يـزل حـافـز الـتـشـوق يـحـدو ... بـي إلـيـكـم والـحـادثـات تـحـولُ
واعـتـذاري ذنـب فـهـل عـنـد مـن يـعـ ... ـلـم عـذري فـي تـرك عـذري قـبـولُ
جـئـت كـي أصـطـلـي فـهـل إلـى نـا ... ركـم هـذه الـغـداة سـبـيـلُ
فـأجـابـت شـواهـد الـحـال عـنـهـم ... كـل حـد مـن دونـهـا مـفـلـول
لا تـروقـنـك الـريـاض الأنـيـقـا ... ت فـمـن دونـهـا ربـاً ومـحـول
كـم أتـاهـم قـوم عـلـى غـرة مـنـ ... ـهـا وراموا أمـراً فـعـزَّ الـوصـول

وقفوا شاخصين...إلخ، ومثله في «وفيات الأعيان» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

ولـكـلٍّ رأيـتُ مـنـهـم مـقـامـاً شَرْحُـه فـي الـكـتـابِ مـمَّـا يـطـولُ
وجُـفـوني قـد أَقْـرَحَـتْـهـا مع الـدَّمْـ ـعِ حـنـيـنـاً إلـى لـقـاكُـمْ سـيـولُ
واعْـتـذاري ذنـبٌ فـهـل عـنـد مَـنْ يـعـ ـلَـمُ عُـذْري فـي تَـرْكِ عُـذْري قَـبُـولُ
فـأجـابَـتْ شـواهـدُ الـحـالِ عـنـهـمْ كـلُّ حَـدٍّ مِـنْ دونـهـا مـفـلـولُ
كـمـا أتـاهُـمْ قـومٌ عـلـى غِـرَّةٍ مـنـ ـهـا وراموا أمـراً فَـعَـزَّ الـوصـولُ
وقـفـوا شـاخِـصِـيْـنَ حـتـى إذا مـا لاح لـلـوَصْـلِ غُـرَّةٌ وحُـجُـولُ
وَبَـدتْ رايـةُ الـوفـا بـيـدِ الـوَجْـ ـدِ فَـنُـودوا أهـلَ الـحـقـائـقِ جُـولُـوا
أيـن مـن كـان يـدَّعـيـنـا فـهـذا الـ ـيـومُ فـيـهِ صِـبْـغ الـدَّعـاوى يَـحُـولُ
بـذلـوا أنْـفُـسـاً سَـخَـتْ حـيـن شَـحَّـتْ بـوِصـالٍ واسْـتُـصـغِـرَ الـمَـبْـذُولُ
قَـذفَـتْـهُـمْ إلـى الـرُّسـومِ فـكـلٌّ دمُـهُ فـي طـلـولـهـا مَـطْـلُـولُ
نـارُنـا هـذه تـضـيءُ لـمـن يَـسْـ ـري بـلـيـلٍ لـكـنَّـهـا لا تُـنـيـلُ
جـاءَهـا مَـنْ عَـلِـمْـتَ يـبـغـي قِـراهـا ولـه الـبَـسْـطُ والـمُـنَـى والـسُّـولُ
فـتـعـالَـتْ عـن الـمـنـالِ وعَـزَّتْ عـن دُنُـوٍّ إلـيـه وَهْـوَ رَسُـولُ
فـوقَـفْـنـا كـمـا رأيـتَ حَـيـارَى كـلُّ عَـزْمٍ مِـنْ دونـهـا مـغـلـولُ
نَـدْفَـعُ الـوقـتَ بـالـرَّجـاءِ ونـاهـيـ ـكَ بـقـلـبٍ غـذاؤه الـتَّـعـلـيـلُ
هـذه حـالُـنـا ومـا وَصَـلَ الـعِـلْـ ـمُ إلـيـهِ وكـلُّ حـالٍ تـحـولُ

من أبياتٍ. وقيل: إنَّها لغيره(١).

محمدُ بنُ عبد الله بن أحمد(٢)

ابن حبيب، أبو بكر العامري، ويعرف بابن الخَبَّازة.

---

(١) أوردها بتمامها ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٩-٥١، ونسبها للمرتضى والد المترجم كما ذكرنا، وقال: وإنما أثبت هذه القصيدة بكاملها لأنها قليلة الوجود، وهي مطلوبة.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٦٤-٦٥، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩-١٥٢، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٣٤٩، و«توضيح المشتبه»: ٢/ ١٧١.

ولد سنة تسع وستين وأربع مئة، وسافر إلى البلاد، [وسمع الحديث بنيسابور وبَلْخ وهراة، ودخل مرو وخراسان][(١)]، وشرح كتاب «الشهاب»[(٢)]، وكانت له معرفةٌ بالفِقْه والحديث، وكان يعظ على طريقة الصُّوفية.

[وذكره جدي في «مشيخته» وقال: كان][(١)] قليل التكلف، وكثيراً ما يصعد المنبر[(٣)] [وبيده مروحةٌ يتروَّح بها. قال: وسمعته يوماً ينشد][(٤)]: [من البسيط]

كيفَ احتيالي وهذا في الهوى حالي ... والشَّوقُ أَمْلَكُ بي من عَذْلِ عُذَّالي

وكيفَ أَسْلُو وفي حُبِّي له شُغُلٌ ... يحولُ بين مُهِمَّاتي وأَشْغالي

[قال][(١)]: وبنى رِباطاً بقَرَاح أبي الشَّحْم[(٥)]، واجتمع إليه جماعةٌ من المتزهِّدين، فلما احْتُضِرَ، قالوا: أَوْصِنا. فقال: راقبوا اللهَ في الخلوات، واحذروا مثل مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيتُ الدُّنيا. ثم أنشد: [من الكامل]

ها قد مَدَدْتُ يدي إليكَ فَرُدَّها ... بالعَفْو لا بشماتةِ الأعداءِ

وهذا البيت لأبي نَصر بن القُشَيْري[(٦)]، وإنما تمثَّل به [ابنُ الخَبَّازة عند الموت.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني كتاب «الشهاب» للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، المتوفى سنة (٤٥٤هـ)، وله شروح كثيرة، وقد طبع «الشهاب» بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ونشرته مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٩٨٥. وشرح العامري لما يصل إلينا، وقد نقل عنه المناوي في «فيض القدير».

(٣) انظر «المشيخة» لابن الجوزي: ١٥١، وفيه: فربما صعد المنبر ومعه مروياته (كذا استظهرها محققه)، أما باقي الخبر فهو بنحوه في «المنتظم»: ١٠/ ٦٤.

(٤) في (ع) و(ح): وكثيراً ما يصعد المنبر أنشد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المنتظم» و«المشيخة»: بقراح ظفر، قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٤/ ٣١٥ في القراح: والمراد به هاهنا اصطلاح بغدادي، فإنهم يسمون البستان قراحاً، وفي بغداد عدة محال عامرة... يقال لكل واحدة منها قراح إلا أنها تضاف إلى رجل تعرف باسمه، كانت قديماً بساتين، ثم دخلت في عمارة بغداد، وهي متقاربة.
قلت: ثم عدَّدها: قراح ابن رزين، وقراح ظفر، وقراح القاضي، وقراح أبي الشحم، ثم عيَّن مواضعها في بغداد بدقة، ثم قال: فهذه أربع محال كبار عامرة آهلة كل واحدة منها تقرب أن تكون مدينة، وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة.

(٦) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥١٤هـ).

وكانت وفاته][١] في رمضان، ودُفِنَ في رِباطه، ثم جاء الغَرَق سنة أربعٍ وخمسين وخمس مئة، فَهَدَم تلك المَحَلَّة والرِّباط، وعفَّى آثارَ القبر.

[سمع ببغداد أبا محمد التميمي، وأبا الفوارس طِراد الزَّيْنبي وغيرهما][٢]. وكان ابن الخَبَّازة صدوقاً ثِقَةً.

محمد بن حَمُّويه بن محمد[٣]

ابن حَمُّويه الجُوَيْني، أحد المشهورين بالزُّهْد والصَّلاح، والفَضْل والعِلْم، صاحبُ كرامات، وله مريدون بالعراق وخُرَاسان، وكان زاهداً وَرِعاً.

قرأ الفِقْه والأُصولين على إمام الحرمين، ثم انجذبَ إلى الزُّهْد والعبادة، وحَجَّ مرَّات، وكان دعاؤه مستجاباً، وكان السُّلْطان سنجر والملوك يزورونه، ولا يغشى أبوابهم، ولا يقبل صِلاتهم، ولا يأكل من الأوقاف، كان له قطعةُ أرضٍ من ملكه يزرعها خادمٌ له، ويتقوَّت منها، وبنى خانكاه بُحَيْراباذ[٤] إلى جانب داره، وأوقف عليها أوقافاً.

وصنَّف كتاب «لطائف الأذهان في تفسير القرآن»، و«سلوة الطَّالبين في سير سيِّد المرسلين»، وكتاب «الأربعين في الحديث»، وطريقة في الفقه في ترتيب الأحاديث، وكتاب في علوم الصُّوفية، وغير ذلك.

وولد في المحرَّم سنة تسعٍ وأربعين وأربع مئة ببُجَيْراباذ، وتوفي بإسفرايين غُرَّة ربيع الأول، وحُمِلَ إلى بحيراباذ، فَدُفِنَ في داره.

وأخذ طريق التصوف عن أبي الفَضْل بن محمد الفارْمَذِي، عن أبي القاسم الطُّوسي، عن أبي [عثمان سعيد][٥] بن سَلاَّم المَغْربي، عن أبي عمرو الزُّجَاجي، عن

---

(١) في (ع) و(ح): وإنما تمثل به، وتوفي في رمضان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٤/ ٢٣٠ ، و«المنتظم»: ١٠/ ٦٣-٦٤ ، و«اللباب»: ١/ ٣٩٢ ، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٨ ، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٧٩-٥٩٨ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) قال ياقوت في «معجم البلدان»: ١/ ٣٥٠: بالضم ثم الفتح، من قرى جُوين من نواحي نيسابور.

(٥) في (ع) و(ح): عن أبي سعد بن سلام المغربي، والمثبت ما بين حاصرتين من ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٦/ ٣٢٠-٣٢١.

الجُنَيْد، عن خاله سَرِيّ، عن معروف الكَرْخي، عن داود الطَّائي، عن حبيب العَجَمي، عن الحسن البَصرِي، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي ﷺ. واللُّبْس من الفارْمَذي إلى الزُّجَاجي، ومن الجنيد صحبةٌ لا خرقة.

[وفيها توفي

أبو عبد الله المقرئ الفُراوي النيسابوري الصَّاعِدي[1]

واسمه][2] محمد بن الفَضْل بن أحمد بن محمد بن أبي العَبَّاس، أبو عبد الله الفُراوي[3] النَّيْسابوري، وفُراوة بلدٌ من بلاد خُراسان.

ولد بنيسابور سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، ورحل إلى الأمصار، وسمع الحديث الكثير، وتفقَّه، وأفتى، ووعظ، وكان كريم الأخلاق، حُلْوَ الكلام، حَسَنَ العبارة، جَوَاداً، يخدم الغرباء بنفسه مع كِبَرِ السِّنِّ. وتوفي في شوال، ودُفِنَ عند محمد بن إسحاق بن خُزَيْمة، سمع «صحيح البخاري» من سعيد بن أبي سعيد العَيَّار، وسمع «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسي، [وسمع بنيسابور أبا عثمان الصَّابوني، وأبا بكر البيهقي، وأبا القاسم القُشَيْري، وأبا المعالي الجويني، وقدم بغداد حاجًّا، فسمع بها من الزَّيْنبي[4] وطبقته][2]، وأملى أكثر من ألفِ مجلس، وكان على خاتمه مكتوب: الفُراوي [ألف راوي][2]، وآخر ما حُمِل في مِحَفَّةٍ إلى قبر مُسْلم بن الحَجَّاج، فَتُمِّمَ عليه قراءة «الصحيح»، وبكى، وأبكى الحاضرين، وقال: لعل هذا الكتاب لا يُقرأ عليَّ بعد هذا اليوم. فكان كما قال، توفي عقيب ذلك، وأجمعوا على عدالته وفَضْله، [وكان أوحد عصره][2].

(١) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢٢، و«المنتظم»: ١٠/ ٦٥-٦٦، و«معجم البلدان»: ٤/ ٢٤٥ - وفيه وفاته سنة (٥٠٣هـ)، وهو خطأ - و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٤٦، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٩٠-٢٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦١٥-٦١٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ضبطها ابن السمعاني في «الأنساب»: ٩/ ٢٥٦ بضم الفاء، وكذلك ضبطها ابن خلكان في «وفياته»، وضبطها ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٢٤٥ بفتحها.

(٤) في (م) و(ش) الفريقين، وهو تحريف لطيف! وقد صوبناه مما يستفاد من ترجمته في «المتنظم»: ١٠/ ٦٥.

المُظَفَّر بن الحسين بن علي[١]

أبو الفتح المَرْدُوسني[٢]، أحد حُجَّاب الخليفة.

ولد سنة ست وخمسين وأربع مئة، وأقام مُدَّة في الحجابة، ثم تزهَّدَ، ولَبِس الفُوَط، وتَرَكَ ما كان فيه، وسَمِعَ الحديث.

يوسف بن فيروز، حاجب شمس الملوك

قد ذكرنا هربه إلى تدمر، وسفارته بين قراجا[٣] وشهاب الدِّين محمود في تسليم حِمْص، وحَلَفَ له شهابُ الدِّين وأمَّنه، فعاد إلى دمشق ينوب في التَّدْبير عن معين الدِّين أُنَر، وكان في نفس الغِلْمان الأتابكية عليه حقد، لأنَّ أيلبا لما قَفَزَ على شمس الملوك أشار عليه بقتله[٤]، وكان بزواش[٥] أتابك العسكر يحسُدُه، ويوسف يهينه ويهين الأتابكية، فاتَّفقوا على قَتْله، فالتقاه بزواش عند المسجد الجديد في جُمادى الآخرة، فضربه بالسَّيْفِ على وجهه، فقتله وهرب، وطلبه شهابُ الدِّين محمود، وقال: لا بُدَّ من قتله وقَتْلِ الغِلْمان الأتابكية، فقيل له: في هذا إفسادُ الدولة، وأعداؤك من كلِّ جانب. فسكت على مَضَضٍ، وعاد بزواش إلى دمشق.

السَّنة الحادية والثلاثون وخمس مئة

فيها طالبَ السُّلْطانُ المقتفي وحواشيَهُ بمئة ألف دينار، فبعث إليه المقتفي يقول: ما رأيتُ أعجبَ من أمرك، أنتَ تعلم أَنَّ المسترشد سار إليك بأمواله، فوصل الكُلُّ إليك، ورجع أصحابه عُراة، وولي الرَّاشد، وفعل ما فَعَل، ثم رحل وأبقى أمواله

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٦٦ ، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج١/ ق٢/ ٤٠٤ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٦٧٧-٦٧٨ ، وفيه وفاته سنة (٥٣٢هـ).

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وقد اضطربت المصادر في ضبط هذه النسبة، ففي «الخريدة» المردوشتي، وفي «المنتظم»: المردوسي، وفي «الوافي» المردوستي، ولم أقف على ما ينسب إليه.

(٣) انظر ص ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، وتعليقنا على الخبر.

(٤) كذا في (ع) و(ح)، والصواب: بقتلهم، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٩-٤٠١ .

(٥) رسم في «ذيل تاريخ دمشق»: بزواج.

وأثاثه في الدَّار، فأخذتَ الجميع، وأما النَّاس فقد عاهدتُ الله أني لا آخذ لأحدٍ دِرْهماً واحداً وقد أخذتَ الجوالي[١] والتَّرِكات، فمن أيِّ وَجْهٍ أُقيم لك هذا المال؟ ما بقي إلا أن أخرجَ من الدَّار وأُسَلِّمَها إليك! ووقف رجلٌ للسُّلْطان، وقال له: أنتَ المطالب بما يجري على المسلمين، فما جوابك غداً عند الله، ولا تكن ممن تأخذه العِزَّة بالإثم. فأَسْقَطَ المال، ثُمَّ شَرَعَ بعد ذلك في مصادراتِ النَّاس.

وفيها وصل خادِمٌ من عند سنجر يقال له يُمْن ببيعةِ سنجر، فدخل مسعود على المقتفي، فبايعه عن عمِّه سنجر، وخَرَجَ إلى المَوْصِل، فطَلَبَ الرَّاشد، فقال زنكي: قد أَجَرْتُه، ولا أقدر على تسليمه. وتوجَّه الرَّاشد نحو أَذْرَبيجان.

وفي شعبان عَقَدَ المقتفي على فاطمة بنت محمد بن ملك شاه؛ أُخت مسعود، وحَضَرَ مسعود والأكابر، وتولى العقد [وزير الخليفة][٢]، ونُثِرَ اللؤلؤ والجَوْهر، وتماثيل الكافور والعنبر.

وتوجَّه السُّلْطان إلى الجبل، وخلَّف نائبه بالعراق البقش الكبير[٣] السِّلاحي، فورد سَلْجوق شاه بن محمد إلى واسط والحِلَّة، وطَمِعَ في السَّلْطنة، فطرده البقش، وكان مُسْتضعفاً.

وسار الملك داود وعساكر أَذْرَبيجان إلى مسعود، وجَرَتْ بينهم حروبٌ عظيمة، ثم قَصَدَ مسعود أَذْرَبيجان، وقصد داود هَمَذَان، ووصلَهما الرَّاشد يوم الوقعة، وكان زَنْكي بالمَوْصِل، فكتَبَ إليه المقتفي، وأعطاه بلاداً عيَّنها، وبعث خطوط القُضاة والشُّهود بخَلْعِ الرَّاشد، فقُرِئ بالمَوْصِل، وأجاب زَنْكي، وخَلَعَ الرَّاشد[٤]، وخَطَبَ للمقتفي ومسعود، وقطع خُطْبة الرَّاشد وداود، فبعث الرَّاشِدُ إليه يقول: غَدَرْتَ يا زَنْكي! فقال: ما لي بالخليفة ومسعود طاقة، والمصلحة أن تمضي إلى داود. فمضى في نفرٍ قليل، وتخلَّى عنه وزيرُه ابنُ صدقة ودَخَلَ المَوْصِل، ولم يبقَ معه صاحبُ عِمامة

---

(١) الجوالي جمع، مفردها جالية، وهي الجزية، انظر «اللسان» (جلا).

(٢) في (ع) و(ح): وزير السلطان، وفي (م) و(ش) وزير الخليفة ووزير السلطان، وما أثبتناه بين حاصرتين هو الموافق لما في «المنتظم»: ١٠/ ٦٧.

(٣) في (ع) الصغير، والمثبت من (ح)، وهو الموافق للمنتظم.

(٤) في (ع) وخلع الراشد يوم الوقعة، بزيادة: يوم الوقعة، وهي ليست في (ح)، وهو الصواب.

سوى أبي الفتوح الواعظ، وكان مسعود قد بعث ألفي فارس للقَبْض عليه، ففاتهم، ومضى إلى مَرَاغة، وجاء إلى قبر أبيه، وحثا التُّرابَ على رأسه، وخرج [إلى][1] أهل مَرَاغة، وكان يوماً مشهوداً، وحملوا إليه الأموال.

وقوي داود، والتقى بمسعودٍ قريباً من هَمَذَان، فكسر داودُ مسعوداً أقبح كسرةٍ، وقتل أمراءه، ونَهَبَ خزائنه، وأخذ منه جميعَ ما كان أخذه من خزائن المسترشد والرَّاشد، وانهزم مسعودٌ في نَفَرٍ يسير إلى أصبهان، وأسر أصحابه: سنقرجاه صاحب زَنْجان، وأرغان صاحب مَرَاغة، ومحمد بن آق سُنْقُر، وهؤلاء كانوا بطانةَ مسعود وأعوانه، وهم الذين أشاروا عليه بقتل المسترشد، فقال له الأمير قراجا: اضرب أعناقهم. فقتلهم صبراً، ومَثَّلَ بهم كلَّ مُثْلَةٍ.

وسار داود والرَّاشد خلف مسعود إلى أَصبهان، فانهزم إلى بغداد في نَفَرٍ يسير على أقبح حالٍ، ووصل جميع ما أخذه من الخليفتين إلى داود، وبوزابا وعسكرهما، ونزل مسعود في دار المملكة ذليلاً حقيراً، وطَمِعَ العوامُ فيه وفي أصحابه، وشَرَعَ في مصادرات النَّاس، فما كان مَيْتٌ يُقْبَرُ إلا برقعةٍ من نواب مسعود يأخذون ما شاؤوا، وكتبوا على الحَفَّارين، وأشهدوا أن لا يدفنوا أحداً حتى يخبروهم به.

وفيها جلس أبو النَّجيب[2] في دار رئيس الرؤساء بالقَصرِ للتَّدْريس، وجُعِلَتِ الدَّارُ مدرسة.

وفيها تتبَّع المقتفي القوم الذين أفتوا بفِسْق الرَّاشد وكتبوا المحضر، وعاقَبَ من استحقَّ العقوبة، وعَزَلَ من يستحق العَزْل، ونَكَبَ الوزيرَ شرفَ الدِّين عليَّ بن طِراد الزَّيْنَبي، وكان سببَ ذلك. وقال المقتفي: إذا فعلوا هذا مع غيري فهم يفعلونه معي. وعَزَلَ ابنَ طِراد أقبح عَزْلٍ، واستصفى أمواله، واستوزر سديدَ الدَّوْلة بن الأنباري، وكان كاتبَ الإنشاء.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) أبو النجيب هو عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، من أئمة الشافعية والصوفية في بغداد، توفي سنة (٥٦٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

وفيها ملك صاحبُ مارِدِين قلعة الهَتَّاخ[١]، ولم يكن بقي في أيدي بني مروان من ديار بكر سواها.

وفيها خَرَجَ ملكُ الروم[٢] من القُسْطَنْطينية في مئة ألف، فنزل على أنطاكية، فصالحه صاحِبُها على مالٍ، فرحل عنها إلى بزاعة من أعمال حلب، فافتتحها بالسَّيْف، وقَتَلَ مَنْ كان فيها، [وقطع زَنْكي الفُرَات][٣]، فنزل على بَعْرِين[٤] وهي للفرنج، فلم يقدر عليها، فسار إلى بَعْلَبَك، فَحَصَرها، فسلَّمها إليه كُمُشْتِكِين الخادم[٥].

وحَجَّ بالنَّاس نَظَر الخادم.

وفيها توفي

أحمد بن عبد العزيز بن محمد[٦]

أبو الطَّيِّب المقدسي، إمام جامع الرَّافِقة[٧]، سافر إلى البلاد، وسمع الحديث [بمكة والشام والمغرب][٨]، وكان يعظ [روى عن الفقيه نصر بالشام، وبمكة أبا عبد الله الطبري، قال الحافظ][٨] ابن عساكر: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

يا واقفاً بين الفُراتِ ودِجْلَةٍ عطشانَ يَطْلُبُ شَرْبَةً مِنْ ماءِ
إنَّ البلادَ كثيرةٌ أنهارُها وسحابُها فغزيرةُ الأنواءِ

(١) قلعة حصينة في ديار بكر قرب ميافارقين. «معجم البلدان»: ٥/ ٣٩٢.

(٢) هو يوحنا كومنين، وقد ولي ما بين (٥١٢هـ - ٥٣٨هـ)، وهو المعروف عند المؤرخين المسلمين بـ«كيالياني»، تعريب Kaloioannes وتعني الرحيم، وقد تعثر بها ناشر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي فقال مستنكراً لها، وذلك في الحاشية: (١) ص٤٠٦ : كذا، وهذا التعريف فيه بعض البعد عن الأصل «جون - يوحنا». قلت: فتأمل! وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ١٢٢، وما بعدها، بتحقيقي.

(٣) في (ع): وأقبل زنكي إلى الفرات، وفي (ح): وقتل زنكي الفرات! والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) بعرين: بليد بين حمص والساحل، قال ياقوت: هكذا تتلفظ به العامة، وهو خطأ، وإنما هو بارين. «معجم البلدان»: ١/ ٤٥٢.

(٥) ذكر ذلك ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق» ص٤٢٢-٤٢٣، وابن الأثير في «الكامل» ١١/ ٦٨-٧٠.

(٦) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٧/ ٧٢، و«مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور: ٣/ ١٥٧.

(٧) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة، وهما على ضفة الفرات، انظر «معجم البلدان»: ٣/ ١٥.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

ما اخْتَلَّتِ الدُّنيا ولا عَدِمَ النَّدى فيها ولا ضاقَتْ على العُلَماءِ
أرضٌ بأرضٍ والذي خَلَقَ الورى قد قَسَّمَ الأرزاقَ في الأَحْياءِ

أحمد بن عقيل بن محمد(١)

أبو الفَتْح الفارسي، ويعرف بابن أبي الحوافر، من أبناء الأئمة، أَصلُه من بَعْلَبَكَّ، قَدِمَ بغدادَ حاجًّا سنة عشرين وخمس مئة، وكان ثِقَةً.

أحمد بن محمد بن ثابت(٢)

ابن الحسن أبو سَعد، الخُجَنْدي، الإمام الفاضل، ولد أبي بكر الخُجَنْدي(٣).

ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعِ مئة، وتفقَّه على والده، وهم رؤساء أَصبهان، وبيتهم مشهور، قَدِم بغداد، ودَرَّس بالنِّظامية، وسمع الحديث، وعاد إلى أصبهان، فمات بها في شعبان، وكان جليلاً، نبيلاً.

بَدْران بن صَدَقَة(٤)

ابن منصور، من بني مزيد، ولقبه شمس الدولة(٥).

لما فعل [دُبيس ما فعَل](٦)، وتغيَّرت أحوالُهم بالعراق خَرَجَ إلى مِصر، فأقام بها، فأكرمه صاحِبُها.

ومن شِعْره في أبيه صدقة بن منصور: [من الطويل]

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٢/ ٨، و«مختصره لابن منظور»: ٣/ ١٧١، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ١٨٥.
(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٠، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٥٤، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ٥١، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٤٧٨.
(٣) توفي أبو بكر سنة (٤٨٣هـ)، وانظر ترجمته في «طبقات الشافعية» للسبكي: ٤/ ١٢٣-١٢٥.
(٤) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ١٧٧-١٨٢، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٢٦٤، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦١٣، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٠، وعندهم وفاته سنة (٥٣٠هـ) ما عدا ابن تغري بردي، فإنه يتابع سبط ابن الجوزي في جمهور تراجمه.
(٥) اختلف في لقبه، فقد لقبه ابن خلكان تاج الملوك، ولقبه الذهبي بتاج الملوك سيف الدولة.
(٦) ما بين حاصرتين من(م) و(ش).

ولما التقى الجمعانِ والنَّقْعُ ثائِرٌ حَسِبْتُ الدُّجى غطَّاهُمُ بجناحِهِ
وكَشَّفَ عنهمْ سُدْفةَ[1] النَّقْعِ في الوغى أبو حَسَنٍ بِسُمْرِهِ وصِفاحِهِ
فلمْ يَسْتَضُوا إلا بَبَرْقِ سيوفِهِ ولم يهتدوا إلا بشُهْبِ رماحِهِ[2]

وقال وهو بمِصر، وقد غنَّى له مُغنٍّ يقال له الكُمَيْت: [من الخفيف]

اشربِ اليومَ من عُقارٍ كُمَيْتٍ[3] واسْقنيها على غناءِ الكُمَيْتِ
ثُمَّ سَقِّ النَّديمَ حتَّى تراه وَهْو حيٌّ من العُقارِ كَمَيْتِ[4]

وقال العماد الكاتب: مات سنةَ ثلاثين وخمس مئة[5].

سُلْطان بن يحيى بن علي[6]

ابن عبد العزيز، أبو المكارم، القاضي، خال الحافظ أبي القاسم بن عساكر.

قرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وكان يعظ، ولما قَدِمَ أبو بكر محمد بن القاسم بن المُظَفَّر الشَّهْرُزُوري[7] من عند المسترشد رسولاً إلى دمشق قال: قد اشتقت إلى وَعْظِ القاضي أبي المكارم، لأني كنتُ سَمِعْتُه بالعراق مرَّة. فأُرْسِلَ إليه، فَجَلَسَ في السُّبع الكبير[8]، وكان مجلساً عظيماً، وكان قد جلس بالنِّظامية ببغداد، وخُلِعَ عليه بها، وناب بدمشق في الحكم عن والده يحيى بن علي[9].

قال ابنُ عساكر: توفي سنة ثلاثين وخمس مئة، ودُفِنَ بمشهد القدم[10].

(١) السُّدْفة: الظُّلْمة. «اللسان» (سدف).
(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ١٧٧-١٧٨.
(٣) العُقار: الخمر، والكميت: لونها، وهو بين السواد والحمرة، «اللسان» (عقر، كمت).
(٤) «الخريدة» ج٤/ م١/ ١٧٩.
(٥) المصدر السالف: ج٤/ م١/ ١٧٧.
(٦) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٧/ ٣٨٨، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٢، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٩٥، وعندهم وفاته سنة (٥٣٠هـ).
(٧) توفي سنة (٥٣٨هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.
(٨) السُّبع الكبير: موضع في الجهة الشرقية في جامع دمشق، كان يجتمع فيه القراء كل يوم عقب صلاة الفجر لقراءة سُبْع من القرآن الكريم، ليختموه في كل أسبوع مرة. انظر «رحلة ابن جبير»: ص٣٤١.
(٩) توفي سنة (٥٣٤هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.
(١٠) القدم: قرية جنوبي دمشق بعد حي الميدان، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٧/ ٣٨٨، و«ثمار المقاصد» الذيل ص٢٤٤-٢٤٥.

عبد الغني بن محمد بن عبد الغني(١)

أبو القاسم الباجِسْرائي، وباجِسرى قرية من أعمال طريق خُرَاسان(٢).

كان فاضلاً، شاعراً، توفي ببغداد في شعبان، ومن شعره: [من الرمل]

إنْ تحاوِلْ عِلْمَ ما أُضْمِرُهُ مِنْ صفاءٍ لك أو مِنْ دَخَلِ(٣)
فاعْتَبِرْهُ منكَ واعلمْ أنَّه لك عندي مِثْلُ ما عندكَ لي(٤)

وقال أيضاً من شعره: [من السريع]

لا تكُ ما بين الورى مُعْلِناً بالأمْرِ إلا بعدَ إبرامِهِ
فمن وها الأمرِ وإفسادِهِ إعلامُه(٥) مِنْ قَبْلِ إحكامِهِ

مُرشد بن علي بن المُقَلَّد(٦)

ابن نَصر بن مُنْقِذ، أبو سلامة الأمير، صاحِبُ شَيْزَر(٧).

كان عالماً بفنون العلوم والآداب، صالحاً كثير التِّلاوة للقرآن، وكان أخوه نَصر بن علي قد ولاه شَيْزر، فقال: واللهِ لا أدخل في الدُّنيا. وولَّاها أخاه سُلْطان بن علي.

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٢/ ١٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٤/ م١/ ١٢٣-١٢٦، و«معجم البلدان»: ١/ ٣١٣، و«اللباب»: ١/ ٨٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٣٢-٣٣.

(٢) باجسرى: هي قرية كبيرة بنواحي بغداد على عشرة فراسخ منها، انظر «معجم البلدان»: ١/ ٣١٣.

(٣) الدَّخَل، بالتحريك: الغدر والخيانة، والخديعة والغش. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٣٨٨.

(٤) «الخريدة»: ج٤/ م١/ ١٢٥.

(٥) في «الخريدة»: إعلانه.

(٦) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٣٣٣-٣٣٥، و«الأنساب»: ٧/ ٤٦٩، و«الاعتبار» لأسامة ابن منقذ (في مواضع متفرقة منه)، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٥٥٨-٥٦٣، و«معجم الأدباء»: ٥/ ٢٢٨-٢٣٤، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٣٥٢-٣٥٥، و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٩٩، و«فوات الوفيات»: ٤/ ١٣٠-١٣١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٤٦٣-٤٦٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٠.

(٧) قلعة قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، إلى الشمال الغربي منها، وهي مجانبة لنهر العاصي، انظر «معجم البلدان»: ٣/ ٣٨٣، و«القلاع أيام الحروب الصليبية»: ٦٩-٧٠.

وحسده سُلْطان على أولاده، ومات مُرْشد في هذه السنة، ثم أَخْرَجَ سُلْطان أولادَه مِنْ شَيْزَر، وسنذكر القصة إن شاء الله تعالى في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة(١).

[وذَكره(٢) العماد الكاتب في «الخريدة»، فقال: ولد أبو سلامة مرشد بن علي في سنة ستين وأربع مئة، وتوفي في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، وأثنى عليه كثيراً(٣).

وذكره الحافظ ابنُ عساكر، وقال: ولد أبو سلامة في سنة ستين وأربع مئة]، ودخَلَ طرابُلُس غير مَرَّة، وسافر إلى بغداد، وأَصبهان، وكانت له يدٌ طُولى في عِلْم العربية والكتابة والشِّعْر، [وكان حافظاً للقرآن، حَسَنَ التِّلاوة](٤)، كثير الصَّوْم، شديدَ البأس والنجدة في الحرب، حَسَنَ الخط، كتَبَ بخطِّه سبعين ختمة(٥). وكذا ابنه الأمير محمد بن مرشد.

قال ابنُ عساكر: حدَّثني أبو عبد الله محمد بن مُرْشد، قال: لما ماتَ عمي أبو المُرْهَف نَصر بن علي بشَيْزَر، وأوصى إلى والدي، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا وليتُها، ولأَخْرُجَنَّ من الدُّنيا كما دخلتُ إليها. وولاها أخاه أبا العشائر سُلْطان بن علي، وكان صبيًّا، فاصْطَحَبا أجمل صحبة مُدَّة من الزمان، قال: وكنا قد نشَأْنا، ولم يكن لعمِّي أبي العشائر ولدٌ، فلحقه الحسدُ على كون أخيه له عِدَّةٌ من الولد، ولم يكن له سوى بنات، ثم رُزِقَ أولاداً صغاراً، فكان كلَّما رأى صِغَرهم(٦)، ورأى أولاد أخيه كباراً قد [سدُّوا مكان أبيهم] اشتد حسده، فكتَبَ إلى والدي شِعْراً، فأجابه أبي بقوله: [من الطويل]

ظَلُومٌ أَبَتْ في الظُّلْم إلا تماديا ... وفي الصَّدِّ والهِجْران إلا تناهيا
شَكَتْ هَجْرَنا والذَّنْبُ في ذاكَ ذَنْبُها ... فيا عجبا مِنْ ظالمٍ جاء شاكيا
وطاوَعَتِ الواشين فيَّ وطالما ... عَصَيْتُ عذُولاً في هواها وواشيا
ومالَ بها تِيْهُ الجمالِ إلى القِلى ... وهيهاتَ أَنْ أُمسي لها الدَّهْرَ قاليا
ولا ناسياً ما اسْتَوْدَعَتْ من عُهودها ... وإنْ هي أَبْدَتْ جفوةً وتعاليا

(١) انظر ص ٤٧٢-٤٧٣ من هذا الجزء.
(٢) في (ع) و(ح): ومولد مرشد سنة ستين وأربع مئة، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) هذا الموضع مما خرم من «الخريدة»، انظر حاشية محققه الدكتور شكري فيصل: ١/ ٥٥٧-٥٥٨.
(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٥) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٣٣٣-٣٣٤.
(٦) في (ع): صغيرهم، والمثبت من (ح).

ولما أتاني مِنْ قريضِك جَوْهَرٌ جَمَعْتَ المعالي فيه لي والمعانيا
وقلتُ أخي يرعى بنيَّ وأُسرتي ويحفَظُ عهدي فيهمُ وذِماميا
فمالك لَمَّا أَنْ حنى الدَّهْرُ صَعدتي[١] وثَلَّم مني صارماً كان ماضيا
تنكَّرْتَ حتى صار بِرُّك قسوةً وقُرْبُك منهم جفوةً وتنائيا[٢]
فأصبحتُ صِفْر الكَفِّ مما رَجَوْتُه كذا اليأسُ قد عَفَّى سبيلَ رجائيا
على أنني ما حُلْتُ عَمَّا عَهِدْتَهُ ولا غَيَّرَتْ هذي الشُّؤون وداديا
فلا غَرْوَ عند الحادثات فإنَّني أراكَ يميني والأنامَ شِماليا[٣]

وقال ولده محمد بن مُرْشد[٤]: كان أبي يكتُبُ مُصحفاً، فتذاكروا بين يديه خروجَ الرُّوم، فرفع المُصحَف، وقال: اللهم بحقِّ مَنْ أنزلته عليه إن كنت قضيتَ بخروج الروم، فَخُذْ روحي ولا أراهم. فماتَ عقيب ذلك في رمضان، ودُفِن بشَيْزَر، وخرجت الرُّوم بعد ذلك في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، فحاصروا شيزر أربعةً وعشرين يوماً، ونصبوا عليها ثمانية عشرة منجنيقاً، ثم رحلوا عنها يوم السبت تاسع عشرة رمضان.

المُفَرِّج بن الحسن بن [الحسين بن] أبي محمد[٥]

أبو الذَّوَّاد، محيي الدِّين ابن الصُّوفي، الكِلابي، رئيس دمشق، وكان أبوه رئيسَ دمشق أيضاً.

وكان يتعاهد المستورين، وله الصَّدقات والبر الكثير، واستوزره بُوري بعد قَتْلِ المَزْدَقاني[٦]، وكان شهابُ الدِّين محمود صاحب دمشق يحسده لحشمته، وكَثْرة ماله، فاتَّفق مع بزواش على قَتْله، فركب يوماً يسير قِبْلي دمشق، فالتقاه بزواش عند قبر

(١) الصعدة: القناة المستوية، يشبه بها القامة المستقيمة. انظر «اللسان» (صعد).

(٢) في (ع) و(ح):

تنكرت حتى صار برك جفوة وقربك منهم قسوة وتنائيا

والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

(٣) «تاريخ دمشق» لابن عساكر: ١٦/ ٣٣٤، وما بين حاصرتين منه.

(٤) في «تاريخ ابن عساكر»: ١٦/ ٣٣٥: حكى لي أبو المغيث منقذ بن مرشد الكناني قال: فذكر نحو هذه القصة.

(٥) ذكر خبر مقتله في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٠٤-٤٠٥، وترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٧/ ١٠٣-١٠٤، وما بين حاصرتين منه، وفيهما مقتله سنة (٥٣٠هـ)، وانظر ص٣٠٨ من هذا الجزء.

(٦) انظر ص ٢١٧ من هذا الجزء.

طُغْتِكِين في شهر رمضان فقتله، وحُمِلَ إلى مقابر الباب الصَّغير فدفن بها، واستولى شهابُ الدِّين محمود على أمواله، وذهبت رياسة بني الصُّوفي.

سمع نصر بن إبراهيم المقدسي، وغيره، وروى عنه ابنُ عساكر وغيره.

هبة الله بن أحمد بن عمر، أبو القاسم الحريري(١)

ولد يوم الخميس يوم عاشوراء سنة خمسٍ وثلاثين وأربع مئة ببغداد، وقرأ القرآن بالرِّوايات وأقرأ، وسمع الحديث الكثير.

وتوفي يوم الخميس ثاني جُمادى الأُولى عن ستٍّ وتسعين سنة وشهور مُمَتَّعاً بسَمْعه وبَصَره وجوارحه، وصلَّى عليه عبدُ الوهَّاب الأَنْماطي، ودُفِنَ بالشُّونيزية في تُرْبة الأَنْماطي.

وكان صحيحَ السَّماع، صالحاً دَيِّناً، ثَبْتاً، كثيرَ تلاوة القرآن والذِّكْر، وهو آخر من حَدَّث عن ابن زَوْج الحُرَّة أبي الحسن، [فحدث عن أبي الحسن هذا أبو بكر الخطيب وأبو القاسم هذا](٢)، وبين وفاتيهما ثمانٍ وستون سنة.

السنة الثانية والثلاثون وخمس مئة

فيها بَعَثَ السُّلْطان مسعود من هَمَذَان إلى بغداد كأساً مختوماً إلى البقش السِّلاحي ليشربه، فأقام الكأسُ مختوماً خمسة أشهر لم يشربه، ثم جَمَعَ المغاني، وأوقد الشُّموع والقناديل والسُّرُج في جميع محالِّ بغداد [ليلاً](٣) ثلاثة أيام، وظهرت المعازف والمنكرات [والفضائح](٢) حتى شربه، فلم يضرَّه. فلما دخل السُّلْطانُ بغداد قبضَ عليه، وكان نائبه بالعراق، وولَّى بغداد بِهْروز الخادم.

وفيها قَدِمَ أهلُ حلب وبزاعة؛ الرِّجالُ والنِّساء والصِّبْيان، فكسروا المنابر، ومنعوا النَّاس من الصَّلاة في الجوامع بسبب ما جرى عليهم ببزاعة من الرُّوم.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧١، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٦٨-٦٩، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٥٤، و«معرفة القراء» للذهبي: ٢/ ٩٣٨-٩٣٩، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٢٢٦، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٩٣-٥٩٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في العبارة سقط أثبتناه ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ٧١، وانظر «مشيخة ابن الجوزي»: ٧٠، و«الكامل»: ١١/ ٥٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها تزوَّج مسعود امرأتين إحداهما سفري خاتون بنت دُبَيْس بن صَدَقَة، وأمها بنت عميد الدولة بن جَهِير، وكانت في غايةِ الحُسْن؛ جاءت إلى خاتون المستظهرية تشكو ما أصابها وما أُخذ منها، وبلغه حُسْنها، فتزوَّجها. والثانية: ابنة عمه قاروت بك، وكانت في غاية الحُسْنِ أيضاً، وغلَّق البلد أياماً، فظهرتِ المنكرات.

وفيها جمع الرَّاشد العساكر، وقوي أمره، وقُتِلَ.

وفيها جاء ملك الرُّوم إلى حلب، وخرج إليه الأحداث، فقاتلوه، فرجع، وجاء إلى المَعَرَّة، فنهب وقَتَلَ وأسر، وجاء إلى شَيْزَر، فَنَصَبَ عليها المجانيق، وقاتلها أياماً، ولم يظفر بطائل، وأقام في أطراف حلب، وجاء زَنْكي وقد رجع ملك الرُّوم، فنازل حِصن المجدل بالبِقاع، ففتحه، وعاد إلى الشَّرْق خوفاً من الفرنج بعد أن جعل طريقه على حِمْص وحماة، فلم يظفرمنها بطائل.

وفيها استوحش بزواش من الأمير شهاب الدِّين محمود [صاحب دمشق][(١)] فخرج بزواش عن دمشق، وكان شريراً مُفْسداً، جاهلاً ظالماً فاتكاً،فأقام بظاهر البلد أياماً، ثُمَّ صَلَحَ أمره، وعاد إلى البلد، فما زال شهاب الدِّين يعمل عليه حتى قتله بقلعة دمشق بأيدي الشمسية في شعبان في قُبَّة الورد، فقتلوه، وأخرج ملفوفاً في كِساء إلى القُبَّة التي بالعُقيبة، وتُعرف بقُبَّة بزواش، فدفن فيها.

وخَلَعَ شهابُ الدِّين على الأمير معين الدِّين أُنَر، وفوَّض إليه الأمور، ولقبه أتابك، ورد إليه أمر العساكر، و[رَدَّ أمرَ][(٢)] الحِجْبة إلى أسد الدِّين أكز.

وفيها توفي القاضي بهاء الدِّين بن الشَّهْرُزوري بحلب، فحمل إلى مشهد صِفّين، فدفن فيه، وكان صاحِبَ هِمَّةٍ عالية، وعزيمةٍ ماضية. وكانتِ الفرنجُ قد ضايقت حلب، فرحلوا عنها بعد أن أنكى فيهم الأمير سوار وأحداثُ حلب.

وفيها تزوَّج أتابك زَنْكي بأُمِّ شهاب الدِّين محمود؛ وهي الخاتون صفوة الملك زَمُرُّد ابنة الأمير جاولي، وكان قد طلبها في السَّنة الماضية، فامتنع بزواش، وقال: وما

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤١٥ .

السَّبب في أَنَّا نزيل دولة موالينا بأيدينا! فلما قُتِلَ بزواش راسل زَنْكي في هذا المعنى وهو مقيمٌ على حِمْص، فأُجيب، فَعُقِدَ العَقْد بحِمْص يوم الاثنين سابع عشرة رمضان، وتقرَّر الحالُ في تسليم حِمْص إليه، فتسلَّمها مع القلعة، وعوَّض معينَ الدِّين أُنَر ببارين. وتوجَّهت خاتون من دمشق في عسكر أتابك إليه في آخر شهر رمضان. وقيل: إنها سارت إليه في المحرَّم أول السنة الآتية، واجتمعا على حِمْص.

وفيها توفي

أحمد بن محمد بن أحمد[1]

أبو بكر الدِّيْنَوَرِي الحَنْبَلي.

تفقه على أبي الخطاب الكَلْوَذاني، وبرع في المناظرة، وكان أَسْعد المِيْهَني يقول: ما اعترضَ أبو بكر الدِّيْنوري على دليلِ أحدٍ إلا ثَلَمَ فيه ثُلْمةً.

توفي في جُمادى الأُولى، ودُفِنَ قريباً من الإمام أحمد، رحمة الله عليه.

سمعَ الحديث، وكان صالحاً ثِقَةً، أنشد: [من الطويل]

تمنيتَ أَنْ تُمْسي فقيهاً مناظراً ... بغير عَنَاءٍ فالجنونُ فُنونُ

وليسَ اكتسابُ المالِ دون مَشَقَّةٍ ... تَلَقَّيْتَها، فالعِلْمُ كيف يكونُ

أنوشَرْوان بن خالد[2]

ابن محمد، أبو نَصر، القاشاني، الفِيْني[3]، وفِيْن من قرى قاشان.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٣، و«الكامل»: ١١/ ٦٦، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٧، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٢٣، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ١٩٠-١٩١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦١، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١١٨-١١٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٩٨-٩٩.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٩/ ٣٦٥-٣٦٦، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٧-٧٨، و«الكامل»: ١١/ ٧٠-٧١، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٠٤-١٠٥ و١٤٠-١٤٢، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٦٧، و«الفخري»: ٣٠٦-٣٠٧، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤٢٧-٤٢٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٥-١٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وفي «الكامل» و«الوافي بالوفيات» وفاته سنة (٥٣٣هـ).

(٣) تصحفت في بعض المصادر إلى: القيني - بالقاف.

وزر للمسترشد ولمسعود، وكان مهيباً عاقلاً، فاضلاً، جَوَاداً، وهو كان السبب في عمل الحريري للمقامات التي أنشأها، فحكى أبو القاسم عبد الله بن أبي محمد الحريري: أنَّ والده كان جالساً في مسجده ببني حرام - محلةٌ من محالِّ البَصرة - إذ دَخَلَ شيخٌ ذو طِمْرَيْن[١]، عليه أُهبةُ السَّفَر، رَثُّ الثِّياب، فاستنطقه فإذا هو فصيحُ اللَّهْجة، حسنُ العبارة، فسأله: منْ أين الشيخ؟ فقال: من سَرُوج، فقال: وما الكُنْيةُ؟ قال: أبو زيد. قال: فعَمِلَ والدي المقامة الحَرَامية بعد قيامه من ذلك المجلس، واشْتَهَر حديثُها، وبلغ أنوشروان، فطلبها، ووقَفَ عليها، وأمر أبي أن يضُمَّ إليها أخرى، فعمل «المقامات».

قال: وغاب أبي عن أنوشروان مُدَّة، فاستبطأه، فكتَبَ إليه أبي: [من الطويل]

ألا لَيْتَ شِعْري والأماني تَعِلَّةٌ ... وإنْ كان فيها راحةٌ لأخي الكَرْبِ
أتدرون أنِّي مُذْ تناءَتْ ديارُكُمْ ... وشَطَّ اقترابي عن جنابِكُمُ الرَّحْبِ
أُكابِدُ شوقاً ما يزالُ[٢] أُوارُهُ[٣] ... يُقَلِّبُني باللَّيْلِ جَنْباً على جَنْبِ
وأَذْكُرُ أيَّامَ التَّلاقي فأَنْثَني ... لتَذْكارِها بادي الأسى طائِرَ اللُّبِّ
ولي حَنَّةٌ في كلِّ وقتٍ إليكُمُ ... ولا حَنَّةَ الصَّادي إلى البارِدِ العَذْبِ
فواللهِ لو أنِّي كتمتُ هواكُمُ ... لما كان مكتوماً بشَرْقٍ ولا غَرْبِ
ومما شجا قَلْبي المُعَنَّى وشَفَّهُ ... رضاكُمْ بإهمالِ الإجابةِ عن كُتْبي
وقد كنتُ لا أخشى مع الذَّنْبِ جَفْوةً ... فقد صرتُ أَخْشاها وما ليَ مِنْ ذَنْبِ
ولمَّا سرى الرَّكْبُ العراقيُّ نَحْوكُمْ ... وأَعْوزَني المَسْرى إليكُمْ مع الرَّكْبِ
جعلتُ كتابي نائباً عن صبابتي ... ومَنْ لم يجدْ ماءً تيمَّمَ بالتُّرْبِ[٤]

---

(١) الطِّمْر: الثوب الخَلَق البالي. «اللسان» (طمر).

(٢) في (ع) و(ج): لا أزال، والمثبت من «المنتظم» و«الخريدة».

(٣) أي حرّه.

(٤) انظر الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ٧٧-٧٨، وفي «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج٤/ م٢/ ٦٠٤-٦٠٦، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وكان أنوشروان كريماً؛ سأله رجلٌ[١] خيمةً ولم يكن عنده، فبعث إليه بمئة دينار، فقال الرجل: [من المنسرح]

لـلـه دَرُّ ابـنِ خـالـدٍ رَجُـلاً أحـيـا لـنـا الـجُـودَ بـعـدمـا ذَهَـبـا
سـألـتُـهُ خـيـمـةً أَلُـوذُ بـهـا فـجـاد لـي مِـلْءَ خـيـمـةٍ ذَهَـبـا[٢]

توفي في رمضان، ودُفِنَ في داره بالحريم الطَّاهري، ثم نُقِلَ بعد ذلك إلى الكوفة إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السَّلام.

بَدْر بن عبد الله، أبو النَّجْم[٣]

سمع الحديثَ الكثير. وتوفي في رمضان عن ثمانين سنة، ودُفِنَ بباب حرب.

وكان سليمَ الصَّدْرِ؛ طلَبَ منه أصحابُ الحديث إجازةً، فقال: كم تستجيزون! ما بقي عندي إجازة أَجيزها لكم.

البقش السِّلاحي[٤]

كان أميراً كبيراً، ناب عن السُّلْطان في المملكة، ثم توهَّم منه، فَقَبَضَ عليه، وحَبَسه بقلعة تَكْريت، ثم أمر بقَتْله، فغرَّق نفسه في دِجْلة، فأُخرج من الماء، وقُطِع رأسه، وحُمِلَ إليه.

الحسن بن يحيى بن رُوبيل[٥]

أبو محمد الأَبَّار، الدِّمَشْقي.

---

(١) هو الشاعر أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر الأرجاني، كما جاء مصرحاً به في «الفخري»: ٣٠٦، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤٢٨، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤هـ).

(٢) في (ع) و(ح): فجاد لي بل بخيمة ذهباً، ومثله في «المنتظم»: ١٠/ ٧٧، والمثبت من «الفخري»، و«الوافي بالوفيات».

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ٤٤٢-٤٤٣، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٤، و«اللباب»: ٢/ ٢٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢، ونسبته الشِّيحي، نسبةً إلى شيحة، وهي قرية من قرى حلب، وقد تصحف في «المنتظم»: إلى الشيخي ـ بالخاء.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٦١-٢٦٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٣٠٣، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٩٧، وفيه وفاته سنة (٥٣١هـ).

كان يبيع الإِبَرَ بدمشق، وكان ابنُ الخَيَّاط الشَّاعر يقعد عنده[١]، ويتناشدان [الأشعار][٢]، ومن شعره في محيي الدِّينِ ابنِ الصُّوفي[٣]، رئيسِ دمشق: [من المنسرح]

يا محيي الدِّينِ بعدما دَثَرا ومُشْبِهاً في زمانِهِ عُمَرا
ومَنْ إذا ما ذكَرْتَ سِيْرَتَهُ سمعتَ ذِكْراً يُجَمِّلُ السِّيَرا
انْظُرْ إلى عَبْدِكَ الفقير فقد جَارَ عليه الزَّمانُ واقْتَدرا
وخانه سَمْعُهُ وناظِرُهُ من بَعدِ ما كان يَثْقُبُ الإِبَرا
وصار في السُّوقِ كالأجير وهل يُفْلِحُ مَنْ سارَ سِيْرَةَ الأُجَرا
وما لهُ مَوْئِلٌ يلُوذ بهِ سواكَ يا مَنْ يُجَمِّلُ الوُزَرا[٤]

وكان يسكن بدَرْب صامت بدمشق، وتوفي بها، وذكر له العمادُ الكاتب في «الخريدة» أشعاراً هجا بها زوجته، [وهي شنيعة]، منها قوله: [من الخفيف]

أُغريتْ زَوْجتي بشُرْبِ العُقارِ أَسْكَنَتْني بجَنْبِ دارِ القِمارِ
أَطْعَمَتْني مُخَّ الحمارِ فلمَّا أَبْصَرَتْني قد صرتُ مِثْلَ الحمارِ
بَذَلَتْ [فَرْجَها] وصاحَتْ[٥] إلى النَّا سِ هلمُّوا يا مَعْشَرَ الفُجَّارِ

[وذكر أشياء من جِنْس شعر ابن الحَجَّاج][٦].

الحسين بن تلمش بن يزدمر[٧]

أبو الفوارس، التُّركي، الصُّوفي، البغدادي.

---

(١) قال العماد الكاتب في «الخريدة»: ١/ ٢٦١: وله دكان في سوق الأباريين يبيع الإبر، قال: ورأيت ابن الخياط جالساً على دكانه.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هو المفرج بن الحسن، وقد سلفت ترجمته ص٣٠٢، وقد توارى عن الدكتور شكري فيصل وكاد يلامسه وهو يحاول تعيين ابن الصوفي في تعليقه على «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٦١ حاشية رقم (٩).

(٤) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢٦٢.

(٥) في (ع): بذلت فصاحت، وفي (ح): بذلت [ثم بياض] فصاح، والمثبت من «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٦٢، وما بين حاصرتين منه.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وابن الحجاج: هو الحسين بن أحمد بن محمد، شاعر ماجن، توفي سنة (٣٩١هـ)، وانظر ترجمته في «وفيات الأعيان»: ٢/ ١٦٨-١٧٢.

(٧) له ترجمة في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢.

شاعرٌ فاضل، [ذكره ابنُ السَّمْعاني في «الذيل»، وذكر مقطَّعات من شعره، منها][(١)] : [من الخفيف]

أتــمــنــى بــأن أكــونَ مــريــضــاً عــلَّــهــا أنْ تــعــودَ فــي الــعُــوَّادِ
فــتــراهــا عَــيْــنــي فــيــذهَــبَ عــنِّــي مــا أُقــاسيــه مــن جَــوًى فــي فــؤادي

وهذا أحسن من قول ابنِ الخيَّاط الدِّمَشْقي : [من الطويل]

أَحِنُّ إلى سُقْمي لعلَّك عائدي ومِنْ كَلَفي أَنِّي أَحِنُّ إلى السُّقْمِ[(٢)]

وأحسن مِنْ قول القائل : [من الطويل]

يَوَدُّ بأَنْ يُمْسي مريضاً لعلَّها إذا سَمِعَتْ يوماً بشكوى تُراسِلُهْ

عليُّ بنُ علي بن عُبيد[(٣)] الله، أبو منصور[(٤)]

أمين الأُمناء، [ويُعرف][(٥)] بابن سُكَيْنة.

ولد سنة تسعٍ وأربعين وأربع مئة [وكان أمين الحكم على أموال اليتامى، ويلقب أمين الأمناء][(٥)]، وتوفي ليلة السبت سادس ذي القعدة [عن ثلاث وثمانين سنة][(٥)] ودُفن بالشُّونيزية، وسمع [أبا محمد الصريفيني وابن السَّراج وابن العلاف وغيرهم][(٥)] وحدَّث، وكان سَمَاعه صحيحاً، [قال جدي رحمه الله : وسمعته يقول][(٦)] : مَنْ منعَ ماله الفقراء سَلَّط الله عليه الأُمراء.

---

(١) في (ع) و(ح): شاعر فاضل، ومن شعره، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) «ديوان ابن الخياط»: ص١٤٦ .
(٣) في (ع) و(ح): عبد الله، والمثبت من (م) و(ش).
(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٥ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٨-٨٩ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٠٠ .
وابنه هو شيخ العراق الإمام عبد الوهَّاب ابن سُكَيْنة، المتوفى سنة (٦٠٧هـ)، انظر ترجمته في «السير» ٢١/ ٥٠٢-٥٠٥ .
(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٦) في (ح) و(ع): وكان سماعه صحيحاً، وقال: من منع... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ٧٥ .

عمر بن محمد بن عَمُّوية[(١)]

أبو حفص، السُّهْرَوَرْدي، عَمُّ أبي النَّجيب الواعظ، شيخ الصُّوفية في الرِّباط المعروف بسعادة الخادم.

توفي في ربيع الأول، ودُفِن بالشونيزية عند قبر رُوَيْم[(٢)].

سمع أبا محمد التميمي وغيره، وكان صالحاً.

محمد بن عبد الملك[(٣)]

ابن محمد، أبو الحسن، الكَرَجي[(٤)].

ولد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وسمعَ [بالكَرَج - بجيم - و][(٥)] بهَمذَان وأَصبهان وببغداد، وكان محدِّثاً فقيهاً، شاعراً أديباً، [وكان][(٥)] شافعياً، إلا أنه ما كان يَقْنُتُ في الفجر، وكان يقول: قد صَحَّ عن إمامنا الشَّافعي رحمه الله أَنَّه قال: إذا صَحَّ عندكم الحديث، وقلتُ قولاً يخالفه، فدعوا قولي. وقد صَحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنه تَرَكَ القنوت في صلاة الفجر. وكان كريم الأخلاق، وصنَّف في المذهب والتفسير.

ومن شِعْره: [من الوافر]

تـنـاءَتْ دارُهُ عـنِّـي ولـكـنْ ... خيالُ جمالِهِ في القَلْب ساكنْ
إذا امتلأَ الفؤادُ بـهِ فـماذا ... يضُرُّ إذا خَلَتْ منهُ المساكِنْ

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ١٩٧-١٩٨، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٥، و«اللباب»: ٢/ ٨٥.

(٢) هو شيخ الصوفية في عصره رويم بن أحمد، وقيل: رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد البغدادي، توفي ببغداد سنة (٣٠٣هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١٤/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ١٠/ ٣٨١، و«المنتظم»: ١٠/ ٧٥-٧٦، و«الكامل»: ١١/ ٦٦، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٨٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٣٧-١٤٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ٢/ ٣٤٨-٣٤٩، و«طبقات الشافعية»، لابن قاضي شهبة: ١/ ٣٤٩-٣٥٢، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٢، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٠٠.

(٤) الكرجي: نسبة إلى الكرج - بفتح الكاف والراء والجيم في آخرها - وهي بلدة بين أصبهان وهمذان، انظر «الأنساب»: ١٠/ ٣٧٨.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال أيضاً: [من الطويل]

سَـرَقْـتُ إلـيــهـا زَوْرَةً فـتـنـقَّـبَـتْ فقلتُ اسْفِري ما هكذا حَقُّ مَنْ طَرَقْ
فقـالـتْ حجبتُ البَدْرَ عنكَ تعمُّداً لـتـأمـنَ إنَّ الـبَـدْرَ يَـفْـضَـحُ مَـنْ سَـرَقْ

منصور الرَّاشد أمير المؤمنين(١)

قد ذكرنا خلافته(٢)، وخروجه من بغداد إلى المَوْصِل، ومسيره إلى أَذْرَبيجان. وكان معه داود بن محمود، وأنَّه وَصَلَ إلى أصبهان، واستفحل أمره.

وكَتَبَ إلى سنجر كتاباً مضمونه أنَّ الذي جرى على المسترشد إنما كان باتِّفاقٍ منه ومن مسعود، وأنَّه سوف يجد غِبَّ ذلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[سورة فصلت: ٤٦].

فكتب إليه سنجر كتاباً بخطِّ أبي إسحاق البَيْهقي يعزِّيه في أبيه، ولم يجبه عما أشار إليه، قال: سلام على المجلس الأَسْمى، والمقرِّ الأعلى الأشرف الرَّاشدي، وصل الكتابُ العزيز الذي أَطْلَعَ مِنْ بروج الشَّرف كواكبَ الإقبال، وفجَّرَ في فضاء الإفضال ينابيع الآمال، وهيَّأَ لبابِ السَّعادة مِفْتاحاً، وأَوْجَبَ لصَدْرِ الخادم انشراحاً، فأمَّا ما أشار إليه من وفاة الشَّهيد التي غَيَّرَتْ بها اللَّيالي أحوالَها، وزُلْزلتِ الأَرْضُ زِلْزالها، وصارتْ بسببها طوالعُ الخلافة آفلة، وغصون الشريعة ذابلة، ففي كلِّ قلبٍ منها لظىً وسعير، وفي كلِّ دارٍ أَنَّةٌ وزفير، لكنَّ قضاءَ الله لا يُغيَّر، وأجله إذا جاءَ لا يُؤَخَّر، وله أُسوةٌ في احتساءِ كأسِ الشَّهادة، وارتقاء مدارجِ السَّعادة بالخُلَفاء الرَّاشدين، والأئمة المَهْديين، وذكر كلاماً بمعناه.

فلمَّا قرأ الرَّاشد كتابه يَئِسَ منه، ومضى إلى أصبهان، فأقام بها، وتوفي سابع عشرين رمضان.

واختلفوا في سبب وفاته على أقوالٍ: أحدها أنَّه سُقِيَ السُّمَّ ثلاث مَرَّات. والثَّاني: أَنَّه قتله قوم من الفَرَّاشين الذي كانوا في خدمته.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٦-٧٧، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٦٦-١٦٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ٣٣-٣٤، و«الكامل»: ١١/ ٦٢-٦٣، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢٢٤-٢٢٧، و«الفخري»: ٣٠٨-٣٠٩، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٥٦٨-٥٧٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) انظر ص٢٨٠-٢٨٥ من هذا الجزء.

والثَّالث: أنَّه قتله قومٌ من الباطنية، وقُتِلُوا بعده، وكان قد داسَ بلادهم وأَخْربها، وبعثهم إليه مسعود وسنجر، فقتلوه كما قتلوا أباه.

وذكر العمادُ الكاتب [في «الخريدة»][١] ما يدلُّ على هذا فقال: تنقَّل الرَّاشد في البلاد: ديار بكر وأَذْربيجان ومازَنْدران، وعاد إلى أَصبهان، فأقام مع السُّلْطان داود ابن محمود، والبلد مُحاصر، وهناك قحطٌ عظيم، وضُرٌّ عميمٌ.

قال العماد: أذكر ونحن أطفالٌ، وقد خرجنا من أَصبهان وأقمنا بالرُّبُط عند المُصَلَّى، والعسكر قريبٌ منا، فسمعنا أصواتاً هائلةً وقت القائلة مِنْ نهار يوم الثّلاثاء سادس عشرين رمضان [من هذه السنة][١]، فقلنا: ما الخبر؟ فقيل لنا: إنَّ الخليفة قد فتكَتْ به الملاحدة لعنهم الله. وخرج أهلُ أصبهان حُفاةً حاسرين، وشيَّعوا جِنازته إلى مدينة جَيّ، وبكوا ولطموا، ودفنوه بالجامع، وكان له الحُسْنُ اليُوسفي، والكرم الحاتمي، بل الهاشمي.

[قال][١]: وكان قد استدعى والدي صفيَّ الدِّين ليوليه الوِزارة، فتعلَّل عليه، وكانت الخِيرة فيه[٢].

وبلغ الخبر إلى بغداد، فقعدوا له في العزاء يوماً واحداً، وخلَّف ببغداد نيفاً وعشرين ولداً ذكراً.

[وقال السمعاني: ومما ينسب إلى الرَّاشد][٣] من الشعر: [من الطويل]

زمانٌ قد اسْتَنَّتْ فِصالُ صروفه[٤] وأصبح آسادُ الكرامِ لها قَرْعى[٥]
أكولتُهُ تشكو صُروفَ زمانها فليس لها مأوى وليس لها مرعى
فيا قَلْبُ لا تأسفْ عليه فربَّما ترى القومَ في أكناف آفاتِهِ صرعى[٦]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ٣٣-٣٤.
(٣) في (ع) و(ح): ومما ينسب إليه من الشعر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) استن الفرس في مضماره: إذا جرى في نشاطه ومرحه على سننه في جهة واحدة. «معجم متن اللغة»: ٣/ ٢٢٨.
(٥) القرعى جمع، مفردها القريع: وهو الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. «معجم متن اللغة»: ٤/ ٤١٨، ٥٤١.
(٦) انظر الأبيات بنحو هذا اللفظ في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ٢/ ٣٣-٣٤.

السنة الثالثة والثلاثون وخمس مئة

فيها زُلْزِلَتْ جَنْزة[١] عشرة فراسخ في مثلها، فأهلكت مئتي ألف وثلاثين ألف إنسان، وخُسِفَ بجَنْزة، وصار مكان البلد ماء أسود، وقَدِمَ التُّجّار من أهلها، فلازموا المقابر يبكون على أهليهم وأموالهم.

وقال ابنُ القلانسي: إنها كانت عامَّةً في الدُّنيا، وأنها كانت بحلب أعظم؛ جاءت ثمانين مرة، ورمت أسوار البلد وأبراجَ القلعة، وهَرَبَ أهلُ البلد إلى ظاهره[٢].

ووصل رسولُ ابن قاروت بك ملك كَرْمان يخطب خاتون المستظهرية، فزوَّجه مسعود بها، ونقدَها مئة ألف دينار، وحُمِلَتْ إليه، فماتت عند وصولها.

واستوزر السُّلْطان مسعود محمد بن الخازن من أهل الرّي، فَنَشَرَ العَدْل، ورفع المكُوس والضَّرائب، فلم يجدِ الأعداءُ طريقاً إلى بلوغ أغراضهم إلا أنهم أوقعوا بينه وبين قراسُنْقُر صاحب أَذْرَبيجان، فأقبل بالعساكر، وقال: إما قَتْلُه أو الحرب. فخوَّفوا مسعوداً منه، فأمر بقَتْله على كُرْهٍ منه، وبعث برأسه إلى قراسنقر. وقيل: إنَّه لما أزال المكوس والضَّرائب وأَمَرَ بالمعروف عَزَّ على مسعود، فَدَسَّ قراسنقر حتى فعل ذلك.

[وفيها قتل شهاب الدِّين محمود صاحب دمشق، وسنذكره][٣].

وفيها توفي

إسماعيل بن محمد بن أحمد[٤]

أبو طاهر الوَثَّابي، شاعرٌ فصيح، ومترسِّلٌ نجيح، ما زال به اشتغاله بالفنون حتى قيل: به لَمَمٌ أو جنون، وهو القائل: [من الطويل]

---

(١) أعظم مدينة بأرَّان، وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العامة كنجة، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ١٧١.

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٢٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص ٣١٩-٣٢٠ من هذا الجزء.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ١٢/ ٢٢١-٢٢٢، و«معجم الأدباء»: ٧/ ٣٦-٤٠، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٢٠٥-٢٠٦، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٤.

تَبَصَّرْ خليلي من ثَنِيَّة بارِقٍ بريقاً كَسَقْطِ النَّارِ عالجه الزَّنْدُ
فيقضي بها من ذِكْرِ ليلى لُبانةً ويُطْفي بها مِنْ نارِ وَجْدٍ بها وَقْدُ
وَشِمْ لنسيم الرِّيح من جانب الحِمى فقد عَبِقَ الوادي وفاح به الرَّنْدُ(١)

زاهر بن طاهر بن محمد(٢)

أبو القاسم، الشَّحَّامي النَّيْسابوري.

ولد سنة ستٍّ وأربعين وأربع مئة، وسافر في طلب الحديث، وأملى بجامع نيسابور قريباً من ألف مجلس(٣)، وكان يُكْرِمُ الغرباء الواردين عليه، ويُحْسن إليهم ويُدَاويهم، وعَمَّرَ حتى ألحقَ الصِّغار بالكبار، وتوفي بنيسابور في ربيعٍ الأَوَّل، ودفن بمقبرة يحيى بن يحيى.

عبد الوهَّاب بن عبد الواحد(٤)

ابن محمد بن علي، أبو القاسم ابن أبي الفَرَج، الحَنْبلي الأَنْصاري، [جد أولاد الحنبلي](٥).

كان رئيس الحنابلة بدمشق، وترسَّل إلى بغداد بسبب استيلاء الفرنج على الشام [وقد ذكرناه](٦)، وتكلَّم في ديوان المسترشد في الخلاف، وكان يفتي على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله(٧)، وخَلَفَ أباه في حَلْقته وأصحابه بعد موته، ودرَّس، وحدَّث وتوفي بدمشق، ودفن بالباب الصَّغير.

---

(١) الأبيات مع أبيات أخر من القصيدة بنحو هذا اللفظ في «معجم الأدباء»: ٧/ ٣٩-٤٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٧٩-٨٠، و«الكامل»: ١١/ ٧١، و«ميزان الاعتدال»: ٢/ ٦٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٩-١٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ع) و(ح): مجلد، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٨٠.

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٢٩-٤٣٠، و«الكامل»: ١١/ ٩٠، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ١/ ٣٤٩-٣٥١، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ١٩٨-٢٠١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٠٣-١٠٤، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١٢٥-١٢٦ وفيهما تتمة مصادر ترجمته، وعندهم وفاته سنة (٥٣٦هـ)، وهو الصحيح.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش). قلت: وكان ذلك سنة (٥٢٣هـ)، انظر ص ٢١٨ من هذا الجزء.

(٧) في (م) و(ش): ويدرس ويعظ، وتكلم في ديوان المسترشد لما بعثه بوري رسولاً في الخلاف، ولما رجع إلى دمشق حدث بالإجازة عن أبي طالب بن يوسف، وكان قبل ذلك قد سمع أباه، وخلفه في أصحابه بعد موته، وتوفي بدمشق، ودفن بالباب الصغير، وكان إماماً فاضلاً، وكان يومه مشهوداً.

وكان إماماً فاضلاً على الطَّريقة المَرْضِيَّة، والأفعال الرَّضية من وفور العِلْم، وحُسْن الوعظ، وكَثْرَةِ الدِّين، والتَّنزه عما يقع فيه غيره من المتفقِّهين، وكان يومه مشهوداً.

عليُّ بنُ أفلح(١)

أبو القاسم، الكاتب البغدادي.

كان فاضلاً فصيحاً، تقدَّم عند المسترشد، ولقَّبه جمال المُلْك، وأعطاه أربعةَ آدُرٍ في دَرْب الشَّاكرية، فاشترى دوراً إلى جانبها، وهَدَمَ الكُلَّ، وأنشأها داراً كبيرة، وأطلق له الخليفةُ ما يحتاج إليه من الآلات والخشب والآجُرِّ، وخمس مئة دينار، ورتَّبَ له راتباً، وغَرِمَ على الدَّار عشرين ألف دينار، وكان طولها ستين ذراعاً في أربعين، وأَجْراها بالذَّهب، وصوَّر فيها [فنون](٢) الصُّوَر.

وكَتَبَ على بابها وجوانب أبوابها أشعاراً، فكتب على جانبي أبوابها: [من مجزوء الكامل]

ومِنَ المروءةِ للفتى ... ما عاشَ داراً فاخرهْ
فاقْنَعْ من الدُّنيا بها ... واعملْ لدارِ الآخرهْ
هاتِيْكَ وافيةٌ بما ... وَعَدَتْ وهذي ساخرهْ

وكَتَبَ على الجانب الآخر: [من المتقارب]

ونادٍ كأنَّ جِنانَ الخُلُودِ ... أعارَتْه مِنْ حُسْنها رَوْنقا
وأَعْطَتْه من حادثاتِ الزَّما ... نِ أَنْ لا تُلِمَّ بهِ مَوْثِقا

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٥٢-٦٩، و«المنتظم»: ١٠/ ٨٠-٨٤، و«الكامل»: ١١/ ٨٠، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٨٩-٣٩١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٤ وقد اختلف في سنة وفاته، فهي سنة (٥٣٣هـ) عند ابن الجوزي، وتابعه على ذلك سبطه وابن تغري بردي، وعند ابن الأثير في «كامله» (٥٣٥هـ)، وتردد العماد الكاتب بين سنة(٥٣٦هـ) أو (٥٣٧هـ)، وقال ابن خلكان: وتوفي يوم الخميس ثاني شعبان سنة خمس، وقيل سنة ست، وقيل سنة سبع وثلاثين وخمس مئة، وعمره أربع وستون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً.

وقد تعقبه العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة» فقال: وهذا التحديد لعمر الشاعر لا يستقيم للمؤرخ الكبير مع روايته الاختلاف في سنة الوفاة، وجهالة يوم الولادة والشهر والسنة.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فـأضـحـى يَـتِـيْـه عـلـى كـلِّ مـا [بُـنـي مَـغْـرِبـاً كـان أو مَـشْـرقـا][1]

وكتب على الباب: [من السريع]

إنْ عَـجِـبَ الـرَّاؤون مِـنْ ظـاهـري فـبـاطـنـي لـو عَـلِـمـوا أَعْـجَـبُ
شـيَّـدنـي مَـنْ كَـفُّـه مُـزْنَـةٌ يـحـمـلُ مـنـهـا الـعـارِضُ الـصَّـيِّـبُ
ودَبَّـجَـتْ[2] رَوْضَـةُ أخـلاقِـهِ فـيَّ ريـاضـاً[3] نَـوْرُهـا مُـذْهَـبُ

ثم إنَّ المسترشد اطَّلع عليه أنَّه يكاتب دُبَيْساً، فأمر بنقض الدَّار، فَنُقِضَتْ، وهَرَبَ إلى تكْريت[4]، فاستجار ببِهْروز الخادم، وأقام عنده مُدَّة، ثم شَفَعَ فيه، فعفا الخليفةُ عنه، وهو القائل: [من البسيط]

دَعِ الـهـوى لأُنـاسٍ يـعـرفـون بـه قد مارسوا الـحُـبَّ حتى لانَ أصعَبُهُ
بـلـوتَ نَـفْـسَـك فـيـمـا لـسـتَ تَـخْـبُـرُه والـشـيءُ صَـعْـبٌ عـلـى مَنْ لا يُـجـرِّبُـهُ
أفنى[5] اصطباراً وإنْ لم أستطعْ جَلَداً فَـرُبَّ مُـدْرِكِ أَمْـرٍ عَـزَّ مَـطْـلَـبُـهُ
أحـنـو الـضُّـلُـوعَ عـلـى قَـلْـبٍ يـحـيِّـرني فـي كـلِّ يـومٍ ويُـغْـيـيـنـي تَـقَـلُّـبُـهُ
تـنـاوحُ الـرِّيـحِ مـن نَـجْـدٍ يُـهـيِّـجُـهُ ولامـعُ الـبَـرْقِ من نَـعْـمـانَ[6] يُـطْـرِبُـهُ

وقال أيضاً: [من الرَّمل]

هـذه الـخَـيْـفُ وهـاتـيـك مِـنـى فـتـرفَّـقْ أيـهـا الـحـادي بـنـا
واحـبـسِ الـرَّكْـبَ عـلـيـنـا سـاعـةً نَـنْـدُبُ الـرَّبْـعَ ونـبـكـي الـدِّمَـنـا
فـلـذا الـمـوقـف أعـدَدْنـا الـبُـكـا ولـذا الـيـوم الـدُّمـوع تُـقْـتـنـى
زمـنـاً كـانـوا وكُـنَّـا جِـيْـرَةً يـا أعـادَ الـلـه ذاك الـزَّمـنـا
بَـيْـنُـنـا يـومَ أُثـيـلاتِ الـنَّـقـا كـان عـن غـيـرِ تـراضٍ بَـيْـنَـنـا

(١) في (ع) و(ح): بنى مغرباً وبنى مشرقاً، والمثبت ما بين حاصرتين من (م)، وهو الموافق لرواية «المنتظم»: ١٠/ ٨١.
(٢) أي زينت. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٣٧٠.
(٣) في (ع) و(ح) و(ش) في رياض، والمثبت من (م).
(٤) سلف خبر ذلك ص ١٧٠.
(٥) في (ع) و(ح): أبين، و(ش): أقر، والمثبت من (م).
(٦) نعمان: وادٍ بين مكة والطائف. «معجم البلدان»: ٥/ ٢٩٣.

ومن رسائِلِهِ أَنَّه كَتَبَ إلى أبي الحسن ابن التلميذ[١] كتاباً يقول فيه: كتابي ـ أطال الله بقاءَ سيدنا ـ طَوَّلَ اشتياقي إليه، وأدام تمكينه دوامُ ثنائي عليه، وحَرَسَ نعمته حراسةَ ضميرِهِ للأسرار، وكَبَتَ أعداءه كَبْتَ صَبْري يوم تناءتْ به الدَّار، عن سلامةٍ انتقلت ببُعدِهِ من جسمي على وُدِّي، وعافيةٍ كان بَيْنُه بها آخرَ عهدي، وأنا أحمد الله العلي على ما يسوءُ ويَسُرّ، وأديمُ الصَّلاةَ على رسوله محمد وآله المُحَجَّلين الغُرّ، وبعد:

فإنِّي أذكر عهدَ التَّزاورِ ذِكْرَ الهائِم الوَلُوع، وأَحِنُّ إلى عَصرِ التَّجاور حنينَ الحائم إلى الشُّروع[٢]، وأقول: [من المتقارب]

وإنِّـي وحَـقِّـك مـنـذُ ارْتـحـلـتَ ... نـهـاري حـنـيـنٌ ولـيـلـي أنـيـنُ
ومـا كـنـتُ أعـرفُ قَـبْـلُ امْـرَأً ... بـجـسـمٍ مـقـيـمٍ وقـلـبٍ يَـبِـيْـنُ
وكـيـفَ الـسَّـبـيـلُ إلـى سَـلْـوتـي ... وحُـزْنـي وفـيٌّ وصَـبْـرِي خَـؤُونُ

وكيف لا أكون كذلك وإنَّما أخذتُ حُسْنَ الوفاء عنه، واكتسبتُ خُلُوصَ الصَّفاءِ منه، وقد فتنتني منه دماثةُ تلك الشَّمائل، التي شغلت كَلَفي بها عن كلِّ شاغل، وأنا أُثني عليه ثناءً تناقله الرُّواة، وغنَّى طرباً بذكره الحُداة، ولم أزل ناشراً من فَضْله ما نسوه، وذاكراً من محاسنه ما لم يذكروه.

فكتب إليه ابنُ التلميذ في الجواب: وَصَلَ كتابُه مَدَّ الله في عمره امتدادَ أملي فيه، وأدام عُلُوَّه دوام بِرِّه لمعتفيه، وحَرَسَ نعماءَه حراسةَ الأدب بناديه، عن سلامةٍ شملت بتأميل إيابه، وعافيةٍ عَفَتْ لولا قراءةُ كتابه: [من المتقارب]

وإنِّـي وَحُـبِّـكَ مُـذْ بِـنْـتُ عـنـ ... ـكَ قـلـبـي حـزيـنٌ ودمـعـي هَـتُـونُ

(١) في (ع) و(ح): الحسين بن التلميذ، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ٨٢.
وأبو الحسن هو هبة الله بن صاعد بن هبة الله المعروف بابن التلميذ، الطبيب النصراني الملقب أمين الدولة البغدادي، كان من كبار علماء عصره في الطب والأدب، وله شعر وترسل جيد، توفي سنة (٥٦٠هـ) عن مئة سنة، وكان بينه وبين علي بن أفلح مكاتبات، وكان يعالجه إذا مرض، انظر ترجمته في «طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٣٤٩-٣٧١، و«وفيات الأعيان»: ٦/ ٦٩-٧٧.

(٢) الحائم: العطشان. والشروع: الورود إلى الماء. انظر «معجم متن اللغة»: ٢/ ٢٠٧ و٣/ ٣٠٥.

وأَخْلَفَ ظنِّيَ صَبْرٌ مُعِينٌ ... وشاهِدُ شكوايَ دمعٌ مَعِينُ[(١)]
فللهِ أيامُنا الخاليا ... تُ لو رَدَّ سالفَ دَهْرٍ حنينُ
وإنِّي لأرعى عهودَ الصَّفاءِ ... ويكلؤها لك سِرٌّ مَصُونُ
ولَمْ لا ونحنُ كمِثْلِ اليَدَيْنِ ... وأنتَ بفَضْلك منها اليمينُ
إذا قلتُ أَسْلُوكَ قال الغرا ... مُ هيهات ذلك ما لا يكونُ
وهل في سُلُوٌّ له مَطْمَعٌ ... وصَبْرِي خَؤُون ووِدِّي أمينُ

علي بن المُسَلَّم، أبو الحسن، الدِّمَشْقي السُّلَمي[(٢)]

[ذكره الحافظ ابنُ عساكر، وقال][(٣)]: كان عالماً بمذهب الشافعي، والفرائض[(٤)].

ومولده سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة، وتفقَّه على أبي المُظَفَّر المَرْوَزي، وجالس أبا حامد الغَزَّالي، ودرَّس بحلقته بجامع دمشق، وتُعْرَف بحَلْقة جمال الإسلام مقابل باب البرادة، واشتَهَرَ ذِكْرُه، فكانت تأتيه الفتاوى من العراق، وصنَّفَ المُصَنَّفات في الفِقْه، والتفسير، والفرائض، وغيرها.

وتوفي في ذي القَعدة في السَّجْدة الأخيرة من صلاة الصُّبْح، وكان قد صَلَّى وِرْدَه في تلك الليلة.

[سمع نَصراً المقدسي، وأبا الحسن بن أبي الحديد، وأبا العَبَّاس بن قُبَيْس وغيرهم، وروى عنه الحافظُ ابنُ عساكر، وغيره][(٣)]، وأجمعوا على فَضْله وثقته.

محمد بن حمزة بن إسماعيل[(٥)]

ابن الحسن بن علي ابن الحسين، أبو المناقب، الحسيني الهمَذَاني.

---

(١) معين: أي جار. «اللسان» (معن).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٢٤، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٢/ ٥٤٥-٥٤٦، و«تبيين كذب المفتري»: ٣٢٦-٣٢٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ١٩٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٢٣٥-٢٣٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣١-٣٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٥٤٥.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٤، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٥.

رحل إلى البلاد، وكَتَبَ الحديث الكثير، وكان يروي عن جَدِّه علي بن الحسين أشعاراً، منها: [من الطويل]

وما لكَ مِنْ دُنْيَاكَ إلا بُلَيْغَةٌ ... تُزَجِّي بها يوماً وتقضي بها ليلا

وما دونها مِمَّا جَمَعْتَ فإنَّه ... لزيدٍ وعمرٍو أو لأُخْتِهِما ليلى

محمد بن عبد المتكبِّر(١)

ابن الحسن بن عبد الودود بن عبد المتكبر بن هارون بن محمد بن عبد الله بن المهتدي بالله، أبو جَعفر، الهاشمي، الخطيب.

قاضي باب البَصرة ببغداد، سمع ابنَ البُرِّي وغيره، وكان صالحاً، ثِقَةً.

محمود بن بُوري(٢)

ابن [أتابك](٣) طُغْتِكِين، [ولقبه](٣) شهاب الدِّين، صاحب دمشق.

قد ذكرنا ولايته(٤)، وما جرى له، وساءَتْ سيرته، فاستوحشَ منه جماعةٌ من أمرائه، واتَّفقوا على قَتْله، فدسُّوا عليه يوسف الخادم والبقش(٥) الأرمني. وكانا ينامان حول سريره، وهما أَمْردان، وساعدهما عنبر الفرَّاش [ويعرف](٣) بالخَرْكاوي، وكان ينام عنده أيضاً. فلما كان ليلة الجمعة ثالث عشرين شَوَّال ذبحوه في فراشه، وخرجوا هاربين. فأُخذ عنبر والخادم فَصُلبا، وهَرَبَ البقش الأرمني. ونُهِبَتْ دمشق، وكَتَبَ الأُمراء إلى أخي محمود محمد بن بوري، وهو ببَعْلَبَكّ، وكان صبياً لم يبلغ(٦)، فجاء

---

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٤/ ٢٥.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ١٦/ ٢٨٦، و«الكامل»: ١١/ ٦٨، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٩٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) انظر ص٢٧١ من هذا الجزء.

(٥) في مطبوع «ذيل تاريخ دمشق»، و«وفيات الأعيان»: البغس ـ بالغين.

(٦) كذا قال، ولا يصح، إذ ولي محمد بعد أخيه، وتوفي سنة (٥٣٤هـ)، ثم ولي بعد محمد ابنه أبق كما سيأتي في حوادث سنة (٥٣٤هـ)، وذكر الذهبي في «السير»: ٢٠/ ٥١ أن أبق كان مراهقاً حين ولي.

مسرعاً، ودَخَلَ قلعة دمشق، فملَّكوه، ولقَّبوه جمال الدِّين، وتولى معين الدِّين أُنَر تدبير الجيوش.

[وقد ذكر القِصَّة أبو يعلى ابن القلانسي، فقال: وفي يوم الجمعة الثَّالث والعشرين من شوَّال هذه السنة ظهرت هذه الحادثة المُدَبَّرة على الأمير شهاب الدِّين محمود بن تاج الملوك بُوري بن أتابك طُغْتِكِين، قتل في فراشه بيد غِلْمانه، وذكر بمعنى ما ذكرنا، ووصول أخيه محمد بن بوري إلى دمشق وجلوسه، قال:][1] وانتهى الخبر إلى الخاتون صفوة المُلْك؛ والدة الأمير محمود المقتول، فراسلت عمادَ الدِّين زَنْكي، وهو بالمَوْصِل تعلمه صورةَ الحال، وتحثُّه على النُّهوض لطلب الثَّأر - وكانت بحِمْص - فجاء أتابك إلى الشَّام، ونزل على بَعْلَبَك يوم الخميس العشرين من ذي الحِجَّة في عسكرٍ كثيف، فنصَبَ عليها أربعةَ عشرة منجنيقاً ترمي ليلاً ونهاراً، فكتبوا إلى دمشق، فلم تأتهم نجدة، فأرسلوا إلى زَنْكي، وسألوه الأمان، فأَمَّنهم، وحَلَفَ لهم، فسلَّموها إليه، فدخلها، وغَدَرَ بهم، وكان حَنِقاً على مَنْ قاتله، فأمر بقَتْلهم وصَلْبهم، فاستقبح النَّاسُ ذلك منه، ومقتوه[2].

أبو بكر بن الصَّائغ الأندلسي[3]

ويعرف بابن باجَّه[4]، العالم الفاضل، له تصانيف في الرِّياضيات والمنطق والهندسة، [وذكره[5] ابنُ بشرون المهدوي في كتابه الموسوم «بالمختار من النَّظْم والنَّثْر لأفاضل أَهْل العَصر»، ووصفه بالتفرُّدِ بالعلوم التي ذكرناها، وأنه] وزَرَ ليحيى بن

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٢١-٤٢٣.

(٣) له ترجمة في «قلائد العقيان»: ٣٠٠-٣٠٦، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٣٣٢-٣٣٤، و«أخبار الحكماء» للقفطي: ٢٦٥، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٥١٥-٥١٧، و«المغرب في حلى المغرب»: ٢/ ١١٩، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٢٩-٤٣١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٩٣-٩٤، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٢٤٠-٢٤٢، و«نفح الطيب»: ٧/ ١٧-٢٥ و٢٧، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٠٣.

(٤) هكذا ضبطها ابنُ خلكان.

(٥) في (ع) و(ح): قال ابن بشرون المهدوي: وزر ليحيى بن يوسف، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

يوسف بن تاشفين[١] عشرين سنة، وكانت سيرتُه حسنةً؛ صلحت به الأحوال ونجحت الآمال، حَسَدَه أطباءُ البلد وكادوه، ونالوا بقَتْله مسموماً ما أرادوه.

[وذكر وفاته في هذه السنة، وأنَّه][٢] قال عند الموت: [من الخفيف]

آه مِنْ حادثاتِ صَرْفِ اللَّيالي فَلِحالي انْظُرْ أَعِظْكَ بحالي
أمسِ أبكيتُ حاسدي شَرَقاً بي وهو اليوم رحمةً قد بكى لي

وقال أيضاً: [من الطويل]

هُمُ رحلوا يومَ الخميسِ عشيَّةً فودَّعتُهمْ لما استقلُّوا وَوَدَّعُوا
ولمَّا تولَّوْا وَلَّتِ النَّفْسُ[٣] مَعْهُمُ فقلتُ ارْجعي قالتْ إلى أين أَرْجِعُ
إلى جَسَدٍ ما فيه لحمٌ ولا دَمٌ ولا هو إلا أَعْظُمٌ تَتَقَعْقَعُ
وعَيْنَيْنِ قد أعماهما كَثْرَةُ البُكا وأُذْنٍ عَصَتْ عُذَّالها ليس تَسْمَعُ[٤]

السَّنة الرابعة والثلاثون وخمس مئة

فيها ولد لمسعود ولدٌ ذكر من بنت قاروت بك، فغلقت بغداد سبعة أيام، وفشت المنكرات، فجاء ابنُ الكوَّاز الزَّاهد إلى [باب][٥] بنت قاروت بك، وقال: إنْ أزلتم هذه المنكرات، وإلا لزمنا المساجد والجوامع، وشكوناكم إلى الله تعالى. فحطُّوا التَّعاليق، ومات الولد.

وفيها دخلت خاتون بنت محمد زوجة المقتفي بغداد في تجمُّلٍ عظيم، وكانت قد وصَلَتْ مع أخيها مسعود، وأقامت عنده بدار المملكة، ثم زُفَّت إلى الخليفة وبين يديها

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وهو الموافق لما في «الخريدة»، وعنه ينقل المصنف، وفي «المغرب»: أن الذي استوزره هو أبو بكر بن تيفلويت صاحب سرقسطة، وذكر محققه الدكتور شوقي ضيف في حاشيته أن ابن ذاكور قال في شرحه لقلائد العقيان: إنه وزر لعلي بن يوسف بن تاشفين، ونقل المقري في «نفح الطيب»: ٧/ ٢٨-٣٠ . عن ركن الدين بيبرس أنه وزر لأبي بكر صاحب سرقسطة، ووزر أيضاً ليحيى بن يوسف بن تاشفين، والله أعلم.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش): الروح.

(٤) انظر «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٣٣٢-٣٣٣ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

زوجةُ السُّلْطان مسعود بنت دُبَيْس، وبنت قاروت بك، والوزير شرف الدِّين يحجبها، والمَهْدُ بين يديها، ومراكبُ الخليفة، وكان ذلك في جمادى الأُولى.

وفي رجب تزوَّج مسعود بينت المقتفي، وحَضَرَ الوزراء والقضاة والشُّهود والأشراف، وتمكَّن ابنُ طِراد الوزير من الدَّوْلتين، ثم جَرَتْ بينه وبين الخليفة وَحْشةٌ، فالتجأ إلى دار المملكة، واستناب الخليفةُ في الدِّيوان ابنَ الأنباري، وقيل: إنَّ الخليفة استوزر نظام الدِّين ابن جَهِير.

وفيها توفي رجلٌ صالح من أهل باب الأَزَج، واجتمع النَّاس، ونُودي للصَّلاة عليه، فوضعوه على سريره ليغسلوه، فَعَطَس، وقام قائماً [فعجب الناس][1]، وحَضَرَتْ جِنازةٌ أُخرى، فصلَّى ذلك الجَمْعُ عليها.

وفيها عاد أتابك زنْكي من بَعْلَبَك بعد أن أفنى من قاتله بها، ونفرتِ القلوبُ منه، ونزل على داريا، وخَرَجَ إليه بعضُ عسكر دمشق وأحداثها، فقاتلوه، فظفر بهم، وأطلق فيهم السَّيْف قَتْلاً وأَسْراً، وراسَلَ جمالَ الدِّين محمد صاحبَ دمشق، وأَنْ يعطيه حِمْص وبَعْلَبَك وما يختار، فمال إلى الصُّلْح طلباً لحقن الدِّماء، فما وافقه أُمراؤه، وابتدأ به مَرَض طال، وتوفي في شعبان، وكان نزولُ أتابك عليها في ربيع الأَوَّل، واتَّفق موتُ محمد في الوقت الذي أُصيب فيه أخوه محمود، وفي تلك الساعة، ودُفن في تُرْبة جَدَّته بباب الفراديس.

وأقاموا ولده عضب الدولة أبو سعيد أبق بن محمد مكانه، وأُخذت له الأَيْمان على الطَّاعة، وعَرَفَ زَنْكي ذلك، فزحف بعسكره إلى البلد طامعاً فيه، وظَنَّ أَنَّ الخُلْفَ يجري بين المقدَّمين، فجاء الأمر بالعكس، وثَبَتَ له العسكر وأحداثُ دمشق، وقاتلوه قتالاً شديداً، وقالوا: هذا كذَّابٌ غدَّار، سفَّاكٌ للدِّماء، وقد رأيتم ما فعل بأهلِ بَعْلَبَك. وقام بقتاله معين الدِّين أُنَر، فَضَعُفَتْ نفسُ أتابك، ورَجَعَ إلى داريا، وكان أُنَر قد بذل للفرنج مالاً ليدفعوا زنكي عنهم، وحمل إليهم المال، والرَّهائن من أقارب المقدَّمين، فاجتمعوا من الحصون والبلاد ليصدُّوه عن دمشق، فلمَّا تحقَّق ذلك رَحَلَ عن دمشق في رمضان طالباً حوران، على نية لقاء الفرنج إن جاؤوا، ثُمَّ عاد في شوَّال إلى غوطة

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

دمشق، ونزل بمرج عَذْراء، فأحرق عِدَّة ضياعٍ من المرج والغوطة، منها حَرَسْتا، وبلغه نزول الفرنج بالميدان في جموعهم، فرحل إلى بَعْلَبَك.

وخرج أُنَر في العسكر، وحاصر بانياس، وفتحها في آخر هذه السنة، وسَلَّمها إلى الفرنج، وكان ذلك في صُلْح الفرنج، وأنهم يسلمونها إليهم.

وبَعَثَ زنكي من بَعْلَبَك يستدعي التركمان من أماكنهم، وخرجت السنة على هذا، ولما عاد أُنَر إلى دمشق ما رأى في يوم السبت سابع ذي القَعدة إلا وزَنْكي قد صَبَّحهم جريدةً على غِرَّةٍ، وقَرُبَ من السُّور، وعَلِمَ النَّاس، فركبوا الأسوار، وفتحوا الأبواب، وخرجوا إليه، فَرَدُّوه، فنزل تل راهط، وساق من الخيل والغنم والجمال والدَّوابّ ما لا يحصيه إلا الله تعالى، ورحل نحو الشمال.

وحَجَّ بالنَّاس نَظَر.

وفيها توفي

أحمد بن جعفر[1]

ابن الفرج، أبو العَبَّاس، الحَرْبي.

كان من الأبدال، لم يتكلَّم فيما لا يعنيه، حسن السمت، كثير العبادة، رآه بعضُ أصحابه بعرفات وهو بالحَرْبية لم يحجَّ في تلك السَّنة.

ودخل عليه بعضُ أصحابه قبل موته بيوم، فقال له: إذا كان غداً واتَّفق ما يكون - يعني موته - فاخْرُجْ من الحَرْبية، فإنَّك ترى شيخاً قائماً عند العقد، فقل له: ماتَ أحمد ابن جعفر. فلما مات خَرَجَ الرجل، فإذا بالشيخ قائم، فقال له الشيخ: مات أحمد. قال: نعم. قال: ومشيت خلفه، فغاب عني.

ودُفِنَ بباب حَرْب. [سمع أبا عبد الله الحسين بن أحمد النِّعالي وغيره][2].

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٦، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٩١.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أحمد بن منصور بن المُؤَمَّل[(١)]

أبو المعالي، الغَزَّال، مشرف المارَسْتان العَضُدي.

جاء رجلٌ ليلة الجمعة ثامن عشرين ربيع الآخر[(٢)]، فقال له: رأيتُ البارحة في المنام كأنَّك قد متَّ. وأشار إلى مكان إلى جانب المارَسْتان، فقال لأصحابه: ترحموا عليَّ، ثم مضى إلى جامع المنصور، فصلى الجمعة، ثم عاد، فلما وصل إلى ذلك المكان الذي عَيَّنه الرجل وقع، فمات فجأة، ودُفِنَ بباب حرب. [سمع أبا الحسين بن النَّقور وغيره، وكان ثقةً][(٣)].

جوهر خادم السُّلْطان سنجر[(٤)]

كان حبشياً، [ويلقب بالمقرَّب، وكان][(٣)] حاكماً على الدَّوْلة، جاء باطنيٌّ في صورة امرأةٍ، فاستغاث به، فوقف، فرمى الإزار، ووَثَبَ عليه فقتله، وقُتِلَ، وعَزَّ على [السُّلْطان][(٣)] سنجر.

[فصل، وفيها توفيت:

فاطمة بنت عبد الله الخَبْرِي الفَرَضي[(٥)]

ولدت في جُمادى الأُولى من سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، وتوفيت ليلة الاثنين خامس رجب، ودفنت بباب أبرز، وكانت صالحة زاهدة، سمعت الحديث من أبي جعفر بن المُسْلمة، وابن النَّقور وغيرهم.

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٧، وأشار الذهبي إلى وفاته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٦٥.

(٢) في (م) و(ش): الأول.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٧، و«الكامل»: ١١/ ٧٦-٧٧، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٦.

(٥) لها ترجمة في «الأنساب»: ٥/ ٣٩-٤٠، و«المنتظم»: ١٠/ ٨٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٦-٢٠٨، و«اللباب»: ١/ ٤١٨ - ٤١٩، وأشار الذهبي إلى وفاتها في «السير»: ٢٠/ ٦٥ والخبري، بفتح الخاء المعجمة، وسكون الباء الموحدة في آخرها الراء، هذه النسبة إلى خَبْر، وهي قرية بنواحي شيراز من فارس.

وذكرها جدِّي في «مشيخته»، فقال: فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخَبْرِي خالة أبي الفَضْل بن ناصر، وأثنى عليها، رحمها الله تعالى[١].

وفيها توفي:

محمد بن بُوري صاحب دمشق[٢]

وكنيته أبو المُظَفَّر، ولقبه جمال الدين، كان حسن السيرة[٣]، وكانت ولايته لدمشق سنة، وقد ذكرناه[٤].

فصل: وفيها توفي:

المهدي بن محمد، أبو البركات الواعظ[٥]

نشأ ببغداد، وكان حسن العبارة، وسمع الشيوخ، وسافر إلى الشرق إلى جَنْزَة، فَخُسِفَ بها، وهلك من المسلمين خَلْقٌ كثير، وكان مِمَّن هلك.

سمع ابن البَطِر، وأبا الخَطَّاب الكَلْواذاني[٦] وغيره، وكان صالحاً، ثقة] [٧].

يحيى بن علي بن عبد العزيز[٨]

أبو الفَضْل، قاضي دمشق.

---

(١) انظر «مشيخة ابن الجوزي»: ٢٠٦، ٢٠٨.

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ٦٨، ٧٣، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٩٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٢٧٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥١ وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، وقال الذهبي والصفدي: إنه كان سيئ السيرة.

(٤) انظر ص ٣١٩، ٣٢٢.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٨٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٢.

(٦) ابن البطر يكنى أبا الخطاب، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٤٩٤هـ)، ولم يذكر من ترجم لمهدي بن محمد سماعه من أبي الخطاب الكلواذاني، فلعله وهم لتماثل الكنية بين الاثنين، والله أعلم، انظر «المنتظم»: ١٠/ ٨٨.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٨/ ١٦٩، و«الكامل»: ١١/ ٧٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٤-٣٣٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٦٣-٦٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وهو جَدُّ الحافظ ابن عساكر لأُمه، ولد سنة أربعٍ وأربعين وأربع مئة، وتفقَّه ببغداد على أبي بكر الشَّاشي، وبدمشق على القاضي المَرْوَزي، وحَجَّ على العراق سنة خمس عشرة وخمس مئة، ورأى الخطيبَ ولم يسمع منه، [وسمع من نَصر المقدسي وطبقته، وروى عنه سِبْطُه الحافظ ابن عساكر][(١)].

وتوفي بدمشق، ودفن بمشهد القدم، [وكان ثقةً، حافظاً، كثير العلم والحديث][(١)].

السَّنة الخامسة والثلاثون وخمس مئة

فيها نَقَلَ المقتفي المُظَفَّر بن محمد بن جَهِير من الأُستاذ دارية إلى الوِزَارة.

وفيها قدم [بغداد][(١)] رجلٌ من السَّواد، فسكن قريةً على باب بغداد، وأظهر الزُّهْد، فقصده الناس [من كل جانب][(١)]، واتَّفق أنَّه مات لبعض [أهل][(١)] السَّواد ولدٌ، فدفنه قريباً من قبر السبتي[(٢)]، فمضى ذلك المتزهِّد، فَنَبَشه، ودفنه في موضعٍ آخر، ثم أصبح، فجاءَ إليه زوَّارُه. فقال: رأيتُ البارحة عليَّ بنَ أبي طالب، فقال لي: إنَّ بعض أولادي في المكان الفلاني. فانقلبت بغداد، وجاء النَّاس يُهْرعون إليه، وسألوه أن يُريهِم المكان، فجاء إلى الموضع الذي دَفَنَ فيه الصَّبيَّ، فحفر، فظهر الصَّبيُّ، [وكان أمرد][(١)]، فمن وَصَلَ إلى قطعةٍ من أكفانه فكأنه قد ملك الدُّنيا، وجاؤوا بالبخور والشموع والماء الورد، وأخذوا تراب القبر للتَّبرك، وجعل النَّاس يقبِّلُون يد الزَّاهد، ويبكون ويخشعون، وبقوا أياماً على هذا، والميت مكشوفٌ يراه كلُّ أحد، فتغيَّرت رائحتُه، وجاء حُذَّاق بغداد، فقالوا: هذا له منذ أربع مئة سنة، وكيف تتغير رائحته! وجاء السَّوادي يزور الزَّاهد، ويتبرَّك بالقَبْر، فاطَّلع فيه، فعرفه، فصاح وقال: ولدي والله، وكنت دَفَنْتُه عند السبَتي، فقوموا معي. فقاموا، وجاؤوا إلى المكان، فنبشوه فلم يروا فيه أحداً، وهَرَبَ الزَّاهد، وتبعوه، فأخذوه وقرَّروه، فاعترف، وقال: إنما عملتُ ذلك حيلةً. فشهَّروه على جَمَلٍ، وعزَّرُوه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا، ولعلها السِّبتي.

وفيها فُتِحَتْ المدرسةُ التي بناها ابنُ طلحة صاحب المخزن ببغداد، وحَضَرَ قاضي القُضَاة الزَّيْنبي وأربابُ الدولة والفقهاء، ودَرَّسَ بها أبو الحسن ابن الخَلّ.

ووصل رسولٌ من عند سنجر، ومعه البُرْدة والقضيب وكانتا مع المسترشد، فدفعهما إلى المقتفي.

قال ابنُ القلانسي: وفيها ملكت الإسماعيلية حِصن مصياث بحيلةٍ دُبِّرت لهم [فيه، يعني أنَّه ما أُخذ بقتال][1].

وحج بالنَّاس نظر الخادم.

فصل: وفيها توفي

إسماعيل بن محمد بن الفضل[2]

أبو القاسم، الطَّلْحي، الأَصبهاني.

ولد سنة تسعٍ وخمسين وأربع مئة[3].

وسافر إلى البلاد [وسمع الكثير، وأملى بجامع أصبهان قريباً من ثلاثة آلاف مجلس][4]، وهو إمامٌ في الحديث والتفسير واللُّغة، حافِظٌ مُتْقن، وكانت وفاته ليلة عيد الأضحى بأَصبهان. [وحكى ابنُ ناصر أَنَّ غاسله لما أراد أن ينحي][5] الخِرْقة عن سوأته وقت الغُسْل جَذَبها إسماعيل من يده، وغطَّى بها فَرْجه، فقال الغاسل: أحياة بعد الموت؟!

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٢٨.

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٣/ ٣٦٨-٣٦٩، و«المنتظم»: ١٠/ ٩٠، و«اللباب»: ١/ ٣٠٩-٣١٠، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ٥٠-٥٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٨٠-٨٨، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(٣) وكذلك هو في «المنتظم»، وتابعهما ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٧، وفي باقي المصادر: سنة سبع وخمسين وأربع مئة.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و(ح): ولما أراد غاسله أن ينحي الخرقة، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

إسماعيل بن فضائل [بن سعيد][(١)] أبو محمد، البَدْليسي[(٢)]

[وبَدْليس: بلدة قريبة من خِلاط، ذكره الحافظ ابن عساكر[(٣)]، وقال][(١)] : أقام إماماً بجامع دمشق نيِّفاً وثلاثين سنة [يؤمُّ النَّاس ويتلو القرآن، فظهر عليه شيء من اعتقاده من ميله][(٤)] إلى التشبيه، فعزل [عن الإمامة][(١)] في رمضان سنة ثمان وعشرين [وخمس مئة][(١)]، ونُصِبَ مكانه أبو محمد ابن طاوس، وجرى في ذلك [مرافعات و][(١)] تعصُّبات، فاستقرَّ الأمر أن لا يبقى في الجامع مَنْ يصلِّي إماماً غير إمام الشَّافعية والحنفية [لا غير][(١)] ، وبَطَلَتْ إمامةُ المالكية والحنابلة.

[فصل، وفيها توفي:

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد[(٥)]

أبو منصور القَزَّاز، ويُعرف بابن زُرَيْق.

كان من أولاد المحدِّثين، وسمع الكثير، وكان صالحاً خَيِّراً، كثيرَ السكوت، صَبُوراً على العُزْلة عن النَّاس، وكانت وفاته في شوال، ودفن بباب حَرْب.

سمع ابن المهتدي وأبا الغنائم، وابنَ الدَّجاجي، والخطيب، وأبا جعفر ابن المُسْلمة، وخَلْقاً كثيراً، وهو شيخُ جَدِّي أبي الفرج، وشيخ شيخنا تاج الدين الكِنْدي، ومن رواياته تاريخ الخطيب، عن الخطيب، ورواه عنه، جدي والكندي، وقد ذكرناه، وذكره جدِّي [في «مشيخته»][(٦)]، وأثنى عليه][(١)].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٢٩ .

(٣) ترجمته في القسم المخروم من نسخة «تاريخ ابن عساكر» التي بين يدي.

(٤) في (ع) و(ح): وثلاثين سنة، وظهر عليه يميل إلى التشبيه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) له ترجمة في «الأنساب»: ٦/ ٢٧٤ ، ١٠/ ١٣٢ ، و«المنتظم»: ١٠/ ٩٠ ، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٢٣-١٢٥ ، و«اللباب»: ٢/ ٦٧ ، ٣/ ٣٣ ، و«توضيح المشتبه»: ٤/ ١٨٢ و٨/ ٢٣-٢٤ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٦٩-٧٠ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (ش)، وانظر «المشيخة»: ١٢٣-١٢٥ .

محمد بن عبد الباقي، أبو بكر الأنصاري[(١)]

من ولد كعب بن مالك، أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا[(٢)] [ويعرف بقاضي المارَسْتان، ويعرف أبو بكر أيضاً بابن أبي طاهر.

ولد بالنَّصرية غربيِّ بغداد، ونشأ بها، وقال جَدِّي: كُنَّا إذا سألناه عن مولده يقول: أَقْبلوا على شأنكم. ثم أسند هذا اللفظ إلى مالك بن أنس[(٣)] أنه كان يقول ذلك. وفي روايةٍ: لا ينبغي لأحدٍ أَنْ يُخْبِرَ بمولده، لأَنَّه إنْ كان صغيراً استحقروه، وإنْ كان كبيراً استهرموه][(٤)].

وكان [الأنصاري][(٥)] ينشد: [من الكامل]

احْـفَـظْ لـسـانَـكَ لا تَـبُـحْ بـثـلاثـةٍ سـنٍّ ومـالٍ مـا اسـتـطـعـتَ ومَـذْهَـبِ
فـعـلـى الـثَّـلاثـةِ تُـبْـتَـلـى بـثـلاثـةٍ بِـمُـمَـوِّهٍ ومُـكَـفِّـرٍ ومُـكَـذِّبِ

وقال: مولدي يوم الثّلاثاء عاشر صَفَر سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة.

[قال][(٥)]: وحضر منجِّمان عند ولادتي، فأجمعا على أني أعيش اثنتين وخمسين سنة، وها أنا قد جاوزت التِّسْعين.

وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، [وأول سماعه الحديث من البَرْمكي في سنة خمس وأربعين وأربع مئة حضوراً][(٥)] وتفقَّه على [القاضي أبي يعلى][(٥)] ابن الفَرَّاء الحَنْبلي، [وشهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدّامغاني][(٥)]، وعَمِرَ حتى ألحق

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ١٢/ ٩٤، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٥/ ٥٨٢-٥٨٤، و«المنتظم»: ١٠/ ٩٢-٩٤، و«معجم البلدان»: ٥/ ٢٨٨، و«اللباب»: ٣/ ٣١١-٣١٢، و«الكامل»: ١١/ ٨٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٣-٢٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) و(ح): أحد الثلاثة الذين خلفوا، كان: إذا سئل عن مولده.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (م) و(ش): أنس بن مالك، وهو قلب، صوابه مالك بن أنس كما في «المنتظم».

(٤) بعد هذه العبارة في (م) و(ش): وكان الشافعي إذا سئل عن مولده يقول للسائل: أقبل على شأنك.

قلت: وهذه العبارة ليس موضعها هنا بعد أن اختصر إسناد هذه الحكاية، إذ إن الشافعي يرويها مسلسلة عن مالك بن أنس، انظر «المنتظم»: ١٠/ ٩٢.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الصِّغار بالكبار، وكان كريمَ الأخلاق، حَسَنَ المعاشرة. [قال جدي: وكنت أجلس بجامع المنصور، وأنا صبيٌّ، فيأتي فيقفُ مِنْ ورائي، فيسلِّمُ عليَّ وأنا على المِنْبر، وكان يُمْلي الحديثَ في جامع القَصر باستملاء أبي الفَضْل ابن ناصر. قال: وقرأتُ عليه الحديث، وكان][(١)] حُجَّةً في علومٍ كثيرة، وانفرد بعِلْم الفرائض. وكان قد خرج في قافلةٍ، فأُسر، فَقُيِّد وغُلَّ وعُذِّبَ على أن يتنَصَّر، فلم يفعل، وتعلَّم عندهم الخَطَّ الرُّومي، وأقام في الأَسر سنةً ونصفاً، ثم أُطْلق. وقال: ما أَعلم أنِّي ضَيَّعْتُ من عُمُري ساعةً قطُّ[(٢)].

[قال جدِّي: وسمعته يقول][(٣)]: كُنْ على حَذَرٍ من الكريم إذا أَهَنْتَه، ومن اللَّئيم إذا أَكْرَمْتَه، ومن العالم إذا أَحْرَجْتَه، ومن الأَحْمق إذا مازَحْته، ومن الفاجر إذا عاشَرْته، ومَنْ خَدَمَ المحابر خَدَمَتْه المنابر[(٢)].

وكانت وفاته يوم الأربعاء ثاني رجب عن ثلاثٍ وتسعين سنة، وصُلِّي عليه بجامع المنصور، وحضره قاضي القضاة الزَّيْنبي، وأربابُ الدولة، وحُمِلَ إلى [مقابر][(١)] باب حرب، فدفن عند أبيه قريباً من [قبر][(١)] بِشْر الحافي، وماتَ وهو صحيح الحواسِّ لم يتغير عليه شيء، وكان يقرأ الخَطَّ الدقيق من بعيد، وأَوْصى أنْ يكتبَ على قبره ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة ص: ٦٧-٦٨] [سمع خلقاً كثيراً، وكانت له إجازات][(١)]، وأجمعوا على زهده وصِدْقه، وفضله وعدالته.

[قال: وأنشدني][(٤)]: [من الكامل]

لــي مُــدَّةٌ لا بُــدَّ أَبْــلُــغُــهــا ... فــإذا انْــقَــضَــتْ وتَــصَــرَّمَــتْ مِــتُّ
لــو عــانَــدْتــنــي الأُسْــدُ ضــاريــةً ... مــا ضَــرَّ بــي مــالــم يــجــي الــوقــتُ[(٥)]

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) انظر «المنتظم»: ١٠/ ٩٣.
(٣) في (ع) و(ح)، وقال.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) في (ع) و(ح): وكان ينشد.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٥) انظر «المنتظم»: ١/ ٩٤.

يوسف بن أيوب بن يوسف[(١)]

أبو يعقوب[(٢)] ، الهَمَذَاني.

نزل مَرْو، وقَدِمَ بغداد [بعد الستين وأربع مئة][(٣)]، وتفقه على أبي إسحاق الشِّيرازي وسمع المشايخ، وعاد إلى مَرْو، وتشاغل بعلم المعاملات وتربية المريدين، ثم قدم بغداد سنة ستٍّ وخمس مئة، وَوَعَظَ بها، فقام إليه ابنُ السَّقَّاء، فآذاه، فقال له: اقعد، فكأنِّي أَشُمُّ من فِيْك رائحة الكُفْر. فاتَّفق أَنَّ ابنَ السَّقَّاء خَرَجَ إلى الرُّوم، فتنصَّر، [وقد ذكرناه][(٣)] ، وكانت وفاتُه بقريةٍ من قرى هَرَاة، [ولما قدم بغداد سمع الخطيب، وابن المهتدي، وغيرهم][(٣)]، وكان صالحاً ثقة.

قلت[(٤)]: كان صاحب هذه الترجمة عظيم الشَّأْن، أحد أركانِ الإسلام، انتهت إليه تربيةُ المريدين بخُراسان، واجتمع عنده بخانقاته من العُلَماء والصُّلَحاء جماعةٌ، وانتفعوا بكلامه، وتخرَّجوا بصُحْبته، وكان المشايخ يعظِّمون قَدْره، وله كلام حسنٌ على لسان أهل الحقيقة[(٥)]. وقال إبراهيم بن علي الجُوَيْني[(٦)]: أخبرنا أبي، قال: سمعتُ أبي يقول: كان الهَمَذَانيُّ يوماً يتكلَّم على النَّاس، فقال له فقيهان كانا في مجلسه: اسكت، فإنما أنتَ مُبْتدع، فقال لهما: اسكتا لا عشتما. فماتا مكانهما[(٧)].

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٢/ ٣٣٠-٣٣١ ، و«المنتظم»: ٩/ ١٧١ ، و١٠/ ٩٤-٩٥ ، و«صفوة الصفوة»: ٤/ ٧٩-٨٠ ، و«اللباب»: ١/ ١٦٨ ، و«الكامل»: ١١/ ٨٠ ، و«وفيات الأعيان»: ٧/ ٧٨-٨١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٦٦-٦٩ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع): أبو يوسف، وفي (م) و(ش): ابن يعقوب، والمثبت من (ح)، وهو الصواب.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هذا القول حتى نهايته في (ع) و(ح) فحسب، ولم يرد في (م) و(ش)، وقائله هو مختصر «مرآة الزمان» قطب الدين اليونيني.

(٥) ساق الشعراني بعض أقواله في «طبقاته»: ١/ ١١٧ ، ويبدو أن المصدر الذي ينقل عنه الشعراني هو المصدر نفسه الذي أخذ منه اليونيني، والله أعلم.

(٦) في «طبقات الشعراني»: ١/ ١١٧ : إبراهيم بن الحوفي، ولم أقف على ترجمته ولا ترجمة أبيه.

(٧) أليست هذه القصة هي تحريف مغالٍ لتلك القصة التي أوردها سبط ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٠٦هـ) ناقلاً لها عن جده في «المنتظم»: ٩/ ١٧١ ، وهي أن ابني أبي بكر الشاشي قالا له: إن كنت تتكلم على مذهب الأشعري، وإلا فلا تتكلم. فقال: اجلسا لا متعكما الله بشبابكما. فماتا ولم يبلغا الشيخوخة. وقد أوردها =

وبالإسناد: أَنَّ الفرنج أسروا ولداً لامرأةٍ من أهل هَمَذَان، فجاءت إلى الشيخ يوسف باكيةً، فصبَّرها، فلم تَصبِرْ، فقال: اللهم فُكَّ أسره، وعَجِّلْ فَرَجَه. ثم قال لها: اذهبي إلى دارك تجديه بها. فذهبت، فإذا ولدُها في الدَّارِ، فعجبت، وسألته، فقال: إني كنت الآن بالقُسْطَنْطينية العُظْمى، والقيود في رِجْلَيَّ، والحُرَّاس عليَّ، فأتاني شخصٌ ما رأيته قبل، واحتملني وأتى بي إلى هنا كلَمْح البَصَر. فجاءت إلى الشيخ، فقال لها: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٧٧] رحمة الله عليه.

السَّنة السَّادسة والثلاثون وخمس مِئة

فيها في المحرَّم كانت وقعةٌ عظيمة بين سنجر وكافر تُرْك؛ [أخذ الله للمسترشد بالثار، وأحَلَّ به الهلاك والبوار، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]][1] وسببُها أَنَّه كان بما وراء النَّهْر الغُزُّ؛ وهم طائفةٌ من التُّرْك بنواحي سَمَرْقَنْد في مروجها ومراعيها، ولهم أموالٌ كثيرة ومواشٍ، وأهل تلك النَّاحية ينتفعون بهم وهم يَعِفُّون عن مالِ غيرهم، ولا يطلقون دوابَّهم في زَرْعِ النَّاس، ولا يُؤْذون أحداً. وبلغ سنجر خبرهم، فجهَّز إليهم العساكر، فأوقعوا بهم، ونهبوا أموالهم، وسَبَوْا نساءهم، وهتكوا البناتِ، وقتلوا منهم طائفةً، وانحازوا إلى ناحية أروجند[2]، وبعثوا مشايخهم إلى سنجر، وقالوا: نحن قومٌ أهلُ صحارى وبراري وخراب، لا نؤذي أحداً، ولا نخيف السَّبيل، فكُفَّ عنا ونحن نجعل لك في كلِّ سنة خمسة آلاف فرس، وثلاثين ألف رأس من الغنم، وكذا وكذا من المال. فلم يلتفت إليهم، وأطمعه أمراؤه فيهم، فعاد مشايخهم وأخبروهم، فقصدوا خاقان ملك الخطا مستصرخين به، وأطمعوه في بلاد الإسلام، فجمع، وسار معهم في سبع مئة ألف مقاتل، وكان سنجر قد قتل أخا خوارزم شاه، وبين خوارزم شاه وخاقان هُدْنةٌ ومصاهرة، فانضمَّ إلى خاقان

= كذلك السمعاني فيما نقله عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٦٨ . وقد أورد هذه القصة بلفظها هذا مع خبر المرأة الآتي الشعراني في «طبقاته»: ١/ ١١٧ ، وعنه النبهاني في «جامع كرامات الأولياء»: ٢/ ٢٨٩ .

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) أورصد، وفي (ح) أروجند، ولم أقف عليها.

في خمسين ألفاً، وبلغ سنجر، فجمع، وقطع النهر في مئة ألف مقاتل، والتقى الفريقان في صحراء سَمَرْقَنْد، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ مِثْلُه في جاهليةٍ ولا إسلام، واقتتلوا قتالاً شديداً، وانكشف سنجر وقد قُتِلَ عامَّةُ أصحابه، وانهزم في ستة أنفس، وأسرت زوجته وأولاده، وجواريه وابنته، وهُتك حريمه، وقُتِلَ عامَّةُ أمرائه، وقتل معه اثنا عشرة ألف عِمامة كلُّهم رؤساء وفقهاء؛ فيهم الحسام بن مازة[1]، وأُسر أبو الفَضْل الكَرْماني؛ صاحب «الجامع الكبير».

وعبر خوارزم شاه واسمه أنزاك[2] بَلْخ، ونَزَلَ فيها مراغمةً لسنجر، فَنَهَبَ وقتل وسبى خَلْقاً لا يحصون، ومضى سنجر إلى تِرْمِذ، فلما دخلها افتقد أهله، فلم ير أحداً، فسأل عن الأُمراء، فقيل: قُتِلوا، وأُخذ من خزائنه، وأمواله وذخائره وخيله، ولم يُفْلت إلا في ستة أَنْفُس، وأقام أياماً لم يجد ما يأكل. وكانت هذه الوقعة سببَ بواره.

ووصل الخبر إلى بغداد، فانكسرت هِمَّة مسعود، وذَلَّ.

وعاد صاحب خوارزم إليها، ونزل خاقان في مروج سمرقَنْد، وجَمَعَ إليه الغُزَّ، واقتسموا الأموال والغنائم، وأُحصي مَنْ قُتِلَ من أصحاب سنجر، فكانوا سبعين ألفاً، وأخذوا من النِّساء عشرة آلاف امرأة، وقتل أربعة آلاف.

وكان المقتفي قد غَضِبَ على وزيره ابنِ طِراد، وعَزَلَه، فدخل على مسعود، وسأله أن يشفع فيه إلى الخليفة، ويُعيده إلى داره، فقال مسعود لوزيره: خُذْه، واذهبْ به إلى الخليفة، وقُلْ له: إن سنجر ومسعوداً يسألان أمير المؤمنين فيه. فدخل وزيرُ مسعود على الخليفة، وقبَّلَ الأرضَ، وأدَّى الرِّسالة، وقال له: خُذْه، وإن كان قد بدا منه سيئة فأمير المؤمنين أهل العفو عنه، وما زالت العبيد تجني والموالي تعفو. فَشَرَعَ الخليفة يُعِدُّ سيئاته، والوزير يقول: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾ [النور: ٢٢] فقال الخليفة: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ﴾ [المائدة: ٩٥] قد عفونا عنه بشفاعة السُّلْطانين.

---

(١) في (ع) و(ح): ابن مامه، وهو خطأ، وسيأتي اسمه على الصواب في ترجمته ص ٣٣٥ من هذا الجزء.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، ولم أتبينها.

وحجَّ بالناس نظر الخادم.

[فصل: وفيها توفي

أحمد بن محمد بن علي[١]

ابن محمود، أبو سَعد، الصوفي، الزَّوْزَني.

ولد في ذي الحِجَّة سنة تسع وأربعين وأربع مئة، وسمع الحديث الكثير، وتوفي يوم الخميس تاسع عشرة شعبان، ودفن يوم الجمعة عند رباط جده أبي الحسين الزَّوزني حذاء جامع المنصور.

سمع القاضي أبا يعلى بن الفرَّاء، وغيره. وقد تكلم فيه أبو سَعد بن السَّمْعاني، فقال: كان يشرب.

قال جدي: ولا أدري من أين كان له ذلك، ولا يلتفت إلى ابن السمعاني، فإن أبا الفَضْل بن ناصر قال: رأيته في المنام وعليه ثياب حسنة، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. فقلت: وأين أنت؟ فقال: مع أبي في الجنة][٢].

فصل: وفيها توفي

إسماعيل بن أحمد[٣]

ابن عمر بن أبي الأشْعث، أبو القاسم، السَّمَرْقَنْدي.

ولد بدمشق في رمضان سنة أربع وخمسين وأربع مئة [وسمع شيوخ دمشق، ثم قدم بغداد فسمع شيوخها، وكان دلالاً يبيع الكُتُب][٤]، وكان فيه يقظة، وله معرفةٌ بالحديث.

وقال أبو العلاء الهَمَذَاني: ما أَعدِلُ به أحداً من شيوخ خراسان ولا العراق.

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٦/ ٣٢٢، و«المنتظم»: ١٠/ ٩٧-٩٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٩٩-١٠٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٧-٥٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ٩٧-٩٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٠٠.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢/ ٨١٩، و«المنتظم» ١٠/ ٩٨-٩٩، و«الكامل»: ١١/ ٩٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٨-٣١، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد سلفت ترجمة أخيه أبي محمد ص ١٦٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام، وهو مريضٌ، وقد مدَّ رِجْله، فجعلتُ أُقَبِّل أخمص قَدَمَيْه وأُمرِّغ وجهي عليهما، فحكيت هذا المنام لأبي بكر بن الخاضبة، فقال: أَبْشِرْ يا أبا القاسم بطُول البقاء، وانتشار الرِّواية عنك لأحاديث رسولِ الله ﷺ، فإنَّ تقبيل قدميه اتِّباعٌ لأثره، وأما مَرَضُه ﷺ، فَوَهْنٌ يحدُثُ في الإسلام. فما أتى على هذا إلا قليلٌ حتى استولى الفرنج على بيت المقدس.

وكانت وفاته ليلة الثلاثاء سادس عشرين ذي القَعدة عن اثنتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر، ودفن بباب حَرْب [في مقام الشهداء](١)، غربيّ بِشْر الحافي [وهذه المَقْبُرة يسميها أهل بغداد مقابر الشهداء، يزعمون أن فيها قبور قوم شهدوا مع عليٍّ عليه السَّلام قتل الخوارج بالنّهروان وارْتُثُّوا(٢) في الوقعة، فلما رجعوا أدركهم الموت في هذه المقبرة. قال الخطيب: كان حمزة بن محمد بن طاهر ينكر هذا ويقول: لا أصل له(٣).

سمع ابنُ السَّمَرقَنْدي من ابن النّقور(٤) وغيره](١)، وكان يُنْشد: [من الطويل]

وأَعْجَبُ ما في الأَمْرِ أَنْ عِشْتُ بعدهُمْ ... على أنَّهم ما خَلَّفوا فيَّ مِنْ بَطْشِ

الحسام [عمر بن](٥) عبد العزيز ابن مازة(٦)

إمام الحنفية ببخارى، وصَدْرُ الإسلام.

كانت له الحُرْمة العظيمة، والنِّعْمة الجليلة، والمال الكثير، والتَّصانيف المشهورة، وكان الملوك يَصدُرون عن رأيه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ارتث فلان: حمل من المعركة جريحاً وبه رمق. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٥٤٦.

(٣) «تاريخ بغداد»: ١/ ١٢٦-١٢٧، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ٩٩، وحمزة بن محمد بن طاهر هو الدقاق، محدث، صدوق، توفي سنة (٤٢٤هـ)، وانظر ترجمته في «تاريخ بغداد»: ٨/ ١٨٤-١٨٥.

(٤) قال ابن عساكر في «تاريخه»: ٢/ ٨١٩: سمعته مرَّة يقول: أنا أبو هريرة في ابن النقور. يعني لكثرة ملازمته له وسماعه منه، فقلَّ جزء قرئ على ابن النقور إلا وقد سمعه منه مراراً.

(٥) ما بين حاصرتين ليس في (ع) و(ح)، واستدركناه من مصادر ترجمته، وقد جاء اسمه على الصواب عند ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٦٨، وهو كثير النقل عن سبط ابن الجوزي في «المرآة».

(٦) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ٨٦، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٦٤٩-٦٥٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٩٧، و«تاج التراجم»: ١٦١-١٦٢، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

ولما عَزَمَ سنجر على لقاء الخطا أخرجه معه، وفي صُحْبته من الفقهاء والخطباء والوعَّاظ والمُطَّوِّعة ما يزيد على عشرة آلاف، فَقُتلوا عن آخرهم، وأسروا الحسام وأعيانَ الفقهاء، فلما فَرَغَ المصافُّ أحضرهم ملكُ الخطا، وقال: ما الذي دعاكم إلى قتالِ مَنْ لم يقاتلكم، والإضرار بمن لم يضرَّكم؟ فأنتم سببُ الفساد؛ لأنكم تحرِّضون على قتال من لا آذاكم. فضرب أعناقَ الجميع، رحمهم الله تعالى.

محمد بن محمد بن أبي الوفاء[1]

القاضي الأَصبهاني، ولي القضاءَ بعَسْكَر مُكْرَم[2]، ودرَّس بالنِّظامية، وكان حَسَنَ السِّيرة، فاضلاً، وقيل: تأخَّرت وفاتُه إلى سنة سبعٍ وثلاثين، ومن شِعْره: [من المتقارب]

إذا لاحَ مِنْ أَرْضِكُمْ بُرْقَةٌ ... شَمَمْتُ الوِصالَ بإقبالها
ولو حَمَلَتْني الصَّبا نحوكُمْ ... تعلَّقُ رُوحي بأذيالها

هبة الله بن أحمد بن عبد الله[3]

ابن علي بن طاوس، [أبو محمد، المقرئ، البغدادي.

انتقل والده إلى دمشق، فأقام بها، فولد هبة الله في سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وكان فاضلاً، قارئاً، حسن التلاوة، وختم القرآن عليه خلق كثير، وأملى الحديث و][4] توفي في المحرَّم، ودفن بباب الفراديس، وحَضَرَه خَلْقٌ عظيم. [هذا صورة ما ذكره جدي في «المنتظم»[5]].

---

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١/ ١٤٤.

(٢) مدينة اختطها العرب قرب رستقباذ في خوزستان، وتنسب إلى مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف الثقفي، وخوزستان هي المعروفة الآن بعرب ستان، أي إقليم العرب، وقد زال اسم عسكر مكرم من الخارطة، ولكن موضعها تشير إليه الخرائب المعروفة باسم بندقير أي (سد القير) حيث يلتقي آب كركر بنهر كارون، انظر «معجم البلدان»: ٤/ ١٢٣، و«بلدان الخلافة الشرقية»: ٢٦٧، ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٣/ ٤١٠-٤١١، و«المنتظم»: ١٠/ ١٠١، و«معجم البلدان»: ٢/ ١٩٩، و«الكامل»: ١١/ ٩٠، و«اللباب»: ١/ ٣٢٢-٣٢٣، و«مختصر ابن عساكر» لابن منظور: ٢٧/ ٦٥، و«معرفة القراء الكبار»: ٢١/ ٩٤٥-٩٤٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٩٨-٩٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) «المنتظم»: ١٠/ ١٠١.

وذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: ابن طاوس][1] كان إمام جامع دمشق [سمع أباه وأبا العباس ابن قُبيس، وقيل: لم يلحقه، وكان قد قرأ القرآن بالسبعة على أبيه، وكان يؤدِّبُ الصبيان بسوق الأحد، فلما انتصب لإمامة جامع دمشق ترك ذلك، وكان ثقة، حسن الصَّوْت بالقرآن، صحيح الاعتقاد][1].

قال ابن عساكر: أنشدنا لعلي بن أحمد النُّعيْمي البَصري[2]: [من المتقارب]

إذا أَظْمَأَتْكَ أكُفُّ اللِّئامِ ... كَفَتْكَ القناعةُ شِبْعاً وَرِيَّا
فكُنْ رَجُلاً رِجْلُه في الثَّرى ... وهِمَّةُ هامتِهِ في الثُّريا
أبيًّا لنائِلِ ذي ثَرْوَةٍ ... تراه بما في يَدَيْه أبيًّا
فإنَّ إراقةَ ماءِ الحيا ... ةِ دونَ إراقةِ ماءِ المُحَيَّا

السَّنة السَّابعة والثلاثون وخمس مِئة

فيها بعث سنجر إلى مسعود يأمره بالتَّصرُّف في الرّي والمقام بها بحيث إنْ دَعَتْه حاجةٌ استدعاه؛ لأَجْل ما نُكِبَ به من الخطا.

وأمر الخليفةُ أن لا يُخاطب أحدٌ بمولانا الوزير.

وولى القاضي الزَّيْنَبي أبا يعلى محمد بن محمد بن الفَرَّاء قضاء واسط، وخرج إليها.

وفيها جمع سنجر العساكر، وعَزَمَ على قصد خوارزم شاه، وكان ملك الخطا قد عاد إلى بلاده، وجاء سنجر، فنزل على جيحون، وقال: لا بُدَّ من العبور إلى خوارزم شاه. وجاء خوارزم شاه إلى جانب جيحون، وبعث إلى سنجر الأموال التي أخذها من بَلْخ، وصناديقَ الجَوْهر، وضَمِنَ له مالاً، وقال للرسول: قُلْ له احقنِ الدِّماء، فإنَّ عَوْدَ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كان النعيمي حافظاً عارفاً، متكلماً شاعراً، توفي سنة (٤٢٣هـ)، له ترجمة في «تاريخ بغداد»: ١١/ ٣٣١-٣٣٢ ـ والأبيات فيه ـ و«سير أعلام النبلاء»: ١٧/ ٤٤٥-٤٤٧ ، و«طبقات علماء الحديث» لابن عبد الهادي: ٣/ ٣٠٥-٣٠٦ ، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

ملك الخطَا أسهلُ من كلِّ شيء. فقال سنجر: لا بُدَّ من العبور إليه. فركب سنجر في عساكره، وخوارزم في عسكره، وتقابلا[(١)] على جيحون، فانفرد خوارزم شاه من عسكره، ونزل، فقَبَّل الأرض لسنجر، فانصرف عنه إلى مَرْو.

وفيها ملكَ زَنْكي قلعة الحديثة التي على الفرات، ونقل ما كان بها من آل مُهارِش إلى المَوْصل، ورَتَّبَ فيها نوابه.

وفيها استولى مسعود بن قليج رسلان على بلاد الرُّوم؛ أخذها من محمد بن غازي، ويعرف بالدَّانْشمَنْد[(٢)]، وكان مقامه بمَلَطْيَة، فأخرجه منها[(٣)].

وحج بالنَّاس نَظَر الخادم.

فصل: وفيها توفي

الحسن بن محمد بن علي بن أبي الضَّوْء[(٤)]

أبو محمد، الشَّريف الحُسَيْني، نقيب مشهد موسى بن جعفر ﵄ ببغداد، ومن شِعْره مَرْثية في النَّقيب الطَّاهر، منها: [من الخفيف]

قَرِّبـانـي إنْ لـم يـكـن لـكُـمـا عَـقْـ ـرٌ [إلى جَنْبِ][(٥)] قبره فاعْـقِـراني

وانْـضَـحـا مـن دمـي عـلـيـه فـقـد كـا نَ دمـي مـن نَـدَاه لـو تَـعْـلَـمـانِ

(١) في (ح): وتقاتلا.

(٢) الدانشمند: لفظ فارسي بمعنى عالم أو ذكي أو ماهر، وهو يتألف من الكلمة الفارسية «دانش» بمعنى علم، والمقطع «مَنْد» بمعنى ذو أو صاحب، ويطلق هذا اللقب على الفقهاء، وقد أشار ابن الأثير إلى أن الدانشمند كان في أوليته معلماً للتركمان. انظر «الألقاب الإسلامية» د.حسن الباشا: ص٢٨٧، «الدانشمنديون»: ص١٦.

(٣) في «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٩٢ أن محمداً توفي في هذه السنة، واستولى عل بلاده مسعود بن قليج رسلان. وانظر «الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول» للدكتور علي بن صالح المحيميد: ص١١١-١١٤.

(٤) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٥/ ٣٥٦، و«الوافي بالوفيات»، ١٢/ ٢٣٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧١، وانظر «وفيات الأعيان»: ٢/ ٢٣٦ وقد ساق البيتين في ترجمة خالد الكاتب في قصة طريفة.

(٥) ما بين حاصرتين ليس في (ع) و(ح)، والمثبت من «النجوم الزاهرة».

الملك داود بن السُّلْطان محمود(١)

ابن محمد بن ملك شاه، صاحب أَذْربيجان الذي كسر مسعوداً(٢)، وجرت له معه حروبٌ كثيرة، واستولى على تلك النَّواحي.

ركب يوماً في سوق توريز، فوَثَبَ عليه قومٌ من الباطنية، فقتلوه غِيْلَةً، وقُتِلُوا، وقُتِلَ معه جماعةٌ، ودُفِنَ بتوريز، وكان شُجاعاً، جَوَاداً، عادلاً، يباشر الحروب بنفسه.

عبد المجيد بن إسماعيل بن محمد(٣)

أبو سَعد(٤)، الهَرَوي، الحنفي، قاضي بلاد الرُّوم.

له مصنفاتٌ في الأُصول، والفروع، وخُطَبٌ ورسائل، توفي بقَيْسارِيَّة في رجب، ومن شعره: [من الكامل]

وإذا أتيتَ إلى الكريم خديعةً ... فرأَيْتَه فيما تروم مُسارِعُ
فاعلَمْ بأنَّك لم تخادِعْ جاهلاً ... إنَّ الكريم بفَضْله يتخادَعُ

محمد بن عبد الله بن أحمد(٥)

أبو الفضل، [الخطيب](٦)، ابن المهتدي.

ولد في ذي الحِجَّة سنة تسع وأربعين وأربع مئة، [وسمع الحديث، وقرأ القرآن بالروايات، وشهد عند القاضي أبي الحسن الدَّامَغاني، و](٦) ردَّت إليه الخطابة بجامع المنصور، وجامع القَصر، وسَرَدَ الصَّوْم نيِّفاً وخمسين سنة، وكان رجلاً صالحاً.

---

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٣٣، و«الوافي بالوفيات» ١٣/ ٤٩٥، و«السلوك» للمقريزي: ج١/ ق١/ ٥٦، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧١-٢٧٢، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٢) انظر ص٢٩٦ من هذا الجزء.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٠/ ٤٤٤-٤٤٥، و«مختصره لابن منظور»: ١٥/ ١٨٥، و«معجم البلدان»: ١/ ٢٧٦، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٤٦٥-٤٦٦، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧٢، و«تاج التراجم»: ١٣٧-١٣٨، و«الفوائد البهية»: ١١٢.

(٤) في «الجواهر» و«النجوم» و«التاج»: أبو سعيد، وإخاله تصحيفاً.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٠٥، و«معرفة القراء الكبار»،: ٢/ ٩٤٨-٩٤٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١١٥-١١٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

توفي في جُمادى الأولى، ودفن قريباً من دِكَّة الإمام أحمد [بن حنبل[١]، عند جَدِّه لأمه أبي الوفاء ابن القَوَّاس بعد فتنةٍ؛ لأن الحنابلة منعوه لكونه شافعياً، فأمر المقتفي بذلك، ولم يلتفت إلى العامة. وقيل: إنَّه أوصى بذلك.

سمع أبا الحسين بن المهتدي، وأبا الغنائم بن المأمون، وطِراداً، وجدَّه لأُمه أبا الوفاء، وغيرهم، وكان ثقةً صالحاً].

السَّنة الثَّامنة والثلاثون وخمس مِئة

فيها قدم السُّلْطان مسعود بغداد في ربيع الآخر، فنزل أصحابُه في دور النَّاس، وكَثُرَ فسادُ العَيَّارين، وكان أبو الكرم الوالي قد عَزَلَ نفسه، وحلق رأسه، وقعد في رباط أبي النَّجيب، فأُعيد إلى الولاية، [وجعل العَيَّارون لهم][٢] عيوناً على [الناس من][٣] النِّساء [والرِّجالُ][٣]؛ يدخلون البيوت، ويهجمون على النَّاس، ويكبسون الخانات نهاراً، فيأخذون أمتعة التُّجَّار، فأُغلقت الدَّكاكين والخانات، ولبس النَّاس السِّلاح، وعَزَّ على مسعود ذلك، وغَلَّق النَّاسُ أبوابَ الجوامع، وكسروا المنابر، وظهر في العسكر رجلٌ عَيَّار مِنْ ولد قاروت بك ابن عمِّ السُّلْطان مسعود [ومعه جماعة][٤]، فأُخرجت العملات مِنْ داره، وكان نازلاً بدرب صالح، فأمر مسعود بصَلْبه، وصَلْبِ أصحابه، فصُلبوا على باب الدَّرْب، فسكن النَّاس.

وعَزَمَ السُّلْطان على قَصدِ المَوْصِل، فصانع زَنْكي بمئة ألف دينار[٥].

وفيها قَدِمَ مع السُّلْطان [مسعود][٦] فقيه كبيرُ القَدْر، حنفيُّ المذهب، اسمه الحسن ابن أبي بكر النَّيْسابوري، وكان عارفاً بالمذهب واللُّغة [والنظر][٦] فجلس بجامع

---

(١) في (ع) و(ح): من دكة الإمام أحمد، رحمة الله عليه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): وجعل لهم العيارين، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٠٦.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المنتظم»: ١٠/ ١٠٥: فمن الحوادث فيها أن السلطان جمع العساكر لقصد الموصل والشام، وترددت رسل زنكي حتى تم الصلح على مئة ألف دينار تحمل في نُوَب [في المطبوع: ثوب!]، فحمل ثلاثين ألفاً، ثم تقلبت الأحوال، فاحتيج إلى مداراة زنكي، وسقط المال، وقيل: بل خرج ابن الأنباري فقبض المال.

(٦) ما بين حاصرتين من (ح) و(م) و(ش).

المنصور، وجامع القَصر، وصرَّح بلعنة أبي الحسن الأَشْعري على المنابر، وكان يقول: كُنْ شافعياً ولا تكن أشعريًّا، وكن حنفياً ولا تكن معتزلياً، وكن حنبلياً ولا تكن مشبهياً. وكان يقول: ما رأيتُ مثل أصحاب الشافعي يتركون الأَصل ويتعلَّقون بالفَرْع. ومَدَحَ الأئمة، وذمَّ الأشعري. وقال: زاد في الشِّطْرنج بَغلاً، والبَغْل مختلِطُ النَّسب، وليس له أَصل [صحيح](١). فقام أبو محمد بن الباطوخ(٢)، فأنشده قصيدةً في هذا المعنى، وهي: [من مجزوء الكامل]

صَرْفُ العيونِ إليك يَحْلُو ... وكثيرُ لَفْظِكَ لا يُمَلُّ
والنَّاسُ لو مَتَّعْتَهُمْ ... بكَ ألفَ عامٍ لم يُوَلُّوا
مِنْ أينَ وَجْهُ مَلالِهم ... وغَرَامُهُمْ بكَ لا يَقِلُّ
لو رمتَ بَذْلَ نُفوسِهِمْ ... بذلوا رضىً لكَ واستقلُّوا
وافَيْتَ فابتسمَ الهدى ... وأنار دينٌ مُضْمَحِلُّ
ونهضتَ في(٣) نَصرِ الكتا ... بِ بحدِّ عَضْبٍ لا يُفَلُّ
لمعانه يومَ التَّنا ... ضُلِ بالأَدِلَّةِ يُسْتَهَلُّ
أنعشتَ خامِلَ مَعْشَرٍ ... مِنْ بعد ما ضَعُفوا وقلُّوا
وَعَقَدْتَ حين نَصَرْتَهُمْ ... في الدِّين عَقْداً لا يُحَلُّ
وقمعتَ أحداثَ(٤) الضَّلا ... لِ فهانَ ذِكْرُهُمُ وذَلُّوا
وَقَطَعْتَ شَمْلَهُمُ وليـ ... ـس لهم بحمدِ الله شَمْلُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ترجم العماد في «الخريدة» قسم شعراء العراق: ج١/ ٣٤٦-٣٤٨، للمعين بن الباطوخ، وأورد له قصيدة في مرثية أبي الفتوح الإسفراييني - وستأتي ص٣٤٦ - وترجم الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ١/ ١٧١ لابن باطوخ الواعظ، وهو محمد بن محمد بن علي بن طالب أبو عبد الله الحنبلي، وساق له أبياتاً من شعره، وذكر أن وفاته سنة (٥٤٤هـ).

وما أدري إن كان أبو محمد هذا هو المعين بن باطوخ، أو غيره، وكذلك لم يعينه العلامة محمد بهجة الأثري في حاشيته على «الخريدة»، فانظره.

(٣) في (ع) و(ح): عن، والمثبت من «المنتظم».

(٤) في «المنتظم»: أخدان.

كَـمْ ذا الـتـحـدّي بـالـدلـيـ ـل لـهُـمْ وكـم عَـجَـزوا وكَـلُّـوا
أنْـذِرْهُـمُ فـإنِ انْـتَـهـوا عـن أجْـرهـم[1] أَوْلا فَـقَـتْـلُ
مـا ثَـمَّ غـيـر أبـي حـنـيـ ـفـةَ والـمـديـحُ لـه يـحـلُّ
وفـقـيـه طـيـبـةَ مـالـك طَـوْدٌ لـه زُهْـدٌ وفَـضْـلُ
وفـتـى ابـن حـنـبـل والـحـديـ ـثُ عـن ابـن حـنـبـل لا يـمـلُّ
والـشَّـافـعـيُّ ومـا لـهُ فـيـمـن تـقـدَّم قـطُّ مِـثْـلُ
فـهـمُ أَدِلَّـتُـنـا ومَـنْ يـهـدي بـغـيـرِهُـمُ يَـضِـلُّ
كُـنَّـا نـعـدُّ خـلافَـهُـمْ صُـلْـحـاً ونَـدْرُسُـه ونَـتْـلـوا
حـتـى بُـلِـيْـنـا بـالـخِـلا فِ وزاد فـي الـشِّـطْـرنـج بَـغْـلُ
والـجِـنْـسُ يَـضْـبِـطُ فـي الـبـهـا ئـم أصـلَـهـا والـبَـغْـلُ بَـغْـلُ[2]

ثم جلس النَّيسابوري يوم الجُمُعة العشرين من رجب في دار السُّلْطان وحضر [السلطان] مسعود [إلى عنده][3]، فوعظه، وبالغ. وكانوا قد كتبوا على باب النِّظامية اسم [أبي الحسن][3] الأشعري، فعرَّفَ النيسابوريُّ للسُّلْطان مذهبَ الأشعري، وقال: هذا يقول ليس له في الأرضِ كلام[4]. فتقدَّم بمحو اسم الأشعري، وكَتْبِ اسم الشافعي مكانه.

وكان أبو الفتوح الإسفراييني يعظ في رباطه، وينصر مذهب الأشعري، وكان أبو الحسن الغَزْنوي[5] يعظ أيضاً، وكان يدخل على السُّلْطان. فقال له [الغَزْنوي][3]: يا سلطان، سببُ الفِتَن التي تجري في بغداد أبو الفتوح الإسفراييني، وقد رُجم مراراً، والصواب إخراجه من البلد. فتقدَّم السلطان بإخراجه، فأُخرج في رمضان، فمات بإسْفرايين، [وسنذكره][6].

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي «المنتظم»: عن كفرهم!
(٢) القصيدة في «المنتظم»: ١٠/ ١٠٧.
(٣) ما بين حاصرتين من (م)و(ش).
(٤) كان الحسن النيسابوري يميل إلى رأي المعتزلة في أن القرآن مخلوق. انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٤٣.
(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥١هـ).
(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وستأتي ترجمته ص٣٤٥.

وخرج النَّيْسابوري إلى بلده، فأقام به إلى سنة خمس وأربعين، [فتوفي بها] [(١)]، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها توجَّه مسعود إلى هَمَذَان في شَوَّال. وزُلْزلتِ الأرضُ زلزلة عظيمة، وظهر كوكب الذَّنَب ببغداد، ودام عشرة أيام.

وفيها استولى عمران بن محمد بن سبأ بن زُرَيْع[(٢)] داعية المِصريين على اليمن بأسره: البلاد والقلاع، والرمل والجبل، وكان شاعراً فاضلاً، شجاعاً، مُمَدَّحاً، وفيه يقول عمارة اليمني[(٣)]: [من الكامل]

مـلـكٌ يَـشِـفُّ عـلـيـه نـورُ كـمـالـه ... فـيـكـاد يُـلْـحَـظُ مـن وراء حـجـابـهِ
دانـي مـنـالِ الـجُـودِ مـن زوَّاره ... نـائـي مَـحَـلِّ الـمَـجْـد مـن طـلابـهِ
صَـعْـبُ الـمـقـاصِـدِ ليس يرضى هـمُّـه ... أنْ يـرتـقـي في الـمَـجْـدِ غـيـر صِـعـابِـهِ

وحج بالنَّاس نَظَر الخادم.

فصل: وفيها توفي

عبد الوهَّاب بنُ المبارك[(٤)]

ابن أحمد بن الحسن، أبو البركات، الحافظ، الأَنْماطي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر وفاته سنة (٥٤٥هـ).

(٢) هذا الخبر من أوهام سبط ابن الجوزي، إذ إن أول من استولى على اليمن ولقب بالداعي من الزُّريعيين سبأ بن أبي السعود بن زريع، وتوفي سنة (٥٣٣هـ)، ثم ولي بعده ابنه الداعي محمد بن سبأ، وتوفي على أصح الروايات سنة (٥٥٠هـ)، ثم بعده استولى الداعي عمران بن محمد المذكور هنا على اليمن بأسره، وعظم شأنه، وقصده الشعراء، واستمر يحكم حتى وفاته سنة (٥٦١هـ) بعدن، ثم حمل إلى مكة فدفن فيها، انظر ترجمته في «تاريخ ثغر عدن» لبامخرمة: ٢١٤-٢١٨، و«العقد الثمين»: ٦/ ٤٢٣-٤٢٤، و«طبقات فقهاء اليمن»: ١٦٨-١٦٩.

(٣) وهذا أيضاً من أوهام سبط ابن الجوزي، إذ إن القصيدة لأبي بكر بن أحمد بن محمد العِيدي اليمني - وفي اسمه ونسبته اضطراب - وقد أوردها العماد في «الخريدة» في ترجمته، وقد نقلها عن عمارة اليمني من كتابه «المفيد في أخبار زبيد» فظنها لعمارة، والله أعلم. انظر «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٣/ ١٥٢، ١٥٨، ١٦٤-١٦٧، و«معجم البلدان»: ١/ ٨٦، و«طبقات فقهاء اليمن»: ١٦٩، و«الأعلام» للزركلي: ١/ ٢١٦.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٠٨-١٠٩، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٩٢-٩٣، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٨، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ١/ ٣٨٠-٣٨٤، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ٥٦-٥٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٣٤-١٣٦، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

ولد في رجب سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وكان وَرِعاً، صالحاً، صحيحَ السَّماع.

قال أبو الفرج بنُ الجوزي: كنتُ أقرأُ عليه الحديث، وهو يبكي، فاستفدتُ ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وانتفعتُ به مالم أنتفع بغيره.

ودخلتُ عليه في مرضه، وكان قد بلي ونَحَلَ جسمُه، فبكيت، فقال: إنّ الله لا يُتَّهم في قضائه[١].

قال أبو الفرج: كنا ننتظره يوم الجُمُعة بجامع المنصور، ليأتي من داره بنهر القَلاَّئين، فلا يمشي على [قنطرة باب البصرة، وإنا يمرُّ على][٢] القنطرة العتيقة، فسأَلْتُه عن ذلك، فقال: كان موضعها دار ابن معروف القاضي[٣]، فلما قُبض عليه بُنيت قنطرة، وحدَّثني أبو محمد التميمي أنَّ ابن معروف أَحَلَّ من يَعْبُرُ عليها، وأما أنا فلا أعبر عليها.

وتوفي يوم الخميس حادي عشرة المحرَّم، وصلى عليه أبو الحسن الغَزْنوي، وأجمعوا على دِيْنه، وثقته.

عليُّ بن طِراد بن محمد[٤]

ابن علي بن أبي تمَّام، أبو القاسم، الزَّيْنبي.

ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة.

ولَّاه المستظهر نقابة النُّقباء، وخَلَع عليه، ولقَّبه الرِّضا ذا الفخرين، وهي ولايةُ أبيه. وكان يركب مع المستظهر.

وهم بيتُ الرياسة والتقدُّم؛ وكان طراد نقيبَ النُّقباء، وأبو طراد محمد ولي نقابة النُّقباء، وأبوه علي ولي نقابة النُّقباء، وأبوه أبو تَمَّام كان قاضياً.

---

(١) «المنتظم»: ١٠/١٠٨.

(٢) ما بين حاصرتين من «صفة الصفوة»: ٢/٤٩٩، والخبر فيه.

(٣) هو قاضي القضاة، شيخ المعتزلة، أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف البغدادي، وكان من ألباء القضاة، توفي سنة (٣٨١هـ)، له ترجمة في «تاريخ بغداد»: ١٠/ ٣٦٥-٣٦٨، و«المنتظم» ٧/ ١٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ١٦/ ٤٢٦-٤٢٧.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ٦/ ٣٤٦، و«المنتظم»: ١٠/ ١٠٩، و«الكامل»: ١١/ ٩٧، و«الفخري»: ٣٠٥-٣٠٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٤٩-١٥١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وتقلَّبت بصاحبِ هذه الترجمة الأحوال، ووزَرَ للمسترشد، ثم للمقتفي، ثم تغيَّر عليه، وأقام بداره معزولاً إلى غُرَّة رمضان، ومات عن ستٍّ وسبعين سنة، وأوصى إلى ابن عمِّه قاضي القضاة عليِّ بن الحسين[1]، فأمضى المقتفي وصيَّته، وبعث له الأكفان والطِّيْب، ودُفِنَ بداره بباب المراتب، ثم نُقِلَ إلى تربته بالحربية ليلة الثلاثاء سادس عشرة رجب سنة أربعٍ وأربعين، وبين يديه العلماءُ، وأربابُ الدَّوْلة، والوعاظ، والشموع الزَّائدة على الحدِّ، وكانت ليلةً مشهودة، ومدحه الحَيْصَ بَيْص[2]، فقال: [من الكامل]

ما أنصفَتْ بغدادُ ناشئَها الذي ... كَثُرَ الثَّناءُ به على بغداد
سَلْ بي[3] إذا مدَّ الجدالُ رِواقَهُ ... بصوارمٍ غير السيوف حِدادِ
وذَعَرْتَ[4] ألبابَ الخصومِ بخاطرٍ ... يقظانَ في الإصدار والإيرادِ
فتصدَّعوا متفرِّقينَ كأنَّهم ... مالٌ تُفَرِّقُهُ يدُ ابنِ طِرادِ[5]

محمد بن الفَضْل بن محمد[6]

أبو الفتوح الإسْفراييني.

ولد سنة أربعٍ وسبعين وأربع مئة بإسفرايين، وقَدِمَ بغداد، وتكلَّم بمذهب الأَشْعري، وبالغ في التعصُّب، فقامت الفِتن واللِّعان في الأسواق، وأفضى إلى الضَّرْب والنَّهْب، واستحلالِ الأموال والدِّماء، ودخَلَ النَّيْسابوري[7] على مسعود، وقَدَح فيه، فقال له: تقلَّدْ دمه حتى أقتله. فقال: لا أتقلَّد. فوكَّلَ السُّلْطان بأبي الفتوح في شعبان، فأُخرج من بغداد، وحُمل إلى النّهروان، فدخل أبو النَّجيب ويوسف الدِّمشقي، وأبو منصور بن

---

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٣هـ).

(٢) هو أبو الفوارس سعد بن محمد، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٧٤هـ).

(٣) في (ع) و(ح): سكن، وفي «المنتظم»: ١٠/ ٢٨٨ شاني، وكلاهما تحريف، والمثبت من «الخريدة».

(٤) في (ع) و(ح): وذكرت، وهو تحريف، والمثبت من «المنتظم»، و«الخريدة».

(٥) الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ٢٨٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٢/ ٢٢٥.

(٦) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢٨-٣٢٩، و«المنتظم»: ١٠/ ١١٠-١١٢، و«الكامل»: ١١/ ٩٦-٩٧، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٣٢٣-٣٢٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٣٩-١٤٢ وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٧) هو الحسن بن أبي بكر النيسابوري، وقد سلف ذكره ص٣٤٠.

الرَّزَّاز على السُّلْطان، وسألوه فيه، فلم يلتفت إليهم، وساروا به نحو إسفرايين، فمات بِبِسْطام[١] في ذي الحِجَّة، ووصل الخبرُ بموته إلى بغداد، فقعدوا للعزاء به، فحضر الغَزْنَوي، فقال له بعضُ العامَّة: ما حَضَرْتَ إلا شماتةً به. فقام بعضُ الفقهاء، فأنشد: [من الوافر]

خلا لكَ يا عدوُّ الجوُّ فاصفِرْ ... ونَجِّسْ في صُعودك كلَّ عُودِ
كذاكَ الثُّعْلبانُ يجولُ كِبْراً ... ولكنْ عند فِقْدانِ الأُسودِ

وقيل للغَزْنوي: أنتَ كنتَ هاجِرَه، وتذكره حالَ حياته بما لا يَحْسُن، فكيف حَضَرْتَ عزاءه، وأَظْهرت الحزن عليه والبكاء؟! فقال: إنَّما بكيتُ على نفسي، كان يقال فلان وفلان، فما يُعدم النَّظير إلا ويُنْذَر الآخر بالرَّحيل، وأنشد: [من الكامل]

ذَهَبَ المُبَرِّدُ وانْقَضَتْ أيَّامُهُ ... وسينقضي بعد المُبَرِّدِ ثَعْلَبُ[٢]

ورثاه المعين[٣] بن الباطوخ البغدادي، فقال من قصيدة: [من الرَّمل]

أيُّها الرَّكْبُ ابْلُغوا بُلِّغْتُمُ ... أنَّ سُقْمي صَدَّني عن سَفَري
وإذا جِئْتُمْ ثَنِيَّاتِ اللِّوى ... فلِجُوا رَبْعَ الحِمى في خَطَرِ[٤]
وصِفُوا شَوقي إلى سُكَّانِهِ ... واذكُروا ما عندكُمْ مِنْ خَبَرِي
وحَنِيْني نحو أيَّامٍ مَضَتْ ... بالحِمى لم أقْضِ منها وَطَرِي
فاتني فيها مُرادي وحلا ... لتمنِّي القُرْبِ منها سَهَرِي
كنتُ أخشى فَوْتها قبل النَّوى ... فرماني حذَرِي في حذَري
آهِ واشوقي إلى من بدَّلوا ... صَفْوَ عَيْشي بعدهُمْ بالكَدَرِ
كلَّما اشْتَقْتُ تمَنَّيْتُهُمُ ... ضاعَ عُمْرِي بالمُنى واعُمُري[٥]

(١) بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور. «معجم البلدان»: ١/ ٤٢١.

(٢) هذا البيت من أبيات سائرة قالها أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف الضرير في رثاء المبرد، وابن العلاف من الشعراء المجيدين، وهو صاحب القصيدة المشهورة في رثاء الهر، توفي سنة (٣١٨هـ) وقيل سنة (٣١٩هـ)، انظر ترجمته في «وفيات الأعيان»٢/ ١٠٧-١١١، وانظر الأبيات في «وفيات الأعيان»: ٤/ ٣١٩.

(٣) في (ع) و(ح) المعنى، ومثله في «الوافي الوفيات»، والمثبت من «الخريدة».

(٤) الخطر: التبختر، ومشية المعجب بنفسه. «اللسان» (خطر).

(٥) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٣٤٧-٣٤٨، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٣٢٤.

محمد بن القاسم بن المُظَفَّر[١]

ابن علي، أبو بكر الشَّهْرُزُوري، القاضي، المَوْصِلي.

ولد سنة أربعٍ وخمسين وأربع مئة وولي القضاء بعدة بلدان من الشَّام والجزيرة، ونَزَلَ إلى بغداد، فتوفي بها، ومن شعره: [من الخفيف]

هِمَّتي دونها السُّها والثُّريا[٢] قد عَلَتْ جُهدها فما تتداني
فأنا مُتْعَبٌ مُعَنَّى إلى أنْ تتفانى الأيَّامُ أو أتفانى[٣]

محمود بن عمر بن محمد[٤]

ابن عمر، أبو القاسم، الزَّمَخْشَري، وزمخشر: قريةٌ من قرى خُوارَزْم.

ولد في رجب سنة سبع وستين، وقيل: سنة أربع وستين وأربع مئة، ولقي العلماء، واشتغل بالأدب، والتَّفْسير، وغريب الحديث، وأقام بخوارزم، ثم جاور بمكَّة، وسمَّى نفسه جار الله، وورد بغداد غير مرَّة، وكان ينصر مذهب المعتزلة، وصنَّف «الكَشَّاف» في التفسير بمكَّة في سنتين ونصف، وصرَّح فيه بالاعتزال، وقال في أوله: الحمد لله الذي خَلَقَ القرآن، فنفرت قلوبُ أهلِ السُّنَّة منه، وهجروه، وجرى ذِكْرُ هذا التَّفسير في مجلس عون الدين ابن هُبيرة الوزير[٥]، فقال: عليَّ به. فأُحضر بخط المصنّف، وهو وقفٌ بمشهد أبي حنيفة، فقال الوزير لمن حضر من العلماء: ما تقولون في هذا؟ فاتَّفقوا كلُّهم على غَسْل الكتاب. فقال أبو الفرج بن الجوزي: هذا كتابٌ فيه

---

(١) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ٤١٨-٤١٩، و«الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٢٢، و«المنتظم»: ١٠/ ١١٢، و«اللباب»: ٢/ ٢١٦-٢١٧، و«تاريخ إربل»: ١/ ٢٠٣-٢٠٦، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٦٩-٧٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٣٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في «الخريدة»: والزُّباني، وهي كواكب من المنازل على شكل زباني العقرب، «معجم متن اللغة»: ٣/ ١٥.

(٣) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٢٢، و«المنتظم»: ١٠/ ١١٢.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ٦/ ٢٩٧-٢٩٨، و«نزهة الألباء»: ٣٩١-٣٩٣، و«المنتظم»: ١٠/ ١١٢، و«معجم البلدان»: ٣/ ١٤٧، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ١٢٦-١٣٥، و«اللباب»: ٢/ ٧٤، و«الكامل»: ١١/ ٩٧، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٢٦٥-٢٧٢، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ١٦٨-١٧٠، و«إشارة التعيين»: ٣٤٥-٣٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٢٤٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٥١-١٥٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٥) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٦٠هـ).

علومٌ من العربية، وما فيه أشنع من قوله في أوله: الحمد لله الذي خلق القرآن، فاكشطوه، واكتبوا موضعه: الحمد الله الذي أنزل القرآن[١]. فصوَّبوا رأيه وقوله، وكان هناك ابن حَرِّكْها[٢] الفقيه الحنفي، فصاح من أطراف النَّاس: هذا ما يسقط بالشك بل بالدَّليل، فأمر الوزير بإخراجه. وقال: تردَّها جَذَعَة!

وصنَّف الزَّمَخْشري «الفائق في اللغة»، و«المفَصَّل» في النَّحو، و«أساس البلاغة»، و«ربيع الأبرار»، وغير ذلك، وعاد إلى خُوارَزْم، فتوفّي بها ليلة عرفة.

وله شِعْرٌ، فمنه: [من الطويل]

وكلُّ وفاءٍ كان في قَوْسِ حاجبٍ ... وأنتَ جمعتَ الغَدْرَ في قوسِ حاجِبِ

أخذه من قول المُطراني[٣]: [من المنسرح]

تُزْهى علينا بقوسِ حاجبها ... زَهْوَ[٤] تميمٍ بقوس حاجبها

وقال ابنُ السَّمْعاني: كان ممن يضرب به المثل في الأدب، وأقام بالحجاز بُرْهة إلى أن هَبَّت على كلامه رياحُ البادية، ومن شعره: [من الطويل]

تَغَنَّت على فَرْعِ الأراك مُطَوَّقَهْ ... فَرَدَّتْ خليَّاتِ القلوبِ مُشَوَّقَهْ

وأَشْوَقُ منها صوتُ حادٍ مُبَكِّرٍ ... حدا بحُدوج المالكيةِ أَيْنُقَهْ

فخالفَ ما بيني وبين أَحِبَّتي ... فلي عندهُمْ مَقْتٌ وعندي لهمْ مِقَهْ

وقال: من شعره أيضاً: [من الطويل]

سلامٌ عليكمْ أَدْمُعي قَلَّ ماترقَا ... إذا شِمْتُ[٥] من تلقاءِ أَرْضِكُمُ بَرْقا

(١) انظر في هذا التغيير «وفيات الأعيان»: ٥/ ١٧٠ .

(٢) كذا في (ع) و(ح): وهو القاضي زكي الدين أبو السعادات المبارك بن أحمد البغدادي، وعرف بـ«حركها»، له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣/ ٥٨-٥٩ ، و«الجواهر المضية»: ٣/ ٤١٧-٤١٩ .

(٣) المطراني: هو الحسن بن علي بن مطران، أبو محمد المطراني، شاعر من الشاش، ترجم له الثعالبي في «يتيمة الدهر»: ٤/ ١٣٢-١٤٠ . وساق له مقتطفات من شعره، ولم يذكر سنة ولادته ولا وفاته.

(٤) في (ع) و(ح)، تيه، والمثبت من «يتيمة الدهر»: ٤/ ١٣٨ ، والحاجب الأول هو حاجب العين، والحاجب الثاني: هو حاجب بن زرارة، كان رئيس تميم في الجاهلية.

وقد ساق الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٢٤٥ هذا البيت على أنه من شعر الزمخشري، وهو خطأ!

(٥) شمت البرق: إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر. «اللسان» (شيم).

ومــن عَــجَــبٍ أنِّــي إذا لاحَ بــارِقٌ بأرضِكُمُ اسْتَمْطَرْتُ أجفانيَ الوَدْقا
وما خِلْتُ هـذا البَرْقَ إلا ابتسامةً لسُعدى أضاءتْ عند إيماضها الأُفْقا
تمنَّيْتُ لو يُغني التَّمنِّي لقاءَها وَوَقْعُ رماحِ الخَطِّ مِنْ دون أن تَلْقى
لقد صَدَقُوا إنَّ الشَّقيَّ أخو الهوى ولكنَّ مَنْ يهوى سعادَ هو الأشْقى
وقول على ما بي من السُّقْمِ والضَّنا أيا حبَّذا سُعدى وما أَطْيَبَ العِشْقا
خليليَّ هل أيَّامُنا بسُوَيْقةٍ رواجعُ أَمْ طارتْ بأيَّامنا العَنْقا
فيا عِيْشَةً خضراءَ لو بقيتْ لنا ولا خَيْرَ في عَيْشٍ إذا هو لا يَبْقى
إذا الرِّيحُ من شَرْقيِّ مَرْوٍ تنفَّسَتْ فيا بَرْدَ صَدْرِي حين أَنْشِقُها نَشْقا
وما تُطِيْبني أيكةٌ غير أنَّني أُساعد في شَجْو الحمامِ بها الوَرْقا

السنة التَّاسعة والثَّلاثون وخمس مئة

فيها فَتَحَ زَنْكي الرُّها.

كان في قلبه منها أمرٌ عظيم؛ لكونها وسط بلاد الإسلام، ومَعْقِل منبع الكُفَّار، فطرح العيون على جوسلين صاحبِها، فاتَّفق أنَّه خَرَجَ منها بعساكره نحو حِصن منصور، فحال زَنْكي بينه وبينها، وحَصَرها وضربها بالنَّار، وبالمجانيق، وحشد التركمان والنَّقابين الحلبيين وغيرهم، ونُقِبَ سورها، وعُلِّق بالأخشاب، وضربوا فيه النَّار، فوقعت منه قطعةٌ، فدخلها عَنْوَةً بالسَّيْف، فقتل وأسر، وأخذ منها أموالاً عظيمة، وكان بها من أسارى المسلمين ألف وخمس مئة، فَخُلِّصوا، وقيل: كانوا خمس مئة، ثم رَمَّ السُّور[1]، وكتب للنَّصارى أماناً، وأحسن إلى الرَّعية، وأراد أن يبني بها جامعاً، فقال له أصحابه: اجعل الكنيسةَ جامعاً. فقال: نَعَمْ. وشَرَعَ في إصلاح الكنيسة، وهيأها، ولم يبق إلا موضع المحراب، فجاء ومعه أرباب دولته والصُّناع، واتفقوا على موضع المحراب اليوم، فحفروا أساساً عميقاً، وإذا بصخرة ظهرت مكتوب عليها سطران بالسريانية، فجاء شيخ يهوديٌّ، فحلَّها، ونقلها إلى العربية، وهذا ما فيها: [من السريع]

(١) رَمَّ السور: أصلحه. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٦٥٣.

أصبحتُ خِلْواً من بني الأَصفَرِ أختالُ بالأَعْلامِ والمِنْبرِ
مُطَهَّرَ الرَّحْبِ على أَنَّني لولا ابن آق سُنْقُر لم أُطَهَّرِ[١]

فاشتدَّ تعجُّبِ أتابك والجماعة.

وكان عند ملك طُلَيْطُلة[٢] رجلٌ من علماء المُسْلمين، وكان الملك يُحِبُّه ويكْرمه، فجهَّز جيشاً إلى جهة إفريقية، فقتلوا وأسروا من المسلمين، وعادوا والعالم عند الملك جالِسٌ وقد نَعَسَ، فأيقظه الملك، وقال: ما ترى ما قد فعل أصحابُنا بالمسلمين، وأين دين محمدكم من نُصرتهم؟ فقال الرجل: كان قد حضر فتح الرُّها. فعجب الملك والقوم، واستهزؤوا به، فقال الملك: لا تضحكوا، فوالله ما قال شيئاً إلا وأصاب. فوصل الخبر بعد ذلك بأن الرُّها فُتِحَتْ في ذلك التاريخ.

وسار أتابك ففتح سَرُوج وما حول الرُّها من الحصون، وجاء إلى حِصن البيرة فنازله وضايقه، ولم يبق إلاّ فتحه، فجاءه الخبر بأن نصِير الدِّين جَقَر نائبه بالمَوْصل قد قُتِلَ، فعاد إلى المَوْصل.

وحجَّ بالنَّاس نَظَر الخادم.

فصل: وفيها توفي

جَقَر بن يعقوب بن نصِير الدِّين

نائب أتابك بالمَوْصِل وغيرِها من بلاده.

كان شجاعاً شَهْماً مهيباً مدبِّراً، وسببُ قَتْله أنَّه كان في كفالة زَنْكي رسلان خان، وقيل تركان شاه ابن السُّلْطان محمود بن محمد بن مَلِك شاه[٣]، وبه كان يحتج على

(١) الشطر الثاني من البيت الثاني غير متزن، وفي «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧٥ : لولا ابن سنقر لم أظهر، وكذلك لا يتزن، وقد ساق نحو هذه القصة ابن العديم في «بغية الطلب»: ٤/ ٧٧، وفي النفس من هذه القصة أشياء.

(٢) في «الباهر» لابن الأثير: ص٧٠ : صقلية، وهو الأشبه، وقد قال ابن الأثير: وحكى لي أيضاً بعض العلماء بالأخبار والأنساب.. ثم ذكر نحو هذه القصة، ونقلها عنه أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٤٠-١٤١ .

(٣) كذا ورد في (ع) و(ح)، وسماه ابن الأثير في «الباهر»: ٧١ ، و«الكامل»: ١١/ ١٠٦ ألب أرسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود بن محمد، وتعقبه أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٥١ بأن الخفاجي غير ألب أرسلان، إذ كان مع زنكي ملكان من أولاد السلطان محمود، أحدهما يسمى ألب أرسلان، وهو في معقل من معاقل سنجار، والآخر يسمى فرخشاه، ويعرف بالخفاجي، وهو بالموصل. وهذا الأخير هو الذي قتل جقر.

الخلفاء والسَّلاطين ويقول لمسعود: أنا أحفظ البلاد له. ويصدر الكُتُبَ باسْمِهِ، وبه سمِّي أتابك، ومعناه الوالد،وكان مقيماً بالمَوْصل، ولمَّا اشتغل زَنْكي بفتح الرُّها وسَرُوج والبيرة أشار على رسلان خواصُّه بالفَتْك بنصير الدِّين، وقالوا: تملك المَوْصِل، ولا يقدر أتابك على قَصدك، ولا يوافقه أحد. فاستمال جماعةً من الغِلْمان العمادية نحو أربعين رجلاً من وجوههم. وكان جَقَر على غايةٍ من الاحتراز، ولما تَمَّ ما أراد الصَّبيُّ رَتَّبَ له جماعةً عند دار خاتون، فلمّا جاء جَقَر للسَّلام عليها، ودخل دِهْليز الدَّار وثبوا عليه، فقتلوه، ووثَبَ العوام، فقتلوا أصحاب الصَّبي، وكان نازلاً في دارٍ على الشَّطِّ، وخِيْفَ على المَوْصِل من النَّهْب، فجاء القاضي تاج الدِّين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشَّهْرُزُوري[1] إليه فخدعه، وقال له: قد فعلت ما فعلتَ وأنتَ في دارك، والسَّاعة تهجُمُ عليك العوام فيقتلوك، فاصعَدْ إلى القلعة وتحصَّن بها. فقام وطَلَعَ القلعة، وتحصَّن بها، فاحتاط القاضي عليه، ووكَّل به جماعةً.

ولما بلغ أتابك قَتْلُ جَقَر بَعَثَ زين الدين علي كُوجك ـ وكان كثيرَ الوثوقِ به ـ فأغذَّ السَّيْرَ حتى دخل المَوْصِل، وسكَّنَ الفِتْنة، واحتاط على الصَّبيِّ، وأزال ما جَدَّد جَقَر من المظالم، ولم يزلِ الصَّبي محبوساً تحت الحوطة حتى قُتِلَ زنكي على قلعة جعبر سنة إحدى وأربعين وخمس مئة.

عمر بن إبراهيم بن محمد [بن محمد] بن أحمد[2]

ابن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو البركات، الكوفي، النَّحْوي.

---

(١) كان بارعاً في الفقه، ولد سنة (٤٩٥هـ)، وتوفي على الصحيح سنة (٥٥٦هـ)، انظر «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٤٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٣٣٣، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٣٤٠-٣٤٢، وفيه توفي سنة (٥٦٦هـ)، والتاريخ الأول نقله ابن خلكان عن «الخريدة».

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٦/ ٣٤١-٣٤٢، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ١٢/ ٦٩٤-٦٩٥، و«نزهة الألباء»: ٣٩٩-٤٠٠، و«المنتظم»: ١٠/ ١١٤، و«معجم الأدباء»: ١٥/ ٢٥٧-٢٦١، و«اللباب» لابن الأثير: ٢/ ٨٦، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٣٢٤-٣٢٧، و«ميزان الاعتدال»: ٣/ ١٨١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٤٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وما بين حاصرتين من المصادر خلا «المنتظم».

ولد سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة بالكُوفة، ونشأ بها، ثم قَدِمَ بغداد، ومضى إلى الشَّام، وأقام بدمشق وحلب مُدَّة، وكتَبَ الكثير، وسَمِعَ وعاد إلى الكوفة، وكان يسكن بمحَلَّة السَّبيع، ويصلِّي بالنَّاس [في مسجد أبي إسحاق السَّبيعي][1].

وكان عارفاً بالنَّحْو واللُّغة، والتفسير والفقه، وله تصانيف في فنون، وكان خَشِنَ العَيْش، صابراً على الفقر.

وتوفي يوم الجمعة سابع شعبان بالكوفة، ودُفِنَ بمقبرة العلويين، وصلَّى عليه نحو ثلاثين ألفاً، وعاش حتى قارب المئة، وكان يفتي ظاهراً بمذهب أبي حنيفة، وباطناً على مذهب زيد بن علي، وقد تكلَّموا فيه.

محمد بن الحسن بن كامل[2]

القاضي الأندلسي، [ويُعرف بابن الفخَّار، و][3] كان فقيهاً، شاعراً، فمن شعره في مَرَّاكُش: [من الطويل]

وأرضٍ سكنَّاها فيا شَرَّ مَسْكَنٍ ... بها العَيْشُ نَكْدٌ والجناحُ مَهِيْضُ
نَروحُ ونغدو ليس إلا مروِّع ... عقاربُ سودٌ أو أراقمُ بِيْضُ[4]

ومات بالمغرب.

هبة الله بن الحسين[5]

أبو القاسم البديع الأَسْطُرلابي، فريد وقته في عمل الأَسْطُرلابات، وآلات الفلك والطِّلَّسْمات، وتوفي بعدما فُلج، ومن شعره: [من الكامل]

---

(١) ما بين حاصرتين مثبت من «المنتظم»: ١٠/ ١١٤.

(٢) له ترجمة في «بغية الملتمس»: ٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٣٣٤-٣٣٩، و«المحمدون من الشعراء»: ٤٠٧-٤٠٨، و«المغرب في حلى المغرب»: ١/ ٤٣٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢/ ٣٥٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٣٣٩.

(٥) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٧٣-٢٧٥، و«أخبار العلماء» للقفطي: ٢٢٢، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٣٧٦-٣٨٠، و«وفيات الأعيان»: ٦/ ٥٠-٥٣، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٢٦٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٢-٥٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وعندهم وفاته سنة (٥٣٤هـ).

أهدي لمجلسك الشَّريفِ وإنَّما أُهدي له ما حُزْتُ من نَعْمائِهِ
كالبَحْرِ يُمْطِرُهُ السَّحابُ وما لَهُ مَنٌّ عليه لأنَّه من مائِهِ

[وروي أنَّه مَرَّ به رجلٌ ظريف، وبيده أَسْطُرلاب، وهو ينظر فيه، فقال: [من السريع]

قامَ إلى الشَّمْسِ بآلاتِهِ ينظر بالتخمين والحَدْسِ
فقلتُ: أينَ الشمسُ قال الفتى في الثور قلتُ الثور في الشمسِ[1]

وروي أن الأسطرلابي خرج مع المسترشد في صفر، فوقع الوباء في العسكر، ومعهم طبيب نصراني، فكان كل من طبَّه مات، وكنية الطبيب أبو الفتح، فقال الأَسْطُرلابي:

يا أبا الفَتْح اقتلِ القوم برفـ ـقٍ ومُهْلَةٍ واقتصادِ
قبل أن يصبح المعسكر قاعاً فتمزمز[2] بهم إلى بغداد[3]

وكانت وفاته في هذه السنة][4].

السنة الأربعون وخمس مئة

فيها دخل السُّلْطان مسعود بغداد، وسببه أَنَّ العساكر اجتمعوا بالرَّي على طاعته منهم بوزبا وعَبَّاس، وكان معهم محمد شاه بن محمود، وكان مسعود بهَمَذَان، فاستشعر من اجتماعهم، فقصد العراق، فجاء بوزبا والعساكر إلى هَمَذَانَ، وجاءهم سليمان شاه بن محمد، فقطعوا خُطْبَة مسعود، وخطبوا لمحمد شاه وبعده لسليمان شاه، واتَّفقوا على حَرْبِ مسعود.

وقيل، وهو الأشهر: إنَّ مسعوداً إنما دخل بغداد هرباً من أخيه سليمان شاه، وكان قد اتَّفق على محاربة مسعود أعيانُ الأُمراء مثل بوزبا صاحب خوزستان، وعباس صاحب الرَّيِّ، وأقبل السِّلَحْدار، فجاؤوا إليه وهو بهَمَذَان، فهزموه، فسار إلى بغداد، وأقام سليمان شاه في الري، وأكثرُ الأُمراءِ عنده، فجمع مسعود العساكر، وخرج من

(١) البيتان في «معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٧٥ ، و«طبقات الأطباء»: ٣٧٧ ، وعجز البيت الأول فيهما: لينظر السَّعْد من النحس.
(٢) لعلها من العامية مزمز، من «مزمز فلان الكأس» أي ترَشف ما فيه بمهل واستمتاع. انظر «معجم عطية»: ١٤٨.
(٣) البيت الأول غير متزن، والثاني من الخفيف!
(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

بغداد إلى مَرَاغة ليجتمع بجاولي، ويتفق معه، وكان الأُمراء قد خطبوا لمحمد شاه وبعده لسليمان شاه.

وكان مسعود قبل خروجه أراد أن يقبض على عليٍّ بن دُبَيْس، ويحمله إلى قلعة تكريت، فعلم عليٌّ، فانهزم في رمضان إلى توريز، وخرج مسعود في رمضان يريد مَرَاغة، وصار عليُّ بنُ دُبَيْس إلى الحِلَّة وفيها أخوه محمد، فملكها، وأخرجه منها، فجهَّزَ الخليفةُ إليه مُهَلْهِل ونَظَر الخادم، فخرج إليهما وهَزَمَهما أقبح هزيمة، وعادا مسلوبين إلى بغداد.

وأما مسعود فإنَّه سار إلى جاولي، وسعى جاولي في إصلاحِ حال سليمان شاه مع أخيه مسعود، ولم يوافق بوزبا وعَبَّاس، ولم يدخلا في الصُّلْح، وعاد جاولي إلى مسعود ومعه سليمان شاه، فاستحلفه لسليمان شاه، واستوثق له منه، وقال مسعود لجاولي: المصلحة أن نتَّبعهما ونكسرهما قبل أَنْ يَسْتفحل أمرهما. فقال جاولي: أنا أَتَبَّعهما وأكفيك أمرهما. وسار في إثْر بوزبا، وكان قد سار إلى بلاده، وبعث ابنه في إثر عَبَّاس، ثم بلغ جاولي أَنَّ مسعوداً قبض على أخيه سليمان شاه، وأطلعه إلى القلعة واعتقله، فأنكر ذلك، وقال: بالأمس حَلَفَ له واليوم يغدر به! لا يجيء من هذا خيرٌ أبداً، ولقد فعل بوزبا وعَبَّاس عين المصلحة، إذا كان هذا بأخيه، فما الذي يصنع بنا! ورَجَعَ عن نُصرته، وأرسل إلى بوزبا وعَبَّاس وأخبرهما بفِعْل مسعود، وقال: كلُّنا متفقين[١] على محاربته.

ثم رجع جاولي إلى بلاده، وبلغ مسعوداً، فلم يمكنه مجاهرته لقوته ومهابته، فدَسَّ إليه بعد ذلك قوماً من الباطنية، فقتلوه غِيْلَةً.

وفيها جلس يوسف الدِّمَشْقي[٢] في المدرسة التي بناها ابنُ الإِبَرِي[٣] بباب الأَزَج، وحضر قاضي القُضاة وأربابُ الدَّوْلة.

---

(١) كذا في (ع) و(ح)، وقد أبقيتها محافظةً على لغة الخبر.

(٢) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٦٣هـ).

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد، ثقة الدولة ابن الدُّرَيْني، وكان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرج الإبري، وربَّاه حتى قيل له ابن الإبري، وزوَّجه ابنته شهدة الكاتبة، وتعرف مدرسته بالثقتية، ، وقد بناها لأصحاب الشافعي. =

واستشعر المقتفي من أقاربه وأهله، وضيَّق على الأمير أبي طالب.

وحجَّ بالناس نَظَر الخادم.

[وفيها توفي

أحمد بن محمد بن الحسن(١)

أبو سعد بن أبي الفَضْل، بغدادي الأصل، أصبهاني المولد والمنشأ.

ولد سنة ثلاث وستين وأربع مئة، وسمع الكثير، [وحدث بالكثير، وكان] (٢) على طريقة السَّلف، مُطَّرحاً للتكلّف، حج إحدى عشرة حِجَّة(٣)، وأملى بمكة والمدينة، وكان يصوم في الحر الشديد.

وذكره جدي في «المشيخة»، وأثنى عليه، وقال: رأيت أخلاقه جميلة، ومحاسنه لطيفة. وكان قد حج، فرجع يريد أصبهان، فتوفي في ربيع الأول بنهاوند، وحمل إلى أصبهان، فدفن بها](٤).

فصل: وفيها توفي

بِهْرُوز الخادم [ابن عبد الله] (٤)

أبو الحسن(٥)، خادم مسعود.

= وستأتي ترجمته ص٤٦١ من هذا الجزء.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١١٦-١١٧، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٠٠-١٠٣، و«الكامل»: ١١/ ١٠٧، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١١٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧٨، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١١٦.

(٣) في (ش): اثنتي عشرة حجة، والمثبت موافق لما في «المنتظم».

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١١٧، و«الكامل»: ١١/ ١٠٦، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٤٠٤، و«وفيات الأعيان»: ٧/ ١٤٢، و«المختصر المحتاج إليه»: ١/ ٢٦٥، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٣٠٧-٣٠٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧٧.

كان أبيضَ، ويلقب مجاهد الدِّين، ولي العراق نيِّفاً وثلاثين سنة، وعَمَّر دارَ السُّلْطان والجامع، وسدَّ البثوق، [وأسكر السكور][(١)]، وغَرِمَ على سكر النَّهروان سبعين ألف دينار.

وقال علي بن عقيل [في كتاب «الفنون» قال][(١)]: ما رأينا مثل مناقضة بِهْروز؛ مَنَعَ الملاحين أن يُعْبروا رجلاً مع امرأة في سفينة، وجَمَعَ بينهم في المواخر!

وولاه السلطان قلعة تَكْريت [وقد ذكرناه][(١)]، وبنى كنيسةً رِباطاً ببغداد على شاطئ دِجْلة [ويعرف برباط الخدم][(١)]، ودُفن فيه ـ وكانت وفاته في رَجَب ـ [وهو قائم إلى الآن][(١)].

[وفيها توفي:

كامل بن أحمد بن محمد[(٢)]

أبو تمَّام، المقرئ، الضَّرير.

قرأ القرآن على أبي الوحش ابن قيراط، وسمع الحديث، وكان ديِّناً، صالحاً، خرج في هذه السنة حاجًّا، فمات في الطريق، فدفن بالمَعْلى.

سمع أبا طاهر الحِنَّائي، وأبا الحسن بن الموازيني، وأبا محمد بن الأَكْفاني، [وغيرهم] [(٣)] وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر][(١)].

موهوب بن أحمد[(٤)]

ابن محمد بن الخضر، أبو منصور، الجَوَاليقي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: (خ) (س): ١٤/ ٤٩٦، و«العقد الثمين»: ٧/ ٨٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ٣/ ٣٣٧، و«نزهة الألباء»: ٣٩٦-٣٩٨، و«المنتظم»: ١٠/ ١١٨، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٠٥-٢٠٧، و«اللباب»: ١/ ٣٠١، و«الكامل»: ١١/ ١٠٦-١٠٧، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٣٣٥-٣٣٧، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٣٤٢-٣٤٤، و«إشارة التعيين»: ٣٥٧-٣٥٨، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٢٠٤-٢٠٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٨٩-٩١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.
وذكر السمعاني وابن الأثير في «اللباب»، وابن الأنباري وياقوت والقفطي وابن خلكان وفاته سنة (٥٣٩هـ)، وهو غلط فيما ذكر الذهبي وابن رجب.

ولد [في ذي الحجة] (١) سنة خمس وستين وأربع مئة، ونشأ ببغداد، وسمع الحديث، وقرأ الأدب فأكثر، وانتهى إليه عِلْمُ اللُّغة، ودرَّس النحو والعربية بالنّظامية بعد أبي زكريا التِّبْريزي مُدَّةً، فلما ولي المقتفي الخلافة اختصّ بإمامته، وكان غزير الفَضْل(٢)، طويل الصَّمت، لا يقول الشيءَ إلاَّ بعد الفكر الطَّويل، وكان متواضعاً، مليح الخط، وصنَّف الكُتُب(٣).

وكان مقتصداً في مَلْبسه ومطعمه، لا يمنُّ على النَّاس بأنَّه إمامُ الخليفة، بل كأنَّه من آحاد النَّاس مع الهيبة العظيمة والدِّين المتين.

وكانت وفاته منتصف محرَّم، وحَضَرَ الصَّلاة عليه أربابُ الدولة، ودُفِنَ بباب حَرْب، وعاش ستاً وسبعين سنة، وكان صالحاً، صدوقاً، ثِقَةً.

يحيى ابن بقي(٤)

الأَنْدلسي الشَّاعر القُرْطُبي الفاضل(٥).

ومن شِعْره يشكو أهل المغرب، ويذُمُّ مقامه عندهم: [من البسيط]

أقمتُ فيكُمْ على الإقْتار والعَدَمِ ... لو كنتُ حُرًّا أَبيَّ النَّفْسِ لم أَقِمِ
وظَلْتُ أبكي بكُمْ عُذْراً لعلَّكُمُ ... تستيقظونَ وقد نمتمْ عن الكَرَمِ
فلا حديقَتُكُمْ يُجْنَى لها ثَمَرٌ ... ولا سماؤكُمُ تنهلُّ بالدِّيَمِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) في (ع) و(ح): غزير العقل، ومثله في «ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٢٠٥، وفي «المنتظم»: ١٠/ ١١٨ غزير الفضل، وهو ما أثبته. وفي «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧٥ غزير العلم.

(٣) من أشهر كتبه «شرح أدب الكاتب» و«المعرَّب»، وكلاهما مطبوع مشهور، متداول.

(٤) هو أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي، له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسَّام: ق٢/ م٢/ ٦١٥-٦٣٦، و«قلائد العقيان»: ٢٧٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٢٣٦-٢٤٧، ٣/ ٥٧٩، و«معجم الأدباء»: ٢٠/ ٢١-٢٥، و«وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٠٢-٢٠٥، و«المغرب في حلى المغرب»: ٢/ ١٩-٢١، و«نفح الطيب»: ١/ ٤٧١، ٥٨٤، ٣/ ٢٠٨، ٢٠٩، ٣٤٧-٣٤٨، ٤٣٩-٤٤٠، ٤٤٨، ٤/ ١٣، ١٥٥، ٢٣٦، ٢٤١.

(٥) بعد هذا في (ع): بل مع فضله من الحظ بالحرمان، ولم أتبين معناها، وهي ليست في (ح)، ولذا آثرت حذفها.

لا رِزْقَ لي عندكُمْ لكنْ سأَطْلبُهُ في الأرضِ إنْ كانت الأرزاقُ بالقِسَمِ
أنا امْرؤٌ إنْ نَبَتْ بي أرضُ أَنْدَلُسٍ جئتُ العراقَ فقامتْ لي على قَدَمِ
لا يكسر(١) اللهُ مَتْنَ الرُّمْحِ إنَّ بِهِ نَيْلَ العُلى وأباح الكَسْرَ للقَلَمِ
أَوْغَلْتُ بالمغربِ الأقصى وأَعْجَزَني نَيْلُ المطالبِ حتى أُبْتُ بالنَّدمِ(٢)

وقال أيضاً: [من الكامل]

بأبي غَزَالٌ غازلَتْهُ مُقْلَتي بينَ العُذَيْبِ وبينَ شَطَّيْ بارِقِ
وسألتُ منه زيارةً تَشْفي الجَوَى فأجابني فيها بوعدٍ صادِقِ
حتى إذا أَخَذَتْ به سِنَةُ الكَرَى زَحْزَحْتُهُ عنِّي وكان مُعَانقي
أَبْعَدْتُهُ عن أَضْلُعٍ تَشْتاقُهُ كيلا ينامَ على فراشٍ خافِقِ(٣)

يحيى بن سُلْطان بن منقذ(٤)

الأمير أبو الفتح، فخر الدِّين الشَّيْزَري، قُتِلَ ببَعْلَبَكَّ، ومن شعره [ما] كتبه [إلى أبيه] يطلب رُمْحاً: [من السريع]

يا خَيْرَ قَوْمٍ لم يَزَلْ مَجْدُهُمْ في صفحاتِ الدَّهْرِ مَسْطُورا
عَبْدُك يَبْغي أَسْمَراً ذِكْرُهُ ما زال بينَ النَّاسِ مذكورا
مسدَّداً والجَوْرُ مِنْ شأنِهِ إن نال وِتْراً صار موتورا
فإنْ تَفَضَّلْتَ به عاد عَنْ صُدُورِ أعدائِكَ مكسورا

أبو بكر بن تقي الأندلسي(٥)

ـ بتاء منقوطة من فوق بنقطتين ـ شاعر فصيح، ومن شعره: [من الطويل]

---

(١) في (ع) و(ح) لا نكس، والمثبت من «الخريدة».
(٢) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٢٤٥-٢٤٦.
(٣) الأبيات في «الخريدة» ٢/ ٢٣٦-٢٣٧، وأورد بعضها ابن بسَّام في «الذخيرة»: ق٢/ م٢/ ٦٣٦.
(٤) له ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١/ ٥٦٧ ـ والأبيات فيه ـ وما بين حاصرتين منه.
(٥) كذا ترجمه سبط ابن الجوزي، وتابعه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٧٧، وهو نفسه الشاعر يحيى ابن بقي الذي سلفت ترجمته ص ٣٥٦، ويبدو أن هذا الوهم تسرب من إعادة العماد ترجمته في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣/ ٥٧٩، فظنه السبط شاعراً آخر، وفرَّق بينهما بقوله في ضبط اسم أبيه تقي ـ بالتاء ـ وهو كذلك في إحدى نسخ «الخريدة». =

ومشمولةٍ في الكأسِ تحسبُ أنَّها ... سماءُ عقيقٍ زُيِّنَتْ بكواكبِ
بَنَتْ كعبةَ اللَّذاتِ في حَرَمِ الصِّبا ... فحجَّ إليها اللَّهْو من كلِّ جانبِ

السنة الحادية والأربعون وخمس مئة

فيها احترق القصر الذي بناه المسترشد بدار الخلافة [بباب الغَرَبة] (١)، وكان المقتفي نائماً فيه تلك الليلة مع خاتون بنت مسعود؛ وسببه أَنَّ جاريته أخذت بيدها شمعة، فعلقت بأطراف خَيْشٍ، فاحترق القصر، وخَرَجَ الخليفةُ منه بالليل وخاتون، فأصبح فلم يُرَ له أثر، واحترق فيه قماش كثير، وتصدَّقَ الخليفة بأَموالٍ كثيرة، وأطلق المحبسين.

وفيها خَلَعَ الخليفةُ على أبي الوفاء يحيى بن سعيد ويعرف بابن المُرَخِّم(٢) خِلْعَةً سوداء وطَيْلساناً، وقلَّده القضاء في أي صُقْعٍ شاء، وليس على يده يد، ثم رمى الطَّيْلسان، وتجرَّد لظُلْم الناس وعقوبتهم وعَسْفهم، وفَتَحَ أبوابَ الظُّلْم، وصادر النَّاس، وأخذ الرّشا، وأبطل الحقوق، وأساء السِّيرة (٣) [فكتب هبة الله بن الفَضْل الشاعر رقاعاً، وألزقها في المساجد والجوامع والشوارع، وفيها: [مجزوء الخفيف]

يا حزينه الطمي الطمي ... قد ولي ابن المُرَخِّم
وَيْ على الشَّرْعِ والقضا ... وعلى كلِّ مُسْلم
بدواته المفضضه ... ووكيلِه المُكَعْسَمِ(٤)

= والظاهر أن إعادة الترجمة في «الخريدة» هي من عمل أحد نُسَّاخه، والدليل على ذلك قوله في صدرها «من شعراء الخريدة»، وهذه عبارة لا يقولها العماد في كتابه، بل ربما كانت ورقة طيارة في ترجمة ابن بقي وضعت في غير موضعها، وقد أورد هذين البيتين ابنُ خلكان في «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٠٤-٢٠٥ نقلاً عن «الخريدة» في ترجمة يحيى بن بقي المذكور، والله أعلم.

(١) في (م) و(ش): بباب المعونة، وهو تحريف، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١١٩، وباب الغربة هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد. انظر «معجم البلدان»: ٤/ ١٩٢.

(٢) في النسخ الخطية: ابن المخرم أينما وقعت، والمثبت من «المنتظم»: ١٠/ ١١٩، ٢٠٧، وانظر ترجمته في «خريدة القصر»قسم شعراء العراق: ج٣/ م١/ ٣٣-٣٧، وابن الأثير في «كامله»: ١١/ ٢٥٨، ٣٦٢، و«معجم الأدباء»: ٢/ ٢٣٢، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ١٢٥، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢٣١.

(٣) في (ع) و(ح): وأساء السيرة واستطال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) لعلها من الكعسم: الحمار الوحشي بالحميرية، انظر «معجم البلدان»: ٥/ ٧٧.

أتــرى صــاحــب الــشــريــعــة[(١)] قــد جُــنَّ أو عــمــي
وأرى الــمــقــتــفــي الإمــامَ عــنِ الــحــق قــد عــمــي[(٢)]

وبلغ الخليفة، فعزَّ عليه، ولم يدر من كتبها. واستطال ابن المرَخِّم على الناس.

وهبة الله بن الفَضْل نذكره في سنة ستٍّ وخمسين وخمس مئة].

وفي رجب دَخَلَ السُّلْطان مسعود بغداد، وولَّى شحنكية البلد مسعود البلالي، وكان ظالماً عسوفاً، فوقع النَّاسُ في محنة عظيمة من عَسْف الوالي وقضاء القاضي [ابن المُرَخِّم] [(٣)].

وفيها قُتِل [أتابك][(٣)] زَنْكي [على قلعة جَعْبر.

وفيها][(٣)] ماتت بنت الخليفة.

ولما دخل مسعود بغداد عَمِلَ دارَ الضَّرْب، فَصَعُبَ على الخليفة، وقَبَضَ على الضَّرَّاب الذي كان سببَ ذلك، فبعث الشِّحْنة فقبض على حاجب الباب، وقال: لا أُطلقه حتى يطلق الضَّراب، وكان يوم الجمعة، فبعث المقتفي فأغلق أبواب الجوامع، وبطَّل الجميع، وأغلق أبواب المساجد ثلاثة أيام، ومَنَعَ القُضاة من الأحكام، فأطلق حاجبَ الباب، وكان ابنَ الصَّاحب.

وفيها استصلح مسعود عباساً صاحب الري، ثم قتله.

وفيها بَطَلَتِ المكوس والضَّرائب ببغداد؛ وسببه أنَّ ابن العَبَّادي[(٤)] جَلَسَ بجامع السُّلْطان، وحضر السُّلْطان عنده، فوعظه، وذكَرَ ما يجري على المُسْلمين من الظُّلْم، ثم قال: يا سلطان، أنت تَهَبُ في ليلةٍ لمطرب مثل هذا المأخوذ من النَّاس، فاحْسبني ذاك المطرب، واجعلْ ذلك شكراً لما أنعم الله عليك. فأشار بيده: قد فعلت. فارتفعت

---

(١) في (ش): الحكم.
(٢) الأبيات في «المنتظم»: ١٠/٢٠٧ ما عدا البيت الأخير.
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) ستأتي ترجمته ص٤٢٨ من هذا الجزء.

الضَّجَّة له بالدُّعاء، ونودي في البلد بإسقاطه، وكُتِبَ به ألواح، ونُصبت في المحالِّ والشوارع، فلم يزل الأمرُ كذلك حتى قَلَعَ الألواح الإمام النَّاصر، وقال: ما لنا حاجة أن يكون عندنا آثار الأعاجم.

وفيها قُتل [بوزبا.

وفيها بنى] [(١)] حسامُ الدِّين ابن أُرْتُق جسر القرمان في أرض مَيَّافارقين.

وحجَّ بالنَّاس قَيْماز الأُرْجواني، وحَجَّ الوزير نظام الدين بن جَهِير. [قال جدي رحمه الله: وكنتُ في الحجِّ تلك السنة، ومعي الزوجة والأطفال، وكنتُ أرى الوزير في طريق مكة متواضعاً وقد عادله أبو نصر الكرخي. وهذه أول حجات جدي، رحمه الله] [(٢)].

وفيها توفي

إسماعيل بن أحمد [(٣)]

ابن محمود [(٤)] ابن دُوْسْت، أبو البركات [بن أبي سَعد] [(٥)] الصُّوفي [المعروف] [(٥)]، شيخ الشيوخ ببغداد، [وكان أبوه أحمد من أهل نيسابور، فاستوطن بغداد، وولد له بها أبو البركات في] [(٦)] سنة خمس وستين وأربع مئة [(٧)]، وسمع الحديث [من طِراد الزَّيْنبي

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) في (ع) و(ح): وحج الوزير نظام الدين ابن جهير، وكان متواضعاً في الطريق، وعادله أبو نصر الكرخي، وما بين حاصرتين مثبت من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٢/ ٨٢١، و«المنتظم»: ١٠/ ١٢١، و«الكامل» ١١/ ١١٨، و«كتاب الروضتين»: ٢/ ١٧٨، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٩٣، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٨٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٦٠-١٦١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) في مصادر ترجمته ما خلا «المنتظم»: محمد.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) ولد سنة خمس.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٧) في (م) سنة خمس وأربعين وأربع مئة، وفي (ش) في سنة خمس وثلاثين، وكلاهما تحريف، والصواب ما هو مثبت من (ع) و(ح)، وهو الموافق لمصادر ترجمته.

وغيره] [١] ورواه، وتوفي في جُمادى الأُولى، وعُمِلَ له عُرْسٌ عظيم على مذهب الصُّوفية، وأُنفق فيه مالٌ كثير، واجتمع أربابُ الدولة ومشايخ الرُّبُط، رحمه الله تعالى[٢].

وفيها توفي

بوزبه صاحبُ خوزستان[٣]

كان قد نَفَرَ من مسعود، فخرج مسعود من بغداد إلى هَمَذَان، وكان بوزبه لما قتل مسعود عَبَّاساً قد جمع وحشد، والتقيا في مرج قراتكين، واقتتلا قتالاً عظيماً، وقيل: إنَّ بوزبه جاء في خمسة آلاف جريدةً ليكبس السلطان، وكان السُّلْطان في عشرة آلاف فارس، فحمل بوزبا، فكسر السلطان وتأخَّر، واشتغل أصحابه بالنَّهْب، وحمل عليهم مسعود فيمن بقي معه، وحمل عليه بوزبه، فعثر به فرسه، فَقُتِلَ، وبَعَثَ مسعود برأسه إلى بغداد.

[فصل: وفيها توفي] [٤]

جاولي الأمير، صاحب أَذْرَبيجان[٥]

كان شجاعاً شهماً، يخافه مسعود وغيره، وهو الذي جَمَعَ على مسعود، فلم يَثْبُتْ له، ثم اتَّفقا، ولما حَبَسَ مسعود أخاه سليمان شاه رَجَعَ عنه جاولي، وأقام ببلاده، ولم يلتفت على مسعود.

وسبب وفاته أَنَّه افتصد، ثُمَّ ركب، فَعَنَّ له أرنبٌ، فرماه بسهمٍ فانفجر فِصادُهُ، فَضَعُفَ، ولم يقدر الطَّبيب على حبس الدَّم، فمات.

فقال ابن الندى[٦] الشَّاعر [هذا البيت][٤]: [من الكامل]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش) إلا أنه جاء في آخر الترجمة، فأعدته إلى حاقِّ موضعه، مستأنساً بما ورد في «المنتظم»: ١٠/ ١٢١.

(٢) ولي ابنه صدر الدين عبد الرحيم بعده، وقد توفي سنة (٥٨٠هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٣) ذكر ابن الأثير في «كامله»: ١١/ ١١٩ مقتل بوزبه في حوادث سنة (٥٤٢هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) انظر «تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٨٥-١٨٦ .

(٦) في (ع): ابن البدوي، وفي (ح) و(م) و(ش): ابن الندى، ولم أقف عليه، ويستبعد أن يكون حسان بن تميم ابن نصر، المتوفى سنة (٥٦٠هـ)، فذاك ابن الندى، وهو دمشقي، وليس بشاعر، وقد جاء في «دولة آل سلجوق»: ١٨٦ ، وفي ذلك يقول زين الدين المظفر بن سيدي الزنجاني من قصيدة. ثم ذكر هذا البيت.

عشرونَ ألفَ مُهَنَّدٍ قد أُصلتت ... فَلَّتْ مضارِبَها نِكايةُ مِبْضَعِ

الخَصِيْب ابن سَلْم، أبو العلاء المُجَاشعي[(١)]

ولد سنة تسعٍ وخمسين وأربع مئة، ومن شِعْره: [من المتقارب]

فواحَسْرتا لِطِلاب المَعَاشِ ... وسعيي إليكُمْ بجسمٍ كَدُوْدِ

وما أنا في ظِلٍّ هذي الحياة ... وفَرْطِ التَّمَحُّلِ إلا كَدُوْدِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أُقَضِّي زماني بالَّتيَّا وبالَّتي ... ومِنْ دونِ إدراكِ المُنَى حادثٌ يَقْضي

وأمْزُجُ في كأسِ المَطامع والمُنَى ... مُجاجةَ سُمٍّ من خُلاصتِهِ مَحْضِ

زَنْكي[(٢)] بن آق سُنْقُر[(٣)]

أبو المُظَفَّر، عماد الدِّين أتابَك[(٤)].

كان قسيم الدولة آق سُنْقُر من أصحاب السُّلْطان مَلِك شاه؛ رُبِّي معه، فلما ولي السَّلْطنة جعله من خواصِّ أُمرائه، وخافه نظامُ المُلْك، فأراد إبعاده، فأشار بتوليته حلب وأعمالها، وأن يكون في معاملة أنطاكية ودمشق، فأُقْطِعَها سنةَ سبعٍ وسبعين وأربع مئة، وبَعَثَ ملك شاه فخر الدولة بن جَهِير إلى ديار بكر، وجعل آق سُنْقُر مقدَّمَ الجيش.

---

(١) هو الخصيب بن المُؤَمَّل بن محمد بن سلم التميمي المجاشعي، له ترجمة في «الأنساب»: ٣/ ٨٠، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٣٢١، و«لسان الميزان»: ٢/ ٣٩٨.

(٢) في (م) و(ش): وفيها توفي زنكي بن آق سنقر، أبو المظفر التركي، ولقبه أتابك عماد الدين، وآق سنقر أبوه، ولقبه قسيم الدولة، وكان من أصحاب السلطان ملك شاه، ولما قتل آق سنقر لم يكن له من الأولاد إلا زنكي، وكان ابن عشر سنين، فاجتمع إليه مماليك أبيه، وأقام زنكي إلى سنة (٥١٦هـ)، فأقطع واسطاً والبصرة.

(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»(خ) (س): ٦/ ٤٤٣، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٣٢٧-٣٢٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٨٩-١٩١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وقد توسعت في أخباره تواريخ تلك الفترة مثل «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي، و«الكامل» و«الباهر»، وكلاهما لابن الأثير، و«كتاب الروضتين» لأبي شامة، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) الأتابك لقب يتألف من كلمتين تركيتين، وهما «أتا» بمعنى أب، و«بك» بمعنى أمير، وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب رسلان كانوا يطلقون لقب أتابك على كبير أمرائهم، ويولونه الوصاية والرعاية بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير. =

وفي سنة إحدى وثمانين وأربع مئة ملك آق سُنْقُر حِمْص، وأقام إلى سنة سبعٍ وثمانين، وأخذ فامية والرَّحْبة وغيرها، ثم قتله تُتُش على تل السُّلْطان.

ولما قُتِلَ لم يكن له من الأولاد إلا زَنْكي، وكان ابنَ عشرة سنين، فاجتمع إليه مماليكُ أبيه، وخَلَص كربوقا من الحبس بحِمْص[1]، فعبر الفرات، وأخذ حَرَّان والجزيرة والمَوْصِل من علي بن مُسْلم بن قُريش، وعَظُمَ شأنه، وكان في خدمة بَرْكْيارُوق، فاستدعى مماليك ابن قسيم الدَّولة وولده زنكي، وقال: أنا أحقُّ به وبكم. وأقطعهم الإقطاعات السَّنِيَّة، وأقامُوا عنده، ولم يزل زنكي في كَنَفِ كربوقا وتربيته إلى سنة أربعٍ وتسعين، [وفيها توفي] [2] كربوقا.

وملك المَوْصل بعده موسى التُّرْكماني، فلم تَطُلْ مُدَّتُه[3]، وقيل: ملك المَوْصل بعده شمسُ الدَّولة جكرمش مملوك ملك شاه، فقرَّب زنكي، وأحبَّه، واتَّخذه ولداً لمكان أبيه، وقُتِل جكرمش سنةَ خمس مئة.

وملك المَوْصل بعده جاولي سقاوه، فاتَّصل به زَنْكي وقد كَبُرَ وظهرت عليه أمارات السَّعادة، ولم يزل معه حتى عصى جاولي على السُّلْطان محمد، وعَبَرَ إلى حلب ليأخذها من رضوان بن تُتُش، فأرسل السُّلْطان محمد إلى المَوْصل الأمير مودود، وأقطعه إيَّاها سنة اثنتين وخمس مئة، وفارق زَنْكي والأُمراء جاولي، وعادوا إلى المَوْصل.

واتصل زَنْكي بمودود، فأكرمه، وسار مودود إلى الشَّام بنية الغَزَاة ومعه زنكي، فظهر من شجاعته ونجابته ما استُدِلَّ به على عُلُوِّ هِمَّته، وقُتِلَ مودود في جامع دمشق وزَنْكي في صُحْبَته.

= وقد أطلق هذا اللقب على زنكي لما ولاه السلطان محمود الموصل، وسلَّم إليه ولديه ألب أرسلان وفرخشاه المعروف بالخفاجي ليربيهما. انظر «وفيات الأعيان»: ١/ ٣٦٥، ٢/ ٣٢٨، و«التعريف بمصطلحات صبح الأعشى»: ١٤.

(١) وذلك سنة (٤٨٩هـ).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا ليستقيم الكلام.

(٣) كان موسى التركماني نائباً عن كربوقا بحصن كيفا، فراسله أعيان الموصل ليسلموها إليه، فسار إليها، فقتل سنقرجه ـ وكان كربوقا قد عهد إليه بالموصل ـ ثم قُتل موسى التركماني في السنة نفسها. انظر «الكامل»: ١٠/ ٣٤٢-٣٤٣.

وأقطع السُّلْطان المَوْصل لآق سُنْقُر البُرْسُقي[١]، وأمره بتقديم زنكي والرُّجوع إليه في المهام، وعادَ إلى المَوْصِل، فتلقَّاه البُرْسُقي، وأَحْسَنَ إليه، وقدَّمه، ـ وكان زنكي في عساكر العجم يُعرف بالشَّامي ـ وسار البُرْسُقي إلى الرُّها، فقاتل أهلَها، فأنكى زنكي فيهم، وأبلى بين يديه بلاء حسناً، وعاد البُرْسُقي إلى بغداد، وأقام زنكي بالمَوْصل وقد ظهر له صيتٌ عظيم.

ومات السُّلْطان محمد شاه بن ملك شاه، وولي بعده ابنه محمود، وجرى بينه وبين عَمِّه سنجر وقائع، ثم اصطلحا، وأقام زنكي إلى سنة ستَّ عشرة وخمس مئة، فأُقطع واسطاً والبَصرة، وقيل: أُعطي شحنكية البصرة، وخافه دُبَيْس، واختلف المسترشد ودُبَيْس، وسار البُرْسُقي مع الخليفة إلى دُبَيْس وكسراه، وكان زنكي مع الخليفة، فأبلى بلاءً حسناً، وأمر السُّلْطان محمود أن يرجع البُرْسُقي إلى الموصل، فأرسل إلى زنكي، وكان بالبصرة يطلبه ليسير معه، فقال زنكي لأصحابه: قد ضَجِرْنا مما نحن فيه، كلُّ يومٍ في بلد، اقصدوا بنا باب السُّلْطان محمود.

فسار من البصرة إلى السُّلْطان، فأكرمه، وكان يقف إلى جانب التَّخْت[٢] عن يمينه لا يتقدَّم عليه أحد، وهو مقامُ والده. ثُمَّ ولاه شحنكية بغداد، وقُتِلَ البُرْسُقي في جامع المَوْصل، وولاها مسعود بن البُرْسُقي، فلم يقم بها[٣]، فولاها السُّلْطان زنكي، فقام بها أحسنَ قيام، وفتَحَ بلاداً كثيرة: إرْبل، وجزيرة ابن عمر، وسِنْجار، والرَّحْبة وغيرها، وعَبَرَ الفرات، فأخذ حلب وحماة وحمص وبَعْلَبَكّ، وعاد إلى الشَّرْق، ففتح دارا سنة أربعٍ وعشرين [وخمس مئة][٤]، وفَتَحَ العَقْر وشوش سنة سبعٍ وعشرين[٥]

(١) وهم سبط ابن الجوزي، إذ إن السلطان محمداً أقطع الموصل بعد مقتل مودود لجيوش بك، وجَهَّز آق سنقر البرسقي في العساكر لقتال الفرنج، ومن ثم قال في آخر الخبر: وعاد البرسقي إلى بغداد، وقد نبهنا على ذلك أيضاً في حاشيتنا رقم ٤ ص٧٥ من هذا الجزء.

(٢) يعني تخت السلطان.

(٣) لم تطل أيام مسعود بن البرسقي، وقد توفي سنة (٥٢١هـ)، وولي الأمر بعده أخوه الصغير، وقام بتدبير دولتيهما الأمير جاولي مملوك البرسقي، ثم ولي زنكي، انظر «الروضتين»: ١/ ١١٥.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) كذا في (ع) و(ح)، وفي «الروضتين» ١/ ١٢٠ تسع وعشرين، وفي «الكامل»: ١١/ ١٤، و«الباهر»: ٤٨ ثمان وعشرين.

[وخمس مئة][(١)]، وسار إلى بغداد لنجدة الرَّاشد، وخرج به من بغداد سنة ثلاثين وخمس مئة، [وجرى ما ذكرناه] [(٢)]؛ وفي سنة أربعٍ وثلاثين وخمس مئة أخذ شَهْرُزور [من ابن قفجاق التركماني][(١)] وحصر دمشق مراراً، وبنى العِمادية في الهكَّارِيَّة، وكان فسادُ الأكراد قد عمَّ، فانزجروا بها، وفتح الرُّها وطَنْزة والمَعدِن وحِيْزان وحاني، وغيرها.

وكان ينهى أصحابه عن شِرَى الأملاك، ويقول: الإقطاع يُغني عنها، ومتى كانت البلادُ لنا فلا حاجة إليها، ومتى ذهبتِ البلادُ منا ذهبت الأملاكُ معها، ومتى كان لأصحابِ السُّلْطان أملاك تعدُّوا على الرَّعية وظلموهم.

وكانت له عنايةٌ بأخبار البلاد، [ويغرم عليها الأموال، فكان يقف على أخبار الملوك ساعة بساعة، وإذا جاء رسول لا يمكنه من الحديث مع أحد من الرعية لئلا يخبر بأخبار البلاد] [(١)].

وأودع بعضَ أصحابه خُشْكنانكة[(٣)]، فأقامت عنده سنة، ثم طلبها منه، فأحضرها، فَعَجِبَ، وقال: مِثْلُك يَصلُح لحفظ الأموال. وولاَّه قلعة كَوَاشى [وهي قلعة عظيمة][(١)].

وكان يفرِّقُ الأموال في القلاع والبلاد ويقول: إذا كانت الأموال في موضعٍ واحد وحَدَثَ حادِثٌ وأنا في موضعٍ آخر لم أنتفعْ بها وذَهَبَتْ، وإذا كانت متفرِّقة لم يُحَلْ بيني وبينها، ورجعتُ إلى بعضها.

وكان مهيباً، بلغه أنَّ بعض الولاة تعرَّض لامرأةٍ، فقلع [عينيه][(١)]، وقطع ذكره، [فخاف الولاة وانزجروا][(١)].

ذِكْرُ مَقْتَلِه: كان قد نازل قلعة جَعْبر، وبها شهابُ الدِّين سالم بن مالك العُقَيْلي - [وكان ملك شاه أعطاه إياها لما أخذ منه حلب وقد ذكرناه[(٤)]][(١)] - فقاتلها، ونَصَبَ عليها

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر ص٢٨٢ - ٢٨٣من هذا الجزء.

(٣) نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز أو الفستق، يكون على هيئة الهلال. انظر «المعرب»: ١٣٤ ، ودوزي: ١/ ٣٧٣.

(٤) ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في حوادث سنة (٤٧٩هـ)، وقد وهم في قوله هنا: وبها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي، لأن سالماً إنما تولاها زمن ملكشاه، ويلقب شمس الدولة، وقد توفي سنة (٥١٩هـ)، وكان =

المناجيق، [وضايقها][١] ولم يبق إلا فَتْحُها، فلما كان ليلة الثّلاثاء سابع عشرة ربيع الآخر[٢] اتَّفق على قَتْله ثلاثةٌ من خُدَّامه، وكان مُغْرًى بخصي أولادِ النَّاس، [خصى جماعةً، فلما كان في هذه الليلة ذبحوه] [٣] في فراشه، وهربوا إلى القلعة ونادوا بالحراس: عَرِّفُوا شهابَ الدِّين أنَّا قد جئنا في مهم. فأحضرهم، فأخبروه، فقال للحُرَّاس: صيحوا على عسكره مَلِّحوه ملِّحوه. فصاحوا، فدخل أصحابُه عليه، فوجدوه مذبوحاً، فحملوه في سفينة إلى الرَّقَّة، فدفنوه[٤] بها. [وقد صار موعظة للعالمين[١]].

وقال أبو يعلى ابنُ القلانسي: هَجَمَ على رَبَض قلعة جعبر، ونهبه، وأخذ أهله، فعمد أحدُ خدمه ومن كان يهواه ويأْنَس به ويُعرف بيرنقش الإفرنجي، ووافقه بعضُ الخدم، فاغتالوه عند نومه ليلة الأحد سادس عشر ربيع الآخر[٢]، وهو على غايةٍ من الاحتياط بالرِّجال والحُرَّاس والعُدَد حول سُرادقه، فذبحوه على فراشه بعد ضربات تمكَّنَتْ من مقاتله، وهَرَبَ الخادمُ إلى القلعة، وصاحِبُها عِزُّ الدين علي بن مالك بن سالم العُقَيْلي، فبشَّره بهلاكه، فأكرمه وسُرَّ. وكان قد أرسل خواصَّه إلى زنكي بما استدعاه منه من آلاتٍ فاخرة وذخائر وافرة، فعند حصوله عليها عَزَمَ على الإساءة إليهم، وغَدَرَ بهم، فجاءه من القضاء ما صار به عبرةً لأُولي الأبصار، وتفرَّقت جيوشُه أيدي سبا، ونُهِبَتْ أمواله، وقُبرَ هناك بغير تكفين، ثم نُقِلَ إلى الرَّقَّة[٥].

= واليها حين حاصرها زنكي هو عز الدين علي بن مالك بن سالم العقيلي، كما سيأتي بعد أسطر، وقد قتل سنة (٥٤٦هـ)، وولي بعده ابنه شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي، وهو الذي أخذ نور الدين محمود بن زنكي منه قلعة جعبر، وذلك سنة (٥٦٤هـ).

وقد أسقط زامباور في «معجم الأنساب»: ٢٠٦ عز الدين من ولاة قلعة جعبر، انظر «الكامل»: ١٠/ ٦٣٠ ، و«دولة آل سلجوق»: ٢٠٧ ، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٩٦ ، ٢/ ٤١ .

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) كذا، وعند ابن الأثير وغيره أنه قتل في خامس ربيع الآخر، انظر «الباهر»: ٧٤ ، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٣٢٨ ، و«السير»: ٢٠ / ١٩١ ، وهو الصواب.

(٣) في (ع) و(ح): وكان مغرى بخصي أولاد الناس، فذبحوه في فراشه، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) ذكر ابن الأثير أنه دفن في صفين، انظر «الباهر» ٧٥-٧٦ ، ثم ذكر أبو شامة أنه نقل إلى الرقة فدفن بها، انظر «الروضتين»: ١/ ١٥٥ ، وسيأتي بعد أسطر .

(٥) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٤٤-٤٤٥ .

ذِكْرُ ما تجدَّد [مِنَ الحوادث][١] **بعد مقتله:** [منها أنه][١] كان معه أولاده الثَّلاثة؛ سيف الدِّين غازي، ونور الدِّين محمود، وقُطْب الدّين مودود، وكان له ولدٌ آخر اسمه أمير أميران نُصرة الدِّين انقرض عقبه، ونور الدِّين كان له إسماعيل، مات وانقرض عقبه [بعده][١]، والعقب لمودود، فسار غازي إلى المَوْصل وبها زين الدين [علي][١] كوجك، فامتنع عليه أياماً حتى تقرَّرَتِ الأمور، ثُمَّ دخل الموصل، [[٢]وهذا هو المشهور.

ورأيت في بعض تواريخ المَوْصِل أنَّ سيفَ الدين غازي لم يكن مع أبيه لما قُتِلَ، وكان بشَهْرُزور، كان أبوه قد أعطاه إياها]، فأرسل إليه زينُ الدِّين[علي][١]، وكان زنكي قد عَهِدَ إليه أَنَّ المَوْصِل لغازي، فلما جاء استحلفه على أشياء، ثم دخلها.

وأما نور الدين [محمود][١]، فإنَّ صلاح الدين الياغبساني وسيف الدولة سوار أخذاه، ومضيا به إلى حلب، فدخلها.

وكان ألب أرسلان بن السُّلْطان محمود في[٣] عسكر زَنْكي لما قُتِل، فركب، وأحدقتْ به العساكر، وكان الوزيرُ جمال الدين حاضراً، فأرسل إلى الحاجب صلاح الدِّين الياغبساني ـ وكان بينهما منافسة ـ يقول: المصلحة أنْ نترك ما بيننا وراء ظهورنا، وندبِّر أمراً نُبقي المُلْك في يد ولد صاحبنا، ونعمر بيته جزاء إحسانه إلينا، ولا ننقله إلى الأعاجم، فنهلك بعد أن نذوق الذُّلَّ والهوان، وألب رسلان قد طَمِعَ في البلاد، واجتمعتْ إليه العساكر، وإن لم نتلافَ الأمر من أوله وإلاَّ اتَّسع الخَرْقُ، ولا يمكن رقعه. فأجابه، وتحالفا، وركبا إلى ألب رسلان وقالا: إنَّ أتابك كان نائباً عنك، وأنت السُّلْطان، وباسمك كُنَّا نُطيعه. وخدعاه، وبعثا إلى زين الدِّين كوجك فَعَرَّفاه، ثم قال الوزير للملك: المصلحة أن تُسَيِّرَ الصَّلاح إلى حلب يكون عند نور الدين، وأبقى أنا عندك. فأجابه، وأخذ الوزيرُ الملك وسار به نحو الرقة، فاشتغل باللهو واللَّعِب

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): ثم دخل الموصل، وفي بعض التواريخ أن سيف الدين كان بشهرزور، فأرسل إليه زين الدين.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح): وكان في عسكر زنكي، بزيادة لفظ «وكان»، ولعلها زيادة من الناسخ.

والخمر، فشرع الوزير يحلِّفُ الأُمراء واحداً بعد واحد لأولاد زنكي سِرًّا، وكل من حلّفه يُسَيِّره إلى المَوْصل، وجاء به إلى سِنْجار، وأرسل سراً إلى الدُّزْدار[١] أَنَّه لا يسلِّمها إليه. فامتنعَ من تسليمها، فغضب الملك، فقال له الوزير: سِنْجار قَريةٌ، وما مقدارها! لا تسمع الملوك عنك أَنَّك تحاصر قريةً، والمصلحة تتوجَّه إلى المَوْصل، فإنَّ غازي مملوكك، ومتى بلغه وصولك خرج إليك، فاقْبِضْه، وتُسَلَّم المَوْصل. فلما قربُوا قال له الوزير: أنا أتقدَّمك لأجل الإقامات، وإنْ توقف غازي عن لقائك أَخرجته إليك. فقال له: سر. فجاء إلى المَوْصِل، وقال لغازي: هذا الملك الذي كنتَ تخافه قد حملته إلى حضرتك، فاخرجْ إليه وأَكْرِمْه، ثم أَنْزِلْه في القلعة، ودَعْه في أكله وشُرْبه، وقد أَمَّنْتُه. ففعل غازي ذلك.

وقيل: إنه أنزله بظاهر الموصل، وبعث إليه في الليل عِزَّ الدين الدُّبَيْسي فأخذه وأدخله المَوْصل ليلاً، فكان آخر العهد به.

وقيل: إنَّ الوزير وزين الدين كوجك وافقا الملك، وكان غازي ببغداد في خدمة السُّلْطان مسعود وبلغه الخبر، فاستأذن السُّلْطان في المسير إلى المَوْصل، فأَذِنَ له، فلما قَرُبَ منها خَرجَ الملكُ خائفاً على نفسه، ومضى إلى الجزيرة، فبعث إليه غازي وطَيَّب قلبه، فعاد إلى المَوْصل، فأجلسوه يوماً على سرير المُلْك، ثم حجبوه. وقيل: إنَّهم قتلوه، واستقلَّ غازي بالملك.

وأما نورُ الدِّين فإنَّه لما وصل حلب أَظْهَر العَدْل والإحسان، وأسقط المكُوس، وأَهْراق الخمور، وتصدَّق على الفقراء والمساكين، واستمال القلوب، فأطاعوه، ولقِّب بالملك العادل.

ولما عرف معين الدِّين أُنَر صورة الحال شَرَعَ في التأَهُّبِ لقَصدِ بَعْلَبَكَّ، وانتهاز الفُرْصة فيها، فَنَهَدَ إليها وضايقها، وضربها بالمجانيق، فَقَلَّ الماءُ بالقلعة، فراسله واليها[٢]، فَطَلَبَ الصُّلْح والعِوَض بإقطاع، فأجابه، وسلَّمها إليه في جُمادى الأولى.

---

(١) الدزدار: بضم الدال المهملة، وسكون الزاي، وفتح الدال المهملة، بعد الألف راء، وهو لفظ عجمي معناه حافظ القلعة، وهو الوالي، ودزه بالعجمي القلعة، ودار: الحافظ، «وفيات الأعيان»: ٧/ ١٤٢ .

(٢) هو نجم الدين أيوب بن شاذي، والد صلاح الدين، انظر «كتاب الروضتين»: ١/ ١٧٤-١٧٥ .

وأمّا يرنقش قاتلُ زَنْكي فانفصل من قلعة جعبر في جُمادى الآخرة لخوف صاحبها من طلبه، ووصل دمشق ظنًّا منه أنه قد أَمِن [، ومدلاً بما فعل] (١)، فقُبِض عليه وبُعث به إلى حلب، فَبَعَثَ به نورُ الدِّين إلى المَوْصل، فَقُتِلَ شَرَّ قِتْلَة، ومُثِّلَ به أقبح مُثْلة.

وأما جوسلين فإنه راسل من كان بالرُّها من الأرمن لَمَّا بلغه قَتْلُ زنكي، ووعدهم يوماً بعينه يصل إليهم فيه، وجاء فدخل البلد، فامتنعت عليه القلعة، وبلغ الخبر نور الدين وهو بحلب، فسار إليها بعساكره، فهرب جوسلين، ودخلها نورُ الدين، فَقَتَلَ مَنْ كان بها من الأرمن، وغَنِمَ أموالهم، واستقرَّت في يدِ نور الدين، ولم يعارضه أخوه غازي.

ولما مَلَكَ سيفُ الدِّين المَوْصل راسل أخاه نورَ الدِّين في الاجتماعِ به، فاعتذر بالفرنج خوفاً على نَفْسه، فَحَلَفَ له، واتَّفقا أن يجتمعا في الجزيرة، ومع كلٍّ واحدٍ منهما خمس مئة فارس، فخرج سيفُ الدين من المَوْصل، وقَطَعَ نورُ الدين الفرات، ووصل الخابور، فالتقيا في اللَّيل، ولم يعرفه نورُ الدين، فلما عَرَفَه ترجَّل، وقَبَّلَ الأَرْضَ، وترجَّل سيفُ الدين، وتعانقا، وبكيا، وجلسا يتحدَّثان، فقال له سيفُ الدين: يا أخي، ما الذي مَنَعَك من المجيء إلى عندي، أكنتَ تخاف مني؟ والله ما خَطَرَ لي ما تكره، وأنا فلمن أريدُ الدُّنيا، وبمن أنتصر إذا فعلتُ مع أخي وأعزِّ الخَلْق عليَّ ما يكره! فطابَ قلبُ نورِ الدِّين، وافترقا، وكان سيفُ الدِّين الأكبر.

[وفيها توفي:

سَعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد (٢)

أبو الحسن، الأندلسي. سافر من بلاد الأندلس إلى بلاد الهند والصِّين، ورَكِبَ البحار، وقاسى الأخطار، ثم قَدِمَ بغداد، وتفقَّه على أبي حامد الغزَّالي، وسمع الحديث، وصنَّف الكتب، وقرأ الأدب على الخطيب التِّبْريزي وغيره، وكانت وفاته

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٢/ ٢٩٧-٢٩٨، و«المنتظم»: ١٠/ ١٢١، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٥٧-١٥٩، و«معجم البلدان»: ١/ ٤٩١، و«اللباب»: ١/ ١٧٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٥٨-١٦٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

يوم السبت عاشر المحرَّم، وصلَّى عليه الغَزْنوي بجامع القَصر، وصلَّى عليه قاضي القضاة الزَّيْنبي والأعيان، ودفن إلى جانب عبد الله بن أحمد بن حنبل بوصيةٍ منه.

سمع طِرَادَ بنَ محمد الزَّينبي، وابن البَطِر، وثابت بن البُنْدار، وخَلْقاً كثيراً، وكان صالحاً ثقة، وأخرج جدِّي رحمه الله عنه في «المشيخة»، وقال: قرأتُ عليه الكثير. وأثنى[1] عليه][2].

فصل: وفيها قُتِلَ

الأمير عَبَّاس شِحْنة الرَّي[3]

كان شجاعاً شَهْماً، جَوَاداً، يباشر الحروب بنفسه، وكان قد تغيَّر على السُّلْطان مسعود، فما زال به حتى أصلحه، فَقَدِمَ بغداد، فأكرمه وقَرَّبه، وكان ينادمه، فقال الأُمراء لمسعود: ما بقي لنا عدو غير عباس وما نأمنه. فاستدعاه في ذي القَعدة، فلما صار في دِهْليز الدَّار وَثَبَ عليه جماعةٌ، فقتلوه، ورُمي ببدنه في دِجْلة، وبرأسه إلى ظاهر الدَّار، فثار العوام، وبكوا وضَجُّوا، وقالوا: قَتَلْتَ عَبَّاساً الصَّائم القائم المصلي الذي ما ارتكب كبيرةً قط، وتولي علينا البلالي، وترضى بابن المُرَخِّم[4]؟! فوعدهم بعزلهما، فسكنوا، وقيل: إنَّه لم يُرْمَ بَدَنُه في الشَّطِّ، وإنما حُمِلَ إلى المشهد الذي مقابل دار السُّلْطان، فدفن فيه.

وكان كثيرَ الصَّدقَات، يُكرِمُ الوافدين عليه، وحُكي أَنَّه ما شَرِبَ خمراً ولا زنى قط، وأنه قَتَلَ من الباطنية ألوفاً، وبنى من رؤوسهم منارةً.

[وفيها توفي

عبد الله بن علي بن أحمد[5]

ابن عبد الله، أبو محمد، المقرئ الحَنْبلي، سِبْط الشيخ أبي منصور الزَّاهد.

---

(١) «مشيخة ابن الجوزي»: ١٥٧-١٥٩.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٢٣، و«الكامل»: ١١/ ١١٦-١١٧، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص٣٥٩.

(٥) له ترجمة في «الأنساب»: ٥/ ٢٢٥، و«نزهة الألباء»: ٤٠٢-٤٠٣، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣/ ٢٥-٢٨، و«المنتظم»: ١٠/ ١٢٢، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٦، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٩، =

ولد ليلة الثلاثاء السَّابع والعشرين من شعبان سنة أربع وستين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وصنَّف الكتب في القراءات، وأَمَّ النَّاس في المسجد نحواً من ستين سنة، وقرأ عليه القرآن خَلْقٌ لا يحصون، منهم جدِّي، وشيخنا أبو اليُمْن الكِنْدي، وسمعا منه الحديث. وذكره جدي في «مشيخته»، وقال: لم أسمع قارئاً أطيبَ نغمةً ولا أَحسنَ أداءً منه على كِبَرِ سِنِّه[1]، وكان ظاهر الكياسة والظَّرافة، حَسَنَ العِشْرة للعوام والخواصّ، وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشرين شعبان[2]، وصلَّى عليه الشيخ عبد القادر بجامع القَصر وجامع المنصور، وكانت له جِنازةٌ عظيمة. قال جدي: ما رأيت مثلها، كان أول الناس عند قبر أحمد، وآخرهم في نهر المعلى، وغُلِّقت أسواق بغداد، ودفن في دكة أحمد ابن حنبل عند جده أبي منصور[3]، وسمع خلقاً لا يحصون، وكان صائماً قائماً][4].

عبد الرحيم[5] بن المُحَسِّن

ابن عبد الباقي، أبو محمد، التَّنوخي.

كان شاعراً فصيحاً، مات بميَّافارِقين سنة اثنتين وأربعين، وقيل: سنة إحدى وأربعين، ومن شعره: [من البسيط]

هاجَ اشتياقَك بَرْقٌ خاطِفٌ لمعا ... وَهْناً ونوحُ حمامِ الأَيْك قد سَجَعا
أضاءَ منه الحِمى لمَّا تألَّقَ مِنْ ... أكنافِ نَجْدٍ فأذكى الوَجْدَ والجَزَعا

= و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ١١٨، و«إنباه الرواة»: ٢/ ١٢٢-١٢٣، و«معرفة القراء الكبار»: ٢/ ٩٦٠-٩٦٣، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ٢٠٩-٢١٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٣٠-١٣٢، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١٣٣-١٣٧، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(١) «مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٩.

(٢) هذا وهم ربما من المصنف أو المختصر اشتبه عليه شهر ولادته بشهر وفاته، والصحيح الذي أجمعت عليه مصادر ترجمته أنه توفي في شهر ربيع الآخر وإن اختلفوا في تحديد يوم وفاته، ففي «المنتظم» ثامن عشر، وفي «إنباه الرواة»: ثامن عشرين، وفي «السير»: في الثاني والعشرين منه، والله أعلم.

(٣) في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٢.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ح) عبد الرحمن، وهو تحريف، وله ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٤٢/ ١٧٨-١٧٩ والأبيات فيه، ما عدا البيت الأخير، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

يا بَرْقُ ما العَهْدُ مَنْسِيٌّ لديكَ ولا ... حَبْلُ الهوى رَثَّ لما بِنْتَ فانْقطعا
أقسمتُ بالحِجرْ والبيتِ الحرام ومَنْ ... أَهَلَّ معتمراً من أهله[1] وسعى
إنَّ الأُلى بنواحي الغُوطتَيْنِ وإنْ ... شَطَّ المَزَارُ بهمْ يوماً وإنْ شَسَعا
أَشْهى إلى ناظري من كلِّ ما نَظَرَتْ ... عَيْني ومن[2] مَسْمَعي من كلِّ ما سُمِعا
ولا تعوَّضْتُ عنهمْ بالحِمى عِوَضاً ... نَعَمْ سقى الله سُكَّانَ الحِمى ورعى

محمد بن المبارك[3]

ابن علي، أبو عبد الله.

كان شاعراً لبيباً، ومن شِعْره في مُغَنٍّ بارد اسمه محمود: [من الخفيف]

لو أراد الإلهُ بالأَرْضِ خِصباً ... ما تغنَّى مِنْ فوقها محمودُ
كلما أَنْبَتَتْ يسيراً من العُشْـ ... ـبِ وغنَّى غطَّى عليه الجليدُ

مُسْلم بن الخَضِر بن مُسْلم[4]

ابن قسيم، أبو المَجْد الحَمَوي الشاعر الفاضل، [ذَكره العماد في «الخريدة»، ومَدَحَ زَنْكي وولده نور الدين محمود][5]. ومن شعره: [من البسيط]

(١) في (ح): من حوله.

(٢) في (ح): وفي.

(٣) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٤/ ٣٨٠-٣٨١، والبيتان فيه.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٦٣-٤٦٥، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٤٣٣-٤٨٠، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٩١، ١٢٤، ٤٢٥، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ٥٥٥-٥٦٣، و«فوات الوفيات»: ٤/ ١٣٤-١٣٥.
ولم يذكر ابن عساكر تاريخ وفاته، وذكر العماد في «الخريدة» أنه توفي سنة نيف وأربعين وخمس مئة، ولم يحدد سنة وفاته، وقد ذكرها السبط في وفيات هذه السنة (٥٤١هـ)، وتابعه على ذلك الصفدي في «الوافي بالوفيات»، وابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات»، وفي هذا التحديد نظر، لأن العماد ذكر له قصيدة يمدح فيها معين الدين أُنَر سنة (٥٤٢هـ)، انظر «الخريدة»: ١/ ٤٥٧.
وقد جمع شعره الدكتور سعود محمود عبد الجابر، ونشر في دار البشير، عمان سنة ١٩٩٥، وهي نشرة تعوزها الدقة.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

أهلاً بطيفِ خيالٍ زارني(١) سَحَراً فقمتُ واللَّيلُ قد شابَتْ ذوائِبُهُ
أقبِّلُ الأَرْضَ إجلالاً لزَوْرَتِهِ كأنَّما صَدَقَتْ عندي كواذِبُهُ
ومودِعُ القلبِ من نار الجَوَى حُرَقاً قضى بها قَبْلَ أَنْ تُقْضى مآرِبُهُ
تكاد مِن ذِكْرِ يوم البَيْنِ تَحْرِقُه لولا مدامعُ، أنفاسٌ تغالِبُهُ(٢)

وقال: [من المديد]

مُلِّكوا حتى إذا مَلَكُوا أخذوا فوقَ الذي تركوا
ما على الأحبابِ إنْ تَلِفَتْ مُهْجَتي في حُبِّهم دَرَكُ
عاقبوني بالجفا ويدي بذيولِ العَفْوِ تَمْتَسِكُ
هتكوا سِتْرَ الوِصالِ فوا حَرَبا من عُظْمِ ما هتكوا
وطريقُ الوَصلِ واضحةٌ فلماذا غَيْرَها سَلَكُوا(٣)

السنة الثانية والأربعون وخمس مئة

فيها ولَّى المقتفي عونَ الدِّين يحيى بنَ محمد بن هُبيرة كتابة الزِّمام، وعَزَلَ عنها مهدويه(٤) في المحرَّم.

وفي ربيع الأول عُزِلَ أبو نَصر بن جَهِير من الوِزارة، وسكن بالدَّار التي بناها بباب المراتب [على شاطئ دجلة عند باب الأزج، وهي التي آل أمرها إلى أن] (٥) اشترتها بنفشا جارية المستضيء، ووقفتها مدرسةً للحنابلة، [وسلَّمَتها إلى جَدِّي رحمه الله في سنة سبعين وخمس مئة، فَذَكَرَ بها الدَّرْسَ، وأقام فيها، وهي اليوم تُعْرف به] (٦).

وفي جُمادى الأُولى استوزر الخليفة أبا القاسم عليَّ بن صدقة، نقله من المخزن إليها، واستدعاه ومعه قاضي القضاة الزَّيْنبي وجماعةٌ من الخواص، فشافهه بها، وخَلَعَ عليه، ومضى إلى الدِّيوان، وقرأ ابنُ الأَنْباري كاتبُ الإنشاء عهدَه.

(١) في (ع) و(ح) و(ش): جاءني، والمثبت من (م).
(٢) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١/ ٤٣٤.
(٣) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٤٦٥.
(٤) في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٤ ابن مهدويه.
(٥) في (ع) و(ح): بباب المراتب وهي التي اشترتها.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقَدِمَ ابنُ العَبَّادي في رسالةِ السُّلْطان إلى الخليفة، فالتقاه أربابُ الدَّوْلة سوى الوزير.

وولى المقتفي يحيى بن جعفر المخزن، ولقبه زعيم الدِّين.

وفي رمضان هرب إسماعيل بن المستظهر أخو الخليفة من الدَّار، وخرج وعلى رأسه طبق، فاختبأ بباب الأَزَج يومين، وقامت على الخليفة القيامة، ووثب الخَدَمُ في طلبه، فجاؤوا به، فَرَدَّه إلى الدَّار، واحتيط عليه.

وفيها فتح نور الدين حِصن أَرْتاح وكَفْرلاثا من بلد حلب.

وفيها استولى عبد المؤمن بن علي على مَرَّاكُش مدينة المغرب بالسَّيْف، وقَتَلَ مَنْ بها من المقاتلة، ولم يتعرَّض للرَّعية، وأحضر اليهود والنَّصارى، وقال: إنَّ الإمام المهدي أمرني أن لا أُقِرَّ النَّاس إلا على مِلَّة الإسلام، وأنتم تزعمون أنَّ بعد الخمس مئة يظهر من ينصر شريعتكم، وقد انقضتِ المُدَّة، وأنا مخيِّركم بين ثلاث: إمَّا أَنْ تُسْلِمُوا، وإما أن تلحقوا بدار الحَرْب، وإمَّا [أن] (١) أضرب رقابكم. فأسلم منهم طائفة، ولحق بدار الحَرْب أُخرى.

وأَخْرَبَ الكنائس والبيع ورَدَّها مساجد، وأبطل الجِزْية، وفعل ذلك في جميع ولاياته، ثم فَرَّق بيتَ المال وكَنَسَه، وصلَّى فيه، وأمر النَّاسَ بالدُّخول إليه والصَّلاة [فيه](١) كما فَعَلَ أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السَّلام، وقَصَدَ حُسْنَ السِّيرة، وليعلم النَّاس أنَّه لا يُؤْثر جَمْعَ المال، ولا يدَّخر شيئاً.

ثم أقام معالم الإسلام والحدود على الوجه الشَّرْعي مع السِّياسة الكاملة. وقال: مَنْ ترك الصَّلاة ثلاثة أيام، فاقتلوه. وشدَّد في الأمور، فلم يَدَعْ منكراً إلاَّ وأزاله، وكان يُصَلِّي بالناس الصَّلوات الخمس، ويقرأ في كل يوم سُبعاً من القرآن بعد صلاة الصُّبْح، ويَلْبَسُ الصُّوف، ويصوم الاثنين والخميس، ويَقْسِمُ الفيء على الوجه الشَّرْعي، فأحبَّه النَّاس، [ومالوا إليه](١) لِنَسْخه أفعالَ مَنْ تقدَّمه.

وحجَّ بالنَّاس قيماز، ولم يَزُرْ رسولَ الله ﷺ لقِلَّة الماءِ في الطَّريق.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل وفيها توفي:

دعْوان بن علي بن حَمَّاد[1]

ابن صدقة [الجُبِّي] [2] أبو محمد الضَّرير.

[ولد سنة ثلاثٍ وستين وأربع مئة بجُبَّة، وهي قرية عند العَقْر في طريق خراسان[3].

سمع الحديث الكثير، وقرأ القرآن، وتفقه على أبي سَعد المُخَرِّمي، و][2] كان صالحاً عفيفاً على مذهب السَّلف، [انتفع به خلق كثير، و][2] توفي في ذي القَعدة، ودُفِنَ [عند أبي بكر الخلالِ][2] بباب الأزَج.

قال عبد الله الجُبَّائي[4]: رأيته في المنام بعد موته وعليه ثيابٌ بيضٌ، وعِمامة بيضاء، وهو يمضي إلى الجامع لصلاة الجُمُعة، فأخذتُ بيده، ومشيت معه، وقلتُ له: أيش لقيت من الله تعالى؟ فقال لي: عُرِضْتُ عليه خمسين مرة، وقال لي: أيش عملت؟ قلتُ: قرأتُ القرآن وأقرأته. فقال لي: أنا أتولاك، أنا أتولاك، أنا أتولاك. قالها ثلاثاً. قال عبد الله: فأصابني الوَجْد، وصحت وانتبهتُ[5].

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٧-١٢٨، و«معجم الأدباء»: ١١/ ١١٢-١١٣، و«معجم البلدان»: ٢/ ٩٧، و«معرفة القراء الكبار»: ٢/ ٩٧١-٩٧٢، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١١٥، و«الوافي بالوفيات»: ١٤/ ١٨، و«نكت الهميان»: ١٥٠-١٥١، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٢١٢-٢١٣، و«غاية النهاية»: ١/ ٢٨٠-٢٨١، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٣١.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الجبة اسم لغير موضع، والتي ينسب إليها دعوان هي قرية من سواد بغداد من أعمال النهروان، انظر «معجم البلدان»: ٢/ ٩٧، و«التكملة لوفيات النقلة»: ٢/ ١٥٤، و«معرفة القراء»: ٢/ ٩٧١.

(٤) في النسخ الخطية: أبو عبد الله، بزيادة «أبو»، وهو خطأ، وسيأتي على الصواب في آخر الخبر، وعبد الله الجبائي هو عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الشامي الجبائي، الإمام القدوة، قدم بغداد سنة (٥٤٠هـ)، وله إحدى وعشرون سنة، فصحب الشيخ عبد القادر، وحصَّل الأصول. ثم استوطن أصبهان، وتوفي سنة (٦٠٥هـ)، وكان ذا قبول ومنزلة وصدق وتأله، والجبة التي ينسب إليها هي قرية من أعمال طرابلس الشام، وقد خطَّأ ياقوت في نسبته الجبائي، فقال: كذا كان ينسب نفسه، وهو خطأ، والصواب الجبي، انظر ترجمته في «معجم البلدان»: ٢/ ١٠٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٨٨.

(٥) انظر الخبر في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٧، وقد كتب به عبد الله إلى ابن الجوزي.

[سمع أبا محمد التميمي وغيره][1].

رِضْوان بن الوَلَخْشي[2]

أمير الجيوش بمِصر، كان قد استولى على صاحبها، وحَجَرَ عليه، فَدَسَّ إليه السُّودان، فوثبوا عليه، فقتلوه، واتفق نزولُ المطر في غير أنواء، فقال ابن الزبير[3] يرثيه: [من الطويل]

بنفسيَ مَنْ أبكى السَّمواتِ فَقْدُهُ ... بغيثٍ ظَنَنَّاهُ نَوالَ يمينهِ

فما اسْتَعْبَرَتْ إلا أسىً وتأسُّفاً ... وإلا فماذا القَطْرُ في غير حينهِ[4]!

عمر بن أبي الحسن، أبو شجاع البِسْطامي[5]

وعظ ببغداد، وأنشد لأبي الفرج بن هِنْدو[6]: [من الطويل]

تَعَرَّضَتِ الدُّنْيا بلذَّةِ مَطْعَمٍ ... ورَوْنَق مَوْشيٍّ من اللُّبْس رائقِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) انظر أخباره في «الاعتبار» لابن منقذ: ٥٢-٥٦، و«نزهة المقلتين في أخبار الدولتين» لابن الطوير: ٢٨، ٢٩، ٤٤، ٤٦-٥٢، و«الكامل»: ١١/ ٤٨-٤٩، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٨٢-١٨٥، و«خطط المقريزي»: ٢/ ٣٦، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨١، وفي «الكامل» ذكر مقتله سنة (٥٤٣هـ).

(٣) هو المهذب أبو محمد، الحسن بن علي بن الزبير، من شعراء مصر الكبار في عصره، توفي سنة (٥٦١هـ)، انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١/ ٢٠٤-٢٢٥، و«معجم الأدباء»: ٩/ ٤٧-٧٠، و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٦١، و«فوات الوفيات»: ١/ ١٣٧-٣٤١، و«الطالع السعيد»: ١٩٤-٢٠٣.

(٤) البيتان في «الخريدة» قسم شعراء مصر: ١/ ٢٢٢، و«معجم الأدباء»: ٩/ ٦٨-٦٩، و«فوات الوفيات»: ١/ ٣٣٨.

(٥) هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد البسطامي، له ترجمة في «الأنساب»، ٢/ ٢١٤، و«المنتظم»: ١٠/ ١٢٨، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٨-١٤٩، و«إنباه الرواة»: ٢/ ١٠٢ (في ترجمة ابن الخشاب)، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٧٨-١٧٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٤٥٢-٤٥٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وعندهم ما خلا ابن الجوزي وفاته سنة (٥٦٢هـ)، ولم يذكر السمعاني وفاته، لأنهما ماتا في العام نفسه.
وقد اضطرب سبط ابن الجوزي في سنة وفاته، فذكره في وفيات هذه السنة متابعاً في ذلك جده في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٨، وسيذكره كذلك في وفيات سنة (٥٧٠هـ)، وتابعه على ذلك الزركلي في «الأعلام»: ٥/ ٦١.

(٦) في (ع) و(ح) ابن المنذر، وهو تحريف، والمثبت من «مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩. وابن هندو هو علي بن الحسين بن هندو، أبو الفرج، كان كاتباً أديباً شاعراً، متفلسفاً، وهو أحد كُتَّاب الإنشاء في ديوان عضد =

أرادَتْ سَفَاهاً أَنْ تُمَوِّه قُبْحَها ... على فِكَرٍ خاضَتْ بحارَ الدَّقائِقِ
فلا تخدعينا بالسَّرابِ فإنَّنا ... قَتَلْنا نُهانا[1] في طِلابِ الحقائقِ

فاطمة خاتون[2]

بنت السُّلْطان محمد بن ملكشاه، زوجة المقتفي ببغداد في ربيع الأوَّل، وصلَّى عليها قاضي القضاة الزَّيْنبي في صحن السَّلام، وحُملت في الزَّبْزب إلى الرُّصافة، فدفنت قريباً من المستظهر بالله.

محمد بنُ المُظَفَّر بنِ عليٍّ بنِ المُسْلمة[3]

ولد سنة أربع وثمانين وأربع مئة، وسَمِعَ الحديث، وتفرَّد وتعبَّد، وجعل داره التي في دار الخليفة رِباطاً للصُّوفية، وتوفي ليلة الجُمُعة تاسع رجب، وحُمِلَ إلى جامع القَصر، وأُزيلت شُقَّةٌ من شُبَّاك المقصورة التي فيها المحراب ليحصل التَّابوت في المحراب، فيصَلِّي عليه الخليفة، وتقدَّم في الصلاة عليه وزير الخليفة ابنُ صَدَقَة، ودُفِنَ عند جامع المنصور قريباً من رباط الزَّوْزني.

هبة الله بن علي بن محمد[4]

ابن حمزة، أبو السَّعادات العَلَوي، النَّحْوي، ويعرف بابن الشَّجري.

= الدولة، وتوفي نحو سنة (٤٢٠هـ)، ترجم له الثعالبي في «يتيمة الدهر»: ٣/ ٤٥٩-٤٦٢ ، و«معجم الأدباء»: ١٣/ ١٣٦-١٤٦ ، و«فوات الوفيات»: ٣/ ١٣-١٨ . و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ١٣-١٨ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(١) قتلنا ساقطة من (ع)، وفي (ح): نهانا نهانا، والمثبت من «مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩ ، و«معجم الأدباء»: ١٣/ ١٤٥ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ١٥ .

(٢) لها ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٨ ، و«الكامل»: ١١/ ١٢٣ .

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٢٩ ، و«الكامل»: ١١/ ١٢٣ ، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ٣٥ .

(٤) له ترجمة في «نزهة الألباء»: ٤٠٤-٤٠٦ - وقد ختم به كتابه - و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ٣/م١/ ٥٢-٥٤ ، و«المنتظم»: ١٠/ ١٣٠ ، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٢٨٢-٢٨٤ ، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٣٥٦-٣٥٧ ، و«وفيات الأعيان»: ٩/ ٤٥-٥٠ ، و«إشارة التعيين»: ٣٧٠ ، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٤١٩-٤٢١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٩٤-١٩٦ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد ترجم له ترجمة ضافية الدكتور محمود الطناحي في مقدمة تحقيقه لكتاب «أمالي ابن الشجري».

انتهى إليه عِلْم النَّحْو والعربية ببغداد، وسمع الحديث، وطال عُمُره، وتمتَّع بجوارحه وعقله، وقال: ما سَمِعْتُ في المَدْح أبلغ من شعر أبي فراس بن حَمْدان: [من الكامل]

وأمامك الأعداءُ تَطْلُبُهُمْ ووراءَكَ القُصَّادُ في الطَّلَبِ
فإذا سَلَبْتَهُمُ وَقَفْتَ لهم فَسُلِبْتَ ما تحوي من السَّلَبِ[1]

وما سمعتُ في الذَّمِّ أبلغ [من بيتٍ لمسكويه][2]: [من الطويل]

وما أنا إلاَّ المِسْكُ ضاعَ وعندكم يضيعُ وعند الأكرمينَ يَضُوعُ

السنة الثَّالثة والأربعون وخمس مئة

فيها فارق جماعةٌ من الأُمراء السُّلْطان مسعود، وكان على هَمَذَان، بسبب صبيٍّ كان عنده يقال له خاصبك بن البلنكري[3] كان قد استولى عليه، وقصدوا بغداد، ومعهم محمد شاه بن محمود، وهم: البقش وألدكز وقيصر وألطرنطاي وعليّ بن دُبَيْس وغيرهم، ونزلوا شَهْرابان[4]، فانهزم النَّاس من بين أيديهم، وقُطِعَ الجسر ببغداد، [يقال: إنَّ شحنة مسعود ببغداد قطع الجسر][5]، وكان الغزنوي الواعظ قد تولَّى عمله، وعَمِلَ له درابزينات من الجانبين، فبعث الخليفةُ ابنَ العَبَّادي الواعظ إليهم، يقول: أميرُ المؤمنين يقول لكم في أي شيء جئتم؟ وما مقصودكم؟ فإنَّ النَّاسَ قد انزعجوا بسبب مجيئكم. فقالوا: نحن عبيد هذه العتبة الشريفة، وعبيد السُّلْطان ومماليكه، وما فارقناه إلاّ خوفاً من خاصبك، فإنه أفنى الأُمراء؛ قَتَلَ عبدَ الرحمن بن طُغايرك[6] وعَبَّاساً وبوزبا، وعدُّوا جماعة، وما عنِ النُّفوس عِوَض، فإمَّا نحن وإمَّا هو، فإنَّه هو الذي يحمل السُّلْطان على قَتْلنا، وما نحن خوارج ولا عصاة.

---

(١) لم أجد البيتين في «ديوانه» المطبوع بتحقيق د. سامي الدهان، بالمعهد الفرنسي بدمشق، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م بيروت.

(٢) في (ع) و(ح) غير واضحة، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٣٠.

(٣) قتل بعد موت مسعود سنة (٥٤٨هـ)، انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٥٣-١٥٤، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ١٦٠-١٦٣، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٠٨-٢١٣.

(٤) قرية كبيرة شرقي بغداد. «معجم البلدان»: ٣/ ٣٧٥.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع) و(ح) طويرك، ومثله في «المنتظم»: ١٠/ ١٣٢، والصواب مثبت من «الكامل»: ١١/ ١١٦، و«تاريخ دولة آل سلجوق»: ١٩٦، ١٩٩.

ثم دخلوا بغداد في ربيع الأَوَّل، ومدُّوا أيديهم إلى ما يختص بالسُّلْطان، وكبسوا خانات باب الأَزَج، فأخذوا الغَلَّة منها، فثار العوام عليهم، وقاتلوهم، فبعث الخليفةُ إلى مسعود يقول: أما الشِّحْنة الذي من قِبلك فقد هَرَبَ إلى تَكْريت هو وأمير الحاج، وقد أحاط القوم بالبلد، ومدُّوا أيديهم وأفسدوا، وما يمكنني أنْ أتَّخذ عسكراً لأجل العَهْد الذي بيننا وبينك. فكتب إليه: قد برئت ذِمَّة أمير المؤمنين من العهد الذي بيننا، وقد أَذِنْتُ لك أن تتخذ العسكر، وتحتاط لنفسك والمسلمين. فحينئذٍ استعدَّ الخليفة، وأمر باستخدام العساكر، وأَظْهَرَ السُّرادق والخِيَم، وسدَّ العقود، وحفر الخنادق، والقومُ ينهبون ما حول البلد من الغَلاَّت والأموال، وعَبَرَ طائفةٌ منهم إلى الجانب الغربي، فقسَّطوا على أهله أموالاً[(١)]، وساروا إلى الدُّجَيل[(٢)]، وأخذوا بناتِ[(٣)] النَّاس ونساءَهم، وجاؤوا بهم إلى الخيام، وجاءت زواريق فيها غِلالٌ فأخذوها، ونشبتِ الحرب، وقُتِلَ جماعةٌ من الفريقين، فأرسل الخليفة إليهم الغَزْنوي الواعظ يقبِّح عليهم ما فعلوا، وقال: لو جاء الكُفَّار ما فعلوا مِثْلَ هذا الذي فعلتم، أيُّ ذنب لأهل الرَّساتيق والقُرى؟ واستنقذ منهم النِّساء وبعض المواشي، وجاء أصحابها فمن عرف شيئاً أخذه.

وفي جُمادى الأولى جلس الخليفة في منظرة الحَلْبة[(٤)]، وعَرَضَ العساكر، وأمر العوام بلُبْس السِّلاح، والذَّبِّ عن نفوسهم وأموالهم، وكان البقش نازلاً عند دار السُّلْطان، فرحل إلى ظاهر البلد تطييباً لقلب الخليفة، وقطعا الحرب، وبعث الخليفةُ فَسَدَّ باب السُّوق من ناحية دار السلطان، وكانوا يمتارون من سوق السُّلْطان، فأصبحوا إلى باب البلد، فرأوه مسدوداً، فجاء منهم ألف فارس إلى ناحية الجَعْفرية، فثلموا في السُّور عِدَّة مواضع، وصَعِدُوا، وبعثوا الرَّجَّالة، ففتحوا الباب الذي سَدَّه الخليفة، ونقضوا البناء، وكسروا الباب، وأخذوا حديده، وبعث البقش رسولاً إلى الخليفة يقول: لأيِّ شيء سددتم في وجوهنا الباب، وإنما كُنَّا نسترزق من سوق السلطان؟ فلم

(١) في (ع) الأقساط، والمثبت من (ح).
(٢) الدجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية، «معجم البلدان»: ٢/ ٤٤٣.
(٣) في (ع) بنين، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «المنتظم»: ١٠/ ١٣٢.
(٤) الحلبة: محلة كبيرة واسعة في شرقي بغداد عند باب الأزج. «معجم البلدان»: ٢/ ٢٩٠.

يلتفت إلى قوله، وأصبح العوام، فخرجوا إليهم، فقاتلوهم، فاستجرُّوهم، فأَبعدوا عن البلد، وخرج عليهم الكمين، فقتلوا من العوام نحواً من خمس مئة، ولم يتجاسر أحدٌ أن يخرج من أهل المُقَتَّلين، فنادوهم: تعالوا خذوا قتلاكم.

فلمَّا كان عشية ذلك اليوم، وهو سادس جُمادى الآخرة جاء الأُمراء إلى الرَّقَّة المقابلة للتَّاج، ورموا أنفسهم، وقالوا: ما عندنا مما جرى عِلْم، وإنما هو فعلُ أَوْباشٍ لم نأمرهم به. فلم يلتفت إليهم. فقالوا: نحن قيامٌ على رؤوسنا ما نبرح أو يعفو عنَّا أمير المؤمنين. فَعَبَرَ إليهم خادِمٌ وقال: قد عفا عنكم، فامضوا واستحلُّوا من أهل القَتْلى. ثُمَّ أمر الخليفةُ بإصلاحِ ما هدموا من السُّور.

ثم اختلف العسكر، فأخذ ألدكز الملك محمد شاه، وطلب بلاده، وسار البقش وابنُ دُبَيْس والطرنطاي نحو الحِلَّة، وسكنَ النَّاس.

وقبضَ الخليفةُ على وزيره ابن صدقة، ومات قاضي القضاة الزَّيْنَبي، وتقلَّد القضاء علي بن أحمد بن علي بن محمد الدَّامَغَاني.

وفي ربيعِ الأوَّل نزلتِ الفرنج على دمشق؛ خرج ملكُ الألمان[(١)] من البحر في جيوشٍ لا تحصى، واجتمع إليه ملوكُ السَّاحل [وكنودها] [(٢)]، واجتمعوا في البيت المقدس، وصلُّوا صلاةَ الموت، وعادوا إلى عكا، وفرَّقوا سبع مئة ألف دينار في العساكر، ولم يُظْهروا أنهم يريدون دمشق، وَوَرُّوا بغيرها، وهرب المسلمون من بين أيديهم، وجمعوا الغِلال والأَتْبان[(٣)] وأحرقوها، وكان صاحبُ دمشق مجير الدِّين أبق ابن محمد بن بوري بن طُغْتِكِين، ومُدَبِّر الأمور معين الدين أُنَر، فلمَّا كان يوم [السبت][(٢)] سادس ربيع الأول لم يشعر أهل دمشق إلا وملك الألمان قد ضُرِبَتْ خيمته [على باب دمشق] [(٢)] في الميدان الأخضر، وكانوا ستة آلاف فارس وستين ألف راجل، وقيل: كانوا مئة ألف راجل وعشرة آلاف فارس، وقيل: إنهم تفرَّقوا على البلد، فنزل ملك الألمان في الميدان [الأخضر][(٢)] في ستة آلاف فارس وثلاثين ألف

---

(١) هو كنراد الثالث. ConradIII.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) الأتبان جمع، مفردها تبنة، وهي ما تهشم من سيقان القمح والشعير بعد درسه تعلفه الماشية، ويجمع أيضاً على تبن، انظر «معجم متن اللغة»: ١/ ٣٨٧، و«المعجم الوسيط»: ١/ ٨٢.

راجل، ونزل قرواس[(١)] ملك السَّاحل على الشَّرف الشّمالي في ثلاثة آلاف فارس وعشرين ألف راجل، ونزل الكُنُود والخَيَّالة على الشَّرف القِبْلي في مئة ألف راجل، واجتهد المسلمون في إحصائهم فلم يقدروا، وخرج إليهم معين الدين ومجير الدِّين في مئة ألف راجل سوى الفرسان، فقاتلوهم في اليوم الأول قتالاً شديداً، فَقُتِلَ من المُسْلمين نحو مئتين، [منهم الفِنْدلاوي، وسنذكره في موضعه][(٢)]، وكان القتال يعمل ليلاً ونهاراً، وضايقوا البلد حتى نزلوا على أبوابه.

وكان [معين الدين][(٢)] أَنَر قد كاتب سيفَ الدِّين غازي صاحب المَوْصِل قبل [نزول الفرنج على دمشق يستصرخ به، ويخبره بشدة بأس الفرنج، ويقول: أَدْرِكْنا. فسار سيف الدين في][(٣)] عشرين ألفاً، فنزل بحيرة حِمْص، وبعث إلى [معين الدين][(٢)] أُنَر يقول: قد حضرتُ بجندٍ عظيم، ولم أترك ببلادي مَنْ يحمل السِّلاح، فإنْ أنا جئتُ ولقَينا الفرنج وكانت علينا هزيمة وليست دمشق لي ولا لي بها نائب لم يَسْلَمْ منا أحد، وأخذتِ الفرنجُ دمشق وغيرها، فإنْ أحببتَ أن أقاتلهم، فَسَلِّم البلدَ إلى مَنْ أَثِقُ به، وأنا أحلف لك إن كانت النُّصرة لنا [عليهم أنني][(٢)] لا أدخل دمشق، وأَرْجِعُ إلى بلادي، فَمَطَلَه [معين الدين][(٢)] أُنَر، وبعث إلى السَّواحلة يقول: هذا ملك الشَّرْق نازِلٌ على حِمْص، وليس لكم به طاقة، فإن رَحَلْتُم وإلا سَلَّمْتُ دمشق إليه، وهو يُبيدكم، وأنا أُعطيكم بانياس. فأجابوه، وحَسَّنوا للغرباء الرَّحيل، فاتَّهموهم.

وكان زمان الفواكه، فنزل الفرنجُ الوادي، فأكلوا منها شيئاً كثيراً، فانحلَّتْ أجوافُهم، ومات منهم خَلْقٌ كثير، ومَرِضَ الباقون.

ولمَّا ضاق بأهلِ دمشق الحال أخرجوا الصَّدقَات والأموال على قدر أحوالهم، واجتمع النَّاس في الجامع: الرِّجال والنِّساء والصِّبْيان، ونشروا مُصحف عثمان رضوان الله عليه، وحثوا الرَّماد على رؤوسهم، وبكوا وتضرَّعوا، فاستجاب الله لهم،

---

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي (م) قرولش، وفي (ش) فرويس، والمراد على الأغلب هو ملك بيت المقدس، ويراد بالساحل أي فرنج الشام تميزاً لهم عن الفرنج القادمين مع الحملة، وقد عُبِّر عنهم بالغرباء، وكان ملك بيت المقدس وقتئذٍ هو بلدوين الثالث، وكان تحت وصاية أمه، انظر «تاريخ الحروب الصليبية» لرنسيمان (الترجمة العربية) : ٢/ ٤٥١ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح): قبل نزولهم يستصرخ به، فسار في عشرين ألف، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان مع ملك الألمان قِسّيسٌ [كبير](١)، طويل اللحية يقتدون به، فأصبح في اليوم العاشر من نزولهم على دمشق، فركب حماره، وعلّق في عنقه صليباً، وجعل في يديه صليبين وعلّق في عُنُق حماره صليباً، وجميع الأقساء بين يديه بالأناجيل والصُّلْبان، وركبتِ الملوكُ والخَيَّالة والرَّجّالة، ولم يتخلَّف من الفرنجية أحد إلا من يحفظ الخيام، وقال لهم القِسِّيْس: قد وعدني المسيح أنني أفتح اليوم دمشق. وقصدوا البلد، وفتح المسلمون الأبواب واستسلموا للموت، وغاروا للإسلام، وحملوا حملة رجلٍ واحد، وكان يوماً لم يُرَ في الجاهلية والإسلام مِثْلُه، وقصد واحد من أحداث دمشق القِسِّيْس، وهو في أَوَّلِ القوم، فضربه، فأبان رأسه، وقَتَلَ حماره، وحَمَلَ الباقون، فانهزم الفرنج، وقتلوا منهم عشرة آلاف، وأحرقوا الصُّلْبان والخيام بالنِّفْط، وتبعوهم إلى الخيام، وحال بينهم الليل، فأصبحوا وقد رحلوا، ولم يبق لهم أثر، وبعثوا يطلبون من أُنَر بانياس، فقال: إنما وعدتكم بها إذا رَحَّلْتم [الفرنج](١)، وهذا فِعْلُ الله تعالى. فقالوا: نحن نعود إلى دمشق، ونقيم عليها فلا نرحل حتى نأخذها. وكانوا قد أحرقوا الربوة، وهدموا القِباب، وقطعوا الأشجار، ودرسوا ظاهر دمشق، فرأى أُنَر أن يفدي دمشق ببانياس(٢)، وكان سيف الدين قد طَمِعَ فيها، فأعطاهم بانياس، وبقيت في أيديهم حتى فتحها نور الدين [محمود](١) رحمه الله(٣).

وكان قد وقع بدمشق أيام الحصار طاعون، فقال أبو الحَكَم الأَنْدلسي(٤): [من الكامل].

ولقد حَلَلْتُ من الشَّآم بِبُقْعَةٍ ... أَعْزِزْ بساكنِ رَبْعها المسكونِ
أضحى مجاوِرَها العدوُّ فأَهْلُها ... شهداءُ بين الطَّعْنِ والطَّاعونِ(٥)

وعاد سيف الدِّين إلى بلاده.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) في (م): فرأى معين الدين من المصلحة أن يحفظ دمشق ببانياس. وفي (ش): من المصلحة بقاء دمشق ببانياس.
(٣) كان فتحها سنة (٥٦٠هـ).
(٤) هو عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الأندلسي، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٩هـ).
(٥) «نفح الطيب»: ٢/ ٦٣٧-٦٣٩ .

وفيها أزال نور الدين في حلب من الأذان «حيَّ على خير العَمَل» وسبَّ الصَّحابة رضي الله عنهم وقال: مَنْ عاد إليه قَتَلْتُه.

[وساعده على ذلك الفقيه برهانُ الدِّين أبو الحسن علي الحنفي(١)، وغيره](٢).

وفيها ظهر بمِصر رجلٌ من ولد نزار يطالب بالخلافة، واجتمع إليه خَلْقٌ كثير، وجَهَّز إليه الحافظ العساكر، فالتقوا بالصَّعيد(٣)، فَقُتِلَ من الفريقين جماعةٌ، ثم انهزم النِّزاري، وقُتِلَ ولده.

وفيها أغار نورُ الدِّين على بلاد الفرنج، وفتح عِدَّة حصون، وأَسَرَ وقَتَلَ، واجتاز بأنطاكية، وبات قريباً منها [آمناً أَنَّه في بلده، فبيَّتَهُ البرنس صاحِبُها ليلاً، وهم غارُّون، فما نجا إلا القليل، وهرب نور الدِّين إلى حلب، وكان ذلك غَفْلَةً من أصحابه حيثُ لم يكن لهم يَزَك(٤)](٢).

وحجَّ بالنَّاس قَيْماز.

فصل: وفيها توفي

عليُّ بنُ الحسين بن محمد بن علي(٥)

أبو القاسم، قاضي القضاة، الزَّيْنبي.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد البَلْخي، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٤٨هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ذكر ابن القلانسي في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٦٩ أن مكان الوقعة كان بالقرب من الإسكندرية، وفي «اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٨٦: وواقعهم على الحمامات. وعلق محققه بقوله: لعل المقصود به ذات الحمام الواقعة في الصحراء الغربية على مسافة يوم من الإسكندرية.

(٤) اليزك: كلمة فارسية تعني طليعة الجيش، وكانت هذه الطليعة تتقدم الجيش لاستكشاف جبهة العدو قبل توجه الجيش نحوه، انظر «الجيش الأيوبي»: ١٧٧-١٨٠.

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٣٥-١٣٦، و«الكامل»: ١١/ ١٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ٥١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٠٧-٢٠٨ وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

والزينبي: نسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، قال السمعاني: وظني أنها زوجة إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، انظر «الأنساب»: ٦/ ٣٤٥.

ولد في نصف ربيع الأوَّل سنة سبعٍ وأربعين[1] وأربع مئة، وسَمِعَ الحديث وتفقَّه، وكان المسترشدُ يحبُّه، وكان مهيباً وقوراً؛ قَلَّ أَنْ تُسْمع منه كلمة، وطالت ولايته، فأحكمه الزمان، وخَدَمَ الرَّاشد، وناب في الوِزارة، ثم استوحش من الرّاشد، فخرج إلى المَوْصِل، ووصَلَ الرَّاشد، وبلغه حديثُ المحضر الذي ثبت عليه، فقال له: اكتب خطَّك بإبطالِ ما جرى. فامتنع، فتواعَدَه زَنْكي، وناله بشيء من العذاب، ثم أَمَرَ بقتله، فَدَفَعَ الله عنه، ثم بعث المقتفي وطلبه، فبعث به زنكي إليه فبايعه، ثم ناب في الوِزارة، ثم إنَّ المقتفي أَعْرَضَ عنه بالكُلِّية، وولَّى ابن المُرَخِّم، فأبطل أَحكامه، ولم يبق له توقيع ينفذ إلا اسم القضاء لا غير، فَمرِضَ أياماً، وماتَ يوم عيد النَّحْر، وصلَّى عليه ابنُ عمِّه طلحة بن علي[2] نقيب النُّقباء، ودُفِن إلى جانب أبيه.

وقال ابنُ القلانسي: صلَّى عليه المقتفي[3].

ورآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال له: اذهب إلى [أبي عبد الله يعني ابن البيضاوي القاضي، وهو ابن أخي قاضي القضاة، وأحد أوصيائه][4] وقل له: لِمَ تضيِّق صَدْر غُصن وشهية؟ يعني سراريه. فقال له الرجل: فما فعل الله بك؟ فقال: غفَرَ لي. ثم أنشد: [من الطويل]

وإنَّ امرءاً ينجو من النَّار بعدما ... تَزَوَّدَ مِنْ أعمالها[5] لسعيدُ

(١) كذا، وهو من أوهام سبط ابن الجوزي، وقد تابعه على ذلك ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨٢ ، والزركلي في «الأعلام»: ٤/ ٢٧٩ وقد اختلف في سنة ولادته، فذكر ابن الجوزي في «المنتظم» أنها في سنة (٤٧٠هـ)، ثم ذكر عمره في ترجمته فقال: ست وسبعون سنة، مما يعني أن ولادته سنة (٤٦٧هـ)، وذكر الذهبي والصفدي أن ولادته كانت سنة (٤٧٧هـ)، وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» ترجمته في وفيات سنة (٥٤٣هـ)، وقال: إنه جاوز الستين. والله أعلم.

(٢) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥٨هـ).

(٣) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٧١.

(٤) في (ع) و(ح): اذهب إلى القاضي ابن الأنصاري، وفيها خطأ وتحريف، فالأنصاري صوابها البيضاوي، وهو القاضي أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد، وهو أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه، وقد توفي قبله سنة (٥٣٧هـ)، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٨٢ ، والمراد بالخبر ابنه أبا عبد الله، وهو ما أثبته ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٣٦ ، والقصة فيه على تقديم وتأخير بها.

(٥) في (ع) و(ح): أعماله، ومثله في «الوافي بالوفيات»، والمثبت من «المنتظم».

وأصبح الرجل، فجاء إلى ابن البَيْضاوي، فأخبره بالمنام، فقال: سبحان الله! والله لقد بتُّ متفكراً في تقليل ما ينوبهن، أما الآن فلا أُغَيِّر عليهن شيئاً.

وكان فاضلاً عفيفاً، وإنما نقم عليه المقتفي بسبب المحضر الذي أثبته على الرَّاشد، ولم يكن له فيه ذنب، وإنما ابنُ عمه الوزير [ابن] [1] طِراد حمله عليه.

يوسف بن دُوْناس بن عيسى[2]

أبو الحَجَّاج، الفقيه المالكي، المَغْربي، الفِنْدلاوي. [ذكره الحافظ ابنُ عساكر، وقال:] [3] قدم الشام حاجًّا، وسكن بانياس مُدَّة، وانتقل إلى دمشق، فاستوطنها، [ودرَّس بها مذهب مالك، وحدَّث بالموطأ وغيره. قال الحافظ: وعلَّقت عنه أحاديث يسيرة] [3]، وكان شيخاً، حَسَنَ المفاكهة، حُلْو المناظرة، شديد التَّعصُّبِ لأَهْل السُّنَّة، كريمَ النَّفْس، مُطَّرحاً للتكلُّف، قويَّ القلب، صاحب كرامات.

[ذكر مقتله][3]: ولما كان اليوم السَّادس من ربيع الأول[4] أول قتال الفرنج لدمشق خرجَ [الفِنْدلاوي][3] راجلاً ومعه أصحابه فالتقاه معين الدِّين أُنَر، فقال [له][3]: يا شيخ، إنَّ الله قد عَذَرَك، ليس لك قوةٌ على القتال، ونحن نكفيك، فارجع. فقال: قد بعتُ واشترى، لا أَقيلُه ولا أَستقيله، وقرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ١١١]، ومضى نحو الرَّبوة، فالتقاه طُلْبٌ[5] بين الرَّبوة والنَّيْرب، فقتلوه، [فقال[6] أبو الحكم الأندلسي هذه الأبيات: [من الهزج]

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٦٤، و«تاريخ ابن عساكر» اختصار أبي شامة (خ) ق ٤١ب - ٤٢ (نسخة مصورة في مجمع اللغة العربية بدمشق)، ومختصره لابن منظور: ٢٨/ ٨٠، و«معجم البلدان»: ٤/ ٢٧٧-٢٧٨، و«اللباب»: ٢/ ٤٤٢، و«كتاب الروضتين»: ١/ ١٨٦-١٨٧، ١٩١، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٥٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩/ ١٩٥-١٩٦ و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٠٩-٢١٠، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في النسخ الخطية: شعبان، وهو تحريف، وقد سلف شهر المعركة على الصواب ص٣٨١.

(٥) الطُّلْب، وجمعها أطلاب، وهي بمنزلة الكتائب، يكون على رأس كل مئتي فارس أو مئة أوسبعين فارساً أمير مقدم. انظر «الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين»: ١٥٣.

(٦) في (ع) و(ج): فقتلوه، وحمل إلى.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

بِــشَــطَّــيْ نَــهْــرِ داريّــا أُمــورٌ مــا تــواتــيــنــا
أتــانــا مــئــتــا ألــفٍ عــديــداً أو يــزيــدونــا
فــداســوا الــمَــرْجَ والــغُــوطــةَ أيــضــاً والــمــيــاديــنــا
وراياتٍ وصُــلْــبــانــاً عــلــى مــســجــد خــاتــونــا
فــقــلــنــا إذْ رأيــنــاهــم لــعــلَّ الــلــه يــكــفــيــنــا
وشــيــخــاً فِــنْــدلاويــاً فــقــيــهــاً يــعــضُــدُ الــدِّيــنــا

ومنها:

ولــكــنْ غــادروا الــقِــسِّــيْــسَ تــحــتَ الأَرْضِ مــدفــونــا

من أبيات[1].

وقال الحافظ ابن عساكر: وأقام مدة ببانياس خطيباً، وكان شيخاً كبيراً، ودرَّس بدمشق في حَلْقة المالكية، ولما قُتِلَ حُمِلَ] إلى الباب الصغير، فدفن به، وقبره من جانب المُصَلَّى قريباً من الحائط، وعليه بلاطةٌ منقورٌ فيها شَرْحُ حاله.

ورآه بعضُ أصحابه في المنام في تلك الليلة فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: أنا في جنَّاتِ عَدْنٍ مع قومٍ على سُرُرٍ متقابلين.

السَّنة الرَّابعة والأربعون وخمس مئة

فيها في ربيع الأول استوزر المقتفي أبا المظفر يحيى بن محمد بن هُبيرة، عَوْنَ الدِّين، وخَلَعَ عليه.

وفي رجب عاد البقش، وجَمَعَ الجموع، وقَصَدَ العراق، وانضمَّ إليه ملك شاه بن محمود وعليُّ بنُ دُبَيْس، وخَلْقٌ من الأُمراء والتركمان، فلما بقي بينهم وبين بغداد ثلاثة فراسخ بعثوا إلى الخليفة يطلبون منه الخُطْبة لملك شاه، فلم يجبهم، ودوَّنَ العسكر، وحُفرت الخنادق، وبعث إلى أهل الجانب الغربي يأمرهم بالعبور إلى حريم الخلافة، وبعث ابنَ العَبَّادي إلى مسعود يستحثه ويعرِّفُه بما جرى، ويقول: عَجِّلْ بالمجيء.

(١) انظر الأبيات وغيرها في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٩٢-١٩٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وبعث إليه عَمُّه سنجر يقول له: قد أخربت البلادَ، وقَتَلْتَ العباد في هوى ابن البلنكري، فأَبْعِدْه عنك، وإلا فما يكون جوابك غيري. فلم يلتفت، فرحل سنجر إلى الرَّي، وبعث يقول: قد جئتُ إليك. فسار مسعود جريدةً إلى الرَّي، فطيَّبَ قلبه، وخَلَعَ عليه، ولم يعاتبه في ابنِ البلنكري، وتأخَّر البقش عن بغداد، وجاء مسعود، فدخلها في ذي الحِجَّة، فخرج إليه الوزير ابنُ هُبيرة وأربابُ الدَّوْلة لتلقِّيه، فأحسنَ إليهم، وجاء عليُّ بنُ دُبَيْس، فرمى بنفسه على باب السُّلْطان، فرضي عنه.

و[فيها][(١)] خرج نَظَر الخادم ليحج بالنَّاس، فمرض بالكُوفة، فاستناب قيماز الأُرْجُواني، فلمَّا عاد نظر الخادم إلى بغداد توفي.

وفي ذي الحِجَّة زُلْزِلَتْ بغداد زَلْزَلَةً عظيمة، وبقيت الحيطان تموجُ عشرة مرات، وامتدَّت إلى حُلْوان، فتقطَّعَ جَبَلُها، وساخ في الأرض، وانهدمت أماكن، وهلك تحتها خَلْقٌ كثير.

وفيها جَمَعَ الفرنج من السَّاحل ليقصدوا بلد حلب، فسار إليهم نور الدين بعساكره، وجَمْعٍ كثيرٍ من التركمان، وكتب إلى [معين الدين][(١)] أُنَر يستنجده، فبعثَ إليه الأميرَ بُزان[(٢)] في عساكر دمشق، وجاءته عساكر أخيه سيف الدِّين [غازي][(١)] والجزيرة، وسار إلى أَنطاكية، وخرج إليه البرنس[(٣)]، فكانت بينهم وقعةٌ عظيمة كسرهم نورُ الدِّين الكسرة المشهورة[(٤)]، وقَتَلَ من كنودهم ألفاً وخمس مئة وأَسر منهم مِثْلهم، وقُتل البرنس، وحُمل رأسه إلى نور الدين، فعاد إلى حلب بالغنائم العظيمة والأسارى، فبعث ببعضها إلى أخيه وإلى الخليفة وإلى دمشق وإلى الملوك، وفيها يقول ابنُ القَيْسراني: [من السريع]

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو مجاهد الدين بزان بن مامين، أحد مقدمي أمراء الأكراد، وتوفي سنة (٥٥٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) هو ريموند Raymond of Poitou

(٤) هي وقعة إنِّب، انظر «الروضتين»: ١/ ٢٠٤-٢١٧.

وكَــمْ لَــه مِــنْ وَقْــعَــةٍ يــومُــهــا عــنــد مــلــوك الــشِّــرْكِ مــشــهــودُ
حــتــى إذا عــادوا إلــى مِــثْــلــهــا قــالــت لــهــم هَــيْــبَــتُــهُ عُــودُوا
مــنــاقِــبُ لــم تــكُ مــوجــودةً إلا ونــورُ الــدِّيــنِ مــوجــودُ
وكــيــف لا نُــثــنــي عــلــى عَــيْــشــنــا الــ ــمــحــمــودِ والــسُّــلْــطــانُ مــحــمــودُ[(١)]

وفيها فتح نورُ الدِّين حِصن فامية، وكان على أهل حماة وحمص منه ضررٌ عظيم، كانوا يشنُّون الغاراتِ منه على البلاد.

وكان جوسلين[(٢)] صاحب تل باشر، وأَعْزاز، وعين تاب، والرَّاوندان، ورَعْبان وكَفَرسود، وكَيْسون، وبَهَسْنى، والبارة، ومَرْعَش، وكَفْرلاثا، وحصن منصور، وغيرها من الحصون شمالي حلب، وكان على المسلمين منه بلاءٌ عظيم، فجهَّز إليه نورُ الدين سِلَحْداره، وظهر عليهم جوسلين، وأَسَرَ السِّلَحْدار، وبعثَ به هديةً إلى صاحب الرُّوم ابن قَلِيْج رسلان[(٣)]، وقال: نفَّذتُ إليك سِلَحْدار صهرك، وسأبعث إليك بعد هذا غيره. وكان نور الدين قد صاهر ابن قليج رسلان، وبلغ نورَ الدِّين قولُه، فعزَّ عليه، فدسَّ جماعةً من التركمان وقال: من قدر منكم على جوسلين أعطيته من الأموال والبلاد مهما أراد. فجاءت طائفةٌ منهم فنزلوا في بلد عين تاب، وخرج جوسلين ليغار عليهم، فاستحسن منهم امرأة، فخلا بها تحت شجرةٍ، وكَمَنَ له التركمان، فأخذوه أسيراً، وكان نور الدين بحِمْص، فحملوه إليه، فأعطى من جاء به عشرة آلاف دينار، وكان أَسْرُهُ مِنْ أعظمِ الفتوح في الإسلام، لأنَّه كان شجاعاً مقداماً غَدَّاراً، [غدر غير مرة بالمسلمين][(٤)] ولما حصل بيد نور الدين أخذ منه جميعَ ما ذكرنا من القلاع والبلاد بعد ذلك، وأَمِنَ النَّاسُ شرَّه.

---

(١) انظر بعض أبيات القصيدة في «كتاب الروضتين»: ١/ ١٩٩-٢٠٠

(٢) أورد ابن الأثير في «كامله»: ١١/ ١٥٤ أسر جوسلين في حوادث سنة (٥٤٦هـ)، وساقه أبو شامة في «الروضتين»: ١/ ٢٤٦-٢٤٧ في حوادث سنة (٥٤٥هـ).

(٣) هو السلطان مسعود بن قليج رسلان السلجوقي ركن الدين، تولى السلطنة ما بين السنة (٥١٠-٥٥١هـ)، انظر «معجم الأنساب» لزامباور: ٢١٥ .

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فصل وفيها توفي

أحمد بن الحسن بن علي(١)

ابن إسحاق، أبو نَصر بن نظام المُلْك.

وَزَرَ للمسترشد، ثم عُزِلَ على أحسن الوجوه، ووزر للسُّلْطان محمد شاه، وتقلَّبت به الأحوالُ والدُّول، فرأى لزوم منزله، فلزمه إلى أن مات في ذي الحِجَّة ببغداد، وكان فاضلاً عاقلاً، سمِعَ الحديث من جماعة.

الحسن بن مسعود بن علي(٢)

أبو علي الخُوارَزْمي.

جدُّه وزير تاج الدولة تُتُش، وتوفي بمَرْو في المحرَّم، ومن شعره: [من الطويل]

أَخِلايَ إنْ أصبحتُمُ في دياركُمْ ... فإنِّي بمرو الشَّاهجان غريبُ
أموتُ اشتياقاً ثم أحيا بذكركُمْ ... وبين التَّراقي والفؤاد لهيبُ
فما عَجَبٌ موتُ الغريبِ صَبابةً ... ولكنْ بقاهُ في الحياةِ عجيبُ(٣)

أحمد بن محمد بن الحسين(٤)

أبو بكر الأَرَّجاني، قاضي تُسْتَر، وأَرَّجان بَلَدُه، منها سافر إلى العراق والشَّام ومِصر، وسمع الحديث، وتفقَّه بالنِّظامية، ومدح المُسْتظهر.

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٣٨-١٣٩، و«الكامل»: ١١/ ١٤٧، و«الفخري»: ٣٠٦، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٣٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٣٦.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٤/ ٥٩٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٢٨٤-٢٨٥، و«معجم البلدان»: ٥/ ١١٤، و«ميزان الاعتدال»: ١/ ٥٢٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٧٧، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٢٦٩-٢٧٠، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٩١، و«لسان الميزان»: ٢/ ٢٥٦، وعندهم وفاته سنة (٥٤٣هـ).

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»، و«الخريدة»، و«معجم البلدان»، وفيه: وبين التراقي والضلوع لهيبُ.

(٤) له ترجمة في «الأنساب»: ١/ ١٧٤، و«المنتظم»: ١٠/ ١٣٩-١٤٠. و«معجم البلدان»: ١/ ١٤٤، و«الكامل»: ١١/ ١٤٧، و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٥١-١٥٥، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٧٣-٣٧٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢١٠-٢١١، وفيه تتمة مصادر ترجمته. =

وكان شاعراً فصيحاً بليغاً مفوَّهاً، له المعاني الفائقة، والألفاظ الرَّائقة، وكانت وفاته بتُسْتر، فمن شعره: [من الطويل]

ولـمَّـا بـلـوتُ الـنَّـاسَ أَطْـلُـبُ مـنـهُـمُ ... أخـا ثِـقَـةٍ عـنـد اعـتـراضِ الـشَّـدائِـدِ
تـحـيَّـرْتُ فـي حـالـي رخـاءٍ وشِـدَّةٍ ... ونـاديتُ في الأعداء: هل مِنْ مُساعِدِ
فـلـم أرَ فـيـمـا سـاءَنـي غـيـرَ شـامـتٍ ... ولـم أرَ فـيـمـا سَـرَّنـي غـيـر حَـاسـدِ
تَـمَـتَّـعْـتُـمـا يـا نـاظـريَّ بـنـظـرةٍ ... وأَوْرَدْتُـمـا قـلـبـي أَمـرَّ الـمـوارِدِ
أَعَـيْـنَـيَّ كُـفَّـا عـن فـؤادي فـإنَّـه ... من البغي سَعْيُ اثنين في قَتْلِ واحدِ(١)

وقال أيضاً: [من الطويل]

أراقِبُ من طَيْفِ النُّخَيْلَةِ مَوْعِدا ... وهـانَ عـلـيـهـا أَنْ أبـيـتَ مُـسَـهَّـدا
أبى اللَّيْلُ إسعادي(٢) وقد طال جُنْحُهُ ... فما هدأَتْ عَيْني ولا طَيْفُها اهتدى
إذا رُمْـتُـمُ قَـتْـلـي وأنـتـم أَحِـبَّـةٌ ... فـمـاذا الـذي أخـشـى إذا كـنـتُـمُ أعـدا
وأُضْمِرُ في الأَحْشاءِ منكم تحرُّقاً ... وأُظْـهِـرُ لـلـواشـيـنَ عـنـكـمْ تـجـلُّـدا
وأمنعُ عيني اليومَ أَنْ تُكْثِرَ البكا ... لِـتَـسْـلَـمَ لـي حـتَّـى أراكُـمْ بـهـا غـدا(٣)

وقال أيضاً: [من الطويل]

إذا أنـتَ سُـدْتَ الـنَّـاس فـي ظِـلِّ دولـةٍ ... وأَوْرَقَ مـنـهـا بـالـمُـنـى لـك عُـودُ
فَـبِـتْ سـاهـراً وامـلأْ عـيـونَـهُـمُ كَـرى ... إذا شِـئْـتَ أَنْ تـحـيـا وأنـتَ حـمـيـدُ
ومـا الـمـالُ إلاّ لـلـمـعـالـي ذريـعـةٌ ... ولا الـذِّكْـرُ إلاَّ لـلـكـرام خُـلُـودُ
عُـلاكَ سـوارٌ والـمـمـالـكُ مِـعْـصَـمٌ ... وجُـودُك طَـوقٌ والـبَـرِيَّـةُ جِـيْـدُ
بـقـيـتَ ولا أبـقـي الـرَّدى لـكَ حـاسـداً ... فـإنَّـكَ فـي هـذا الـزَّمـانِ فـريـدُ(٤)

= وأرجان ـ بتخفيف الراء وتثقيلها ـ هي من كور الأهواز من بلاد خوزستان، وقد طبع ديوانه في بيروت أوائل هذا القرن، ثم حققه د.محمد قاسم مصطفى، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية سنة (١٩٨١) في ثلاثة أجزاء.

(١) ديوانه ص٨٦ .

(٢) الإسعاد: المشاركة في النياحة، انظر «اللسان» (سعد).

(٣) ديوانه: ص٩٧ .

(٤) ديوانه: ص١٠٥-١٠٦ ، وهذه الإحالات الثلاث على طبعة بيروت ١٨٩٠م مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وقال يذُمّ مِصر: [من الوافر]

تَـرَكْـنـا أَرْضَ مِـصـرَ لـكـلِّ فَـدْمٍ(١) لَـهُ بَـاعٌ يُـقَـصِّـرُ عـن ذِراعِ
نـفـوسٌ لا تـلـيـقُ بـهـا الـمـعـالـي وأخـلاقٌ تـضـيـق عـن الـمـسـاعـي
إذا غَـلِـطُـوا بـإحـسـانٍ تَـلَـتْـهُ عِـدادٌ مـن إسـاءاتٍ تِـبـاعِ
أقـمـتُ بـهـا ومـن نَـكَـدِ الـلَّـيـالـي مـقـام الأُسْـدِ فـي كَـنَـفِ الـضِّـبـاعِ
وكـم خَـلَّـفْـتُ مـن كَـرَمٍ مُـهـانٍ بـعَـرْصـتـهـا ومـن لُـؤْمٍ مُـطـاعِ
ومن مالٍ مَـصُـونِ الـعِـرْض تـحـمـي جـوانِـبُـهُ ومـن عِـرْضٍ مُـضَـاعِ
وأجـسـامٍ مُـسَـمَّـنـةٍ شِـبـاعِ وأعـراضٍ مـضـمَّـرةٍ جـيـاعِ
ونَـقْـصٍ فـي أكـابـرهـا خـصِـيـصٍ وجَـهْـلٍ فـي أصـاغـرهـا مُـشـاعِ
أإنْ بـانَـتْ سـرائِـرُكُـمْ وكـانـت مـسـاويـكـم تـقـامُ عـلـى بِـقـاعِ
جـعـلْـتُـمْ ديـنـنـا أَنَّـا سَـمِـعْـنـا ومـا الأذنـان إلا لـلـسَّـمـاعِ(٢)

وقال: [من الطويل]

أقـولُ لـظـبـيٍ مـرَّ بـي وهـو راتِـعٌ أأنـتَ أخـو لـيـلـى فـقـال يُـقـالُ
فقلتُ يُقال الـمُـسْـتـقِـلُّ من الـهوى إذا مَـسَّـه ضُـرٌّ فـقـال يُـقـالُ(٣)

وقال أيضاً من شعره: [من البسيط]

حيثُ انتهَيْت من الهِجْران بي فَقِفِ ومن وراءِ دمي بِيْضُ الظُّبى فخَفِ
يا عابثاً بعِداتِ الوَصلِ يُخْلِفُها حتى إذا جاء ميعادُ الفِراقِ يفي
يستوصفونَ لساني عن محبَّتهم وأنتَ أصدقُ يا دمعي لهم فَصِفِ
ليست دموعي لنارِ الشَّوقِ مُطْفِئَةً وكيف، والماءُ بادٍ والحريقُ خفي
لم أنسَ يومَ رحيلِ الحيِّ موقِفَنا والعيسُ تَطْلُعُ أُولاها على شَرَفِ
والعَيْنُ من لَفْتة الغَيْران مالَحِظَتْ والدَّمْعُ من رِقْبة الواشينَ لم يَكِفِ
وفي الحُدوجِ الغواني كلُّ آنسةٍ إنْ ينكشفْ سِجْفُها للشَّمْسِ تنكسِفِ

(١) الفدم: الغليظ الأحمق الجافي، «معجم متن اللغة»: ٤/ ٣٧٢.
(٢) لم أجد الأبيات في «ديوانه».
(٣) لم أجد البيتين في «ديوانه».

فـي ذِمَّـةِ الـلـهِ ذاكَ الـرَّكْـبُ إنَّـهُـمُ ... سـاروا وفـيـهـم حياةُ الـمُـغْـرمِ الـدَّنِـفِ
فـإنْ أعِـشْ بـعـدهُـمْ فَـرْداً فـيـا حَـزَنـي ... وإنْ أَمُـتْ هـكـذا شَـوقـاً فـيـا أَسَـفـي[1]

وقال أيضاً: [من البسيط]

هُـمْ نـازلـون بـقـلـبـي أيَّـةً سـلـكـوا ... لـو أنَّـهـمْ رفَـقُـوا يـومـاً بـمـا مـلـكـوا
ساقوا فؤادي وأبقَوْا في الحشا حُرَقاً ... لـلـه مـا أخـذوا[2] مـنـي ومـا تـركـوا
إذا الـصَّـبـا سَـحَـبَـتْ أذيـالـهـا سَـحَـراً ... حَـسِـبْـتَ مِـسْـكـاً عـلـى الآفـاق يَـنْـفَـرِكُ
قد أَشْعَلَ الشَّيْبُ رأسي للبلا عَجِلاً ... والشَّمْعُ عند اشتعالِ الرأس ينسبكُ
فـإنْ يـكـنْ راعـهـا مِـنْ لـونـه يَـقَـقٌ[3] ... فـطـالـمـا راقـهـا مِـنْ قَـبْـلـهـا حَـلَـكُ
حـتـى مـتـى وإلـى كَـمْ يـا زمـانُ أرى ... منك الخطوبَ بجَنْبي وهي تَنْعَرِكُ
أبـعـدَ عَـدْلِ نـظـامِ الـمُـلْـك تـحـمِـلُ لـي ... ذَحْـلاً وخَـلْـفَـك مـنـه ثـائِـرٌ مَـحِـكُ

ثم خاطب أعداءه، فقال:

يـا مُـتْـعِـبـاً نَـفْـسَـه فـي أنْ يُـسـاجِـلَـهُ ... أيـن الـسِّـمـاكُ إذا قـايـسـتَ والـسَّـمَـكُ
دَعُـوا الـوِزَارة عـنـكُـمْ تـربـحـوا نَـصَـبـاً ... فـالـحَـبـلُ في الـدُّرِّ مـمـا لـيس يـنـسـلـكُ
ورِثْـتُـمُ يـا بـنـي إسـحـاق مَـنْـصِـبَـهـا ... فـمـا لـغـيـركُـمُ فـي إرْثـكُـمْ شَـرَكُ
أنـتـمْ فـرازيـن هـذاالـدَّسْـتِ نـعـلـمـكُـمْ ... وهـمْ بـيـاذقُـه إنْ صُـفَّ مُـعْـتَـرَكُ
فـمـا تَـفَـرْزَنَ مـنـهـمْ بـيـذقٌ أبـداً ... إلا غـدا رَأْسُـه فـي الـتُّـرْبِ يَـنْـمَـعِـكُ
فـي دَسْـتـه قـمـرٌ فـي دِرْعِـهِ أَسَـدٌ ... فـي حَـفْـلـه[4] مَـلِـكٌ فـي سـرِّه مَـلَـكُ
إذا عَـدَدْنـا سِـنـيـه فَـهْـو مُـقْـتَـبِـلٌ ... وإن ذكـرنـا حِـجـاه فـهـو مُـحْـتَـنِـكُ
الـيـوم عـاشَ نـظـامُ الـمُـلْـكِ ثـانـيـة ... وكم معاشِرَ عاشوا بعدما هلكوا[5]

---

(١) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٣/ ٩٤٠-٩٤٧.
(٢) في (ع) و(ح): حزني لما أخذوا.. والمثبت من «ديوانه».
(٣) اليقق: الشديد البياض الناصعه. «معجم متن اللغة»: ٥/ ٨٣٨.
(٤) في (ع)و (ح): خلقه، والمثبت من ديوانه.
(٥) القصيدة بتمامها مع اختلاف في بعض الألفاظ في «ديوانه»: ٣/ ١٠٢٢-١٠٣٢.

وقال أيضاً من شعره: [من الوافر]

جَعَلْتُ طليعتي طَرْفي سَفاها فدلَّ على مقاتليَ الخفايا
وهل يُحمى حريمٌ من عدوٍّ إذا ما الجيشُ خانته الرَّبايا[١]
ولي نَفَسٌ إذا ما اشتدَّ شوقاً أطار القَلْبَ من حُرَقٍ شظايا
ودَمْعٌ يَنْصُر الواشينَ ظُلْماً فَيُظْهِر من سرائريَ الخبايا
ومُحْتَكِمٍ على العُشَّاقِ جُوْراً وأين من الدُّمى عَدْلُ القضايا
يُريكَ بوَجْنَتَيْه الوَرْدَ غَضًّا ونورَ الأُقحوانِ من الثَّنايا
تأمَّلْ منه تحت الصُّدْغ خالاً لتعلمَ كَمْ خبايا في الزَّوايا
خَطَبْتُ نوالَه الممنوعَ حتَّى أثرتُ به على نَفْسي البلايا
فأرَّقَ مُقْلتي شَوقاً ووَجْداً وأقلق مُهْجَتي هَجْراً ونايا[٢]

وهذه الأبيات وازن بها أبيات أبزون العماني[٣]:

نقود وعُودِها صارت نسايا وعاد نَوَالها الميسور وايا
إذا أنْشَدْتُ في التَّعريضِ بَيْتاً تلتْ من سورةِ الإعراض آيا
وَرُبَّ قطيعةٍ جَلَبَتْ وِصالاً وكَمْ في الحبِّ من نُكَتٍ خفايا[٤]
شكَتْ وجْداً إليّ فآنستني وبعضُ الأُنْسِ في بعضِ الشَّكايا
فلا ملَّتْ معاتبتي فإنِّي أَعُدُّ عِتابَها بعضَ العطايا
وليلةَ أَقْبَلَتْ في القصر سَكْرى تهادَى بين أَتْرابٍ حظايا
ثَنَيْنا السُّوءَ عن ذاك التَّثَنِّي وأَثْنينا على تلك الثَّنايا
كأنَّ خدودَها أوراقُ نَدٍّ عليها من ندى طَلٍّ بقايا
وما خُلِقَتْ عيون العِيْن أنَّى نَظَرْتَ سوى ذهابٍ للبرايا
فمنها ما يتيحُ لكَ الأماني ومنها ما يبيحُ لك المنايا

---

(١) الربايا جمع، مفردها ربيئة، وهو الطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه. «اللسان» (ربأ).

(٢) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٣/ ١٥٥٤-١٥٦٢.

(٣) انظر ترجمته في «دمية القصر»: ١/ ١٢٠-١٢٩، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ١٣٩.

(٤) في (ح) استدرك هذا البيت في هامشها، ثم جاء في آخر الأبيات في (ع) و(ح).

وقال الأَرَّجاني: [من البسيط]

بعد الصَّباحِ الذي فارقتكُمْ فيه ... لم أَلْقَ للدَّهرِ صُبْحاً في لياليهِ
قد كان أوَّلَ صُبْحٍ بعد عَهْدِكُمُ ... مضى ولم تكتحِلْ عيني بثانيه
فالدَّهرُ بعدكُمُ ليلٌ ألابِسُهُ ... والعَيْشُ دونكُمُ هَمٌّ أقاسيه
قد كِدْتُ أختِمُ طَرْفي وَحْشَةً لكُمُ ... عن كلِّ خَلْقٍ من الدُّنيا أُلاقيه
قد صَوَّر الوَهْمُ[1] في عيني مثالَكُمُ ... من طُوْلِ ما أنا بالذِّكْرى أُراعيه
فكلُّ ناظرِ إنسانٍ أقابِلُهُ ... أرى خيالَكُمُ من ناظري فيه
يلومني في هوى الأَحبابِ كلُّ فتى ... سَهْمُ الصَّبابةِ يرميني ويُصميه[2]
يَعيبني في الهوى بَغْياً ويَعْذُلني ... وإنَّما يبتليني من يُعافيه
أقِلَّ من عَذَلٍ تَلْقى المشوقَ به ... فقَلْبُهُ بسهام اللَّوْم تَرْميه
دَعْ عنك قلبي فإنَّ الحُبَّ آمِرُهُ ... أضعافَ ما أنت بالتثريب[3] ناهيه[4]

أُنَر بنُ عبد الله معين الدِّين[5]

مملوك أتابك طُغْتِكِين، والي دمشق، وصاحبُ أمرها نيابةً عن أولاد طُغْتِكِين.

كان صالحاً، عادلاً، مُحْسناً، كافًّا للظُّلْم، مجتنباً للمآثم، محبًّا للعلماء والفقراء، أوقف أوقافاً كثيرة على أبواب البِرِّ، وبذل مجهودَه في حِفْظ بيت سَيِّده طُغْتِكِين، ولما

(١) في (ع) و(ح): الدهر، والمثبت من «الديوان».

(٢) في «الديوان»: يصميني ويخطيه.

(٣) في (ح): بالتأديب.

(٤) القصيدة بتمامها في «ديوانه»: ٣/ ١٥٠٨-١٥١٥.

(٥) أخباره مبثوثة في «تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٥، و«الاعتبار» لأسامة بن منقذ: ٢٨، ٥٣، ٦٦، ١٠٤ وغيرها، و«الكامل»: ١١/ ١٤٧، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٢٢-٢٢٣، وله ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٢٩-٢٣٠، و«العبر»: ٤/ ١٢١-١٢٢، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٤١٠-٤١١، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨٦، و«منادمة الأطلال»: ٢٠٤-٢٠٥، وقد أغفل ذكره ابن عساكر في تاريخه.
وأُنَر، بضم الهمزة وفتح النون، وآخرها راء، هكذا ضبطه المنذري في «التكملة لوفيات النقلة»: ٢/ ١٣١، وابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه»، ١/ ١١٩، وضبطه الصفدي في «الوافي بالوفيات»: بفتح الهمزة وضم النون، وفي «النجوم الزاهرة»: ضبط ضبط قلم بضم الهمزة والنون، وقال محققه: كذا وجدته مضبوطاً بالقلم في هامش الأصل، أما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي، وفي ابن الأثير ضبط بالقلم بفتح النون.

ماتَ في ثالث عشر[١] ربيع الآخر شَرَع الأمير[٢] مجيرِ الدِّين أبق في الانحلال، [وآل أمره إلى الاضمحلالِ][٣].

قال أبو يعلى بن القلانسي: كان معين الدين بحوران في عساكر دمشق مقابل الفرنج يحفظُ البلادَ من غاراتهم، فَمَرِضَ بدوز نطاريا، وضَعُفَتْ قوَّته، وهو مع هذا يركب كلَّ يومٍ في العساكر يُرْعِبُ العدوَّ، فخِيْفَ عليه، فَحُمِلَ في مِحَفَّةٍ إلى دمشق، فزاد به المرض، فتوفي يوم الاثنين الثَّالث والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودُفِنَ في إيوان الدَّار التي كان يسكنها، ثم نُقِلَ إلى المدرسة التي عَمَرَها. ولمَّا فُرِغَ من دَفْنه اجتمع حسام الدِّين بُلاق ومؤيِّد الدِّين الرَّئيس ومجاهد الدِّين بُزَان وأعيان الأجناد عند مجير الدِّين، واتَّفقوا على إصلاح الأحوال.

ونادى مجير الدِّين بإبطال المكوس وما يضرُّ الرَّعية، ثم استوحش مؤيِّد الدِّين بنُ الصُّوفي من مجير الدِّين، فجمع الغوغاء والأحداث، وأعطاهم السِّلاح، ورتَّبهم حول داره ودارِ أخيه زين الدَّوْلة حيدرة للاحتماء بهم، وذلك في شهر رجب، فراسلهما مجير الدِّين بما طيَّبَ قلوبهما، فما التفتا، وقصدا باب الحَبْس وكسراه، وأطلقا مَنْ كان فيه، واستنفرا العوام من أهل الشَّاغور وقَصر حَجَّاج وباب شَرْقي[٤]، فَعَزَمَ مجيرُ الدِّين على تفرقة السِّلاح في العساكر والخروج من القلعة لقتالهم، فأشار جماعةٌ بالتَّأني، وقالوا: نخافُ على البلد من النَّهْب والحريق. ووقعتِ المراسلاتُ، فاتفق الحالُ على أن يكون الرَّئيس مؤيَّد الدِّين ملازماً لداره، وأن يكون ولدُه وولدُ أخيه في الخِدْمة، فأقام، ثم أثار الفِتْنة، وجَمَعَ العوام والفلاحين، وزحفوا إلى القلعة، واقتتلوا إلى أن تقرَّر أنَّ مجير الدين يُبْعِدُ عنه من كره الرئيس مؤيد الدِّين، وعاد الرَّئيس إلى وِزارته على حاله.

(١) كذا في النسخ الخطية، وسيأتي نقلاً عن ابن القلانسي أنه توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وهو الصواب.
(٢) في (ع) و(ح) أمر، والمثبت من (م) و(ش).
(٣) في (ح) إلى الاضمحلال، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) أحياء في دمشق ما زالت تحمل الأسماء نفسها.

وأُطْلِقَ أيدي النَّهَّابة في نَهْبِ دور السَّلاَّرية[١]، ثم سكنتِ الفتنة، واتَّفق الأمر أنَّ الرئيس لا يشاركه في التَّدْبير والوِزارة أحد.

ولما تقرَّر أمر دمشق كَتَبَ نورُ الدِّين إلى مجير الدين يَطْلُبُ منه ألفَ فارس تَصِلُ إليه مع مقدَّمٍ يُعَوَّلُ عليه لجهاد الفرنج، وأنَّه عازِمٌ على قصدهم. فغالطوه، وعَلِمَ قَصدَهم، فسار حتى نزل بمَرْج يَبُوس وبعض عساكره بيعفور، فراسل مجيرُ الدِّين الفرنج، واتَّفق معهم على نور الدِّين، وكانوا على عَسْقلان ويَعْمُرون غَزَّة، فجاؤوا إلى بانياس، وعَرَفَ نورُ الدِّين خبرهم، فلم يَحفِلْ بهم، ولا انثنى عن جهادهم، وهو محسنٌ إلى الرَّعايا، كافٌّ الجُنْدَ عن أذى الفلاحين، والدُّعاءُ له كثير، وكان الغيثُ قد مُنِعَ، فجاء سَيْلٌ عظيم ورويت البلاد، فقالوا: هذا ببركة حلول رِكاب نور الدين. ثُمَّ سار من يعفور، فنزل جسر الخشب[٢] في ذي الحِجَّة، وراسل مجيرَ الدِّين والرئيس يقول: ما قصدتُ بنزولِ هذا المنزل محاربتكم، ولا أنا طامعٌ في بلادكم، وإنما بلغني فعلُ الفرنج والعرب بأهل حوران من السَّبْي والقَتْلِ والنَّهْب وذَبْحِ الأطفال مع عدم النَّاصر لهم، وأنتم فلا دينَ لكم ولا مروءة، وقد واطأتم الفرنج عليَّ، وقد أوجب الله عليَّ وعليكم وعلى النَّاس كافَّة جهادَ الكُفَّار، فلا عُذْرَ لي عند الله تعالى، فإنَّ عندي المال والرجال، وأنتم فعاجزون عن الذَّبِّ عن المُسلمين، وما الذي دعاكم إلى الاستصراخ بالفرنج لمحاربتي، وبذلتم لهم أموال الضُّعفاء والمساكين من الرَّعية ظُلْماً وعُدْواناً، وهذا ما يرضي الله ولا المسلمين. فكان الجواب: مالكَ عندنا سوى السَّيف، وإنْ نازلتنا استدعينا الفرنج لدفعك عنا. فلما جاءته هذه الرِّسالة عَزَمَ على الزَّحْفِ إلى دمشق، ثم فكَّرَ في العاقبة، وحَقَنَ دماء المسلمين، وأرسل الله أمطاراً كثيرة، فأقامت أياماً، فتأخَّر عنها[٣].

---

(١) يعني السلار زين الدين حيدرة، وأخاه مؤيد الدين وأصحابهما، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) أي نواحي داريا.

(٣) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٥-٤٨٠، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٢٢٣-٢٢٥ و٢٣٩-٢٤١.

سُلْطان بن علي بن مُقَلَّد[١]

ابن نَصر بن مُنْقِذ، أبو العساكر، صاحب شَيْزر.

ولد بطرابُلُس سنة أربعٍ وستين وأربع مئة، سمع من إبراهيم الحنفي[٢] «صحيح البخاري» بشَيْزر، وولي إمرتها بعد أخيه نَصر بن علي[٣]، وكان فاضلاً، وله أشعار كثيرة، فمن شعره يوصي بنيه: [من الكامل]

أُوصِيكُمُ بتُقَى الذي أعطاكُمُ ... مُلْكاً تَذِلُّ له الملوكُ وتَخْضَعُ
وبِحفْظِ بعضِكُمُ لبعضٍ ما غدا ... نجمٌ يغورُ بأُفْقِهِ أَوْ يَطْلُعُ
لا تُشْمِتُوا بكُمُ الوشاةَ وحاذِروا ... أقوالهمْ فَهْيَ السِّمامُ النُّقَّعُ[٤]
ما قَطَّعَ الأرحامَ جاهِلُكُمْ بما ... أبداه بل كَبِدِي بذاك يُقَطَّعُ
وإذا يَئِسْتُ من الصَّلاح لِفِعْلِكُمْ ... أَمَّلْتُ[٥] أَصلَكُمُ الزَّكيَّ فأَطْمَعُ
فأبوكُمُ مَنْ ليس يُنْكَرُ أَنَّه النَّـ ... ـدْبُ الكَمِيُّ الأَلْمعيُّ الأَرْوَعُ[٦]
ذادَ الجيوشَ برأيه وبسَيْفه ... عن شَيْزَرٍ فتفرَّقوا وتصدَّعوا[٧]

وكانت وفاته بشيزر، وقيل: مات سنة ثلاثٍ وأربعين[٨].

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٧/ ٣٨٧-٣٨٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٥/ ٢٩٧-٢٩٨ ـ وذكر وفاته سنة (٥٥٢هـ) وقد ذكر بعض أخباره أسامة ابن منقذ في «الاعتبار»، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٥٣، و«كتاب أسامة ابن منقذ» لحسن عباس: ١/ ٣١-٤٧.

(٢) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر التنوخي المعري أبو السمح، رحل إلى أصبهان، وسمع الحديث بها وبغيرها، وكان زاهداً، ورعاً، ديناً، وتوفي بشيزر سنة (٥٠٣هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٤٥٦، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٤٥-٤٦، و«الجواهر المضية»: ١/ ٨٧-٨٨، وفيه: إبراهيم بن عبد الله بن جعفر.

(٣) وذلك سنة (٤٩١هـ).

(٤) السِّمام جمع، مفردها سم، والنقع جمع كذلك، مفردها ناقع: سم ناقع أي بالغ قاتل.

(٥) في (ع) و(ح): مثلث، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

(٦) الندب: الخفيف في الحاجة، والكمي: الشجاع المقدم الجرئ، والألمعي: الذكي المتوقد، والأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه.

(٧) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» مع اختلاف في ترتيبها.

(٨) وهو ما اعتمده ابن عساكر.

عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم(١)

ابن المستنصر، أبو الميمون.

الحافظ صاحب مِصر، ولم يكن في المصريين من أبوه غير خليفة سواه والعاضد.

ولي الحافظ سنة سبع(٢) وعشرين وخمس مئة، وكانت وفاته ليلة الأحد خامس جمادى الآخرة، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وشهوراً وأياماً، وكانت وفاتُهُ بمرض الكبد.

وكان قد اخترع ألقاباً يُخْطَبُ له بها على المنابر، فكان الخطيبُ يقول: وأَصلِحْ من شَيَّدْتَ به الدِّين بعد دُثُوره، وأَعْزَزْتَ به الإسلامَ بأَنْ جعلته سبباً لظُهوره، مولانا وسيدَنا إمامَ العصر والزَّمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله، صلى الله عليه وعلى آبائه الطَّاهرين، حُجَج الله على العالمين.

وسببُ هذا أَنَّه لما استولى عليه أبو علي أحمد بنُ الأفضل أميرُ الجيوش أسقط اسمَه من المنابر، وخطب للمنتظر المهدي، وأسقط من الآذان «حيَّ على خير العمل»، ودعا إلى نفسه على المنابر: بناصر إمام الحق، هادي العُصاة إلى اتِّباع الحق، مولى الأُمم(٣)، ومالك فضيلتي السَّيْف والقلم. ولم يزل كذلك حتى قُتِلَ ابنُ أميرِ الجيوش، فجدَّد الحافظ هذه الألقاب.

ووزَرَ له جماعةٌ فأساؤوا التَّدْبير، منهم: يانس أبو الفتح أمير الجيوش ومات، فوزر له ابنُه حسن، ثم وَزَرَ له بَهْرام النَّصراني(٤)، ثم تولى الحافظ الأمور بنفسه إلى أَنْ مات.

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٠/ ٦٦٤، ١١/ ١٤١-١٤٢، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٣٥-٢٣٧، و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ١٩٩-٢٠٢، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٢٢، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٣٧-١٩٢، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٧-٢٤٦.

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وفي (م) و(ش): ست وعشرين، وهو الصواب، وكان الحافظ قد بويع بعد مقتل الآمر سنة (٥٢٤هـ) ليدبر المملكة إلى أن يولد حمل للآمر إن ولد، وكان الغالب على أمره أبو علي بن الأفضل، ثم لما قتل سنة (٥٢٦هـ) جددت البيعة للحافظ، واستقل بالأمر، انظر ص٢٥٠، وقد ذكر فيها مقتل الأفضل في وفيات سنة (٥٢٧هـ)، وانظر «سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ٢٠٠.

(٣) في «اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٤٤: «هادي القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده.. مولي النعم، رافع الجور عن الأمم...»، وانظر «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٣٨.

(٤) كذا قال، وهو وهم، إذ قد ولي بعده رضوان بن الولخشي، ولم يستوزر الحافظ أحداً بعد رضوان، انظر «اتعاظ الحنفا»: ٣/ ١٨٤، ١٨٩.

ثم ولي بعده ولده أبو المنصور يوسف بن عبد المجيد، ولُقِّب بالظَّافر بالله، وأُمُّه أم ولد تدعى ست الوفاء، ولد في ذي الحِجَّة، وقيل في المحرَّم سنة سبع وعشرين [وخمس مئة] (١)، وقُتلَ ليلةَ الخميس سَلْخ المحرَّم سنة تسعٍ وأربعين، فكانت أيامُه أربعَ سنين وثمانية أشهر، وعمره ثماني عشرة سنة(٢)، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى(٣).

وقال ابنُ القلانسي: وفي سنة أربع وأربعين وَرَدَ الخبر مِنْ مِصر بوفاة الحافظ بأمر الله في الخامس من جُمادى الآخرة، وولي من بعده ولده الأصغر أبو منصور إسماعيل ولقب بالظَّافر بالله - والمشهور يوسف(٤) - وولي الوِزارة أمير الجيوش أبو الفَتْح بن مَصَال المَغْربي، فأحسنَ السِّيرة وأَجْملَ السِّياسة، فاستقامتِ الأحوال، ثم حَدَثَ بعد ذلك من اضطراب الأمور، والخُلْف بين السُّودان والعساكر بحيثُ قُتِلَ من الفريقين العدد الكثير، وسكنَت الفِتْنة(٥).

عثمان بن محمد بن أحمد الرويدشتي(٦)

من شعره: [من السريع]

والشَّيْبُ لا تدفعُهُ حِيْلَةٌ ... كالظِّلِّ إنْ جانَبْتَهُ يَتْبَعِ
وطولُ عُمْرِ المَرْءِ أَدَّى إلى ... ما يُبْتلى بالحادثِ المُفْظِعِ(٧)
لو أنَّ عَيْشي يُشْترى بعتُهُ ... لأَنَّه ضَرَّ ولم يَنْفَعِ

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) يعني حين بويع، وهذا القول على التجوز، وإلا فقد عاش اثنتين وعشرين سنة، فقد ذكر أن ولادته كانت سنة (٥٢٧هـ).
(٣) انظر ص ٤٥٠ من هذا الجزء.
(٤) سماه في صدر الخبر يوسف، وهو قول سبط ابن الجوزي، ولم يسمه هذا الاسم غيره، انظر «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨٨.
(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٧٨.
(٦) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٥٠٩، وكان يعلم ببغداد أولاد الأكابر، وكان هاجياً مادحاً.
(٧) المفظع: الشديد الشنيع. «اللسان» (فظع).

عِياض بن موسى بن عياض[١]

أبو الفَضْل المَغْربي، قاضي سَبْتة، كان كبير الشان، غزير البيان[٢]، وله التَّصانيف الفاخرة، منها كتاب «الشِّفا بفضائل المصطفى»[٣] وغيره، وكانت وفاته بسَبْتة[٤]، وقيل: مات سنة ثلاث وأربعين، ومن شعره: [من السريع]

انظُرْ إلى الزَّرْعِ وخاماتِهِ[٥] ... تحكي وقد هَبَّتْ عليها الرِّياحْ
كتيبةً خضراءَ مهزومةً ... شقائقُ النُّعمان فيها جِراحْ[٦]

وقال عليُّ بنُ هارون[٧] يمدحه: [من الكامل]

ظلموا عِياضاً وهو يحكُمُ عندهم[٨] ... والظُّلْم بين العالمينَ قديمُ
جعلوا مكانَ الرَّاءِ عَيْناً في اسْمِهِ ... كي يكتموه وإنَّه معْلُومُ
لولاه ما فاحتْ أباطحُ سَبْتَةٍ ... والرَّوْضُ بين فِنائها مَعدُومُ[٩]

---

(١) له ترجمة في «الصلة» لابن بشكوال: ٢/ ٤٥٣-٤٥٤، و«الخريدة»، قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣/ ٥٠١-٥٠٥، و«بغية الملتمس»: ٤٣٧، و«إنباه الرواة»: ٢/ ٣٦٣-٣٦٤، و«المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي» لابن الأبار: ٣٠٦-٣١٠، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٨٣-٤٨٥، و«الإحاطة في أخبار غرناطة»: ٢/ ٢٢٢-٢٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢١٢-٢١٨، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) في (ع) طمست الترجمة في التصوير، وفي (ح): كان كثير البيان غزير اللسان، وهو تحريف، والصواب ما هو مثبت، وقد استفدناه من «الخريدة»: ٣/ ٥٠١.

(٣) هو كتاب مشهور مطبوع متداول، وقد قال فيه الإمام الذهبي في «السير»: ٢٠/ ٢١٦: وتواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب «الشفا» لولا ما حشاه بالأحاديث المفتعلة عَمَلَ إمام لا نقد له في متن الحديث ولا ذوق.. وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات.

(٤) كذا قال، وهو وهم، والصواب أنه توفي بمراكش، دفن فيها كما ذكرت مصادر ترجمته، وقال العماد في «الخريدة»: إنه توفي بفاس.

(٥) الخامة: الغصنة الرطبة من النبات. «اللسان» (خوم).

(٦) البيتان في «الخريدة»: ٣/ ٥٠٣.

(٧) هو أبو الحسن الشنتمري، له ترجمة في «الذخيرة» لابن بسام: ق٢/ مج٢/ ٦٣٧-٦٣٩، و«الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣/ ٥٧٢-٥٧٤، و«المغرب في حلى المغرب»: ١/ ٣٩٥-٣٩٦.

(٨) في «وفيات الأعيان»: وهو يحلم عنهم.

(٩) الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٣/ ٥٧٣، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٨٤-٤٨٥.

عيسى بن هبة الله بن عيسى[(١)]

أبو عبد الله البغدادي.

ولد سنة سبع وخمسين وأربع مئة، وكان لطيفاً ظريفاً.

قال الشيخ أبو الفرج: كان يحضرُ مجلسي، فانقطع، فكتبتُ إليه رقعةً فيها نوعُ احترامٍ، فكتبَ إليَّ: [من مخلع البسيط]

قد زِدْتني في الخِطابِ حتى ... خشيتُ نَقْصاً من الزِّيادَهْ
فاجْعَلْ خِطابي خطابَ مِثْلي ... ولا تُغيِّرْ عليَّ عادَهْ[(٢)]

وقال: [من المتقارب]

إذا وَجَد الشيخُ في نَفْسِهِ ... نشاطاً فذلكَ موتٌ خفي
ألستَ ترى أنَّ ضوءَ السِّراجِ ... لهُ لَهَبٌ قبلَ أنْ يَنْطَفي[(٣)]

وقال: [من الكامل]

يا من تبدَّلَ بي وأمْكَنَهُ ... ما لي وحَقِّكَ عنكَ مِنْ بَدَلِ
إن كنتَ حُلْتَ فإنَّني رَجُلٌ ... عن عَهْدِ وِدِّكَ قَطُّ لم أحُلِ
لَهْفي على طَمَعٍ أُصِبْتُ به ... في عُنْفُوانِ شبيبةِ الأَمَلِ[(٤)]

وكانت وفاته في جُمادى الأولى، ودفن بباب حَرْب، وكان من محاسن الزَّمان، خفيفَ الرُّوح، كثيرَ النَّوادر، رقيقَ الشِّعْر، عاشَرَ النَّاسَ، وتخلَّق بأخلاقِ الكرام.

غازي بن زَنْكي بن آق سُنْقُر[(٥)]

سيف الدين صاحب المَوْصل، [أخو نور الدين، وكان][(٦)] أكبر أولاد زَنْكي.

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٣/ م١/ ٤٨-٥١، و«المنتظم»: ١٠/ ١٤١، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ترجمه ابنه مهذب الدين علي: ٦٣٥، و«فوات الوفيات»: ٣/ ١٦٥-١٦٦.

(٢) «المنتظم»: ١٠/ ١٤١.

(٣) البيتان في «الخريدة» و«المنتظم».

(٤) الأبيات في «المنتظم».

(٥) أخباره في «الكامل»: ١١/ ١٣٨-١٣٩، و«الباهر»: ٨٤-٩٤، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٢٧-٢٣٠، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٣-٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ١٩٢-١٩٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

لما عاد من الشَّام نزل على دارا فملكها، وحاصر مارِدِين، وفيها حسام الدين تمرتاش، فراسله واصطلحا، وزوَّجه ابنته الخاتون بنت تمرتاش، وعاد إلى الموصل مريضاً بعِلَّة القولنج، وكان يعتريه كثيراً، وحُمِلَتْ إليه الخاتون وقد اشتدَّ مرضه، فمات سَلْخ جُمادى الآخرة، ولم يدخل بها، وعاش أربعاً وخمسين سنة [لأنه ولد سنة تسعين وأربع مئة](١)، وقيل: [عاش](١) أربعاً وأربعين سنة [وأنه ولد سنة خمس مئةٍ](١) وأقام والياً ثلاث سنين وشهوراً.

وكان شجاعاً جَوَاداً، حازماً، حَسَنَ السِّيرة والعِشْرة والصُّورة، وهو أوَّلُ من حُمِلَ السَّنْجق(٢) على رأسه من الأتابكية، ولم يحمله أحدٌ قبله لأجل [السلاطين](١) السلجوقية، وآثاره بالمَوْصل باقية، منها مدرسة الأتابكية، وَقَفَها على الحنفية والشَّافعية، ودفن بها [والرِّباط للصُّوفية، ووقف الوقوف](١) ومدحه الحَيْص بيص(٣)، وغيره. ولم يترك إلاَّ ولداً ذكراً: فأخذه محمود أخوه، فربَّاه، وزوَّجه بابنة عَمِّه قُطْب الدِّين، فمات وهو شاب، وانقرضَ عقبه.

ولما مات سيف الدين كان أخوه قطب الدين بالموصل، فاتَّفق جمالُ الدِّين الوزير وزين الدِّين عليّ على توليته؛ لأنَّه كان ليِّنَ الجانب، حَسَنَ الأخلاق، حليماً، كريمَ الطِّباع، فحلَّفوه وملَّكوه، وتزوَّج خاتون بنت صاحب ماردين التي لم يدخل بها [أخوه](١) سيفُ الدِّين، فأولاده الذين ملكوا المَوْصِل منها خاصة(٤)، وكانت [يحلُّ لها أن تضع] (٥) خمارها عند خمسة عشرة ملكاً من آبائها [وأجدادها](١) وأخوتها [وبني أخوتها](١) وأولادهم وأولادها، فقد ضاهت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وفاطمة بنت عبد الملك [بن مروان، وقد ذكرناهما](١)، وكذا في المتأخرات ربيعة خاتون بنت

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) السنجق: لفظ تركي معناه الرمح، والمراد هنا العلم الذي هو الراية، إلا أنه لما كانت الراية إنما تجعل في أعلى الرمح عُبِّر بالرمح نفسه عنها، وحامله يسمى السنجقدار، انظر «صبح الأعشى»: ٤٥٨/٥ .

(٣) في قصيدته التي مطلعها:

إلامَ يـراكَ الـمـجـد فـي زي شـاعـر ... وقـد نـحـلـت شـوقـاً فـروعُ الـمـنـابـرِ

وهي في «ديوانه»: ٣١٦/٢-٣٢٢ .

(٤) في (م) و(ش): من خاتون هذه، ولم يملكها أحد من أولاد قطب الدين من غيرها، وهذه خاتون كانت..

(٥) في النسخ الخطية: تحمل، والمثبت من «الباهر» لابن الأثير: ٩٤ .

[أيوب][(١)] أخت صلاح الدين [والعادل، وهي أعظم من غيرها في كثرة المحارم، وسنذكرها في سنة إحدى وأربعين وستِّ مئة][(١)].

ولما ملك قُطْب الدِّين المَوْصِل كان أخوه نور الدين بحلب، وكان عبد الملك بن المُقَدَّم في سِنْجار، ومعه ولده شمس الدِّين محمد، فكاتبه نور الدين وهو دُزْدار[(٢)] في سِنْجار، فأجابه محمد، وكان أبوه عبد الملك من أمراء الدَّولة، وقيل: إنَّ محمداً كان بسنجار وعبد الملك بالمَوْصِل، فسار نور الدِّين من حلب في سبعين فارساً جريدةً، فسلَّم إليه محمدُ بنُ المقدَّم سنجار، وجاءته كُتُبُ الأمراء من المَوْصِل، وبلغ الخبر قطب الدين ، فخرج من المَوْصل بالعساكر ومعه زين الدِّين وجمالُ الدِّين الوزير، فنزلوا تل أَعْفر[(٣)]، وراسلوا نورَ الدِّين ينكرون عليه، فقال: أنا أكبر الأولاد، وأحقُّ منكم بالبلاد، وما جئتُ حتى كاتبني أُمراؤكم يذكرون كراهتهم لكم، فخِفْتُ أن يحملهم بُغْضهم لكم على إخراج البلادِ من أيدينا، ولا أقاتلكم إلا بمن معكم، ولهذا جئتكم جريدةً. وهربَ إليه أعيانُ العَسْكر، فقال لهم الوزير: يا قُطْبَ الدِّين ويا زين الدِّين نحن نُظْهر للخليفة والسُّلْطان أننا تَبَعٌ لنورِ الدِّين، ونورُ الدين يُظْهر للفرنج أنه تبعٌ لنا، ويهدِّدهم بنا، فإن كاشفناه، وظهر علينا طَمِعَ فينا الخليفةُ والسُّلْطان، وإن ظهرنا عليه طَمِعَ فيه الفرنج، ولنا بالشَّام حِمْص وهي بعيدةٌ عنا، ونحتاج إلى حِفْظها من العدو، والمصلحة أن نعطيه إياها ونأخذ منه سنجار، فقالا له: اخرجْ إليه ودبِّرْ معه هذا. فجاء الوزيرُ إلى نور الدِّين، وقرَّر معه الصُّلْح، فرضي وقال للوزير: أريد أن تكون عندي. فقال له: فيك من الكفاية والنَّهْضة ما لا تحتاج معه إلى وزير، وليس لك من الأعادي مثل ما لأخيك، فإنَّ أعداءه مسلمين، فيحتاج إلى من يقوم بأمره ويدفعهم، وأنتَ عدوك كافر، فالنَّاس يدفعونه دِيانةً، ومتى كنتُ عند أخيك فنفعه عائدٌ إليك. فجعل له نورُ الدِّين في كلِّ سنة إقطاعاً بعشرة آلاف دينار، وكان الوزير يشتري بها أسارى من المسلمين في كلِّ سنة، فَيُطْلقهم، ولا يأخذ منها شيئاً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) أي مالك القلعة، انظر «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»: ص١٨١ .

(٣) تل أعفر: قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جارٍ، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة. «معجم البلدان»: ٢/ ٣٩ .

وعاد نور الدين إلى الشَّام، وقطب الدين والوزير إلى المَوْصِل، واتَّحدتِ الكلمة.

المحسن بن أحمد بن الحسين القائد(١)

أبو العلاء الحِمْصي.

ومن شعره: [من المتقارب]

دعا مُهْجتي رَهْنَ أَوْصابها ... وحِلْف هواها وأطرابِها
وكُفَّا فلي عنكما شاغِلٌ ... بتسهيدِ عَيْني وتَسْكابِها
فيا ليَ من ظَبْيةٍ بالحِمى ... تَتِيْهُ بإفراطِ إعجابِها
مُقَسَّمة الحُسْن بين القناع ... وبين اللِّثام وجلْبابها
فَبَدْرُ الدُّجى فوق أَطْواقها ... وحقْفُ النَّقا تحت(٢) أثوابها

نَظَر الخادم(٣)

أمير الحاج بالعراق، حَجَّ نيفاً وعشرين سنة أميراً، كان قد خرج في هذه السنة، فلما وصل الكوفة مَرِضَ، فاستناب قيماز الأُرْجُواني، ورجع إلى بغداد فتوفي، وحمل إلى الرُّصافة، فدفن بها.

[وجرى على الحاج بعده شدائد بين مكة والمدينة، نذكرها.

سمع الحديث من أبي الخَطَّاب بن البَطِر وغيره. وقال جدِّي رحمه الله: خرجت معه في سنة إحدى وأربعين وخمس مئة حاجّاً، ومعي شيء من سماعاته لأقرأه عليه بمكة والمدينة، فلما رأيتُ ظُلْمه وطرحه على الحمَّالين لم أكلمه، ولم أقرأ عليه شيئاً](٤).

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٤٠٢-٤٠٥، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ١٧٥-١٧٦، ووفاته في «الخريدة» سنة (٥٤٣هـ).

(٢) في (ع) و(ح): فوق، والمثبت من «الخريدة» و«الوافي»، وفي «الوافي»: خفق، وهو خطأ.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٤١-١٤٢، وقد سلفت أخباره على السنين.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ١٤١.

السَّنة الخامسة والأربعون وخمس مئة

في المحرَّم جلس يوسف الدِّمَشْقي[١] في النِّظامية، وذكر الدرس من جانب الأعاجم، ولم يكن ذلك بإذْن الخليفة، وكان ميلُ الخليفة إلى ابن نظام الملك، فلما كان في الأُسبوع الثاني مُنع من دخول النِّظامية ودار الخليفة، وأُهين جماعةٌ من أصحابه، فلزم بيته، وجاء السُّلْطان مسعود إلى مدرسة أبي النَّجيب، وصلَّى خلفه الصُّبْح، وقال له: اذهب إلى النِّظامية، وألقِ بها الدرس، فقال: أحتاجُ إلى إذْن أمير المؤمنين. فاستخرج له إذْنَ الخليفة.

وأما الحاجُّ فسار بهم قَيْماز إلى مكة، فطَمِعَ فيهم أميرُها بموتِ نظر، [واحتقر قيماز، و] [٢] جاءتِ العرب فطلبوا رسومهم، فقال [قيماز للحاج: اجمعوا لهم ما تدفعون به شرَّهَم. فأبوا، فقال][٤]: إذا لم تفعلوا فدعوا العامَ زيارة قبر النبي ﷺ، فاستغاثوا، وضجُّوا، وخرجوا إلى المدينة، فاجتمعتِ العرب، ووقفوا في الطَّريق، وقاتلوهم، فظهرت عليهم العرب، فنهبوا الأموال والجمال، وبدَّدوا شَمْلَ الحاج، وأخذوا من خاتون أُخت مسعود ما قيمته مئة ألف دينار، ومن الناسِ ما يزيد على خمس مئة ألف دينار، ومات مُعْظم الناس جُوعاً وعطشاً، ووصل قيماز إلى المدينة في نفرٍ يسير.

وفيها مَطَرَتِ اليمن مطراً كلُّه دم، فبقي أَثَرُه في الأَرْض، وفي ثياب النَّاس.

ومرض ابن البلنكري وعوفي، فأطلق مسعود المكوس، وتصدَّق بمالٍ كثيرة، وكان المكَّاس ببغداد يسمى مختص الحضرة.

[وفيها وقع الصُّلْح بين نور الدِّين ومجير الدِّين، وقد ذكرنا أَنَّ نور الدين تأخر عن دمشق، فلمَّا سكنتِ الأمطار عاد فنزل عليها وضايقها، ثم إنه أشفق من سفك دماء المسلمين] [٣]، فراسله مجيرُ الدِّين، وخرج إليه هو والرَّئيس ابن الصُّوفي، وبذلا له

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٦٣هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح): وفيها في المحرم نزل نور الدين على دمشق وضايقها، ثم أشفق من سفك الدماء.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الطَّاعة، وأن يُخْطب له [على منبر دمشق][١] بعد الخليفة والسُّلْطان، ويُنْقش اسمه على الدِّينار والدِّرْهم، فرضي، وخَلَعَ على مجير الدِّين خِلْعة السَّلْطنة والطَّوق والسِّوارين، وعلى الرئيس خِلْعة الوِزارة، وطيَّبَ قلوبهما، وخرج إليه الأُمراء والأعيانِ، فَخَلَعَ عليهم، وأفاض إحسانه على فقهاء دمشق وقُرَّائها[٢]، ورحل إلى حلب والقلوب معه [لما غَمَرَ العالم من خيره][١].

ووصل الملك مسعود[٣] قاصداً أنطاكية، ونزل على تل باشر، وضايقها في المحرَّم، ثم رحل بعد أن أشرفت على الأخذ.

[وقال ابنُ القلانسي][١]: ووصل إلى دمشق جماعةٌ ممن سَلِمَ من الحاجّ، فحكوا ما نَزَل بهم من المصيبة [الفادحة التي لم يجر في الإسلام مثلها في السنين الخالية][١]، وأنه كان في الحاج من وجوه خراسان وعلمائها [وفقائها][١] وخواتين[٤] أُمراء العساكر السُّلْطانية والحُرَم والبنات [والنِّساء][١] والأموال الجمَّة، والأمتعة الفاخرة ما لا يمكن وصفه، وأنَّ العرب استولوا على الجميع، ومات أكثرُهم بالجُوع والعَطَش، فكسا أهلُ دمشق العُراة منهم، وأطلقوا لهم ما يستعينون به على العَوْدِ إلى أوطانهم[٥].

وفيها أُسر ابن جوسلين، وحُمِلَ إلى [قلعة][١] حلب، وسار نور الدين فافتتح قلعة أعزاز.

وفيها اختلف وزيرُ مصر ابن مَصَال والعادل بن السَّلَّار، وجمعا العساكر، واقتتلوا، فَقُتِلَ الوزير، واستقل ابنُ السَّلاَّر بالتَّدْبير.

وفيها توفي القاضي أبو الحسين[٦] فخر الدولة ابن أبي الجن في رجب، ودفن بمقابر جده فخر الدولة، ففُجِعَ النَّاسُ به لخيريته وشرف بيته.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): فقرائها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هو الملك مسعود بن قليج أرسلان، صاحب قونية، وكان نور الدين قد تزوج بابنته.

(٤) في (ع) و(ح): وحواشي، وفي (م) خواص، والمثبت من (ش). وهو الموافق لما في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٨١.

(٥) «ذيل تاريخ في دمشق»: ٤٨١.

(٦) في (ع) و(ح): أبو الحسن، والمثبت من (م) و(ش)، وقد جاء خبره فيهما أواخر حوادث هذه السنة، وانظر «ذيل تاريخ في دمشق»: ٤٨٣، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٥٩.

وفيها توفي

أبو المفاخر الحسن[(١)] بن ذي النون[(٢)]

النَّيسابوري الواعظ، كان صالحاً فاضلاً يعيد الدرس خمسين مرة، ويقول: إن لم يعاد[(٣)] ما يستقر. وكان حنفيَّ المذهب، خرج من بغداد في جُمادى الأُولى، فتوفي بدارابْجِرْد[(٤)].

جلس ببغداد، فأنشد: [من البسيط]

أهوى عليّاً وإيمانٌ محبَّتُهُ ... كم مُشْرِكٍ دَمُهُ مِنْ سَيْفِه وَكَفا
إن كنتَ وَيْحَكَ لم تَسْمَعْ مناقِبَهُ ... فاسمعْ فضائِلَه مِنْ هل أتى[(٥)] وكفى

وأنشد أيضاً: [من البسيط]

ماتَ الكرامُ ومَرُّوا وانقضَوْا ومَضَوْا ... وماتَ بعدهُمُ تلك الكراماتُ
وخلَّفونيَ في قَوْمٍ ذوي سَفَهٍ ... لو أَبْصروا طَيْفَ ضَيْفٍ في الكرى ماتوا

عبدُ الملك بن عبد الوهَّاب بن الحَنْبلي، الدِّمَشْقي[(٦)]

[وذكره ابن القلانسي، قال] [(٧)]: ويلقب بالقاضي بهاء الدِّين، كان إماماً فاضلاً مناظراً، مُفْتياً على مذهب الإمامين أحمد وأبي حنيفة رحمهما الله [بحكم ما كان يجري عليه بخراسان عند إقامته لطلب العلم][(٧)]، وكان حَسَنَ الحديث في الجِدِّ والهَزْل، ودُفِنَ بجوار أبيه وجَدِّه بالباب الصَّغير، وكان له يوم مشهود[(٨)].

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٤٣-١٤٤، و«الكامل»: ١١/ ١٥٣، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٨، و«لسان الميزان»: ٢/ ٢٠٥، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٩٨، وقد سلفت أخباره في حوادث سنة (٥٣٨هـ).

(٢) في (ع) و(ح) بن أبي الليوث، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) كذا في (ع)و(ح) والجادة: إن لم يُعَدْ.

(٤) قرية بنيسابور، انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٤٤، و«معجم البلدان»: ٢/ ٤١٩.

(٥) انظر حاشيتنا رقم ١ ص٤٩٢ من هذا الجزء.

(٦) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٨٣، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٥٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ١٨٠، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ٢١٩، و«المقصد الأرشد»: ٢/ ١٤٨، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١٤١-١٤٢، و«الدارس»: ٢/ ٦٧، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٤٣.

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٨٣.

[فصل: وفيها توفي

عبد الملك بن أبي نَصر بن عمر[١]

أبو المعالي الجِيْلاني، تفقَّه على أسعد المِيْهني، سمع الحديث، وكان فاضلاً زاهداً، لم يكن له بيت يأوي إليه إلا المساجد الخراب، لا يقبل بِرَّ أحد، خَرَجَ إلى الحج، فأغارت العرب على الحاج، فانقطع بفَيْد، وأقام بها حتى مات، وكان أهل فَيْد يصفونه بالزهد والورع][٢].

علي بن أحمد بن محمد[٣]

[المُقْرِئ][٢] ويعرف بالأحدب، المُعَلِّم البغدادي، مات ببغداد [وذكره العماد في «الخريدة» وقال][٢]: وماتت ابنة له فرثاها، فقال: [من الطويل]

ولستُ براضٍ بالبكاءِ بُنَيَّتي ... عليكِ إلى أنْ أَمْزُجَ الدَّمْعَ بالدَّمِ
فلو أنَّ جَفْني دائماً ببكائِهِ ... على قَدْرِ حُزْنٍ تستحقينه عَمِي
وإنِّي بِمثْلِ الكَأْس بعدَكِ شارِبٌ ... كما شَرِبَ الماضون من لَدُ[٤] آدَمِ
فلا بَلِيَتْ تلك العِظامُ فإنَّها ... بقيةُ جسمي لم تدنَّسْ بمأْثَمِ[٥]

عليُّ بنَ دُبَيْس، صاحب الحِلَّة[٦]

كان شجاعاً، جَوَاداً، وكان قد استوحش من السُّلْطان، فبعث إليه يتهدَّده [وهو بالحِلَّة][٢]، فقال لرسوله: قل له: مثلي ما يُهدَّد؛ لأنَّ قصارى أمري أن تخرجني من جُدْران الحِلَّة، وتبعدني عن أَوْساخها، فأسكن في فيافي بني أسد، وأقنع بخيام

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٤٤-١٤٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٨٩-١٩٠.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٣٢٩-٣٣٠.
(٤) لد، لغة في «لدن»، ظرف زماني ومكاني غير متمكن بمعنى عند إلا أنه أقرب مكاناً من «عند»، وأخص منه. انظر «اللسان» (لدن).
(٥) «الخريدة»: مج١/ ج٣/ ٣٣٠.
(٦) له ترجمة في «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ١٠٢، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ١٠٢، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٩٩، وقد سلفت أخباره على السنين.

الشَّعر؛ وتلال الرَّمل؛ وثِماد المياه؛ وخشن العَيْش، وهو وأمثاله لو فَقَدَ إيقادَ الشَّمْع، ودخانَ النَّدِّ، وألوانَ الأطعمة، وحشايا القَزّ، والحماماتِ لهلك.

وكانت وفاته بالحِلَّة[(١)]، [واختلفوا في سببها على أقوال: أحدها أنه مات بعِلَّة السكتة، والثاني أنه سُمَّ، والثالث بعِلَّة القولنج، واتُّهم طبيبه محمد بن صالح بأنَّه قَصَّر في أمره، فمات طبيبه بعد قليل، وولي بعده ابنه مُهَلْهِل بن علي][(٢)].

محفوظ بن أبي محمد الحسن[(٣)]

ابن صَصْرى، أبو البركات، ويعرف بالقاضي المكين، كان مشهوراً بالخير والعَفَاف، وكانت وفاتُه بدمشق في ذي الحِجَّة، وقد بلغ ثمانين سنة.

السَّنة السَّادسة والأربعون وخمس مئة

فيها دخل السُّلْطان مسعود بغداد، وخرج الوزير ابن هُبيرة وأربابُ الدَّولة إلى لقائه، فأكرمهم، [وأحسنَ إليهم][(٤)].

---

(١) في (ع) و(ح): عقب هذا قوله: وكانت وفاته بالحِلَّة، فقبض ترشك على ابن الوزير ونجاح ويرنقش إلخ.. وهذا القول وما بعده حتى آخر ترجمة يوسف بن محمد بن فارُّه الأندلسي، هو من حوادث سنة (٥٤٨هـ)، مما يعني أن اضطراباً وقع في النسختين جعل السنوات (٥٤٦هـ) و(٥٤٧هـ) و(٥٤٨هـ) و(٥٤٩هـ) تتداخل حوادثها ووفياتها تداخلاً عجيباً، وجعل تتمة ترجمة علي بن دُبيس هذا يقذف بها إلى آخر حوادث سنة (٥٤٨هـ)، ويدل ذلك أيضاً أن ثمة خللاً في الأصل الذي نقل عنه ناسخا كل من النسختين، وقد جبرت هذا الخلل، وأعدت الحوادث والوفيات إلى تتابعها على السنين مستأنساً بما ورد في (م) و(ش).
ويبدو أن النسخة التي اعتمد عليها ابن تغري بردي من «المرآة» فيها الخلل نفسه، فقد ذكر في وفيات سنة (٥٤٥هـ) حوادث ووفيات سنة (٥٤٨هـ)، وقد نبه محققه إلى ذلك، وإن لم يقف على سبب هذا الخلل، وابن تغري بردي لا يصرح بنقله من «المرآة» في كثيرٍ من الأحيان.

(٢) في (ع) فمات بعلة السكتة، وقيل: إنه سُمَّ، وقيل: مات بعِلَّة القولنج، واتهم طبيبه محمد بن صالح أنه قصر في أمره، فمات بعد قليل، وولي الحلة ابنه مهلهل بن علي. قلت: وأثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش): وجاءت في (ع) بعد ترجمة علي بن دبيس ترجمة محفوظ بن أبي محمد الحسن بن صصرى.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٨٤، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ١٦/ ٢٨٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٦٧، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ١٨٥، وقد أخطأ محققه في الإحالة في السير على ترجمته، إذ إنه أحال على ترجمة ابنه أبي البركات هبة الله بن محفوظ!

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وطلب ابنُ العَبَّادي الجلوسَ بجامع المنصور، فقيل له: إنَّ أهل الجانب الغَرْبي لا يمكِّنون من الجلوس فيه إلا الحنابلة. فلم يقبل، وجَمَعَ أربابَ الدَّولة، ومضوا معه، فلما صَعِدَ المنبر جاءه الآجُرُّ، وأخذته الزَّعقات، ونَفَر النَّاس وأُخذت عمائمهم، ولولا أربابُ الدَّولة جذبوا السُّيوف وأحدقوا به لَقُتِلَ.

وفيها نادى السُّلْطان بعِمارة قُرى العراق، وكان أصحابه قد أخربوها، فكتب إليه رجل: إنَّ الجِمال إذا حُرث عليها لإثارة الأرض وإصلاحها، طَمَسَتْ بأَخْفافها ما تحرثه. فقال: عليَّ بكاتبِ الورقة. فَحَضَر، فقال: ما معنى هذا؟ فقال: أنتَ تأمر [بعمارة النواحي، وإصلاح ما أفسده الظلمة][1]، وأصحابُك يخرِّبون المساكن، وينهبون المال، ويهتِكُون الحريم. فغَضِبَ غَضَباً شديداً، ونادى في عسكره: مَنْ مَدَّ يده إلى ما ليس له قَطَعْتُها كائناً مَنْ كان. فَعَمَرَتِ البلاد، واستقامت الأحوال.

وفيها في المحرَّم عاد نورُ الدِّين إلى حصار دمشق، [فجاء][2]، فنزل عيون الفاسريا[3]، وامتدَّت عساكره إلى ما بين عذراء وضمير، وأرسل إلى مجير الدِّين يقول: قد كنتُ اتفقت معكم وحلفتُ لكم، فالآن فقد صَحَّ عندي أنكم ظاهرتم الفرنج، وما قصدتُ إلا الجهاد، فإنْ رجعتم عن الفرنج وأعطيتموني عساكركم لأجاهد في سبيل الله تعالى رجعتُ عنكم. فلم يردُّوا عليه جواباً، فرحل [نور الدين، فجاء][2] ونزل مشهد القدم، وأحدقت عساكره بالبلد وضايقه، ولم يزحف خوفاً من سفك دماءِ المُسْلمين، وتواترت الأخبار بمجيء الفرنج لنُصرة مجير الدِّين، فضاقت صدور العلماء والزُّهاد [من هذه الحالة][2]، ولم تزلِ المناوشات تعمل في كل يوم إلى ثالث عشرة صفر[4]، فرحل إلى داريَّا مستعدًّا للقاء الفرنج، وكان عسكره كل يوم يزداد قوةً وعسكرُ دمشقَ يَضْعُف، ومع هذا ما كان يأْذَنُ لأحدٍ في قتال المُسْلمين، وما خَرَجَ عسكر دمشق إلا وعادوا [مفلولين][2] مكسورين، وقَرُبَ الفرنج من داريا، فأشار على نور الدين خواصُّه بالرَّحيل، وقالوا: تبقى بين الفرنج و[بين][2] عسكر دمشق! فارتفع إلى الزَّبداني، ووصل الفرنج [إلى][2] داريا في جَمْعٍ قليل، وخَرَجَ مجيرُ الدِّين والمؤيَّد إليهم،

(١) في (ع): أنت تأمر بالعمارة، والمثبت من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) عيون الفاسريا تنبع من سفح الجبل، شمالي دومة، انظر «غوطة دمشق»: ٨٩.

(٤) في (م) و(ش): إلى ثالث وعشرين صفر. قلت: وكلا التاريخين وردا عن أبي يعلى في «ذيل تاريخ دمشق»، الأول في النسخة التي اعتمد عليها أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ٢٦٥ ، والثاني في النسخة المطبوعة منه: ٤٨٥ .

واجتمعا بملكهم، فما صادفا عنده من القوَّة ما كانا يظنَّانه، فاتَّفقوا على نزول الفرنج على بُصرى، فإنَّها عَصَتْ على مجير الدِّين، ورحلوا إلى رأس الماء، وبَعَثَ نورُ الدِّين أربعة آلاف فارس إلى حوران، ومعهم عَرَبٌ يتخطَّفون عسكر الفرنج، فتبعوهم إلى لجاة حوران، وبلغ نور الدين، فعاد إلى دمشق. وقيل: بل نَزَلَ بعين الجر [من البقاع][1].

وضايق الفرنج بُصرى، فلم يظفروا منها بطائل، فعادوا إلى بلادهم، وبعثوا يطلبون من مجير الدِّين ما قرَّر لهم من المال [عن ترحيلهم نور الدين عن دمشق، وقالوا: لولانا ما رحل][1].

وعرض نور الدين عسكره بالبِقاع، وكانوا من عين الجَرِّ إلى الدَّلهمية، فكانوا ثلاثين ألفاً من عسكره والتُّرْكمان والعرب وغيرهم، فعاد إلى دمشق، وقد أَطْمَعَتْه نَفْسه فيها، [وجاء][1] فنزل أرض كَوْكَبا غربيِّ داريا في ربيع الأوَّل، ثم رحل، فنزل جسر الخشب، ثم رحل إلى مسجد القدم، ونودي في دمشق في العسكر والأحداث بالخروج إلى قتاله، فلم يخرج إلا اليسير [لما وَقَرَ في نفوسهم من استنجاد مجير الدِّين وابن الصُّوفي بالفرنج][1].

ووصل لنور الدِّين كتابُ الأمير حَسَّان المَنْبِجي أنه افتتح مدينةَ تل باشر بالأمان في ربيع الأول، فضُربت [البوقاتُ والطُّبول في عَسْكر نور الدين بالبشائر][2].

وأقام [نور الدين][1] على دمشق من غير قتال ولا زحف [خوفاً على المسلمين، وقال: لا حاجة لي في إراقة دمائهم بأيدي بعضهم بعضاً، وإنما أُرفِّهُهُمْ ليبذلوا نفوسهم في قتال الكفَّار][1]، ثم تردَّدت المراسلات بينه وبين مجير الدِّين وابن الصُّوفي على يد الفقيه بُرْهان الدِّين [علي][1] البَلْخي[3] وأسد الدين شيركوه وأخيه نجم الدِّين أيوب، وتقارب الأمر إلى تجديد الأَيْمان، وعهود وشروط اشترطها عليهم، ورحل عنهم يوم الخميس العاشر من ربيع الآخر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع): فضربت البشائر في عسكره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ستأتي في ترجمته في وفيات سنة (٥٤٨هـ).

وسار بعض عسكر [نور الدين] [١] نحو بُصرى، لأَنَّ واليها عصى على المسلمين، واعتضد بالفرنج، فاستدعى نورُ الدين من دمشق المجانيق وآلة الحصار، وبعث إليه [نور الدين][٢] قطعةً من عسكره.

وجاءَه الخبر بأن عسكر الرَّقَّة أغار على قلعة جَعْبر، فخرج الأمير عِزُّ الدِّين عليُّ بنُ مالك صاحِبُها في أصحابه إليهم [وقد أغاروا على أطراف أعماله][٢] ليخلِّصَ ما استاقوا، فالتقى الفريقان، فأصابه سَهْمٌ من كمينٍ ظَهَرَ عليه، فقتله، فرجعوا به إلى قلعة جَعْبر، وأجلسوا ولده مالك بن عليّ في منصبه، فاستقام أمره.

وفي رجب توجَّه مجير الدِّين في جماعة من خواصِّه إلى حلب بقصد خدمة نور الدِّين وطاعته، فالتقاه وأكرمه، وخلع عليه، وبالغ في الفعل الجميل في حَقِّه، وقرَّر معه تقريرات اقترحها [عليه][٢]، ثم عاد عنه إلى دمشق مسروراً، فدخلها في آخر شعبان[٣].

وفيها قصدتِ الفرنج بِقاع بَعْلَبَكَّ على غِرَّةٍ من أهلها، فنهبوا ما فيها من المواشي، وسبوا النِّساء، وأسروا الرِّجال، ولم يُبْقوا على أحدٍ، وكان عطاء الخادم[٤] ببَعْلَبَك، فبعث الرَّجَّالة في إثرهم، واجتمع إليهم من أهل البِقاع خَلْقٌ عظيم، واتبعوهم فلحقوهم، وقد أرسل الله عليهم من الثُّلوج المتداركة ما ثَبَّطهم عن الوصول إلى بلادهم، فَقَتلوا منهم مقتلةً عظيمة، واستخلصوا الأسارى والمواشي، ومن سَلِمَ من الثَّلْج.

وفيها استوحش عليُّ بن السَّلار وزير مِصر من الظَّافر، ولم يدخلِ القصر خوفاً منه، واستقلَّ بالتَّدْبير، [واستوحش الظافر منه.

واستوحش ابنُ الصُّوفي من مجير الدين، واستقل بالأمر][٢]، ولم يبق لمجير الدِّين حكم.

---

(١) في (ح): عسكره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ح).

(٣) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩١ أنه توجه إلى نور الدين في يوم الخميس الثاني عشر من رجب، وعاد إلى دمشق في يوم الثلاثاء السادس من شعبان، وانظر «كتاب الروضتين»: ١/ ٢٧٣ .

(٤) في (م) و(ش): وكان بحلب عطاء الخادم، فبعث الرَّجَّالة.. وهي عبارة لا تستقيم، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٢ ، وسيأتي ترجمة عطاء في وفيات سنة (٥٤٨هـ).

فصل وفيها توفي

ثابت أبو الزُّهْر(١)، المِصري الضَّرير(٢)

كان شاعراً ومن شِعْره في رجلٍ ضُرِبَ بسيفٍ في حَرْبٍ على وجهه، فَقُطِعَ أنفه وجُرِحَ وجهه: [من البسيط]

لاصُوحِبَتْ بِبَنانٍ راحةٌ جَدَعَتْ أَنْفَ الزَّمانِ وجَدَّتْ مارِنَ الكَرَمِ(٣)
ودَلَّ ما نالَه في الحَرْبِ مِنْ قُبُلٍ بأنَّه كان فيها غيرَ مُنْهَزِمِ

عبد الرحمن بن عبد الله(٤) بن الحَسَن بن [أبي] الحسن(٥)

أبو الحسين بن أبي القاسم ابن أبي الحديد، الدِّمَشْقي، خَطيب دمشق.

---

(١) في (ع) و(ح): أبو الزهري، والمثبت من «الوافي بالوفيات»، وهو غالباً ما ينقل عن «المرآة» دون أن يسميه.

(٢) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: : ١٠/ ٤٦٩ ، وقال: ثابت بن مفرج بن يوسف أبو الزهر الخثعمي، البلنسي الشاعر، نزيل مصر، تفقه بها على مذهب الشافعي، وتوفي سنة ست وأربعين وخمس مئة، وشعره جيد، ومن شعره قوله.
قلت: ثم بيض له، ولم يسق شيئاً من أبياته.

(٣) جَدَّ: قطع، والمارن: طرف الأنف، أو ما لان منه منحدراً عن العظم. «اللسان» (جدد، مرن).

(٤) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٩٠-٤٩١ ، و«تاريخ ابن عساكر» (خ) ١٠/ ٣-٤ [٤١/ ٢-٣]، و«مشيخة ابن عساكر» (خ): الورقة ١٠٧ ، و«التحبير»: ١/ ٣٩١-٣٩٢ ، و«المنتخب من معجم الشيوخ» للسمعاني: ٢/ ٩٨١-٩٨٢ ، و«الروضتين»: ١/ ٢٧٢.

(٥) اضطربت النسخ في نسبه، ففي (ع) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن الحسين، وفي (ح) و(ش): عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وفي (م): عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسن.
وقد رفع ابن عساكر نسبه وجوَّده، فقال: عبد الرحمن بن عبد الله [أبي القاسم] بن الحسن [أبي عبد الله] بن [أبي الحسن] أحمد بن [أبي الفضل] عبد الواحد بن [أبي بكر] محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان، أبو الحسين بن أبي القاسم بن أبي عبد الله السلمي، المعروف بابن أبي الحديد الخطيب.
قلت: وكذلك أورده في «مشيخته» مع زيادة في كنى بعض أجداده، وقد وضعتها ما بين حاصرتين، وعن مشيخة ابن عساكر نقل السمعاني في «التحبير» و«المنتخب».
وأما ابن القلانسي فساق كنيته وما اشتهر به، فقال: أبو الحسين بن أبي الحديد، وعنه نقل أبو شامة في «الروضتين».
وقد أثبت من (م) ما اتفق مع ما أورده ابن عساكر، فهو تلميذه، ومن أعرف الناس به، وزدت ما بين حاصرتين من «مشيخته».

ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة[(١)]، وسمع الحديث الكثير، وتوفي [في هذه السنة بدمشق، روى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره][(٢)]، وكان صالحاً ثِقَةً، وبيتُ أبي الحديد يتوارثون نَعْلَ النَّبيِّ ﷺ، وقد انقرضوا فلم يبق منهم أحد.

وقال ابنُ القلانسي: وفي يوم السَّبْت الثَّاني من جُمادى الآخرة [في هذه السنة][(٣)] توفي القاضي السَّديد الخطيب أبو الحسين بن أبي الحديد؛ خطيبُ دمشق، وكان [خطيباً][(٣)] بليغاً، صَيِّناً[(٤)] عفيفاً، ولم يكن له من يقوم مقامه في منصبه سوى أبي الحسن الفَضْل [ولد][(٣)] ولده، وهو حديثُ السِّن، فَنُصِّبَ مكانه، وخَطَبَ وصَلَّى بالنَّاس، واستمرَّ الأمر فيه[(٥)].

علي بن مُرْشِد ابن المُقَلَّد[(٦)]

ابن نَصر بن مُنْقِذ، عِزُّ الدِّين.

ولد بشَيْزر سنة سبعٍ وثمانين وأربع مئة، وكان فاضلاً أديباً، حَسَنَ الخَطِّ، وكانت وفاته على عَسْقلان شهيداً[(٧)]، وكان أكبر إخوته، وكَتَبَ إلى أخيه أُسامة: [من الطويل]

أسامةُ ما رمتُ التَّسَلِّي لأنَّني ... أرى مَغْنَمَ اللَّذَّاتِ مذ غِبْتَ مَغْرَما

أُجِلُّكَ أَنْ أدعوك يوماً ملقّباً ... لأنَّ اسْمَكَ المحمودَ ما زال أَعْظَما

---

(١) في «تاريخ ابن عساكر»: سئل أبو الحسين بن أبي الحديد عن مولده، وأنا أسمع، فقال: في جمادى الأولى سنة أربع وستين وأربع مئة، وكان يقول قبل ذلك: إنه ولد سنة اثنتين وستين.

(٢) في (ع) و(ح): وتوفي بدمشق، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (ح): صيتاً، وفي «ذيل تاريخ دمشق»: متصوناً.

(٥) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٠-٤٩١.

(٦) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ٤٦٩-٤٧٠، و«تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٥٤٦-٥٤٧، و«الاعتبار»، لأسامة ابن منقذ: ٣٩، ٤١، ١٢٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٥٤٨-٥٥١، ٥٦١-٥٦٣، و«معجم الأدباء»: ٥/ ٢١٤-٢٢٠ (ضمن ترجمة أخيه أسامة)، و«اللباب» لابن الأثير: ٢/ ٢٢٥، و«الروضتين»: ١/ ٣٥٣، و«الوافي بالوفيات»: ٢٢/ ١٩١-١٩٢، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٠١، وله كتاب في التاريخ مفقود اسمه «البداية والنهاية»، نشر شذرات منه د.إحسان عباس في «شذرات من كتب مفقودة في التاريخ»: ١٢٥.

(٧) في «معجم الأدباء»: ٥/ ٢١٨ نقلاً عن أخيه أسامة: وكان استشهد ـ رحمه الله ـ على غزة في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وخمس مئة في حرب الفرنج.

قلت: وهو ما ذكره كذلك في «الاعتبار»: ٤١، وقال: وبقي أخي عز الدولة أبو الحسن علي ـ رحمه الله ـ بعسقلان، فخرج عسكرها إلى قتال غزة، فاستشهد رحمه الله، وكان من علماء المسلمين وفرسانهم وعُبَّادهم.

فعِشْتَ كما تهوى بعيداً ودانياً قريباً من الحُسْنى كريماً مُكَرَّما
ولا زلتَ هَزَّامَ الجيوشِ وبانياً بفَضْلك[(١)] مجداً قد عفا وتهدَّما[(٢)]

وكتب إليه: [من الطويل]

أيا ساكني قلبي[(٣)] على خَفَقانِهِ وطَرْفي وإنْ واراه من أدْمُعي بَحْرُ
فلو رامَ قَلْبي سَلْوةً عنك صَدَّه خلائِقُكَ الحُسْنى وأفعالُك الغُرُّ
فيا هل لشَتٍّ[(٤)] الشَّمْل جَمْعٌ وهل لنا لقاءٌ فأشكو ما بنا صَنَعَ الدَّهْرُ
وَقَتْكَ الرَّدى نَفْسي فإنَّك ذُخْرُها وأنْفَسُ ما أقنى إذا عُدِّدَ الذُّخْرُ[(٥)]

وارتحل من شَيْزَر إلى بَعْلَبَك، فأقام عند معين الدِّين أُنَر، فقال: [من البسيط]

لأَشْكُرَنَّ النَّوى والعِيْسَ إذْ قَصَدَتْ بي مَعدِنَ الجُود والإحسانِ والكَرَمِ
فصرتُ في وطنٍ إذ سِرْتُ[(٦)] عن وطني فمن رأى صِحَّةً جاءَتْ[(٧)] منَ السَّقَمِ

علي ابن مُشْهِر[(٨)] أبو الحسن المَوْصِلي، الشَّاعر[(٩)]

قال عبد الرحمن ابن الإخوة البغدادي[(١٠)]: رأيتُ في المنام كأنَّ منشداً يُنْشِدُ هذين البيتين: [من الطويل]

---

(١) في «تاريخ ابن عساكر»: بفعلك.
(٢) انظر الأبيات مع غيرها في «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٥٤٧ .
(٣) في «تاريخ ابن عساكر»: فيا ساكناً قلبي.
(٤) الشت: أي المتفرق. «اللسان»(شتت).
(٥) في (ع): الدهر، والمثبت من (ح)، والأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٥٤٦-٥٤٧ ، مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٦) في (ع) و(ح): إذ صرت، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر»، وفي «الخريدة» و«معجم الأدباء»: فسرت في وطني إذ سرت عن وطني، وما في «تاريخ ابن عساكر» أصح.
(٧) في (ع) و(ح): كانت، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» ١٢/ ٥٤٧ ، و«الخريدة»: ١/ ٥٥١ ، و«معجم الأدباء»: ٥/ ٢١٧ .
(٨) في (ع) علي بن فهر، وفي (ح) ابن مهير، وكلاهما تحريف، وهو علي بن سَعْد بن علي بن عبد الواحد بن عبد القاهر بن أحمد بن مُشْهِر.
(٩) له ترجمة في «خريدة القصر»قسم شعراء الشام: ٢/ ٢٧١-٢٧٨، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٩١-٣٩٥ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٣٤-٢٣٥ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ١٢٩-١٣٣ ، وعندهم وفاته - ما خلا الخريدة - سنة (٥٤٣هـ).
(١٠) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي الشيباني البَيِّع، أبو الفتح بن أبي الغنائم، الكاتب، المعروف بابن الإخوة، كان أحد كتاب الديوان، وتوفي سنة (٥٥٩هـ)، انظر ترجمته في «إنباه الرواة»: ٢/ ١٦٧-١٦٩ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٢٤٥ .

أُعاتِبُ فيكِ اليَعْمَلاتِ[١] على السُّرى   وأسـألُ عـنـكِ الـرِّيـحَ إنْ هـي هَـبَّـتِ
وأُمْسِكُ[٢] أحناءَ الضُّلوعِ على جوًى   مُـقـيـمٍ[٣] وصَـبْـرٍ مـسـتـحـيـلٍ مُـشَـتَّـتِ

فلمَّا انتبهتُ جعلتُ أبحثُ عن قائلها، ومضتْ عِدَّةُ سنين، فاجتمعت بعلي ابن مُسْهِر وحدَّثته بالمنام، فقال: واللهِ إنَّهما لي من أبياتٍ، أوَّلها:

إذا مـا لـسـانُ الـدَّمْـعِ نَـمَّ عـلـى الـهـوى   فـلـيـس بـسِـرٍّ مـا الـضُّـلـوعُ أَجَـنَّـتِ
فـوالـلـه مـا أدري عَـشِـيَّـةَ وَدَّعَـتْ   أنـاحَـتْ حـمـامـاتُ الـلِّـوى أم تَـغَـنَّـتِ
وأَعْجَبُ مِنْ صَبْري القَلُوصُ[٤] التي سَرَتْ   بَـهْـودَجِـكِ الـمَـزْمـوم حـيـن[٥] اسْـتَـقَـلَّـتِ
أُعاتِبُ فيكِ اليَعْمَلاتِ على السُّرى[٦]   وأَسـألُ عـنـكِ الـرِّيـحَ إنْ هـي هَـبَّـتِ

فعجبت من هذا الاتِّفاق[٧].

السنة السَّابعة والأربعون وخمس مئة

حكى جدِّي في «المنتظم» عن القاضي أبي العبَّاس ابن المانْدائي الواسطي[٨] قال: في تاسع المحرم[٩] باض ديك [لرجل يعرف بابن عامر بيضة][١٠]، وباض بازيٌّ لعلي ابن حماد بيضتين، وباضت نعامة لا ذكر معها [بيضة][١٠][١١]. [قلت: بيض الديك والنعام معروف، أما البازي فغريب جداً][١٠].

---

(١) اليعملات جمع، مفردها اليعملة: وهي الناقة النجيبة السريعة، انظر «معجم متن اللغة»: ٤/ ٢٠٩.

(٢) في «الخريدة»: وأطبق.

(٣) في «الخريدة»: جميع.

(٤) القلوص من الإبل: الشابة حتى تبزل. «معجم متن اللغة»: ٤/ ٦٣٣.

(٥) في «الخريدة»: أنَّى.

(٦) في «الخريدة»: الونى، وفي «وفيات الأعيان»: النوى.

(٧) انظر الخبر في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢٧٣-٢٧٤، وهو ينقله عن السمعاني، وفيه أنه رأى منشداً ينشد هذين البيتين، أحدهما: وأعجب من صبري، والآخر: وأطبق أحناء الضلوع.

(٨) هو أبو العباس أحمد بن بختيار المندائي، ويقال: الماندائي، قاضي واسط، توفي سنة (٥٥٢هـ)، وله ست وسبعون سنة، انظر ترجمته في «المنتظم»: ١٠/ ١٧٧-١٧٨، و«توضيح المشتبه»: ٨/ ٣١٧-٣١٨.

(٩) في (ع) و(ح): فيها قال أبو العباس الواسطي في تاسع المحرم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١٠) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١١) «المنتظم»: ١٠/ ١٤٦.

وفيها توفي السلطان مسعود، ووصل الخبر إلى بغداد، فقَبَضَ الخليفةُ على جماعةٍ كانوا ينتمون إلى الأعاجم، ويتسمجون في حقِّ الخلافة بما لا يليق [على المنابر وغيرها][1] مثل أبي النَّجيب السُّهْرَوَرْدي والحيصَ بيص [الشاعر][1]، [وأُهينا][1]، فأخرج أبو النَّجيب إلى باب النُّوبي، وضُرِبَ سبع دِرَر، ورُدَّ إلى الحَبْس. وكان في [بعض][1] الليالي قد صَعِدَ على سطح النِّظامية وأومى إلى دار الخليفة، وقال: تولي ابن المُرَخِّم على المُسْلمين، ما بايعناك على ذا!

وهرب مسعود البلالي شحنة بغداد إلى تَكْريت، وجلس الوزير في بيت النّوبة لعزاء مسعود.

وأمر الخليفةُ ابنَ النظام بأن يذكر الدَّرْس بالنِّظامية، ويُخْرج مَنْ فيها من الفقهاء أصحابِ أبي النَّجيب، وكانوا يسيئون الأدب، ويستطيلون بالأعاجم.

وبلغ الخليفة أنَّ واسطاً قد عَصَتْ، فخرج إليها بنفسه ووزيره وولي عهده، وسار في [شوال في دَسْتِ الخلافة، ووصل إلى واسط، فأقام بها أياماً، ومضى إلى الحلَّة والكوفة، وهرب مهَلْهِل بن علي، وزار الخليفة المشهدين، وعاد إلى بغداد][2].

وغلقت بغداد وضربت القِباب، واشتغل النَّاسُ باللَّهْو، وخُطِبَ لولي العهد يوم الجمعة غُرَّة ذي الحِجَّة.

وفي المحرَّم فَتَحَ نورُ الدِّين محمود ـ رحمه الله ـ حصن أَنْطَرْسُوس عَنْوَةً، فطلبوا الأمان على النُّفوس، فأمَّنهم، وملك عِدَّةً من الحصون منها المَرْقَب[3]، وكان على الإسلامِ منه ضررٌ عظيم. وحجَّ بالنَّاس قَيْماز الأُرْجُواني.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): وسار في أبهة الخلافة، ووصلها، وأقام بها أياماً، وعاد إلى بغداد في ذي القعدة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) كذا قال، وهو وهم، إذ لم يذكر أحد ممن أرخ لنور الدين أنه استولى على حصن المرقب، والمعروف أنه بقي في يد الفرنج حتى فتحه السلطان سيف الدين قلاوون، سنة (٦٨٤هـ)، انظر «السلوك» للمقريزي: ج١/ ق٢/ ٧٢٧-٧٢٨.

فصل: وفيها توفي

أُميَّة بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْت الأَنْدلُسي(١)

نزل الإسكندرية، وكان شاعراً فصيحاً، فاضلاً، صنَّف كتاب «الحديقة»(٢)، ومن شِعْره في الأفضل ابن أمير الجيوش: [من الكامل]

لا غَرْوَ إنْ سَبَقَتْ لُهاكَ(٣) مدائحي ... وتدفَّقَتْ جَدْواك مِلْءَ إنائها
يُكْسى القضيبُ ولم يَحِنْ إثْمارُهُ ... وتُطَوَّقُ الوَرْقاءُ قَبْلَ غِنائها(٤)

وقال: [من الطويل]

إذا كان أَصلي من تُرابٍ فكلُّها ... بلادي وكلُّ العالمينَ أقاربي
ولا بُدَّ لي أَنْ أسأَلَ العِيْسَ حاجةً ... تَشُقُّ على شُمِّ الذُّرى والغوارِبِ(٥)(٦)

وقال: [من الطويل]

ورُبَّ قريبِ الدَّارِ أَبْعَدَه القِلى ... ورُبَّ بعيدِ الدَّارِ وهو قريبُ
وما ائْتَلَفَتْ أجسامُ قومٍ تناكرتْ ... على القُرْبِ أرواحٌ لهمْ وقُلُوبُ(٧)

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ١/ ١٨٩-٢٧٠، و«معجم الأدباء»: ٧/ ٥٢-٧٠، و«الكامل»: ١١/ ١٨، و«تاريخ الحكماء»: ٥٧-٥٨، و«طبقات الأطباء»: ٥٠١-٥١٥، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٤٣-٢٤٧، و«المغرب»: ١/ ٢٦١-٢٦٢، و«سير أعلام النبلاء»: ١٩/ ٦٣٤-٦٣٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته. وقد اختلف قول العماد في سنة وفاته، فذكر أنه قرأ في آخر «الحديقة» أنه توفي يوم الاثنين الثاني عشر من محرم سنة (٥٤٦هـ) ـ وتابعه على ذلك سبط ابن الجوزي ـ وقرأ في موضع آخر أنه توفي سنة (٥٢٩هـ)، وهو الصحيح فيما ذكر ابن خلكان، وأشار إليه السبط آخر الترجمة إلا أنه صدره بصيغة التمريض. وقد ذكر ابن خلكان أن سنة (٥٤٦هـ) هي سنة وفاة ابنه عبد العزيز.

(٢) هو كتاب «الحديقة في المختار من أشعار المحدثين»، وذكره العماد في «الخريدة» وقال: على أسلوب كتاب «اليتيمة»، وقد نقل عنه ابن سعيد في «المغرب».

(٣) اللها جمع، مفردها اللهية واللهوة: العطية، «اللسان» (لها).

(٤) «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب: ١/ ١٩١.

(٥) الذرى جمع، مفردها ذروة، وهي أعلى سنام البعير. «اللسان» (ذرا)، والغوارب جمع، مفردها غارب، وهو الكاهل: ما بين السنام والعنق، و«اللسان» (غرب).

(٦) «الخريدة»: ١/ ١٩٨، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٤٤.

(٧) «الخريدة»: ١/ ١٩٨.

وقال: [من الوافر]

أَيُحْيي الدَّهْرُ منِّي ما أماتا ... ويُرْجِعُ مِنْ شبابي ما أفاتا
وما بَلَغَ الفتى الخمسينَ إلا ... ذوى غُصنُ الصِّبا منه فماتا
بكيتُ على الفُرات غداةَ شَطُّوا ... وظنَّ النَّاسُ مِنْ دمعي الفُراتا
أُسائِلُ عن جُفوني كيفَ أضحتْ ... وعن قَلْبي المُعَنَّى كيفَ باتا
أما لو عادَني لأعادَ رُوحي ... وأَحْيا أَعْظُمي الرِّقمَ الرُّفاتا[1]

وقال يمدح يحيى بن تميم بن باديس: [من السريع]

صبٌّ براه السُّقْم بَرْيَ القِداحْ ... يَوَدُّ لو ذاق الرَّدى فاسْتَراحْ
لم يَرِمِ الوَجْدُ حشاه ولا ... خَلَتْ له جارحةٌ من جِراحْ
له إذا آنَسَ بَرْقَ الحِمى ... جوانحُ تَخْفُقُ خَفْقَ الجَناحْ
وإنْ شَدَتْ وَرْقاءُ في أيكةٍ ... عاوَدَه ذِكْرُ حبيبٍ فَناحْ
أصبحتُ في حَلْبة أهلِ الهوى ... يَرْكُضُ بي طِرْفٌ[2] شديدُ الجِماحْ
وفي سبيلِ الحُبِّ لي مهجةٌ ... كان لها صَبْرٌ جميلٌ وطاحْ
يا بنَ الملوكِ الصِّيْدِ من حِمْيَرٍ ... ووارثِ المَجْدِ القديم الصُّراحْ
لِيَهْنكَ الجَدُّ الذي نِلْتَهُ ... بالجدِّ من أَمْرِك لا بالمُزاحْ
مَزَجْتَ بالبأسِ النَّدى والتُّقى ... مِلْحٌ أُجاجٌ وزُلال قَراحْ
كم مَنْهَلٍ مُطَّرِدٍ بالرَّدى ... في موقف مُشْتَجِرٍ بالرِّماحْ
أَوْرَدْتَه كلّ سليم الشَّظى ... مُنَعَّلَةٌ أَرْبَعُهُ بالرِّياحْ
كأنَّما سُرْبِلَ جُنْحَ الدُّجى ... وبُرْقِعَتْ غُرَّتُه بالصَّباح[3]

وقال في الشمعة: [من الطويل]

وناحلةٍ صفراءَ لم تَدْرِ ما الهوى ... فتبكي لِهَجْرٍ أو لطول بِعادِ
حكتني نُحولاً واصفراراً وحُرْقَةً ... وفيضَ دموعٍ واتِّصالَ سُهادِ[4]

---

(١) «الخريدة»: ١/ ١٩٨.
(٢) الطِّرْف، بالكسر ـ من الخيل: الكريم والعتيق. «اللسان» (طرف).
(٣) «الخريدة»: ١/ ٢٠٨-٢٠٩.
(٤) «الخريدة»: ١/ ٢١٣.

وقال في الرِّزْق: [من الطويل]

وقـائـلـةٍ سِـرْ وابْـتَـغِ الـرِّزْقَ طـائـفـاً ... فـإنَّـك فـيـمـا لا يـفـيـد لـطـائـفُ
فـقـلـتُ دَعـيـنـي ربَّ سـاعٍ مـخـيَّـبٍ ... ولـلـهِ فـي كـلِّ الأمـورِ لـطـائِـفُ[1]

وقال: [من الطويل]

رمَتْني صروفُ الدَّهْرِ بين معاشرٍ ... أصـحّـهـم وُدًّا عـدوٌّ مـخـاتِـلُ
ومـا غُـرْبـةُ الإنـسـانِ فـي بُـعـدِ داره ... ولـكـنَّـهـا فـي قُـرْبِ من لا يُشاكِلُ[2]

وقال، وكان قد حُبس: [من الطويل]

ولـو لـم أكـن حُـرَّ الـخـلائقِ مـاجـداً ... لما كان دَهْري ينطوي بي على ضِغْنِ
ومـا مَـرَّ بي كـالـسِّـجْـن فيه مُـلِـمَّـةٌ ... وشَرٌّ من السِّجْن المصاحِبِ في السِّجْنِ
أظـنُّ الـلـيـالـي مُـبْـقـيـاتي لـحـالـةٍ ... تُـبـدِّلُ فـيـهـا حـالـتـي هـذه عـنِّـي
وإلا فـمـا كـانـت لـتُـبْـقي حُـشـاشـتـي ... على طُول ما ألقى من الذُّلِّ والغَبْنِ
وكم شامِتٍ بي أن حُبِسْتُ وما درى ... بـأنَّ حُـسـامـاً صِـيْـنَ حـدَّاه بـالـجَـفْـنِ
مـتـى صَـفَـتِ الـدُّنـيـا لـحُـرٍّ فـأبـتـغي ... بها صَفْوَ عيشٍ أو خُلُوّاً من الحُزْنِ
وهـل هـي إلا دارُ كـلِّ مُـلِـمَّـةٍ ... أَمَضّ لأحشاءِ الكرامِ من الطَّعْنِ[3]

وأحسن ما قال: [من الطويل]

سَـكَـنْـتُـكِ يـا دارَ الـفَـنـاءِ مُـصَـدِّقـاً ... بـأنِّـيَ فـي دارِ الـبـقـاءِ أصـيـرُ
وأَعْـظَـمُ مـا فـي الأَمْـرِ أنِّـيَ صـائِـرٌ ... إلى عادلٍ في الحُكْمِ ليس يجورُ
فـيـا ليتَ شِعْري كيفَ ألقاه بعدها ... وزادي قـلـيـلٌ والـذُّنـوب كـثـيـرُ
فـإنْ أكُ مَـجْـزِيًّـا بـذنـبـي فـإنَّـنـي ... بـحَـرِّ عـذابِ الـمُـذْنـبـيـن جـديـرُ
وإن يـكُ عـفـوٌ ثُـمَّ فَـضْـلٌ ورحـمـةٌ ... فَـثَـمَّ نـعـيـمٌ دائـمٌ وسـرورُ[4]

توفي في سنة ست وأربعين، وقيل: سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة.

---

(١) «الخريدة»: ١/ ٢٣٩.

(٢) «الخريدة»: ١/ ٢٤٨.

(٣) «الخريدة»: ١/ ٢٥٥.

(٤) «طبقات الأطباء»: ٥٠٣-٥٠٤، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٤٦.

حَيْدر بن محمد بن الحسن، أبو الرِّضا العَلَوي[(١)]

من أعيان العلماء، وأكابرِ الفُضَلاء، عاش تسعين سنة، وكان أشعرَ أهلِ زمانه، فحاز على شعره بألف دينار، ومن شعره: [من السريع]

لـيـتَ نـسـيـمـاً رَقَّ قـد رَقَّ لـي ... مـمَّـا بـقـلـبـي الـهـائـمِ الـمُـغْـرَمِ
فـأخـبـرَ الـظَّـاعِـنَ عـن قـاطـنٍ ... وبـلَّـغَ الـمُـنْـجِـدَ عـن مُـتْـهِـمِ
لا خَـضِـلَـتْ أَرْدانُـه سُـحْـرةً ... مِـنْ سَـيْـبِ وادٍ مُـتْـرَعٍ مُـفْـعَـمِ
ولا هـفـا وَهْـنـاً عـلـى زَهْـرةٍ ... أَوْ أُقـحـوانٍ طَـيِّـبِ الـمَـنْـسَـمِ
إنْ لـم يُـبَـلِّـغْ سَـهَـرِي مُـسْـهِـري ... أَوْ لـم يَـصِـفْ سُـقْـمـيَ لـلـمُـسْـقِـمِ

محمد بن نَصر، أبو عبد الله، العَكَّاوي[(٢)]

ويقال له ابن صغير، القَيْسراني الشَّاعر [ذكره الحافظ ابن عساكر، والعماد الكاتب في «الخريدة»، وأبو سَعد بن السَّمْعاني في «الذَّيل»][(٣)].

ولد بعكا [في][(٣)] سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة، ونشأ بقَيْسارية السَّاحل [فلذلك تسمَّى بها][(٣)]، ولما استولتِ الفرنج على السَّاحل انتقل إلى حلب ثم [أتى][(٣)] إلى دمشق [فأخذ الأدب عن توفيق بن محمد[(٤)]].

---

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٣٠-٢٣١، وفيه وفاته سنة (٥٤٨هـ).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨، و«الأنساب»: ١٠/ ٢٩١، و«التحبير»: ٢/ ٢٤٢-٢٤٤، «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٧-٤٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٩٦-١٦٠، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٦٤-٨١، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٩٣ - وقد أورد له أبو شامة مقطعات طويلة من شعره - و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٤٥٨-٤٦١، و«تكملة إكمال الإكمال» لابن الصابوني: ٢٤١-٢٤٤، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ١١٢-١٢١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٢٤-٢٢٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته. ووفاته على الصحيح سنة (٥٤٨هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هو توفيق بن محمد بن الحسين ابن زريق الاطرابلسي الدمشقي، كان شاعراً نحوياً، وله معرفة بالحساب والهندسة، توفي سنة (٥١٦هـ) بدمشق، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٣/ ٥٥٥-٥٥٦، و«معجم الأدباء»: ٧/ ١٣٨-١٣٩، و«إنباه الرواة»: ١/ ٢٥٨، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٤٤٨-٤٤٩، و«فوات الوفيات»: ١/ ٢٦٥-٢٦٦.

قال الحافظ ابن عساكر: كان ابن القيسراني يتولى][1] عمل السَّاعات التي عند باب جيرون [على][1] الدَّرج، وبلغ شمس الملوك أنه هجاه، فتنكَّر له، فهرب إلى حلب[2].

ومدح نور الدين محمود، وجمال الدين الوزير [الموصلي][1] ومجير الدِّين أبق وغيرهم [من الأعيان وغير الأعيان][1]، وديوانه مشهور، وعاد إلى دمشق، فتوفي بها في صفر، ودفن بباب الفراديس.

وقال ابن القلانسي: وصل الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن صغير القَيْسراني الشَّاعر من حلب [يوم الأحد الثَّاني عشرة من شعبان سنة] [3] ثمانٍ وأربعين وخمس مئة إلى دمشق، فاستدعاه[4] مجير الدِّين، فحضر مجلسه، وأنشده قصيدةً حسنة [مقيدة، فأجازه][1]، ووصله أحسنَ صِلة، واتفق له حُمَّى حادَّة، وتبعها إسهالٌ مُفْرط، فقضى نحبه يوم الأربعاء الثَّاني والعشرين من شعبان [هذه السنة، وكان أديباً، فاضلاً، شاعراً، مترسلاً، بليغ النَّظْم، مليح المعاني، وله يد قوية في علم النُّجوم والأحكام وحفظ التواريخ، وكان بينه وبين أبي الحسين أحمد بن منير مشاحناتٌ على قديم الزَّمان، فماتا على ذلك، وبينهما في الوفاة مدة يسيرة] [5].

ومن شعره يمدح الوزير جمال الدِّين محمد المَوْصِلي: [من الكامل]

لـيـتَ الـقـلـوبَ عـلـى نـظـامٍ واحـدٍ ... لـيـذُوقَ حَـرَّ الـوَجْـدِ غـيـرُ الـواجـدِ
مـا زالَ صَـرْفُ الـدَّهْـرِ يَـقْـصِـدُ هِـمَّـتي ... حتى صَرَفْتُ إلى الكِرامِ مقاصدِي
وإذا الـوفـودُ إلـى الـمـلـوك تـبـادَرَتْ ... فـعـلـى جـمـالِ الـدِّيـن وَفْـدُ مـحـامِـدِي

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٧.
(٣) في (ع) و(ح): من حلب في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة إلى دمشق يوم الأحد الثاني عشر من شعبان. والعبارة مضطربة قومناها من «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.
(٤) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨ باستدعاء مجير الدين له.
(٥) ما بين حاصرتين من(م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.

يَلْقاكَ في شَرَفِ العُلا متواضعاً حتى يُرى المقصودُ مِثلَ القاصِدِ
أُمْنيَّةٌ للمُعْتفي ومَنِيَّةٌ للمُعْتَدِي وشريعةٌ للوارِدِ
لا تَحْسِبُوا أنِّي انفَرَدْتُ بحَمْدِهِ هيهاتَ كم لمحمَّدٍ مِنْ حامِدِ
مَجْدٌ على عرش السِّماكِ وهِمَّةٌ ترقى السُّها بجناحِ جَدٍّ صاعِدِ
أنا روضةٌ تُزهى بكلِّ عجيبةٍ أفرائدي من لم يَفُزْ بفرائدي؟
إنْ ساقني طَلَبُ الغِنى أو شاقني حُبُّ العُلا فلقد وَرَدْتُ مواردِي
ومتى عددتُ إلى نَدَاك وسائلي أعدَدْتُ قَصدي من أَجَلِّ قصائِدِي
حتى أعودَ من امتداحك حالياً وكأنَّني قُلِّدْتُ بعضَ قلائدي
ما كانت الأيامُ تُخلِفُ مَوْعِدِي أبداً وحُسْنُ الظَّنِّ عندك رائدي[(١)]

وقال أيضاً من شعره: [من المديد]

مَنْ لقلبٍ يألَفُ الفِكَرا أو لعينٍ ما تذوقُ كَرَى
ولصَبٍّ بالغَرَامِ قضى ما قضى في حُبِّكُمْ وطَرَا
وَيْحَ قَلْبي من هوى قَمَرٍ أنكرتْ عَيْني له القَمَرا[(٢)]

وقال يمدح بني الصُّوفي [وقد بنوا] بَهواً وبِرْكةً فيها شاذِرْوان[(٣)]: [من المديد]

يا بنيّ الصُّوفي زرْتُكُمُ طائفاً بالبيتِ مُعْتَكِفا
فرأيتُ الغيثَ مُغْترفاً مِنْ أياديكُمْ ومُغترفا
من رأى أخلاقَكُمْ أنفا أنْ يَرُوْدَ الرَّوْضةَ الأُنُفا
ذاتُ بَهْوٍ مَنْ ألمَّ بها وصفَا تَحْبيرُهُ وَصَفا
عاقِدٌ في الجوِّ منطقَه لا يرى طَرْفٌ لها طَرَفا

(١) انظر القصيدة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ١٠٣-١٠٦.
(٢) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١٦/ ٤٧.
(٣) الشاذروان: هو ما ترك من عرض الأساس في البناء خارجاً، ويسمى التأزير. انظر «معجم متن اللغة»: ٣/ ٢٩٤، و«شفاء الغليل»: ١٦٣، وما بين حاصرتين زيادة من عندنا لتستقيم العبارة.

طــال إشــرافــاً فــحــيــن ســمــا ... تــوَّجُــوهــا مــا بــه شَــرُفــا
مــن أنــابــيــبَ تــمــيــسُ إذا ... طَــيْــرُ شــاذِرْوَانــهــا هَــتَــفــا
مُــغْــرَمٌ بــالــبَــهْــوِ فَــهْــو مــتــى ... هَــفَّ مِــنْ شــوقٍ إلــيــه هــفــا

وقال: [من الطويل]

ولــي زَفَــرَاتٌ تَــسْــتَــهِــلُّ صــبــابــةً ... عــلــيــكُــمْ إذا بَــرْقُ الــعــقــيــقِ تــأَلَّــقــا
أَلِفْتُ الهوى حتى حَلَتْ لي صروفُهُ ... ورُبَّ نــعــيــمٍ كــان جــالــبَــه شــقــا
ألَــذُّ بــمــا أشــكــوه مِــنْ ألــمِ الــجــوى ... وأَفْــرَقُ إنْ قــلــبــي مــن الــوَجْــدِ أفــرقــا
وأذْهَلُ حتى أَحْسِبُ الصَّدَّ والجفا ... بـمُـعْـتَـرَكِ الـذِّكـرى وِصـالاً ومُـلْـتـقـى
فــهــا أنــا ذو حــالَــيْــنِ أمــا تَــصَــبُّــري ... فـحـيٌّ وأمـا سَـلْـوتـي فـلـكَ الـبـقـا[1]

وقال في دمشق: [من البسيط]

أرضٌ تُحاكي الأماني مِنْ محاسنِها ... بـحـيـثُ تَـجْـتَـمِـعُ الـدُّنـيـا وتَـفْـتَـرِقُ
إذا شدا الطَّيْرُ في أغضانِها وَقَفَتْ ... عـلـى حـدائـقـهـا الأسـمـاعُ والـحَـدَقُ

وقال: [من البسيط]

يـا أهـلَ بـابـلَ أنـتـمْ أَصـلُ بِـلْـبـالـي ... رُدُّوا فـؤادي عـلـى جُـثْـمـانـيَ الـبـالـي
لا، واعـتـنـاقِ هـواكُـمْ بـعـد فُـرْقـتِـكُـمْ ... ما كان صَرْفُ النَّوى منكُمْ على بالي
وإنَّـمـا اعـتـرضَـتْ بـيـنـي وبـيـنـكُـمُ ... نـوائـبُ أَرْخَـصَـتْ من دَمْـعـيَ الـغـالـي
لـولا مـكـانُ هـواكُـمْ مِـنْ مـحـافـظـتي ... لـمـا صـرفْـتُ إلـيـكُـمْ وَجْـه آمـالـي
سَلَوْتُ عن غيركُمْ لَمَّا عَلِقْتُ بكم ... وَجْـداً أَلا فـاعْـجـبـوا لـلـعـاشـقِ الـسَّـالـي
فـانْـظُـرْ إلـى عَـبَـراتـي بَـعـدَ بُـعـدِهـمُ ... إنْ أنـتَ لـم تـرَ حـالـي بـعـد تـرحـالـي
أقـول لـلائـمِ الـمُـهْـدِي مـلامـتَـهُ ... ضلالةُ القَلْبِ في أكناف ذي ضال
دَعْـنـي أَفُـضَّ شـؤونـي مِـنْ مـعـالـمـهـا ... فـالـدَّمْـعُ دمـعـيَ والأطـلالُ أطـلالـي[2]

---

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ١٢٥.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ١٣٤-١٣٥.

وقال أيضاً من شعره: [من الرمل]

وبـأكـنـافِ الـمُـصَـلَّـى جِـيْـرةٌ لا يُـجـيـرونَ مُـحـبّـاً مـن غَـرَامْ
شـغـلـوا كـلَّ فـؤادي بـهـوًى وأمـالـوا كـلَّ سَـمْـعٍ عـن سـلامْ
مـا عـلـيـهـمْ لـو أباحـوا في الـهـوى مـا عـلـيـهـم مـن صـفـاتِ الـمُـسْـتَـهـامْ

وقال في وصف مغني: [من البسيط]

والله لـو أنـصـفَ الـفِـتْـيـان أَنْـفُـسَـهُـمْ أعـطـوكَ مـا ادَّخـروا مـنـهـا ومـا صـانـوا
مـا أنـتَ حـيـن تـغـنِّـي فـي مـجـالـسـهـم إلاّ نـسـيـمُ الـصَّـبـا والـقـومُ أغـصـانُ[١]

وولده الموفق[٢] فاقَ أبناءَ جنسه في حُسْنِ الخَطِّ، وتقلَّد ديوان الاستيفاء[٣] لنور الدين محمود بن زَنْكي، وتقدَّم عنده تقدُّماً زائداً بحيث فوَّض أموره إليه، وكان يقف ببابه بعضُ ممدوحي أبيه، ويسترفدونه، فيستحي، فَيَتَّبَّعُ شِعْرَ أبيه الذي في أيدي النَّاس، واجتهد أنْ يُسْقِطَ منه المدائح، فلم يقدر لانتشاره، وَمَدَحُه الحسين بن عبد الله بن رواحة[٤]، فقال: [من الطويل]

دَعَـوْتُـك مُـشْـتـاقـاً لـنَـيْـلِ صَـنـيْـعـةٍ فـكـنـتَ إلـى بَـذْلِ الـصَّـنـائـعِ أَشْـوقـا
وكـم عُـقَـدٍ حُـلَّـتْ بـعَـزْمِـك لـم تـكـنْ تُـحَـلُّ بـعَـزْمٍ مـن سِـواكَ ولا رُقـى
تـفـاءَلَ نـورُ الـدِّيـنِ بـاسْـمِـك مِـثْـلـمـا هـوى مـنـكَ نَـعْـتـاً فـي الأُمـور مُـحَـقَّـقـا
فـأصـبـحَ نـورُ الـدِّيـن فـي الـمُـلْـكِ خـالـداً كـمـا كـان فـي الـرَّأي الـسَّـعـيـدِ مُـوَفَّـقـا[٥]

(١) «الخريدة»: ١/ ١١٩.

(٢) له ترجمة في «بغية الطلب»: ٧/ ٣٠٩٦-٣١٠١، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٢٦٦، و«تكملة إكمال الإكمال»: ٢٤٤-٢٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٨٢-٢٨٣، وقد ساق أبو شامة في «كتاب الروضتين» بعض أخباره مع نور الدين، وقد توفي سنة (٥٨٨هـ).

(٣) في (ع) ديوان الإنشاء، وفي (ح) ديوان الاستيفاء، وفي «بغية الطلب»: ٧/ ٣٠٩٦: جمع في ولايته بين الإنشاء والاستيفاء.

(٤) شاعر فقيه، ولد بحماة سنة (٥١٥هـ)، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق، وسمع فيها من ابن عساكر، ثم رحل إلى مصر، وأثناء عودته منها أسره نورمان صقلية، وبقي في أسرهم مدة، ثم عاد إلى حماة، ثم سافر إلى مصر، وأقام بها في ظل صلاح الدين، وقد استشهد في سهل عكا سنة (٥٨٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٩٧، وذكرت ثمة مصادر ترجمته.

(٥) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٤٨٥-٤٨٦.

[فصل: وفيها توفي][1]

السُّلْطان مسعود بن محمد بن ملك شاه[2]

[كما ذكرنا، وقد ذكرنا سيرته مفرَّقة في السنين، و][1] لم ير أحدٌ ما رأى من الملوك والسَّلاطين، فلما كان في هذه السنة مَرِضَ على هَمَذَان بأمراضٍ حادَّة، وعَسُرَتْ مداواتُه، فتوفي [في][1] سلْخ جُمادى الآخرة، وكانت أيامُه نيفاً وثلاثين سنة، وسمع الحديث [من أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وغيره][1].

ولما مات اجتمعَ رأي الأُمراء على تقرير ملك شاه بن محمود بن محمد ابن أخي مسعود، وكان مقدَّمُ العساكر والمشارُ إليه خاصبك بن البلنكري، فأجلسوا ملك شاه ثلاثة أشهر، وقيل: خمسة، ثم عَنَّ لخاصبك أن يقبضَ عليه وعلى أخيه محمد بن محمود، وينفرد بالمُلْك لبُعدِ سنجر عنه، فقال لملك شاه: إني أُريد المُلْك لكَ من غيرِ منازع، وأخوك ينازِعُك، والمصلحة أنَّني أقبض عليك وأكتبُ إلى أخيك، فإذا وصل قَبَضْتُ عليه، وسَلَّمْتُه إليك. فقال: افعل. فَقَبَضَ عليه، وكتَبَ إلى محمد وهو بخُوزِسْتان يدعوه إلى السَّلْطنة، فجاء إلى هَمَذَان، فجلس على التَّخْت، ودَخَلَ النَّاسُ يهنّئونه، ويخاطبونه في أشياء، فقال: مالي في هذا الأمر شيء، حديثكم مع الأمير خاصبك، فهو الوالد، والكلُّ تحت يده. وقدَّم له خاصبك من المال والخيل والمماليك والخدم والجواهر شيئاً كثيراً، وأقام بهَمَذَان أياماً، وبلغه ما في نَفْسِ خاصبك من التَّدْبير عليه، فاستدعاه وزَنْكي الخازْندار[3]، وشملة التُّركماني وهو في أعلى قصر المملكة، فلما صَعِدوا دَرَجَ القَصر أحسَّ شملة بالشَّرِّ، فقال لخاصبك: ارجع، فما هذه علامةُ خير. فلم يرجع، فلمَّا حَصَلوا في بعضِ مضايق القَصر أخذتْهم السُّيوف،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٥١، و«مختصر دولة آل سلجوق»: ١٥٢ و١٦١ و١٩٦و٢٠٨، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ١٦٠-١٦٣، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٨٦-٢٨٧، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ٢٠٠-٢٠٢، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٢٧-١٢٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٨٤-٣٨٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا في (ع) و(ح)، ومثله في «المنتظم»، وفي «مختصر دولة آل سلجوق»: ٢١٢، و«الكامل»: ١١/ ١٦٢ الجاندار، وهو الصحيح.

فَقُتِل خاصبك والخازْندار وهَرَبَ شملة، فلم يقدروا عليه، ورمى برأسيهما، وأكلتِ الكلابُ لحومَهما، واستولى محمدٌ على أموالهما وأسبابهما ومماليكهما، وكان فيما أُخذ من خاصبك ألف ألف دينار وسبعون ألف ثوبٍ من الأطلس، وثلاث مئة مملوك، وخمس مئة فرس، ومن البخاتي والخِيَم مالا يُحَدُّ ولا يُحصى، ومع هذا جَبُوا له مِنَ العَسْكر كفناً كفَّنوا به ما بقي من جُثَّته من فَضْلةِ الكلاب.

وخاصبك أصله تُرْكماني، كان صبيًّا أمردَ، فأحبَّه مسعود حُبّاً شديداً، وقدَّمه على أُمرائه، فاستولى على المملكة.

ثم إنَّ محمداً بعث بالرأسين إلى أتابك إيلدكز صاحب أَذْرَبيجان، وإلى آق سُنْقُر صاحب مراغَة، فارتاعا، ونفرا من محمد، وبعثا إليه يوبِّخانه ويقولان: إذا كنتَ غَدَرْتَ بمن أَحْسَنَ إليك وملَّكك، فكيف يثقُ بكَ غيره؟ ثم بعثا رسولاً إلى سليمان شاه ابن محمد[1]، وكان بزَنْجان، وحلفا له وحَلَفَ لهما، وساروا جميعاً إلى هَمَذان، فهرب محمدٌ إلى أصبهان، فأجلسوا سليمان شاه على تَخْت المُلْك، فأخذ في اللَّهْو والشُّرْب، وساعده وزيرُه فخر المُلْك أبو طاهر القاشاني، وفعل كفِعْله، فضاعت المملكة بينهما، وقَبُحَتِ السِّيرة، وندم إيلدكز وآق سُنْقُر حيث كاتباه وملَّكاه، وشَرَعا في القَبْض عليه وعلى وزيره، فلم يتمكَّنا من ذلك في هذه السَّنة.

المُظَفَّر بن أَرْدَشير[2]

أبو منصور بن العَبَّادِي الواعظ.

ولد سنة إحدى وتسعين وأربع مئة، وسمع الحديث، وقَدِمَ بغداد، ووعظ بجامع القَصر والنِّظامية، وكان فصيحاً بليغاً، وترسَّل بين السُّلْطان والخليفة، فتقدَّم الخليفةُ إليه أن يُصلح بين ملك شاه بن محمود بن محمد وبين بَدْر الحُوَيزي، فمضى وأصلح

(١) في (ع) و(ح)، محمود، والمثبت من «مختصر دولة آل سلجوق»: ٢١٤ ، و«الكامل»: ١١/ ١٨٠ ، و «معجم الأنساب» لزامباور: ٣٣٤ .

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٨/ ٣٣٧-٣٣٨ ، و«المنتظم»: ١٠/ ١٥٠-١٥١ ، و«الكامل»: ١١/ ١٥٧ ـ وفيه وفاته سنة (٥٤٦هـ) ـ و«اللباب»: ٢/ ٣١٠ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٣١-٢٣٢ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

بينهما، وحصل له منهما مالٌ كثير، وتوفي بالحُوَيْزة[١]، وقيل: بعَسْكر مُكْرَم في ربيع الآخر، ثم حُمِلَ تابوته إلى بغداد، فدفن في دَكَّةِ الجُنَيْد بالشُّونيزِيَّة، ورجع مالُهُ إلى السُّلْطان؛ لأَنَّه خَلَّف ولداً صغيراً، فمات الولد، ولم يكن له وارث.

جلس المُظَفَّر يوماً في جامع القَصر، فوقع مطر، فلجأ الجماعةُ إلى ظِلِّ العقود والجُدْران، فقال: لا تفرُّوا من رِشاشِ ماءِ رحمةٍ قُطِرَ عن مَتْنِ سحابِ نِعْمة، ولكن فرُّوا من شَرارِ اقْتُدِحَتْ من زِناد الغَضَب.

وقام إليه شاعِرٌ يمدحه، فقال له: اجلس. فقال: قد كان حَسَّان يمدح رسولَ الله ﷺ في المسجد. فقال المُظَفَّر: ما كان حَسَّان مستبيحاً عِرْضاً ولا مُسْتميحاً عَرَضاً.

وقيل له: لِمَ آمن موسى عليه السَّلام وكفر فِرْعون، وكلاهما ارتضعا من دِرَّة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٢]؟ فقال: لأَنَّ موسى فاء، وفرعون قاء.

السنة الثامنة والأربعون وخمس مئة

فيها انحلَّ أمر بني سَلْجوق باستيلاءِ الغُزِّ على سنجر.

ذكر السبب: لما التقى خاقان ملك التُّرْك وخُوارَزْم شاه والغُزّ بسنجر وكسروه، وعاد خاقان إلى بلاده وخوارزم شاه إلى خُوارَزْم نَزَلَ الغُزُّ بنواحي جَيْحُون وسَمَرْقَنْد بين التُّرْك وأعمال خوارزم آمنين، وبقي في قَلْب سنجر ما جرى عليه منهم، فالأمر بينهم موقوف، وقد صالَحَ خُوارَزْم شاه، فجهَّز سنجر إلى الغُزِّ العساكر مع الأمير قماج، فبيَّتهم، وجاءهم على غِرَّةٍ، فكسروه، وقَتلوا ولده، وغَنِموا ما كان معه، فعاد إلى سنجر مهزوماً، ثم ورد جماعةٌ من شيوخهم على سنجر، وقالوا: قد بعثتَ إلينا مرَّتين، ونَصَرَنا الله عليك، والبغي مَصرعك، ونسأَلُك إهدارَ ما جرى ونكون في

---

(١) موضع بين واسط والبصرة وخوزستان في وسط البطائح. «معجم البلدان»: ٢/ ٣٢٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٧٢، قلت: وهذا التعليل ليس بشيء.

خِدْمتك وطاعتك، ولا نريد منك شيئاً، بل نجعل لك علينا كلَّ سنةٍ قطيعة خمسين ألف رأس من الخيل والبخاتي، ومثلها من الغنم، ومئة ألف دينار. فأشار عليه أعيانُ أهل مملكته بالصُّلْح، وأشار عليه قماج أن لا يصالح، فمال إلى قوله، وردَّ الشُّيوخ خائبين، فعادوا إلى أصحابهم، وقالوا: استعدُّوا، فلا بُدَّ له من قَصدكم. فجاؤوا إلى صحراء واسعة كالحَلْقة الدَّائرة، والجبالُ محدِقةٌ بها، وليس لها طريقٌ إلاّ من مضيقٍ واحد، فضربوا خَرْكاواتهم[1] فيها، وجعلوا الأموال والمواشي حولها كالسُّور، وجعلوا بين الخَرْكاوات خِلالاً مثل الأبواب، وجاءهم سنجر بعساكره، فدخل من ذلك المضيق، ونَشِبَ القتال، فكانت سهامُ عَسْكر سنجر تقع في الخَرْكاوات والجمال والخيل، وسهام الغُزّ لا تقع إلا في فارس، وكان سنجر قد وقف عند المضيق في جماعةٍ من أصحابه، ولم يدخل ينتظر الدَّبرة[2]، وصَدَقَ الغُزّ الحَمْلة، فطرحُوا المُسْلمين مثل الغَنَم، وقُتِلَ قماج ومعظم عسكر سنجر، وهرب مَنْ بقي إلى ناحية المضيق، فلحقهم الغُزُّ، فأفنوهم من قبل وصولهم إلى المضيق، وخرج الغُزُّ من المضيق وسنجر واقف في بقايا عسكره، فتقدَّم إليه كبراؤهم، وترجَّلوا، وقبَّلوا الأرض، وقالوا: سألْناكَ الصُّلْح فأَبَيْتَ وأنتَ سُلْطاننا كلّنا، وقد قُتِلَ بعضُ عبيدِك وبقي البعض؛ يشيرون إلى نفوسهم. ثُمَّ أفردوه عن أصحابه وكأنَّهم في خِدْمته، وهو مثل الأسير يجلسونه على السَّرير لا غير، وتفرَّق عنه عسكره، وجاؤوا به إلى خُراسان، فنزلوا بَلْخ، ثم انبثُّوا في خراسان يَقْتُلون ويأسِرون ويَسْبُون، وهو معهم لا يملك لنفسه ضَرًّا ولا نَفْعاً، وعملوا له بعد ذلك قفصاً من حديد وجعلوه فيه، وكانوا إذا أتوه بطعامٍ يدَّخر منه لوقتٍ ينسونه فيه، وكان يخدم نفسه وليس معه أحد، واقتصَّ الله منه للمسترشد والرَّاشد.

وفيها: بعث الخليفة ترشك المقتفَوي وأبا البَدْر ظفر بن الوزير يحيى بن هُبيرة، ونجاح الخادم إلى قلعة تكريت، وبها مسعود البِلالي من جهة السُّلْطان مسعود، فجرى

---

(١) الخركاة: كلمة فارسية تعني الخيمة الكبيرة. «معجم الألفاظ الفارسية المعربة»: ٥٣-٥٤.

(٢) الدبرة: الهزيمة في القتال، «معجم متن اللغة»: ٢/ ٣٧٢.

بين ترشك وبين ظفر بن هُبيرة منافسة في الرُّتْبة، وأراد ترشك أن يكون أمره على ابنِ هبيرة فلم يفعل، وكتَبَ إلى الخليفة يشكوه، فأرسل إلى ابنِ هبيرة بالقَبْضِ عليه، وأَحَسَّ ترشك بذلك، فكتب إلى القلعة يقول لمسعود: أنا معك، وقد عَزَمْتُ على قَبْضِ ابنِ الوزير ومن معنا من الأُمراء، وأُسَلِّمهم إليك. ثم قال للعساكر: اركبوا للزَّحْف، فركبوا، واشتغلوا بالقتال، فَقَبَضَ[1] ترشك على ابنِ الوزير ونجاح ويرنقش، وبعث بهم إلى القلعة، وأخذ أموالهم وسلاحهم وخيولهم، ونَزَل مسعود من القلعة، وخَلَعَ على ترشك الخِلْعة التي خَلَعَ عليه السُّلْطان، وأعطاه الخيل بمراكب الذَّهب، والأموال، وأضاف إليه التركمان، وقصدوا طريقَ خُراسان، فخرج الخليفة بنفسه ووزيره، فهربوا من بين يديه.

وجاء الخليفة إلى تكريت، وأقام عليها أياماً، ثم رجع إلى بغداد، وبلغه أن ملك شاه استولى على واسط، فخرج إليها، فانهزم ملك شاه، فعاد الخليفة إلى بغداد.

وفيها قُتِلَ عليُّ بن السَّلار، وزيرُ الدِّيار المِصرية.

وفيها ضايقتِ الفرنجُ عَسْقلان، فبعثوا إلى نور الدِّين ومجير الدين أبق [صاحب دمشق][2] يستصرخون بهما، فتوجَّه مجيرُ الدِّين إلى حلب بعساكره يوم السبت ثالث عشرة المحرَّم، واجتمع بنور الدِّين، وعند نور الدِّين تركمان كثير، فاتَّفقوا على النُّزول على بانياس ليَشْغَلُوا قلوبَ الفرنج النَّازلين على عَسْقلان، فساروا إليها ونزلوا عليها يوم السَّبت تاسع عشرين صفر، وليس فيها من الفرنج من يحميها، فوقع الخُلْف بين المسلمين، فعاد مجيرُ الدِّين إلى دمشق ونور الدِّين إلى حِمْص.

وعند عَوْدِ مجير الدِّين من بانياس، أُخرج الوزير ابن الصُّوفي من دمشق، وكان قد امتنع من دخول القَلْعة، وإذا أَمَرَ مجيرُ الدِّين بأمرٍ لا يلتفتُ إليه، وجرى بينه وبين أخيه زين الدَّوْلة مشاجراتٌ، فاتَّفق مجيرُ الدِّين مع زينِ الدَّوْلة، ووعده الرِّياسة على أَنْ يُساعد على إخراج أخيه من دمشق، وبَعَثَ إليه بمالٍ، فأجابه باطناً، وأرسل مجيرُ

(١) انظر حاشيتنا رقم ١ ص ٤١٠ من هذا الجزء.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الدِّين إلى الرَّئيس يستدعيه إلى القلعة ليصلح بينه وبين أخيه، فامتنع ، وتحصَّنَ في داره، وجَمَعَ العوام، فأرسل إليه مجيرُ الدِّين: اخرُجْ من البلد. فاستعانَ بأخيه وأَهْله، فلم يُجِبْه أحد، فخرج إلى صَرْخد في جُمادى الأُولى وفيها مجاهد الدين بُزان الكُرْدي، فتلقَّاه وأكرمه وأنزله، ولم يتعرَّض مجيرُ الدِّين إلى مالِ الرئيس ولا لداره ولا لبُسْتانه بالنَّيْرب، وقلَّد أخاه زين الدَّولة مكانه، وخَلَعَ عليه، وأمر ونهى، ولم تكن سِيرتُه مرضيةً فيما يتعلَّق بالرُّشْوة مع العَجْزِ والتَّقصير، ثم إنَّ مجير الدِّين عَزَلَه بعد ذلك وقَتَله. ورأى مجيرُ الدين أَنْ يتوجَّه إلى عطاء الخادم ببَعْلَبَكَّ يستعين به على تَدْبير المملكة، فتوجَّه إليها، وعاد وعطاء معه، واستشعر مجاهد الدين بُزان، وأقام بصَرْخد، ولم يَعُدْ إلى دمشق بغير يمين، وأرسل [إلى] [1] مجير الدِّين يَطْلُب ذلك، فوعده، وبقي الأمر موقوفاً.

وفيها ملكتِ الفرنج عَسْقلان، لأنهم ضايقوها، وقُتِلَ من الفريقين خَلْقٌ كثير وعَجَزَ مَنْ فيها، فطلبوا الأمان، فأَمَّنوهم، وكان بها من الذَّخائر والعُدَد والغِلال مالا يُحصى، [وبلغني أن سبب تسليم عسقلان إلى الفرنج] [2] أنَّ أهلها كانوا في ضائقة يرتقبون كلَّ يوم الأصطول والنجدة من مِصر، فبينا هم في آخر نَفَس وإذا بمركبٍ صغير قد أقبل من مِصر، فاستبشروا، وإذا فيه رجلٌ ومعه كتاب من مِصر إلى الوالي يقول: ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفِّذ لنا من مقصبة عَسْقلان باقة قصب غلاظاً نجعلها شَبَّابات. فقال للرَّسول: نعم إلى غداة غدٍ. ثم خَرَجَ في الليل إلى الفرنج، وأخذ أماناً لأهل البلد، فلما طلع الفجر فَتَحَ الأبواب، ودخَلَ الفرنجُ البلد، فأحضر القاصِدَ بالكتاب، وقال: هذا هو الجواب.

[وقيل: إن صاحب مصر نَقَلَ رأس الحسين عليه السلام من عسقلان إلى مِصر، وقد ذكرناه في ترجمته] [3].

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٢) في (ع) و(ح) وقيل: إن أهلها كانوا في ضائقة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها عاد ابنُ الصُّوفي[١] من صرخد بأيمان مجير الدين وعهوده، وأقام بداره، وطاب قلبه، ثم استوحش منه، وبلغه عنه ما اقتضى أنَّه هَرَبَ نحو صرخد، فبعث الخيلَ في طلبه، فأدركوه، فحبسه في القلعة [واعتقل بها][٢] اعتقالاً جميلاً، ثم ظهر من أخيه زين الدولة حيدره ما أوجب قَتْلَه، فقتله مجيرُ الدين، وقَتَلَ عطاءَ الخادم.

وحَجَّ بالنَّاس قيماز الأُرْجُواني.

فَصل: وفيها توفي

أحمد بن أبي غالب[٣]

أبو العباس [الورَّاق][٤] ابن الطَّلاَّية[٥] الزَّاهد، من أهل دار القَزّ.

وُلد بعد الستين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث وتفقَّه، ولازم مسجده سبعين سنة، لم يخرج منه إلا يوم الجمعة للصَّلاة، وقرأ عليه القرآن عالمٌ كثير، وكان زاهداً [متقلِّلاً][٤] في الدنيا، متعبِّداً، لا يفتر [من العبادة لا][٤] ليلاً ولا نهاراً حتى انطوى طاقين[٦]، وكان عليه ثوب خام، وعلى رأسه زراغوج[٧]، وتحته باريَّة، وعنده

(١) كذا قال، وهو وهم، فالذي عاد إلى دمشق ثم هرب منها هو مجاهد الدين بزان والي صرخد، انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٠٠ ، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٩٠ .
أما ابن الصوفي فقد عاد إلى دمشق سنة (٥٤٩هـ)، ومات في داره من مرض ألم به، وسيأتي خبره في حوادثها.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٨/ ٣٧٧ ، و«المنتظم»: ١٠/ ١٥٣ ، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٤٠ ، و«الكامل»: ١١/ ١٩٠ ، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ١٦٦-١٦٧ ، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٢٧٧ ، و«طبقات الحنابلة»: ١/ ٢٢٤ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٢٩-١٣٠ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٦٠-٢٦٣ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المستفاد»، ويقال: إن والدته كانت تطلي الكاغد عند عمله بالدقيق المعجون بالماء دقيقاً قبل صقله، فاشتهرت بذلك.

(٦) كذا، وهو تعبير عامي ما زال مستعملاً في الشام، يعني: انحنى ظهره انحناء كبيراً. وفي «المنتظم»: ١٠/ ١٥٣ : وكان قد انطوى من التعبد حتى كان إذا قام، فرأسه عند ركبتيه.

(٧) اضطربت النسخ في كتابتها، ففي (ع) و(ح) زرافوخ، وفي (م) زراغوج، وقريباً منها في (ش)، ويبدو أنه نوع من أغطية الرأس، لم أقف على وصف له فيما بين يدي من المصادر.

جرَّة فيها كِسَرٌ يابسة ألوان مختلفة، ولم يكن في زمانه أعبدُ ولا أزهدُ منه، وتوفي في رمضان، وقد قارب الثمانين، وكان له يوم مشهود [[1]مثل يوم أبي الحسن القزويني الزَّاهد[2]، وحُمل إلى مقبرة باب حرب، فدفن إلى جانب أبي الحسين ابن سَمْعُون.

ذِكْرُ حكايتِهِ مع السُّلْطان مسعود: سمعتُ مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وعن أجدادهم، قالوا: لما دخل السُّلْطان مسعود بغداد كان] يحبُّ زيارة العلماء والصَّالحين، فطلب المشايخ، فمضى بعضهُم إليه، وبلغه حال ابنِ الطَّلاية، فطلبه، فقيل له: إنه لا يخرج من مسجده. فقال: أرسلوا إليه. فجاءه الرسول، وقال: السُّلْطان يُسَلِّم عليك ويعتذر إليك من تأخره عن زيارتك، ويسألك أنْ تجتمع به. فقال لرسوله: أنا منذ سبعين[3] سنة في هذا المسجد أنتظر داعي الله في النَّهار خمس مرَّات، فإذا دعاني ولم أُجِبْه، فما عذري عند الله؟ فعاد الرَّسولُ إلى مسعود، فأخبره، فبكى، وقال: أنا أَوْلى من مشى إلى هذا العبد الصَّالح. فلمَّا كان في اليوم الثَّاني ركب مسعود، وأتى إلى مسجده، فوافاه وهو في صلاة الضُّحى، وكان من عادة الشيخ[4] أن يصلِّيها ثماني ركعات بثمانية أجزاء، فجاء وقد صلَّى أربعاً، فدخل المسجد ومعه خادمٌ صغير بين يديه، وأمر العساكر أن يقفوا على خيولهم، فصلى السُّلْطان رَكْعتين، وقام، فوقف خلف الشيخ، فصلى تمام ثماني ركعات وسَلَّم، وعلم به، وقام ليدخل في تاسعةٍ لئلا يجتمع به، فقال له الخادم: يا شيخ، السُّلْطان قائِمٌ على رأسك منذ زمان، وتريد أن لا تكلمه! فقال الشيخ: وأين مسعود؟ فتقدَّم إليه، وقال: ها أنا، فقال: يا مسعود اعدل وادعُ لي. الله أكبر؛ ودخل في الصَّلاة، فجلس مسعود يبكي، واستحضر دواةً وبياضاً، وكتب بخطِّه ورقةً بإزالة المكوس والضَّرائب والفساد، ومن نزل دارَ أحدٍ

(١) في (ع) و(ح) وقد قارب الثمانين، وكان له يوم مشهود، ودفن بمقبرة باب حرب إلى جانب أبي الحسين بن سمعون، كان السلطان مسعود يحب زيارة العلماء.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو شيخ العراق أبو الحسن علي بن عمر بن محمد، قال الخطيب البغدادي وقد حضر جنازته: لم أر جمعاً على جنازة أعظم منه، توفي سنة (٤٤٢هـ)، وقد ترجم له السبط في وفياتها.

(٣) في (ع) و(ح) ستين، والمثبت من (م) و(ش).

(٤) في (ع) و(ح): وكان من عادته، والمثبت من (م) و(ش).

أو تعدَّى عليه قَتَلْتُه، وتاب السُّلْطان توبةً صادقة، وخرج من وقته إلى هَمَذَان، فتوفي وهو على هذه النِّيَّة، فاستقامتِ الأحوال ببركة نَفَس الشَّيخ أحمد.

أحمد بن منير [ابن أحمد] (١)

أبو الحسين، الشَّاعر الطَّرابُلسي الرَّفَّاء(٢) [أحد شعراء الشام المتأخرين](١).

ولد سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة بطرابلس، [وقال الحافظ ابن عساكر: وكان أبوه منير](٣) ينشد أشعار العَوْني ويتغنَّى بها بأسواق طَرابُلُس، ونشأ [ابنه](١) أحمد، فحَفِظَ القرآن، وقرأ العربية واللّغة والأدب، [وقال الشعر](١)، وقدم دمشق، فأقام بها، وكان خبيثَ اللِّسان كثير الفحش [في شعره، يستعمل الألفاظ العامية في شعره، فلما كثُر ذلك منه حبسه بوري بن طغتكين في حبس دمشق](٤)، وعزم على قَطْعِ لسانه، فاستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز، فوهبه له، [فأقام منفياً مدة إمارة بوري](١) فلما مات بوري [وولي إسماعيل بن بوري](٥) عاد إلى دمشق، فبلغه عنه شيءٌ، فطلبه ليصلبه، فهرب واختفى بمسجد الوزير ظاهر دمشق، [ثم هرب إلى حلب، وجاء مع نور الدين في الحصار الثاني، ثم عاد إلى حلب، قال الحافظ: وقد رأيته غير مرة، ولم أسمع منه شيئاً، وأنشدني من شعره الأمير أبو الفَضْل إسماعيل بن سُلْطان بن منقذ، قال: أنشدني أحمد ابن منير مقطعاتٍ من شعره](٦) وهجا برهان الدِّين البَلْخي الزَّاهد وغيره.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) و(س): ٢/ ٢٥١-٢٥٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٧٦-٩٥، و«بغية الطلب»: ٣/ ١١٥٤-١١٦٤ - وفيه ولادته سنة (٤٩٣هـ)، وهو خطأ - و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٩٣ - وقد نُثر فيه قصائد من شعره - و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٥٦-١٦٠، و«الوافي بالوفيات»: ٨/ ١٩٣-١٩٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٢٣-٢٢٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ع) و(ح): وكان كثيراً ينشد أشعار المعري (كذا)، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر» ٢/ ٢٥١، و«بغية الطلب»: ٣/ ١١٥٥، والعوني شاعر اشتهر بقصائده في مدح آل البيت.

(٤) في (ع) و(ح): كثير الفحش، حبسه بوري صاحب دمشق، وعزم على قطع لسانه.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) ما بين حاصرتين من «تاريخ ابن عساكر» ليستقيم المعنى.

(٦) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٢٥١.

[قال][(١)]: ومات بحلب في جُمادى الآخرة [من هذه السنة][(١)].

[قال][(٢)]: وحدثني إبراهيم بن محمد القيسي صديق ابن منير، وعنده اختفى في مسجد الوزير، وفي رواية عن ابن عساكر: رأيت بخطِّ صديقه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد القيسي، قال: حدَّثني] الخطيبُ السَّديد أبو محمد عبد القاهر بن عبد العزيز خطيب حماة، [قال][(١)]: رأيتُ أحمدَ بنَ منير بعد موته في النَّوم، وأنا على قُرْنة[(٣)] بُبْستان مرتفعة، فسألتُه عن حاله، وقلتُ: اصعَدْ إلى عندي. فقال: ما أقدر من رائحتي. قلتُ: تشرب الخمر؟ قال: شَرٌّ من شُرْب الخمر يا خطيب. قلت: وما هو؟ قال: ما جرى على لساني من القصائد التي قُلْتُها في مثالبِ النَّاس، ولساني قد ثَخُنَ منها وطال، فصار مَدَّ البصر، وكلَّما قرأتُ منها قصيدةً صارت كُلاَّباً يتعلَّق في لساني.

[قال][(١)]: ورأيتُه حافياً عليه ثيابٌ رَثَّة إلى غايةٍ، وسمعتُ قارئاً يقرأ من فوقه ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٦] فانتبهتُ مَرْعوباً[(٤)].

[وذكره العماد في «الخريدة»، وقال: كان شاعراً مجيداً، هجَّاء، معارِضاً لمحمد ابن القَيْسراني في زمانه، وكان ابن القيسراني سُنِّياً متورِّعاً، وابن منير متغالياً شيعياً إلا أنه قال: مات ابن منير في سنة خمسين وخمس مئة[(٥)].

قلتُ: وَهِمَ، والصَّحيح ما ذكره ابنُ عساكر وابن القلانسي أن ابن القيسراني مات في سنة [ثمانٍ و[(٦)]] أربعين وخمس مئة. قال ابنُ القلانسي[(٧)]: كلاهما ماتا في سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة][(١)].

وكان شيعياً متغالياً، وهجا بني الصُّوفي، فطلبوه، فانتقل إلى شَيْزر، واستجار ببني مُنْقِذ، والتجأ إلى نور الدِّين، وكان غيرَ مجيدٍ في المديح، ومن شِعْره: [من المنسرح]

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): ومات بحلب في جمادى الآخرة، وقال الخطيب السديد.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) القرنة: الزاوية. ولعله يريد القَرْن: وهي صدر رابية مشرفة على وهدة صغيرة، انظر «معجم متن اللغة»: ٤/ ٥٥٠.

(٤) انظر «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٢٥٢.

(٥) «الخريدة» قسم شعراء الشام: ١/ ٧٦.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٧) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.

أحلى الهوى ما تحلّه التهم[1] باحَ به العاشقون أو كتموا
أغرى المحبِّيْنَ بالأَحِبَّة[2] فالـ ـعَذْل[3] كلامٌ أسماؤها كَلِمُ
سَعَوْا بنا لا سَعَتْ بهم قَدَمٌ فلا لنا أَصلَحوا ولا لَهُمُ
ضَرُّوا بِهِجْرانِنا وما انتفعوا وصدَّعوا شَمْلَنا وما التأموا
يا رَبِّ خُذْ لي من الوشاة إذا قاموا وقمنا لديك نَخْتَصِمُ
يا قَمَراً أصبحتْ محاسِنُهُ تَنْهَبُ ألبابَنا وتَقْتَسِمُ
فيك معانٍ لو أنَّها جُمِعَتْ للشَّمْسِ لم يَغْشَ نورَها ظُلَمُ
إنْ يَحْسُدُوْني فلا أَلُومُهُمُ مِثْلُكَ تَسْمُو بحُبِّه الهِمَمُ
وأين كان الموحِّدون وقد وحَّد قَلْبي هواكَ قَبْلَهُمُ[4]

وقال: [من الكامل]

وإذا الكريمُ رأى الخُمولَ نَزِيْلَهُ في مَنْزِلٍ فالحَزْمُ أنْ يترحَّلا
كالبَدْرِ لما أنْ تضاءَلَ جَدَّ في طَلَبِ الكمالِ فحازه مُتَنَقِّلا
سَفَهاً بحِلْمك إن رضيتَ بمشربٍ رَنْقٍ[5] ورزقُ اللهِ قد ملأ الملا
ساهمتَ عِيْسَكَ مُرَّ عَيْشِك قاعداً أفلا فَلَيْتَ بهنَّ ناصية الفلا
للقَفْرِ لا للفَقْرِ هَبْها إنَّما مَغناكَ ما أغناك أنْ تتوسَّلا
لا تَرْضَ مِنْ دُنياك ما أدناك مِنْ دَنَسٍ وكُنْ طيفاً جلا ثم انجلى
وصِلِ الهجيرَ بهَجْرِ قَوْمٍ كلَّما أمطرتَهُمْ عَسَلاً جَنَوْا لكَ حَنْظلا
طُبِعُوا على لُؤْمِ الطِّباعِ فَخَيْرُهُمْ إنْ قلتَ قال وإنْ سكتَّ تقوَّلا
فارِقْ تُرَقْ كالسَّيْفِ سُلَّ فبان في مَتْنَيْه ما أخفى القِرابُ وأَخْملا
للهِ عِلْمي بالزَّمانِ وأَهْلِهِ ذَنْبُ الفضائِلِ عندهم أنْ تَكْمُلا

(١) في (ع) و(ح) الهمم، والمثبت من «الخريدة».
(٢) في «الخريدة»: بالمحبة.
(٣) في (ع) و(ح): بالعذل، والمثبت من «الخريدة».
(٤) انظر بعض أبياتها في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٩٠-٩١ مع اختلاف في ترتيبها، وانظر «ديوان ابن منير»: ٩٥-٩٦ ط. التدمري.
(٥) الرنق: الكدر. «اللسان» (رنق).

يا بَرْقُ هل لي في احتمالِ تحيَّةٍ عَذُبَتْ فكانتْ مِثْلَ مائك سَلْسلا
عَرِّضْ بذي المَجْدَينِ لي وأبِنْ له جُمَلاً أَبَتْ لي أَنْ أُرى متجمّلا
أنا غَرْسُ نِعْمَتِك الذي غَذَّيْتَهُ خَطَراتِ عَطْفِك فارتوى وتهلَّلا
فعلامَ تَحْبِسُ عنه ما عَوَّدْتَهُ أَأَمِنْتَ ناضِرَ عُوده أنْ يَذْبُلا
أصبحتُ تَلْفِظُني البلادُ كأنَّني لفظُ البليغِ أكنَّ معنىً مُشْكِلا
وأشدُّ ما أشكوه أنَّك مُعْرِضٌ يا ضَيْعتي إنْ كان ذلكَ عن قِلى[(١)]

وقال أيضاً من شِعْره: [من المجتث]

ما كان عَهْدُك إلا مِثْلُ السُّلُوِّ مُحالا
بل كان زُورَ خِضابٍ نما وفي الحالِ حالا
لم أحظَ منكَ بَسُؤْلٍ وقد فنيتُ سؤالا
أما تعلَّمْتَ شيئاً من الكلامِ سوى لا[(٢)]

وقال: [من مخلع البسيط]

عَدِمْتُ دَهْراً وُلِدْتُ فيه كم أَشْرَبُ المُرَّ مِنْ بَنِيْهِ
ما تَعْتَريني الهمومُ إلاّ من صاحبٍ كنتُ أَصطَفِيْهِ
فهل صديقٌ يباعُ حتى بمُهْجتي كنتُ أَشْتَريهِ
يكونُ في قلبه مثالٌ يُشْبِه ما صاغَ لي بفِيْهِ
وكم عَدُوٍّ رَغِبْتُ عنه فعِشْتُ حتى رغبتُ فيه[(٣)]

تِمِرْتاش بن نَجْم الدِّين إيل غازي[(٤)]

حسام الدِّين، صاحب مارِدِين وديار بكر.

---

(١) بعض الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٢٥١، و«خريدة القصر»: ١/ ٨٩، و«وفيات الأعيان»: ١/ ١٥٦-١٥٧ مع اختلاف في ترتيب بعضها، وانظر «ديوان ابن منير»: ١٠٢-١٠٩.

(٢) انظر «ديوان ابن منير»: ٨٧.

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٢٥١-٢٥٢، و«الوافي بالوفيات»: ٨/ ١٩٥.

(٤) له ترجمة في «الكامل»: ١١/ ١٧٥، و«الأعلاق الخطيرة»: ج٣/ ق٢/ ٤٣٤-٤٤٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٤٠٤، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٠٠ ـ وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ) وهو خطأ ـ و«معجم زامباور»: ٣٤٥، وحدد ولايته في ماردين بين سنتي (٥١٦هـ ـ ٥٤٧هـ)، ووفاته في «الكامل» و«الوافي» (٥٤٧هـ).

كان شجاعاً عادلاً، جَوَاداً عالماً، يحبُّ العلماء والفضلاء، ويبحث معهم في فنون العلوم، ولا يرى القَتْل ولا الحبس، وكان له من الذِّمَّة وحِفْظِ الجِوار مالم يكن للعرب العاربة، وكان ملجأً القاصدين، وملاذ الطَّالبين، وكانت وفاتُهُ يوم الخميس ثاني ذي القَعدة، ودفن بالمشهد الذي بناه تحت مارِدِين، وكان قد نقل إليه أباه [نجم الدين] (١) وأهله، وأقام والياً نيفاً وثلاثين سنة وقام بعده ولده ألبي [بن حسام الدين، وتمم جسر القرماني](١) سنة تسع وأربعين [وخمس مئة](١)، وأقام حسن السيرة، عادلاً في الرَّعية.

حَيْدرة ابن الصُّوفي(٢)

الذي أقامه مجيرُ الدِّين مقام أخيه، تجدَّد منه سَعْي بالفساد، فاستدعاه مجيرُ الدِّين إلى القَلْعة على حين غَفْلَةٍ لسوءِ أفعاله وقُبْح ظُلْمه، فضُربت عنُقُه مستهل ذي القَعدة، وأُخرج رأسه إلى حافَةِ الخندق، ثم طِيْفَ به والنَّاس يسبُّونه ويصفون أنواع ظُلْمه ومقاسمته اللُّصوص وقُطَّاع الطريق لأموال النَّاس، ونهبتِ العامةُ دُوره وأمواله ومتاعه، وَرَدَّ مجيرُ الدِّين رياسة البلد إلى رضيِّ الدِّين أبي غالب عبد المنعم بن محمد ابن أسد بن علي التَّميمي، ثم خَلَعَ عليه خِلْعة الوِزارة، ولقَّبه وجيه الدَّوْلة سديد الملك، فخر الكُفاة، عزّ الموالي، شَرَفَ الرُّؤساء، وسُرَّ النَّاسُ بولايته لعِفَّته.

عبد القادر بن علي بن محمد(٣)

أبو الفَضْل، الشَّريف الواسِطي.

اتصل بمحمد بن بُوري صاحب بَعْلَبَك، وكان يُعلِّم ولده مجير الدِّين، ثم غَضِبَ عليه أبق، فنفاه من دمشق، وبعث إليه مَنْ قَتَلَه في طريقه، ومن شعْره: [من الطويل]

غـرامٌ وهـل بَـعـدَ الـمـشـيـبِ غَـرَامُ وسُـقْـمٌ وهـل بـعـد الـفَـنَـاءِ سَـقَـامُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو حيدرة بن المفرج بن الحسن زين الدولة، له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٥٠٠-٥٠١، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ٢/ ٥٧٩ (ترجمة أبق)، و«الباهر»: ٥٩، ٨٨، ١٠٦، ١٠٨، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٢٣، ٢٨٩، ٢٩٠-٢٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٤٢، و«الوافي بالوفيات»: ١٣/ ٢٢٧، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٠٠، وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ)، وهو خطأ.

(٣) له ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: مج ٤٣ / ٦٥-٦٦.

ومـا شَـعَـراتُ الـشَّـيْـبِ إلا نـوابـلٌ لـهـا فـي سُـوَيـداء الـفُـؤاد سِـهـامُ
وبـيـنَ قِـبـابِ الـحـيِّ مـن آل عـامـرٍ شـمـوسُ ضُـحًـى أفـلاكُـهُـنَّ خـيـامُ
لـهـنَّ شـروقٌ فـي حَـشَـاهـا ومَـغْـرِبٌ ومـنـهـا إلـيـهـا رِحْـلـةٌ ومُـقـامُ

عطاء الخادم، والي بَعْلَبَكَّ، مملوك بُوري[1]

كان مجير الدِّين أحضره من بَعْلَبَك بنفسه، وفوَّض إليه أمور دمشق، فاستبدَّ بالأمور، ومَدَّ يده إلى الظُّلْم، وأَطْلق لسانه بالهُجْر والفُحْش، فقبضَ عليه مجيرُ الدِّين، واستولى على ما في داره، وطالبه بتسليم بَعْلبك، وضَرَبَ عُنُقَه في ذي الحِجَّة، وسُرَّ النَّاسُ بقَتْله لظُلْمه، ونهبوا بيوتَ أصحابه. ويقال: إنَّ نور الدِّين أشار على مجير الدِّين بقتله ليتمكَّنَ منه.

[فصل[2]: وفيها توفي

بُرْهان الدِّين البَلْخي الزَّاهد[3]

واسمه علي بن محمد[4]، وكنيته أبو الحسن الحنفي. ذكره الحافظ ابن عساكر، وقال: تفقَّه بما وراء النَّهر على البُرْهان بن مازه ببخارى، وعلى جماعة من الأئمة، وسمع الحديث بما وراء النهر وبغداد ومكة، وقدم دمشق في سنة بضع عشرة وخمس مئة، فنزل المدرسة الصادرية بباب البريد، ومدرِّسها يومئذٍ علي بن مكي[5] الكاساني، فَعُقِدَ له مجلس المناظرة،

---

(١) أخباره في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٥٠٢-٥٠٣، و«الباهر»: ١٠٧، و«الكامل»: ١١/ ١٩٧-١٩٨، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٩١، ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) في (ع) (ح): علي بن محمد أبو الحسن، برهان الدين البلخي، الزاهد الحنفي، قدم دمشق، وجلس للوعظ، ولم يكن له فيه يد، بل كان عنده صدق، فوقع له القبول في قلوب الناس، فحسد، فعزفت نفسه عن المقام.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٩-٥٠٠، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ١٢/ ٢٠، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٩٢-٢٩٣، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٣١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٧٦، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٥٦٠-٥٦٢، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(٤) هكذا سماه سبط ابن الجوزي، والذي في مصادر ترجمته: علي بن الحسن بن محمد.

(٥) في (م) و(ش) أبو علي، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر».

وجلس للوعظ، وكان عنده صِدْقٌ، فوقع له القَبُول في قلوب النَّاس، فحسده الكاساني، وتعصَّب عليه الحنابلة، لأنه أظهر خلافهم، فَعَزَفَتْ نفسه عن المقام بدمشق].

فمضى إلى مكَّة وجاور بها، وكان إمامَ الحنفية في المسجد الحرام: ثم [(١)نَدِمَ الكاساني على خروجه من دمشق، فكاتبه بالعَوْد إليها، فخرج من مكة، وجعل طريقه على بغداد، ووصل إلى] دمشق، وسَلَّم إليه الكاساني المدرسة الصَّادرية [عن تراضٍ منه.

قال الحافظ] (٢): وكان صحيحَ الاعتقاد، حَسَنَ السَّمْت، سخيَّ النَّفْس، زاهداً في الدنيا، وجُعِلَتْ له دار طَرْخان مدرسةً؛ ودرَّس بها وبمسجد خاتون، ووقفت عليه الأوقاف، وكَثرتْ عليه الفتوح، فما التفت [إليها] (٣).

وكان قد تزوَّج ابنة القاضي الشريف أبي الفضل إسماعيل(٤) بن إبراهيم، فادَّعى أخوها عدم الكفاءة، فانتسب البَلْخيُّ إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وثبت نسبه، وعرف النَّاسُ صحَّته، فقال الوأواء أبو الفرج(٥): [من المنسرح]

قُلْ لعليٍّ أخي المكارِمِ سُبْـ ـحانَ إلهٍ على العُلا وقَفَكْ
كم قد رأينا من مُدَّعٍ شَرَفاً وأنتَ في الخَلْقِ كاتمٌ شَرَفَكْ
تَسْتُرُ فَضْلاً تَحْوي كأنَّكَ لا تعرِفُهُ ساعةً وقد عَرَفَكْ
حِلْمٌ وعِلْمٌ ونائلٌ وحِجا يقارنُ العِيَّ كلُّ مَنْ وصَفَكْ
تجودُ بالفَضْلِ لليتيم ولِلْـ ـمِسْكينِ جُوداً تَقْفو به سَلَفَكْ(٦)

---

(١) في (ع) و(ح): ثم عاد إلى دمشق، فسلم إليه.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٢٠.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٢٠.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): أبو الفضل بن إسماعيل، بزيادة «بن»، وهو خطأ، وهو إسماعيل بن إبراهيم بن العباس بن الحسن الحسني ابن أبي الجن، ولي القضاء بدمشق، وتوفي سنة (٥٠٣هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر»: ٢/ ٨٢٥، و«الوافي بالوفيات»: ٩/ ٦٣، وفيه وفاته سنة (٥٠٢هـ)، وهو خطأ.

(٥) هو الوأواء الحلبي عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين، أبو الفرج. وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥١هـ).

(٦) أورد الأبيات ابن عساكر في «تاريخه»: ١٢/ ٢٠.

ثم خرج من دمشق إلى حلب، فأزال من الأَذَان «حيَّ على خير العمل»، ثم عاد إلى دمشق، فَثَقُلَ على معين الدِّين مكانه، فأخرجه إلى بُصرى وبها الأمير سُرْخاك فأكرمه، وأقام عنده [(١) وما كان ذنب البَلْخي عند ابن منير الشَّاعر إلا أنه غيَّر الأذان في حلب، وأزال منه «حي على خير العمل».

وقال ابن عساكر: ثم عاد إلى دمشق في أول مملكة نور الدين محمود بن زنكي بعد خروج أبق منها، وتوفي في شعبان سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة، ودفن بالباب الصَّغير].

[قلت(٢): وقولُ ابنِ عساكر: ثم عاد إلى دمشق في أول مملكة نور الدين فيه نظر، لأنه قال: توفي البرهان في سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة، ونور الدين إنما تملك دمشق في سنة تسع وأربعين وخمس مئة، وقد حكى لي جماعةٌ من مشايخ دمشق سنة خمس وست مئة عن آبائهم أنهم يذكرون حضور نور الدِّين مجلس البَلْخي] بدمشق في الجامع وما كان يخاطبه إلّا بمحمود، وكان القُطْب النَّيْسابوري بدمشق، فسألَ نور الدين أنْ يحضر مجلسه، فحضر، فَشَرَعَ يخاطبه بمحمود، فشق على نور الدين، وقال للحاجب: اصعد إليه، وقل له لا يخاطبني باسمي، فلما فرغ [من] (٣) المجلس سأله الحاجب عن ذلك، فقال [لي](٣): إنَّ البَلْخي إذا قال [لي](٣) يا محمود قامتْ كلُّ شَعْرة في جَسَدي هيبةً له، ويَرِقُّ قلبي، والقُطْب إذا قال يا محمود يقسو قلبي ويضيق صدري، ولو كان صادقاً لأَثَّر في قلبي.

---

(١) في (ع) و(ح): وأقام عنده، ثم عاد إلى دمشق في أول مملكة نور الدين، وتوفي بها في شعبان.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): قال المصنف رحمه الله: ونور الدين إنما ملك دمشق سنة تسع وأربعين، فيكون موت البلخي بها، وحضر نور الدين مجلسه بدمشق في الجامع، وما كان يخاطبه إلا بمحمود، وكان القطب النيسابوري بدمشق.. وما بين حاصرتين من (م) و(ش).
قلتُ: وكأن سبط ابن الجوزي يرجح وفاة البلخي سنة (٥٤٩هـ)، مستدلاً بما حكاه عن مشايخ دمشق عن آبائهم. . ثم يقول بعد: ويحتمل أن تكون هذه الواقعة كانت بحلب.
وما حكاه السبط عن مشايخ دمشق عن آبائهم لا يصح في دمشق، لأن القطب النيسابوري لم يقدم إليها زمن نور الدين إلا سنة (٥٦٨هـ). فقولهم: وكان القطب النيسابوري بدمشق وهم، فالراجح في وفاة البلخي أنها سنة (٥٤٨هـ)، والله أعلم، انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٦٣ .

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[قلتُ][1]: كان القُطْبُ غريقاً في بحار الدُّنيا، و[كان][2] البلخي مجرداً لا يلتفت [إليها - يعني الدنيا ــ وكان][2] إذا بلغه ما يكره أخذ سجَّادته على كتفه، وخرج ويقول: أيش على قلب عليّ؟

[قلت: ويحتمل أن تكون هذه الواقعة كانت بحلب][2].

عليُّ بنُ السَّلَّار أمير الجيوش بِمِصر[3]

ويلقب بالملك العادل.

كان قد استولى على مِصر، ولم يبق للظافر معه حُكْم، فاتَّفق الظَّافر مع عَبَّاس بن أبي الفتوح الصّنهاجي على قَتْله، فدخل عليه عَبَّاس وهو سَكْرَان، فَقَطَعَ رأسه، وبعث به إلى الظَّافر.

وقال ابنُ القلانسي: إنَّ عَبَّاساً كان ابنَ امرأةِ عليٍّ بن السَّلار، والذي قتل ابنَ السَّلار ابنُ عَبَّاس[4]، وكان قَتْلُه في المحرَّم.

محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح[5]

أبو علي، الفقيه البغدادي، وأَصلُه من بِسْطام[6]، وتوفي سَلْخ رجب.

ومن شعره: [من الوافر]

علـى تـلـك الـعِـراص بـجَرْجـرايـا[7] مــن الأنــواءِ أنــواعُ الــتَّــحــايــا

(١) في (ح) و(ع) قال المصنف رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٥، و«الاعتبار» لأسامة ابن منقذ: ٤١-٤٢ و«الكامل»: ١١/ ١٨٤-١٨٥، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٩٢، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٤١٦-٤١٩، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٣١-١٣٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٨١-٢٨٣، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ١٣٨-١٣٩، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ٢٠٤-٢٠٥، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٩٩، وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ). وهو خطأ، و«حسن المحاضرة»: ٢/ ٢٠٥، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٤٩.

(٤) هو نصر بن عباس، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٥، وهذا هو الصحيح الذي عليه المصادر.

(٥) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٣٣٣.

(٦) بسطام: بلدة كبيرة بقومس، على جادة الطريق على نيسانور، بعد دامغان بمرحلتين. «معجم البلدان»: ١/ ٤٢١.

(٧) جرجرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. «معجم البلدان»: ٢/ ١٢٣.

دِيارٌ كنتُ آلفُها وأَغْشى ... بها هَيْفاءَ واضحةَ الثَّنايا
فغيَّر آيَها صَرْفُ اللَّيالي ... وبدَّل أَهْلَها بالقُرْب نايا
غَدَتْ أيَّامُها سُوداً وكانتْ ... ليالينا بها بِيْضاً وِضايا
وَبَتَّ الدَّهْر حَبْلَ الوَصلِ لَمَّا ... تواصَلَتِ النَّوائبُ والرَّزايا

وقال أيضاً من شعره: [من السريع]

ما مِحْنةٌ إلا لها غايةٌ ... وفي تناهِيْها تَقَضِّيْها
فاصبِرْ فإنَّ السَّعْيَ في دَفْنِها ... قَبْلَ التَّناهي زائدٌ فيها

يوسف بن محمد بن فارو[1]

أبو الحَجَّاج الأندلسي، سافر عن المغرب، ودخل بغداد وخُراسان، وتوفي ببَلْخ في ذي القَعدة، ومن شعره في الإجازة: [من الوافر]

أَجَزْتُ لهمْ روايةَ ما أَحبُّوا ... من المَسْمُوعِ لي والمُسْتجازِ
لأحظى منهمُ بدعاءِ خَيْرٍ ... وفي الأُخرى من اللهِ المُجازي
وخطُّ المَغْرِبيِّ لهمْ شهيدٌ ... على وَجْه الحقيقةِ لا المَجَازِ

السَّنة التَّاسعة والأربعون وخمس ومئة

فيها بَعَثَ المقتفي رسولاً إلى تكريت بسبب عِزِّ الدِّين ابن الوزير ونجاح ويرنقش، فقبضوا على الرَّسول، فخرج الخليفةُ يوم الجمعة غُرَّة صفر بعساكره، فنزل على تكريت، فهربَ أهلُ البلد، ودَخَل العسكر البلد، فنهبوه، وشعَّثوا بعضه، ونصب الخليفة على تكريت ثلاثةَ عَشَرَ منجنيقاً، ووقع من سورها عِدَّةُ أبراج، وأقام القِتال يعمل إلى ثالث عشرة ربيع الأوَّل، فهبَّتْ ليلة الأربعاء بعد العِشاء ريحٌ شديدة أظلمتِ الدُّنيا، وظهر في الجوِّ نيرانٌ عظيمة، وتقطَّع سُرادق الخليفة، وأصبحوا، فباكروا

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٣٤٠-٣٤١، و«معجم البلدان»: ١/ ١٩٩، ٢/ ١٩٥ ـ وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ) ـ و«المشتبه» للذهبي: ٢/ ٥١٤، و«توضيح المشتبه»: ٧/ ١٤، ١٣٩-١٤٠.

وقد اختلف في رسم اسم جده. ففي «الخريدة» و«معجم البلدان»: فارو، وفاروا، وفي «المشتبه»: فِيُّره، وفي «التوضيح»: فارُه.

القتال، وأشرفت على الأَخْذ، ورأى الخليفةُ النَّاسَ يُقْتلون، فساءه ذلك، ورَفَعَ القتال، ورأى أَنَّ الأمر يطول، فرحل إلى بغداد في آخر ربيع الأول.

وبعث صاحبُ المَوْصِل إليهم يقول: أطلقوا الأسارى، وأنا أَشْفع فيكم. فلم يلتفتوا، فجهَّزَ الخليفةُ الوزير، فخرج إلى تكريت، ووصل الخبر أَنَّ مسعود بلال والبقش نزلا شَهرابان[1]، وأنَّ السُّلْطان محمداً على قَصدِ بغداد، وقد كاتباه وحثَّاه على القدوم، فتمكنتِ الوَحْشة بين محمد وسنجر والخليفة، واستأذنا محمداً في التقدُّم إلى بغداد، فأَذِنَ لهما، فأَنزلا رسلان بن طُغْرلْبَك[2] من قلعة تكريت ليكون الاسمُ له - وكان محبوساً بها - والتأم إليهم من التركمان اثنا عشرة ألف خركاة[3]، وجاء الخليفةُ بعساكره، والتقوا، فانهزمت ميسرةُ الخليفة، وضربوا على خزانته، وتَتَعْتَعَ القلبُ والخليفة والوزير فيه، وعلى رأس الخليفة الشَّمْسة، والمَهْدُ بين يديه، والأعلام خَلْفه، والكوسات تخفُقُ، وثَبَتَ الخليفةُ ثباتاً عظيماً، وضَعُفَتِ الميمنةُ لما انهزمتِ الميسرة، فجاء منكوبرس وقويدان - وكانا فارسَيْن عظيمين - فترجَّلا، وقبَّلا الأرض للخليفة، وقالا: بالله يا أمير المؤمنين، اثبت ساعة لنقاتل بين يديك، فإنَّا إذا رأيناك قويت قلوبُنا. فقال: لا والله إلا وأنا معكما. ثم رمى الطَّيْلسان، وجَذَبَ السيف، وفعل وليُّ عهده كذلك، وكبَّرا، وصاح الخليفة: يا آل مُضَر، كذب الشَّيْطان ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾[الأحزاب: ٢٥]، وحمل وحملتِ العساكر، فكان يُسْمَعُ وَقْعُ الدَّبابيسِ والسُّيوفِ على الحديد كوقع المطارق على السَّنادين، فانهزمَ القوم لا يلوون على شيء، ونُهبت أموالُ التُّرْكمان، فأُخِذَ منهم أربعة آلاف رأس غنم، ومن الخيل خمسون ألفاً، ومن الجمال مالا يحصى، ونُهبت نساؤهم وأموالهم وبناتُهم، وبِيعَ كلُّ كبشٍ بدانقين، وكلُّ فرس بدِرهمين، وكلُّ جَملٍ بخمسة دراهم، وأمر الخليفة بردِّ السَّبْي على أهاليهم، وأخذ البقش الصَّبيَّ[4] وهرب إلى بلده، ومضى مسعود وترشك إلى تكريت، وعاد الخليفة إلى بغداد في غُرَّة شعبان، وكانت الوقعة في رجب.

---

(١) شهرابان: قرية عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص شرقي بغداد. «معجم البلدان»: ٣/ ٣٧٥.

(٢) هو رسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه، انظر «تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢١٨

(٣) في (ع) أربعة عشر ألف خَركاة، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «المنتظم»: ١٠/ ١٥٦.

(٤) هو الملك رسلان بن طغرلبك.

ثم نزل مسعود بلال وترشك من تكريت، ومضيا إلى واسط فنهباها، فجهَّزَ الخليفةُ الوزير إليهما، فانهزما، وغَنِمَ الوزير أموالهما، وعاد إلى بغداد، فخَلَع عليه الخليفة، ولقّبه سُلطانَ الجيوش ملكَ العراق.

وخرج العسكر يوم عيد رمضان في زِيٍّ لم يُرَ مِثلُه، فلمَّا كان عَشِيَّةً جاء مطرٌ ورعد وبَرق، وزلزلت الأرض، ووقعت صواعِقُ، فوقع بعضها في تاج الخليفة الذي بناه المسترشد، فطار شرارها إلى الرَّقَّة المقابلة للتَّاج، فأحرقت نخيلاً كثيراً، ودامتِ النَّار أياماً.

ولما بلغ محمد شاه هذه الأمور عَزَمَ على قَصدِ بغداد، وكاتَبَ أمراء الأطراف يستنجدهم على الخلِيفة، فاتَّفق موت البقش، فَبَطَلَ ذلك، وبقي الصَّبيُّ في يدي [ابن][(١)] البقش وحسن الخازندار[(٢)]، فخافا أن يحملاه إلى محمد شاه فيقبض عليه، فذهبا به إلى الجبل، فسَلَّماه إلى زوج أُمِّه إيلدِكِز.

وفيها ضَيَّقتِ الغُزُّ على سنجر، وتركوه في قَفَصٍ من حديد في خيمة، ووكل به جماعة، وأجروا عليه كل يوم مالا يجري على سائسه، وكان يموت جوعاً، ويبكي ليلاً ونهاراً على نفسه، ويتمنى الموت، والغُزُّ يعيثون في خراسان يَسبُون ويقتلون وينهبون بغير مانع.

وفيها ملك نور الدِّين محمود دمشق، وسببه ما ظهر من مجير الدِّين من الظُّلْم ومصادرات أهلها، وسَفك دمائهم، وأَخْذ أموالهم، وقَبْضه على جماعةٍ من الأعيان، [واستدعى زين الدولة[(٣)] بن الصُّوفي الذي ولاه رياسة دمشق لما أخرج مؤيِّد[(٤)] الدولة منها، فقتله في القلعة، ونهب داره، وأحرق دورَ بني الصُّوفي، ونَهَبَ أموالهم][(٥)]، وتواترت مكاتباتُه إلى الفرنج يستنجد بهم ويطمعهم في البلاد. [و[(٦)] كان مرادُ نورِ

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم» ١٠/١٥٨ .

(٢) في «المنتظم» ١٠/١٥٨ ، الجاندار، ومثله في «الكامل»١١/١٩٦ .

(٣) في (م) و(ش): سيف الدولة، وهو تحريف، صوابه ما هو مثبت، انظر ص٤٣٩ من هذا الجزء.

(٤) في (م) و(ش) وجيه الدولة، وهو تحريف، صوابه ماهو مثبت.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع) و(ح): ويطمعهم في البلاد، وكان قد جعل لهم في كل سنة قطيعة على أهل دمشق، وذل الإسلام وأهله في أيامه، وساءت سيرته، فكانت الأمراء... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الدين من أخْذ دمشق أنّه كان في عَزْمه خلاصَ القُدْس من الفرنج وبلاد الساحل، وكانت دمشق في طريقه. وطمع الفرنج في مجير الدِّين، وكان قد أعطاهم بانياس، فكانوا يشنُّون الغارات إلى باب دمشق، فيقتلون ويأسرون، وكان مجير الدِّين قد جعل للفرنج كل سنة قطيعة يأخذها منهم، وذَلَّ الإسلامُ وأهلُه في أيامه، وساءت سيرته، وكثرت إساءته وفساده]، فكانت الأمراء وأعيان دمشق [يبعثون إلى][1] نورِ الدِّين يقولون: الغياثَ الغياثَ، وقالوا: إنْ شِئْتَ حَصَرناه في القلعة.

فرأى نورُ الدِّين أخذ [مجير الدِّين] باللطف، [[2] وقال: إنْ أخذتُه بالقوة استغاثَ بالفرنج، ولا شكَ أنَّه يعطيهم البلاد، فيكون وهْناً عظيماً على الإسلام. وكان من أشدِّ الأُمور على الفرنج أن يأخذ نور الدين دمشق، لأنه كان قد أحرق قلوبهم وأخرب بلادهم وليس له دمشق، فكيف إذا صارت له؟ فإنه يتقوى بها]، فعدَلَ إلى ملاطفته ومكاتبته ومهاداته، فأنِسَ به، وصار يكاتبه ويستشيره، فكان نور الدين يكتب إليه: إنَّ فلاناً يُكاتبني وفلاناً يكاتبني، فتارة يقبض مجير الدِّين عليهم وتارةً ينفيهم، فخلَتْ دمشق من الأُمراء، ولم يبق عنده غير عطاء بن حفاظ الخادم السُّلمي، وكان صاحِبَ بَعْلَبَكَّ، وقد رَدَّ مجير الدِّين إليه أمر دولته، وكان ظالماً، فكتَبَ نور الديِّن إلى مجير الدين يقول: قد نفَّرَ عنك عطاءُ قلوب الرَّعية، فاقبضْ عليه. لِعِلْم نورِ الدِّين أنَّه لا يتم له أمرٌ في دمشق مع وجود عطاء، فقبضه مجيرُ الدِّين. وأَمَرَ بقَتله، فقال له عطاء: لا تقتلني، فإنَّ الحيلة قد تمَّت عليك، وذهب مُلْكُك، وسترى! فلم يلتفت إليه، وقتله، فحينئذ قوي طَمَعُ نورِ الدين في دمشق، وراسل أحداثها وأعيانها، فأجابوه، فسار إليها، ونزل عليها.

وكَتَبَ مجيرُ الدِّين إلى الفرنج يستنجد بهم، وبَذَلَ لهم بَعْلَبَكَّ وأموالاً كثيرة، وبلغ نور الدين، فأرسل إلى الأحداث، ففتحوا له الباب الشَّرقيّ، فدخلها عاشر صفر، وقيل سَلْخ ذي الحِجَّة، وحَصَرَ مجيرَ الدِّين في القلعة، وبلغ الفرنج فتوقفوا.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): أخذه باللطف خوفاً من إعطائه البلاد للفرنج، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال ابنُ القلانسي: وصل أسدُ الدِّين شيركوه إلى غوطة دمشق في ألفِ فارس، فنزل على القَصب في المَرْج على أنَّه رسولٌ من نور الدِّين، فلم يخرج إليه أحدٌ من دمشق، وذلك في [العشر][(١)] الثَّاني من المحرَّم، فلما كان يوم الأحد ثالث صفر وصل نور الدين في عسكره، وخيَّم بعيون الفاسريا، ثم رحل من الغد، فنزل ببيت الآبار، وزحف إلى البلد من شرقيِّه، وزحف إليه من عسكر دمشق وأحداثه الخَلقُ الكثير، ووقع الطِّرادُ بينهم أياماً، فلمَّا كان يوم الأحد عاشر صفر زحف نور الدين، وظهر إليه العسكر من دمشق على العادة، ووقع الطِّراد [بينهم][(٢)]، فدفعهم نورُ الدِّين إلى بابِ كَيْسان، ولم يبق على السُّور أحد لسوء تدبير مجير الدِّين، وجاء واحد من رَجَّالة نورِ الدِّين إلى السُّور وعليه امرأة يهودية، فدلَّت إليه حَبْلاً، فتسلَّق فيه، وتبعه الرَّجَّالة، وأصعدوا علماً، وصاحوا: نور الدين يا منصور. وامتنع الأجناد والرَّعية من القتال لما هم عليه من بُغْض مجير الدِّين وظُلْمه، [وعَسْفه للرعية][(٢)] ومحبتهم لنور الدين [لعدله وخيره][(٢)]، وبادر بعض [قطاعي الخشب][(٣)] بفأسٍ إلى الباب الشرقي فكَسَرَ أغلاقه وفَتَحَه، ودخل العسكر، فلم يقف بين أيديهم أحدٌ، ودخل نور الدِّين، ودخل مجير الدِّين إلى القلعة ومعه خواصُّه، وأغلق أبوابها، فأرسل إليه نورُ الدِّين، وأمَّنه على نفسه وماله، ونادى بأمانِ أهل البلد على نفوسهم ودورهم وأموالهم، وتقرَّرَ الأمر بينه وبين مجير الدِّين على حِمْص، وكتَبَ له منشوراً بها، وخرج إليها بأمواله وأسبابه، وأَحْسَنَ نور الدِّين إلى النَّاس، وأطلق المكُوس والضَّمانات، [ثم تلا ذلك إبطال حقوق][(٤)] دار البِطِّيخ وسوق الخيل[(٥)] وما يؤخذ من الأنهار وغير ذلك.

---

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) في (ع) و (ح) بعض الجند، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، وهو الموافق لما في «ذيل تاريخ دمشق».

(٤) في النسخ الخطية: و الضمانات ودار البطيخ، والمثبت ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق».

(٥) كذا في النسخ الخطية، وفي «ذيل تاريخ دمشق» سوق البقل.

وكان مجاهد الدين بزان في القلعة محبوساً فأُطْلق، ووصل الرَّئيس مؤَيَّد الدِّين بن الصُّوفي إلى داره غير متعرِّضٍ لشيء من الولايات، وكان مريضاً، فتوفي في ربيع الأوَّل، ودفن في داره، [وكان في نِيَّته فساد](١)، فَسُرَّ النَّاس بموته(٢).

وأقام مجير الدِّين بحمص، ثم كاتَبَ أحداثَ دمشق في إثارة الفِتنة، وبلغ نور الدين، فأعطاه بالس(٣) ليبعد عن دمشق، فلم يرض بها، ومضى إلى بغداد، فبنى بها داراً مقابل النِّظامية، وأقام بها حتى مات، [وسنذكره](٤).

وفيها قتل الظَّافر صاحب مِصر.

وفيها وصلت مراكب الفرنج إلى تِنِّيس، فقتلوا وأسروا ونهبوا وعادوا.

وحَجَّ بالناس من العراق قيماز.

فصل: وفيها توفي

عبد الرحمن بن عبد الصَّمد بن أحمد(٥)

أبو القاسم النَّيسابوري، الإمام الفاضل، الزَّاهد الوَرِع، قرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وكان قَنُوعاً باليسير، أوصى إليه قريبٌ له بأن يفرِّقَ ماله على الفقراء، فلما حَضَرَ بين يديه المال كان فيه مِسْكٌ، فلمَّا أراد تفرقته سدَّ أنفه، وقال: إنَّما يُنْتَفَعُ منه بريحه.

ولما استولى الغُزُّ على نيسابور قبضوا عليه، وأخرجوه ليعاقبوه، فشفع فيه السُّلْطان سنجر، وقال: هذا رجلٌ صالح، لقد كنتُ أمضي إلى زيارته والتبرُّكِ به فلا يمكِّنُني من الدُّخول عليه، فاتركوه لأجلي [فإنه له عليَّ حق](٦)، فتركوه، وكانت وفاته في المحرَّم بنيسابور، [سمع أبا سَعد الحِيْري، وأبا بكر الشِّيرُويي](٦)، واتفقوا عليه(٧).

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٠٣-٥٠٦، و«الروضتين»: ١/ ٣٠٥-٣٠٧.

قلت: ثم يأتي في النسخ الخطية عقب هذا قوله: وفيها قتل الظافر صاحب مصر، وأقام مجير الدين بحمص ...الخ، وقد رأيت أن أضع خبر مقتل الظافر بعد خبر مجير الدين حتى يحسن نظم الكلام، والله الموفق.

(٣) بالس: بلدة بين حلب والرقة، «معجم البلدان»: ١/ ٣٢٨.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، وستأتي ترجمته في وفيات (٥٦٤هـ).

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٥٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٥١-١٥٢.

(٦) ما بين حاصرتين من (م).

(٧) في (م): واتفقوا على صلاحه.

عُبيد الله بن المُظَفَّر بن عبد الله[١]

أبو الحَكم الباهلي الأندَلُسي.

ولد بالمَرِيَّة سنة ستٍّ وثمانين وأربع مئة، وحجَّ طبيباً مع أمير الجيوش سنة ثماني عشرة وخمس مئة، وخدم السُّلْطان محمود بن ملك شاه، وأنشأ له مارَسْتان يُحمل على الجمال معه في أسفاره.

وكان شاعراً خليعاً، وله ديوان سمَّاه «نَهْج الوَضَاعة» ذكر فيه مثالب الشُّعراء الذين كانوا بدمشق، وله ديوان شعر شرحه ولده أبو المجد أفضل الدِّين[٢].

ولما مات أبو الحكم رثاه عرقلة، فقال: [من البسيط]

يا عين سحِّي بدَمْعٍ ساكبٍ ودَمِ ... على الحكيمِ الذي يُكْنى أبا الحَكَمِ
قد كان لا رَحِمَ الرَّحمنُ شيبته ... ولا سقى قَبْرَه من صَيِّبِ الدِّيَمِ
شيخاً يرى الصَّلواتِ الخَمْسِ نافلةً ... ويستحِلُّ دمَ الحُجَّاجِ في الحَرَمِ[٣]

محمد بن المُحْسِن بن أحمد[٤]

أبو عبد الله السُّلَمي، أصله من مَلَح[٥] قرية بحوران، وولي أبوه على حلب زماناً، وكان فاضلاً، وله نَظْم ونَثْر، قال يمدح القاضي ابن أبي عقيل: [من الكامل]

---

(١) ومنهم من سماه عبد الله، وله ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: ١٠/ ٧٤٢-٧٤٣، و«خريدة القصر» قسم الشعراء المغرب: ١/ ٢٨٩-٢٩٩ ، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٦١٤-٦٢٧، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ١٢٣-١٢٥، ٢٨٩-٢٩٩ ، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٢/ ١٤٩-١٥١، و«الوافي بالوفيات»: ١٧/ ٦٢٢-٦٢٥، ١٩/ ٤١٥ و«نفح الطيب» ٢/ ٦٣٧-٦٣٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٣ .

(٢) هو محمد بن عبيد الله كان طبيب نور الدين، وتولى البيمارستان النوري، توفي سنة (٥٧٠هـ) أو قبلها، انظر ترجمته في «طبقات الأطباء»: ٦٢٨، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٣٣٠-٣٣١، و«نفح الطيب»: ٢/ ٦٣٨ .

(٣) الأبيات ليست في ديوانه المطبوع.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» ١٥/ ٩٣٩-٩٤٠- وذكر وفاته سنة (٥٤٧هـ) ـ و«الوافي بالوفيات» ٤/ ٣٩٠، و«توضيح المشتبه»: ٨/ ٧٢ .

(٥) هي من أعمال صرخد، انظر «توضيح المشتبه»: ٨/ ٢٦٠ .

يا هِندُ هل وصلٌ فيُرتَقَبُ ... إنْ كان يُحفَظُ في الهوى نَسَبُ
أنسيتِ مَوقِفَنا بذي سَلَمٍ ... أيَّامَ أثوابِ الصِّبا قُشُبُ
قد زرتُ بغداداً وطال بها ... عَهْدِي وحَرَّك نحوها سَبَبُ
دارُ الملوكِ وكلٌّ من ضُرِبَتْ ... فوق السِّماكِ لمجدِهِ الطُّنُبُ
دَعْ عنكَ هِنْدَ فقد أغار على ... فَوْدَيْكَ عَسْكرُ شَيْبكَ اللَّجِبُ
واقْصِدْ بمَدْحِك ماجداً يدُهُ ... تُغْني إذا ماضَنَّتِ السُّحُبُ

من أبيات[١].

وقيل: مات سنة سبعٍ وأربعين وخمس مئة.

المُظَفَّر بن علي بن محمد[٢]

ابن جَهِير أبو نَصر، وزير بن وزير من بيت الوِزارة، نَقَلَه المُقْتفي من الأستاذ دارية إلى الوزارة، وسَمِعَ الحديث، وحَجَّ، وتوفي في ذي الحِجَّة، وصُلِّي عليه بجامع القَصر، ودُفِنَ مقابل جامع المنصور.

يوسف[٣] بن عبد المجيد، أبو المنصور، الظَّافر بالله[٤]

ولد سنة سبعٍ وعشرين وخمس مئة، وأُمُّه أُم ولد تُدْعى ستَّ الوفاء، وقيل: ست المُنى.

بويع سنة أربعٍ وأربعين وخمس مئة، وهو ابنُ سبع عشرة سنة وأشهر، وقُتِلَ سَلْخ المُحَرَّم، وله اثنتان وعشرون سنة، وكانت أيامه أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

---

(١) انظر تتمة الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٥/ ٩٣٩-٩٤٠.

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٦٠، و«الفخري»: ٣١١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٨٣، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٣٨، و«الوافي بالوفيات» ٢٥/ ٦٨١، النجوم الزاهرة: ٥/ ٣١٨، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٤.

(٣) انفرد سبط ابن الجوزي بتسميته يوسف، والذي في المصادر: إسماعيل.

(٤) له ترجمة في «نزهة المقلتين» لابن الطوير: ٦٧-٦٨، و«الكامل» ١١/ ١٤١، و«الروضتين» ١/ ٣٠٩ و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٣٧-٢٣٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨٨-٢٩٧، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ٢٠٨-٢٠٩ و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ٢٠٢-٢٠٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد ساق بعض أخباره أسامة ابن منقذ في كتابه «الاعتبار».

وكانت أيامه مضطربة لحداثة سِنِّه، واشتغاله باللَّهو، وكان عَبَّاس الصُّنْهاجي لما قتل ابن السَّلّار وَزَرَ له، واستولى عليه، وكان له ولدٌ اسمه نصر، فأطمع نفسه في الأمر، وأراد قَتْلَ أبيه، وَدَسَّ إليه سُمًّا ليقتله، فَعَلِمَ واحترز، وأراد أن يقبض عليه، فما قَدَرَ ومنعه مُؤَيَّد الدولة أُسامة ابن مُنْقذ، وقبَّح عليه ذلك وقال: إن فعلتَ هذا لم يثق بك أحد، ونَفَرَ النَّاسُ عنك. فشرع أبوه يلاطفه، وقال: عوض ما تقتلني فاقْتُلِ الظافر، فعزمه الغدر بنا، ونولي ولده وهو صبيٌّ صغير.

وكان نصر ينادم الظَّافر ويعاشِره، وكان الظَّافر يثق به، وينزل في الليل إلى داره متخفِّياً، فنزل ليلةً إلى داره وكانت بالسيوفيين ومعه خادِمٌ له، فشربا ونام، فقام نَصرٌ، فقتله ورمى به في بئر، فلمَّا أصبح عبَّاس جاء إلى باب القَصر يطلب الظَّافر، فقال له خَدَمُ القَصر: ابنك يعرف أين هو، فَسَلْه. فقال: ما لابني به عِلْم. وأحضر أخوي الظَّافر وولد أخيه، فقتلهم صبراً بين يديه، وأحضر أعيان الدَّوْلة، وقال: إنَّ الظَّافر ركب البارحة في مركبٍ، فانقلب به، فَغَرِقَ. ثُمَّ أخرج عيسى ولد الظَّافر، فنفروا عن عَبَّاس وابنه، وثار الجند والعبيد وأهل القَاهرة، وطلبوا بثأر الظَّافر من عَبَّاس وابنه نَصر، فأخذا ما قدرا عليه من المال والجواهر، وهربا إلى الشَّام، وبلغ الفرنج، فخرجوا إليهما، وقتلوا عَبَّاساً، وأسروا ابنه نصراً، وقُتِلَ في السنة الآتية، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى.

وذكر ابنُ القلانسي أنَّ الظافر إنما قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهم صالح بن حسن، وكان الظافر قد ركَنَ إليهم، وأَنِسَ بهم في وقت مَسرَّاته، فاتفقوا عليه واغتالوه، وقتلوه، وأخفوا أمره، وذلك في يوم الخميس سَلْخ صفر، وحَضَر العادل عباس الوزير وابنه ناصر الدِّين، وجماعةٌ من الأمراء والمقدَّمين على الرَّسْم للسَّلام فقيل لهم: إنَّ أمير المؤمنين ملتاث الجسم. فطلبوا الدخول إليه، فَمُنِعُوا، فلجُّوا في الدُّخول بسبب العيادة، فلم يمكَّنُوا، فهجموا، ودخلوا القَصر، وانكشف أمره، فَقَتَلوا الثَّلاثة، وأقاموا ولده عيسى وهو ابنُ ثلاث سنين، ولقبوه بالفائز بنصر الله، وبايعوه وعباس الوزير، وإليه تدبير الأمور.

ثم وَرَدَ الخبر بأَنَّ طلائع بنَ رُزِّيك فارس المُسْلمين قد امتعض من ذلك، وجَمَعَ وحشد، وقَصَدَ القاهرة، وكان من أكابر الأمراء، وعَلِمَ عَبَّاس أَنَّه لا طاقة له به، فجمع أمواله وأسبابه وأهله، وخرج من القاهرة، فلما قَرُبَ من عَسْقلان و غَزَّة خرج إليه جماعةٌ من خَيَّالة الفرنج، فاغترَّ بكثرة من معه، فلما حَمَلَ فَشِلَ أصحابهُ وانهزموا، فانهزمَ هو وابنه الصَّغير، وأُسر ابنه الكبير الذي قَتَلَ ابن السَّلار مع ولده وحُرَمه وماله وكُراعه، وصار الجميع إلى الفرنج، ومَنْ هرب ماتَ من الجوع والعَطَش[١].

ووصل طلائع بن رُزِّيك إلى القاهرة، فوضع السيف فيمن بقي من أصحاب عَبَّاس، وجلس في منصب الوِزارة.

قال المِصريون: وعيسى الفائز كنيته أبو القاسم، ومولده بالقاهرة سنة أربعٍ وأربعين وخمس مئة سَلْخ ربيع الآخر، وأُمُّه أم ولد يقال لها مهج، بويع في المحرَّم من هذه السنة، وله خمس سنين.

وكان خُدَّام القَصر قد كتبوا إلى طلائع بن رُزِّيك، وهو والي قُوص وأُسوان والصَّعيد يخبرونه بقَتْلِ الظَّافر، ويستنجدونه على عَبَّاس وابنه نصر، وكتب إليه القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز ابن الجَبَّاب: [من الطويل]

عَدَتْنيَ[٢] عن نَظْمِ القريض عوادي ... وشَفَّ فؤادي شَجْوُه المُتَمادِي
وأَرَّقَ عَيْني والعيونُ هواجِعٌ ... همومٌ أَقَضَّتْ مَضْجعي ووِسادِي
بمصرعِ أبناءِ الوَصِيِّ وعِتْرة النـ ... ـبيِّ وآلِ الذَّارياتِ وصادِ
فأينَ بنور رُزِّيك عنهمْ ونَصرهُمْ ... ومالهُمُ مِنْ مَنْعَةٍ وذِيادِ
أولئك أنصارُ الهدى وبنو الرَّدى ... وسُمُّ العِدى من حاضرين وبادِ
لقد هُدَّ ركن الدِّين ليلةَ قَتْلِهِ ... بخيرِ دليلٍ للنَّجاة وهادِ
تدارك من الإيمانِ قبل دُثُورهِ ... حُشاشةَ نَفْسٍ آذَنَتْ بنفادِ
فقد كادَ[٣] أنْ يُطْفي تألُّقَ نوره ... على الحقِّ عادٍ من بقية عادِ

---

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) عدتني: أي صرفتني وشغلتني، انظر «معجم متن اللغة»: ٤/ ٤٩.

(٣) في (ع) و (ح): كان، وأثبت ما هو أشبه بالصواب.

فلو عاينتْ عيناكَ بالقَصرِ يومهمْ ومَصْرَعَهُم لم تكتحِلْ برُقادِ
لأَبْصرتَ حقًّا كَرْبلاءَ وعِتْرَةَ النَّـ ـبيِّ وهُمْ صَرْعى الجُنوب صَوادِ
بني المصطفى كم ذا يُرَوَّعُ سِرْبُكُمْ بظُلْمٍ إلى يوم المعادِ مُعاد
قضى ابنُ زيادٍ منكُمُ كلَّ حاجةٍ وأعْقبكُمْ مِنْ بَعده ابنَ مَنَادِ(١)
فصبراً لعلَّ الدَّهْرَ يجبُر كسرَكُمْ بأَبْلَجَ نَهَّاضٍ بكلِّ نآدِ(٢)
فَقُلْ للحُسام العَضْبِ فهو مُؤَمَّلٌ ليوم ضِرابٍ أو ليوم طِرادِ
فمزِّق جموعَ المارِقين فإنَّها بقايا زُرُوْعٍ آذَنَتْ بحصادِ(٣)

من أبيات.

فجمع الصَّالح أهلَ الصَّعيد والعرب، وجاء إلى القاهرة، ودخلها في تاسع ربيع الأوَّل، وأخرج جسد الظافر من البئر التي كان فيها في دار نَصر بنِ عَبَّاس، وجعله في تابوت، ومشى بين يديه حافياً، مكشوفَ الرأس، وفعل الناس كذلك، وكثر الضجيج والبكاء، فقال الحسن بن علي ابن أبي جرادة ثقة المُلْك(٤) يمدح الصَّالح من أبيات: [من الرمل]

حامِلُ الأعباءِ عن أهلِ العَبا(٥) آخذٌ بالثأرِ من باغٍ وعادِ

(١) ابن مناد هو عباس الصنهاجي، ومناد هو أحد أجداد قبيلة صنهاجة من حمير، انظر نسبهم في «وفيات الأعيان»: ١/ ٣٠٤.

(٢) النآد: الداهية. «معجم متن اللغة»: ٥/ ٣٧٦.

(٣) ساق ابن العماد أربعة أبيات منها في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١/ ١٩٠، وأورد أبو شامة بعض أبياتها كذلك نقلاً عن «الخريدة» في كتاب «الروضتين»: ٢/ ٧-٨ إلا أنه زاد بيتاً ليس في "الخريدة"، مما يدلك على أن المطبوع من «الخريدة» لم يطبع عن أصل جيد. وانظر «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٩٢-٢٩٣ ففيه تسعة أبيات منها.

(٤) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).

(٥) أهل العبا، ويقال أهل الكساء، وهم آل البيت، وفي ذلك إشارة إلى الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٥٠٨) من حديث أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة، فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك. قالت: فجاء علي والحسين والحسن، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: «إنك إلى خير، إنك إلى خير».

مِن عُصاةٍ أضمروا الغَدْرَ فهم[١] أَهْلُ نَصبٍ ونِفاقٍ وعِنادِ
قتلوا الظَّافر ظُلْماً وانتحوا لبني الحافظ بالبيضِ الحِدادِ
واعْتدى عَبَّاس فيهمْ وابنُه مثلَ عُدْوان يزيدٍ وزيادِ
مِثْل سَفْرٍ قتلوا هادِيهُمْ ثُمَّ ضَلُّوا مالهمْ مِنْ بَعدُ هادِ
جاءهمْ في مثل ريح صرصر فتولوا مِثْلَ رَجْلٍ من جَرَادِ
بعدما غَرَّهُمْ إملاؤه ولهيبُ الجَمْرِ من تحت الرَّمادِ[٢]

وقال الجليس ابن الجَبَّاب: [من الطويل]

سَقَتْها بأكنافِ العميم الغمائِمُ رسومٌ لها تبكي المطيُّ الرَّواسمُ
عطاءٌ مُتاحٌ لم تُعِقْه عوائِقٌ ومالٌ مباحٌ لم تَصُنْه الخواتِمُ
وبَذْلُ لُهى يجنى بأيْسره الغِنى هو الجودُ لا ما ظَنَّ كعبٌ وحاتِمُ
إلى ملكٍ يعلو الملوكَ مَحَلُّه كما تعتلي فوق الكعوبِ اللَّهازِمُ
يَحُفُّ به من آلِ رُزِّيك صِيْدُها كما حَفَّ بالبَدْرِ النُّجومُ الهوائِمُ
له في ذَرَا غَسَّان بيتٌ مُطَنَّبٌ فِنا الحَظِّ أوتادٌ له ودعائِمُ
ولما ترامى البَرْبَرِيُّ بجهلِهِ إلى فَتْكةٍ ما رامها قَطُّ رائِمُ
وجاهَرَ بالوُدِّ القديم منافقاً وأظهر نُصحاً وهو للغِشِّ كاتِمُ
ركبْتَ إليه مَتْنَ عَزْمتك التي بأمثالها تُلْقى الخطوبُ العظائِمُ
وقُدْتَ له الجُرْدَ العِتاقَ كأنَّما قوائمُها عند الطِّرادِ قوادِمُ
وقمتَ بحقِّ الطالبيِّينَ طالباً وغيرُك يُغْضي دونه ويُسالِم
أَعَدْتَ إليهمْ مُلْكَهُمْ بعدما لوى به غاصِبٌ حَقَّ الأمانةِ ظالِمُ
فما غالِب إلا بَنْصرك غالِبٌ ولا هاشمٌ إلا بسَيْفكَ هاشِمُ[٣]

من أبيات.

(١) في (ع) و (ح): من عبيد السوء فهم، ولا يستقيم به وزن هذا الشطر، والمثبت من «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/١٩٩ .
(٢) انظر الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام ٢/١٩٩-٢٠٠ .
(٣) انظر أبياتاً منها في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١/ ١٩٠-١٩١ .

ثم وزر الصَّالح للفائز، فأحسن التَّدْبير، وضَبَطَ الأُمور، ورتَّبها أحسن ترتيب، وعَدَلَ في الرعية، وكان صالحاً كما سُمِّي. وماتَ الفائز سنة خمسٍ وخمسين.

وأما عَبَّاس بن أبي الفتوح الصُّنهاجي، فكان أسلافُه يحترمون أسلاف الظَّافر، ويخطبون لهم ببلاد إفريقية وغيرها، وكان أخو عَبَّاس حاكماً على إفريقية، فخاف منه عباس، فهرب إلى مِصر[1]، فاستولى عليها، واتفق مع الظَّافر على قتل ابنِ السَّلَّار، وكان نصر بن عَبَّاس ولدَ امرأة ابنِ السلار وربيبَه[2]، وفي حِجرْه رُبِّي، فاتَّفق نَصرٌ مع أبيه على قَتْله، فقتله كما ذكرنا، وَوَزَرَ عَبَّاس، ولقب بأميرِ الجيوش، ثم اتَّفق مع ابنه نَصر على قَتْلِ الظَّافر فقتله، وخرجا إلى السَّاحل، فَقُتِلَ عَبَّاس على عَسْقلان في صفر، وبقي ابنه نصر عند الفرنج، فبعث أهلُ القاهرة إلى الفرنج بمالٍ جزيل، وطلبوا نصراً، فبعثوا به إليهم، فخرج أهل القاهرة ومصر، وجرَّدوا السَّكاكين والمقاريض، وقرضوا لحمه وشرَّحوه، ومثَّلوا به أقبح مُثلة، ثم صلبوه على باب داره بالسّيوفيين، وعلَّقوا رأسه على باب زُويلة، ثم ألقوا جسده إلى الكلاب، فأكلته، وأحرقوا ما بقي منه.

ووصلتِ الأخبار إلى بغداد بهذا وأنَّه لم يبق إلا صبيٌّ صغير، فكتب المقتفي عهداً لنورِ الدِّين محمود على الشَّام والسواحل ومِصر وأعمالها، وبعث إليه الخيل بمراكب الذهب والخِلَع، وأمره بالمسير إليها، وكان مشغولاً بجهاد الفرنج.

السَّنَة الخمسون وخمس مئة

فيها قَبَضَ الخليفةُ على صاحب البابِ أبي الفَتْح بن الصَّيْقل الهاشمي، وكان قد مدَّ يده إلى أموالِ الناس، وولي مكانه أبو القاسم عليُّ بن محمد بن هبة الله بن الصَّاحب.

---

(١) كذا قال، وهو وهم، صوابه ما ذكره ابن الأثير في «الكامل»: ١١/ ١٤٢ من أن علي بن يحيى هو الذي أخرج أخاه أبا الفتوح والد عباس من إفريقية.

(٢) كذا قال، وهو وهم، صوابه أن عباساً هو ولد امرأة ابن السلار، فقد قدم عباس مصر سنة (٥٠٩هـ) مع أبيه وأمه وكان صغيراً يرضع، ونزلوا الإسكندرية، فلما توفي أبوه تزوج ابن السلار أمه -وكان وقتئذٍ والي الإسكندرية ـ انظر «الكامل»: ١١/ ١٤٢، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤١٨ ، وانظر ص ٤٤٣ من هذا الجزء.

وفيها دخلتِ الغُزُّ نيسابور، ونهبوا وسَبَوا، وقتلوا أعيانها، منهم محمد بن يحيى شيخ الشَّافعية، وقتلوا بها نحواً من ثلاثين ألف نسمة، وكان سنجر معهم عليه اسم السَّلْطنة وهو معتقل على الوَجْه الذي ذكرنا.

وفي ربيع الأوَّل نزل الخليفةُ على دَقُوقا[١] فحاصر أهلها، فَصَعِدَ النِّساء والصِّبْيان على الأسوار، وصاحوا: يا أمير المؤمنين، ارحمنا لله تعالى. فرحل عنهم.

وفي رجب كانت وقعةٌ بين عسكر الخليفة وشَمْلة التُّرْكماني، فهزموه، وتبعوه إلى مضيق، فخرج عليهم كمين، فهزمهم وأسر أعيانهم، ثُمَّ أطلقهم وأحسن إليهم، واعتذر إلى الخليفة، فَقَبِلَ عُذْره، وسار إلى خُوزستان، فملكها، وانزاح عنها ملك شاه بن محمود بن محمد بن ملك شاه.

وفي شوَّال وَصَلَ إلى بغداد سليمان شاه بن محمد، وكان محبوساً بقلعة قَزْوين، فأخرجه فرج الخادم بعد موت مسعود أخيه وقتل خاصبك، واجتمع إليه أمراءُ تلك الناحية، وجاؤوا به إلى هَمَذَان، فأجلسوه على التخت، وكان السُّلْطان محمد قد مضى إلى أصبهان، وبلغه الخبر، فقصد همذان، فهرب سليمان شاه في جماعةٍ يسيرة، فلما قَرُبَ من بغداد أرسل الخليفة إليه يوسف الدِّمشقي مدرس النِّظامية، فقال: في أي شيء جئتَ؟ فقال: أنا عبد العَتَبة، ما جئتُ إلّا مستجيراً بها، وملتجئاً إليها. فَشَرَطَ أن لا يترك دار المملكة، ولا يطلب السَّلْطنة عليه، فحلف، وأخرج الخليفةُ إليه ولد الوزير ابن هُبيرة، وعلى رأسه الشمسة، وخلفه الأعلام السُّود، فنزل سليمان شاه بباب النوبي، وقبَّل العتبة، وحُمِلَ إلى دار خواجا أحمد، وحُملت إليه الإقامات. ثُمَّ جلس له الخليفة واستدعاه، وخَلَعَ عليه وعلى الأعْيان من أصحابه، وبعث إليه بالمال والخيل وغيرها.

[وفيها][٢] حجَّ بالنَّاس قيماز، وخَرَجَ المقتفي لوداع الحاجّ، فبلغ الكوفة، وخَرَقَ أسواقها، وعاد إلى بغداد.

---

(١) مدينة بين إربل وبغداد. «معجم البلدان»: ٢/ ٤٥٩ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفي ربيع الأول تسلَّم نور الدين [محمود][١] بعلبك من واليها ضحَّاك، وعاد إلى حلب، وقصد خدمَتَه قرا رسلان بن سُكْمان بن داود بن أُرتُق[٢]، فالتقاه وأكرمه وأنزله، وأَحْسنَ إليه، ووصَلَهَ، ثم عاد عنه مسروراً.

وفيها وقع الخُلف بين أولاد الملك مسعود، فأصلح نور الدين بينهم، ثم عادوا، فسار نور الدين إلى الأعمال المختصَّة بالملك قليج رسلان بن الملك مسعود بن [قليج رسلان بن][٣] سليمان بن قُتُلْمش ملك قُونية وما والاها، فملك عِدَّةً من قلاعها بالأمان، وبعضها عَنْوَةً، وكان قليج رسلان وأخواه ذو النُّون ودولات مشغولين بمحاربة أولاد الدَّانشمند، وكانوا قد التقوا على مدينة أقصرا، فظهروا على أولاد الدَّانشمند، وأعظم قليج رسلان ما بدا من نور الدين، وكاتبه منكراً عليه مع ما بينهما من الصِّهْر والموادعة، فاعتذر نور الدين، وبقي الأمر على حاله.

فصل: وفيها قُتِلَ

أحمد بن محمد الحُوَيْزِي[٤]

[من أهل الحويزة][١]، كان عاملاً للمقتفي على نَهْر الملك، وكان أظلم العالم، يعلق الرِّجال بأرجلهم، والنِّساء بثديهنَّ في السَّواد ويعاقبهم بين يديه، ويتنمَّسُ[٥] بالدِّين والسَّجَّادة الزَّرْقاء تحته، والسُّبْحة بيده، وهو يسبِّحُ ويقرأُ القرآن والنَّاس يعذَّبون بين يديه، والسُّبْحة بيده [ويومئ إلى الجلاد: الرأس والوَجْه، وما كان مقصوده بإظهار الدِّين إلا أنَّه يرتقي من مرتبة إلى مرتبة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) كان صاحب حصن كيفا منذ سنة (٥٣٩هـ) حتى وفاته سنة (٥٦٢هـ) انظر «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٣٢٩-٣٣٠، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٣٤، ٤١٦، ٤١٧-٤١٨، ٢/ ١٦، و«معجم الأنساب» لزامباور: ٣٤٤.

(٣) ما بين حاصرتين من «الكامل»: ١٢/ ٨٧-٨٩.

(٤) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٦١-١٦٢.

(٥) في (ع) و(ح) و(ش) يلتمس، والمثبت من (م)، والتنمس: الاحتيال. «تاج العروس» (غمس).

قال جدِّي: واتَّفق أنِّي دخلتُ حَمَّاماً وهو في خلوة أُخرى، فقرأَ نحو جزأين من القرآن مع الظُّلْم المجاوز للحدِّ][١].

وكان يدَّعي الكرامات، فدخل الحمَّام يوماً بقرية في نهر الملك، فدخل عليه ثلاثة، فضربوه بالسُّيوف، وقَطَّعوه، فَحُمِلَ إلى بغداد، فمات في شعبان، ودفن بمقبرة جامع المنصور، وحُفِظَ قبره لئلا يُنْبَش، فأصبح [الناس][٢] وقد خُسِفَ بقبره، فاجتمعتِ العامةُ على سَبِّه ولَعْنه، وأظهر الله فيه عظيم قُدْرته.

محمد بن إبراهيم بن الحسين[٣]

أبو جعفر، الجَرْباذَقاني، [وجرباذقان][٢] قريةٌ من عمل أصبهان.

[ولد في سنة سبع وخمس مئة، واشتغل بالأدب، وتفقه على مذهب الشافعي، و][٢] انقطع إلى العِلْم والعبادة، وأقام بأصبهان [مدة سمع بها الحديث][٢]، وببغداد وصحب أبا الفَضْل بن ناصر حتى مات في ذي الحجة، [وصلى عليه أبو الفضل ناصر][٢] ودفن بالشُّونِيْزِيَّة[٤] [عند أصحاب أبي النَّجيب، سمع بأصبهان من إسماعيل ابن محمد بن الفَضْل وغيره، وقدم بغداد سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة[٥]، وسمع خلقاً كثيراً][٢]، وقيل: مات سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة.

ومن شعره: [من الطويل]

ألا ليتَ أسبابَ المنايا أَراحتِ ... فإنِّي أرى في الموتِ أَرْوَحَ راحةِ
وموتُ الفتى خيرٌ له من حياتِهِ ... إذا ظَهَرَتْ أعلامُ سوءٍ ولاحتِ
أنوحُ وأبكي كلَّما ذرَّ شارِقٌ ... كنَوْحِ حَمَاماتٍ على الدَّوح ناحتِ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «المنتظم»: ١٠/ ١٦٢.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) ويعرف بابن دادا، له ترجمة في «معجم الأدباء»: ١٧/ ١٢٠-١٢١ و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ٩١، و«توضيح المشتبه»: ٤/ ٩، و«بغية الوعاة»: ١/ ١٠، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٤، وعندهم وفاته سنة (٥٤٩هـ).

(٤) في (ع) و(ح): ودفن بالشونيزية، وولد سنة سبع وخمس مئة. قلت: وقد أعدت هذه العبارة إلى حاق موضعها كما جاء في: (م) و(ش).

(٥) في «معجم الأدباء»: ١٧/ ١٢٠ أنه قدم بغداد سنة (٥٤٠هـ).

إذا كان في بحر الهموم سباحتي فأهْونُ شيءٍ نِلْتُهُ حَلَّ ساحتي

محمد بن ناصر بن محمد(١)

ابن علي بن عمر السَّلامي(٢) الدَّار، الفارسي الأصل.

ولد ليلة السبت خامس عشرة شعبان سنة سبع وستين وأربع مئة(٣)، وسَمِعَ الحديث الكثير، وكان حافظاً، مُتْقناً، عالماً بالأسانيد والمتون، كثير تِلاوة القرآن، سريع الدَّمْعة(٤) [وهو من أكابر شيوخ جَدِّي رحمه الله، وبطريقه أخذ علم الحديث، وذكره جدِّي، وأثنى عليه، وقال: كان ثقة من أهل السنة، وقال: سمعت عليه من سنة إحدى وعشرين وخمس مئة]، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن عشرة من شعبان، وصلِّي عليه بجامع السُّلْطان وجامع المنصُور والحَرْبية، ودفن بباب حَرْب [إلى جانب أبي منصور بن الأنباري.

قال جدي: وحدثني أبو بكر الحُصري: قال](٥): رأيته في المنام، فقلتُ له: ما فعلَ الله بك؟ فقال: غفر لي وقال: قد غفرتُ لعشرةٍ من أصحاب الحديث في زمانك، لأنك رئيسهم وسيِّدهم(٦).

وقرأ ابنُ ناصر على أبي زكريا كثيراً من اللغة، [وأنشدنا شيخنا عبد العزيز بن محمود البَزَّاز(٧) ويعرف بابن الأخضر، قال: أنشدنا أبو الفَضْل بن ناصر لغيره هذه الأبيات](٨): [من البسيط]

دَعِ المقاديرَ تَجرِي في أَعنَّتها واصبرْ فليس لها صَبرٌ على حالِ

(١) له ترجمة في الأنساب: ٧/ ٢٠٩، و«المنتظم» ١٠/ ١٦٢-١٦٣، و«مناقب الإمام أحمد»: ٦٣٩: و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٣-١٣٦، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٢٠٢، و«اللباب»: ٢/ ١٦١، و«وفيات الأعيان» ٤/ ٢٩٣-٢٩٤، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ١٢٥-١٣١، و«طبقات علماء الحديث»: ٤/ ٦٣-٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٦٥-٢٧١، وفيهما تتمة مصادر ترجمته.

(٢) نسبة إلى مدينة السلام بغداد. «الأنساب»: ٧/ ٢٠٩.

(٣) في النسخ الخطية: سبع وسبعين وأربع مئة، وهو خطأ، والمثبت ما في مصادر ترجمته.

(٤) في (ع) و (ح): سريع الدمعة، كان ثقة من أهل السنة، كانت وفاته ليلة الثلاثاء، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في (ع) و (ح): ودفن بباب حرب، وقال أبو بكر الحضرمي، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٦) «مشيخة ابن الجوزي»: ١٣٦.

(٧) هو شيخ السبط، وقد توفي سنة (٦١١هـ)، له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣١-٣٢

(٨) (ع) و (ح): وأنشد لغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

بَيْنا تُرِيْكَ وضيْعَ القَوم مُرْتفعاً ... إلى السِّماكِ ويوماً تُخفِضُ العالي
ما بينَ رَقْدةِ عينٍ وانتباهَتِها ... يقلِّب الدَّهْرُ من حالٍ إلى حالِ[(١)]

[علي بن][(٢)] محمد، أبو الحسن، ثِقَةُ الدَّوْلة بن الدُّرَيني، البَغْدادي[(٣)]

كان فاضلاً جواداً، كريم الأخلاق، بنى ببغداد مدرسة[(٤)]، وكان له بِرّ دائمٌ، ومعروف متواصل، وتوفِّي ببغداد.

ورثاه دُبَيْس المدائني الضَّرير، فقال: [من الكامل]

قد قلتُ للرَّجل المُوَلَّى غسلَهُ ... هلَّا أطاع[(٥)] وكنت من نُصحائِهِ
جَنِّبْه ماءَكَ ثُمَّ غَسِّلْه بما ... أبكتْ عيون المَجْد مِنْ آلائِهِ
وأزِلْ أفاويه الحَنُوطِ وطِيْبَهُ ... عَنْهُ وحَنِّطْهُ بطيبِ ثنائِهِ
ومُرِ الكرامَ الكاتبينَ بحَمْلِهِ ... شَرَفاً ألستَ تراهُمُ بإزائِهِ
لا تُوهِ أعناقَ الرِّجال بحَمْلِهِ ... يكفيه ما فيهنَّ مِنْ نَعمائِهِ[(٦)]

هِبةُ الله بنُ علي[(٧)]

أبو محمد ابن عَرَّام، [الرَّبَعي، مصري][(٨)] كان فاضلاً فصيحاً، [وله ديوان شعر، وبيت عَرَّام بيتٌ معروف بالفَضْل والأدب، ومن شعر هبة الله[(٩)]]: [من المتقارب]

إذا حَصَلَ القوتُ فاقنعْ به ... فإنَّ القناعةَ للمَرْءِ كَنْزُ

---

(١) الأبيات في «معجم البلدان»: ١/ ٢٥١.

(٢) ما بين حاصرتين من مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٦٠، و «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج٢/ ١٤٤-١٤٦. و«الكامل»: ١١/ ٢٠٠، و«وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٧٨، و«توضيح المشتبه»: ٤/ ٣٢-٣٣ وعندهم وفاته سنة (٥٤٩هـ). وقال العماد في «الخريدة»: المعروف بابن الإبري.

(٤) هي المدرسة الثقتية، وانظر حاشيتنا رقم٣ ص٣٥٤ من هذا الجزء.

(٥) في (ع) و (ح): لو قد أطاع، والمثبت من «الخريدة».

(٦) الأبيات في ترجمة دبيس في «الخريدة» قسم شعراء العراق ج٤/ م١/ ١١٦ - ١١٧.

(٧) له ترجمة في «خريدة القصر»، قسم شعراء مصر: ٢/ ١٨٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٧/ ٣٠٤-٣٠٥.

(٨) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٩) في (ع) و (ح): كان فاضلاً فصيحاً، ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

وصُنْ ماءَ وجْهك عن بَذْلِهِ فإنَّ الصِّيانة للوَجه[1] عِزُّ

وقال: [من السريع]

لمَّا بدا لي شَرُّ هذا الورى وكنتُ مِن خَيْرِهُمُ آيِسا
لزمتُ بيتي راحةً منهُمُ وصرتُ بالوحدةِ مُسْتأنِسا

ومَرِضَ، فكتب إليه صاحِبٌ له أبياتاً، فكتب [في][2] جوابها: [من الوافر]

أَتَتْني منْكَ أبياتٌ حِسانٌ هي الدُّرُّ الثَّمينُ بغير شَكِّ
فكانتْ لا عَدِمتُك بُرْءَ جِسمي من البَلْوى فقد زال التَّشكِّي[3]

وقال في ذمِّ إنسان: [من مخلَّع البسيط]

جميعُ أقوالِهِ دعاوِي وكلُّ أفعالِهِ مَسَاوي
ما زال في فنِّهِ غريباً ليس له في الورى مُساوي[4]

السنة الحادية والخمسون وخمس مئة

في المحرَّم خَلَعَ الخليفةُ على سليمان شاه خِلْعة السَّلْطنة: التَّاج والطَّوق ومركب الذَّهب، واستحلفه أنَّ العراق يكون للخليفة ولا يكون لسليمان شاه إلا ما يَفْتح بسيفه من غير العراق، وخُطِبَ له على المنابر بعد سنجر، وبَعَثَ إليه بالمال، وقوَّاه بالرِّجال، وخرج إلى النّهروان سَلْخ المحرم، وبَعَثَ إلى الخليفة يقول: ما أرحل حتى أراك فيقوَى قلبي. فخرج الخليفةُ بعساكره من بغداد وهو بين يديه بمرحلة إلى حُلْوان، وبعث معه العسكر، وعاد.

وفي ربيع الآخر أُطلق ابنُ الوزير من قلعة تكريت، فأقام في الأسر ثلاث سنين وأربعة أشهر.

وجاءت الأخبار بأنَّ ملك شاه ابن أخي سليمان شاه قد انضاف إليه، واتصلوا بإيلدكز، واتَّفقوا، وبلغ محمد شاه، فسار إليهم، وضرب معهم مصافًّا، فانهزموا بين يديه، وتشتَّتَ

(١) في (م) و (ش): للمرء، والبيتان في «الخريدة»: ٢/ ١٩٠ .
(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): له.
(٣) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ١٩٣ .
(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢٠/ ١٩٤-١٩٥ .

العسكر، ووصل بغداد من عسكر الخليفة خمسون فارساً بعد أن كانوا ثلاثة آلاف، ولم يُقْتل منهم أحد، وإنَّما أُخذت خيولهم وأموالهم، وجاؤوا حُفاة عُراةً، وانفصل سليمان شاه عن إيلدكز، وعاد إلى بغداد على طريق الموصل، وكان عاجزاً عن حُسْنِ التَّدبير، فهان على أصحابِ الأطراف، وكان زين الدِّين كُوجك في المَوْصل، فخرج إليه، وقَبَضَ عليه، وأطلعه إلى القلعة، وبعث إلى محمد شاه يقول: تعال تَسَلَّمه، وإنْ أردتَ أَنْ تقصد بغداد ساعدتُك. فسار يريد بغداد، ونزل بعقوبا، وبعث إلى كوجك، فتأَخَّر عنه، وانزعج أهلُ بغداد، وعَرَضَ الخليفةُ عساكره، وعصى عليه أرغش صاحب البَصرة، وبدر بن المُظَفَّر صاحب البطيحة، وبعث إلى كُوجك يأمره بإطلاق سليمان شاه، فلم يُطْلقه، وأقام محبوساً في المَوْصِل، ثم أُطلق بعد ذلك. وأما السُّلْطان محمد فلما تأَخَّر عنه زين الدين خاف أن تكون عليه حِيْلة، فرجع من بَعْقُوبا إلى هَمَذان.

وفيها خَلَصَ سنجر من أَسْرِ الغُزِّ بحِيَل، وهَرَبَ إلى قلعة تِرْمذِ بعد أن أقام عندهم أربع سنين في الذُّلِّ والهوان حتى ضرب به أهلُ بغداد الأمثال، فكان إذا مَرَّ على إنسانٍ شدائد، قالوا: ما اشتفى الغُزُّ من سنجر، وقيل: إنه وعد الموكلين به بالمال العظيم، فأجابوه، ووفى لهم.

وحَجَّ بالنَّاسِ من العراق قيماز، ومن الشَّام نجم الدِّين أيوب.

فصل وفيها توفي

عبد القاهر بن عبد الله(١)

ابن الحسين. أبو الفرج، الوأواء الشَّاعر.

أصله من بُزاعة(٢)، ونشأ بحلب، وتأدَّب بها، وشرح "ديوان المتنبي"، ومَدَحَ جماعةً من أهل الشَّام، ومن شعره: [من الطويل]

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: مج٤٣/ ٦٨-٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٥٥-١٥٧، و«إنباه الرواة»: ٢٠/ ١٨٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٥٢-٥٣، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٢-٣٢٣، و«بغية الوعاة»: ٢/ ١٠٦، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٨.

(٢) بزاعة بضم الباء وكسرها، ومنهم من يقول: بزاعا: من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٤٠٩.

أبى زَمَني أن[١] تستقرَّ بي الدَّارُ ... وأَقْسَمَ لا تُقضى[٢] لنفسي أوطارُ
أخِلَّايَ كيف العَذْلُ والدَّهرُ حاكمٌ ... وكيف دُنُوي والمُقدَّر أَقدارُ
وما غِبْتُمُ عن ناظري فيراكُمُ ... ولم ينسكُمْ قلبي فَيحدُثَ تَذْكارُ
لئنْ عِفْتُمُ نَصري إذا حَلَّ حادثٌ ... فلي من دُموعي في الحوادثِ أنْصارُ
وإن غَرَبَتْ شمسُ النَّهارِ فمنكُمُ ... شموسٌ بقلبي لا تَغِيبُ وأقمارُ
وبي فَرَقٌ بادٍ إذا ما تفرَّقوا ... ولي مَدْمَعٌ جارٍ إذا ما هُمُ جاروا
عناني من الأسرار ما لم أَبُحْ به ... فصرتُ كفِعلٍ ظاهرٍ فيه إضمارُ
وكنتُ كغصنٍ باتَ يُمْنَعُ رِيُّه ... وقد رَويتْ حَولي من الماءِ أشجارُ[٣][٤]

عبد السَّيِّد بن جَكَر الواسطي[٥]

دخل على شمس الدين فاتن، ناظر واسط وقد غُمَّ الهلال، فأنشد: [من المتقارب]

أما في البَريَّةِ من يَنْتَبِهْ ... يهنِّي بك العيدَ لا أنتَ بِهْ
وإنْ وقعتْ شُبهةٌ في الهِلالِ ... فأنتَ على العَينِ لا تَشْتَبِهْ[٦]

عليُّ بنُ الحسين الغَزْنَوي الواعظ[٧]

ويلقب بالبُرْهان، قدم بغداد سنة ستَّ عشرة، وسمع الحديث، ووعظ، وكان فصيحاً، وله جاهٌ عريض، وكان السُّلْطان مسعود يزوره، وأَمرت خاتون زوجةُ

---

(١) في (ع) و (ح): لا، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٢) (ع) و (ح): لا أقضي، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: مج٤٣/ ٦٩-٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٥٦-١٥٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) عقب هذه الترجمة في (ح): وفيها قصدت الفرنج بقاع بعلبك.. قلت: وهذا الخبر من حوادث سنة (٥٤٦هـ).

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج٤/ ح١/ ٣٥٨-٣٦٠، و«الوافي بالوفيات» ١٨/ ٤٤٢-٤٤٣ ، وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وسماه عبد السلام.

(٦) البيتان في «الخريدة».

(٧) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٦٦-١٦٨، و«الكامل»: ١١/ ٢١٦-٢١٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٢٤-٣٢٥، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ٢٩-٣٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٣-٣٢٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٩، وانظر «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١/ ٢٨٢.

المُستظهر أن يُبْنى له رباطٌ، ووقفتْ عليه قريةً اشترتها من المُسْترشد، واستعبد خَلْقاً كثيراً من العلماء والفقراء بجاهه وماله.

وقال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: كان محفوظه قليلاً، فيكرِّرُ ما يقول، [وحدثني جماعة من القراء أنَّه كان يعيِّنُ لهم ما يقرؤون بين يديه، ويتحفَّظ الكلام عليه][(١)]. وسمِعْتُه يقول على المنبر: الحكمة في معراج النَّبيِّ ﷺ أَنَّه أُري ما في الجَنَّة والنَّار ليكون يوم القيامة على سكون لا على انزعاج، ولهذا المعنى قُلبت العصا حَيَّةً يوم التَّكليم لئلا ينزعِجَ موسى عليه السَّلام بين يدي فِرْعون.

وسمعته يُنْشد: [من مجزوء الرجز]

كم حَسْرَةٍ لي في الحشا ... من ولدٍ إذا نَشَا
وكم أردتُ رُشْدَه ... فما نَشَا كما نشا[(٢)]

وسمعته يُنْشد: [من السريع]

يَحْسُدُني قومي على صَنْعتي ... لأنَّني في صَنْعتي فارسُ
سَهِرْتُ في ليلتي واسْتَنعسوا ... هل يستوي السَّاهِرُ والنَّاعِسُ

وكان يعظِّم السُّلْطان ولا يعظم الخليفة كما ينبغي، وسمعتُه يوماً يقول بجامع القصر: يتولى أمورنا ويغفل عنا، [وأنشد][(٣)]: [من الهزج]

فما تصنع بالسَّيْفِ ... إذا لم يكُ قتَّالا
فَغَيِّرْ حِلْيةَ السَّيفِ ... وصُغْه لك خَلْخالا[(٤)]

وقال: تولي اليهود، فيسبُّون نبيك يوم السبت، وتجلسهم يوم الأحد عن يمينك، ثم صاح: اللهم هل بلغت؟ فكانت هذه الأشياء تُنْقل إلى الخليفة، فمنعه من الجلوس بجامع القَصر، فقَدِمَ السُّلْطان مسعود، فأجلسه بجامع السُّلْطان، وحضر مجلسه،

---

(١) (ع) و (ح): ويعين القراءات تقرأ، ويرتب الكلام عليها، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٦٦.

(٢) البيتان ساقهما سبط ابن الجوزي على أنهما من شعر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القشيري في ترجمته انظر حاشيتنا رقم ١ ص١٤٤.

(٣) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٦٧.

(٤) (ع) و (ح): وضع لك منه خلخالاً، والمثبت من «المنتظم».

فقال: يا سُلْطان العالم، محمد بن عبد الله أَمرني بالجلوس، ومحمد أبو عبد الله منعني من الجلوس. يعني المقتفي.

ولمَّا دخل العَبَّادي بغداد [وكانت سوقه انكسرت به](١)، فأنشد ابنُ الدَّهَّان: [من السريع]

لِلّهِ قُطْبُ الدِّين من عالِمٍ ... طَبٌّ بأدْواء الورى آسِ
مُذ ظَهَرَتْ حُجَّتُه للورى ... قامَ بها البرهانُ للنَّاسِ(٢)

فلما ماتَ مسعود أُهين الغزنوي، ومُنِعَ من الوعظ، وأُخذ كل ما كان بيده، فَشُفِعَ إلى الخليفة في رَدِّ القرية التي وقفت على رِباطه، فقال: أما ترضى أن يحقن دمه.

وكان يتمنَّى الموت مما لاقى من الذُّلِّ بعد العِزِّ، وما كان ممن يرضى بالذل، فحمل على قلبه، ومَرِضَ، فألْقى كَبِدَه قِطَعاً، وتوفي في المحرَّم، ودُفِنَ بمقابر الخَيْزُران.

[وفيها توفي

الشيخ ابو البيان الزَّاهد(٣)

واسمه نبا بن محمد](٤)، ويعرف بابنِ الحوراني، تشاغل بالزهد، و[ونشأ على](٥) الاشتغال بالعلم، وصحبة الصَّالحين، وحُسْن الطريقة والعَفَاف والصِّيانة، [وكان](٦) محباً للعِلْم والعلماء.

---

(١) في (ع) و (ح)، ذكر شوقه، وهو تحريف، وما بين حاصرتين من «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج١/ ٣١٤-٣١٥ .

(٢) قطب الدين هو العبادي، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٤٧هـ)، وابن الدهان هو محمد بن علي بن شعيب أبو شجاع، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٥٩٢هـ) .
ومعنى العبارة أوضحه ابن الجوزي بقوله: كان -أي الغزنوي- إذا نبغ واعظ سعى في قطع مجلسه، ولما مال الناس إلى ابن العبادي قل زبونه، فكان يبالغ في ذمه، فقام بعض أذكياء بغداد في مجلس العبادي فأنشده، ثم ذكر البيتين، ثم قال: وأراد ابن الغزنوي: قد قام للناس، لأنه كان يلقب بالبرهان، وهذا من عجيب ذكاء البغداديين.
والبيتان في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٥١٢، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٢١٣-٢١٤، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٣٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٢٦-٣٢٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ع) و (ح): محمد أبو البيان الشيخ الزاهد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) في (ع) و (ح): تشاغل بالزهد والاشتغال بالعلم.. وما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

[قال أبو يعلى ابن القلانسي: توفي في هذه السنة][1] ودفن بالباب الصَّغير عند قبور الصحابة رضي الله عنهم، وكان له يومٌ مشهود[2].

[قلت: وحكى لي بعضُ مشيخة دمشق أنَّ أبا البيان][1] دخل يوماً من باب السَّاعات إلى جامع دمشق، فنظر إلى أقوام في الحائط الشمالي يَثْلِبُون أعراضَ النَّاس، فاستقبل القِبلة، ورفع يديه، وقال: اللهم، كما أنْسَيتَهُمْ ذِكرَك، فأنْسِهِمْ ذِكري.

[وفيها توفي:[3]

أبو العِزّ القُرَشي الصُّوفي[4]

ويقال له ابن أبي الدنيا، وليس في الدنيا من يقال له ابن أبي الدنيا غير أبي بكر[5]، وهذا، وهو بصري، وكان يسكن المشان[6]، وكان أبوه محتسبَ البصرة، وكان أبو العز شاعراً فاضلاً، ومن شعره]: [من الرجز]

ما بالُ قلبي زائداً غرامُهُ ... ودَمْعُ عيني هاطلاً غمامُهُ
وذلك الجَمْرُ الذي خَلَّفْتُمُ ... على الحشا لا ينطفي ضِرامُهُ[7]
يا ناعمينَ بالرُّقاد عِيشةً ... عنديَ طَرفٌ خانَهُ منامُهُ
ما أطْيبَ اللَّيلَ الطَّويلَ والبُكا ... لولا انفجارُ الصُّبْحِ وابتسامُهُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) «ذيل تاريخ دمشق»: ٥١٢.

(٣) في (ع) و (ح): أبو العز بن أبي الدنيا القرشي الصوفي البصري، وكان أبوه محتسب البصرة، وكان أبو العز شاعراً، من شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن المظفر بن أبي الدنيا القرشي الصوفي. له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج٢/ج٤/ ٧٥٧-٧٥٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٤ - وقد أخطأ إذ جعل الشاعر أباه - وورد ذكره في «إنباه الرواة»: ٢/ ٢٤٣ في ترجمة علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي: وفيه أبو المعز.

(٥) هو المحدث المشهور صاحب التصانيف السائرة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولاهم، البغدادي المؤدب، المتوفى سنة (٢٨١هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ بغداد»: ١٠/ ٨٩-٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٣/ ٣٩٧-٤٠٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٦) المشان بلدة قريبة من البصرة وهي وخمة، كان إذا سخط ببغداد على أحد ينفى إليها، انظر «معجم البلدان» ٥/ ١٣١، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٦٧.

(٧) في (م) و (ش): غرامه، وهو خطأ.

إنَّ الـكـرى بَـشَّـرنـي بـوصـلـكُـمْ   نِـعْـمَ الـكـرى إنْ صَـدَقَـت أحـلامُـهُ
ولـسـتُ أدري والـذي سَـنَّ الـهـوى   سِـهـامُـكُـم أَقْـتـلُ أم سـهـامُـهُ[1]

السَّنة الثانية والخمسون وخمس مئة

فيها حُوصرت بغداد، جَمَعَ محمد شاه التُّرْكمان والأكراد، وقرُبَ من بغداد، وبعث إلى الخليفة يَطلُب الخطبة والسَّلطنة، فقيل له: السُّلْطان هو سنجر وأنتم مختلفون.

وعَرَضَ الخليفة العساكر، وجاء خطلبرس من واسط، وعصى أرغش صاحب البَصرة، وأخذ واسطاً، واستعدَّ الخليفة للحصار، وجَمَعَ السُّفن إلى تحتِ التَّاج، وذلك في سادس عشرة المحرَّم، ونودي: لا يبقى في الجانب الغربي أحدٌ. فَعَبرَ النَّاسُ بأموالهم وأهلهم إلى دار الخلافة، وجاء محمد شاه، فَعَبَرَ دِجلة من فوق حَربى، ونَهَبَ الدُّجَيْل وأَوَانا وغيرَها، وجاءه كوجك بعساكر المَوْصِل والجزيرة، واتَّفقا، وضرب محمد شاه خيامه بالرَّملة، وقطع الخليفة الجسر، وأخذ زواريقه إلى تحت التَّاج، وأخرج سبعة آلاف جوشن، ففرَّقها، ولبس الناسُ السِّلاح، ونَصَبَ الخليفةُ المجانيق والعَرَّادات فكانت مئتين وسبعين منجنيقاً وعَرَّادة، في كلٍّ منجنيق أربعون رجلاً، وكان يُخْرِج كل يوم من الخزانة أكثر من مئة كُرّ حنطة يُطعِمُه النَّاس، وأَذِنَ للوعَّاظ في الجلوس بعد مَنعهم سنة وخمسة أشهر، فجعلوا يحرِّضون الناس على قتال البغاة والخوارج.

وفي العشرين من المحرَّم ركبت عساكر محمد شاه وكوجك، وجاؤوا إلى الرَّقَّة[2]، ووقفوا بإزاء التَّاج، ورموا بالنُّشَّاب إلى التَّاج، وركب إليهم صِبْيان بغداد في السُّفُن، ورموا بالنُّشَّاب وقاتلوهم، وضربوا أميراً منهم بالنفط فأحرقوه، وظهروا عليهم، فرجعوا.

فلما كان يوم السبت ثالث صفر، ركبوا بجمعهم، وانتشروا على دِجلة، وخرج إليهم عسكر الخليفة في السُّفن، وجاءتهم سفن من واسط فيها مِيرة وما يحتاجون إليه،

---

(١) الأبيات في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٢) الرقة هي البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد، وهي بالجانب الغربي، «معجم البلدان»: ٣/ ٦٠.

فأقامت في المدائن، وجاءت أكلاك[١] من المَوصِل فيها ميرة وزادٌ، فأخذها أصحابُ الخليفة.

وفي سادس عشرة صفر وصل ركابيٌّ من هَمَذَان يخبر بدخول ملك شاه إليها، وأنَّه نهبها، وكَبَسَ دور المخالفين الذين مع محمد شاه.

ولما كان عشية الجمعة سَلْخ صفر عَبَرَ في السفن جماعةٌ منهم إلى دار السُّلْطان، فخرج إليهم منكورس الشِّحنة، فَقَتَلَ منهم جماعةً، ورمى الباقون نفوسهم في الماء، وفرَّق الخليفة في الأتراك في يومٍ واحد خمسة وعشرين ألف نُشَّابة، ومئتين وستين كُرّ حنطة، ولم يأخذ من أحدٍ من أهل بغداد دِرهماً، ولا استقرض شيئاً.

ولما كان يوم الخميس العشرين من ربيع الأول جاؤوا بأربع مئة سُلَّم، واجتهدوا أن يلصقوها إلى السور فلم يقدروا، وأحرقها عوامٌّ بغداد، وبَطَلَت الصَّلوات يوم الجمعة في الجانب الغَرْبي والرُّصافة، وكان يصلِّي في جامع القصر نفرٌ يسير، واحتوى محمد شاه على جانبي بغداد، ولم يبق إلا حريم دار الخليفة.

ووصلت امرأةُ سليمان شاه بنت خوارزم شاه، وكانت قد أَصلَحَت بين ملك شاه وبين الأُمراء بهَمَذَان، وخرجت متنكِّرة في زِيِّ الصُّوفية للحاج عليها مُرقعة، وفي رِجلها طرسوس[٢]، كأنها من جُملة الشَّحَّاذين، فجاءت إلى عسكر محمد، وتوصلت إلى الرَّقَّة مقابل التاج، وقالت لبعض الملاحين: صِحْ لي بقائدٍ من قواد أمير المؤمنين يعرِّف الوزير أَنَّ لي إليه حاجة. فبعث الوزير إليها حاجباً، فعرَّفَته نفسها، فَعَبَرَ بها، فدخلت على الوزير، فقام لها قائماً، وأكرمها وعَرَّف الخليفة، فأفرد لها داراً قريبة منه، وحمَلَ إليها ما يصلح، وكان معها ركابي، فأخرج الكتب من ملك شاه بأَنَّه دخل هَمَذَان، ونقَضَ الكشك الذي لمحمد شاه، ونقض دور المخالفين ونهبهم.

---

(١) أكلاك جمع، مفردها الكَلَك: الطوف، وهو قرب ينفخ فيها، ويشد بعضها إلى بعض كهيئة سطح فوق الماء، تحمل عليه الميرة والناس، وربما كان من خشب يشد ويركب عليه، أو يسوَّى من قصب وعيدان يشد بعضها فوق بعض، ثم يقمط حتى يؤمن انحلالها. «معجم متن اللغة»: ٣/ ٦٤٩، ٥/ ٩٥.

(٢) كذا في الأصل، وكأنها نوع من الأحذية كان يلبسها الشحاذون، ولم أقف عليها.

والقتال يعمل على بغداد كل يوم إلى سابع ربيع الآخر، فبعث محمد شاه إلى كوجك يقول: أنت وعدتني بأخذِ بغداد وما حَصَّلت، وقد أُخذت هَمَذَان، ونُهِبَت خزائني وأموالي وبيوت أصحابي، وأنا معوِّل على الرحيل. فقال كوجك: متى رحلت من غيرِ بلوغِ غَرَضٍ كنتَ سبباً لقَلع بيت السَّلجوقية وبيوتنا، ولكن اصبر حتى نعبر غداً إلى القوم، ونرمي هذه الغرائر[1] في الخندق، ونَنصِب السلالم، ونحمل حملةَ رجل واحد، فنأخذ البلد.

وجاء ركابي إلى محمد شاه يُخبره بأَنَّ ملك شاه أخذ له أربعة آلاف بُختية، ونُهبت خزائنه وبيوت أمرائه، وبلغ أمراءه، فاستأمن منهم جماعة إلى الخليفة، وبعث ملك شاه يقول للأُمراء: إن لم تنفصلوا عن بغداد وإلا سَبيتُ نساءكم، وقتلت أولادكم، وأنا منتظر أمر أمير المؤمنين، فإنْ أمرني بقَصدكم قَصَدتُكم، وإنْ أمرني أن أسير إلى المَوصل سرت.

واستوحش محمد شاه من كوجك، وقال: أنتَ أخربتَ بيتي. وهَمَّ بالقَبْض عليه، فاستوحش زين الدين منه وقال له: إن لم آخذ لك بغداد في ثلاثة أيام، وإلّا فما أنا كوجك. فلمَّا كان يوم الأحد ثاني عشرة ربيع الآخر قال كوجك لمحمد: اعبر أنتَ اليوم، وأُصبح يوم الثلاثاء على القتال حتى أعبر أنا ونحن على تعبئةٍ. قال: نعم. وأصبح محمد شاه، فعبر أصحابه إلى الجانب الشَّرقيِّ على الجسر، فلما كان وقت العشاء قطع كوجك الجسر، وضرب على خزائن محمد شاه وخيله وخيامه، وسار طالباً المَوصِل، وأحرقَ الغِلال التي كانت في الأسواق، وبقي محمد شاه في أصحابه لا غير في الجانب الشَّرْقي لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، فسار ليلة الأربعاء طالباً هَمَذَان، وأمر الخليفة أن لا يتبعوه، وجاءت الرَّجَّالة إلى دار السُّلطان فنهبوها، وكانت فيها أموال كثيرة حتى قلعوا الأبواب والسقوف.

وسبب رحيلهم أن الوزير ابنَ هُبيرة أصلح كوجك، وضمن له مالاً وبلاداً، وقال: ما يحصل لك من محمد شاه شيء، وربما قَبَضَ عليك، وقيل: إنَّ كتاب نور الدين وصل إلى كوجك يقول: الواجب أن تَذهَبَ إلى تحت التَّاج، وترمي نفسك وتعتذر،

---

(١) الغرائر جمع، مفردها الغرارة: وهي الجوالق، وهو وعاءٌ من أوعية الطعام البرّ، والعامة تقول: شوال. انظر «معجم متن اللغة»: ١/ ٦٠٧، ٤/ ٢٨١ ، وكانوا قد حشوا هذه الغرائر حصى ورملاً ليسدوا الخندق. انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٧٢ .

وإلّا قصدتُ المَوصل وأخربتها ونزلتُ بغداد، وأين ما كنت قَصَدتُك. وقيل: إنَّ ابن هُبيرة كان يُنْشئ كلَّ يومٍ مكاتباتٍ على لسان مَنْ بهَمَذَان من الأُمراء، ويعطيها للرِّكابية فيوصلونها إليهم بأَلطفِ حيلة بأنها قد وردتنا من هَمَذَان، وكُتُب من الأُمراء الذين مع محمد إلى ملك شاه فيوصلونها إليهم، حتى بلغ من أمره أنه أعطى ركابياً كُتُباً، وقال له: اجعلها في ثيابك، واقْرُبْ من عبيدهم، واخلعْ ثيابك، ودعْها على جانب دِجْلة، واسبحْ إلى الجانب الشَّرقي. فَفَعَلَ، وجاء أصحابُ محمد فرأوا الثِّياب فقالوا: قد غَرِق صاحِبُها، نَزَلَ يسبح وبقيتْ هذه. ففتَّشوها، فظهرت الكتب، فحملوها إلى محمد شاه وهي من ملك شاه إلى أُمراء محمد شاه يقول: اعبروا إلى الجانب الشَّرقي في اليوم الفلاني، فأنا واصِل، وأمسكوا محمد شاه. فقال محمد شاه: وأين الذي كانت معه هذه الكتب؟ فقالوا: غرق وبقيت ثيابه. فتخيَّل من أُمرائه، فرحل.

وفيها قدم بغداد ابنُ الخُجَندي الفقيه، ومعه العالم الحنفي صاحب «التعليقة»، وخَرَجَ الموكب للقائهما.

وفيها قدم أبو الوقت بغداد، وأَسمَعَ البخاري عن الدَّاوودي، وألحقَ الصِّغار بالكبار.

وفيها كانت زلازلُ عظيمةٌ بالشَّام وحلب وحماة وشَيزَر وفامية وكَفرطاب والمعرَّة وحمص وأنطاكية وطرابُلس ودمشق وجميع العواصم، وهلك خَلْقٌ كثير حتى روي أَنَّ معلِّماً كان بحماة في كُتَّابٍ، فقام من المكتب يقضي حاجة ثم عاد، وقد وقع المكتب على الصِّبيان، فماتوا بأَسْرهم، [وأعجب من هذا أنَّه لم][1] يأتِ أحدٌ يسأل عن صبيٍّ كان له في المكتب. ووقعت أبراجُ القِلاع بحلب وغيرها، وهَلَكَ جميعُ من في شَيزَر إلا امرأةً واحدة وخادماً، وساخت[2] قلعةُ فامية، وانشقَّ تل حَرَّان نصفين، وظهر فيه بيوتٌ وعمائر [و] نواويس[3]، وانشقَّ في اللاذقية موضع، فظهر فيه صَنَمٌ قائمٌ في الماء، وخَرِبَتْ صيدا وبيروت وطرابُلس وعكَّا وصور، وجميعُ قِلاع الفرنج، فقال الصَّالح بن رُزِّيك يعرِّضُ بما نال أهلَ الشَّام والفرنج: [من الخفيف]

---

(١) في (ع) و (ح): فماتوا بأسرهم، فلم يأت أحد، والمثبت من (م) و (ش).

(٢) أي غاصت. "معجم متن اللغة": ٣/ ٢٤٢.

(٣) النواويس جمع، مفردها الناووس: مقابر النصارى، «معجم متن اللغة»: ٥/ ٥٧٤، وما بين حاصرتين من (م) و (ش).

كـرِه الـشَّـامُ أَهْـلَـهُ فـنـفـاهـمُ ... فـحـقـيـقٌ أن لا يـقـيـمَ لـبـيـبُ
إنْ تـجـلَّـت عـنـه الـحـروبُ قـلـيـلاً ... خـلَّـفـتـهـا زلازِلٌ وخُـطُـوبُ
رَقَـصَـتْ أَرضُـهُ عَـشِـيَّـةَ غـنَّـى الـر ... عـدُ فـي الـجـوِّ والـكـريـمُ طَـروبُ
وتَـثَـنَّـتْ حِـيـطـانُـهـا فـأمـالـتْـ ... ـهـا شَـمـالٌ بـزمـرِهـا وجَـنُـوبُ
لا هُـبُـوب لـنـائـم قـد أنـامَـتْـ ... ـهُ والـعـاصـفـاتُ فـيـهـا هُـبـوبُ
وأرى الـبَـرقَ شـامـتـاً ضـاحِـكَ الـسِّـ ... ـنِّ والـجـوُّ بـالـغـمـام قَـطُـوبُ
ذكـروا آيـةً تـذوبُ بـهـا الـسُّـحْـ ... ـب فـمـا لـلـصُّـخـور مـنـهـا تَـذْوب[١]

قال المهذَّب بن الزُّبير[٢] يخاطب الصّالح بن رُزِّيك في الزَّلزلة: [من الكامل]

مـا زُلْـزِلَـتْ أرضُ الـعِـدى بـل ذاكَ مـا ... بـقـلُـوبِ أهـلـيـهـا مـن الـخَـفَـقـانِ
وأظـنُّ أَنَّ حـصـونَـهُـمْ سَـجَـدَتَ لـمـا ... أُوتـيـتَ مـن مُـلـكٍ ومـن سُـلْـطـانِ
والـنَّـاسُ أَحْـرى بـالـسُّـجـودِ إذا غـدا ... لـعـلاك يَـسـجُـدُ شـامـخُ الـجُـدرانِ[٣]

وكان الصَّالح بن رُزِّيك قد خرج من مِصر بعساكرها إلى السَّاحل، وساعده نورُ الدِّين، فالتقوا على غزَّة، فكانت الدَّبرة[٤] على الفرنج، فلم يُفلت منهم أحد، فقال الجليس يخاطب الصَّالح بن رُزِّيك: [من البسيط]

رُغْـتَ الـفـرنـجَ بـكـسـرٍ لا انـجـبـارَ لـه ... ذلَّـتْ لـه بـعـدمـا عَـزَّت جـبـابِـرُهـا
حـاشَـت جـنـودُك بَـرَّ الـمـشـركـيـن فـمـا ... يـنـفـكُّ مـن بـعـد مَـرْمـاهـا يُـغـادِرُهـا

وقال شاعر دمشقي في الزلزلة[٥]: [من الخفيف]

روَّعَـتْـنـا زلازلٌ حـادثـاتٌ ... بـقـضـاءٍ قَـضـاه رَبُّ الـسَّـمـاءِ

(١) القصيدة في «ديوان أسامة ابن منقذ»: ٧، ١٥٣، ١٦٤، ٢٩٦ مع اختلاف في بعض ألفاظها، وقد ساقها كذلك أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ١/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير المتوفى سنة (٥٦١هـ)، انظر ترجمته في «الخريدة» قسم شعراء مصر ١/ ٢٠٤-٢٢٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) انظر الأبيات في «الخريدة» قسم شعراء مصر: ١/ ٢١٠، وقد ساق منها مقاطع طويلة، وانظر «الروضتين»: ١/ ٢٦-٢٧.

(٤) الدبرة: الهزيمة في القتال. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٣٧٢.

(٥) في (ع): وقال أيضاً، والمثبت من (ح).

هَـدَمَـتْ حِـصـنَ شَـيـزَرٍ وحـمـاةً أهـلَـكَـتْ أهـلَـهـا بـسـوء الـقـضـاءِ
وبــلاداً كــثــيــرةً وحُــصُــونــاً وثــغــوراً مــوثَّــقــات الــبــنــاءِ
وإذا مــا رَنَــتْ عــيــونٌ إلــيــهــا أَجْـرتِ الـدَّمْـعَ عـنـدهـا بـالـدِّمـاءِ[١]
وإذا مــا قــضــى مــن الــلــه أمــرٌ ســابــقٌ فــي عــبــاده بــالــمَــضَــاءِ
حــار قــلــبُ الــلَّــبــيــبِ فــيــه ومَــنْ كــا نَ لــه فِــطْــنَــةٌ وحُــســنُ ذكــاءِ
جَــلَّ ربــي فــي مُــلــكــه وتــعــالــى عــن مــقــالِ الــجُــهَّــال والــسُّــفــهــاءِ

وفيها ملك نور الدين [محمود][٢] حصن شَيزَر، وزال ملك بني منقذ الكِنانيين.

ذِكرُ أيَّامهم: قد ذكرنا[٣] أَنَّ الأمير أبا الحسن عليَّ بن المقَلَّد بن نَصر بن منقذ ملكها سنةَ أربع وسبعين وأربع مئة، وتوفِّي سنةَ تسع وسبعين، وملكها ولده نَصر بنُ علي، وكان حَسَنَ السِّيرة، ولما احتُضر أوصى إلى أخيه أبي سلامة مُرشد بنِ علي فقال: والله لا وَليتُها، ولأخرجَنَّ من الدُّنيا كما دخلتُ إليها. وولاها أخاه أبا العساكر سلطان ابن علي، وكان أصغر سِنًّا منه، فاتفقا مدَّة على أحسن صُحْبة، فولد مرشد أولاداً ذكوراً، فكَبِروا، وسادوا، منهم: عِزّ الدَّولة أبو الحسن علي ومؤَيَّد الدولة أُسامة ابنا مُرْشد، وكانوا على ما قيل عشرين ولداً، ولم يولد لسلطان ولدٌ ذكر إلى أن عَلَتْ سِنُّه، فجاءه أولادُه صغار، فحسد أخاه مُرْشداً على أولاده، وخاف على أولاده الصِّغار منهم، وكانا فاضِلَيْن يقولان الشِّعْر، وسعى الوشاة بينهما، فتغيَّر كلٌّ واحد منهما على صاحبه، والأمر بينهما مستورٌ إلى سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، فمات مرشد، فقوي أخوه سُلْطان على أولاد أخيه، فأخرجهم من شَيْزر.

وحكى مؤيد الدَّولة أسامة بن مرشد سبب إخراجهم، فقال: كنتُ من الشجاعة والإقدام على ما قد عَلِمَه النَّاس، فأُخبرت أَنَّ بدَخَلةٍ[٤] قريبة من شَيْزر أسداً ضارياً، فركبتُ فرسي، وأخذتُ سيفي، ولم أُخبر أحداً من النَّاس لئلا يمنعوني عنه، فلما أتيتُ الدَّخلة[٤] نزلتُ

---

(١) في (ع) و (ح): بالبكاء، والمثبت من «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٢٧، و «الروضتين» ١/ ٣٣٣، والأبيات فيهما.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٣) في حوادث سنة (٤٧٤هـ).
(٤) في (ع) و (ح): بدجلة -بالجيم- وإخالها دخلة -بالخاء- وكأنها بمعنى الأجمة، لأن الدخل: الشجر الملتف. «معجم متن اللغة»: ٢/ ٣٨٨.

عن فرسي، وربطتُها، وشَهَرْتُ سيفي، فلمَّا رآني الأسد حَمَلَ عليَّ، فضربتُه بالسَّيْف على رأسه، فقتَلْتُه، ثم قطعتُ رأسه، وتركتُه في مخلاة وعدتُ إلى شَيْزر، فألقيتُ الرأس بين يدي والدتي، وحدَّثْتُها الحديث، فقالت: يا بنيَّ، تجهَّز للخروج من شَيْزر، فوالله لا يمكِّنك عَمُّك من المقام فيها، ولا لأحدٍ من إخوتك وأنتم على هذه الحال من الإقدام والجُرْأة. وبلغ عَمِّي، فأمر من الغد بإخراجنا كلِّنا، فتفرَّقْنا في البلاد، وقَصَدْنا نورَ الدين(١) لينجدنا على عَمِّنا، فلم يمكنه قصده خوفاً أن يسلِّم الحِصن إلى الفرنج.

ثم توفي سُلطان وولي أولاده، فكاتبوا الفرنج، وبلغ نور الدين، فازداد عليهم حنقاً، واتفق مجيء الزَّلازل، فهدمت الحصن، وهَرَبَ أولاد عَمِّي سُلْطان، فجاء نور الدِّين، فوقف عليها وعمرها أحصن ما كانت، وهي مدينة حصينةٌ على حَجَرٍ عالٍ، وله طريقٌ منقور في الجبل في طرفه، وله جسر خشب، فإذا قُطع تَعذَّر الوصول إليه، والعاصي خندقه.

وقال العماد الكاتب: الأُمراء بنو منقذ الكنانيون ملوكُ شَيْزر، أهل المجدِ والحَسَب، والفَضْلِ والأدب، والسَّماحة والفصاحة، والحماسة والحراسة، والإمارة والرِّياسة، اجتمعت فيهم أسباب السِّيادة، ولاحت من سيرتهم أسرار السَّعادة، وخلفوا المجدَ أولاً كآخر، وورثوا الفَضْلَ أصاغر عن أكابر، فأما الأدبُ فهم شموسُه المشرقة، ورياضُه المُونِقة، وحياضُه المُغدِقة، وأمّا النَّظْمُ فهم فُرْسان ميدانه، وشجعان فرسانه، وأرواح جُثْمانه، وما زالوا مالكي شَيْزر، معتصمين بحصانتها، ممتنعين بممانعتها حتى جاءت الزَّلزلة في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، فخرَّبت حِصنها، وأذهبَتْ حُسْنها، وتملَّكها نورُ الدين، فأعاد بناءها، وهذَّب أبناءها، وتشعَّبوا شُعَبا، وتفرَّقوا تفرُّقَ أيدي سبا(٢).

وحجَّ بالنَّاسِ من العراق قيماز.

---

(١) هذه الرواية ساقها ابن الأثير في «الباهر»: ١١٢ وفيها: فقصدوا الملك العادل نور الدين. فقوله هنا: «وقصدنا نور الدين» على أنها من تتمة قول أسامة، فيه لَبْس، وكلا العبارتين خطأ، لأن أسامة حين خرج هذه المرة من شيزر وهي سنة (٥٣٢هـ) قصد دمشق، وأقام بها ثماني سنين، ثم رحل منها إلى مصر سنة (٥٣٩هـ)، ولم يكن نور الدين قد ملك بعد، وقد اتصل أسامة بنور الدين بعد عوده من مصر سنة (٥٤٩هـ). انظر «الاعتبار» لأسامة ابن منقذ: (٢٧-٢٩) (طبعة السامرائي)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر: ٢/ ٧٠٢، وانظر «الروضتين»: ١/ ٣٥٥، ٢/ ٤٣٢

(٢) انظر «سنا البرق الشامي»: ١/ ٢٢٦-٢٢٧، و«الروضتين»: ٢/ ٤٣٢-٤٣٣ .

وفيها توفي

أحمد بن عمر أبو الليث السَّمَرْقَندي الحنفي(١)

كان حسنَ السَّمت، وصنَّف التَّصانيف الحِسان، وحَجَّ وعاد إلى بغداد، وودَّع الناس، وأنشد: [من مخلع البسيط]

يا عالم الغَيْب والشَّهادَه … منِّي بتوحيدك الشَّهادَهْ
أسأل في غُربتي وكَرْبي … منك وفاتي على الشَّهادَهْ

وخرج في قافلةٍ، فلمَّا كان قريباً من قُومِس، قَطَعَ قومٌ الطَّريق على القافلة، وقتلوا جماعةً من العلماء، وقتلوه شهيداً، رحمه الله

أحمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله(٢)

ولد سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة، ومن شعره دوبيت:

ساروا وأقام في فؤادي الكَمَدُ … لم يَلْقَ كما لقيتْ منهم أَحَدُ
شوقٌ وجَوًى ونارُ وَجْدٍ تَقِدُ … مالي جَلَدٌ ضَعُفْتُ مالي جَلَدُ(٣)

وقال: [دوبيت]

هذا ولهي وكم كَتَمْتُ الولها … صَوْناً لحديثٍ منْ هوى النَّفْس لها
يا آخِرَ محنتي ويا أوَّلها … أيامُ عنائي فيك ما أطولَها(٤)

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٧٧، و«الجواهر المضية»: ١/ ٢٢٦-٢٢٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٦، و«الطبقات السنية»: ١/ ٤٨١-٤٨٣، و«الفوائد البهية»: ٢٩.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٣٨٣-٣٨٦، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٢٧-٢٢٨، و«الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٠٣-٣٠٤، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٤٨٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٦، وقد ذكر العماد وابن خلكان أنه توفي سنة (٥٥٢هـ) أو (٥٥٣هـ). وكان شاعراً ماهراً.
وهو أخو الفقيه الشافعي محمد بن المبارك، وقد ترجم له ابن الجوزي في «المنتظم» ١٠/ ١٧٩-١٨٠ و "ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٢٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٧٦-١٧٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي: ١/ ٤٨٦-٤٨٧، و«الوافي بالوفيات» ٤/ ٣٨١، وذكروا وفاته في سنة (٥٥٢هـ) كذلك.

(٣) «خريدة القصر»: مج١/ ج٣/ ٣٨٤.

(٤) «خريدة القصر»: مج١/ ج٣/ ٣٨٥، «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٢٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وروايته في «الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٠٣ مثل رواية السبط، والصفدي غالباً ماينقل عنه دون أن يسميه.

الحسن بن جعفر بن حمزة، البَعْلبَكي الأَنْصاري[(١)]

ويعرف بابن بُرَيك، من ولد النُّعْمان بن بشير، نَظَرَ في وقف جامع دمشق، ومن شعره: [من الطويل]

أَحِنُّ إليكمْ كلَّما هَبَّتِ الصَّبا ... وأَسأَلُ عنكُمْ كلَّ غادٍ ورائحِ
وأذكُرُ ذاكَ المَوردَ العَذْبَ منكُمُ ... فَيغْلِبُني ماءُ الجفونِ القرائحِ
وكمْ ليَ منكُمْ أَنَّةٍ بعد زفرةٍ ... تُهيِّجُ وجْداً كامناً في الجوانحِ
كأنَّ فؤادي قد تذكَّر ما مضى ... بقُربكمُ تَغتالُه[(٢)] كفُّ جارحِ

وقال: [من الطويل]

بقلبيَ داءٌ من فِراقِ الحبائِبِ ... أمرُّ مذاقاً من هجومِ المصائِبِ
وفي كبدِي من لوعةِ البَيْنِ حرمةٌ ... لها في الحشا وخزٌ كلدغِ العقارِب
فهل لفؤادي من جَوى البَيْنِ راحةٌ ... أُبرِّدُ أَشْجاني بها ومشاربي
فما ليَ والدَّهرَ الخؤونَ كأنَّما ... جَنَيتُ فجازاني ببُعدِ الأقاربِ
أبى الدَّهرُ إلا شَتَّ شَمْلي وفُرقةً ... وروعةَ مَصحوبٍ لغيبةِ صاحِبِ
حَبَانيَ من بعدِ الأخِلاء جَفْوةً ... ولا سيَّما كون الحسودِ مُناصبي
سأطلبُ وَصلاً أو أموتُ بحَسْرَةٍ ... فَيَحمدُني بعد المذلَّة عائبي
سقى الله مَغْنى من شقيتُ لبينهمْ ... من الوابلِ الوَسْميِّ أعْذَبَ صايبِ
وقفتُ به أذْري دموعاً كأنَّما ... تحدَّرُ سُحْباً من جُفُون السَّحائبِ
وكَمْ لي بِهِ منْ أَنَّةٍ بعد وِقْفةٍ ... يَرِقُّ بها لي كلُّ ماشٍ وراكبِ
يقولون صَبراً علَّ ذا البَيْن ينقضي ... ويَسْعَدُ مُشتاقٌ برؤيةِ آيبِ
لعَمْريَ ما صَبْري مفيدِيَ راحةً ... ولكنَّه للبَينِ ضَربةُ لازِبِ
سهامُ الرَّزايا دَهرَها ترشُقُ الورى ... وجُمْلَتُها ما بين مُخْطٍ وصائِبِ
يزيدُ غرامي كلَّما هَبَّتِ الصَّبا ... وأصبُو إليكُمْ يا مُنى كلِّ طالبِ[(٣)]

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ٤/ ٤٢٠-٤٢٢، و«مختصره» لابن منظور: ٦/ ٣٢٣-٣٢٥.
(٢) كذا في (ع)، وهي كذلك في تاريخ «ابن عساكر»، وفي (ح) كتب تحتها بخط دقيق: فاغتاله، إشارة إلى أنها نسخة.
(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».

وقال أيضاً من شعره: [من مجزوء الرمل]

قابلِ البَلْوى إذا حَلَّـ ـتْ بصَبْرٍ ومَسَرَّهْ
فلعلَّ اللهَ أنْ يو ليكَ بعد العُسْرِ يُسْرَهْ
كم عَهِدْنا نكبةً حلَّـ ـتْ فولَّتْ بعد فتره
لن ينالَ الحازمُ النَّدْ بُ[1] مُنَى نَفْسٍ بقُدْرَهْ
لا ولا يَدْفَعُ عنهُ من صروفِ الدَّهرِ ذَرَّهْ
كلَّ يوم لكَ من دُنْـ ـياكَ بُؤْسٌ وَمَضَرَّهْ
والليالي ناتجاتٌ للورى هَمًّا وفِكْرَهْ[2]

وكانت وفاتُه ببَعلبك في المحرَّم.

السُّلْطان سنجر بن ملك شاه[3]

ابن ألب رسلان، أبو الحارث، وقيل اسمه أحمد، ويسمَّى بسنجر، لأنَّه ولد بسِنْجار في رجب سنة تسع وسبعين وأربع مئة حين توجَّه أبوه إلى غَزْو الرُّوم[4]، ونشأ ببلاد الخَزَر، وسكَنَ خُراسان، واستوطن مَرْو، وكان قد دخل بغداد مع أخيه محمد على المستظهر بالله، قال سنجر: لما وقفنا بين يديه ظن أنِّي أنا السُّلْطان، فافتتح كلامه معي، فخدمتُ وقلتُ: يا مولانا أميرَ المؤمنين السُّلْطان هو أخي. وأشرتُ إلى محمد، ففوَّض إليه السَّلْطنة، وجعلني ولي عهده.

فلما مات محمد خوطب سنجر بالسَّلْطنة، واستقام أمره، وكان عادلاً، وجلس على سرير الملك إحدى وأربعين سنة، وكان قبلها في مُلكٍ نحواً من عشرين سنة، وخُطِبَ

(١) الندب: الخفيف في الحاجة. «اللسان» (ندب).

(٢) في «تاريخ ابن عساكر»: وحسره، والأبيات فيه.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» ٥٢٨، و«الأنساب»: ٧/ ١٥٩، و«المنتظم» ١٠/ ١٧٨، «مختصر تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٣٦-٢٥٩، «الكامل»: ١١/ ٢٢٢-٢٢٣، و«الروضتين»: ١/ ٣٥٩-٣٦٠، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٤٢٧-٤٢٨، «الوافي بالوفيات»: ١٥/ ٤٧١-٤٧٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٦٢-٣٦٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ذكر السمعاني في «الأنساب»: أن العادة عند الأتراك أنهم يسمون أولادهم بأسماء المواضع.

له على عامَّة منابر الإسلام، وأسره الغُزُّ أربع سنين، ثم خَلَصَ، فجَمَعَ إليه أطرافَه بمَرْو، وكاد مُلْكُه يرجع إليه، فأدركَته المنيَّة يوم الاثنين رابع وعشرين ربيع الأول، ودفن بمرو في قُبَّةٍ بناها لنفسه سماها دار الآخرة.

وقال أبو سَعد ابنُ السَّمْعاني: دخلنا عليه في مَرَضِ موته في جماعةٍ من العُلَماء والمحدِّثين، فصافَحَنا بكلتا يديه، وسألنا الدُّعاء، وقال كلاماً بالفارسية معناه: ما يفي هذا بذاك. وبكى وبكينا لبكائه، ودُفِنَ في قُبَّته بمرو في مدرسته التي بناها.

وقيل: إنَّه مات بتِرْمِذ.

وروى الحديثَ عن النبيِّ ﷺ، وأصابه صَمَمٌ في آخر عمره، ولما بلغ خبره إلى بغداد قطعوا خُطْبته، ولم يقعدوا له في العَزَاء، فقعدت امرأةُ سليمان شاه له يوماً، فبعث الخليفة، فعزَّاها فيه، وأقامها من العزاء، واستقرَّ المُلْك بعده لابنِ أخيه أبي القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه[1].

عبد القاهر بنُ عليّ ابن أبي جَرَادة[2]

أبو البركات[3]، مخلِّص الدِّين الحلبي.

كان فاضلاً أميناً على خزائن نور الدِّين محمود بن زنكي، وتوفِّي بحلب في رمضان.

علي بن مَرْضي بن علي[4]

أبو الحسن، المَعَرِّي التَّنُوخي.

(١) كذا قال، وهو وهم، إذ إن محموداً هذا توفي سنة (٥٢٥هـ)، ولعل المراد هو محمود بن محمد الخان ابن أخت السلطان سنجر، فقد ولي خراسان عقب سنجر، وخلع سنة (٥٥٧هـ)، انظر «مختصر تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢٥٩، «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٢٨-٥٢٩، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢١٩-٢٢٣، و«معجم الأدباء»: ١٦/ ١٦-١٩، و«الروضتين»: ١/ ٣٦٠، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٤٩.

(٣) في (ع) و (ح): أبو المبرد، وهو تحريف، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ١٢/ ٥٤٢-٥٤٤، و «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٤٩.

سكَنَ دمشق، وعاد إلى حماة، فمات في الزَّلْزلة، ومن شِعْره: [من مجزوء الكامل]

لا تُــقْــدِمَــنَّ عــلــى الــمــظــا لِـمِ واقـصِ عـنـك الـظُّـلـمَ بُـعـدا
فـالـدَّهْـرُ قـد يُـعـدِي عـلـى مَـنْ كـان فـيـه قـد تـعـدَّى[1]

محمد بن عبد اللطيف بن محمد[2]

ابن ثابت، أبو بكر الخُجَنْدي، صَدْر الدِّين، من بيت الرِّياسة والفَضْل والتَّقْدمة بأصبهان.

قَدِمَ بغداد، ودَرَّس بالنِّظامية، ووعظ بها، وكان يجلس وحوله السُّيوف، وهو أشبه بالوزراء منه بالعلماء، وكان الملوك يَصدُرون عن رأيه.

خرج من بغداد يريد أصبهان، فبات بقريةٍ، فأصبح ميتاً في شوَّال، وحُمِلَ إلى أصبهان.

محمد بن عُبيد الله، أبو بكر ابن الزَّاغُوني[3]

ولد سنةَ ثمانٍ وستين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وكانت وفاتُه في ربيع الآخر، ودُفِنَ عند أخيه[4] بباب حَرْب.

محمد بن أبي الهيجاء الأَصبهاني[5]

قَدِمَ بغداد أيَّام المقتفي، فولاه عَرْضَ العساكر، وكان ذا دهاء، ومن شعره: [من الطويل]

إذا لـم أَنَـلْ فـي دولـة الـمَـرْءِ غـبـطـةً ولـم يَـغْـشَـنـي إحـسـانُـه ورعـايـتُـهْ
فـسِـيَّـان عـنـدي مـوتُـه وحـيـاتُـه وسِـيَّـان عـنـدي عَـزْلُـه وولايـتُـه[6]

وكانت وفاته ببغداد.

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصبهان: ١/ ٢٤٢ - ٢٤٥، و«المنتظم»: ١٠/ ١٧٩، و«الكامل»: ١١/ ٢٢٨، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٣٣-١٣٤ و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٨٦-٣٨٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٧٩، و«معجم البلدان»: ٣/ ١٢٧ ـ وفيه وفاته سنة (٥٥١هـ) ـ و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٧٨-٢٩٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) هو علي بن عبيد الله، المتوفى سنة (٥٢٧هـ)، وقد سلفت ترجمته في وفياتها.

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصفهان: ١/ ١٣٩-١٤٠، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ١٧٠.

(٦) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ١٤٠.

يحيى بن عيسى بن إدريس، أبو البركات الأنباري[١]

قرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، [وقرأ الأدب على الزّبيدي][٢]، وتفقه [على القاضي الحرَّاني][٢] وكان يعظ، فمن حين يَطْلُعُ المنبر إلى حين ينزل [الأرض][٢] لا يزال يبكي، وتعبَّد في زاويته خمسين سنة، وكان وَرِعاً، عَطِشَ يوماً فجيء بماءٍ [بارد][٢] من دور بعض القُضَاة، فلم يشرب.

وكانت له كراماتٌ، ودُعاء مستجاب، و[كانت له][٢] زوجة صالحة، فكانا يصومان الدَّهر، ولا يُفْطِران إلى بعد العشاء، وأولدَها أربعة أولاد، فسمَّاهم بأسماء الخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وكانت وفاتُه في ذي القَعدة، فقالت زوجته: اللهم لا تبقني بعده. فعاشت خمسة عشرة يوماً وماتت، وكانت قارئةً للقرآن، وأقرأته هي ويحيى لأولادهم، [سمع يحيى من عبد الوهَّاب الأنماطي وغيره][٢].

أبو العلاء بن [أبي][٢] النَّدى المَعَرّي[٣]

كان شاباً فاضلاً، [له مقطعات من الشعر][٢]، اخترمته[٤] المنية، وله خمس وعشرون سنة، في الزَّلْزلة. وقيل: توفي سنة إحدى وخمسين [وخمس مئة][٢].

ومن شعره في وصف شريفٍ لقبه بهاء الدِّين: [من الكامل]

من أين كان لكُنَّ ياحَدقَ المَهَا ... عِلْمٌ بنَفْثِ السِّحْرِ في عُقَدِ النُّهى
أَمْ مَنْ أعانَ البانَ في مُهَجِ الورى ... فَتْكاً فأصبحَ بالقنا مُتَشَبِّها
يبدو بوَجْهٍ كلَّما قابَلْتَه ... أهدى إليك من المحاسنِ أَوْجُها
فله على القمر المنير فضيلةٌ ... كفضيلةِ القمر المُنيرِ على السُّها
البَدْرُ يَقصُرُ أَنْ أُشَبِّهَهُ به ... والشَّمسُ تَصغُرُ أَنْ أُشَبِّهَهُ بها
أنتمْ بني الزَّهراءِ أَهْلُ الحُجَّةِ الز ... هْراءِ إنْ فَطِنَ المعانِدُ أَو سها
فلِامَ يُجحدُ في البَرِيَّة حقُّكمْ ... قد آنَ للوَسْنانِ أَنْ يَتَنَبَّها

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٠-١٨١ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٧١-٧٤ .

(٤) في (ش) احتوشته.

مــاذا أقــولُ ومــالــوَصــفِ عــلاكُــمُ حَـدٌّ ولا لـنُـهـاكُـمُ مـن مُـنـتـهـى
منـكُـمْ بـدا الـشَّـرفُ الـرَّفـيعُ جـميـعُـهُ وإلـى بـهـاءِ الـدِّيـن بـعـدكُـمُ انـتـهـى[1]

وقال أيضاً: [من البسيط]

لا غَـرْوَ إن كـان مَـنْ دونـي يـفـوزُ بـكـم وأَنْـثـنـي عـنـكُـمُ بـالـوَيْـلِ والـحَـرَبِ
يُـدْنـى الأراكُ فَـيُـمْـسـي وهـو مُـلْـتـثـمٌ ثَغْرَ الفتاةِ ويُلْقى العُودُ في اللَّهَبِ[2]

وقال في مروحة[3]: [من المتقارب]

وقــابــضــةٍ بــعــنــانِ الــنَّــســيــم تُــصَــرِّفُــه كــيــفَ شــاءَتْ هُــبــوبــا
إذا أقــبــلَ الــقَــرُّ كــانــتْ عــدوًّا وإنْ أقـبـلَ الـصَّـيـفُ كـانـت حـبـيـبـا[4]

السَّنة الثالثة والخمسون وخمس مئة

فيها اتَّفق محمد شاه، وأخوه ملك شاه، وأمدَّه بعسكرٍ، فسار إلى خُوزستان ففتحها، وأبعد عنها شملة التُّرْكماني.

وخَرَجَ الخليفةُ إلى مشهد الحسين عليه السَّلام، فزاره، وأحسن إلى المقيمين به، ومضى إلى واسط، وأزال المكوسَ عنها، ونَظَر في أمر الرَّعية، وعاد إلى بغداد، وخَلَعَ على قويدان، وبعثه إلى بلاد البقش، فنافق، ومضى إلى ملك شاه، وقَبَضَ الخليفة على منكورس نائب السُّلْطان سنجر ببغداد، واستصفى أمواله، وأموال سنجر، وكانت عظيمةً.

وفيها نازل نورُ الدِّين قلعة حارم، وأقام عليها أيَّاماً، فلم يَقْدر عليها، فرحل عنها، ثم عاد بعد ذلك، فحصرها وفتحها، [وسنذكره][5].

وفي سَلْخ صفر نزلتِ الفرنج على داريَّا، فأحرقوها ونهبوها، وكانوا جاؤوا بغتةً، وخرج إليهم أحداثُ دمشق فقاتلوهم، فأقاموا إلى الليل ورحلوا، وأحرقوا جامعها، وعادوا على الأقليم.

وحَجَّ بالنَّاس قيماز.

(١) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٧١-٧٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٧٢-٧٣ .

(٣) في (م) و (ش): ومن شعره في مروحة.

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٧٣ من جملة أبيات مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٥) ما بين حاصرتين من في (م) و (ش)، وانظر حوادث سنة (٥٥٩هـ).

[قال جدي: كنت في الحج، وتكلمت في مكة والمدينة، ووقفت العرب للحجِّ في الطريق، فسار بنا الدَّليل على طريق خَيْبر، فرأيت من الجبال وغيرها العجائب[١].

قلتُ: رحمه الله، ما رأى جبل لبنان ولا جبل الثَّلج، ولا عَقَبَة فِيْق وإبريق وأَيْلة[٢] وغيرها][٣].

وفيها توفي

أحمد بن إسماعيل بن أحمد[٤]

أبو علي المكين، العارض، الأَصبهاني، وزير يرنقش الزَّكوي[٥]، ثم صار عارِضَ جيش مسعود، وترشح لوزارته، فقصده وزيره، فلحق بخراسان، وأقام عند سنجر، فلمَّا تَمَّ على سنجر ما تم[٦]، عاد إلى أصبهان، وأقام بها، ووقف كُتُبَه بجامعها، ومن شعره: [من الكامل]

إنِّـي وإنْ شَـطَّ الـمَـزَارُ وبـدَّدَتْ ... أيـدي النَّـوائِبِ شَـمْـلَـنـا الـمَـنْـظُـوما
لـم أَخْـلُ مـن حُـسْـنِ الـثَّـنـاء عـلـيـكُـمُ ... مُـذْ غـبـتُ عـنـكـم ظـاعِـنـاً ومـقـيـمـاً[٧]

وكانت وفاتُه بأَصبهان، وهو شيخٌ كبير.

ومدحه إسماعيل ابن أبي نَصر بن عَبْديل الأصبهاني[٨]، فقال: [من المجتث]

لــه شِـعْـبُ الـبِـطـاحِ ... مـغـروزاً بـالأقـاحـي
ريـاضُـه بـالـنُّـعـامـى ... مُـعَـطَّـراتُ الـنَّـواحـي

---

(١) انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٨٢.

(٢) جبل لبنان معروف، وجبل الثلج هو جبل حرمون المعروف بجبل الشيخ، وعقبة فيق هي التي يشرف منها على طبرية وبحيرتها، وأيلة هي على البحر الأحمر، وتعرف بإيلات. أما إبريق فلم أقف عليها.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء أصفهان: ١/ ١٤٠-١٤١، و«الوافي بالوفيات»: ٦/ ٢٥٢-٢٥٣، وفيه وفاته سنة (٥٤١هـ).

(٥) في (ع) التركي، وفي (ح) الركني، وكلاهما تحريف، ويرنقش هذا كان صاحب أصفهان، وكان أيضاً شحنة بالعراق، وهو خادم أرمني لبعض التجار، وقد سلفت أخباره فيما سلف، وتوفي سنة (٥٤٠هـ)، وانظر «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ١٠٦.

(٦) يعني انهزام سنجر من الغز، وأخذه أسيراً، وقد سلف ذلك في حوادث سنة (٥٤٨هـ).

(٧) البيتان في «خريدة القصر»: ١/ ١٤١.

(٨) شاعر أصبهاني، توفي سنة (٥٤٣هـ)، وقد ترجم له العماد الكاتب في «الخريدة» قسم شعراء أصبهان: ١/ ١٤١-١٤٤ وقال فيه: كان من أشعر شعراء أصبهان وأفرههم، وعنه نقل الصفدي في «الوافي بالوفيات»: ٩/ ٢٣١-٢٣٣.

يـسـيـل فـي سـاحـتَـيْـهـا سَـلْـسـالُ مـاءٍ قَـراحِ
وأيـكـةُ الـوَرْدِ تُـزْهـي بـخـاطـبـاتٍ فِـصـاحِ
ولـلـغُـصُـونِ اخـتـيـالٌ مِـثْـلُ اخـتـيـالِ الـمِـلاحِ
والـنَّـرْجِـسُ الـغَـضُّ يـحـكـي أَعْـطـافَ سـكـرانَ صـاحِ
عـزائـمٌ هـي أمـضـى مـن الـقَـضَـاءِ الـمُـتـاحِ
لـمَّـا مـدحـتُ عُـلاه قَـرَعْـتُ بـابَ الـنَّـجـاحِ
قـد رامَ شـأْوَكَ قـومٌ فـمـا احـتَـظَـوْا بـفـلاحِ
أَأَعْـزلٌ يـتـمـنَّـى إقـدامَ شـاكـي الـسِّـلاحِ[(١)]

عبد الأوَّل بن عيسى[(٢)]

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق، أبو الوقت، الهَرَوي المَنْشأ، السِّجزي[(٣)] الأصل.

ولد سنة ثمانٍ وخمسين وأربع مئة، وحمله أبوه من هَرَاة إلى بُوشَنْج[(٤)] على [عاتقه][(٥)]، فسمع «صحيح البخاري» وغيره. وقَدِمَ بغداد، فألحق الصِّغار بالكبار، وكان كثير التَّعبد والتهجُّد والبكاء، على سَمْتِ السَّلَف، وعَزَمَ على الحج في هذه السنة، وهيّأ ما يحتاج إليه، فأصبح ميتاً.

قال أبو عبد الله [محمد بن][(٦)] الحسين التكريتي: أَسْنَدْتُه في مرضه إليَّ، فكان آخرَ كلمةٍ قالها: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]

ودُفِنَ بالشُّونِيزية عن نيف وتسعين سنة.

---

(١) الأبيات في «خريدة القصر»: ١/ ١٤٢-١٤٣

(٢) له ترجمة في «الأنساب»: ٧/ ٤٧، «المنتظم»: ١٠/ ١٨٢-١٨٣، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٧٤-٧٦، و«الكامل» لابن الأثير: ١١/ ٢٣٩، و«اللباب»: ٢/ ١٠٥، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٢٦-٢٢٧ : و«سير الأعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٠٣-٣١١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) نسبة إلى سجستان على غير قياس، وهي إحدى البلاد المعروفة بكابل، انظر «الأنساب»: ٧/ ٤٧، و«بلدان الخلافة الشرقية»: ٣٧٢ .

(٤) بين هراة وبوشنج عشرة فراسخ. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٥٠٨ .

(٥) في (ع) و (ح) عنقه. والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»، وهو الصواب.

(٦) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٨٣، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٧٥، والخبر فيهما.

عبد الرَّحمن بن مُدْرِك(١)

ابن علي، أبو سَهْل التَّنوخي.

كان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، قَدِمَ دمشق ومصر، وعاد إلى حماة، فأقام بها إلى أن توفي بها في الزَّلْزلة، ومن شعره: [من الوافر]

كأنَّ دمشقَ أفلاكٌ تدورُ ... تلوحُ بها الشُّموسُ أو البدورُ
وأيَّ محلَّةٍ قابلتَ منها ... رأيتَ كواكباً فيها تدورُ(٢)

قال أبو اليُسْر شاكر بن عبد الله(٣): كَتَبَ إليَّ أبو سَهْل من حماة وأنا بالمعرَّة: [من مجزوء الكامل]

لا بُدَّ أنْ أشكو الذي ... لاقيتُ من ألم الفِراقِ
وأبثَّ وَجْدي ما استطعـ ... ـتُ وطولَ وَجْدي واشتياقي
فلعلَّ علَّامَ الغُيو ... بِ وخالقَ السَّبعِ الطِّباقِ
يقضي لنا بتجمُّعٍ ... أبداً على الأيَّامِ باقِ
ويعيدُ أيَّامَ المسـ ... ـرَّةِ بالمَعرَّةِ والتَّلاقِ
وعساه يأذَنُ لي إليـ ... ـها عن قريبٍ بانطلاقِ
ما للمعرَّة مُشْبِهٌ ... في أرضِ مِصرَ ولا العِراقِ(٤)

قال أبو اليُسْر: فكتبتُ إليه: وقفتُ ـ أطال الله بقاء حضرة مولاي القاضي الأجل ـ على ما سَنَحَ به خاطره الشَّريف من نفائس دُرَره، وغرائبِ غُرره، فقلتُ عَجِلاً، وتنهدتُ مرتجلاً، وإن لم تكن مثل أبياته الوافية، ومعانيه الشَّافية، فقد لزمت الوزن والقافية: [من مجزوء الكامل]

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ١٠/ ١٧٩-١٨٢، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٤٦-٤٧، و«الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) البيتان في «تاريخ ابن عساكر»: ١٠/ ١٧٩ مع اختلاف في بعض ألفاظه.

(٣) ولد في شيزر سنة (٤٩٦هـ)، وتولى كتابة الإنشاء لعماد الدين زنكي، ثم لابنه نور الدين، وتوفي في دمشق سنة (٥٨١هـ)، وانظر «الروضتين»: ٢/ ٢٩.

(٤) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٠/ ١٨٠.

يــا شــاكــيــاً ألــمَ الــفِــراقِ ... هــيَّــجْــتَ وجَــدْي واشْــتــيــاقــي
وقَــدَحْــتَ زَنْــدَ صــبــابــتــي ... أفــمــا اتــقَــيْــتَ مــن احــتــراقــي
وأَفَــضْــتَ مــن تــامــور(١) قَــلْــ ... ـبي كــالــعــقــيــقِ مــن الــمــآقــي
قــد نــالــنــي لــلــبَــيــن مــا ... نــال الــهِــلالَ مــن الــمُــحَــاقِ
فــاحْــرِص بــأنْ تُــحــيــي وَلِــيَّــ ... ـكَ عــن قــريــبٍ بــالــتَّــلاقِ

من أبيات(٢).

محمد بن يوسف بن عمر(٣)

أبو عبد الله الكَفْرطابي، نزيل شيزر، ومن شِعْره: [من مجزوء الرجز]

يــا قــوم خــابَ مَــطْــلَــبــي ... لا واخَــذَ الــلَّــه أبــي
لأَنَّــه دَرَّســنــي ... أصــنــافَ عِــلْــمِ الأَدَبِ
وعــنــده أنِّــي بــهــا ... أحــوي جــزيــلَ الــنَّــشَــبِ(٤)
فــمــا أفــادَتْــنــي ســوى ... حِــرْفَــةِ(٥) أهــلِ الأَدَبِ
فــلــيــتــه دَرَّبــنــي ... فــي الــطِّــيْــنِ أو فــي الــحــطــبِ
ولــيــتَــهُ عَــلَّــمــنــي ... صــنــعــتَــهُ وَهْــو صــبــي
زكــالــش(٦) الــحــاكــةِ لا ... مــســائِــلَ الــمُــقْــتَــضَــبِ(٧)

(١) التامور: الدم. «معجم متن اللغة»: ١/ ٤٠٧.
(٢) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٠/ ١٨٠-١٨١.
(٣) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: ١٦/ ١٤٨، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١/ ٥٧٣-٥٧٤: و«معجم الأدباء»: ١٩/ ١٢٢-١٢٣، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ٢٤٧-٢٤٨، و«بغية الوعاة»: ١/ ٢٨٥، وفي «معجم الأدباء» وفاته سنة (٤٥٣هـ)، وفي البغية (١٥٣هـ)، وكلاهما وهم.
(٤) النشب: المال والعقار. «اللسان» (نشب).
(٥) الحرفة والحُرْف الاسم من قولك رجل محارف: أي منقوص الحظ، لا ينمو له مال. انظر «اللسان» (حرف).
(٦) هو غناء الحاكة، وقد استفدت ذلك من ترجمة أبي منصور بن نقطة المزكلش، المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، فقد جاء في ترجمته أنه كان يزكلش في الأسواق: يعني ينشد كان وكان، وهو ضرب من المواليا في العامية البغدادية. انظر «المذيل على الروضتين»: ١/ ١١٤-١١٥ بتحقيقي.
(٧) المقتضب هو من كتب أبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ)، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق العلامة محمد عبد الخالق عضيمة سنة ١٩٦٦م، وهو أحد أئمة العربية في زمانه.

تــبًّـا لــدَهْــرٍ أصــبــحــتْ صــروفُــه تــلــعــبُ بــي
كــأنَّــه ولــيــدةٌ لاعــبــةٌ بــالــلُّــعَــبِ[1]

وقال يهنِّئُ ابنَ مُنْقِذ صاحب شَيْزَر بمولود: [من البسيط]

يا من هو الليثُ لولا حُسْنُ صورتِهِ ومَنْ هو الغَيْثُ إلا أَنَّه بَشَرُ
ومَنْ هو السَّيفُ إلا أَنَّ مَضْرِبَهُ لا يَنْثني ويَكِلُّ الصَّارِمُ الذَّكَرُ
ومَنْ هو البحر إلا أَنَّ نائِلَهُ سَهْلُ المَرَام وهذا نَيْلُه عَسِرُ
هُنِّيْتَ بالولدِ الميمونِ طائرُهُ وعاشَ في ظِلِّ عَيْشٍ ماله قِصَرُ
فقد تباشرتِ الخيلُ العِتاقُ به والمَشْرَفِيَّةُ والعَسَّالةُ السُّمُرُ
عِلْماً بأَنْ سوفَ يُوليها بخِدْمتِهِ فَخْراً يُقصِّرُ عنه البَدْو والحَضَرُ
أليسَ مولِدُهُ فيكُمْ ومنشؤه منكُمْ وذلكَ فَخْرٌ دونه مُضَرُ
لا زال عِزُّكُمُ ينمو ومَجْدُكُمُ يَسْمو وفَضْلكُمُ في النَّاس مُشْتَهِرُ[2]

وكانت وفاته في رمضان

محمود بن محمد بن مسلم الشروطي البغدادي[3]

له ديوان، ومن شعره: [من الرجز]

أَلِفْتُها ولِلْحُدا تغريدُ عن رامةٍ[4] إنْ وَصَلَتْ زَرُوْدُ[5]
ولاحَ بَرْقٌ من ثَنِيَّاتِ الحِمى تُشِيْمُهُ للأَعْيُنِ الرُّعودُ
فمالتِ الأعناقُ منه طَرَباً كما يُميْلُ النَّاشِدَ المَنْشُودُ
في كلِّ يومٍ للفراقِ روعةٌ وللرِّكابِ سائِقٌ غِرِّيْدُ
هيهاتَ يُخفي ما به مُتَيَّمٌ دموعُهُ بوجدِهِ شهودُ
مجتمعُ الأضْدادِ من جُفُونِهِ بحرٌ ومِنْ أحشائِهِ وَقُودُ
عادَ الهوى فليتَ أيامَ الصِّبا مِثْلُ الهوى كما مَضَتْ تعودُ

(١) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر».
(٢) الأبيات في المصدر السالف.
(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج١/ ٢٩٢-٣٠٧.
(٤) رامة: منزل في طريق مكة، بينه وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. انظر «معجم البلدان»: ٣/ ١٨.
(٥) زرود: رمال بالبادية بطريق الحاج من الكوفة. انظر «معجم البلدان»: ٣/ ١٣٩.

رُدُّوا الصِّبا كرَدِّ طَرْفٍ لحظةٍ إنَّ الصِّبا زمانُهُ حميدُ
وخلِّصُوني مِنْ تكاليفِ الهوى إنَّ الهوى عذابُهُ شديدُ
أَوْ لا فنادُوا ثُمَّ بيْعوا مُهْجتي بنظرةٍ فيمن عسى يزيدُ[1]

وقال في المشيب: [من الطويل]

تعمَّمَ رأسي بالمشيبِ فساءَني وما سرَّني تَفْتيحُ نَوْرِ بياضِهِ
وقد أبصرتْ عيني خطوباً كثيرةً فلم أرَ خَطْباً أسوداً كبياضِهِ

وكانت وفاة محمود في رجب.

وقال أيضاً: [من الكامل]

أعنِ العقيقِ سألتَ بَرْقاً أوْمضا أأقام حادٍ بالرَّكائِبِ أو مضى
إنْ جاوز العَلَمَيْنِ من سِقْطِ اللِّوى بالعِيْسِ لا أفضى إلى ذاك الفضا[2]

وقال أيضاً: [من المديد]

حَيٌّ جيراناً لنا رحلوا فَعَلوا بالقَلْبِ ما فعلوا
رحلوا عنَّا فكم أَسَروا بالنَّوى صَبًّا وكمْ قَتَلُوا
مَنْ لِصَبٍّ ماتَ من كَمَدٍ طَرْفُهُ بالدَّمْعِ مُنْهَمِلُ
فَهْو من شَذْوِ الهوى طَرِبٌ وَهْو من خَمْرِ الهوى ثَمِلُ
واقِفٌ بالدَّارِ يَسْأَلُها سَفَهاً لو يَنْطِقُ الطَّلَلُ
لو تُجيبُ الدَّارُ مُخْبِرة أينَ حَلَّ القومُ وارْتحلوا
لتشاكينا على مَضَضٍ نحن والأوطانُ والإبلُ
غَرَّدَ الحادي بِبَينهُمُ فله يومَ النَّوى زَجَلُ
يا شموساً في القِباب ضحًى حَجَبَتْها دوننا الكِلَلُ[3]
عُجْنَ بالصَّبِّ المَشُوقِ فقد شَفَّه يومَ النَّوى خَبَلُ[4]

---

(١) الأبيات في «الخريدة»: ج١/ ٢٩٩-٣٠١.
(٢) البيتان في «الخريدة»: ج١/ ٢٩٧.
(٣) الكلل جمع، مفردها الكِلَّة: وهي ستر رقيق يتوقى به من البعوض. «معجم متن اللغة»: ٥/ ٩٦.
(٤) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٢٩٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وكان لمحمود أخٌ يقال له أبو المعالي بن محمد[١]، مات بعد سنة خمسٍ وأربعين وخمس مئة، وهو القائل: [من الكامل]

نـادى مـنـادي الـبَـيْـنِ بـالـتَّـرْحـالِ ... فـلـذلـك الـمـعـنـى تـغـيَّـر حـالـي
زُمَّـتْ ركـابُـهُـمُ فـلـمَّـا ودَّعـوا ... رفـعـوا عـلـى الأجـمـال كـلَّ جَـمـالِ
فَـجَـرَتْ دموعٌ في خدودٍ خِلْتُها الـ ... ـيـاقـوتَ قـد نُـثِـرَتْ عـلـيـه لآلـي
وتـفـرَّقَ الـشَّـمْـلُ الـمَـصُـونُ وقـبـلَ ذا ... لـم يـخـطُـرِ الـبَـيْـنُ الـمُـشِـتُّ ببالي[٢]

نَصر بن منصور بن الحسين[٣]

ابن أحمد، أبو القاسم، الحَرَّاني، والد ظهير الدِّين أُستاذ دار المستضيء.

ولد بحرَّان سنة أربعٍ وثمانين [وأربع مئة][٤]، وكان تاجراً، كثير المال، غزيرَ النَّوال، قارئاً للقرآن، محافظاً على الجماعات، يكسو العُراة، ويَفُكُّ الأسارى، ويَبَرُّ العلماء والفُقَراء، ويتفقَّدُ أربابَ البيوت، ويسمعُ الحديث، ويزور الصالحين، [وكان خِصِّيصاً بجدِّي رحمه الله، ويحسن إليه][٤]، ومات ببغداد.

[وله وقائع ذكر جدِّي في «المنتظم» منها واقعة، فقال: حدثني[٥]] أبو محمد العُكْبري: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام: فقلتُ: يا رسولَ الله، امسح بيدك على عيني، فإنَّها تؤلمني. فقال: اذهب إلى نَصر بن العَطَّار يمسح على عينك. فقلتُ في نفسي: أَدَعُ رسولَ الله ﷺ، وأمضي إلى رجلٍ من أبناء الدُّنْيا! وعاوَدْتُه القولَ، وقلتُ: يا رسول الله، امسح على عيني. فقال لي: أما سَمِعْتَ الحديث «إنَّ الصدقة لتقع بيد الله قبل أن تقع بيد السَّائل[٦]» وهذا نَصرٌ قد صافحت يدُه يدَ الحق، فامضِ إليه، [قال][٤]: فانتبهتُ، ومضيتُ إليه، فلما رآني قام

(١) له ترجمة في «خريدة القصر»: قسم شعراء العراق: ١/ ٣٠٨-٣١١.
(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١/ ٣٠٩.
(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٣، وهو في «المنتظم»: نصر بن منصور بن الحسن.
(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٥) في (ع) و (ح): ومات ببغداد، قال أبو محمد العكبري... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).
(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: ٤/ ٨١ عن طريق عمرو بن الحصين العقيلي عن ابن علاثة، عن ثور، عن وهب بن منبه، عن كعب، عن فضالة بن عبيد مرفوعاً، وقال أبو نعيم: غريب من حديث وهب بن منبه لم نكتبه إلا من حديث ابن علاثة عن ثور. قلت: عمرو بن الحصين متروك الحديث. =

حافياً، وقال: الذي رأيته في المنام قد تقدَّم في حقِّك بشيء. وقرأ على عيني الفاتحة، والمعوِّذتين، فسكَنَ الألم، ووجدتُ العافية.

[قلتُ: وحكى لي جماعة من مشايخنا أن إحدى عيني نَصر ذهبت][1] قال: فخرجت يوماً إلى جامع السُّلْطان لأصلي الجمعة، فجلست على جانب دِجْلة لأتوضأ، وإذا بفقيرٍ عليه أطمارٌ رثة، وهو جالسٌ على دِجْلة، فتقدَّمْتُ إليه، وقلتُ: امسحْ على عيني الذاهبة، فمسح على عيني الذاهبة، فعادت صحيحة كما كانت. [قال][2]: وفي كُمِّي مِنْديلٌ فيه دنانير، فأخرجتُ المِنْديل، ودفعتُه إليه، فقال: مالي به مِنْ حاجةٍ، إنْ كان معك رغيفُ خُبْز فَنَعَمْ. [قال][2]: فقمتُ واشتريتُ له خُبزاً، ورجعت، فلم أره. فكان نَصرٌ بعد ذلك لا يمشي إلا وفي كُمِّه الخبز إلى أن مات.

[ومنها أنه][2] كان يأتي إليه في كلِّ سنة فقيرٌ في دار القَزّ، فيعطيه من الزَّكاة خمسة دنانير، ومَضَتْ مُدَّة، فلم يذهب إليه، فعَبَر ذلك الفقيرُ يوماً إلى خان الخشبة وتحت يده مِنْديل فيه ثيابٌ عتَّابي[3]، ونَصر جالسٌ في الخان، فناداه: يا فقير، تعال خُذْ رسمك، فقال له: أنا اليوم لا تجب عليَّ الزكاة. قال: وكيف؟ قال: الخمسة دنانير التي أعطيتني اتَّجرت بها، فصارت عشرين ديناراً. فبكى نصر، وقال: الحمد لله على هذه النِّعْمة.

[قلت][4]: وسمعتُ جماعةً من أهل بغداد يحكون أَنَّ نَصراً اشترى مملوكاً بألف دينار، وأعطاه بضاعة بألف دينار، وجهزه إلى بلاد الترك، وكان جدي قد صنف

= وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢١٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٢٥) من طريق شريك بن عبد الله النخعي، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، مرفوعاً، وشريك، ويزيد ضعيفان.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٤٧) عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن قتادة المحاربي عن ابن مسعود موقوفاً. عبد الله بن قتادة المحاربي ذكره ابن حبان في «ثقاته»، وقال: روى عنه أهل الكوفة.

(١) في (ع) و (ح): ووجدت العافية، وذهبت إحدى عيني نصر، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) نسبة إلى العتابيين، إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها، اشتهرت بالنسيج المخطط. انظر «وفيات الأعيان»: ٤/ ٣٨٩، و«تكملة المعاجم العربية» لدوزي: ٧/ ١٣٩-١٤٠ .

(٤) في (ع) و (ح) قال المصنف رحمه الله، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

«كتاب المُغَفَّلين» فكتَبَ نَصراً فيه، وبلغ نَصراً، فعاتبه، وقال: أنا من جُمْلة المحبِّين والمتعصِّبين لك، وأنتَ تلحقني بالمُغَفَّلين! فقال له جَدِّي: بلغني كذا وكذا، وكيف يعود إليك المملوك، وقد صار ببلاده ومعه ألف دينار! فقال نَصر: فإن عاد. فقال جَدِّي: أمحو اسمك وأكتُبُ اسْمَه.

يحيى بن سلامة(1)

ابن الحسين بن محمد، أبو الفَضْل الحَصكَفي [الشَّاعر الفاضل](2).

ولد بطَنْزَة ـ مدينة صغيرة بديار بكر ـ [بعد الستين وأربع مئة](2)، ونشأ بحِصن كَيْفا، وانتقل إلى مَيَّافارقين، وكان إماماً في كلِّ فن، [وكان يفتي](2) في المذاهب، ويقول الشِّعر [اللطيف](2)، ويترسَّل [الرَّسائل البليغة](2)، وله مدائح في أهل البيت عليهم السَّلام، وقَدِمَ بغداد، وقرأ شيئاً من شعره ومقاماته على الخطيب أبي زكريا التِّبْريزي، فكَتَبَ على كتابه: قرأ عليَّ الرَّئيس الفاضل ما يدخل الأُذُن بلا إذن.

وكانت وفاته في ربيع الأول بميافارِقِين [من هذه السنة، والله أعلم](2).

ومن شعره يمدَحُ أهلَ البيت عليهم السَّلام والرحمة(3): [من الرجز]

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجَلَدُ ... رَبْعان كلٌّ بعد سَكْنٍ فَدْفَدُ
أَسألُ عن قلبي وعن أحبابِهِ ... ومِنْهُمُ كلُّ مُقِرٍّ يَجْحَدُ
فهل تُجيبُ أَعْظُمٌ باليةٌ ... وأَرْسُمٌ خاليةٌ مَنْ يَنْشُدُ
كأنَّني بين الطُّلولِ واقِفٌ(4) ... أَنْدُبُهُنَّ الأَشْعَثُ المُقَلَّدُ

(1) له ترجمة في: «الأنساب»: ٤/ ١٥٤، ٨/ ٢٥٦-٢٥٧، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٤٧١-٥٤٠، و«المنتظم»: ١٠/ ١٨٣-١٨٨، «معجم البلدان»: ٤/ ٤٤، و«معجم الأدباء»: ٢٠/ ١٨-١٩، و«الكامل في التاريخ»: ١١/ ٢٣٩-٢٤٠، و«وفيات الأعيان» ٦/ ٢٠٥-٢١٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٢٠-٣٢١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(2) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(3) في (ع): يمدح أهل البيت عليهم الرحمة، والصلاة والسلام عليهم أجمعين، والمثبت من (ح).

(4) في «الخريدة»: واقفاً.

صاحَ الغُرابُ فكما تحمَّلوا مشى بها كأنَّه مُقَيَّدُ
يَحْجُلُ في آثارهمْ بَعدَهُمْ بادي السِّماتِ أبْقَعٌ وأسْوَدُ
لبِئْسَ ما اعْتاضَتْ وكان قَبْلَها يَرْتَعُ فيها ظَبياتٌ خُرَّدُ
ليتَ المطايا للنَّوى ما خُلِقَتْ ولا حَدا مِنَ الحُداةِ أحَدُ
رُغاؤهم وحَدْوُهُمْ ما اجْتَمَعا للصَّبِّ إلا ونَجاه[1] الكَمَدُ
تقاسموا يومَ الوداعِ كَبِدِي فليس لي منذ تولَّوْا كَبِدُ
عن[2] الجفونِ رَحَلوا وفي الحشا تقيَّلوا[3] وماءَ عَيْني وَرَدُوا
فأدْمُعي مسفوحةٌ وكَبِدِي مقروحةٌ وغُلَّتي ما تَبْرُدُ
وصَبْوتي دائمةٌ ومُقْلتي داميةٌ ونَوْمُها مُشَرَّدُ
تَيَّمني منهمْ غزالٌ أغْيَدُ يا حبَّذا ذاكَ الغَزالُ الأغْيَدُ
حُسامُهُ مجرَّدٌ وصَرْحُهُ مُمَرَّدٌ وخَدُّه مُوَرَّدُ
أيقنتُ لمَّا أنْ حدا الحادي بهمْ ولم أمُتْ أنَّ فؤادي جَلْمَدُ
كنتُ على القُرْبِ كئيباً مُغْرماً صَبّاً فما ظنُّكَ بي إذْ بَعُدُوا
هُمُ الحياةُ أعرقوا أمْ أشْأموا أم أيْمنوا أم أتهموا أم أنجدُوا
ليَهْنِهِمْ طِيْبُ الكرى فإنَّه حَظُّهُمُ وحَظُّ عَيْني السَّهَدُ
نَعَم تولَّوا بالفؤادِ والكَرَى فأين صَبْري بعدَهُمْ والجَلَدُ
لولا الضَّنى جَحَدْتُ وجْدي بهُمُ لكنْ نُحولي بالغَرَامِ يَشْهَدُ
ليس على المُتْلِفِ غُرْمٌ عندهُمْ ولا على القاتلِ عَمْداً قَوَدُ
وسائِلٍ عن حُبِّ أهْلِ البَيْتِ هل أقرُّ إعلاناً به أمْ أجْحَدُ
هيهاتَ ممزوجٌ بلحمي ودمي حُبُّهُمُ وهْو الهُدى والرَّشَدُ

(١) نجاه: أي سارَّه وناجاه، وفي «الخريدة»: شجاه.
(٢) في (ع) و(ح): على، وكذلك في «المنتظم»، والمثبت من «الخريدة».
(٣) في (ع) و(ح): تقلبوا، والمثبت من «المنتظم» و«الخريدة».

حَـيْـدَرةٌ والـحَـسَـنـانِ بـعـده ثُـمَّ عـلـيٌّ وابـنُـهُ مـحـمَّـدُ
وجـعـفـرُ الـصَّـادِقُ وابـنُ جـعـفـر مـوسـى ويَـتْـلُـوه عـلـيٌّ الـسَّـيِّـدُ
أعنِّي الـرِّضـا، ثـم ابـنُـهُ مـحـمـدٌ ثُـمَّ عـلـيٌّ وابـنُـهُ الـمُـسَـدَّدُ
والـحـسـن الـتـالـي ويـتـلـو تِـلْـوه مـحـمـدُ بـنُ الـحـسـنِ الـمُـفْـتَـقَـدُ
فـإنَّـهـم أئِـمَّـتـي وسـادتـي وإنْ لـحـانـي مَـعْـشـرٌ وفـنَّـدوا
هُـمْ حُـجـجُ الـلـه عـلـى عـبـادِهِ وهُـمْ إلـيـه مَـنْـهَـجٌ ومَـقْـصِـدُ
قوم أتى في ﴿هل أتى﴾[1] مديحُهُمْ مـا شَـكَّ فـي ذاك إلا مُـلْـحِـدُ
قـومٌ لـهـم فـي كـلِّ أرضٍ مـشـهـدٌ لا بـل لـهـمْ فـي كـلِّ قَـلْـبٍ مَـشْـهَـدُ
قـومٌ مِـنـى والـمَـشْـعـرانِ لـهُـمُ والـمَـرْوتـان والـصَّـفـا والـمَـسْـجِـدُ
قـومٌ لـهـمْ مـكَّـةٌ والأَبْـطـحُ والـ ـخَـيْـفُ وجَـمْـعٌ والـبـقـيـعُ الـغَـرْقَـدُ
مـا صَـدَقَ الـنَّـاسُ ومـا تـصـدَّقـوا مـا نَـسـكُـوا أو أَفْـطَـروا أو عَـيَّـدوا
لـولا رسـولُ الـلـه وهـو جَـدُّهُـمْ وحَـبَّـذا الـوالِـدُ ثُـمَّ الـوَلَـدُ
ومَـصْـرع الـطَّـفِّ[2] فـلا أذكُـرُه فـفـي الـحـشـا مـنـه لـهـيـبٌ يـقِـدُ
يـرى الـفـراتُ ابـنَ الـبَـتُـولِ ظـامـئـاً يـلـقـى الـرَّدى وابـنُ الـدَّعـيِّ يَـردُ
حَـسْـبُـك يـا هـذا وحَـسْـبُ مـن بـغـى عـلـيـهـمُ يـومَ الـمَـعَـادِ الـصَّـمَـدُ
يـا أهـلَ بـيـتِ الـمُـصـطَـفـى يـا عُـدَّتـي ومَـنْ عـلـى حُـبِّـهـمُ أَعْـتَـمِـدُ
أنـتـمْ إلـى الـلـه غـداً وسـيـلـتـي فـكـيـف أشـقـى وبـكـم أَعْـتَـضِـدُ
ولـيُّـكُـمْ فـي الـخُـلْـد حـيٌّ خـالـدٌ والـضِّـدُّ فـي نـارِ لـظًـى مُـخَـلَّـدُ
ولـسـتُ أَهْـواكُـمْ بـبُـغْـضِ غـيـرِكُـمْ إنِّـي إذاً أشـقـى بـكُـمْ لا أَسـعَـدُ
مـحـمـدٌ والـخُـلَـفـاءُ بـعـده أفـضـلُ خَـلْـقِ الـلـه فـيـمـا أَجِـدُ

(١) إشارة إلى ما ورد في سورة الإنسان من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ فقد روي أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ أجمعين. انظر تفسير «مجمع البيان» للطبرسي: ٦/ ١٣٨.
(٢) الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها مقتل الحسين بن علي ﷺ، «معجم البلدان»: ٤/ ٣٦.

هُـمْ أَسَّسُوا قـواعِـدَ الـدِّيـنِ لـنـا ... وهُـمْ بـنـوا أَرْكـانَـهُ وشَـيَّـدُوا

ومَـنْ يَـخُـنْ أحـمـدَ فـي أصـحـابِـهِ ... فـخَـصـمُـهُ يـومَ الـمَـعَـادِ أَحْـمَـدُ

هـذا اعْـتـقـادي فـالْـزَمُـوه تُـفْـلِـحُـوا ... هـذا طـريـقـي فـاسْـلُـكُـوه تـهـتـدوا

والـشَّـافـعـيُّ مـذهـبـي مَـذْهَـبُـهُ ... لأَنَّـه فـي قـولـه مـؤَيَّـدُ

أَتْـبَـعُـهُ فـي الأَصـلِ والـفَـرْعِ مـعـاً ... فَـلْـيَـتَّـبعـني الـطَّـالـبُ الـمُـسْـتَـرشِـدُ

إنِّـي بـحـمـدِ الـلـه نـاجٍ سـابـقٌ ... إذا ونـى الـظَّـالـم والـمُـقْـتَـصِـدُ(١)

وقال يرثي أبا نَصر بنَ الحسن بنِ سلامة: [من الكامل]

لـمـا نـعـى الـنَّـاعـي أبـا نَـصـرِ ... سُـدَّتْ عـلـيَّ مـطـالـعُ الـصَّـبْـرِ

وجـرتْ دمـوعُ الـعـيـنِ سـاجـمـةً ... مُـنْـهَـلَّـةً كـتـتـابـعِ الـقَـطْـرِ

ولَـزِمْـتُ قـلـبـاً كـاد يَـلْـفِـظُـهُ ... صَـدْري لـفُـرقـة ذلـك الـصَّـدْرِ

ولَّـى فـأضـحـى الـعـصـر فـي عَـطَـلٍ ... مـنـه وكـان قِـلادَةَ الـعَـصـرِ

حـفـروا لـه قَـبـراً ومـا عَـلِـمُـوا ... مـا خـلَّـفـوا فـي ذلـك الـقَـبْـرِ

مـا أفـردوا فـي الـتُّـرْبِ وانـصـرفـوا ... إلا فـريـدَ الـنَّـاسِ والـدَّهْـرِ

تَـطْـويـه حُـفْـرَتُـه فَـيَـنْـشُـرُهُ ... فـي كـلِّ وقـتٍ طَـيِّـبُ الـنَّـشْـرِ

تـبًّـا لـدارٍ كـلُّـهـا غُـصَـصٌ ... يـأتـي الـوِصـالَ بـنـيَّـةِ الـهَـجْـرِ

تُـنْـسـي مـرارتُـهـا حـلاوتـهـا ... وتُـكـرُّ بـعـد الـعُـرْفِ بـالـنُّـكْـرِ(٢)

وقال: [من البسيط]

والـلـهِ لـو كـانـت الـدُّنـيـا بـأَجْـمَـعِـهـا ... تُـبْـقـي عـلـيـنـا ويـأتـي رِزْقُـهـا رَغَـدا

مـا كـان مِـنْ حَـقِّ حُـرٍّ أن يَـذِلَ لـهـا ... فـكـيـفَ وهْـي مـتـاعٌ يَـضْـمَـحِـلُّ غـدا(٣)

وقال: [من المتدارك]

---

(١) القصيدة بتمامها في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٤-١٨٧، وانظر أبياتاً منها في «الخريدة»: ٢/ ٤٩٢-٤٩٤ مع اختلاف في بعض ألفاظها.

(٢) الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٤.

(٣) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٤٩٤.

أتُرى سألوا لمَّا رَحلُوا ... ماذا فعلوا أمْ مَنْ قَتَلوا
خدعوا بالمَيْنِ[1] قتيلَ البَيْـ ... ـنِ فَسُحْبُ العَيْنِ لهم ذُلُلُ
فمتى وَصَلُوا حتى قطعوا ... ومتى سَمَحوا حتى بَخِلُوا
أشكوا زَمَناً أوْلى مِحَناً ... وجنى حَزَناً فَعَفَتْ سُبُلُ
العِلْمُ يُهانُ وليس يُصا ... نُ فأيُّ لسانٍ يَرْتَجِلُ
وَعَدُوا فطَمِعْتُ غداةَ سَمِعْـ ... ـتُ متى وَقَنِعْتُ بما بذلوا
أحليفَ اليومِ أقِلَّ اللَّوْ ... مَ فعندي اليومَ بهمْ شُغُلُ
وبسَمْعي ثوَّرَ[2] سائِقُهُمْ ... وبعَيْني قُرِّبَتِ البُزُلُ
أذكى جَزَعي لم يبقَ معي ... قلباً فيعي منذ احتملوا[3]

وقال: [من الطويل]

إذا قَلَّ مالي لم تجدْنيَ ضارِعاً ... كثيرَ الأسى مُغْرًى بعَضِّ الأناملِ
ولا بَطِراً إنْ جَدَّدَ الله نِعْمةً ... ولو أنَّ ما أُوتي جميعُ الأنامِ لي[4]

وقال: [من مخلع البسيط]

جُدَّ ففي جِدِّكَ الكمالُ ... والهَزْلُ مِثْلُ اسْمِهِ هُزالُ
فما تنالُ المرادَ حتى ... يكونَ معكوسَ ما تنالُ[5]

وقال: [من الطويل]

وعَتْبي له عَتْبُ البريء وخِيفَتي ... لحِرْصي على عُتباه خِيفَةُ جانِ
فإنْ يكُ لي ذنبٌ فأينَ وسائلي ... وإنْ لم يكن ذنبٌ ففيمَ جفاني[6]

وقال: [من الرجز]

---

(١) في (ع) و(ح) البين، والمثبت من «الخريدة».

(٢) ثور سائقهم، أي أنهض البرك، والبرك يقع على ما برك من جميع الجمال والنوق. «معجم متن اللغة»: ١/ ٢٨٠، ٤٥٧.

(٣) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٤٩٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) البيتان في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٨.

(٥) البيتان في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٤.

(٦) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٤٨٨.

حَنَّتْ فأَذْكَتْ لوعتي حنينا ... أشكو من البَيْنِ وتشكو البِيْنا[1]
قد عاثَ في أَشْخاصها طُوْلُ السُّرى ... بقَدْرِ ما عاثَ الفِراقُ فينا
فَخَلِّها تمشي الهوينى طالما ... أَضْحتْ تباري الرِّيح في البُريْنا
وكيف لا نأوي[2] لها وهي التي ... بها قَطَعْنا السَّهْلَ والحزونا
ها قد وَجْدنا البَرَّ بحراً زاخراً ... فهل وَجَدْنا غيرَها سَفِيْنا
إنْ كُنَّ لم يُفْصِحْنَ بالشكْوى لنا ... فهُنَّ بالإرْزام[3] يَشْتكينا
قد أَقْرحَتْ مما تُجِنُّ كَبِدِي ... إنَّ الحزينَ يُسْعِدُ الحزينا
وقد تياسَرْتَ بهِنَّ جائراً ... عن الحمى فاعدْل بها يمينا
نُحيِّ أَطْلالاً عفا آياتِها ... تعاقُبُ الأَيَّامِ والسِّنِيْنا
يقول صَحْبي أَترى آثارَهُمْ ... نَعَمْ ولكنْ لا أَرى القَطِينا
لو لم تَجِدْ رُبوعُهُمْ كَوَجْدنا ... لِلْبَيْنِ لم تَبْلَ كما بَلِيْنا
ما قَدَرَ الحيُّ على سَفْكِ دمي ... لو لم تكنْ أَسْيافُهُمْ عُيونا
أكلَّما لاحَ لعيني بارقٌ ... بكَتْ فأَبدتْ سرِّيَ المَصُونا
لا تأخذوا قَلْبي بذنبِ مُقْلَتي ... وعَذِّبوا الخائِنَ لا الأَمينا
أقسمتُ ما الرَّوْضُ إذا ما بَعَثتْ ... أرجاؤه الخِيْرِيَّ[4] والنِّسْرينا
وأَدْركتْ ثمارُهُ وَعَذُبَتْ ... أَنهارُهُ وأَبْدَتِ المكْنُونا
وقابلَتْه الشَّمْسُ لما أَشرقتْ ... وانقطعتْ أفنانُهُ فنونا
أذكى ولا أَحلى ولا أَشهى ولا ... أَبْهى ولا أَوفى[5] بعيني لينا

(١) البين، بكسر الباء: ارتفاع في غلظ عن الأرض. «معجم متن اللغة»: ١/ ٣٧٨.

(٢) أي نشفق عليها. «اللسان» (أوا).

(٣) الإرزام من أرزمت الناقة على ولدها: حنت، وهو صوت تخرجه من حلقها لا تفتح به فاهاً. انظر «اللسان» (رزم).

(٤) الخِيري: نبات، وهو المنثور الأصفر، تعريب خيرو. «معجم الألفاظ الفارسية المعربة»: ٥٩.

(٥) في (ع) و(ح): أبرا، والمثبت من «المنتظم».

مِـنْ نَـشْـرهـا وثَـغْـرهـا ووَجْـهِـهـا وقَـدِّهـا فـاسْـتَـمِـعِ الـيـقـيـنـا
[مـا اسْـتَـتَـرَتْ بـالـوَرَق الـوَرْقـاءُ كـي تَـصـدُقَ لـمـا عَـلَـتِ الـغُـصـونـا][1]
هـذا بُـكـاهـا والـقـريـنُ حـاضِـرٌ فـكـيـفَ مَـنْ قـد فـارَقَ الـقـرِيْـنـا
يـا خـائـفـاً عـلـيَّ أسـبـاب الـرَّدى أَمَـا عَـرَفْـتَ حِـصـنـيَ الـحَـصِـيْـنـا
إنِّـي جَـعَـلْـتُ فـي الـخُـطُـوبِ مـوئـلـي مـحـمـداً والأَنْـزَعَ الـبَـطِـيْـنـا[2]
أحـبـبـتُ يـاسـيـنَ وطـاسـيـن ومـن يـتـلـوه فـي طـاسـيـن أو يـاسـيـنـا
يـا تـائـهـيـن فـي أضـالـيـل الـهـوى وعـن سـبـيـلِ الـرُّشْـد نـاكـبـيـنـا
تـجـاهـكـم دار الـسَّـلام فـابـتـغـوا فـي نَـهْـجـهـا جـبـريـلَـهـا الأَمـيـنـا
لـجـوا مـعـي الـبـاب وقـولـوا حِـطَّـةٌ تُـغْـفَـرْ لـنـا الـذُّنـوبُ أجـمـعـيـنـا
ديـنـي الـولاءُ لـسـتُ أبـغـي غـيـره دِيْـنـاً وحَـسْـبـي بـالـولاءِ دِيـنـا
ظَـنَّ بـيَ الأعـداءُ إذْ مَـدَحْـتُـهُـمْ مـا لـم أكـنْ بـمِـثْـلـه قَـمِـيْـنـا
يـا وَيْـحـهـم ومـا الـذي يَـريْـبُـهُـمْ مـنِّـي حـتـى رَجَـمـوا الـظُّـنـونـا
وإنَّـمـا أَطـلـبُ مَـدْحـاً نـافـعـاً يـومَ يـكـونُ غـيـريَ الـمَـغْـبُـونـا
سِـجْـنُـكُـمُ سِـجِّـيـنَ إنْ لـم تَـتْـبـعـوا عَـلِـيَّـنـا دلـيـل عِـلِّـيِّـيـنـا[3]

وقال: [من البسيط]

عـلـى ذوي الـحُـبِّ آيـاتٌ مُـتَـرجِـمـةٌ تُـبـيـنُ مِـنْ أَجْـلـهِ عـن كـل مُـشْـتَـبِـهِ
عَـرْفٌ يـفـوحُ وآثـارٌ تـلـوح وأسْـ ـرارٌ تـبـوحُ وأَحـشـاءٌ تـنـوحُ بِـهِ[4]

وقال: [من المتقارب]

---

(١) في (ع) و (ح):

قـد اسـتـتـرت لـلـورقـاء حـرك شـجـوهـا لـمـا عـلـت مـن فـرعـهـا غـصـونـا

ولم أتبين معناه، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم» و«الخريدة».

(٢) الأنزع البطين هو الإمام علي بن أبي طالب. انظر «اللسان» (نزع).

(٣) الأبيات مع اختلاف في بعض الألفاظ، وترتيب بعض الأبيات في «المنتظم»: ١٠/ ١٨٧-١٨٨، وقد ساق العماد بعض الأبيات كذلك في «الخريدة»: ٢/ ٤٩٠-٤٩١.

(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ٤٨٨.

غَـرِيـقَ الـذُّنـوبِ أسـيـرَ الـخَـطَـايـا ... تَـنَـبَّـهْ فَـدُنْـيـاك دارُ الـدَّنـايـا
تَـغُـرُّ وتُـعْـطـي ولـكـنَّـهـا ... مـكـدَّرة تَـسْـتَـرِدُّ الـعَـطَـايـا
أَمَـا وَعَـظَـتْـك بـأَحـداثـهـا ... ومـا فَـعَـلَـتْ بـجـمـيـعِ الـبـرايـا
فـيـا راحـلاً وَهْـو يـنـوي الـمُـقَـام ... تـزوَّدْ فـإنَّ الـلـيـالـي مـطـايـا
تـرى الـمـرْءَ فـي أَسْـرِ آفـاتِـهـا ... حبيساً على الهمِّ نُصبَ المنايا(١)

(١) الأبيات في «الخريدة»: ٢/ ٥٢٠-٥٢١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

فهرس الموضوعات[١]

السنة الخمس مئة ٥
مقتل فخر الملك وسعد الملك وابن عطاش ٥
غرق قليج رسلان بن سليمان ٥
صرف الوزير علي ابن جهير من وزارة الخليفة ٥
ما جرى على دار سامة الجيلي ٦
تولية الخليفة عبد الله بن الدامغاني حجبة الباب ٧
كثرة فساد الفرنج في أعمال السواد وحوران ٧
إرسال السلطان محمد شاه برأس ابن عطاش وولده ٨
بداية أمر ابن عطاش ٩
السنة الحادية والخمس مئة ٢٠
تجديد الخليفة الخلع على وزيره هبة الله بن محمد بن المطلب ٢٠
دخول السلطان محمد شاه بغداد وتهنئة الخليفة له ٢١
مقتل صدقة ابن مزيد صاحب الحلة ٢٢
تولية الخليفة القاضي ابن الرطبي حسبة بغداد ٢٢
عزل الوزير ابن المطلب ثم إعادته ٢٢
عزل ابن الدامغاني عن حجبة الباب واستنابة المؤيدي ٢٢
ظهور صبية عمياء تتكلم على أسرار الناس ٢٢
مسير بغدوين إلى ظاهر صور ٢٣
اشتداد الأمر على فخر الملك صاحب طرابلس من مجيء الفرنج ٢٣
مسير فخر الملك إلى بغداد ٢٣
عودة ابن عمار إلى دمشق وتاج الملوك بوري ٢٤
خروج بغدوين من القدس إلى صور ٢٤
إغارة طغتكين على طبرية ٢٤
السنة الثانية وخمس مئة ٢٧
تفويض السلطان محمد إلى بهروز الخادم عمارة العراق ٢٧
تولية الخليفة ابن جهير الوزارة وعزل ابن المطلب ٢٧
زواج الخليفة بينت السلطان ملك شاه ٢٨
أخذ الفرنج طرابلس ٢٨
الهدنة بين بغدوين صاحب القدس وطغتكين صاحب دمشق ٢٩
السنة الثالثة وخمس مئة ٣٥
هروب الوزير ابن المطلب من دار الخليفة ٣٥

---

(١) اقتصرنا في هذا الفهرس على الأحداث السياسية والعامة، أما تراجم الأعلام فمحلها في فهرس الأعلام العام للكتاب كله.

دخول السلطان محمد بغداد وإصابة وزيره نظام الدين ٣٥
نزول الأمير سكمان صاحب خلاط على ميافارقين ٣٥
أخذ الفرنج رفنية وموادعة طغتكين ٣٦
عزم السلطان محمد على غزو الفرنج ٣٦
منازلة طغتكين بعلبك بعد عصيان واليها ٣٧
أخذ طنكري طرسوس ٣٧
نزول بغدوين وابن صنجيل على بيروت ودخولها ٣٧
إفساد قوم من كافر ترك في جيحون ٣٨
ظهور كوكب الذنب وإقامته شهراً ٣٨
مكاتبة محمد شاه سكمان صاحب أرمينية وغيره للاجتماع على جهاد الفرنج ٣٨

السنة الرابعة وخمس مئة ٤٢
نزول خاتون زوجة الخليفة بدار المملكة عند أخيها السلطان ٤٢
تدريس أبي بكر الشاشي بالنظامية ٤٢
قدوم تجار من الشام إلى بغداد واستغاثتهم من الفرنج ٤٢
قصد بغدوين عسقلان ٤٣
هبوب ريح سوداء بمصر ٤٣
غدر بغدوين ونزوله على طبرية ٤٣
تجهيز محمد شاه العساكر إلى الشام لقتال الفرنج واختلاف أمرائهم ٤٣

السنة الخامسة وخمس مئة ٤٧
عزل السلطان وزيره أحمد بن نظام الملك ٤٧
ولادة ابن للخليفة من بنت السلطان ٤٧
جمع بغدوين وحشده لقصد صور ٤٧
نزول شرف الدولة مودود صاحب الموصل على الرها ٤٨

السنة السادسة وخمس مئة ٥٧
قدوم يوسف بن أيوب الهمذاني الواعظ بغداد ٥٧
مراسلة أهل صور طغتكين وتخوفهم من الفرنج ٥٨
مجيء بغدوين إلى عكا وهزيمته ٥٨
إرسال أتابك ومودود إلى السلطان بخبر الفتح ورؤوس الفرنج ٥٩

السنة السابعة وخمس مئة ٦٤
وزارة الحسين بن أبي شجاع للمستظهر ٦٤
استشهاد الأمير مودود بجامع دمشق ٦٤
جواب الأفضل إلى طغتكين وشكره على ما حصل في صور ٦٤
مراسلة بغدوين مسعود والي صور يسأله الموادعة ٦٤
هروب ابن السلطان تكش إلى مصر ٦٤
وفاة رضوان صاحب حلب ٦٥
استيلاء جماعة من الباطنية على حصن شيزر ٦٥
مقاتلة بني منقذ لهؤلاء الباطنية وفتح الحصن ٦٥
تجهيز السلطان ولده مسعود إلى الشام لقتال الفرنج ٦٥

السنة الثامنة وخمس مئة ٧٥
وقوع زلزلة بالجزيرة هدمت الدور ٧٥

تواطؤ لؤلؤ خادم رضوان مع جماعة على قتل ألب أرسلان بن رضوان ٧٦
نزول نجم الدين إيل غازي على حمص ٧٦
وفاة بغدوين صاحب القدس ٧٦
وقعة بين البرسقي وإيل غازي بالجزيرة والشام ٧٦
تجهيز السلطان البرسقي وابنه منكلي وغيرهما لقصد صاحب ماردين ٧٧
ما حصل على الفرنج من أتابك دمشق ٧٨
السنة التاسعة وخمس مئة ٨٢
دخول طغتكين بغداد وأسباب ذلك ٨٢
مصالحة بردويل صاحب القدس الأفضل بن أمير الجيوش ٨٣
تكامل عمارة دار السلطان ببغداد ٨٤
السنة العاشرة وخمس مئة ٩٥
ولادة جد المؤلف ابن الجوزي ٩٥
احتراق بغداد من الجانب الشرقي ٩٥
إقامة السلطان ببغداد صيفاً ٩٥
تبييت صاحب طرابلس وصاحب الموصل الفرنج في ناحية البقاع وقتلهم ٩٥
مقتل لؤلؤ ٩٦
ما صنع أمير الجيوش المستظهري في حجته بالناس ٩٦
السنة الحادية عشرة وخمس مئة ١٠٢
زلزلة بغداد ١٠٢
خروج آق سنقر إلى حلب وعودته إلى الموصل دون طائل ١٠٢
هجوم الفرنج على ربض حماة ١٠٣
وصول الأمير نجم الدين إيل غازي إلى حلب في عسكره ١٠٣
وفاة بختيار السلار شحنة دمشق ١٠٣
السنة الثانية عشرة وخمس مئة ١٠٥
الخطبة لمحمود بن محمد شاه ببغداد ١٠٥
احتراق بغداد من الجانب الشرقي ١٠٥
وفاة المستظهر ١٠٥
خلافة المسترشد بالله وأخذ البيعة له ١٠٦
وزارة أبي شجاع محمد بن أبي منصور ١٠٧
استئصال الخليفة جماعة شغبوا ١٠٧
أخذ المسترشد دار دبيس لإضافتها إلى جامع القصر ١٠٧
إرسال الخليفة إلى دبيس جبة ولواء ١٠٧
تلقيب الخليفة نظر أمير الجيوش والخلع عليه ١٠٧
خروج والدة السلطان محمود من أصبهان إلى السلطان سنجر ١٠٨
كثرة فساد الفرنج في بلاد المسلمين ١٠٨
السنة الثالثة عشرة وخمس مئة ١١٦
انفصال الأمير أبي الحسن بن المستظهر عن الحلة وما صنع الخليفة معه ١١٦
وزارة جلال الدين الحسن بن صدقة للخليفة ١١٧
خطبة الخليفة لولده الراشد بالله ١١٧
امتلاك السلطان سنجر الري والوقعة بينه وبين ابن أخيه محمود ١١٧

عزل القاضي الفارقي عن قضاء واسط ١١٨
وصول القاضي الهروي رسولاً من سنجر إلى الخليفة ١١٨
إرسال دبيس إلى الخليفة كتاباً في أبي الحسن بن المستظهر ١١٨
تضييق الخليفة على أخيه أبي الحسن ١١٩
ورود الأخبار بتوجه السلطان محمود إلى عمه سنجر ١١٩
اجتماع طغتكين وإيلغازي على حرب الفرنج ١١٩
وفاة خاتون أم دقاق ١١٩
وفاة بردويل صاحب القدس ١٢٠
ما صنع كندهري خليفة بردويل ١٢٠
المباينة بين الأفضل ابن أمير الجيوش والآمر صاحب مصر ١٢١
ظهور قبور الأنبياء في مغارة بيت المقدس ١٢١
السنة الرابعة عشرة وخمس مئة ١٣١
الخطبة ببغداد لسنجر وابن أخيه محمود ١٣١
زواج دبيس ببنت إيلغازي ١٣١
الحرب بين محمود وأخيه مسعود ١٣١
إخراب دبيس بن صدقة البلاد ١٣٢
دخول السلطان محمود بغداد ١٣٣
مجيء زوجة دبيس بن صدقة إلى السلطان مستشفعة لزوجها فلم يرض ١٣٣
إعادة وزير محمود المكوس والضرائب ١٣٤
رفع نجم الدين إيلغازي المكوس عن أهل حلب ١٣٤
السنة الخامسة عشرة وخمس مئة ١٤٥
عزم السلطان الخروج من بغداد ١٤٥
عزل علي بن طراد من النقابة ١٤٦
تولية السلطان القاضي الهروي القضاء والخلع عليه ١٤٦
وقوع حريق في دار السلطان ١٤٦
احتراق جامع أصبهان ١٤٧
قدوم القاضي إسماعيل البخاري الحنفي من أصبهان ١٤٧
خلع الخليفة على السلطان ١٤٧
سقوط ثلج عظيم ببغداد ١٤٧
كتاب السلطان والخليفة إلى إيلغازي بإبعاد دبيس وفسخ نكاحه ١٤٨
عودة دبيس إلى الحلة ١٤٨
كسر أتابك طغتكين الفرنج على رحو العقبة ١٤٩
السنة السادسة عشرة وخمس مئة ١٥٢
استدعاء الخليفة وزير السلطان ومخاطبته في شأن دبيس ١٥٢
قصد يرنقش ومنصور أخي دبيس دار الخلافة ١٥٢
نقل منصور إلى مكان يوثق فيه ١٥٢
خروج السلطان من بغداد ١٥٢
استدعاء البرسقي إلى دار الحجرة والخلع عليه ١٥٢
هزيمة البرسقي أمام دبيس ١٥٢
الصلح بين دبيس والخليفة ١٥٣

قدوم أبي سعد الهروي من عند سنجر بهدايا ومال ١٥٣
تخريب دبيس في نواحي بغداد ١٥٤
إخراج الخليفة سرادقه إلى الجانب الغربي والمناداة بالجهاد ١٥٤
وقعة عظيمة بين إيلغازي والكفار على تفليس ١٥٥
بلوغ الخليفة أن دبيساً يسب الصحابة ويفعل المنكر وفتوى العلماء بقتاله ١٥٥
تزلزل مدينة جنزة ١٥٦
أول سماع ابن الجوزي الحديث ١٥٦
السنة السابعة عشرة وخمس مئة ١٦٨
رحيل المسترشد من بغداد إلى قرب الكوفة وأسبابه ١٦٨
وقعة بين الخليفة ودبيس ١٦٩
اجتماع أهل بغداد في المساجد ١٦٩
هزيمة دبيس وجيشه ١٦٩
عودة الخليفة إلى بغداد ١٦٩
الإشارة على الخليفة بعمل سور على بغداد ١٧٠
عزم الخليفة على ختان أولاده ١٧١
قصد دبيس البصرة وعيثه فيها ١٧١
قبض محمود على وزيره وقتله ١٧١
نيابة أبي القاسم بن طراد في الوزارة ١٧١
ورود ابن الباقرحي بكتب سنجر ومحمود بتسليم النظامية إليه ١٧٢
ورود أسعد الميهني وأخذ المدرسة والنظر فيها ١٧٢
وفاة وزير رضوان صاحب حلب ١٧٢
وصول الأسطول المصري إلى صور ١٧٢
مسير الأمير نور الدولة بلك إلى الرها ١٧٣
وفاة الحاجب فيروز شحنة دمشق ١٧٣
تسليم صاحب حلب الأثارب إلى الفرنج ١٧٣
مسير بغدوين ملك الفرنج إلى نور الدولة وأسر الأخير له ١٧٣
السنة الثامنة عشرة وخمس مئة ١٧٩
عزم دبيس على قصد بغداد ١٧٩
ورود شحنكية بغداد إلى يرنقش الزكوي ١٧٩
زواج الخليفة ابنة السلطان سنجر ١٨٠
مقتل القاضي الهروي على رواية ابن القلانسي ١٨٠
تكامل المثمنة تحت التاج التي بناها الخليفة ١٨٠
ورود الأخبار إلى بغداد أن قافلة خراسان فيها باطنية ندبوا لقتل أعيان الدولة ١٨٠
مكاتبة أهل حلب آق سنقر البرسقي ١٨٠
استيلاء الفرنج على صور بالأمان ١٨١
مضايقة الفرنج حلب ١٨١
السنة التاسعة عشرة وخمس مئة ١٨٤
إغراء دبيس بن صدقة طغريل بقصد بغداد وطلب السلطنة ١٨٤
قبض صاحب مصرعلى وزيره ١٨٦
قصد بغدوين حوران ١٨٦

السنة العشرون وخمس مئة ١٨٩
كتاب السلطان محمود إلى الخليفة يهنئه بالفتح ويشكره على قتال طغريل ١٨٩
أمر الخليفة بنصب خيمة كبيرة وصلاته العيد بالناس وخطبته ١٩٠
نزول السلطان الشماسية ودخول عسكره بغداد ١٩٣
حمل ابن الجوزي إلى علي بن يعلى العلوي وتلقنه كلمات من الوعظ ١٩٣
استيلاء أتابك طغتكين على مدينة تدمر ١٩٤
استفحال أمر بهرام داعي الباطنية ١٩٤
السنة الحادية والعشرون وخمس مئة ٢٠٣
منع خاتون عسكر السلطان محمود من دخول باب النوبي ٢٠٣
هزيمة عسكر السلطان من عسكر الخليفة وهروبهم ٢٠٣
مرض السلطان ٢٠٥
خروجه إلى الجبل وما حصل بعد ذلك ٢٠٥
ورود الأخبار أن السلطان قبض على العزيز ووزيره وصادرهما ٢٠٧
إرسال السلطان إلى أنوشروان ليستوزره ٢٠٧
ثوران الفتن ببغداد بسبب الإسفراييني ٢٠٧
قتل الباطنية وزير السلطان سنجر ٢٠٨
نهب بغدوين صاحب القدس وادي موسى ٢٠٨
وفاة مسعود بن البرسقي بالرحبة على أحد الأقوال ٢٠٨
السنة الثانية والعشرون وخمس مئة ٢٠٩
وصول علي بن طراد من عند سنجر مع رسول ٢٠٩
توجه محمود إلى سنجر واتفاقهما ٢١٠
إرسال الخليفة نقيب النقباء وشيخ الشيوخ إلى سنجر ٢١٠
وفاة طغتكين صاحب دمشق، وولاية ابنه بوري ٢١٣
السنة الثالثة والعشرون وخمس مئة ٢١٥
عودة السلطان محمود إلى بغداد ٢١٥
توكيل السلطان بقاضي القضاة الزينبي ٢١٥
خلع الخليفة على نقيب النقباء خلع الوزارة ٢١٦
ضمان زنكي للسلطان مئة ألف دينار عن الموصل ٢١٦
دخول دبيس بغداد ٢١٦
رحيل السلطان من بغداد بعد تسليم الحلة والشحنكية إلى بهروز ٢١٦
موت ابنة سنجر ومرض محمود ٢١٦
ما صنع دبيس ٢١٦
فتنة الإسماعيلية بدمشق ٢١٧
تسليم العجمي بانياس إلى الفرنج ٢١٨
السنة الرابعة والعشرون وخمس مئة ٢٢٠
زلزلة بغداد وموت السلطان ٢٢٠
إمطار سحابة ناراً على الموصل ٢٢١
قتل الآمر صاحب مصر ٢٢١
وزارة المفرج بن الصوفي لبوري ٢٢١
وصول زنكي بن آق سنقر إلى حلب من الموصل ٢٢١

ظهور عقارب طيارة بالعراق أفنت الأطفال ٢٢١
السنة الخامسة والعشرون وخمس مئة ٢٣١
دخول دبيس البرية وانقطاع خبره ٢٣١
إطلاق بوري لابن الصوفي والخلع عليه ٢٣٢
وصول الخبر أن مسعوداً أخا محمود جاء يطلب السلطنة ٢٣٣
تغير نية محمود على الخليفة ٢٣٣
عزل بوري وزيره المفرج بن الصوفي ٢٣٣
وزارة المزدقاني ٢٣٣
جرح الباطنية لبوري ٢٣٤
السنة السادسة والعشرون وخمس مئة ٢٣٩
ورود مسعود إلى بغداد في عشرة آلاف يطلب السلطنة وورود قراجا صاحب خوزستان
يطلب السلطنة كذلك ٢٣٩
الحرب بين سنجر ومسعود وقراجا ٢٤٠
امتناع أنوشروان بن خالد من الوزارة ٢٤٠
عودة دبيس إلى بلاده وجمع الجموع ٢٤١
وصول داود بن محمود والأحمد يلي إلى بغداد ٢٤١
قبض الخليفة على وزيره أبي القاسم الزينبي ٢٤١
قدوم دبيس بغداد وطلبه العفو من الخليفة ٢٤١
تكلم الناس في خاتون المستظهرية ٢٤١
السنة السابعة والعشرون وخمس مئة ٢٤٧
الخطبة لمسعود ببغداد ولابن أخيه داود بعده ٢٤٧
عزم المسترشد على المسير إلى الموصل ٢٤٨
فتح شمس الملوك صاحب دمشق بانياس وحماة ٢٤٨
وفاة كريم الملك أحمد وزير شمس الملوك ٢٤٩
نزول صاحب القدس على الساحل وجمع الفرنج وقصد حلب ٢٤٩
السنة الثامنة والعشرون وخمس مئة ٢٥٢
وصول هدايا زنكي واتفاقه مع الخليفة ٢٥٢
عزل أنوشروان وإعادة أبي القاسم إلى الوزارة ٢٥٣
قدوم رسول سنجر يطلب الخلع ٢٥٣
حصار تكريت ومصانعة بهروز عنها بالمال ٢٥٣
قدوم البقش السلاحي أمير الأتراك إلى بغداد ٢٥٣
عودة طغريل إلى همذان وانحلال أمر أخيه مسعود ٢٥٣
محاصرة صاحب دمشق شقيف تيرون ٢٥٣
نجاة شمس الملوك صاحب دمشق من محاولة قتله ٢٥٣
الحرب بين ولي عهد مصر وأخيه ٢٥٤
نقض الهدنة من الفرنج وما صنعه شمس الملوك بهم ٢٥٤
السنة التاسعة والعشرون وخمس مئة ٢٦٤
مقتل المسترشد ودبيس وصاحب دمشق وطغريل ٢٦٤
إخراج الخليفة سرادقه إلى رؤوس الحيطان ٢٦٤
مسير مسعود بعد بلوغه خبر وفاة طغريل ٢٦٤

وصول زنكي إلى بغداد ٢٦٤
وصول ابن الأنباري من عند سنجر ٢٦٤
ورود الأخبار بتغير مسعود على الخليفة والحرب بينهما ٢٦٥
زلزلة بغداد ٢٦٨
وصول رسول سنجر إلى مسعود بعد استيلائه على الخليفة برسالة منه ٢٦٨
هروب الحاجب فيروز شحنة دمشق إلى تدمر خوفاً من شمس الملوك بن بوري ٢٧٠
ترجمة المسترشد بالله الخليفة ٢٧٨
خلافة الراشد بالله منصور ٢٨٠
وصول كتاب سنجر إلى مسعود بتعيين الخليفة ٢٨١
السنة الثلاثون وخمس مئة ٢٨٢
وصول يرنقش الزكوي إلى الخليفة في أمور ٢٨٢
قطع خطبة سنجر ومسعود ومكاتبة زنكي ٢٨٢
مكاتبة الخليفة يرنقش البازدار وإقبال الخادم وأياز ٢٨٢
القبض على إقبال لمراسلته مسعوداً ٢٨٢
طلب مسعود صلح الخليفة ورفض الأخير ٢٨٣
وصول مقدمات مسعود وهروب الخليفة ٢٨٣
دخول مسعود بغداد وخلع الخليفة ٢٨٤
خلافة المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر ٢٨٥
وصول الراشد إلى الموصل وإكرام زنكي له ٢٨٦
قدوم الحسن بن يعيش الموصلي إلى بغداد ٢٨٦
استيلاء محمود بن بوري صاحب دمشق على حمص وحماة ٢٨٦
السنة الحادية والثلاثون وخمس مئة ٢٩٤
مطالبة السلطان المقتفي بمئة ألف دينار ٢٩٤
وصول خادم من عند سنجر لمبايعة الخليفة ٢٩٥
عقد المقتفي على فاطمة أخت مسعود ٢٩٥
توجه السلطان إلى الجبل ٢٩٥
مسير الملك داود وعساكر أذربيجان إلى مسعود ووقوع الحرب بينهما ٢٩٥
جلوس أبي النجيب في دار رئيس الرؤساء بالقصر للتدريس ٢٩٦
تتبع المقتفي القوم الذين أفتوا بفسق الراشد ٢٩٦
امتلاك صاحب ماردين قلعة الهتاخ ٢٩٧
خروج ملك الروم من القسطنطينية في مئة ألف ونزوله على أنطاكية ٢٩٧
السنة الثانية والثلاثون وخمس مئة ٣٠٣
إرسال السلطان مسعود من همذان كأساً مختوماً إلى البقش السلاحي ٣٠٣
قدوم أهل حلب وبزاعة مشتكين مما جرى عليهم من الروم ٣٠٣
زواج مسعود بنت دبيس وبنت عمه قاروت بك ٣٠٤
جمع الراشد العساكر ثم مقتله ٣٠٤
مجيء ملك الروم إلى حلب ونهب المعرة ٣٠٤
استيحاش بزواش من الأمير شهاب الدين محمود صاحب دمشق ٣٠٤
تفويض محمود الأمور إلى معين الدين أنر ٣٠٤
وفاة القاضي بهاء الدين بن الشهرزوري ٣٠٤

زواج أتابك زنكي بأم شهاب الدين محمود ٣٠٤
السنة الثالثة والثلاثون وخمس مئة ٣١٣
زلزلة جنزة وخسفها ٣١٣
وصول رسول ابن قاروت بك ملك كرمان يخطب خاتون المستظهرية ٣١٣
وزارة محمد بن الخازن للسلطان مسعود ٣١٣
مقتل شهاب الدين محمود صاحب دمشق ٣١٣
السنة الرابعة والثلاثون وخمس مئة ٣٢١
ولادة ابن لمسعود من بنت قاروت بك وما حصل ببغداد بسبب ذلك ٣٢١
دخول خاتون زوجة المقتفي بغداد ٣٢١
زواج مسعود ببنت المقتفي ٣٢٢
صحوة رجل من باب الأزج من على مغتسله ٣٢٢
عودة زنكي من بعلبك ونزوله على داريا ٣٢٢
إقامة ولد محمد صاحب دمشق مقامه بعد وفاته ٣٢٢
الحرب بين معين الدين أنر وزنكي ٣٢٣
السنة الخامسة والثلاثون وخمس مئة ٣٢٦
نقل المقتفي المظفر إلى الوزارة من الأستاذ دارية ٣٢٦
قدوم سوادي إلى بغداد وادعاؤه الزهد واحتياله ٣٢٦
افتتاح المدرسة التي بناها ابن طلحة صاحب المخزن ٣٢٧
وصول رسول سنجر بالبردة والقضيب إلى المقتفي ٣٢٧
امتلاك الإسماعيلية حصن مصيات ٣٢٧
السنة السادسة والثلاثون وخمس مئة ٣٣٢
وقعة بين سنجر وكافر ترك ٣٣٢
نهب خوارزم شاه بلخ وبوارسنجر ٣٣٣
غضب المقتفي على وزيره ابن طراد وعزله وشفاعة مسعود فيه ٣٣٣
السنة السابعة والثلاثون وخمس مئة ٣٣٧
إرسال سنجر إلى مسعود يأمره بالتصرف في الري ٣٣٧
أمر الخليفة أن لا يخاطب أحد بمولانا الوزير ٣٣٧
تولية أبي يعلى ابن الفراء قضاء واسط ٣٣٧
جمع سنجر العساكر وعزمه على قصد خوارزم شاه ٣٣٧
امتلاك زنكي قلعة الحديثة ٣٣٨
استيلاء مسعود على بلاد الروم ٣٣٨
السنة الثامنة والثلاثون وخمس مئة ٣٤٠
قدوم السلطان مسعود بغداد ٣٤٠
عزم السلطان على قصد الموصل ومصانعة زنكي ٣٤٠
قدوم الحسن النيسابوري الحنفي مع السلطان مسعود وما حصل بسببه في بغداد ٣٤٠
توجه مسعود إلى همذان ٣٤٣
زلزلة الأرض وظهور كوكب الذنب ببغداد ٣٤٣
استيلاء عمران داعية المصريين على اليمن ٣٤٣
السنة التاسعة والثلاثون وخمس مئة ٣٤٩
فتح زنكي الرها ٣٤٩

السنة الأربعون وخمس مئة ٣٥٣
دخول السلطان مسعود بغداد ٣٥٣
جلوس يوسف الدمشقي في مدرسة بناها ابن الإبري بباب الأزج ٣٥٤
تضييق المقتفي على الأمير أبي طالب ٣٥٥
السنة الحادية والأربعون وخمس مئة ٣٥٩
احتراق القصر الذي بناه المسترشد بدار الخلافة ٣٥٩
تقليد ابن المرخم القضاء والخلع عليه ٣٥٩
تولية السلطان مسعود شحنكية بغداد لمسعود البلالي ٣٦٠
مقتل أتابك زنكي على قلعة جعبر ٣٦٠
وفاة بنت الخليفة ٣٦٠
عمل مسعود دار الضرب ٣٦٠
استصلاح مسعود عباساً صاحب الري ثم قتله ٣٦٠
إبطال المكوس والضرائب ببغداد ٣٦٠
بناء حسام الدين بن أرتق جسر القرمان في ميافارقين ٣٦١
ما تجدد من الحوادث بعد مقتل زنكي ٢٦٨
السنة الثانية والأربعون وخمس مئة ٣٧٤
تولية المقتفي عون الدين كتابة الزمام ٣٧٤
عزل أبي نصر بن جهير من الوزارة ٣٧٤
وزارة علي بن صدقة للخليفة ٣٧٤
قدوم ابن العبادي برسالة إلى الخليفة من السلطان ٣٧٥
تولية المقتفي يحيى بن جعفر المخزن ٣٧٥
هروب إسماعيل أخي الخليفة من الدار ٣٧٥
فتح نور الدين حصن أرتاح وكفر لاثا ٣٧٥
استيلاء عبد المؤمن بن علي على مراكش بالسيف ٣٧٥
السنة الثالثة وأربعون وخمس مئة ٣٧٩
مفارقة جماعة من الأمراء السلطان مسعود ودخولهم بغداد وإفسادهم فيها ومحاربة الخليفة لهم ٣٧٩
قبض الخليفة على وزيره ابن صدقة وتقليد الدامغاني القضاء ٣٨١
وفاة قاضي القضاة الزينبي ٣٨١
نزول الفرنج على دمشق ٣٨١
وقوع طاعون في دمشق أيام الحصار ثم جلاء الفرنج عنها ٣٨٣
إزالة نور الدين في حلب سب الصحابة ومازيد في الأذان ٣٨٤
ظهور رجل في مصر من ولد نزار يطلب الخلافة ٣٨٤
إغارة نور الدين على بلاد الفرنج وفتح عدة حصون ٣٨٤
السنة الرابعة والأربعون وخمس مئة ٣٨٧
وزارة عون الدين للمقتفي ٣٨٧
قصد البقش وملك شاه وعلي بن دبيس والتركمان بغداد وطلبهم من الخليفة الخطبة لملك شاه ٣٨٧
وفاة نظر الخادم ٣٨٨

زلزلة بغداد وهلاك الناس ٣٨٨
كسر نور الدين الفرنج ٣٨٨
فتح نور الدين حصن فامية ٣٨٩
أخذ نور الدين ما كان بيد جوسلين من الحصون ٣٨٩
السنة الخامسة والأربعون وخمس مئة ٤٠٦
جلوس يوسف الدمشقي في النظامية ثم منعه ٤٠٦
ما جرى على الحاج بعد وفاة نظر الخادم ٤٠٦
مطر اليمن دماً ٤٠٦
الصلح بين نور الدين ومجير الدين ٤٠٦
وصول الملك مسعود إلى أنطاكية ومضايقتها ٤٠٧
وصول جماعة من الحاج إلى دمشق وحكايتهم ما جرى ٤٠٧
أسر ابن جوسلين وفتح نور الدين قلعة أعزاز ٤٠٧
القتال بين وزير مصر وابن السلار ٤٠٧
وفاة القاضي ابن أبي الجن ٤٠٧
السنة السادسة والأربعون وخمس مئة ٤١٠
دخول السلطان مسعود بغداد وتلقي الوجوه له ٤١٠
ما جرى على ابن العبادي في جامع المنصور ٤١١
مناداة السلطان بعمارة قرى العراق ٤١١
عودة نور الدين إلى حصار دمشق ثم رحيله ٤١١
مسيره نحو بصرى ٤١٣
توجه مجير الدين في خواصه إلى حلب لخدمة نور الدين ٤١٣
قصد الفرنج قلاع بعلبك ونهبها ٤١٣
استيحاش ابن السلار وزير مصر من الظافر ٤١٣
استيحاش ابن الصوفي من مجير الدين ٤١٣
السنة السابعة والأربعون وخمس مئة ٤١٧
حكاية ابن الجوزي لبعض الغرائب ٤١٧
وفاة السلطان مسعود وما حصل ببغداد لما وصلها الخبر ٤١٨
خروج الخليفة إلى واسط لعصيانها ٤١٨
فتح نور الدين حصن أنطرسوس ٤١٨
السنة الثامنة والأربعون وخمس مئة ٤٢٩
انحلال أمر بني سلجوق باستيلاء الغز على سنجر ٤٢٩
إرسال الخليفة ترشك المقتفوي وظفر بن الوزير ونجاح الخادم إلى قلعة تكريت ٤٣٠
مجيء الخليفة إلى قلعة تكريت وإقامته فيها أياماً ٤٣١
مقتل وزير الديار المصرية علي بن السلار ٤٣١
مضايقة الفرنج عسقلان وامتلاكها ٤٣١
نقل صاحب مصر رأس الحسين من عسقلان إلى مصر ٤٣٢
عودة ابن الصوفي من صرخد بأيمان مجير الدين وعهوده ٤٣٣
السنة التاسعة والأربعون وخمس مئة ٤٤٤
إرسال المقتفي رسولاً إلى تكريت ثم محاربتها ٤٤٤
نهب مسعود بلال وترشك واسط بعد هربهما من تكريت وتجهيز الخليفة إليهما وزيره ٤٤٦

مجيء المطر والرعود في يوم عيد رمضان وما حصل بسببه ٤٤٦
تضييق الغز على سنجر ٤٤٦
امتلاك نور الدين محمود دمشق ٤٤٦
وفاة ابن الصوفي ٤٤٩
إقامة مجير الدين بحمص ومكاتبته أحداث دمشق لإثارة الفتن ٤٤٩
مقتل الظافر صاحب مصر ٤٤٩
وصول الفرنج إلى تنيس ونهبها ٤٤٩
السنة الخمسون وخمس مئة ٤٥٦
قبض الخليفة على صاحب الباب الهاشمي وتولية ابن الصاحب مكانه ٤٥٦
دخول الغز نيسابور ٤٥٧
نزول الخليفة على دقوقا وحصارها ثم رحيله عنها ٤٥٧
وقعة بين عساكر الخليفة وشملة التركماني ٤٥٧
وصول سليمان شاه بن محمد إلى بغداد ٤٥٧
تسلم نور الدين محمود بعلبك من واليها ٤٥٨
الخلاف بين أولاد الملك مسعود ٤٥٨
السنة الحادية والخمسون وخمس مئة ٤٦٢
خلع الخليفة على سليمان شاه خلعة السلطنة ٤٦٢
إطلاق ابن الوزير من قلعة تكريت ٤٦٢
ورود الأخبار باتفاق ملك شاه وسليمان شاه وإيلدكز وانهزمهم بين يدي محمد شاه ٤٦٢
خلاص سنجر من أسر الغز بحيل وهربه ٤٦٣
السنة الثانية والخمسون وخمس مئة ٤٦٨
محاصرة بغداد من محمد شاه ٤٦٨
وصول الخبر بدخول ملك شاه همذان ونهبها ٤٦٩
استيحاش محمد شاه من كوجك ٤٧٠
رحيل المحاصرين عن بغداد ٤٧٠
قدوم ابن الخجندي الفقيه وأبي الوقت إلى بغداد ٤٧١
وقوع زلازل بالشام وحلب وحماة وجميع العواصم ٤٧١
خروج عساكر مصر ومساعدة نور الدين لهم وكسر الفرنج على غزة ٤٧٢
امتلاك نور الدين محمود حصن شيزر وزوال ملك بني منقذ ٤٧٣
السنة الثالثة والخمسون وخمس مئة ٤٨١
اتفاق محمد شاه وأخيه ملك شاه وفتح خوزستان ٤٨١
خروج الخليفة إلى مشهد الحسين لزيارته ٤٨١
منازلة نور الدين قلعة حارم وفتحها ٤٨١
نزول الفرنج على داريا وإحراقها ونهبها ٤٨١